رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الثالث

عني بتصحيحه

خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م

الرسالة الثانية عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في قول الحكماء ان الانسان عالم صغير

﴿ وهي الرسالة السادسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه بانا قدفرغنا من ذكر مسقط النطفة وبيان مايتعلق بذلك من رباط النفس بها وتقلب الحالات التي تظهر شهراً بعد شهر وتأثيرات أفعال الكواكب في أحكام بنية الجسد وقد بينا بعد ذلك الغرض الاقصى من وجود الانسان ومكثه في العالم زمانا فنريد أن نذكر في هذه الرسالة معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير فنقول

اعلم ان الحكماء الأولين لما نظروا الى هذا العالم الجسماني بأبصار عيونهم وشاهدوا ظواهر أموره بحواسهم وتفكروا عند ذلك في أحواله بعقولهم وتصفحوا تصرف أشخاص كلياته ببصائرهم واعتبروا فنون جزئياته برويتهم فلم يجدوا جزءاً من جميع أجزائه أتم بنية ولا أكمل صورة ولا بجملته أشد تشبيها من الانسان

وذلك انه لما كان الانسان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وجدوا فى هيئة بنية جسده مثالات لجميع الموجودات التى فى العالم الجسماني من عجائب تركيب افلاكه واقسام ابراجه وحركات كواكبه وتركيب اركانه وامهاته واختلاف جواهر معادنه وفنون اشكال نباته وغرائب هياكل حيواناته

ووجدوا أيضا لاصناف الخلائق الروحانيين من الملائكة والجن والانس والشياطين ونفوس سائر الحيوانات وتصرف أحوالها فى العالم تشبيها من النفس الانسانية وسريان قواها فى بنية الجسد.

فلما تبينت لهم هذه الامور عن صور الانسان سموه من أجل ذلك عالما صغيراً ونريد أن نذكر من تلك المثالات وتلك التشبيهات طرفا لكيما يكون دليلا على صحة ماقالوه وبيانا لما وصفوه ، وليقرب أيضا على المتعلمين فهمها ويسهل على الباحثين تأملها

﴿ فصل ﴾

في اعتبار أحوال الانسان باحوال الموجودات حسب مانبين هاهنا

فنقول أن الموجودات لما كانت كلها جواهر وأعراضا مجموعا منهما هيولى وصورا ومركبا منهما كما بينا فى رسالة الهيولى وكانت الاعراض كلها جسمانية أو روحانية كما بينا في رسالة العقل والمعقول

وكان الانسان انما هو جملة مجموعة من جوهرين مقرونين أحدهما هذا الجسد الجسماني الطويل العريض العميق المدرك بطريق الحواس والاخر هذه النفس الروحانية العلامة المدركة بطريق العقل .

فلما كان الجسد بنية مؤلفة من أعضاء مختلفة الاشكال كاليدين والرجلين والرأس والرقبة والظهر والوركين والركبتين والساقين والقدمين. وكانت كل واحدة منها أيضاً مركبة من أعضاء مختلفة الصور متشابهة الاجزاء كالعظم والعصب والعروق واللحم والجلد وما شاكلها كما بينا في رسالة تركيب الجسد. وكانت هي

أيضا مكونة من الاخلاط الاربعة التى هي الدم والبلغم والمرتان

وهي أيضا متولدة من الكيموس والكيموس من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من الاركان الاربعة كما بينا في رسالة النبات وكل واحدة مقومة من طبيعتين من الطباع الاربع المعلومة كما بينا فى رسالة الكون والفساد وكل واحدة منها صور متممة للجسم وصور مقومة لشيء آخر من الاجسام الطبيعية كما بينا في رسالة الهيولى والصورة

ولما كان الهيولى والصورة أيضا جوهرين بسيطين روحانيين معقولين مخترعين مبدعين كما شاء باريها جل جلاله للفعل والانفعال قابلين بلا كيف ولا زمان ولا مكان بل بقوله كن فكان كما بينا في رسالة المبادىء العقلية

ولما كان الانسان حاله ماترى وهو كما أخبرنا انه جملة مجموعة من جسد ظلماني ونفس روحانية صار اذا اعتبر حال جسده ومافيه من غرائب تركيب أعضائه وفنون تأليف مفاصله يشبه دارا لساكنها .

واذا اعتبر حال نفسه وعجائب تصرفاتها في بناء هيكل جسده وسريان قواه في مفاصل بدنه يشبه كأنها ساكنا في منزله مع خدمه وأهله وولده

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد بنية جسده مع اختلاف اشكال أعضائه وافتنان تأليف مفاصله يشبه دكانا للصانع

فهكذا نفسه من أجل سريان قواها فى بنية هيكل جسده وعجائب افعالها من أعضاء بدنه وفنون حركاتها فى مفاصل جسده يشبه صانعاً فى الدكان مع تلامذته وغلمانه كما بينا فى رسالة الصنائع العملية

ومن وجه آخر اذا اعتبر بنية جسده مع كثرة تأليفات طبقات بناء هيكله وغرائب تركيب مفاصل بدنه وكثرة اختلاف أعضائه وتشعب فروع عروقه وامتدادها الى اطراف أعضائه وتباين أوعيته التى في عمق جسده وتصرف قوى النفس يشبه مدينة مملوءة أسواقها من الصنائع كما بينا فى رسالة تركيب الجسد .

ومن وجه آخر اذا اعتبر من أجل تحكم النفس على أحوال الجسد وحسن سياستها وسريان قواها وتصرفاتها فى بنيةهذا الجسد يشبه ملكا فى تلك المدينة بجنوده وخدمه وحاشيته كما بينا في رسالة العقل والمعقول .

ومن وجه آخر اذا اعتبر حال الجسد وتكوينه وحال النفس ونشوءها مع الجسد يشبه الجسد الرحم والنفس كالجنين كما بينا فى رسالة نشؤ النفس الجزوية وخروجها من القوة والفعل

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجدمثل الجسد كالسفينة والنفس كالملاح والاعمال كالامتعة للتجار والدنيا كالبحار والموت كالساحل والآخرة كمدينة التجار والله تعالى الملك المجازى هناك

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد الجسد كالدابة والنفس كالراكب والدنيا كالميدان والعمال كالسباق

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد النفس كالحراث والجسد كالمزرعة والاعمال كالحب والثمر والموت كالحصاد والدار الآخرة كالبيدر كما بينا في رسالةحكمة الموت

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجدعجيب بنيةالجسد كما ذكرنا فى كتب التشريح وكثرة ماتستفيد النفس العلوم بمقارنتها الجسد يشبه مكتباً للعلوم والنفس كالصبي في المكتب كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس

ومن وجه آخر اذا اعتبر تركيب الجسد وسريان قوى النفس فيه وتصرف أحوال الانسان كأنه دفتر مملوء من العلوم ويقال انه مختصر من اللوح المحفوظ وقد ضربت الحكماء لذلك أمثالا كثيرة ونريد أن نذكر من ذلك طرفاً مرموزاً مختصرا حسب مايليق بنا

﴿ فصل ﴾

في ان الانسان مختصر من اللوح المحفوظ

ذكر انه كان ملك من الملوك ، حكيم من الحكماء ، سيد من السادات وكان له

أولاد صغار محبوبون له مكرمون عليه فأراد أن يؤدبهم ويهذبهم ويروضهم ليقومهم قبل ايصالهم الى مجلسه لانه لايليق بمجالس الملوك إلا المهذبون بالآداب والمرتاضون في العلوم المتخلقون بالاخلاق الجميلة المبرؤون من العيوب فرأى من الرأي الرصين والحكمة ان يبنى لهم قصراً على أحكم ما يكون من البنيان فأفرد لكل واحد منهم مجلساً وكتب كل علم أراد أن يعلمهم إياه في جوانب ذلك المجلس وصور فيه كل شيء أراد أن يهذبهم به ثم أجلسهم في ذلك القصر وأجلس كل واحد منهم في حصته المعدة له ووكل بهم الخدم والجوار والغلمان وقال لاولئك الاولاد انظروا الى ما صورت لكم بين أيديكم واقرؤا ما كتبت فيه من أجلكم وتأملوا مابينته لكم وتفكروا فيها لتعرفوا معانيها وتصيروا من ذلك حكماء أخياراً فضلاء أبراراً فأوصلكم الى مجلسى فتكونوا من ندماي مكرمين سعداء منعمين أبداً مابقيت وبقيتم معي وكان مما كتب لهم فى ذلك المجلس من العلوم ان صور في أعلى قبة المجلس صورة الافلاك وبين كيفية دورانها وأبراج طلوعاتها وكذلك الكواكب وحركاتها وأوضح دلائلها وأحكامها

وصور فى صحن المجلس صورة الارض وأقسام الاقاليم وخطط الجبال والبحار والبراري والانهار وبين حدود البلدان والمدن والمسالك والممالك وكتب فى صدر المجلس علم الطب والطبائع وصور النبات والحيوانات والمعادن بأنواعها وأجناسها وأشخاصها وبين خاصيتها ومنافعها ومضارها

وكتب فى الجانب الآخر علم الصنائع والحرف وبين كيفية الحرث والنسل وصور المدن والاسواق وبين أحكام البيع والشراء والربح والتجارات

وكتب فى الجانب الآخر علم الدين والملل والشرائع والسنن وبين الحلال والحرام والحدود والاحكام

وكتب فى الجانب الآخر السياسة وتدبير المملكة وبين كيفيةجباية الخراج

والكتاب والدواوين وبين أرزاق الجنود وحفظ الرعية والثغور بالجيوش والاعوان .

فهذه ستة أجناس من العلوم يراض بها أولاد الملوك وهذا مثل ضربته الحكماء وذلك ان الملك الحكيم هو الله تعالى والاولاد الصغار هي الانسانية والقصر المبنى هو الفلك بأسره والمجالس المتقنة هي صورة الانسان والآداب المصورة هي عجيب تركيب جسده والعلوم المكتوبة فيه هي قوى النفس ومعارفها ونحن نبين هذا فصلا فصلا فيما بعد بأوجز الوجوه

فصل

في فضيلة جوهر النفس

فنقول اعلم ان لجواهر النفوس عند الله منزلة وكرامة ليست لجواهر الاجسام وذلك لقرب نسبتها منه وبعد نسبة الاجسام وذلك ان جواهر النفوس حية بذاتها علامة وفعالة وجواهر الاجسام ميتة منفعلة لامثال لها

وقد بينا في رسالة المبادىء العقلية ان نسبة الموجودات من الباري تعالى كنسبة العدد من الواحد والعقل كالاثنين والنفس كالثلاثة والهيولى الأولى كالاربعة والطبيعة كالخمسة والجسم كالستة والفلك كالسبعة والاركان كالثمانية والمولودات كالتسعة

ومن وجه آخر نسبة النفس من العقل كنسبة ضوء القمر من نور الشمس ونسبة العقل من الباري كنسبة نور الشمس من الشمس وكما ان القمر اذا امتلأ من نور الشمس حاكى نوره نورها كذلك النفس اذا قبلت فيض العقل فاستتمت فضائلها حاكت أفعالها أفعال العقل وانما تستتم فضائلها اذا هي عرفت ذاتها وحقيقة جوهرها وانما تستبين لها فضائل جوهرها إذ هى عرفت أحوال عالمها الذى هو صورة الانسانية لان الباريء تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم وصوره أكمل صورة وجعل صورته مرآة لنفسه ليتراءى فيها صورة العالم الكبير

وذلك أن البارى جل جلاله لما أراد أن يطلع النفس الانسانية على خزائن علومه ويشهدها العالم بأسره علم أن العالم واسع كبير وليس في طاقة الانسان أن يدور في العالم حتى يشاهده كله لقصر عمره وطول عمران العالم فرأى من الحكمة ان يخلق لها عالماً صغيراً مختصراً من العالم الكبير وصور في العالم الصغير جميع ما في العالم الكبير ومثله بين يديها وأشهدها إياه فقال عز من قائل وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بأجمعهم بلى فمن كان منهم شاهداً عالماً عارفاً حقيقته كانت شهادته عليه حقاً ومن كان جاهلا كانت شهادته مردودة لأنه قال عز وجل الا من شهد بحق وهم يعلمون ألا ترى أنه لا يقبل الا شهادة أهل العلم

ثم اعلم ان افتتاح جميع العلوم هو في معرفة الانسان نفسه ومعرفة الانسان تكون من ثلاث جهات أحداها أن يعتبر أحوال جسده وتركيب بنيته وما يتعلق عليه من الصفات خلوا من النفس والآخر اعتبار أحوال نفسه وما يوصف من الصفات خلوا من الجسد والآخر اعتبار أحوالها مقترنين جميعاً وما يتعلق على الجملة من الصفات . وقد بينا فى رسالة تركيب الجسد طرفاً من هذه الاعتبارات ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً آخر فنقول

فصل

في اعتبار أحوال الانسان بأحوال الفلك

اعلم أن البارى تعالى جعل في تركيب جسد الانسان أمثلة واشارات الى تركيب الافلاك وأبراجها والسماوات وأطباقها وجعل سريان قوى النفس في مفاصل جسده واختلاف أعضائه كسريان قوى أجناس الملائكة وقبائل الجن والانس والشياطين في أطباق السماوات والأرض في أعلى عليين الى أسفل السافلين

وأما مماثلة تركيب جسد الانسان بتركيب الأفلاك وذلك أنه لما كانت الافلاك تسع طبقات مركبة بعضها جوف بعض كما بينا في الرسالة التى فى مدخل النجوم

كذلك وجد فى تركيب جسد الانسان تسع جواهر بعضها جوف بعض ملتفات عليها مماثلة لها وهي العظام والمخ واللحم والعروق والدم والعصب والجلد والشعر والظفر فجعل المخ في جوف العظام مخزوناً لوقت الحاجة اليه ولف العصب على مفاصله كيما يمسكها فلا ينفصل وحشى خلل ذلك باللحم صيانة لها ومد في خلل اللحم العروق والاوردة الضاربة لحفظها وصلاحها وكسا الكل بالجلد ستراً لها وجمالا لها وأنبت الشعر والظفر من فضل تلك المادة لمآربها فصار مماثلا لتركيب الافلاك بالكمية والكيفية جميعا لانها تسع طباقات وهذه تسع جواهر وتلك بعضها جوف بعض وهذه مثال ذلك

ولما كان الفلك مقسوماً اثنى عشر برجاً وجد في بنيـة الجسد اثنى عشر ثقباً مماثلا له وهي العينان ، والاذنان ، والمنخران ، والثديان ، والفم ، والسرة والسبيلين .

ولما كانت الابراج ستة منها جنوبية ، وستة منها شمالية ، كذلك وجدت ستة ثقب التى في الجسد في الجانب اليمين ، وستة في الجانب الشمال مماثلة لها بالكمية والكيفية جميعاً

ولما كان فى الفلك سبعة كواكب سيارة بها تجري أحكام الفلك والكائنات كذلك وجد سبع قوى فى الجسد فعالة بها يكون صلاح الجسد

ولما كانت هذه الكواكب ذوات نفوس وأجسام لها أفعال جسمانية في الاجسام وأفعال روحانية في النفوس كذلك وجدت فى الجسد سبع قوى جسمانية وهي القوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة وسبع قوى أخرى روحانية وهي القوى الحساسة أعني الباصرة ، والسامعة ، والذائقة ، والشامة ، واللامسة ، والقوة الناطقة العاقلة ، والقوة الحساسة ، مناسبة للخمسة المتحيرة ، والقوة الناطقة مناسبة للقمر ، والقوة العاقلة مناسبة للشمس وذلك ان لكل واحد من الكواكب الخمسة بيتان في الفلك أحدهما فى حيز

الشمس والثاني فى حيز القمر ، والنيران لكل واحد منهما بيت كما بينا فى رسالة النجوم

كذلك وجد فى بنية الجسد لكل واحد من القوى الحساسة مجريان أحدهما فى الجانب الأيمن والآخر فى الجانب الايسر فالقوة الباصرة مجراها فى العينين والقوة السامعة مجراها فى الأذنين ، والقوة الشامة مجراها فى المنخرين والقوة اللامسة مجراها في اليدين والقوة الذائقة الشهوانية مجراها في الفم بالجانب الايمن أشبه والفرج بالجانب الايسر أشبه

وأما القوة الناطقة فمجراها الحلقوم الى اللسان والقوة العاقلة فمجراها وسط الدماغ ونسبة القوة الناطقة الى القوة العاقلة كنسبة القمر الى الشمس

وذلك ان القمر يأخذ نوره من الشمس في جريانه من منازل القمر الثمانية والعشرين ، وذلك ان القوة الناطقة من العقل تأخذ معاني الفاظه بجريانه في الحلقوم فيعبر عنها بثمانية وعشرين حرفا ونسبة ثمانية وعشرين حرفا للقوة الناطقة كنسبة ثمانية وعشرين منزلا للقمر

ولما كان فى الفلك عقدتان وهما الراقص والذنب وهما خفيا الذات ظاهرا الافعال بهما سعادات الكواكب ونحوساتها كذلك وجد في الجسد أمران خفيان الذات ظاهرا الافعال بهما صلاح بنية الجسد وصحة الافعال للنفس وهما صحة المزاج وسوء المزاج وذلك انه اذا صح مزاج أخلاط الجسد صحت أعضاؤه واستقامت افعال النفس وجرت على الامر الطبيعي .

واذا فسد المزاج اضطربت البنية وعيقت افعال النفس عن جريها على السداد وأضر مايكون نحوسة العقدتين على النيرين لانها أوكد الاسباب في كسوفهما وكذلك أضر مايكون سوء المزاج على القوة الناطقة والقوة العاقلة لانه يعوقهما من أفعالها أكثر وأشد

والعينان في الجسد مناسبتان لبيتى المشترى في الفلك والاذنان في الجسد مناسبتان لبيتى عطارد في الفلك والمنخران في الجسد والثديان مناسبتان في

الجسد لبيتى الزهرة والسبيلان لبيتى زحل والفم لبيت الشمس والسرة لبيت القمر والسرة كانت باب الغذاء في الرحم قبل الولادة والفم باب الغذاء في الدنيا والسبيلين مقابلان لهما كتقابل بيتى زحل لبيتى النيرين

وكما ان في الفلك بروجا فيها حدود ووجوه ودرجات لهــا أوصاف مختلفة كذلك للجسد أعضاء ومفاصل وعروق وأعصاب وعظام مختلفة يطول شرحها ومناسبتها بحدود الفلك وقد تركنا ذكر ذلك

فصل

في مشابهة تركيب جسد الانسان بالاركان الاربعة

فنقول اعلم انه لما كان تحت فلك القمر أربعة اركان وهي الامهات التى بها قوام الاشياء المولدات والتى هي الحيوان والنبات والمعادن.

وكذلك وجد في بنية الجسد اربعة أعضاء هى تمام جملة الجسد وأولها الرأس ثم الصدر ثم البطن ثم الجوف الى آخر قدميه فهذه الاربعة موازية لتلك وذلك ان رأسه مواز لركن النار من جهة شعاعات بصره وحركات حواسه وصدره مواز لركن الهواء من جهة نفسه واستنشاقه الهواء. وبطنه مواز لركن الماء من جهة الرطوبات التى فيه . وجوفه الى آخر قدميه مواز لركن الارض من قبل انه مستقر عليه كاستقرار الثلاثة الباقية فوق الارض وحولها

وكما ان من هذه الاركان الاربعة تتحلل البخارات فمنها تتكون الرياح والسحب والامطار والحيوانات والنبات والمعادن

وكذلك بهذه الاعضاء الاربعة تحلل البخارات في بدن الانسان مثل مايخرج المخاط من المنخرين والدموع من العينين والبصاق من الفم والرياح التى تتولد في الجوف والرطوبات التى تخرج مثل البول والغائط وغيرهما

فبنية جسده كالارض وعظامه كالجبال والمخ فيه كالمعادن وجوفه كالبحر وامعاؤه كالانهار وعروقه كالجداول ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ومنبته

كالبرية الطيبة وحيث لا ينبت الشعر كالارض السبخة ووجهه الى القدم كالعمران وظهره كالخراب وقدام وجهه كالمشرق وخلف ظهره كالمغرب ويمينه كالجنوب ويساره كالشمال وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وضحكه كضوء النهار وبكاؤه كالمطر وبؤسه وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وأيام صباه كأيام الربيع وأيام شبابه كأيام الصيف وأيام كهولته كأيام الخريف وأيام شيخوخته كأيام الشتاء وحركاته وأفعاله كحركات الكواكب ودورانها وولادته وحضوره كالطوالع وموته وغيبوبته كالغوارب واستقامة أموره وأحواله كاستقامة الكواكب وتخلفه وأدباره كرجوعاتها وامراضه واعلاله كاحتراقاتها وتوقفه وتحيره في الامور كتوقفها وارتقاءه في المنزل والشرف كارتفاعها في أوجاتها واشراقها وانحطاطه في المنزل والسقوط كهبوطها وسقوطها في حضيضها واجتماعه مع امرأته كاجتماعها ومواصلته كاتصالاتها وانفصاله كانصرافاتها واشارته كمناظرتها.

وكما ان الشمس رأس الكواكب فى الفلك كذلك في الناس ملوك ورؤساء وكاتصالات الكواكب بالشمس وبعضها ببعض كذلك اتصالات الناس بالملوك وبعضهم ببعض وكانصراف الكواكب من الشمس بالقوة وزيادة النور وكذلك انصرافات الناس من الملوك بالولايات والخلع والمراتب وكنسبة المريخ من الشمس كذلك نسبة صاحب الجيش من الملك وكنسبة عطارد من الشمس كذلك نسبة الكتاب والوزراء من الملوك وكنسبة المشترى من الشمس كنسبة القضاة والعلماء من الملوك وكنسبة زحل من الشمس كذلك نسبة الخزان والوكلاء من الملوك وكنسبة الزهرة من الشمس كذلك نسبة الجوارى والمغنيات من الملوك وكنسبة القمر من الشمس كذلك نسبة الخوارج من الملوك وذلك ان القمر من الشمس يأخذ النور من أول الشهر الى ان يقابلها فيحا كيها فى نورها ويصير كالمماثل لها في هيئاتها وكذلك حكم الخوارج من الملوك يتبعون أمرهم ثم يخلعون الطاعة وينازعونهم في الملك.

وأيضاً ان أحوال القمر تشبه أحوال أمور الدنيا من الحيوان والنبات وغيرها . وذلك ان القمر يبتدىء من أول الشهر بالزيادة في النور والكمال الى ان يتم في نصف الشهر ثم يأخذ في النقصان والاضمحلال والمحاق الى آخر الشهر

وهكذا حالات أهل الدنيا تبتدىء من أول الامر بالزيادة فلا تزال تنمو وتنشؤ الى ان تتم وتستكمل ثم تأخذ في الانحطاط والنقصان الى ان تضمحل وتتلاشى .

فصل

في تعداد قوى النفس

فنقول : ان هذا الجسد من كثرة عجائبه وترتيب أعضائه وطرائق تأليف مفاصله يشبه مدينة والنفس كملك تلك المدينة وفنون قواها كالجنود والاعوان وأفعالها في هذا الجسد وحركاتها فيها كالرعية والخدم وذلك أن للنفس الانسانية قوى كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ولكل قوة منها مجرى في عضو من أعضاء الجسد غير مجرى القوى الأخر ولكل قوة منها الى النفس نسبة خلاف نسبة الأخرى

ونريد أن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقية منها وذلك أن لها خمس قوى حساسة كأنها أصحاب الأخبار وأن النفس قد ولت كل واحدة منها ناحية من مملكتها لتأتيها بالأخبار من تلك الناحية من غير أن تشترك معها قوة أخرى بيان ذلك أن القوة السامعة التي مجراها في الأذنين فان النفس قد ولتها ادراك المسموعات فحسب وهي الأصوات . والاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية فغير الحيوانية كصوت الطبل والرعد والحجر ، والشجر ، والزمر ، والأوتاد وما شاكل ذلك والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية كصهيل الخيل ونهيق الحمار وخوار الثور

وبالجملة فان أصوات الحيوانات غير الناطقة والمنطقية نوعان دالة وغير دالة فغير

دالة كالألحان والنغمات والضحك والبكاء والصراخ والأنين وغير ذلك والدالة هي التي تلفظ بالحروف المعجمة وهي التي تدل على المعاني في أفكار النفوس كما بينا في رسالة المنطق

ولكل نوع من هذه الانواع نوع آخر وتحت تلك الانواع أشخاص لا يعلم عددها الا الله الواحد القهار . وان القوة هي المتولية ادراكها المتصرفة فيها باتيان الاخبار عنها الى القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ . وهذه القوة في ادراكها هذه الأصوات واتيانها باخبارها تشبه صاحب خبر ملك يأتي بالاخبار اليه من ناحية من نواحي مملكته

وأما القوة الباصرة التي مجراها في العينين فان النفس قد ولتها ادراك المبصرات وهي تنقسم أنواعاً فمنها الانوار والظلمة ومنها الالوان وهي السواد والبياض والحمرة والصفرة ومايتولد عند التركيب من سائر الالوان ومن المبصرات أيضاً المقادير ذوات الابعاد والاشكال والصور والحركات والسكون وكل نوع من هذه تحته أنواع وتحت تلك الانواع أشخاص وهي كلها تحت ادراك القوة الباصرة وهي المتصرفة فيها والمميزة لها تأتي بالاخبار عنها الى القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ ونسبة هذه القوة من النفس كنسبة الديدان وصاحب البريد الى الملك يأتي بالاخبار اليه من ناحية من كل نواحي مملكته

وأما القوة الشامة التي مجراها في المنخرين فان النفس قد ولتها إدراك الروائح والتصرف فيها والتمييز لها وهي نوعان لذيذة وكريهة : فاللذيذة تسمى الطيب والكريهة تسمى النتن وتحت كل نوع من هذه الانواع أنواع ليس لها أسماء مفردة كاسماء سائر المحسوسات ولكن القوة الناطقة نسبت كل رائحة منها الى حاملها الذي يفوح منه فيقال رائحة المسك ورائحة الكافور ورائحة العود ورائحة النرجس وغير ذلك فنسبتها الى الذي تفوح منه وهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى وان القوة الشامة هي المتولية لادراكها والتصرف فيها باتيان أخبارها الى القوة

المتخيلة ونسبتها الى النفس كنسبة أحد أصحاب الاخبار الى الملك مثل ماقلنا في أمر القوة الباصرة والسامعة

وأما القوة الذائقة التى مجراها فى اللسان فان النفس قد ولتها أمر الطعوم والادراك لها والتصرف فيها وتمييز بعضها من بعض وهى تنقسم تسعة أنواع : أولها الحلاوة الملائمة لطبع الانسان . والثانية المرارة المنافرة لطبع الانسان ومنها وسائط وهى الحموضة والملوحة والدسومة والعفوصة والحرافة والقبوصة والعذوبة وكل نوع من هذه تحته أنواع وتحت كل نوع منها أشخاص لايعلم عددها الا الله الواحد القهار وان القوة الذائقة التى هي متولية أمر هذه الطعوم بالادراك لها والتصرف فيها وتمييز بعضها عن بعض واتيان أخبارها الى القوة المتخيلة ونسبتها الى النفس كنسبة أصحاب الاخبار الى الملك مثل أمر السامعة والباصرة والشامة

وأما القوة اللامسة التى مجراها باليدين فان النفس قد ولتها أمر الملموسات وهى عشرة أنواع : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة ولكل واحد من هذه تحتها أنواع وتحت تلك الانواع أشخاص لايعلمها الا الله الملك الجبار العزيز القهار وان القوة اللامسة التى باليدين هى المتولية أمر الملموسات بالادراك والتصرف فيها وتمييز بعضها عن بعض وباتيان أخبارها الى القوة المتخيلة ونسبتها الى الشمس كنسبة احدى اخواتها التى تقدم ذكرها

ومامثل النفس مع قواها هذه الخمس الحساسة واختلاف محسوساتها وماتحت كل جنس منها من الانواع والاشخاص المختلفة الصور المفننة الاشكال المتباينة الهيئات الا كخمسه من الانبياء أولي العزم من الرسل مرسلهم واحد وشرائعهم مختلفة وتحت كل شريعة مفروضات مفننة وأحكام متباينة وسنن متغايرة تحت أحكامها أمما كثيرة لايحصى عددها الا الواجب الوجود الواحد من جميع الوجوه

وكما ان تلك الامم كلهم يرجعون الى الله ليفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . فهكذا حكم المحسوسات كلها مرجعها الى النفس الناطقة لتمييز بعضها عن بعض وتعرف واحداً واحداً منها بحقائقها وتحكم عليها وتنزلها منازلها

فصل

واعلم يا أخي ان للنفس الانسانية خمس قوى أخر تنسب نسبتها الى النفس غير نسبة هذه الخمسة التى تقدم ذكرها وسريانها في أعضاء الجسد خلاف سريان أولئك وأفعالها لاتشبه أفعالها

وذلك ان هذه القوى الخمس هن كالشركاء المتعاونات فى تناولها صور المعلومات بعضها من بعض وثلاثة منها نسبتها الى النفس كنسبة الندماء من الملك الحاضرين مجلسه دائما المطلعين على أسراره المعينين له فى خاصة أفعاله وهي القوة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ والثانية القوة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ والثالثة القوة الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ وواحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة الحاجب والترجمان عن الملك وهي القوة الناطقة المخبرة عنها معاني مافي فكرها من العلوم والحاجات ومجراها في الحلقوم الى اللسان

وواحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة الوزير الى الملك المعين له في تدبير مملكته وسياسة رعيته وهي القوة التى بها تظهر النفس الكتابة والصنائع اجمع ومجراها فى اليدين والاصابع فهذه القوى الخمس هى كالمتعاونات فيما يتناولن من صور المعلومات

بيان ذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات من القوى الحاسة أدركت وأدت اليها فتجمعها كلها وتؤديها الى القوة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ حتى تميز بعضها من بعض وتعرف الحق من الباطل والصواب من الخطأ والضار من النافع ثم تؤديها الى القوة الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ لتحفظها الى وقت الحاجة والتذكار

ثم ان القوة الناطقة تناول تلك الرسوم المحفوظة وتعبر عنها عند البيان للقوة السامعة من الحاضرين فى الوقت.

ولما كانت الاصوات لا تمكث فى الهواء الا ريثما تأخذ الاسماع حظها ثم تضمحل اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية واحتالت الطبيعة بان قيدت تلك الالفاظ بصناعة الكتابة .

وذلك ان القوة الصناعية اذا أرادت تقييدها صاغت لها صوراً من الخطوط بالقلم وأودعتها وجوه الالوان وبطون الطوامير ليبقى العلم مفيداً فائدة من الماضين للغابرين وأثراً من الاولين للاخرين وخطابا من الغائبين للحاضرين وهذا من جسيم نعم الله تعالى على الانسان كما ذكر فى كتابه فقال :

« اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم

فصل

اعلم يا أخي انه اذا تفكر الانسان العاقل الفهيم في هذه القوة التى تقدم ذكرها وكيفية سريانها في أعضاء الجسم وتصرفها في ادراك هذه المحسوسات وتصورها رسوم المعلومات واطلاع النفس عليها كلها في جميع حالاتها تكون هذه شاهدة له من نفسه لنفسه ودليلا من ذاته على ان للنفس الكلية قوى كثيرة منبثة في فضاء الافلاك وأطباق السموات وأركان الامهات وفي الحيوانات والنبات موكلة بحفظ الخليقة ومرتبة لصلاح البرية وهم ملائكة الله جل اسمه وخالص عباده وصفوته من بريته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون من غير خطاب ولا كلام فهكذا هذه القوى تتصرف في حوائج النفس من غير كلام منها لهن ولا خطاب

ويتبين له أيضاً بأن الله جل ثناؤه مطلع على أسرار جميع العالمين وأحوالهم لا يعزب عنه من أمورهم مثقال ذرة كما ان نفسه مطلعة على جميع محسوسات حواسها ومعلومات قواها وهن منقادة لامرها في ما يأتين به اليها من أخبار محسوساتها من غير كلام لهن منها ولا خطاب

فصل

في اعتبار أحوال الانسان بالموجودات التى دون فلك القمر

فاما اعتبار الانسان بالموجودات التى دون فلك القمر فاعلم ان الموجودات التى تحت فلك القمر نوعان بسيطة ومركبة فالبسائط هي الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض والمركبات هي المولدات الكائنات الفاسدات أعنى الحيوان والنبات والمعادن .

فالمعادن أسبق في الكون ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان ولكل نوع من هذه خاصية قد سبق اليها . فخاصية الاركان الاربعة الطبائع الاربعة التى هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واستحالة بعضها الى بعض وخاصية النبات الغذاء والنمو وخاصية الحيوان الحس والحركة وخاصية الانسان النطق والفكر واستخراج البراهين وخاصية الملائكة ألا تموت أبداً فان الانسان قد يشارك هذه الانواع كلها فى خواصها وذلك أن له طبائع أربع تقبل الاستحالة والتغيير مثل الاركان الاربعة وله كون وفساد مثل المعادن ويتغذى وينمو كالنبات ويحس ويتحرك كالحيوان ويمكنه ألا يموت كالملائكة كما بينا فى رسالة البعث

فصل

ثم اعلم ياأخي بان الحيوانات أنواع كثيرة ولكل نوع منها خاصية دون غيره والانسان يشاركها كلها فى خواصها ولكن لها خاصيتين تعمها كلها وهى طلبها المنافع وفرارها من المضار . ولكن منها ما يطلب المنافع بالقهر والغلبة كالسباع . ومنها ما يطلب المنافع بالبصبصة كالكلب والسنور . ومنها ما يطلبها بالحيلة كالعنكبوت وكل ذلك يوجد في الانسان

وذلك أن الملوك والسلاطين يطلبون المنافع بالغلبة والمكديون بالسؤال والتواضع والصناع والتجار بالحيلة والرفق وكلها تهرب من المضار والعدو ولكن بعضها يدفع العدو عن نفسه بالقتال والقهر والغلبة كالسباع وبعضها بالفرار كالارانب والظباء وبعضها يدفع بالسلاح والجواشن كالقنفد والسلحفاة وبعضها بالتحصن

في الارض كالفأر والهوام والحيات

وهذه كلها توجد في الانسان . وذلك أنه يدفع عن نفسه العدو بالقهر والغلبة فان خاف على نفسه لبس السلاح وان لم يطقه نفر منه فان لم يقدر على الفرار تحصن بالحصون . وربما يدفع الانسان عدوه بالحيلة كما احتال الغراب على البوم في كتاب كليلة ودمنة . واما مشاركة الانسان للكائنات في خواصها فاعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن لكل نوع من أنواع الحيوانات خاصية هي مطبوعة عليها وكلها توجد في الانسان وذلك أنه يكون شجاعاً كالاسد وجباناً كالارنب وسخياً كالديك وبخيلا كالكلب وعفيفاً كالسمك وفخوراً كالغراب ووحشياً كالنمر وانسياً كالحمام ومحتالا كالثعلب ومسالما كالغنم وسريعاً كالغزال وبطيئاً كالدب وعزيزاً كالفيل وذليلا كالجمل ولصاً كالعقعق وتائهاً كالطاووس وهادياً كالقطاة وضالا كالنعامة وماهراً كالنحل وشديداً كالتنين ومهيباً كالعنكبوت وحليما كالجمل وحقوداً كالحمار وكدوداً كالثور وشموساً كالبغل وأخرس كالحوت ومنطقياً كالهزار داستان والببغاء ومستحلا كالذئب ومباركا كالطيطوي ومضراً كالفأر وجهولا كالخنزير ومشوماً كالبوم ونفاعاً كالنحل

وبالجملة ما من حيوان ولا معادن ولا نبات ولا ركن ولا فلك ولا كوكب ولا برج ولا موجود من الموجودات له خاصية الا وهي توجد في الانسان أو مثالاتها كما بينا قبل من كل شيء طرفاً . وهذه الاشياء التي ذكرناها في أمر الانسان لا توجد في شيء من أنواع الموجودات التي في هذا العالم الا في الانسان

فمن أجل ذلك قالت الحكماء أن الانسان وحده بعد كل كثرة كما أن الباري جل ثناؤه وحده قبل كل كثرة . ومن أجل ما عددنا من عجائب تركيب جسد الانسان وغرائب تصاريف نفسه وما يظهر من جملة بنيته من الصنائع والعلوم والأخلاق والآراء والطرائق والمذاهب والاعمال والأفعال والاقاويل والتأثيرات الجسمانية والروحانية سموه عالما صغيراً

فصل

فانظر يا أخي الى هذا الهيكل المبني بالحكمة وتأمل هذا الكتاب المملوء من العلوم وتفكر في هذا الصراط المستقيم الممدود بين الجنة والنار فلعلك أن توفق للخيرات عليه والممر على الصراط المستقيم وتأمل هذا الميزان الموضوع بالقسط فلعلك تعرف وزن حسناتك وسيئاتك واحسب حسابك به قبل فوت رأس مالك فان الجنة من وراء هذا كله

واذكر ما قد نبهك الله له وذكرك اياه بقوله « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » وقوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» وقال « ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه»

فان كنت لا تحسن كيف تقرأ هذا الكتاب وكيف تحسب هذا الحساب وكيف تزن هذا الميزان وكيف تجوز هذا الصراط فهلم مجلس اخوان لك نصحاء أو أصدقاء لك كرماء فضلاء أخياراً علماء محبين لك متوددين اليك فيعرفوك ما لا تنكره ويعلموك ما تتيقنه ولا تشك فيه بشواهد من نفسك وبراهين من ذاتك ودلائل من جوهرك اذا انتبهت نفسك من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة ، ونظرت بعين البصيرة كما نظروا وسرت بسيرتهم العادلة كما ساروا وعملت بسنتهم الحسنة وتفقهت في شريعتهم العقلية ودخلت مدينتهم الروحانية وتخلقت بأخلاقهم الملكية وعرفت آراءهم الصحيحة وتعلمت معلوماتهم الحقيقية فحينئذ تؤيد بروح الحياة الابدية وتعيش عيش السعداء منعما مخلداً أبداً بنفسك الباقية الزكية لا بجسدك البالي المستحيل

فصل

ثم اعلم انه قد جعلت الحكمة الالهية والعناية الربانية أعضاء كل شخص من الحيوان مناسبا لجملة جسده كما بينا في رسالة فضيلة النسب فنريد أن نذكر منها في هذه الرسالة طرفاً ليتبين تقابل العالم الصغير والكبير

وذلك أن الانسان لما كان أكمل الموجودات وأتم الكائنات التي تحت فلك القمر وكان جسمه جزءاً من أجزاء العالم بأسره وكان هذا الجزء أشبه الاشياء بجملته صارت نفس الانسان أيضا أشبه النفوس الجزئية بالنفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره وصار حكم سريان قوى نفسه وأفعالها في بنية جسده مماثلة لسريان قوى النفس الكلية في جميع العالم

وبيان ذلك ان لبنية جسدها أعني النفس الكلية التي هي جملة العالم سبعة أشخاص فاضلة متحركة مدبرة باذن الملك الجبار عز وجل ولكل واحد منها جرم فيه روح تسمى النفس ولكل واحدمنها أفعال في العالم مخصوصة غير ما للآخر مذكور ذلك في كتب أحكام النجوم

فهكذا أيضا جعل الله تعالى في بنية جسد الانسان أعضاء بنيتها مناسبة لجملة بدنه بعضها لبعض وجعل لكل عضو منها قوة تختص بها ليظهر بها أفعاله في بنية الجسد وفي سائر أطرافه وجعل أفعالها مناسبة لافعال قوى روحانيات الكواكب السبعة

بيانه أن نسبة جرم الجسد كنسبة جرم الشمس من العالم بأسره وذلك انه لما كان مركز جرمها في وسط الافلاك كما بينا في رسالة السماء والعالم هكذا جعل الباري تعالى جرم القلب في وسط الجسد ، وكما أن من جرم الشمس ينبث النور والشعاع في جميع العالم بأسره ومنها تسري قوى روحانياتها في جميع أجزاء العالم وبها حياة العالم وصلاحه كذلك ينبث من جرم القلب الحرارة وتسير في العروق الضوارب الى سائر أطراف البدن وبها تكون حياة الجسد وصلاحه

وأيضا ان نسبة جرم الطحال من الجسد كنسبة زحل من العالم وذلك أن جرم زحل تنبث مع شعاعه قوى روحانياته وتسرى في جميع اجزاء العالم وبها تماسك الصور في الهيولى وبقائها باذن الله

فهكذا ينبث من جرم الطحال قوة الخلط السوداوى البارد اليابس وتجرى مع الدم في العروق الواردة الى سائر أطراف الجسد وبها يكون جمود رطوبة

الدم وتماسك أجزائه ويعرف حقيقة ما قلنا وصحة ماوصفنا جماعة من الحذقة في صناعة الطب والراسخون في العلوم الحكمية

وأيضا ان نسبة جرم الكبد من الجسد كنسبة جرم المشترى من العالم وذلك أنه ينبث من جرمه مع شعاعه قوى رحانيته وتسرى في أجزاء العالم وبها يكون ترتيب أجزائه واعتدال أركانه ومناسبة موجوداتها التي في العالم على أفضل الحالات وأكمل الصفات ويعرف حقيقة ما قلنا الحكماء والأنبياء وخلفاؤهم الأئمة الذين هم خزائن علم الله والأمناء على أسراره

وأيضا فان نسبة جرم المرارة من الجسد كنسبة جرم المريخ من العالم وذلك أنه تنبث من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته وتسرى في جميع أجزاء العالم وبها تكون عزمات الموجودات وبلوغ النهايات فهكذا ينبث من جرم المرارة قوى الخلط الصفراوي وتجري مع الدم الى سائر أطراف الجسد وهي الملطفة للأخلاط المعيدة لها الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها

وأيضاً أن نسبة جرم المعدة الى الجسد كجرم الزهرة في العالم وذلك انه ينبث من جرمها مع شعاعها قوى روحانياتها وتسرى في جميع أجزاء العالم وهي المفرحة الملذذة المسرة جميع الخلائق الجسمانية والروحانية التي في العالم وبها زينة الموجودات ومحاسن الكائنات في العالم أعني عالم الافلاك والامهات جميعاً فهكذا ينبث من جرم المعدة القوة الشهوانية الطالبة للغذاء الذي هو مادة الجسد وهيولى الاخلاط وبها تكون حياة الجسد ولذة العيش وقوام البدن في الاجسام البشرية والاجسام الطبيعية

وأيضاً ان نسبة جرم الدماغ كنسبة جرم عطارد من العالم وذلك انه ينبث من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته التي تسري في جميع أجزاء العالم وبها يكون الحس والشعور والعرفان في جميع الخلائق من العالمين جميعاً من الملائكة والناس أجمعين والجن والشياطين والحيوانات أجمع فهكذا ينبث من وسط الدماغ قوة بها يكون الحس والشعور والذهن والفكر والروية والمعارف أجمع

وأيضاً ان نسبة جرم الرئة كنسبة جرم القمر من العالم وذلك انه ينبث من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته التى تسري فى عالم الاركان تارة وفى عالم الافلاك تارة كما هو بين ظاهر وذلك ان جرم القمر نصفه أبداً ممتلىء نوراً ونصفه الآخر مظلماً وهو تارة يقبل بوجهه الممتلىء من النور نحو عالم الاركان من أول الشهر وتارة نحو عالم الافلاك من آخر الشهر ويعرف حقيقه ماقلناه وصحة ما بيناه الباحثون فى علم المجسطي والهيئة فهكذا ينبث من جرم الرئة قوة تجذب الهواء تارة من خارج الجسد وترسله الى القلب ومن القلب تنفذه فى العروق الضوارب الى سائر أطراف الجسد وهو الذى يسمى النبض وبها تكون حياة الجسد وتارة ترد من ذلك الهواء من داخل وبها يكون التنفس والاصوات والكلام أجمع

فانتبه أيها الاخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة . وفقك الله وايانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد انه رؤوف بالعباد

(تمت رسالة قول الحكماء ويتلوها رسالة نشوء الانفس)

الرسالة الثالثة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

فى كيفيه نشوء الانفس الجزئية فى الاجساد البشرية الطبيعية

وهى الرسالة السابعة والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من بيان قول الحكماء إن الانسان عالم صغير نريد أن نذكر فى هذه الرسالة كيفية نشوء الانفس الجزئية فنقول :

اعلم ان هذا الجسد لهذه الانفس فى المثال بمنزلة الرحم للجنين وذلك ان الجنين اذا استتمت فى الرحم بنيته وتكملت هناك صورته خرج الى هذه الدار تام الخلقة سالم الحواس وانتفع بالحياة فيها وتمتع بنعيمها الى وقت معلوم فهكذا يكون حال الانفس في الدار الآخرة وذلك ان الانفس الجزئية اذا استتمت ذواتها بالخروج من القوة الى حيز الفعل بما تستفيده من العلوم والمعارف بطريق الحواس واستكملت صورتها بما تكتسب من الفضائل بطريق المعقولات والتجارب والرياضات ومايدبر فى هذه الدار من السياسات من اصلاح أمر المعاش على الطريقة الوسطى وتمهيد أمر المعاد على سنن الهدى وتهذيب النفس بالاخلاق

الجميلة والآراء الصحيحة والاعمال الصالحة كل ذلك بتوسط هذا الجسد المؤلف من الدم واللحم

ثم ان فارقته على بصيرة منها ومن أمرها وقد عرفت جوهرها وتصورت ذاتها وتبينت أمر عالمها ومبدئها ومعادها كارهة للكون مع الجسد بقيت عند ذلك مفارقة للهيولى واستقلت بذاتها واستغنت بجوهرها عن التعلق بالاجسام فعند ذلك ترتقي الى الملأ الاعلى وتدخل فى زمرة الملائكة وتشاهد تلك الامور الروحانية وتعاين تلك الصور النورانية التى لاتدركها بالحواس الخمس ولاتتصور فى الاوهام البشرية كما ذكر هذا فى الرموزات النبوية ان فى الجنة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر من النعيم واللذة والسرور والفرح والروح والريحان كما قال الله تعالى (فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون) وقال (فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)

فأما اذا لم تستتم خلقة الجنين فى الرحم ولااستكملت هناك صورته أو عرض له عارض من النفس والاعوجاج فى عضو من الاعضاء فانه لاينتفع بالحياة فى هذه الدار على التمام ولايكمل له نعيمها كالعميان والخرس والطرشان والزمنى والمفاليج وأشباههم فهكذا تكون حال النفوس الجزئية عند مفارقة الاجساد البشرية

وذلك ان الجزئية اذالم تستتم بالعلوم والمعارف فانها مادامت مرتبطة بالاجساد البشرية متهيء لها إدراك المحسوسات فلاتستكمل صورها بمعرفة حقائق الاشياء مادام لها العقل والتمييز والروية ولاهى تهذبت بالاخلاق الجميلة مادام يمكنها الاجتهاد والعزيمة ولا هي قومت اعوجاجها من الآراء الفاسدة وقد أرهقتها أعمالها السيئة وأثقلتها أفعالها القبيحة فانها عند مفارقة الاجساد لا تنتفع بجوهرها ولاتستقل بذاتها ولايمكنها النهوض الى الملأ الاعلى من ثقل أوزارها ولايعرج بها الى ملكوت السماء ولا تستأهل للدخول فى زمر الملائكة وتغلق دونها أبواب السماء ويفوتها ذلك الروح والريحان كما ذكر الله عز وجل «لا تفتح لهم أبواب السماء ولا

يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط »لانه لايليق بها ذلك المكان الشريف مادامت النفس مذمومة بهذه الصفات غير مهذبة بالاخلاق الجميلة مقيدة بأخلاق دنية وسيرة جائرة وعادات رديئة واعتقادات فاسدة وجهالات متراكمة وأعمال سيئة تبقى مربوطة محبوسة لانه لايليق بها ذلك المنزل النوراني والعالم الروحاني كما لايليق بالعميان والزمنى والجهال والبكماء مجالس الملوك ومنادمتهم لنقصانهم فاذا فاتها ذلك المكان الشريف بقيت مقيدة في الهواء تهوى دون السماء وتجرها شياطينها التى تتعلق عليها من الشهوات الجسمانية والآراء الفاسدة والاهتمام بالامور الهيولانية راجعة الى قعر الاجسام المدلهمة وأسر الطبيعة الجسدانية وتدفعها أمواج الشهوات المحرقة المؤدية الى أودية الهاوية حيث لاأنيس لها وتجرها الشياطين كما تجر العميان والزمنى متجنبين طرقات الناس كما ذكر الله تعالى عز وجل « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » وقال « وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم » وقال « وقال قرينه هذا مالدي عتيد » فيصيبها عند ذلك وهج الاثير تارة وبرد الزمهرير تارة ووحشة الظلام والألم والعذاب الى أن تقوم القيامة

يكون ذلك حالها كما ذكر الله عز وجل (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقال (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) كل ذلك لشدة شوقها الى الجسمانية التى قد اعتادتها وقد فارقتها ولم تحصل لها اللذات الروحانيات وقد خسرت الدنيا والآخرة (ذلك هو الخسران المبين)

﴿ فصل ﴾

أعلم أيها الأخ الكريم البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ان العلم والحكمة للنفس كتناول الطعام والشراب للجسد

وذلك ان الاجساد ترضع أولا ثم تناول الطعام والشراب اللذين هما غذاء

الاجساد لينشو صغيرها وينمو ناقصها ويسمن مهزولها ويقوي ضعيفها ويكتسي رونقها وكمالها ويبلغ الى اقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ومحاسنها باللبن ثم بالطعام والشراب اللذين هما غذاؤها ومادتها

فهكذا أيضاً حالات الانفس مماثلة لحالات الاجساد بالطعام والشراب الذي هو غذاؤها ومادتها في تصاريفها لاقتران ما بينهما في كون الحياة

وذلك ان الانفس الجزئية تتصور بالعلوم جواهرها وتنمو بالحكمة ذواتها وتضيء بالمعارف صورها وتقوى بالرياضيات فكرها وتنير بالآداب خواطرها وتتسع لقبول الصور المجردة الروحانية عقولها وتعلو الى اشتياق الامور الخالدة همتها ويشتد على البلوغ الى اقصى مد غاياتها عزماتها من الترقي في المراتب العالية بالنظر في العلوم الالهية والسلوك في المذاهب الروحانية الربانية والتعبد في الامور الشريفة من الحكمة على المذهب السقراطي والتصوف والتزهد والترهب على المنهج المسيحي والتعلق بالدين الحنيفي وهو التشبه بجوهرها الكلي ولحوقها بعالمها العلوي والتوصل الى علتها الاولى والاعتصام بحبل عصمته وابتغاء مرضاته وطلب الزلفى لديه بالاتحاد بابناء جنسها في عالمها الروحاني ومحلها النوراني في دارها الحيواني كما قال الله تعالى « وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون»

فاذا كانت الدار هي الحيوان فما ظنك يا أخي باهل الدار كيف تكون صفتهم ونعيمهم الا كما قال الله تعالي وتقدس « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » فافهم هذه الاشارات والمرامي والمرموزات

ثم اعلم ان النفس اذا انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة واجتهدت والقت من ذاتها القشور الجسمانية والغشاوة الجرمانية والعادات الطبيعية والاخلاق السبعية والآراء الجاهلية وصفت من درن الشهوات الهيولانية تخلصت وانبعثت وقامت فاستنارت عند ذلك ذاتها وأضاء جوهرها وأشرقت أنوارها واحتد بصرها

فعند ذلك ترى تلك الصورة الروحانية وتعاين تلك الجواهر النورانية وتشاهد تلك الامور الخفية والاسرار المكنونة التي لا يمكن ادراكها بالحواس الجسمانية والمشاعر الجرمانية ولا يشاهدها الا من تخلصت نفسه بتهذيب خلقه اذا لم تكن مربوطة بارادة طبيعية ومقيدة بشهوات جسمانية يلوح فيها فيعاينها

فاذا عاينت تلك الامور تعلقت بها تعلق العاشق بالمعشوق والتزمتها التزام الحبيب المحبوب واتحدت بها اتحاد النور بالنور فتبقى معها ببقائها وتدوم مع دوامها وتفرح بروحها وريحانها وتشم بنفحتها وتلذ بلذاتها التي عجزت الالسن الانسانية عن التعبير عنها وقصرت أوهام المتفكرين عن ان تتصورها بكنه صفاتها كما قال تعالى :

« فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وقال : فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون »

فصل

ثم اعلم انه اذا خرج الجنين من الرحم سالماً من الآفات العارضة صحيح الحواس قوى البدن واشتدت اركانه وانبسطت قوى النفس في الجسد باشرت القوى الحساسة ذوات المحسوسات وادراكها على هيآتها

ثم أدت رسومها الى القوة المتخيلة التي في مقدم الدماغ ودفعتها المتخيلة الى المفكرة.

ثم غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس وبقيت آثار تلك الرسوم مصورة في فكرة النفس فاستقلت بذاتها واستغنت بجوهرها عن حواسها وتصرفت فيها من غير أن يشاركها شيء خارج من ذاتها ويتأملها من غير أن يحتاج الى غير نفسها

فاذا تأملتها النفس وميزتها بعقلها لا تجد شيئاً سوى صور تلك المحسوسات منتزعة من هيولاتها ومصورة في جوهر النفس فيكون جوهر النفس لتلك

المصورة فى ذاتها كالهيولى وتلك الرسوم فيها كالصورة

وهكذا أيضاً حكم صور المعقولات في النفس ، وذلك انها ليست شيئاً سوى صور الاجناس والانواع انتزعتها النفس بقوتها المتفكرة وصورتها فى ذاتها وحملتها كما حمل الهواء صوت المسموعات ، وذلك ان الهواء يحمل الاصوات والنغمات المختلفة ويؤديها الى المسامع

ويحمل أيضاً الروائح ويؤديها الى المشام بهيئاتها لا يغير منها شيئاً الا بعارض يعرض لها لان الهواء جسم لطيف روحاني حافظ للصورة .

وهكذا الضياء أيضاً يحمل الاشكال والالوان ويؤديها الى الابصار ولا يخلط بعضها ببعض

فهكذا أيضاً النفس تقبل صور المعلومات من المحسوسات والمعقولات في ذاتها وتصورها بفكرها وتحفظها بالقوة الحافظة من غير أن تخلط بعضها ببعض لان جوهر النفس أشد روحانية من جوهر الهواء وجوهر الضياء جميعاً فاستغنت بنفسها واستقلت بذاتها وفرحت بنجاتها واستبشرت بخلاصها وساحت فى الملكوت وتبوأت من الجنة حيث شاءت فنعم أجر العاملين

ثم اعلم انه كما يعرض للاجسام امراض واعلال تخرجها من الاعتدال وتميل بها عن صحة مزاجها حتى تسقمها فلا تنتفع بالحياة فى هذه الدار ولا تنتفع بنعيمها على التمام ولا يهنيها عيشها على الكمال

فهكذا يعرض للنفوس الجزئية الحيوانية امراض تخرجها عن الاعتدال والطريقة الوسطى والصحة والحق والصراط السوي والهدى وتميل بالانسان عن قصد سنن الهدى حتى لا تنتفع بالحياة في الاولى ولا تنال السعادة فى الاخرى

وان أمراضها أربعة أنواع وهي الجهالات المتراكمة والاخلاق الردية والآراء الفاسدة والاعمال السيئة

ثم تتفرع هذه كلها للنفوس الجزئية البشرية لشدة ميلها الى الشهوات الجسمانية التى هي نيران واقدة تتوقد على الافئدة بانواع الغموم المقلقة والهموم المحرقة لشدة غرورها باللذات الجرمانية التى هى استراحات عن الالام الطبيعية والمؤذيات الهيولانية

فصل

ثم اعلم ان لمرض النفوس علاجات وطباً تدواى بها كما أن لمرض الاجساد طبا يعالج به وعقاقير يداوى بها ولها كتب وضعتها الحكماء موصوف فيها علاجاتها .

فهكذا أيضا لمرض النفوس كتب وقوانين علمية جاءت بها الانبياء والحكماء مذكور فيها علاجات الامراض النفسية وهو الاقتداء بسنة الناموس واجتناب المحارم والانتهاء عن المناهي والأخذ بسنته الحسنة والسير بسيرته العادلة ولزوم طلب المعارف والتخلق بالاخلاق الجميلة ولزوم سنة الهدى على الطريقة الوسطى فى طلب معيشة الحياة الدنيا والسعى بالاعمال الصالحة فى طلب نعيم الآخرة ومداواة النفوس المريضة بتذكيرها أمر مبدئها وما قد نسيته من أمر معادها بضروب الامثال بالوعد والترغيب في جزيل الثواب والمدح والثناء لمن تاب وأناب لعلهم يذكرون .

ثم اعلم انه ذكر فى كتب الطب أصل تركيب الجسد ومزاج الاخلاق واسباب الامراض وكيفية المداوات من مفردات الادوية ومركباتها التى تختلف شرباتها بحسب اختلاف الامزجة والاهوية والعادات

فهكذا ذكر وتبين في كتب الانبياء المنزلة عليهم السلام الذين هم أطباء النفوس وبيان ماهية النفس وبدء كون العالم وسبب كون عصيان النفوس التى هي مرضها وسقطها عن مراتبها الذى هو موتها الاول وسبب صحتها وسبب تغيرها وفسادها وأنواع أمراضها

ووصف كيفية مداواة النفوس المريضة بالندم والتوبة وحسن الاخلاق والافعال الحسنة والاجتناب عما نهى الله تعالى ورسوله وبالتذكار لامر المعاد والافعال الحسنة والتوكل على الله فى جميع الامور كما قال تعالى :

« يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما » وقال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » وقال « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » « ليهلك من هلك على بينة ويحيى من حي عن بينة »

ثم اعلم أن طائفة من العقلاء قد مالوا وأعرضوا عن الحق والديانات النبوية الى الاراء الحكمية وذلك لقصور فهمهم عن صور تلك الامور التى أشارت اليها الانبياء عليهم السلام في أشاراتهم ورموزهم فعجزوا عن ادراك حقائق تلك المعانى التى القتها اليهم الملائكة من الوحي والالهام والتأييد والاشارات

وانما قبلت الانبياء الوحي من الملائكة بصفاء جوهر نفوسها ومجانسة رواحها لارواحهم لا لقياسات منطقية ولا برياضات حكمية مثل الادوية الشافية والعقاقير النافعة يدرون سبب شفائها وخاصية منفعتها.

ثم اعلم ان من سنة الناموس والاداب الحسنة تناول الطعام الذي هو غذاء الجسد بثلاثة أصابع فهذه السنة كأنها اشارة من واضع الناموس للنفوس والتنبيه لها والحث على انه واجب طلب العلوم من ثلاث طرقات لان العلم غذاء النفس كما ان الطعام غذاء الجسد وأحوال النفس مماثلة لاحوال الجسد لشدة اقتران ما بينهما فاحد الطرق التى تنال بها النفس العلوم قوة الفكر الذي تدرك به النفس الموجودات المعقولات

ومن هذه الطريق أخذت الانبياء عليهم السلام الوحي من الملائكة

والطريق الآخر السمع الذي تقبل به النفس معانى اللغات وما تدل عليه

الاصوات من الاخبار الغائبة والآخر طريق النظر الذي به تشاهد النفوس الموجودات الحاضرة فهذه الثلاث الطرقات يجب أن تتناول العلوم بها كما بينا وكما نبهنا الله عز وجل وقال :

« جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون » وذم من لا ينتفع بالنعم فقال « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالانعام بل هم أضل » وقال « صم بكم عمى » فهم صم عن الحقائق بكم عن الدقائق عمي عن المبصرات المعنوية العقلية بعين القلب وليس يريد بهذا الذم بحيث انهم لا يسمعون الاصوات ولا يبصرون الالوان ولا يعرفون ولا يفقهون أمر المعاش بل انما ذمهم بحيث انهم لا يعقلون أمر المعاد كما قال تعالى « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »

واعلم ان العلم قنية للنفس كما ان المال قنية للجسد لان المال يراد لصلاح أمر الجسد والعلم يراد لصلاح أمر النفس فمتى لم تنل النفس العلم من هذه الطرقات الثلاث وذلك تناوله بثلاثة أصابع الا من طريقة واحدة أى باصبع واحد فمثله كمثل المريض الذي ليس له حظ من ماله الا الثلث لان المريض واقف بين رجاء الحياة وخوف الممات وهذا مثل أهل التقليد الذين لا يعرفون أمر الدين الا من طريق السمع فهم موقوفون بين الشك واليقين والشك مرض النفوس واليقين صحتها فهؤلاء ليس لهم من العلم الا الثلث من أجل مرض نفوسهم

ثم اعلم ان السائلين اثنان سائل سأل حاجة من عرض الدنيا لصلاح الجسد المستحيل الفانى وسائل سأل مسئلة من العالم يكون فيه خلاص النفس من ظلم الجهل واصلاح الدين وأمر المعاد وطلب نعيم الآخرة الباقي

وهكذا المجالس اثنان : مجلس للاكل والشرب والغناء واللذات الجسمانية من نبات الارض ولحوم الحيوان لصلاح هذا الجسد المستحيل المتغير الفانى ومجلس للعلم والحكمة والسماع واللذات من نعيم الآخرة الباقية للنفوس الخالدة التى لا يبيد جوهرها ولا تفنى لذتها ولا ينقطع سرورها

ثم أن كل مايؤكل من الطعام والشراب يتبين النقصان في مال صاحبه واذا أكل وشرب قدر مابلغ الشبع والرى وزاد على ذلك صارت اللذة ألماً وإذا مكثت تلك المأكولات المشتهيات فى المعدة ساعة واستمرأت وأخذت الاعضاء كل واحد قسطاً منها تغير مابقي واستحال واحتيج الى اخراجها والا صارت اللذة ألماً ومشقة ومرضاً واعلالا

وأما مجالس العلم والحكمة والاستماع منها فليست تمل النفس منها لانها لذات روحانية من نعيم الآخرة وانموذجها ولاينقص من علم العالم المرشد وان كثر المتعلمون والسامعون لانها من كنوز رموز الآخرة

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم انه ليس في كثرة الاكل افتخار ولا يحتاج من الأكل والشرب الا الى مقدار مايسكن الجوع والعطش فاذا سكن ذلك كان سكونه بألوان من المأكولات أو بكسرة من خبز الشعير أو بشرب الماء القراح كما قال عيسى عليه السلام للحواريين ان أكل خبز الشعير وشرب الماء القراح اليوم في الدنيا لكثير لمن يريد أن يدخل الفردوس غداً

ثم ان الافتخار والثناء ينبغي أن يكون في اقتناء الفضائل الحكمية وفي الاستضاءة بنور العلم والاستبصار بالآيات والدلالات على معرفة حقائق الاشياء والحكمة والتأله والزهد والتصوف ولزوم مذاهب الربانيين والتهاون بأمر الجسد والاهتمام بأمر النفس والحرص على خلاصها من ظلمة الجهالة واستنقاذها من بحر الهيولى وعتقها من أسر الطبيعة والخروج من قعر الاجسام والصعود الى عالم الارواح والدخول في زمر الملائكة كما ذكر الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) يعنى به روح المؤمنين وقال (ان الابرار لفي نعيم) وقال « ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ماعليون » يعنى به أنفس الابرار وقال « حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم

فادخلوها خالدين » وقال « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»

واعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن الجسد اذا خرج من الرحم سالما من الآفات العارضة صحيح الحواس وقوى بدن الطفل استتبت وانبسطت قوى النفس فى الجسد وباشرت القوى الحساسة ذوات المحسوسات وأدركتها على هيئتها . ثم أدت رسومها الى القوى المتخيلة التى في مقدم الدماغ وأدتها المتخيلة الى القوة المتفكرة. ثم اذاغابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم مصورة في فكر النفس فاذا تأملتها النفس وميزتها بعقلها فليست تجد شيئاً سوى صورة تلك المحسوسات منتزعة الى هيولاها ومصورة في جوهر النفس فيكون جوهر النفس لتلك الصورة فيها كالهيولى وتلك الرسوم فيها كالصورة .

وهكذا أيضاً حال الصور المعقولة في النفس فانها ليست شيئاً سوى صور الاجناس والانواع انتزعتها النفس بقوتها المفكرة وصورتها في ذاتها وحملتها كحمل الهواء صور المحسوسات.

وذلك ان الهواء يحمل الاصوات المختلفة ويؤديها الى المسامع ويحمل الروائح ويؤديها الى المشام بهيئتها لايغير منها شيئاً الا أن يعرض عارض لها لان الهواء جسم لطيف روحاني حافظ للصورة

وهكذا الضياء يحمل الالوان ويؤديها الى الابصار باصباغها ولا يخالط بعضها ببعض . لان جوهر النفس أشد روحانية من جوهر الهواء والضياء جميعاً

ثم اعلم يا أخي أن النفوس الجزئية يفضل بعضها على بعض باحدى هذه الخصال الأربع

احداها معارفها التى استفادتها بكونها مع الجسد ، والثانية أخلاقها التى عددناها . والثالثة آراؤها التى اعتقدتها . والرابعة أعمالها التى اكتسبتها

فاذا كانت النفس كثيرة المعارف في العلوم وحسنة الاخلاق صحيحة الآراء صالحة الاعمال صورتها هذه الخصال صورة حسنة صحيحة بهية بهجة روحانية فاذا فارقت الجسد واستقلت بذاتها واستغنت بجوهرها عن التعلق بالاجسام وانجلت عنها أصداء الطبيعة أبصرت ورأت عند ذلك ذاتها وتراءت لها صورتها فعاينت جمالها ورونقها فرأت كل ماعملت من خير محضراً وكلما لاحظت ذاتها ازدادت فرحاً وسروراً ولذة وذلك هو جزاؤها ونعيمها وجنتها لا نقلة لها أبداً كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً)

واذا كانت أعمالها سيئة وسيرتها جائرة وآراؤها فاسدة وأخلاقها ردية ومعارفها باطلة أكسبتها هذه الخصال صورة قبيحة سمجة وحشة وهي لا تحس بها مادامت مربوطة بالجسد مشغولة بالمحسوسات مستروحة الى بهجة الطبيعة وزينة الهيولى فاذا جاءت سكرة الموت وحسرة الفوت بالحق التي لابد لكل شخص من ذلك ولكل أجل مسمى وهي مفارقة النفس الجسد فارقته على رغم منها جبراً وقهراً وبطلت آلات الحواس التي تنال بها اللذات الجسمانية وبقيت فارغة نظرت عند ذلك الى ذاتها فرأت ماعملت من سوء محضراً وتحيرت وهي صورة قبيحة سمجة وحشة واغتمت وحزنت واستوحشت (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) وودت أن لو كان بينها وبينه أمداً بعيداً وتبقى على تلك الحالة متألمة معذبة في ذاتها فذلك هو جزاؤها وأليم عذابها وجحيمها وعقابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم التي ترد اليكم وكما قال الله تعالى (وأن ليس للانسان الا ماسعي وأن سعيه سوف يرى) (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) فأما أصحاب اليمين ففي سدر مخضود وأما أصحاب الشمال ففي سموم وحميم . وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد وصلى الله على النبي محمد وآله الامجاد

(تمت رسالة نشوء النفس ويتلوها رسالة طاقة الانسان في المعارف)

الرسالة الرابعة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في بيان طاقة الانسان فى المعارف والى أى حد هو ومبلغه من العلوم والى أي غاية ينتهي وأي شرف يرتقي

﴿ وهي الرسالة الثامنة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه بانا قد فرغنا من بيان كيفية نشوء الانفس الجزئية في الاجساد البشرية فنريد أن نذكر في هذه الرسالة طاقة الانسان في المعارف والى أي حد ينتهي فنقول .

اعلم ان الله تعالى لما خلق جسد آدم عليه السلام أبي البشر من التراب وصوره في أحسن تقويم وأحسن صورته وأحكم بنيته ثم نفخ فيه من روحه صار ذلك الجسد الترابي بتلك الروح الشريف حياً عالماً قادراً ثم فضله بما علمه من الاسماء على بعض الملائكة لا عليهم كلهم وأمرهم بالسجود له من أجل تلك الروح الشريفة التي نفخ فيه لا من أجل الجسد الترابي وابليس اللعين لما نظر الى الجسد الترابي وعرف ورأى تلك الروح الشريفة الفاضلة العالمة قال (أنا

خير منــه خلقتنى من نار وخلقتــه من طين) اذ النار خير من التراب لان النار جسم مضىء متحرك يطلب العلو والتراب جسم مظلم ساكن يطلب السفل وكان هذا منه قياساً خطأً لان السجود لم يكن للجسد الترابى بل لتلك الروح الشريفة لان الانسان انما يأكل ويشرب وينام من أجل الجسد ويتحرك ويحس ويتكلم ويعلم بالنفس الشريفة التى من أمر الله

ثم اعلم ان العلم غذاء للنفس وحياة لها كما ان الطعام وجميع المتناولات غذاء وشراب للجسد وحياة له

ثم اعلم ان العلم بالاشياء بعضه طبيعي غريزي مثل مايدرك بالحواس ومثل مافي أوائل العقول وبعضه تعليمى مكتسب مثل الرياضات والآداب ومايأتى به الناموس .

فمن الناس من لايرغب في التعليم والتأدب بل يتكل على ماتدركه الحواس أو مافي قرائح العقول

ومنهم من يرغب في التعلم والتأدب لكن من الناس من لايقبل من العلم الا مايتصور في نفسه أو يقوم عليه برهان هندسى أو منطقي.

ومنهم طائفة لاتقبل الا مايدل عليه قول الشاعر وطائفة لاتقبل الا برواية وخبر ، ومنهم طائفة لاتقبل الا بالاحتجاج والجدل .ومنهم من يرضى بالتقليد ويقنع بذلك.

وينبغي لنا أن نبين مبلغ قوة الانسان في ادراك المعلومات والمحسوسات الى أي نهاية وهي جهده وطاقته في معرفة حقائق الأشياء والى أى حد ينتهي لان في الناس طائفة من العقلاء لما تفكروا في حدوث العالم وبحثوا عن العلة الموجبة لكونه بعد ان لم يكن لم يعرفوها ولم يتصوروا في عقولهم بدء كون العالم فدعاهم جهلهم عند ذلك الى القول بقدم العالم ومنهم من لاح له شىء غير ما لاح للآخر فاختلفت أقاويلهم في حدوث العالم والعلة الموجبة لكونه بحسب ما لاح لواحد واحد ونحن قد بينا في رسالة لنا في المبادىء ما تلك العلة فأعرفها من هناك

فصل

ثم اعلم أن من تفكر في كيفية حدوث العالم وعلة حدوثه بعد ان لم يكن ويريد أن يعرفها أو يتصور كيف كان ذلك وهو جاهل لا يعرف كيفية تركيب جسده ولا يتفكر في بنية هيكله ولا يدري كيف كان بدء كون ذاته ولا يعلم ماهية جوهر نفسه ولا كيفية ارتباطها بجسده ولا لأى علة ربطت به بعد إن لم تكن مربوطة ولا لأى علة تفارق الجسد فى آخر العمر عند انقضاء الاجل ولا تدرى أين تذهب اذا فارقت الجسد ولا من أين جاءت قبل ذلك هو يريد أن يعرف بدء كون العالم وكيفية حدوثه وما تلك العلة الموجبة لكونه مع جهله بما ذكرنا من هذه الاشياء التى هي أقرب الى فهمه وأسهل لتعليمه وأمكن لتصوره فمثله كمثل رجل لا يطيق حمل مائة رطل فهو يتكلف حمل الف رطل أو كمثل من لا يقدر على المشى وهو يريد أن يعدو أو من لا يبصر يده اذا أخرجها وهو يريد أن يرى ما وراء الحجب

ثم اعلم أنه اذا اعتبر أحوال الانسان ومجارى أموره من ذلك وحال جثته فانه متوسط بين الصغر والكبر فلا صغير جداً ولا كبير مفرطاً ، فهكذا حال بقائه فهو لا طويل العمر في الدنيا ولا قصير المدة فيها

وهكذا حال وجوده فلا هو متقدم الوجود على الأشياء ولا متأخر عنها لأن من الموجودات ما هو أقدم وجوداً منه كالاركان والافلاك ومنها ما هو متأخر الوجود عنه كالموجودات الصناعية

وهكذا حال مكانه متوسط فلا هو من الطرف الاقصى من العالم ولا هو في المركز سواء

وهكذا حال رتبته في الشرف والدنائة متوسط لأن من الموجودات ماهو أشرف منه كالملائكة المقربين ومنها ما هو أدون منه كالبهائم

وهكذا حاله في القوة والضعف متوسط ، فلا هو قوى متين ، ولا ضعيف

مهين لأن من الحيوانات ما هو أقوى منه كالأسد ، ومنها ما هو أضعف منه كالحيوانات الصغار

وهكذا حاله في الجهل والعلم متوسط ، فلا هو راسخ في العلم كالملائكة ولا هو جاهل مهمل كالبهائم

وهكذا حال معلوماته متوسط المقدار بين الطرفين . وذلك ان الانسان غير محيط بالاشياء المفرطة الكثيرة كتضاعف العدد الكثير وهو مدرك للأشياء القليلة كالجزء الذي لا يتجزأ الذي هو في جذر العشرة وما شاكله

وهكذا حال قدرته على الموزونات فانه لا يمكنه وزنها الا المتوسط منها بين الثقيل المفرط الثقل كالجبال وبين الخفيف النذر الخفة كالذرة

وهكذا حال قدرته على مساحة الابعاد والمقادير لا يقدر على مساحة الا المتوسط منها بين الواسع المفرط السعة كالبرارى والبحار وبين الضيق اللطيف كجرم الابرة وجرم الخردلة

وهكذا حال قوة حواسه على ادراك المحسوسات فلا يحس منها الا المتوسطات بين الطرفين

وذلك ان القوة الباصرة لا تقوى على ادراك الألوان في الظلمة الظلماء ولا على ادراكها فى النور الباهر كالنظر الى عين الشمس فى نصف النهار في يوم الصيف

وهكذا قوة السمع لا تطيق استماع الصاعقة لشدتها وجلالتها ولا تقوى أيضا على ادراك دبيب النملة لخفائها وخمولها

وهكذا القوة الذائقة والقوة الشامة والقوة اللامسة لا تقوى على ادراك محسوساتها الا المتوسطات منها وذلك أن الحر المفرط والبرد المفرط يفسدان المزاج ويخرجانه عن الاعتدال

وهكذا الطعم المفرط . وهكذا الرائحة المفرطة يفسدان آلات الحواس ويغيران

المزاج والاحساس وهذا يكون من اعتدال المزاج وقد بينا فى رسالة لنا كيفية ادراك الحواس لمحسوساتها واحدا واحدا فاعرفه من هناك

وهكذا قوة علم الانسان ومعرفته بالامور الماضية وأخبار الماضين مع الزمان البعيد لا يمكنه علمها الا ما قرب كونه من زمانه مثل معرفتنا بآبائنا وأجدادنا القريبين منا ومثل علمنا بأخبار بنى اسرائيل وما كان بعد الطوفان أو قبل ذلك الى آدم عليه السلام

فأما ما كان قبل آدم عليه السلام من أخبار الملائكة وقصة الجان الذين كانوا يفسدون في الارض قبل خلق آدم عليه السلام فليس للبشر علم بها ولا لهم ميل الى معرفتها الا من طريق الوحي عن الملائكة تسليما

وهكذا علم الانسان بالامور الآتية في الزمان المستقبل لا يمكنه معرفتها والاستدلال على كونها بدلائل النجوم الا ما يكون قريب الكون مثل استدلال المنجمين بالقرانات التى تكون فى كل عشرين سنة مرة وفي كل مائتين واربعين سنة مرة ، وفى كل تسعمائة وستين سنة مرة

وأما القرانات التى تكون فى كل ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعين سنة مرة وفي كل سبعة آلاف سنة فليس على معرفة الاستدلال بها على الكائنات سبيل لبعدها من الزمان المستقبل

وهكذا قوة عقل الانسان متوسطة لا يقوى على تصور الأشياء المعقولة إلا ما كان متوسطاً بين الطرفين من الجلالة والخفاء . وذلك أن من الاشياء المعقولة ما لا يمكن عقل الانسان ادراكه واحاطة العلم به لجلالته وشدة ظهوره وبيانه ووضوحه مثل جلالة البارى عز وجل فانه لا يقوى عقل الانسان على ادراكه وإحاطة العلم بماهية ذات جلالته وشدة ظهوره ووضوح بيانه لا لخفاء ذاته وشدة كتمانه

ومثل عجز الانسان عن تصور صورة العالم بكليته لشدة كبره وظهوره لا لصغره

وخفائه ومثل عجزه أيضاً عن ادراك الصور المجردة عن الهيولى لشدة صفائها ولطافتها ونفوذها في الاشياء

ومن الاشياء ما لا يمكن ادراكها وتصورها لخفائها ودقتها وصغرها مثل الجزء الذي لا يتجزأ ومثل الهيولى الاولى المجردة من الصور والكيفيات ومثل عجزه أيضاً عن معرفة كيفية تصوير الجنين في الرحم وخلقة الفرخ في جوف البيضة والحب فى الغلف والثمر في الاكمام

ثم اعلم أن هذه الاشياء التى تدرك حساً مفروغ من صنعتها فأما في وقت تكوينها فالحس لا يدركها والوهم لا يتصورها فمن يريد أن يعلم كيفية حدوث العالم وعلة كونه فينبغي أن يتفكر أولا في هذه الاشياء فيعلمها ويتصور كيفية حدوثها ، ثم بعد ذلك يتفكر في كيفية حدوث العالم وعلة كونه فمن ادعى أنه يعرف ذلك فليخبرنا عن صورة العالم كيف هي على ماهي عليه الآن لان حواسه هي تباشرها وتشاهدها ودع ماكان مضى مع الزمان الماضى لنسيانه عن ذلك أو الذي يكون في الزمان المستقبل كيف يكون أو فليخبرنا عن علة كثرة الكواكب وعلة أبعادها ومقاديرها واعظامها وحركاتها وما هي عليه الآن وما العلة في ذلك أو فليخبرنا عن المجرة وما هي فانا لم نجد الى وقتنا هذا أحداً من الحكماء قد قال فيها قولا مرضياً أو فليخبرنا عن شيء واحد وهو الأثر الذى نراه في وجه القمر ماهو والناس يشاهدونه دائماً ودع ما لا يشاهدونه من كون العالم أو فليخبرنا عن علة اختلاف أجناس المعادن وأشكال الناس وهياكل الحيوان بما هي عليه الآن وما العلة فى ذلك

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أنه ليس الى معرفة علل هذه الاشياء وصول الا أن تؤخذ من الانبياء عليهم السلام تقليداً كما أخذوها عن الملائكة تسليما

ثم اعلم أن نسبة علم البشر الى علم الملائكة ومعرفتهم كنسبة علم حيوان البحر

الى حيوان البر ومعرفتها بأمورها وكعلم حيوان البر الى علم البشر ومعرفته بأمورها وذلك أن حيوان الماء لها حس وحركة وتمييز تتصرف فيها من طلب غذائها ومصالحها ومنافعها والهرب من عدوها وعرفانها ذكرانها وأناثها وأبناء جنسها

فأما احساسها بأحوال حيوان البر ومعرفتها بأمورها فليس لها الى معرفة ذلك الا شيء يسير

وهكذا حيوان البر بأحوال البشر ومعرفتها بأمور الناس فليس لها إلا شيء يسير

وهكذا علم البشر بأحوال الملائكة ومعرفتهم بأمور الذين فى فضاء الافلاك وطبقات السماوات فليس لهم بها علم الا شيء يسير

وهكذا أحوال الملائكة فى مراتبها ومقاماتها متفاوتة متباينة الاول فالاول والاشرف فالاشرف وفوق كل ذي علم عليم والى ربك المنتهى كما أخبر عز وجل عن أحوال الملائكة في مراتبها ومقاماتها فقال تعالى « قل هو نبوء عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون » وقال في حكاية عن الملائكة « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وقال « لا يعلم جنود ربك الا هو وماهي الا ذكرى للبشر » يعني أجناس الملائكة وقبائل الجن والانس والحيوانات أجمع

ثم اعلم ان علم جميع الخلائق بالنسبة الى علم الله تعالى ليست الا كالجزء اليسير كما قال تعالى « ولو ان مافي الاوض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » يعني علم الله قال « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » ونحن قد جعلنا هذه الرسالة تنبيهاً لاخواننا على نهاية مبلغ طاقة الانسان فى العلوم والمعارف وتوبيخاً لأقوام جهال يعارضون العلماء بالكلام والجدال ويسألونهم عن علل أشياء ليس فى طاقة الانسان معرفتها وهم قد

تركوا البحث عن أشياء واجب عليهم تعلمها والبحث عنها ثم لا يسألون عنها ولا يتفكرون فيها لجهلهم

﴿ فصل ﴾

اعلم انه ليس من علم ولا عمل ولا تجارة الا وبين أهلها فيها منازعة وخلف فمن ذلك الخلف الذي بين العلماء في حدوث العلم وقدمه وهما طائفتان الفلسفية والشريعة فالانبياء عليهم السلام كلهم يرون ويعتقدون ان عالم الاجسام محدث لا شك فيه

وهكذا يرى بعض الفلاسفة الفضلاء الراسخون في العلم فأما المتفلسفة الناقصون فشكون فيما يقولون متحيرون فيما يزعمون من قدم العالم

وهكذا حكم كثير من أتباع الانبياء عليهم السلام والمقربون بما خبرت به فانهم شاكون أيضا فيما يقلدون ومتحيرون فيما يعتقدون وأعيذك أيها الاخ الفاضل بالله ان تكون منهم لان ما مثلهم في هذه الرسالة وما يختلفون فيها الا كمثل أولئك الصبيان الاغبياء البله الجهلاء

وذلك أنه كان رجل حكيم له أولاد صغار وكان فيهم جماعة أذكياء فهماء نجباء وكان فيهم جماعة أغبياء بله جهلاء فنظر أولئك الاخوة يوماً في بعض خزائن أبيهم فوجدوها مملوءة بالحلاوة مختلفة الطعام والالوان والروائح والاشكال فتأملوها وفكروا فيها فوقع في أفكارهم ان قالوا ألا ترى من عمل هذه العجائب وصور هذه الاشكال ومن صنع هذه الالوان

فمن كان منهم ذكياً فهما مدركا نجيباً علم انه عمل صانع حكيم . ومن كان منهم غبياً أبله ساهيا خفى عليه ذلك وانغلق

ثم تفكر الذين علموا أنه صنعة الحكيم أترى من أي شيء عملها وبأي شيء صورها . فمن كان منهم أذكى وأفهم علم أنه من شيء آخر عملها . ومن كان دونهم في الفهم والذكاء خفي عليه ذلك

ثم تفكر الذين علموا أنه من أي شيء عملها نرى كيف عملها ولم صورها بهذه الاشكال ، فمن كان منهم أذكى وأفهم وأنجب عقل ذلك وتصورها وتحقق واستغنى عن سؤال لم وكيف . ومن كان منهم دون ذلك في المرتبة خفي عليه وقصر فهمه عنه وتوقف يتفكر ويتروى في ذلك

ثم عند ذلك سألوا اخوة لهم بالغين عاقلين عن هذه الحلاوة فأجابوا أنها عملها الحلواني ، فقالوا من الحلواني ، فقالوا صانع حكيم فمنهم من فهم وعقل وصدقهم ومنهم من خفي عليه لغباوته فكذب وأنكر اذ لم ير الحلواني قبل ذلك ولا سمع بذكره

ثم سأل أولئك الاخوة الصغار اخوانهم الكبار البالغين العقلاء أترى من أي شيء عمل الحلواني هذه العجائب فأجابوهم أنه عملها من السكر والدهن والنشاء ، فمنهم من صدقهم اذ كان موفقاً هادئاً مؤيداً رشيداً ، ومنهم من كذب وأنكر اذ لم يروا هذه الاشياء عياناً ولم يعرفوها عقلا

ثم قالوا أرونا منها شيئاً فقالوا لهم لم يبق للصانع منها شيئاً بل استعملها كلها فمنهم من كان موفقا فصدقهم ومنهم من كذب وأنكر ولم يرشد

ثم أنهم سألوهم كيف عمل الحلواني هـذه قالوا بنى الدبكدان وأوقد النار ونصب الطنجير وصب فيه الدهن وطرح فيه السكر وحركها باسطام وعقدها بالنشاء ، فمن كان منهم أذكى فهماً تصوره بجودة ذكائه وحسن رويته وقريحة قلبه وصفاء جوهر نفسه وضياء نور عقله ، ومنهم من عميت عليه الانباء اذ لم يكن له ذكاء ولا لقلبه صفاء ولا لنور عقله ضياء

ثم ان أولئك الاخوة اختلفوا فيما بينهم وصاروا فرقاً يتجادلون فيما بينهم في هذه المسألة ويتنازعون ويتخاصمون وانشبت بينهم نيران الفتنة والبغضاء

ثم ان والدهم الشفيق رثى لهم ورحمهم لما رأى ما وقعوا فيه من المحنة والبلوى وأمر بعض اخوانهم العقلاء المستبصرين أن يكونوا قضاة وعدولا بينهم ويقضوا الحكم بارفق مايقدرون عليه.

فقال لهم اذا سألكم اخوتكم وتحاكموا اليكم فيم يختلفون فيه فارشدوهم ودلوهم على ذلك فكان من جواب أولئك الاخوة القضاة اذا سئلوا عن عمل هذه الحلاوات اجابوا اخوتهم بانها من عمل أبيهم فسكنت نفوس أولئك الاخوة الصغار الى قولهم لان معرفتهم بابيهم أقرب الى فهمهم من معرفتهم بالحلوانى

واذا سألوهم من أي شيء عمل قالوا لا من شيء تعرفونه فسكنت نفوسهم الى قولهم أكثر من سكونهم الى قول من اجاب انه عمل من السكر والشيرج والنشأ لان الصبيان قد تبين لهم بأن أشياء كثيرة ما رأوها بعد ولا عرفوها

واذا سألوهم كيف عملها وكيف صورها قالوا كما شاء وكيف شاء

وكانت هذه الجوابات أسكن لنفوسهم من قول من يطول فيه الخطب وقال كيت وكيت وفعل وصنع

فهذا مثل اختلاف العلماء فى حدوث العالم وقدمه والسائلين لهم واخوتهم المجيبين عنه فمثل العالم بما فيه من العجائب وطرق أجناس الموجودات وغرائبه وصنوف صنائع المصنوعات كمثل تلك الخزانة المملوءة من الحلاوة

ومثل السائلين عن حدوث العالم وكيفية صنعته وعن هيولاه وصنايعها كمثل سؤال أولئك الاخوة الصغار الضعفاء العقول القليلى الفهم .

ومثل ذلك الاخوة العقلاء الذين سئلوا فاجابوا بشرح طويل فاوقعوا الخلف بين الاخوة كمثل الفلاسفة في أجوبتهم عن كيفية حدوث العالم والهيولى والصورة والعنصر والطبيعة وما شاكلها من الالفاظ الغريبة المعانى البعيدة التصور

ومثل أولئك الاخوة القضاة والعدول في أجوبتهم كمثل الانبياء عليهم السلام وخلفائهم

ومثل ذلك الاب الشفوق الرحيم هو الباري تعالى باعث الأنبياء عليهم السلام ليكونوا قضاة بين خلقه في مايختلفون فيه من هذه المسائل ويجيبونهم بحسب مايليق بعقولهم ومبلغ فهمهم

فصل

ثم اعلم انا قد اخبرنا عن علة حدوث العالم وبينا كيفية صنعته وماهية هيولاه وصورته في المبادىء العقلية مثل ما ذكر القدماء الفضلاء الموحدون منهم القائلون بحدوث العالم

ولكن يحتاج الناظر فيها والسائل عن هذه المسائل أن تكون له نفس زكية وفهم دقيق وقوة روية وجودة تصور روحانية كما يفهمها فمن لم يفهم ماوصفنا فينبغى له أن يقنع بما قالت الفلاسفة ان العالم معلول وعلته البارى وربما قالت الانبياء باجمعها عليهم السلام ان العالم بأسره مخلوق وان الله عز وجل هو خالقه ومبدعه ومخترعه

فان لم يعقل ماقالت الفلاسفة وما أخبرت عنه الأنبياء عليهم السلام ولم يثق بقولهم ولم تسكن نفسه الى حكمهم ولم يطمئن الى قولهم ويتكل على ما تخيله القوة الوهمية فلا ينبغي له أيضاً أن يثق بحكمها ولا أن يسكن الى تخيلها لانه تخيل ماله حقيقة ومالا حقيقة له فلا يوثق به ولا يحكم بصحته كما لا يثق ولا يحكم بصحة القوة الباصرة اذا أرتك لون شيء من الطعام بأن تحكم على حقيقته الا بعد أن تستعين بالقوة الشامة فان عرفت حقيقته والا استعنت بالقوة الذائقة

فهكذا ينبغي لك يا أخى اذا شككت فى مسألة مشكلة أن لاتثق بنفسك دون أن تستشير فيها اخوانك الكرام الفضلاء كما تستعين في أمور الدنيا اذا لم تنهض بشيء منها باخوانك وجيرانك واصدقائك الفضلاء الكرام

فهكذا يجب أن تكون سيرتك في أمر الدين وطلب الآخرة وفقك الله أيها الأخ للسداد وهداك الى سبيل الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد

فصل

ثم اعلم ان الحكماء الاولين قد تكلمت في فنون من العلوم وضروب من

الآداب وغرائب من الحكم كثيرة لايحصى عددها الا الله الواحد القهار

فمنها من تكلم في تركيب الافلاك واحكام النجوم

وتكلموا أيضاً في الطب والطبائع والكائنات التي تحت فلك القمر وقوم من العلماء الشرعيين ينكرون أكثره

أما لقصور فهمهم عما وصف القوم أو لتركهم النظر فيها واشتغالهم بعلم الشرع واحكامه أو لعناد بينهما

وكذلك أيضاً أن أكثر من ينظر في العلوم الحكيمة من المبتدئين فيها والمتوسطين من بينهم يتهاونون بامر الناموس وأحكام الشريعة ويزرون بأهله ويأنفون من الدخول تحت أحكامه الا خوفاً وكرها من قوة الملك الذي هو أخ النبوة .

كل ذلك لقصور فهم الفريقين جميعا عن معرفة حقائق هذه الاشياء المذكورة ولقلة علمهم أيضا بماهيات الكائنات

ولما كان مذهب اخواننا الفضلاء الكرام النظر فيها جميعا والكشف عن حقائق أشيائها أعني العلوم الحكمية والنبوية جميعا

وكان هذا العلم بحراً واسعا وميدانا طويلا احتجنا أن نتكلم في مادعت الضرورة الى عمل هذه الرسائل التي هي إحدى عشر وخمسين رسالة والكلام فيها بأوجز مايمكن وايراد النكت التي هى اللب ولايفهم ذلك الا بامثال تضرب ليقرب من فهم المبتدي النظر في العلوم وتسهل تصور الحقائق للمتأملين

ثم اعلم ان العلوم الحكمية والشريعة النبوية كلاهما أمران الهيان يتفقان في الغرض المقصود منهما الذي هو الاصل ويختلفان في الفروع

وذلك ان الغرض الاقصى من الفلسفة هو ماقيل انها التشبه بالاله بحسب طاقة البشر كما بينا فى رسائلنا اجمع وعمدتها أربع خصال أولها معرفة حقائق الموجودات والثانية اعتقاد الاراء الصحيحة والثالثة التخلق بالاخلاق الجميلة والسجايا الحميدة والرابعة الاعمال الزكية والافعال الحسنة

والغرض من هذه الخصال هو تهذيب النفس والترقي من حال النقص الى التمام والخروج من حد القوة الى الفعل بالظهور لتنال بذلك البقاء والدوام والخلود في النعم مع أبناء جنسها مع الملائكة

وهكذا الغرض من النبوة والناموس هو تهذيب النفس الانسانية واصلاحها وتخليصها من جهنم عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة ونعيم أهلها في فسحة عالم الافلاك وسعة السموات والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن فهذا هو المقصود من العلوم الحكيمة والشريعة النبوية جميعا

وأما اختلافهما في الطرق المؤدية اليها فمن أجل الطبائع المختلفة والاعراض المتغايرة التي عرضت للنفوس ، وبذلك اختلفت موضوعات النواميس وسنن الديانات ومفروضات الشرائع كما اختلفت عقاقير الاطباء وعلاجاتها بحسب اختلاف الامراض العارضة للاجساد من الآلام والاوجاع وبحسب اختلاف الازمنة والامكنة

ومثال آخر في اختلاف سنن الديانات النبوية والفلسفية جميعاً وفنون مفروضات النواميس والمقصد واحد كاختلاف طرقات القاصدين نحو بيت الله الحرام وتوجههم شطره بحسب مواضع بلدانهم ومراحلهم ومرافقهم من البيت شرقا وغربا وجنوبا وشمالا كما بينا في رسالة جغرافيا .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن الموجودات كلها نوعان كلية وجزئية

فالموجودات الكلية الدائمة الوجود والبقاء لأنها ابتدأت في الترتيب من أشرفها وأتمها الى ادونها وأنقصها كما بينا فى رسالة المبادىء العقلية

والموجودات الجزويات دائمة في الكون متوجهة نحو التمام لانها تبتديء بالكون من أنقص الوجود متوجهة الى أتم الوجود ومن أدون الاحوال مترقية الى أشرفها وأتمها

ثم اعلم ان الانسان هو من الامور الجزوية وهو مجموع من جوهرين أحدهما هذا الجسد الجسماني والاخر هو النفس الروحانية فانقص حالات جسده ابتداؤه

من النطفة متوجها الى أن يصير رجلا جلداً وأنقص حالات نفسه وأدونها أن تكون ساذجة لاتعلم شيئا كما قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً » وأتم حالاتها أن تخرج كل مافي قوتها من الفضائل الى الفعل وهو أن يصير الانسان مؤمناً حقا عالما ربانيا حكيما فيلسوفا محققا كما قال تعالى « وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباءكم » وقال : « علم الانسان مالم يعلم » وقال : كونوا ربانيين

ثم اعلم أن كل عمل متقن فمن صانع حكيم في أولية العقل وكل فاعل حكيم فله في فعله غرض ما والغرض هو غاية يسبق اليها وهم النفس واذا بلغ الفاعل الى الغاية قطع الفعل

ثم اعلم ان دوران الافلاك فعل متقن ففاعله اذا حكيم فله اذاً في ادارة الافلاك غرض ما فان كان قد بلغ الى غرضه فسبيله أن يقطع الفعل ليقف الفلك عن الدوران

فأما الاجسام فان افضلها ماكان يظهر عنه افضل فعل واجل النفوس مابدا منها العلم وزال عنها الجهل

ثم اعلم ان الذ ما يأكل الانسان هو العسل وانعم ما يلبس هو الابريسم فان كان الفاعل لهما هي الدودة والزنابير فاذاً اصغر الاجسام اكرمها فعلا . وقد قام البرهان بان الجسم لافعل له البتة

ولا يخفى عليك بان الزرع والشجر فى اخراج الحب والثمر وغايتهما الحصاد وتمام الغرض منهما بعد ذلك تمام الحيوان في الادراك وغايته النتاج وحصاده وصرامه الموت

فالغرض من الحيوان اذاً بعد الموت كذلك الحب اذا لم يتم ولم يستحكم قبل حصاد الزرع لا ينتفع به بعد الحصاد كذلك الثمر اذا لم ينضج وينعقد قبل اخراجه لم ينتفع فيما يراد منه

وهكذا حكم النفس الانسانية اذا هي لم تتم بالمعارف الحقيقية صورتها ولم تستتم بالاخلاق الجميلة جوهرها ولا بالآراء الصحيحة عقلها ولا بالاعمال الزكية ذاتها فى الدنيا، لا تنتفع بعد مفارقة الجسد بحياتها ولا تستقل بذاتها ولا تلتـذ بالنعيم فى الآخرة على التمام والكمال كما أن الجنين اذا لم تستتم في الرحم خلقته ولم تستكمل هناك صورته لا ينتفع بالحياة فى الدنيا

فهكذا حكم النفس لأن موت الجسد ولادة النفس كما أن الطلق ولادة الجنين فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الغرض فى ذلك أن تصير ملكا بالفعل فاجتهد غاية الجهد وقو ظهرك بالحبل المتين واعتصم بحبل الله « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » واجتهد أن تتوجه نحو الصراط المستقيم اذ ذلك أقرب طرق من الخط المعوج الى الغرض الاقصى لتنال بذلك السعادة وبقاء الأبد وتتلذذ بلذات النعيم من الروح والريحان والحور والغلمان وفقك الله وايانا وجميع اخواننا للسداد انه رؤوف بالعباد وبحق محمد وآله الامجاد صلوات الله عليهم الى يوم التناد

تمت الرسالة فى بيان طاقة الانسان ويتلوها رسالة حكمة الموت والحياة

الرسالة الخامسة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في حكمة الموت والحياة

وهي الرسالة التاسعة والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من بيان طاقة الانسان في المعارف الى أي حد تنتهي وبينا الغرض من النواميس الشرعية النبوية والعلوم الحكمية الحقيقية وهو تهذيب النفس فحسب واستدعاء الخلق الى الله تعالى فنريد أن نذكر في هذه الرسالة ماهية حكمة الموت والحياة وما الحكمة في وجودهما

فنقول اعلم أن افتتاح جميع العلوم الحقيقية هو في معرفة الانسان نفسه . ولما كان الانسان هو جملة مجموعة من جوهرين متباينين وأعراض تحلهما أحدهما هذا الجسد الجسماني والآخر هو النفس الروحانية كما بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها أن الانسان عالم صغير وكان جوهر النفس أشرف من جوهر الجسد صار علم الانسان بجوهر النفس وأحوالها أشرف من علمه بجوهر الجسم وأحواله . وقد بينا ماهية الجسم وصفاته المخصوصة به في رسالة الهيولى ورسالة الحاس والمحسوس

ونريد أن نتكلم ها هنا في علم النفس وأحوالها فنقول :

لما كان علم الانسان ومباحثه بالمعلومات من تسعة أوجه كما بينا في رسالة الصنائع العلمية وهي هل هو ، وما هو ، وكيف هو ، وكم هو ، وأين هو ، ومتى هو ، ولم هو ، ومن هو كما بينا ذلك في رسالة قاطيغورياس

ثم نريد أن نذكر من هذه المباحث في أمر النفس الجزئية الانسانية طرفاً فنقول : ما هي ، وكيف هي ، وكم هي ، مع هذا الجسد وأين كانت قبل رباطها ، وكيف تكون حالها اذا فارقته ، ولم ربطت بالجسم ، وما الغرض في ذلك ؟

واعلم أنه قد بينا ماهيتها في رسالة العقل والمعقولات وكميتها في رسالة العالم انسان كبير ، وأين كانت النفس الجزئية قبل رباطها بالاجساد في رسالة مسقط النطفة ، وأين تكون اذا فارقت الجسد في رسالة البعث والقيامة ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بحكمة الموت كيف كونها مع الجسد ولم ربطت بالجسم ولم تفارقه .

ولما كانت الانفس الجزئية قوى منبثة من النفس الكلية في الأجسام الجزئية التي تحت فلك القمر احتجنا أن نذكر أولا النفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره ولم ربطت بالجسم الكلي الذي هو جملة العالم من أقصى فلك المحيط الى منتهى مركز الأرض بعون الله تعالى

فصل

(في غرض رباط النفس الكلية بالجسم الكلي حسب ما تبين ها هنا)

فنقول أنه لما كانت الموجودات كلها مرتبة بعضها تحت بعض متعلقة في الوجود بالعلة الاولى الذي هو الباري تعالى كتعلق العدد وترتيبه عن الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في رسالة المبادىء العقلية وكانت النفس أحد الموجودات وكانت مرتبتها دون العقل وفوق الجسم المطلق وكان الجسم فارغاً من الأشكال والصور

والنقوش والحياة قابلا لها بالطبع ، وكانت النفس حية بالذات علامة بالقوة فعالة بالطبع ولم يكن من الحكمة الالهية والعناية الربانية أن تترك النفس فارغة غير مشغولة بضرب من الحكمة وأن يكون الجسم مع قبوله للتمام عاطلا ناقص الحال ولم يكن للنفس أن تتحكم على الموجودات التى فوق رتبتها الذى هو العقل الفعال عطفت النفس بواجب الحكمة على الجسم المطلق اذ كان دونها في الرتبة فتحكمت فيه بالتحريك له والشكل والتصاوير والنقوش والاصباغ ليتم الجسم بذلك وتكمل النفس أيضاً باخراج ما في قوتها من الحكمة والصنائع الى الفعل والظهور والاظهار تشبها بحكمة الباري تعالى اذ لم يقتصر على علمه بالكائنات قبل كونها حتى أخرجها الى الوجود بعد العدم ليظهر الكل للجزء ويشاهد الجزء الكل ويخرج ما في القوة من الحكمة والصنائع الى الفعل والظهور

فمن أجل هذا ربطت النفس الكلية بالجسم الكلي المطلق الذي هو جملة العالم من أعلى فلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهي سارية في جميع أفلاكه وأركانه ومولداته ومدبرة لها ومحركة باذن الله تعالى وتقدس

فصل

(فى سريان النفس الكلية فى الجسم الكلي)

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أنه اذا فاضت قوى النفس الكلية الفلكية في الجسم الكلي الذي هو جملة العالم الجسماني ابتدأت من أعلى فلك المحيط متوجهة نحو مركز العالم وسرت في الأفلاك والكواكب والاركان الاربعة والاوقات الزمانية أولا فأولا حتى اذا بلغت الى منتهى مركز العالم اجتمعت كلها هناك ويكون ذلك سبباً لكون الأجسام الجزئية الكائنة الفاسدة التى دون فلك القمر وهى الحيوانات والنبات والمعادن لأنها إذا علت إلى أقصى مدى غاياتها الذي هو الغرض الاقصى بطول الزمان وعطفت عند ذلك راجعة أعنى تلك القوى نحو المحيط فيكون سبب بث الانفس الجزئية الانسانية

الكلية من الأجسام الفاضلة ، وهذا قول مجمل يحتاج أن نشرحه ونبين أيضاً أن الموت حكمة

واعلم ان الحيوانات كلها تكره الموت وتحب الحياة ولكن من أجل أن كثيراً من العقلاء يقولون أن الموت حق وفي ذلك حكمة ولا يدرون ما تلك الحكمة ويحتجون بقوله تعالى « هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ولا يدرون معنى قوله تعالى وما المراد في ذلك ثم انهم مع اقرارهم بذلك كلهم يحبون الحياة ويكرهون الموت ثم يذمون الحياة عند تنغيص العيش ويتمنون الموت عند الشدائد احتجنا أن نبين ما الموت وما الحياة ولم يكره الموت وتحب الحياة وما الحكمة في خلقتهما

فصل

(في اعتبار الموت والحياة)

فاعلم انه اذا فكر العاقل العالم فى تركيب هذا الجسد وما هو عليه من اتقان البنية وأحكام الصنعة كما ذكر في كتاب التشريح وكتاب منافع الاعضاء بشرح طويل من عجائب تأليف أعضائه وغرائب تركيبه وحسن هندام مفاصله وكيفية تشعب الاعصاب الممتدة على أعضائه وعظامه المؤتلفة عليها المتمكنة بمفاصلها المنتشرة الى أطراف بدنه المنشأة منها الاوتاد اللينة الرقيقة للحس وللشعور وكيفية تشعب العروق الواردة التى منشأها من عمق الكبد المنتشرة في خلل اللحم الموردة للدم الى أطراف البدن وكيفية تشعب العروق الضاربة التى منشأها من القلب المنتشرة فى عمق البدن الموصلة للنبض الى أطراف الجسد وكيفية طبقات بنية بدنه بعضها فوق بعض كما بينا في رسالة تركيب الجسد والاوعية المعدة للأغراض المختلفة لجر المنفعة أو لدفع المضرة وكيفية ابتدائه من النطفة وتتميمه في الرحم ونشوءه في أيام الصبى وتكميله فى أيام الشباب وتنضيجه فى أيام الكهولة فيرى أنه غاية الكمال والحكمة والصواب والاتقان

ثم اذا تفكر فى أيام الشيخوخة وفى ذهاب قوته وتغييرات رونقه وادباره ونقصانه ثم هدمه بالموت وتغيره بعد ذلك بالانتفاخ والنتن وفساده ، ثم كيف يبلى فى التراب ويضمحل ولا يعرف ما وجه الحكمة فيه فيتحير ويتشكك ويضل عن الصواب . فمن اجل هذا احتجنا ان نذكر فى هذه الرسالة الموت والحياة ونبين ما الحكمة فى خلقهما وكونهما

واعلم انه اذا فكر العاقل اللبيب فى خلقة الرحم وحال المشيمة وكون الجنين من النطفة وكيفية ذلك المكان وما قد أعد هناك من المرافق والمرافل لتتميم الخلقة وتكميل الصورة فيراها في غاية الحكمة واتقان الصنعة من الصواب ومما يتعجب منه أولو الالباب

ثم اذا فكر في حال الولادة وكيف ينقلب فى الرحم وتنخرق المشيمة وتنقطع تلك الاوتار وتسترخي تلك الرباطات التى كانت تمسك الجنين هناك وكيف يسيل الدم والرطوبات المعدة التى كانت هناك لمرافقه وماتلقاه الوالدة من الجهد والشدة فانه يرى شيئاً يدهش العقل ويحير أولى الابصار والالباب

ولكن لما كان من حال ماينقل اليه الجنين من فسحة هذا العالم وطيب نسيمه واشراق أنواره وما يستأنف الطفل من العمل في مستقبل العمر من لذة العيش والتمتع بنعيم الدنيا واذاقدر ونجاه الله من ذلك المكان الضيق المظلم الناقص الحال بالاضافة الى أحوال هذه الدار من التصرف والتقلب فيرى ان الحكمة والصواب كان في الخروج من هناك

فهكذا ينبغى لك ياأخى أن تعتبر لتعلم أن حال النفس مع الجسد كحال الجنين في الرحم وان حالها بعد الموت كحال الطفل بعد الولادة لان موت الجسد ولادة النفس

وكذلك ولادة الطفل ليست شيئاً سوى خروجه من الرحم

وكذلك ولادة النفس ليست هي شيئاً سوى مفارقة النفس اياه

فصل

في ماهية الحياة

فنقول اعلم أن الموت والحياة نوعان جسدانى ونفسانى والحياة الجسدانية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد والموت الجسدانى ليس شيئاً سوى تركها استعماله كما ان اليقظة ليست شيئا سوى استعمال النفس الحواس وليس النوم شيئاً سوى تركه استعمالها

فاما النفس فحياتها ذاتية لها وذلك أنها بجوهرها حية بالفعل علامة بالقوة فعالة فى الاجسام والاشكال والنقوش والصور طبعا وان موتها هو جهالتها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها وان ذلك عارض لها من شدة استغراقها في بحر الهيولى ولبعد ذهابها في هاوية الاجسام ولشدة غرورها فى الشهوات الجسمانية والناس أكثرهم لجهالاتهم بجوهر نفوسهم وغفلتهم عن حياتها الا بدية لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا الجسدانية الدنية المتقطعة «وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد» فصاروا يريدون البقاء فى الدنيا ويتمنون الخلود فيها كما قال تعالى :

« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» وقال يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (والاخرة خير وابقى) وقال «والاخرة خير لمن اتقى » وقال (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعملون) وآيات كثيرة في ذم الذين يريدون الحياة الدنيا هي حياة الجسد ويغفلون عن الحياة الآخرة التى هي حياة النفس بالحقيقة وتلك حياة أبداً دائماً فاما ماهية حياة الجسم فنقول:

اعلم أن الجسد ميت بجوهره وان حياته عرضية لمجاورة النفس اياه كما ان الهواء مظلم بجوهره وانما ضياؤه باشراق نور الشمس عليه والقمر والكواكب والدليل على ان الجسد ميت بجوهره مايرى من حاله بعد مفارقة النفس له كيف يتغير ويفسد ويتلاشى ويرجع الى التراب كما كان بديئاً « منها خلقناكم وفيها نعيدكم

﴿ فصل ﴾

في غرض رباط النفس الجزئية بالجسد الجزئي

فنقول اعلم انما ربطت الأنفس الجزئية كيما تكمل بالرياضة وتخرج مافي جوهرها من الحكمة والصنائع والفضائل من حد القوة الى حد الفعل لتتم الهيولى الجزئية

وتكمل هي أيضاً ويتشبه ذلك الجزء بالكل وهو ان تتعلم النفس الجزئية السياسة والتدبير والتهذيب بالاخلاق الجميلة والاراء الصحيحة والاعمال الزكية والمعارف الحقيقية.

وهكذا تشبه الجزء بالكل كما قيل في حد الحكمة انها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية

واذا بلغت النفس الانسانية الى اقصى مدى غاياتها وكملت بما أظهرت من الفضائل وهدم الجسد نقلت هذه الانفس بعد مفارقة الجسد الى حالة أخرى ونشؤا آخر اعلى وأشرف من هذا الجسد المؤلف من اللحم والدم والاخلاط الاربعة القابلة للكون والفساد كما قال الله تعالى « وننشئكم فيما لاتعلمون »

ثم ان الله ينشىء النشأة الاخرة ، فتكون نسبة تلك الحال التي تنقل اليها النفس بعد مفارقة الجسد بالاضافة الى هذه الحال كنسبة حال الجسد في الرحم الى الحال التي نقل اليها بعد الولادة من فسحة هذا العالم وطيب نسيمه واشراق نوره بالاضافة الى ظلمة الاحشاء والمشيمة والرحم التي هي ثلاث ظلمات

ثم اعلم ان النفس لاتحس تلك الحال التي تنقل اليها الا بعد مفارقة الجسد كما ان الجنين لايحس باحوال هذه الدنيا الا بعد الولادة

فمن أجل هذا قال النبي صلى الله عليه وآله الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وانما نومهم غفلتهم عما بعد الموت

فاذا جاءت سكرة الموت بالحق التي هي مفارقة النفس الجسد وعاينت

الحقيقة التي كانوا بها يوعدون كما قال الله تعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »

وقال لنبيه عليه السلام « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » يعني الموت بعد مفارقة الجسد وقال « كل نفس ذائقة الموت ثم الينا يرجعون »

فاذا الموت حكمة اذ لارجوع لها الى ربها الرحمن الرحيم الا بعد الموت ولا وصول للنفس الى ماوعد الله ورسوله الا بعد مفارقتها الجسد « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » فاذا الموت حكمة ومنة من الله تعالى على عباده بل بالموت سبب بقاء الحياة الجسدانية وسبب فناء الجسد

﴿ فصل ﴾

في حكمة الموت

اعلم بأن لكل كون ونشوء أول وابتداء وله غاية ونهاية اليها يرتقي ولغايتها ثمرة تجتنى فسقط النطفة كون قد ابتدىء ، وغايته الولادة التي اليها المنتهى

والولادة أيضاً كون قد ابتديء ، والموت غايته التي اليها المنتهى ، وكما ان ثمرة مسقط النطفة لاتكون الا بعد الولادة لان الطفل لايتمتع الا بعد الولادة فهكذا النفس لا تتمتع الا بعد مفارقة الجسد لان موت الجسد ولادة النفس وهي الروح

وذلك أن موت الجسد ليس شيئاً سوى مفارقة النفس له كما ان ولادة الجنين ليست شيئاً سوى مفارقة الرحم فاذاً الموت حكمة كما ان الولادة حكمة

وكما ان الجنين اذا تمت في الرحم صورته وكملت هناك خلقته لم ينتفع في الرحم بل ينتفع بعد الولادة في الحياة الدنيا

كذلك النفس اذا كملت صورتها وتمت فضائلها بكونها مع الجسد انتفعت بعد مفارقتها الجسد في الحياة الآخرة

فاذاً الموت حكمة اذ البقاء الابدي لايتدبر الا بعدحصول الموت ، فالموت سبب لحياة الابد والحياة الدنيا سبب للموت فى الحقيقة اذ الانسان ما لم يدخل في هذا العالم لايمكن له أن يموت فاذا وجد الانسان فتكون حياته سببا لموته وموته سبباً لحياته الباقية أبد الابدين

واعلم ياأخي ان مثل النفس مع الجسد كمثل الصبى فى المكتب ليتعلم ويتأدب ويرتاض فاذا تعلم وأحكم ذلك فليس حال أخرى الاالخروج من المكتب والانتفاع بما حصل في المكتب لانه قد تم مايراد منه وبقي الاكرام والمجازات.

فهكذا حكم النفس مع الجسد اذا أحكمت مايراد منها بكونها معه فليس من طريقة الا المفارقة

وكما ان الصبى اذا أحكم مايراد منه في المكتب استغنى عن حمل اللوح والدواة والمداد والقلم وسواده لانه كان يكتسب به ويقرأ منه ويمحو ليحصل العلم فى نفسه محفوظا من القرآن والاخبار والاشعار والنحو واللغة وماشاكلها مما يحفظ الصبيان فى المكتب فهكذا حكم النفس مع الجسد اذا هي أحكمت أمر المحسوسات بطريق الحواس وأمر المعقولات بطريق الفكر والروية وعرفت حقائق أمور هذا العالم من الكون والفساد وارتقت بعد ذلك بطريق الرياضيات التى هي البراهين الى معرفة الامور الغائبة عن الحواس وارتاضت فيها وعرفتها حق معرفتها واستبان لها أمر عالمها ومبدئها ومعادها وعاينت بعين البصيرة أحوال أبناء جنسها من السابقين الذين مضوا على سنن الهدى وارتقوا الى ملكوت السماء وفسحة الافلاك وسعتها ، اشتاقت هي عند ذلك الصعود الى هناك واللحاق بابناء جنسها ولايمكنها ذلك بهذا الجسد الثقيل الا بتركها ومفارقتها اياه وهو الموت فلو لم يكن الموت لكانت ممنوعة من الوصول الى هناك فاذاً الموت حكمة ونعمة ورحمة وفضل ورضوان من الله عز وجل للنفوس الخيرة المستبصرة.

﴿ فصل ﴾
حكمة أخرى من حكمة الموت

واعلم ياأخي بان الجسد كالسفينة والنفس كالملاح والاعمال الصالحة كالبضاعة والامتعة للتاجر والدنيا كالبحر وايام الحياة كالمعبر والموت كالساحل المتوجه اليه والدار الآخرة كمدينة التاجر والجنة هي الربح والله تعالى هو الملك المجازى كما ان التاجر اذا عبر البحر وسلمت امتعته وبضاعته ولما لم يخرج من السفينة لايمكنه الدخول الى مدينة للتجارة ويفوته ربح بضاعته

فهكذا حكم النفس مع الجسد أيضاً ،وذلك انها اذا قطعت ايام الحياة الدنيا بالاعمال الصالحة وسارت سيرة عادلة وتخلقت بالاخلاق الجميلة واعتقدت آراء صحيحة ونظرت في أمور المحسوسات فعرفتها معرفة صحيحة وبحثت عن حقائق المعقولات وأحكمتها وبلغت آخر العمر ، وهدم الجسد فليس التدبير والحيلة الا الفراق الذى هو موت الجسد فلو لم يكن الموت لما أمكنها الصعود الى ملكوت السماء ولا الدخول في زمرة الملائكة ولا الوصول الى الجنة وكان يفوتها لقاء الله تعالى ونعيم الدار الآخرة كما يفوت الجنين مشاهدة هذا العالم على حقيقته لو لبث في المشيمة ولم يظهر منها فاذاً الموت حكمة ورحمة ونعمة إذ لاوصول لنا الى ربنا الا بعد خروجنا من هذا الهيكل ومفارقة أجسادنا « كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون »

﴿ فصل ﴾
في حكمة الموت

اعلم ان الدنيا كالميدان والاجساد خيل عتاق والنفوس السابقة الى الخيرات فرسان والله تعالى الملك الجواد المجازي وكما ان الفارس السابق اذا بلغ باب الملك ان لم ينزل عن فرسه لايمكنه الدخول الى حضرة الملك فتفوته جائزته والخلع والكرامة فهكذا حكم نفوس السابقين في الخيرات والاعمال الصالحة اذا قطعوا أيام

الحياة الدنيا سبقاً الى الخيرات كما مدحهم الله تعالى : انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين

فاذا فنى العمر وهدم الجسد وشاخ ونبت النفس وكملت ان لم تفارقه لا يمكنه الصعود الى ملكوت السماء لان هذا الجسد الثقيل المتغير الفاسد لا يليق بذلك المكان العالى الشريف بل النفس هي التى يمكنها الصعود الى هناك لتجازى بما عملت من خير فاذاً الموت حكمة ورحمة

وأيضاً ان الدنيا مزرعة وأرحام النساء كالحرث كما قال الله تعالى « نساؤكم حرث لكم » والنطفة كالبذر والولادة كالنبت وأيام الشباب كالنشوء وأيام الكهولة كالنضج وأيام الشيخوخة كاليبس والجفاف

فبعد هذه الحالات لا بد من الحصاد والصرام وهو الموت والصراط والاخرة كالبيدر فكما ان البيدر يجمع الغلاة من كل جنس ويدرس وينقى ويرمى القشور والورق والتين والحب والتمر ويجعل علفا للدواب وحطبا للنيران.

فهكذا تجتمع في الآخرة أمم الاولين والآخرين من كل دين وتنكشف الاسرار ويميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

وهذا كله بعد الموت هو حكمة ورحمة ونعمة من الله تعالى لأوليائه فلأجل هذا يتمنى أولياؤه الموت كما عاتب من ظن انه منهم بغير حق قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فدل بهذه الآيات علامة أولياء الله تعالى انهم يتمنون الموت اذا علموا انهم الى ربهم راجعون بعد الموت فاذاً الموت حكمة ونعمة

﴿ فصل ﴾

في حكمة الموت أيضاً

واعلم يا أخي ان النفوس كالصناع والاجساد كالدكاكين وأعضاء الجسد كالأدوات كما بينا في رسالة تركيب الجسد

ثم اعلم ان الصناع يجتهدون في الصنائع ويحملون مشقة العمل لكسب المال وطلب الغناء فاذا استغنى واحد منهم ترك الدكان والادوات واستراح من العمل

فهكذا حكم النفوس اذا هي احكمت مايراد منها بكونها مع الجسد من الزاد للآخرة استغنت عن الجسد فاستقلت بذاتها فلو لم يؤخذ منها الجسد لكان وبالا عليها ومانعاً لها من الصعود الى ملكوت السماء والدخول في زمرة الملائكة والسيحان في عالم الافلاك والسريان في فسحة فضاء السموات والتنسم من الروح والريحان فاذاً الموت حكمة ونعمة من الله تعالى لعباده الصالحين

وقال يوسف الصديق « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين أما ترى انه عليه السلام تمنى الموت بقوله « توفني مسلما » لما علم ان اللحاق بالصالحين لايكون الا بعد الموت فاذاً الموت حكمة ونعمة

وقال خليل الرحمن عليه السلام « الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين رب هب لى حكما وألحقني بالصالحين واجعل لى لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم» فاذاً الموت حكمة اذا كانت وراثة الجنة لا تتيسر الا بعد الموت

ثم اعلم ان الكرامة للنفس من الله والارادة للنفس خاصة لا للجسد لان الجسد قد بلى في التراب وانما ألحقت بالصالحين نفسه

﴿ فصل ﴾

(في كيفية خروج النفس من القوة الى الفعل)

فنقول : اعلم أنار الله برهانك بأن نفوس الصبيان عاقلة بالقوة ونفوس البالغين عاقلة بالفعل ونفوس العقلاء علامة بالقوة ونفوس العلماء علامة بالفعل والعلماء نفوسهم فلسفية بالقوة والفلاسفة نفوسهم حكماء بالفعل والحكماء الأخيار

ملائكة بالقوة فاذا فارقت نفوسها أجسادها كانت ملائكة بالفعل فاذا الموت حكمة ورحمة

واعلم يا أخي أن المعادن تستحيل الى أجسام النبات وأجسام النبات تستحيل الى أجسام الحيوان وأشرف الحيوان الانسان ، فصورة النبات صراط منكوس الى العمق وقد جازتها النفس الحيوانية ونجت منها ، وصورة الحيوان صراط ممدود على السطح وقد جازتها النفس الانسانية ونجت منها ، وصورة الانسان صراط مستقيم كالخط قائماً منتصباً بين الجنة والنار وهي أخريات جهنم ، فأي نفس جازتها نجت من جهنم ودخلت الجنة التي هي صورة الملائكة والا ردت الى أسفل السافلين كما ذكر الله تعالى «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون »

فانظر يا أخي في هذا الباب وتفكر فيه فانك على خطر عظيم . وقد بلغت قريباً من باب الجنة فان بادرت قبل مفارقة الجسد للنفس واستعديت وتزودت بالأعمال الصالحة والآراء الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم الحقيقية رجوت لك أن تنجو من نيران الهاوية التي هي عالم الكون والفساد وتصل الى الجنة بالصعود الى عالم الافلاك وفسحة السموات عالم الدوام والبقاء والخلود في النعيم والسرور مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله

فصل

(في غرض السياسات)

اعلم ان الجسد مسوس والنفس سائس فأي نفس ارتاضت في سياسة جسدها كما يجب أمكنها سياسة الاهل والخدام والغلمان . ومن ساس أهله بسيرة عادلة أمكنه أن يسوس قبيلة أمكنه أن يسوس أهل المدينة كلهم ومن ساس أهل المدينة كما يجب أمكنه أن يسوس الناموس الالهي ومن ساس الناموس الالهي

أمكنه الصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات عالم الدوام ليجازى هناك بما عمل من خير ، فاذا الموت حكمة

فان لم يستوى لك يا أخي سياسة الناموس الالهى فكن حاذقاً فيه فلعلك تنجو من جهنم بشفاعة أهلها وتصعد الى ملكوت السماء بمعاونتهم وتدخل الجنة برحمة الله وفضله وسعة رحمته وفقك الله يا أخي للصواب وهداك الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه رحيم جواد

فصل

(في عيوب الجسد ومثالبه)

فاعلم يا أخي انا قد بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الانسان عالم صغير ورسالة الحاس والمحسوس ما تستفيد النفس بكونها معه من الحكمة والعلوم والفوائد وما ترتاض من اتخاذ الصنائع والسياسات والتدبير والربوبية والتشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية اذا أخذت النفس طريق ذات اليمين لأن هذا الجسد لهذه النفس صراط ممدود بين الدنيا والآخرة . فاذا عبرت النفس على هذا الصراط وسلمت من آفاته سهل عليها سائر ما بعد ذلك

فمن عيوب هذا الجسد كون النفس كمحبوس في كنيف لأن الكنيف بالحقيقة هو هذا الجسد فهو ينبوع لكل قاذورات من وسخ وبول وغائط ومخاط وبصاق ودم وصديد ولعاب وعرق نتن وبخر وصنان وان كل ما يكون في الكنيف من القاذورات فمنه يخرج وفيه يتكون فأوله نطفة قذرة وآخره جيفة منتنة ومابين الحالتين مملوء عذرة والنفس على دوام الاوقات في تنظيفه وغسله وتنقيته ومداواته وستر عوراته وحفظه من آفات الحر والبرد والجوع والعطش والصدمة والضربة والآفات العارضة التي لا يحصى عددها

وبالجملة فليس في العالم نتن ولا نجاسة ولا قاذورة ولا جيفة الا منه ، ومن وجه آخر فنقول مثل النفس مع الجسد كعابد صنم يعبده بالليل والنهار وذلك

أن النفس اذا تركت تعلم العلم وعبادة الله عز وجل والنظر في أمور معادها بعد فراق الجسد والاستعداد له والتزود للرحلة من الدنيا الى الآخرة واشتغلت بما يكون فيه صلاح الجسد من الاكل والشرب واللباس والمسكن والمركب وما شاكلها من أنواع زينة الدنيا فتكون كأنها هوذى يعبد صنما كما ذكر الله تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »

ومن وجه آخر فنقول الجسد كأنه كافر محجوب عن الله تعالى لا يعرفه ولا يدري من خلقه ورزقه

ومن وجه آخر كأنه صاحب بدعة يدعي الى هواه ويريد أن تكون الامور بمراده

ومن وجه آخر كأنه جاهل عجول لا ينظر في العواقب ، وأيضاً كأنه عدو للنفس يظهر الصداقة ويكتم العداوة

وأيضاً كأنه شيطان من كثرة الوساوس ، وأيضاً كأنه ابليس يدعو الى العداوة ، وأيضاً كأنه ميت على جنازة حملتها النفس على كتفها لا تستريح منه، ياويلتها حتى اذا دفنته فى التراب ، وأيضاً كأنه غيم بين أبصار الناظرين ونور الشمس لان ظلمات أخلاط الجسد تمنع عن النظر الى نور العقل وهو يعطر الآمال وينسى الاجال

وايضاً مثل هذه النفس الجزئية مع شرفها وشرف جوهرها وما هي عليه من غربتها في هذا العالم الذى تحت الكون والفساد وما ابتليت به من آفات هذا الجسد وفساد هيولاه كمثل رجل حكيم خبير في غربة قد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة جاهلة سيئة الخلق رديئة الطبع فهي دائم الاوقات تطالبه المأكولات الطيبة والمشروبات اللذيذة واللباس الفاخر والمسكن المزخرف والشهوات الرديئة وان ذلك الحكيم من شدة محنته بمحبتها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته الى اصلاح أمرها وأكثر عنايته بتدبير شأنها حتى نسى أمر نفسه

وصلاح شأنه وبلدته التى خرج منها وأقربائه الذين نشأ معهم ونعمته التى كان فيها بدئاً فكأنه قد قرن بشيطان مريد وعدو مبين . فهذا الشيطان هو الذى قال الله تعالى « يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » فهو إذاً ابليس الذى أخرج آدم من الجنة

ثم اعلم ان جوهر النفس جوهر سماوي وعالمها عالم روحاني وهي حية بذاتها غير محتاجة الى الاكل والشرب واللباس والمسكن وما شاكل ذلك مما يحتاج اليه الجسد فى قوام وجوده ومادة بقائه ، وان كل ما يحتاج اليه الانسان من أعراض هذه الدنيا فانما هو من أجل هذا الجسد المستحيل الفاسد ولاصلاح شأنه وقوام وجوده وجر المنفعة اليه ودفع المضرة عنه وهو لا يثبت على حالة واحدة طرفة عين

ثم اعلم ان النفس مادامت مع هذا الجسد الى الوقت المعلوم فانها متعوبة بكثرة غمومها لاصلاح أمر هذا الجسد شقية بشدة عنايتها فيما تتكلف من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة لاكتساب المال والمتاع والاثاث وما يحتاج اليه الانسان فى طول حياته الدنيا

ثم اعلم أن النفس ما دامت مربوطة بالجسد لا راحة لها دون مفارقتها هذا الجسد كما أن ذلك الرجل الحكيم المبتلى بعشق تلك المرأة الفاجرة الرعناء لا راحة له مما قد ابتلى به الا بمفارقتها والتسلى عن حبها وعشقها فاذا الموت حكمة ورحمة ونعمة لنفوس الاخيار بعد بوار الاجساد فما الموت الا نعمة وسرور وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفقك الله وايانا وجميع اخواننا للسداد انه رحيم رؤوف بالعباد

تمت الرسالة الخامسة عشرة في ماهية الحياة والموت

ويتلوها رسالة اللذات

الرسالة السادسة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في خاصية اللذات وفى حكمة الحياة والموت وماهيتهما

﴿ وهي الرسالة الثلاثون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد فرغنا من بيان حكمة الموت والحياة وبيان ماهيتهما وقلنا ماالحكمة من وجودهما فى عالم الكون والفساد وماالعلة في كراهية نفوس الحيوانات الموت ومحبتها الحياة ونريد ان نذكر في هذه الرسالة ماهية اللذة والألم والغم والفرح والسرور والحزن والراحة والتعب ونبين انها كلها اخوات متضادات أو متشاكلات

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن اللذة والألم نوعان : جسمانية وروحانية وهكذا حكم اخواتها

فأما اللذات الجسمانية فهى الراحة التى تحس بها النفوس الحيوانية عند زوال الآلام . وأما الآلام التى تحس بها النفوس الحيوانية عند خروج المزج عن الاعتدال من الامر الطبيعي الى أحد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من

الاسباب فهي كثيرة لايحصى عددها الا الله تعالى ولكن نذكر منها طرفاً لتعلم ماهية الآلام واللذة وكيفية حدوثهما

فمن ذلك ماهية لذة الاكل والشرب . أقول : ان حرارة معدة الحيوانات ذوات المعدة والقوانص فيها بمنزلة نار السراج المشتعلة بالفتيلة ، فاذا فنى الغذاء اشتعلت في رطوبات جرم المعدة فأفنتها واحترقت تلك العصبات المنسوجة هناك كما يشتعل نار السراج فى الفتيلة اذا فنى الدهن فعند ذلك تحس تلك النفوس بالألم فتنهض أجسادها في طلب الغذاء لتخلف على المعدة بدلا مما قدفنى وعوضاً عنه فاذا أوردت تلك المواد الى المعدة واشتعلت فيها تلك الحرارة للنضج فيسكن ذلك اللهيب من جرم المعدة ويجد الحيوان عند ذلك راحة ولذة وبحسب شدة لهيب تلك الحرارة وسكونها تكون لذة الاكل

وهكذا أيضاً حكم العطش من لهب حرارة الكبد فلايزال الحيوان يجد لذة الاكل والشرب الى ان تستوفي الطبيعة حاجتها فعند ذلك تزول تلك اللذة وتسكن حتى انه ان زيد على مقدار الحاجة صارت اللذة ألماً فيمسك عند ذلك الحيوان عن الاكل والشرب الى أن يستمرىء ما أكل ويهضم وتمر الى أطراف الجسد تلك المواد لتخلف ماتحلل من هناك لان الحيوان في دائم الاوقات في الذوبان والسيلان لايقف لحظة ولاطرفةعين . يعلم حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا أهل البصائر من الاطباء والطبيعيين

وأما اللذة التى يجدها الحيوان من الجماع فان تلك المادة التى تسمى المنى وهي زبدة الدم اذا كثرت في بدن الحيوان واجتمت فى المواضع المعدة لها وجدت الطبيعة عند ذلك ثقلا وتمدداً كما تجد عند اجتماع البول فى المثانة والغائط في المعى فتطلقها الارادة عند ذلك للبروز ، فهكذا حكم المنى وقد جعلت الحكمة الالهية والعناية الربانية شهوة مركوزة فى جبلة الذكران للاجتماع مع الاناث من أبناء جنسها وكذلك في طباع الاناث الاجتماع مع الذكران ليكون منهما التناسل والنتاج ليبقى النسل فى بقاء الاشخاص والصورة فى الهيولى اذا كانت الاشخاص

لا بقاء لها دائماً فى عالم الكون والفساد لعلل يطول شرحها . وقد ذكرنا طرفاً منها فى رسالة البعث والقيامة وطرفاً فى رسالة العلل والمعلولات . فاذا خرجت تلك النطفة من بدن الحيوان الفحل خف عن الطبيعة ما كان يجده من الثقل ووجد الحيوان عند ذلك راحة ولذة

وأما اللذة والراحة التى يجدها الحيوان عند السكون والهدوء والنوم فهي من أجل ان الحركة التى تسخن مزاج أبدانها وتجفف رطوبات العضلات والاعصاب المحركة للاعضاء فتضعف عند ذلك عليها الحركة فاذا سكنت وتمددت وهدأت بردت أبدانها وتولدت من السكون برودة ومن البرودة رطوبة فلانت الاعصاب والاوتار المحركة لتلك الاعصاب والعضلات وسهلت الحركة وهكذا أيضاً حكمها عند وضع أحمالها وأثقالها تجد راحة لان الحركة المفرطة والثقل يسخنان المزاج ويخرجانه من الاعتدال

وأما اللذة والراحة التى يجدها الحيوان عند الحر والبرد فهو من أجل ان الحر اذا دام عليها سخن مزاج أبدانها وأخرجها من الاعتدال فيؤلمها ذلك فعند ذلك يطلب مايضادها من برد الظلال والافياء والمواضع الباردة فاذا دامت هناك زماناً طويلا أفرطت البرودة فى أبدانها وخرجت من الاعتدال الى الجانب الآخر فعند ذلك تطلب الدفء والشمس والنيران ومايضاد البرودة

فقد تبين بما ذكرنا ان الحيوانات فى دائم الاوقات تتفرج وتستريح تارة من ألم الحرارة الى ضده وتارة من ضده اليه ، وتبين أيضا ان اللذات الجسمانية انما هي من خروج الألم فهو خروج من الاعتدال الى أحد الطرفين اما الى زيادة أو الى نقصان أو من حر الى برد أو من برد الى حر أو من حركة الى سكون أو من سكون الى حركة أو من جوع وعطش الى شبع وري أو من شبع وري الى جوع وعطش . وعلى هذا المثال والقياس يوجد حكم سائر اللذات والآلام الجسمانية .

وذلك ان الذي تجده النفس من اللذة بالنظر الى محاسن الموجودات أو

بالاستماع بالنغمات والشم لروائح الطيبات واللمس للملموسات فهي كلها تكون بحسب مشاكلات المزاج الموافقات، وألمها بحسب المخالفات المتضادات وذلك ان كل محسوس يخرج مزاج الحاس من الاعتدال فان الحاسة تتألم منه وتكرهه وكل محسوس يرد الحاس الى الاعتدال والمزاج الطبيعي فان الحاسة تلتذ به وتحبه وتحن اليه

فاذا تأملت يا أخي ماذكرنا علمت وتبين لك بأن هذه الآلام واللذات الجسمانية انما جعلت لنفوس الحيوانات عند خروج مزاج أجسادها من الاعتدال ورجوعها الى الاعتدال لكيما تدعوها تلك الآلام الى حفظ أجسادها وصيانة هياكلها من الآفات العارضة لها وتحثها تلك اللذات على طلب جر المنفعة اليها أو دفع المضرة عنها اذا كانت الاجساد أجساداً أمواتاً لاتقدر على دفع مضرة عنها ولاجر منفعة اليها ولاتحترز من الاشياء المهلكة لها أو المخرجة لمزاجها من الاعتدال

والدليل على صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا ان الاجساد لاتقدر على دفع مضرة ولاجر منفعة مانرى من حالها عند مفارقة نفوسها مستسلمة الى المهلكات مما لاخفاء به من حال جثة الموتى

فأما اللذات والفرح والسرور التى تجده عند وجدانها ومنافعها ومحبوباتها وماتجده من الشفقة والتحنن على صغار نتاجها ومايعرض من الغم والهم عند فقدانها أو ضرر ينالها فكل ذلك حث للنفوس على صيانة الاجساد الى وقت معلوم

وأما الشهوات المركوزات في جبلة الحيوانات فقد ذكرنا طرفاً من عللها في رسالة الاخلاق ولكن نذكر هاهنا مالابد من ذكره وذلك ان كل ما فى كل طبيعة جسد وجبلة كل مزاج من الشهوات المركوزة هي مايوافق طباعها ويصلح مزاجها وذلك ان الحيوانات الآكلة اللحمان لاتشتهي الحشائش الاعند الضرورة وفقدان اللحم وكالطيور والحيوان الآكل للعشب والحب لايشتهي اللحم ولايلتذ به وهكذا الانسان لايشتهى ولايأكل الا مايوافق طبعه ومزاجه

أو ماقد اعتاد أكله على ممر الايام والاوقات وأماشهوة العليل لمايضره فلاسباب أخر يطول شرحها

فقد تبين ان الجوع والعطش بحسب الحاجة الى الطعام والشراب وان اللذة بحسب الكفاية والشهوة بحسب الموافقة للمزاج والطبع ونريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة باللذة والآلام كون العلة في كراهية نفوس الحيوانات الموت ومحبتها للحياة فنقول :

اعلم ان لمحبة الحيوانات الحياة وكراهيتها الموت علتين : احداهما مايلحق نفوسها من الاوجاع والآلام . والثانية مافي طباع الموجودات من المحبة والبقاء وكراهيتها للفناء هو من أجل ان الباري تعالى لما كان هو علة الموجودات وسبب الكائنات كما بينا في رسالة المبادىء وهو أبدي الوجود دائم البقاء صارت من أجل ذلك في جبلة الخليقة محبة البقاء وكراهية الفناء الذي هو ضد البقاء

ثم اعلم ان الموجودات نوعان كليات وجزئيات فالكليات تبتدىء من أتمها ثم الأدون فالأدون الى آخرها وهي تسعة مراتب أولها وأولاها الباريء تعالى الذي هو علتها كلها ثم العقل ثم النفس ثم الطبيعة ثم الهيولى الاولى ثم الجسم المطلق ثم الفلك ثم الاركان الاربعة ثم المولدات الثلاثة وهي آخرها كما بينا في رسالة المبادىء

والامور الجزئية تبتدىء من أنقص الحالات ثم ترتقي أولا فأولا الى أن تنتهي إلى أفضل الحالات كما بينا في رسالة مسقط النطفة ورسالة نشوء الانفس الجزئية ورسالة البعث والقيامة ورسالة الكون والفساد فمن أراد علم ذلك فليرجع الى هناك ليعلم صحة ماقلناه وحقيقة مابيناه

فصل

(في ماالعلة في وصول الآلام والاوجاع الى النفوس الحيوانية دون سائر النفوس التي في العالم)

فنقول : اعلم انا قد بينا ماهية اللذة والآلام وكيفية احساس النفوس بهما

ونريد أن نذكر في هذا الفصل ماالعلة والحكمة في رباط النفوس الجزئية بالاجساد الحيوانية ووصول الآلام والاوجاع الى النفوس الحيوانية دون سائر النفوس النباتية والموجودات التي في العالم

فاعلم انه لما كانت النفوس الحيوانية من الامور الجزئية ولم يكن للنفوس الجزئية أن تبلغ الى أتم الحالات وأكمل المراتب إلا بأن تقترن بالاجسام الجزئية التي هي أجساد الحيوان وكانت الاجساد تعرض لها الآفات المفسدة قبل تمامها وكمال نفوسها ولم يكن للاجساد مقدرة على دفع تلك الاشياء المفسدة لها لان جواهر الاجسام عاجزة جاهلة ميتة ناقصة الحال منفعلة حسب فبواجب الحكمة الالهية جعل لنفوسها أن تلحقها الآلام والاوجاع من الاشياء المفسدة لاجسادها كيما تدعوها تلك الآلام وتحثها تلك الاوجاع على دفع تلك الاشياء المفسدة لاجسادها وتحفظها من الآفات المهلكة وتصونها عن عوارض التلف الى أن تتم تلك الاجساد وتكمل أيضاً تلك النفوس ثم يجيئها الموت الطبيعي ان شاءت النفوس أو أبت كما يجيء الطلق للولادة ان شاء الجنين أو أبى لان موت الجسد ولادة النفس كما بينا في رسالة حكمة الموت ولو لم تعرض للنفوس الآلام من الاشياء المفسدة لاجسادها لتهاونت بها وتركتها متعرضة للآفات وكانت تفسد أكثرها قبل تمامها وكمال نفوسها .

وذلك أن النفس الانسانية لم يكن نشؤها ولاتتميمها ولا تكميلها الا بتوسط هذا الجسد المملوء من آثار الحكمة كما بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الحاس والمحسوس وقد بينا ذلك في رسالة الانسان عالم صغير فبواجب الحكمة الالهية ربطت بالاجساد البشرية وذلك أن النفس الانسانية لاتعرف حقائق المحسوسات ولا تتصور معاني المعقولات ولا تقدر على عمل الصنائع ولا تتخلق بالاخلاق والاعمال الحميدة الا بتوسط هذا الجسد طول حياته الى آخر العمر كما قال تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً » وقال : « فلما بلغ أشده واستوى اتيناه حكما وعلماً » فلو لم يعرض للنفس الالم من الاشياء المفسدة

للجسد لكان الانسان مثلا اذا نام فاستغرق في نومه ثم مد يده ورجله فدخلتا في نار الى جنبه فاحترقتا ولم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فاذا هو بلا يدين ولا رجلين وكان يبقى طول عمره بلا آلة للمشى ولا اداة لاتخاذ الصنائع وعلى هذا القياس حكم نفوس سائر الحيوانات لو لم يكن يعرض لنفوسها الالم من الاشياء المفسدة لاجسادها لتهاونت بها وتركتها متعرضة للآفات والهلاك كما انه لو لم يكن يجعل لها شفقة على صغار اولادها وتحننا عليها لتركتها وتهاونت بها ولم تحتمل المشقة فى تربيتها وكانت تهلك كلها قبل التمام وكان مصير ذلك سببا لانقطاع النسل ودثور الصورة من المادة وقيل لبعض الحكماء أى أولادك أحب اليك فقال صغيرهم حتى يكبر وعليلهم حتى يبرىء وغائبهم حتى يرجع . فاذاً بواجب الحكمة جعلت تحس مايلحقها من الآلام لحفظ أجسادها من التلف وتحثها على صيانتها من عوارض الآفات والآلام

﴿ فصل ﴾

في ماهية الالم واللذة وكيفيتها

فنقول ان اللذات والالام التى تحفظ اجسادها من التلف وتحثها على صيانتها نوعان جسماني وروحانى فاللذات الجسمانية هي التى تجدها النفس عند الخروج من الالم، والآلام التى تحسها النفس عند خروج مزاج الاجساد عن الاعتدال الطبيعي الى حد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من الاسباب هي كثيرة لايحصى عددها مثال ذلك الجوع احد الالام تحس به النفس عند خلو المعدة من الطعام وذلك ان الحرارة الغريزية التى تنضج الطعام فى المعدة اذا لم تجد هناك طعاما تكون مشتغلة فاذا اشتغلت فى جرم المعدة فنيت رطوباتها المعدة هناك لمصالحها فاذا فنيت تلك الرطوبات انفسد جرم المعدة فاذا أحست النفس بالالام انتهض الجسد فى طلب القوت ليزيل عنه الفساد وعن ذاتها الالم فاذا وصل ذلك الى المعدة رجعت تلك النار عن جرم الجسد واشتغلت عن ذلك الطعام وسكن

الالتهاب عن جرم المعدة فتجد النفس لذلك راحة فتسمى تلك الراحة لذة وهكذا العطش فانه حرارة تلتهب في جرم الكبد ولا تسكن الا بشرب الماء فتحس النفس عند التهاب تلك الحرارة ألما وعند سكونها راحة فهاتان الخلتان تحثان النفس الحيوانية على طلب مادة اجسادها لتخلف عليها بدل مايتحلل منها اذا كانت ذات الجسد دائماً في الذوبان والسيلان من أسباب خارجة واسباب داخلة ولو لم تعرض لنفوسها الالام والاوجاع عند الجوع والعطش لما نهضت أجسادها فى طلب غذائها وفي مادة بقائها وكان يبطل اجسادها الذوبان قبل تمامها وكمالها . فاذاً قد بان من الالم واللذة انما هي حث النفوس على مايصلح الاجساد لان في صلاح الاجساد صلاح النفوس كما بينا قبل وهذه اللذة التى تجدها النفوس الحيوانية عند تناول الغذاء هى ايضاً تجدها النفوس النباتية وهى التى تحثها على جذب الرطوبات الى أصول النبات والى اعلى فروعها فاذا لم تجد ذلك جفت اجسامها وهو موتها ولكن لايعرض لنفوسها الالم عند فقدان الغذاء كما يعرض للنفوس الحيوانية فمن أجل هذا لم تجعل لها حيلة التنقل من مكان الى مكان فى طلب الغذاء كما للحيوان ولا فراراً من المؤذيات لانه لايليق بالحكمة الالهية أن تجعل لها ألماً وتمنعها حيلة الدفع

واما النفوس الحيوانية لما جعلت لها حيلة الدفع عن أجسادها الاشياء المفسدة لها جعل لها ألم يحثها على ذلك اما بالطلب واما بالهرب واما بالتحرز كما بينا في رسالة الحيوان

واما لذة الانتقام فهي أيضاً خروج من الالم وذلك ان الغضب نار وحرارة تشتعل فى جرم القلب وهو شهوة الانتقام من المؤذي الذي أثار الغضب فان وصل الى الانتقام سكنت تلك الحرارة وخمدت نارها . وان لم يقدر على ذلك ولم يصل اليه صار الغضب حزنا ومصيبة مثال ذلك اذا قتل لاحد قتيل أوقدت نار غضبه على القاتل شهوة القوة فان قتل القاتل سكنت تلك الحرارة وان قتله الموت صار حزناً ومصيبة لانه لايمكن أن يؤخذ من الميت القوة وعلى هذا القياس

سائر الشهوات ، نيران تشتعل في الاجساد وتحس النفوس آلامها

ثم اعلم أن الاجساد كلها نيران بالقوة جامدة فاذا أصابتها نار بالفعل صارت نيراناً بالفعل . والدليل على ذلك انها كلها يمكن أن تحرق بالنار فلو لم تكن من النار لما أمكن احراقها بها . وهكذا حكم مأكولاتها وملبوساتها كانها نيران جامدة كونت من النار والهواء والماء والارض واليها تستحيل بعد مفارقة النفوس لها ومن أجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أهل النار خلقوا ومن النار يأكلون وعلى النار يتقلبون) وهذه حال الاجساد ومرافقها ومادتها كلها نيران جامدة اذا اشتعلت التهبت على الافئدة كما قال الله عز وجل « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة » وهي آمال طوال وآجال قصار « لا بثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقاً » اشارة الى ما ذكرنا كلما نضجت جلودهم يعني أجسادهم بالبلى بدلناهم جلوداً غيرها بدلوا بالكون ثانيا

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي بان الله عز وجل قد أكثر في القرآن مدح المؤمنين وذم الكافرين لانهما خلتان بينهما بعد بعيد أحداها مجمع الخير كله وفضيلة الانسانية فيها كلها وهي الايمان والاخرى ضدها وهي الكفر وهو مجمع الشرور كلها

وقد بينا في رسالة الناموس ورسالة المؤمنين معنى قولنا ما الايمان ومن المؤمن ونذكر في هذا الفصل ما الكفر ليعلم من الكافرون بالحقيقة فنقول :

اعلم ان الكفر في لغة العرب الغطاء وهو شيء يعرض للنفس من جهة الجسد وذلك أنه اذا استقرت النفس في الجهالة تغطى عليها أمر ذاتها وذهب عليها معرفة جوهرها وتنسى مبدأها ولا تذكر من أمر معادها حتى تبلغ من جهالتها ألا تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد حتى تظن أنها جسم كما يظن ويقول كثير ممن يتعاطى النظر في العلوم وهو توهم ان الانسان هو هذا الجسد الطويل

العريض العميق المؤلف من اللحم والدم . ولا يدرون أن مع هذا الجسد جوهراً آخر وهو المحرك له وهي النفس المطهرة به ومنه افعالها

فمن لا يعرف جوهر النفس فهو لا يعرف شيئاً من الامور الروحانية ولا يتصورها واذا سمع ذكرها أنكرها لشدة استغراقه في بحر الهيولى وظلمات الجهالات فهؤلاء اذا سمعوا بذكر جهنم لا يتصورونها الا أمراً صناعياً وهو أنهم يظنون أن جهنم هي خندق محفور كبير واسع مملوء من نيران تشتعل وتلتهب وان الله تعالى يأمر الملائكة قصداً منه وغيظاً على الكفار أن يأخذوهم ويرموا بهم في ذلك الخندق

ثم أنه كلما احرقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والدم حتى يشتعل من الرأس ثانيا كما اشتعل أول مرة

وهكذا يكون دأبهم أبداً ويحتجون بقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ولا يدرون معنى قوله تعالى ولا تأويل كتابه انهم اذا سمعوا ان الله غفور رحيم حنان منان رؤوف ودود وما شاكل ذلك من أسمائه الحسنى وتفكروا فيها انكرت عليهم عقولهم ما اعتقدوا فيه من الحقد وقلة الرحمة لخلقه فعند ذلك يتحيرون ويتشككون فيما اخبرت به الانبياء عليهم السلام اذ لا يعرفون شيئاً عن صفة جهنم وعذاب اهلها ولا يعرفون تأويل كتبهم ولا معاني اشاراتهم ورموزاتهم ودقائق اسرارهم

فهكذا اذا سمعوا ذكر الجنة ونعيمها وسرور اهلها ولذاتهم فلا يتصورونها الاموراً جسمانية شبه بساتين فيها اشجار وعليها ثمار وقصور بينها انهار وفي تلك القصور حور وغلمان وولدان مردان على امثال ابناء الدنيا ونعيم اهلها واذا سمعوا بأن اهل الجنة في جوار الرحمن حيث قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانهم يزورون رب العالمين فيرونه وينظرون اليه كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وان الملائكة يزورونهم بالهدايا والتحف كما قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب» وما شاكل هذا من وصف اهل الجنة

من شرب الشراب او مباشرة مع الابكار وانهم احياء لا يموتون وشبان لا يهرمون واصحاء لا يمرضون ولا يجوعون ولا يعطشون ويأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون وما شاكل هذه من الصفات التي لا تليق بأجسام الطبيعة الكائنة الفاسدة فضلا بالاشياء الروحانية

فاذا فكروا فيها تحيروا ايضا فيما يعتقدون من امر الجنة ونعيمها وحالات اهلها فيشكون ايضا في الجنة وما خبرت به الانبياء عليهم السلام من وصف الجنان ونعيم اهلها وحالاتهم وما يقصر الوصف عنها فاذا ذهب عليهم معرفتها وتغطى عليهم علمها انكروها بقلوبهم وان كانوا لا يظهرونها بألسنتهم مخافة السيف والصلب كما قال الله تعالى « الذين يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »

فهذا هو حقيقة الكفر والضلال والجهالة وعمى البصر لأن هؤلاء لا يؤمنون بظواهر الآيات والأخبار ولا يتفحصون عن حقائق أسرار كلام الله وأسرار الاخبار النبوية حين قالوا وبينوا فجملة ذلك حق وصدق لا مرد عليه حسب ما اقتضى العقل حقيقة ذلك كما لا يفهم هؤلاء الظلمة الكفرة أعاذنا الله واياك أيها الاخ من الكفر والنفاق والفسق والعصيان ورزقك وايانا الايمان والغفران انه رؤوف رحيم بالعباد

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم وتيقن ولا تشك في ان جهنم هي عالم الكون والفساد الذي هي دون فلك القمر وان الجنة هي عالم الارواح وسعة السموات وان أهل جهنم هي النفوس المتعلقة باجساد الحيوانات التي تنالها الآلام والاوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم

وان أهل الجنة هي النفوس الملكية التي في عالم الافلاك وسعة السموات في روح وريحان البريئة من الاوجاع والالام والدليل على ذلك قوله تعالى انطلقوا

الى ظل ذى ثلاث شعب اشارة الى النفوس المتحدة بالاجسام ذي الطول والعرض والعمق الى دون فلك القمر

وذلك أن تلك النفوس لما جنت هناك الجناية التي ذكرت في قصة آدم عليه السلام « وقيل اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين » وقال فيها تحيون يعني في الارض وفيها تموتون ومنها تخرجون عند النفخ في الصور.

وانما قيل أن جهنم هي سبع طبقات لان الاجسام التي دون فلك القمر سبعة أنواع أربع منها هي الامهات المستحيلات التي هي الاركان الاربعة وهي النار والهواء والماء والارض وثلاث هي المولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان

ثم اعلم ان تلك النفوس لما أخرجت من الجنة عالم الافلاك أهبطت الى الارض عالم الكون والفساد الذي دون فلك القمر وهي ساكنة في عمق هذه الاجساد وغريقة في بحر الهيولى القابل للكون والفساد وغائصة في هياكل هذه المتولدات منقطعة فيها كما قال تعالى « وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وقال « ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم »

وانما قال لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم لان كلما يجرى في عالم الكون والفساد فبدلائل هذه السبعة السيارة وانما قال عليها تسعة عشر لان دلائلها لا تظهر في عالم الكون والفساد الا بمسيرها في هذه البروج الاثنا عشر فجملتها تكون تسعة عشر وهي التي بها يكون تقلب أحوال الدنيا وما تقتضيه موجبات أحكامها في مواليد هذه الاجساد وما يدل عليها مما يصيبهم من الآلام والاوجاع والاسقام والامراض والاحزان من الجوع والعطش والحر والبرد والفقر والغنى والذل والعبودية والغموم والهموم ونوائب الحدثان وعداوة الاقران وحسد الجيران وجور السلطان ووساوس الشيطان ونكبات الزمان ومصائب الاخوان وخوف الموت ووعيد مابعد الموت المذكور في القرآن وما

شا كل هذه المصائب التى لايحصى عددها التى هي النفوس المرهونة بها مادامت مع هذه الاجساد

فاذا فكر العاقل اللبيب في حال النفوس المتجسدة ومايلحقها من المحن والمصائب بتوسط هذه الاجساد ومايعرض لها من الآلام والاوجاع والمناحس كما بينا قبل ، وتفكر أيضاً في حالات النفوس التى هي أهل الجنة وعالم الافلاك الذين هم سكان السموات اذا سمع بأنهم أحياء لايموتون وشبان لايهرمون وأغنياء لايفتقرون وجيران لايتحاسدون واخوان على سرر متقابلين متنعمين ملتذذين خالدون فيها آمنون لايخافون ولايحزنون فهم في روح وريحان ورضوان رغبت نفسه الى ماهناك وزهدت في الكون هاهنا

فكلما نظر بعين رأسه الى جسده فى عالم الكون والفساد معذباً من أبناء جنسه استعاذ بالله وسأله الخلاص والنجاة مما هو فيه من مشاركة أبناء الدنيا وكلما نظر بعين عقله الى نفسه وأبناء جنسه في عالم الافلاك وماهم فيه من الروح والريحان تمنى الوصول الى هناك وسأل ربه اللحاق بهم كما سأل يوسف الصديق عليه السلام وكذلك ابراهيم عليه السلام وعند ذلك تصير الدنيا عليه سجناً كما قال عليه الصلاة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ويكون عند ذلك من أصحاب الاعراف الذين هم أهل المعارف كما وصفهم الله تعالى « وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار » يعنى أهل الدنيا التى في عالم الكون والفساد « قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين » وهؤلاء الرجال الذين على الاعراف هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله تعالى « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » وقال « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » فهؤلاء هم أولياء الله الذين هم يتمنون الموت لما قد تبين لهم مابعد الموت من الوجود المحض والبقاء الدائم

والروح والريحان والنجاة من الآلام والاوجاع والاسقام التى كلها جهنم ونيران وأما من لا يعرف ما وصفنا له لا يعقل ما بين الله تعالى في كتابه على ألسنة أنبيائه إلا هذه الدنيا التى كلها آلام جسدانية من الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية فهو لا يرغب الا فيها ولا يتمنى إلا الخلود معها كما وصفهم الله تعالى فقال « أيود أحدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » فهؤلاء هم الكفار الذين تغطى عليهم الصفات الحقيقية والاسرار الخفية التى كلها رموز أخروية ثابتة للنفوس الناجية من نيران الهاوية . نجانا الله واياك أيها الاخ ورزقنا وإياك الدخول في زمر الملائكة

﴿ فصل ﴾

(فى كيفية وجدان اللذة والآلام معاً في وقت واحد)

فنقول : اعلم ان الانسان في دائم الاوقات لايخلو من ألم ولذة جسمانية وروحانية من عدة وجوه . مثال ذلك العاشق يرى معشوقه وهو على خيانة فتسره رؤيته له ويلتذ بها وتغمه خيانته له وتؤلمه كما قال :

قايست بين جماله وفعاله ‏ فاذا الملاحة بالقباحة لاتفي

وكمثل من يأكل طعاماً يشتهيه وله رائحة منكرة تؤذيه مثل الصحناة والمامياه لساكن السواحل فهو يلتذ بأكله وتؤلمه رائحته ومثل من يسمع لحناً طيباً ونغمة لذيذة كغناء أبيات من الشعر فيها هجوله فانه يلتذ باستماع اللحن اللطيف ويغمه هجوه في وقت واحد ومثل من يسمع بموت مورث له تركته فيغتم لخبر موته ويسره ماورث ومثل من به جرب مؤذ يحكه فيجد له لذة وغماً في وقت واحد وألمين متضادين وراحة بينهما وكمن هو يعمل عملا متعباً أو صناعة شاقة يرجو عليها ثواباً جزيلا وأجرة وافرة فهو يجد الماً من عمله المتعب ولذة وفرحاً لما يرجو من ثوابه

وعلى هذا القياس حكم سائر الآلام واللذات الجسمانية كما قال القائل :

ومن نكد الايام ان صروفها ‏ اذا سر منها جانب ساء جانب

أو كمن سكن عنه وجع العين وضرب ضرسه فانه يجد ألماً وراحة في وقت واحد وكمن له خلق حسن وخلق سيء فانه يجد من أحدهما راحة ومن الاخر ألماً في وقت واحد ومثل من يرى صديقاً قد غاب دهراً وأخبر بسوء حاله فيسره رؤيته ويغمه سوء حاله . أو كمثل من يضع احدى رجليه في ماء بارد والاخرى في ماء مغلي واحدى يديه في ماء فاتر فانه يجد لذة وألماً في حالة واحدة ومثل من عمل عملا حسناً يرجو جزاء عليه وعملا سيئاً يخاف عقوبة عليه فيكون متألماً ملتذاً في وقت واحد وعلى هذا المثال اذا اعتبر أحوال الناس فلا يخلو من ألم يؤذيه وراحة من ألم قد زال عنه فيكون الانسان الواحد في وقت واحد ملتذاً متألماً معاقباً مثاباً

وانما ذكرنا هذه الاشارات وأوردنا هذه الامثلة من أجل ان كثيراً ممن يتكلم في علم النفس ويبحث عن ماهية جوهرها وكيفية تشخيصها يرى ويعتقد انها أشخاص متباينة كثيرة فأكثر ما يقوى رأي من ظن ان النفس أشخاص كثيرة ما يظهر من اختلاف أحوالها وأفعالها وأخلاقها وآرائها وأعمالها وان بعضها ملتذة وبعضها متألمة فحكم بهذا الاعتبار انها أشخاص كثيرة منفصلة متباينة كتباين الاشخاص الجسمانية المركبة ثم ناقض رأيه بقوله بأنها جواهر بسيطة كأنه لايدري مامعنى البسيطة ونحن قد أخبرنا بأنها نفس واحدة تجنست أجناسها وتنوعت أنواعها وقد تشخصت بحسب اختصاصها بالاجناس الجسمانية وأنواعها وأشخاصها لانها في ذاتها متكثرة منفصلة متباينة لان اختلاف أفعالها بحسب استعمالها الاجساد المختلفة الاجناس والانواع والاشخاص كما بينا في رسالة تركيب الجسد

ان اختلاف أفعال نفس انسان واحد هو من أجل اختلاف أشكال أعضائه وفنون مفاصله وان نفس الانسان نفس واحدة وقد ظن كثير من أهل العلم ان للانسان الواحد ثلاث نفوس : شهوانية وغضبية وناطقة ونحن قد بينا بأن هذه

الاسماء تقع على نفس واحدة بحسب أفعالها المختلفة وذلك انها اذا فعلت في الجسم الغذاء والنمو سميت نباتية وشهوانية واذا فعلت الحس والحركة سميت حيوانية غضبية واذا فعلت النطق والتمييز والروية والفكر سميت ناطقة كما ان الرجل الواحد حداد نجار بناء اذا كان يحسنها كلها ويعقلها

فصل

فنقول : لما فرغنا من ذكر الآلام واللذات الجسمانية وبينا انها كلها هي راحة تجدها النفس عند رجوع الامزجة الى الاعتدال بعد خروجها من الاعتدال وان الآلام هي احساس النفس بتغيير مزاج الجسد وخروجه عن الاعتدال الطبيعي أو عضو من أعضائه عند ملاقاة الاشياء المفسدة لها كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس وقد بينا أيضاً علة كراهية الحيوان للموت وما العلة في وصول الآلام والاوجاع الى النفس الحيوانية دون سائر النفوس الجزئية التي في العالم بأسرها : نريد أن نذكر في هذا الفصل ما اللذات الروحانية التي تجدها النفس بمجردها وما آلامها التي تنفرد بها دون الجسد التي عبرت عنها الشريعة النبوية بالثواب والعقاب فنقول :

اعلم أرشدك الله تعالى ان اللذات أربع أنواع : شهوانية طبيعية وحيوانية حسية وانسانية فكرية وملكية روحانية فاللذات الشهوانية الطبيعية هي التي تجدها النفس عند تناول الغذاء من الطعام والشراب

وأما اللذات الحيوانية أيضاً فهي نوعان أحدهما ما تجدها النفس عند الالتئام وهي لذة الجماع والاخرى ما تجدها عند الانتقام وهي شهوة تهيج عند الغضب، والفكرية ما تجدها النفس من اللذة عند تصورها معاني المعلومات ومعرفتها بحقائق الموجودات والروحانية الملكية هي ما تجدها النفس من الراحة واللذة بعد مفارقتها الجسد التي هي الروح والريحان

فاللذة الشهوانية مشتركة بين الانسان والحيوان والنبات

والحيوانية الحسية مشتركة بين الانسان والحيوان دون النبات

والفكرية مشتركة بين الانسان والملائكة دون الحيوان

والملكية الروحانية مختصة بالنفوس المفارقة للأجسام الناجية من بحر الهيولى

فالنفوس النباتية لها لذات وليس لها ألم كما قلنا قبل في رسالة كراهية الحيوان للموت

والنفوس الملكية لها أيضاً لذة وليس لها ألم كما قد تقدم بيان ذلك لكن لها الخوف والاشفاق كما قال تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » وقال تعالى « وهم من خشية ربهم مشفقون »

فالنفوس الحيوانية لها لذة وألم جميعاً ولكن لذاتها كلها جسمانية .

فاما الانفس الانسانية فلها كل اللذات والآلام الجسمانية والروحانية جميعاً لذلك نحتاج أن نبين ونشرحها واحدة بعد واحدة لتتضح وتتصور بحقائقها فنقول

اعلم أن جميع اللذات التي تجدها النفس الانسانية نوعان منها ماتجدها بمجردها ومنها ماتجدها بتوسط الجسد وهى سبعة أنواع

أحدها المدركات بطريق النظر من محاسن الألوان والاشكال والنقوش والتصاوير والاصباغ الطبيعية منها والصناعية جميعاً

والثاني المدركات بطريق السمع من الاصوات والالحان والنغم والمدح والثناء وما شاكلها

والثالث المدركات بطريق الذوق من الطعوم الموافقة لشهواتها

والرابع الملموسات المقوية لاخلاط جسدها

والخامس المشمومات الملائمة لمزاج اخلاطه.

والسادس لذة الجماع

والسابع لذة الانتقام

فهذه كلها لذات تجدها النفس بتوسط الجسد مرتين احداهما عند مباشرة الحواس لها والاخرى عند ذكرها بعدها

مثال ذلك اذا رأى المرء وجهاً حسناً أو زينة من محاسن الدنيا فان النفس تجد عند رؤيتها لها سروراً ولذة ثم اذا غابت عن رؤية العين بقيت رسوم تلك المحاسن مصورة في فكر النفس وكلما لحت هى ذاتها ونظرت الى جوهرها رأت تلك الرسوم المصورة في فكرها فسرت بها والتذت وتذكرت تلك المحسوسات التى انطبعت فيها منها هذه الرسوم

وهكذا سائر المحسوسات حكمها اذا تذكرتها النفس التذت وسرت بها من غير شركة الجسد

وهكذا حكم اضدادها التى هي الآلام وذلك ان الانسان اذا رأى منظراً وحشياً أو صورة قبيحة أو سمع صوتاً هائلا مفزعا فانه يؤلمه رؤيته لها فى وقته واستماعها وبعد مغيبها اذا تذكرها وفكرت فيها وليس التذكر والتفكر شيء سوى لمحات النفس ذاتها ونظرها الى جوهرها ورؤيتها رسوم تلك المحسوسات مطبوعة في ذاتها كما ينطبع نقش الفص في الشمع المختوم . فهذه الملاذ والآلام وان كانت لاتصل الى النفس الا بتوسط الجسد فقد تجدها بعد غيبة المحسوسات عن مباشرة الحواس لها فيدل هذا على ان النفس لها لذة تجدها بعد مفارقة الجسد أيضا كما تجد لذة المحسوسات بعد مفارقتها وغيبتها

فصل

فى اللذات الروحانية

فنقول أما اللذات الروحانية التى تجدها النفس بمجردها فهى نوعان احداهما ماتجدها وهي مفارقة للجسد والثانية ماتجدها وهى مقارنة له فالتى تجدها وهى مفارقة له نوعان أحداهما مايرد عليها من خارج كما بينا قبل هذا والآخر من ذاتها والتى تجدها وهي مقارنة له فهي أربعة أنواع

فمنها ماتجدها من اللذة والسرور والفرح عند تصورها حقائق الموجودات من المحسوسات والمأ كولات جميعاً .

والثانية ماتجدها عند اعتقادها الا راء الصحيحة ومذاهبها الحميدة

والثالثة ما تجدها عند عذوبة اخلاقها الكريمة وعاداتها الجميلة

والرابعة ماتجده من الفرح والسرور واللذة عند ذكر اعمالها الزكية وأفعالها الخيرة

وهذه اللذات مشتركة بين الانسان وبين الملائكة واضدادها من الآلام ومشتركة بين الانسان والشياطين كما سنبين بعد هذا الفصل

وأما بيان مايلحق النفوس من اللذة والألم في اعتقاداتها ومعارفها وجهالاتها وأخلاقها وأعمالها فاعلم ان الانسان اذا كانت أعماله سيئة وأفعاله قبيحة فان نفسه أبداً تكون مرتابة مرعوبة مضطربة متألمة كما ذكر الله تعالى في صفة المنافقين فقال « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله » فاذا كانت أعمالهم صالحة وأفعالهم جميلة فان نفوسهم ابداً تكون ساكنة هادئة مستريحة »

وهكذا اذا كانت اخلاق الانسان جميلة وسجاياه سهلة ومعاملته طيبة ومخالطته عذبة فان نفسه تكون أبداً في القلوب محبوبة ومن الغوائل آمنة . وان كانت أخلاقه شرية وطباعة وحشية وهمته سبعية يكون من يصحبه أبداً في عناء وهو من نفسه في جهل و بلاء

فهكذا حكم الاعتقادات والاراء وذلك أن بعضها مؤلم لنفوس معتقديها ومحير ومشكك كما قيل (شعراً)

ألم تر انى مذ ثلاثين حجة   اروح وأغدو دائم الحسرات

ومثل من يعتقد أن ربه قتلته اليهود ، ومثل من يعتقد ان امامه مختف من خوف مخالفيه . ومثل من يعتقد أن رب العالمين خلق خلقاً وناصبهم العداوة وهو ابليس وجنوده . ومثل من يعتقد ان رب العالمين حقود حنق يغتاظ على الكفار والعصاة من خلقه . ومثل من يرى ويعتقد أن أمر العالم غير منتظم وان

مدبره وصانعه قد أهمل أمر عالمه حتى يجري فيه أشياء على غير مراده ومشيئته.

ومثل من يعتقد ويرى ان رب العالمين الغفور الرحيم الودود البار المحسن الحنان المنان الجواد الكريم الجميل يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكفار والعصاة ويرمون بهم في خندق من النار وكلما احترقت جلودهم وصاروا فحماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والحياة ليذوقوا العذاب

ومثل من يعتقد أنه يباشر فى الجنة مع الابكار ويلتذ منها ويزيل البكارة ثم تعود البكارة

ومثل من يعتقد ويرى أنه يشرب الشراب في الجنة ويكون باريه ساقيه .

ومثل من يعتقد أنه يتمنى في الجنة الطيور المشوية الحاصلة عنده فيتحصل بعد تمنيه في الحال ثم يأكل منها حتى الشبع ثم بعد ذلك تطير الطيور كما تطير في حال الحياة

ومثل من يعتقد أن الانسان اذا مات بطلت نفسه ووجودها

ومثل من لا يرجو الجنة الا بعد خراب السموات وطيها كطي السجل للكتب

ومثل من يعتقد أن الكواكب تتناثر وتتساقط في القيامة

ومثل من يعتقد أن أعمال الانسان تجعل في كفتين من كفتي الميزان

ومثل من يعتقد سؤال منكر ونكير في القبر من جسد الميت

ومثل من يعتقد ويرى أن فى الجحيم تنانين وثعابين وأفاعي يأكلون الفساق ويصيرون أحياء بعد ذلك وما شاكل هذه من الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها مع أن جميع ما نطق به الانبياء عليهم السلام من صفة الجنة ونعيم أهلها وعذاب النار والعقاب وأحوال القيامة كلها حق وصدق لامرية فيها ولكن ليس الامر كما يعتقد هؤلاء الظلمة الكفرة بل أمر وراء ذلك لا يعلمه الا الله والراسخون فى العلم

وأما من يرى ويعتقد ويعلم ان للعالم بارئاً حكيما قادراً حليما جواداً كريماً غفوراً رحيما وانه قد أحكم امر عالمه على أحسن نظام ورتب تدبير الخليقة على أتقن حكمة ولم يترك فيه خللا ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ولا يرى في خلق

الرحمن من تفاوت فان نفسه أبداً ساكنة هادئة مستريحة من الألم والآراء الفاسدة وأوجاع الاعتقادات الزائفة ومن وحشة ظلمات الجهالات المتراكمة وهو في راحة من نفسه والخلق في راحة منه . ومن جهة في أمان لا يريد بأحد سوءاً ، ولا يرى له عليهم فضلا ولا يطالبهم بحق ولا يشكوهم من جفاء ولا يصيبهم منه أذى فهذه صفة اخوانك الكرام

فهل لك يا أخي أن ترغب في صحبتهم وتتبع منهاجهم وتسير سيرتهم وتتخلق بأخلاقهم وتنظر في علومهم وسياستهم لتعرف أسرارهم واعتقاداتهم أو تحضر مجلسهم لتسمع كلامهم وأقاويلهم أو تقرأ رسائلنا هذه لعلك توفق لفهم معاني ما تضمنته وتنتبه لنفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتنفتح لها عين البصيرة فتحيى حياة العلماء وتعيش عيش السعداء وتصعد الى ملكوت السماء

فصل

ثم اعلم ان من الآراء والاعتقادات ما هو مؤلم لنفوس معتقديها ومؤذ لها ومنها ما هو مفرح ومسر وملذ لها كما بينا قبل هذا ولكن نضرب مثلا لذلك كيما يتضح

(حكاية)

ذكروا أنه كان رجل من أرباب النعم متديناً ، وكان له ابن متجاهر بالسكر وكان الرجل كارهاً لذلك منه .

فقال له يوماً يا بني انته عن السكر حتى اعطيك شطراً من مالي وعقاري وافرد لك داراً وازوجك بحسناء احدى بنات ارباب النعم

فقال ابنه يا أبت ماذا يكون ؟ فقال تعيش فرحا مسروراً ملتذا اما بقيت

فقال ابنه ان كان الغرض هو هذا فهو حاصل لى . فقال له ابوه كيف ذلك . قال لأني اذا سكرت وجدت في نفسى من الفرح واللذة والسرور حتى اظن

معه ان ملك كسرى كله لى وأتخيل في نفسى من العظمة والجلال حتى ارى العصفور مثلا قدر البعير

فقال له ابوه ولكن اذا صحوت لا ترى لذلك حقيقة . قال اعود فأشرب ثانيا حتى اسكر فأرى مثل ذلك

فهكذا القياس في حكم المعتقدين ببقاء النفس بعد مفارقتها الجسد في وجدان لذاتهم لانه ان كان الغرض من الحياة في الدنيا ليس الا لاجل اللذة والفرح والسرور والراحة بعد الموت كما قال تعالى « وترجون من الله مالا يرجون » بعد الموت الذي ليس هو شيء سوى مفارقتها الجسد كما بينا قبل هذا وقد بينا ايضا في رسالة حكمة الموت ولا ينقص هذا الاعتقاد من لذاتهم في الدنيا شيئاً

اما معتقدو فنائها فانهم لا يخلوا اما ان يكونوا من سعداء ابناء الدنيا او من ابناء اشقيائها فلو كانوا من ابناء سعدائها فان هذا الرأى والاعتقاد يؤلم نفوسهم ويؤذيها وذلك انهم كلما فكروا في الموت والفناء تنغص عليهم عيشهم وأدخل الحزن على نفوسهم ونقص من لذاتهم في دنياهم لأنهم قد أيقنوا بذهابها وفنائها ولا يرجون غيرها ولا يؤملون سواها وان كان هؤلاء المعتقدين بفناء النفس من أبناء أشقياء الدنيا فهم يعيشون في غم وحزن طول أعمارهم في الدنيا ويموتون آخره بحسرة ومصيبة

ثم اعلم أن الاعتقادات الرديئة والآراء الفاسدة المؤلمة لنفوس معتقديها المؤذية لها كثيرة لا يمكن احصاؤها وبيان صفاتها ولكن نذكر المحمودة منها ونصفها لتعرف ويتمسك بها وتجتنب سواها وقد بينا في رسالة النواميس طرفا من ذلك وفي رسالة اعتقاد اخوان الصفا ورسالة ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين الذين وعدهم الله الجنة وشرحنا طريقتهم وأخلاقهم وآراءهم وعلومهم وأعمالهم في احدى وخمسين رسالة وبينا فيها صفاتهم وكيفية أحوالهم لكن نذكر جملة هاهنا منها بقول وجيز مختصر

وهو أن الانسان العاقل يرى ويعتقد ان للعالم صانعاً بارءاً حكيما قديما حيا عالما وانه قد نظم امر عالمه نظاما محكما ورتب الموجودات ترتيبا متقناً ولا يخفى عليه من امر عالمه صغيرة ولا كبيرة الا وهو يعلمها ويدبرها تدبيراً واحداً بحسب مايليق بواحد واحد من الموجودات والكائنات وبحسب الاستعدادات الحاصلة من الكائنات وان يجري حكم عالمه بجميع خلائقه من الافلاك والبروج والكواكب والاركان والمولودات كمجرى حكم انسان واحد وحيوان واحد وان سريان قوى ملائكته في اطباق سمواته وفضاء أفلاكه كسريان قوى نفس انسان واحد في جميع بدنه ومفاصل جسده وهذا قول مجمل قد شرحنا تفسيره وبيناه في جميع رسائلنا اجمع ولكن لابد من أن يصادره المتعلمون في أول الامر والمبتدؤن بالنظر فى هذا الشأن العظيم كما يصادرون سائر العلوم والصنائع ثم في آخر الامر يعرفون حقيقته وتتبين لهم صحته

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن غرض اقرار المبتدئين واعتقاد المتعلمين في مبدأ كل صناعة على تحقيق أصولها قبل معرفتهم بها تقليداً هو من أجل انه لايبين ذلك الا بعد التبحر فيها والبحث والكشف عنها

واعلم انه كما ان المتوسطين فى كل علم وصناعة لايرضون بالتقليد اذ قد يمكنهم البحث والكشف عنه بالبراهين فهكذا ايضا ينبغى للمقرين بكتب الانبياء عليهم السلام وما فيها من الاسرار والاشارات المكنونة والعلوم الشريفة. والمتوسطون فى العلوم لايرضون بالتقليد مثل الصبيان والنساء وضعفاء العقول بل يجب عليهم البحث عنه والكشف عن الاسرار والاشارات

ذلك بان ليس غرض الانبياء عليهم السلام فيما وصفوا من مجلس الجنان ولذات أهلها هو الاقرار باللسان حسب بلا اعتقاد ولا الاعتقاد حسب بلا تحقيق يظهر لهم ، بل الغرض هو التصور لها بحقائقها كيما تقع الرغبة فيها والطلب لها لان

الانسان لايطلب مالا يرغب فيه ولا يرغب فيما لايتحققه ولا يتحقق مالا يتصوره ولا يتصور الشيء الخفي الغائب الا بالوصف البليغ بالمحاسن فمن أجل هذا اكثر في القرآن من وصف محاسن الجنان وسرور أهلها ولذات نعيمها فتارة وصفها أوصافا جسمانية على قدر طاقة القوم مثل قوله تعالى « على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق» الآية . ذكر هذا وبين على قدر قبول افهامهم لابمعنى أن هذه الاشياء ستوجد فى الجنة على حالات جسمانية بل ستوجد أشياء روحانية مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال تعالى ايضاً «في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب » وما شاكلها من أوصاف الامور الجسمانية

وتارة وصفها باوصاف روحانية على قدر فهم المتوسطين مثل قوله تعالى « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » وقال « فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وقال «فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين » وقال « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وماشاكلها من الاوصاف الروحانية التى لاتليق بالاجسام الطبيعية، وتارة وصفها باوصاف هي بين الروحانية والجسمانية مثل قوله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات »

اما ترى ياأخي أنه قال مثل الجنة على سبيل التشبيه والتمثيل ليقرب من الفهم تصورها لانه يقصر الوصف عنها بحقائقها وانما خاطب كل طائفة من الناس بحسب عقولهم ومراتبهم فى المعارف والفهوم لان دعوة الانبياء عليهم السلام عموم للخاص والعام جميعا ومن بينهما من طبقات الناس وقد صرح المسيح عليه السلام فى وصف الجنان ونعيم اهلها باوصاف غير جسمانية فقال للحواريين فى وصية لهم اذا فعلتم مافعلت وما قلت لكم تكونون معي غداً فى ملكوت السماء عند أبي وأبيكم

وترون ملائكته حول عرشه يسبحون بحمده ويقدسونه وانتم هناك ملتذون بجميع اللذات بلا أكل ولا شرب وانما صرح المسيح عليه السلام ولم يرمز لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء عليهم السلام وكتب الحكماء أيضاً وكانوا غير محتاجين الى الاشارات والتنبيهات بل كانوا متهيئين لصورها مستعدين لقبولها

فاما سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله اتفق مبعثه في قوم أميين من أهل البوادى غير مرتاضين بالعلوم ولا مقرين بالبعث والنشور ولا عارفين بنعيم ملكوت الدنيا فضلا عن معرفة نعيم أهل السموات الذين هم ملكوت الافلاك والآخرة وأهل الجنان فجعل أكثر صفة الجنان فى كتابه جسمانية ليقربها من فهم القوم ويسهل تصورها عليهم وترغب نفوسهم بها ونحن قد جعلنا بحثنا عن اسرار الكتب الالهية وبينا في أكثر رسائلنا معنى أسرار التنزيلات النبوية وكشفنا عن أكثر الرموزات والاشارات وعن الموضوعات الناموسية

وذلك لان خطابنا لا يكون الا مع أقوام علماء فضلاء مارسوا اخوان الصفاء ورسخوا في العلم وارتاضوا بالرياضيات الحكمية المقرونة باسرار الكتب الالهية واشارات الانبياء عليهم السلام

فان كنت أيها الأخ واحداً منهم فهلم الى صحبة اخوان لك فضلاء واصدقاء كرماء علومهم حكمية وآدابهم نبوية وسيرتهم ملكية ولذاتهم روحانية وهممهم الهية وأترك صحبة اخوان الشياطين الذين لا يريدونك الا لجر منفعة الاجساد أو لدفع المضرة عنها وكن يا أخى من المؤمنين الذين بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى تكون من الذين أشار اليهم بقوله:

« ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وتكون من الذين مدحهم الله تعالى بقوله « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين »

واذ قد فرغنا من ذكر اللذات والآلام الجسمانية التى تجدها النفس بمفارقتها

الجسد وما تجدها بمجردها وهي مع الجسد فنريد أن نذكر ماتجده بعد المفارقة من اللذة والآلام التى هي جزاؤها وثوابها على ماعملت من شر وعرفان وانكار المعبر عنه في الشريعة النبوية بالثواب والجزاء والعذاب الأليم

فصل

في كيفية وصول الآلام الى النفوس الشريرة بعد مفارقة أجسادها وكيف تكون من جنود ابليس وحزب الشياطين

فنقول اعلم ان الانسان العاقل اذا سمع أوامر الناموس ونواهيه ووعيده وزواجره ثم لم يأتمر بحدوده ولم ينقاد لاحكامه، أو سمع العلوم الحكمية فلم يقم بواجبها، ثم أهمل أمر نفسه وأعرض عن النظر في مصالحها بعد مفارقتها الجسد بل جعل أكثر عنايته فى اصلاح شأن هذا الجسد واهتمامه فى تربيته واشتغل الليل والنهار بما يصلح الجسد من المأكولات والمشروبات واللبس والمركب والمسكن وجمع المال والأثاث وزينة الدنيا واستغرق فى الشهوات الجسمانية وغاص في اللذات الجرمانية لا يفكر في غيرها ولا يهمه سواها وتمنى الخلود فى الدنيا مع انه يتيقن بانه لا يترك هاهنا وأفنى عمره كله ساهياً ولاهياً الى الممات

ثم جاءته سكرة الموت بالحق التى هي مفارقة النفس الجسد على كره منها واجبار منها وتلك شربة لا بد من شربها لكل من دخل فى عالم الاجساد والاجسام الطبيعية الهيولانية وبقيت عند ذلك نفسه بلا جسد وقد سلبت آلات الحواس التى كانت تنال بها اللذات الجسمانية وقد اعتادتها بطول الدربة فيها فانطبع فى همتها النزول اليها ولا وصول لها الا بهذا الجسد وأعضائه وقد منعت ذلك لكون مثلها عند ذلك كمثل من سلت عيناه وصمت أذناه وشلت يداه وقطعت رجلاه وخرس لسانه وشدت منخراه وعمى قلبه وفارقته أحبابه وجفاه أصدقاؤه وتركه اخوانه وهجره جيرانه وظفر به اعداؤه وشمت به حساده وما بقى معه الا الروح في الجسد معذباً فلا هو حي يلذ بالعيش ولا ميت يستريح

من العذاب كما قال تعالى « لا يموت فيها ولا يحيى » فتبقى تلك النفوس عندذلك تائهة هائمة بهمومها فى طلب ماقد فاتها بما اعتادته من لذات هـذه المحسوسات وقد منعت الوصول اليها والعود فعندذلك تتمنى وتقول بهمتها ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ياليتنى كنت ترابا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ثم يقول الله سـبحانه ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه فعند ذلك تبقى بحسرتها وندامتها متألمة، بذاتها معذبة من سوء عاداتها، عمياء في جهالاتها دون فلك القمر سائحة فى تعر الاجسام المدلهمة غريقة في بحر الهيولى هائمة هاوية في عالم الـكون والفساد مع أبناء جنسها من الامم الخالية اخوان الشياطين وجنود ابليس أجمعين كما ذكر الله تعالى « كلما دخلت أمة لعنت أختها » الى آخر الآية وهم متعلقون بابناء جنسها من النفوس المتجسدة بالوسوسة لها الى مافي طباعها من شهوات هذه اللذات المحسوسات ضالين مضلين في جهنم خالدين كما ذكر الله تعالى « فـكبكبوا فيها هم والغاوون » وذلك هو العقاب والعذاب الأليم والجزاء للنفوس الشريرة الجاهلة والغافلة عن الحقائق والعلوم الشرعية

❊ فصل ❊

ماهية الشياطين وجنود ابليس اجمعين

اعلم ان النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كما بينا في رسالة صفات المؤمنين المحققين ورسالة البعث كذلك النفس المتجسدة الشريرة هى شياطين بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل

فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى « شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » فشياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة آنست بالاجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للأجسام المحتجبة عن الابصـار ،

ومثل وسوسة هذه النفوس المفارقة لهذه النفوس المتجسدة كمثل من قويت شهوته للطعام والشراب وضعفت حرارته الهاضمة عن نضجها فهو يشتهي ولا يستمريء فعند ذلك تكون همته أن يرى الطعام والآكلين لينظر اليهم فيستريح عنها لضعف الآلة وبطلان فعل القوة ، وكمثل من ضعفت آلة جماعه لايقوم عليه فهمته أن يرى الفاعلين لعله يقوي طبيعته وينهض آلته

وهذه حكم النفوس المفارقة ليست لها آلة تنال بها اللذات المحسوسة فهي تحب وتوسوس الى أبناء جنسها ممن لها تلك الآلة على الفعل

فهكذا وسوسة النفوس الشريرة المبغضة اذا فارقت أجسادها تعلقت بأبناء جنسها من النفوس المتجسدة المبغضة الشريرة بالوسوسة لهـا الى القتال والخصومات والعداوات والى هذه النفوس أشار بقوله تعالى « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس »

فهكذا حكم أبناء الدنيا يا أخي الجاهلين بأمر المعاد المشـتغلين بالاجساد الغافلين عما بعد الموت المنظرين الى يوم الوقت المعلوم كما ذكر الله تعالى « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » كما بينا في رسـالة البعث والقيـامة فاطلب من هناك

واذ قد فرغنا من ذكر الآلام الروحانية التى تصل الى النفوس الشريرة بعد مفارقتها أجسادها التى كانت جنة لها فنريد أن نذكر اللذات الروحانية التى تجدها النفوس الخيرة الفاضلة بعد مفارقتها أجسادها التى كانت كالسجن لها كما بينا في رسالة كراهية الحياة والموت

ثم اعلم يا أخي أن اللذة والراحة والسرور والفرح والنعيم التى تجدها النفوس الخيرة الفاضلة الملـكية بعد مفارقتها والجسد المعبر عنها فى الشريعة بالثواب والجزاء يقصر الوصف بحقائقها ولا يبلغ البشر كنه معرفتها لانها روحانية أبدية سرمدية قال تعالى « فلا تعلم انفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا

يعملون » وقال عليه السلام فيها من اللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الروح والريحان

ولكن نذكر منها طرفاً ونشير اليها اشارة وهمية حسب ما جرت عادة الاخوان الاصدقاء في ذلك ونضرب لذلك مثلا شبه الرموز والاشارة والتنبيه كيما يقرب من فهم المتفكرين ويتصور في أفكار المريدين فنقول

اعلم أنه كان في الازمان الماضية فتى من أولاد الملوك شابا ظريفا حسن الوجه كامل البنية تام الصورة جميل الاخلاق كريم الافعال عادل السيرة عشق جارية حسناء من أقاربه من بنات الملوك فتزوجها وزفها كما يليق بأولاد الملوك من الكرامات وعاش معها زماناً طويلا في عز سلطانه ونعيم مملكته ولذة شبابه وسرور نعمته آمنين هادئين بلا تنغيص من عوارض الحدثان

ثم فرق الدهر بينهما بموتها وزال الفتى عن ملكه بغلبة عدو ظهر عليه واغترب عن بلاده وساح في الارض على حالة الغرباء وافتقر وأصابه الذل والهرم وضعف بدنه وذهبت قوته وكل بصره وثقل سمعه وأصابه العرى والجوع والعطش وتمنى الموت مما هو فيه من المحنة والبلوى والجهد والشدة فدخل خربة ونام فيها على مزبلة ورماد يستريح بلين وطائها فوجد راحة فنام فرأى في منامه كأنه شاب طري كهيئة ما كان عليه في صباه وقد رجعت اليه قوة بدنه ونشاط نفسه وأيام شبابه وكأنه على سرير في ملكه وعز سلطانه ونعيم أثاثه وسرور أيامه اذ هو بتلك الجارية كهيئتها يوم عشقها وزمان تزوجها بحسنها وجمالها فعانقها والتزمها شهوة ونال منها شهوته كما كان يدرك بدءاً وهما على سرير الملك يحملهما الريح حيث أرادا فمن شدة ما وجد من اللذة والفرح اضطرب من نومه وتحرك وانتبه فاذا هو في تلك الخربة وفي تلك المزبلة وكلاب حوله تنبح عليه

فماذا ترى أيها الاخ كم بين حال نفسه في ذلك المنام وما وجد من اللذة

والسرور والفرح وبين حالتها لما استيقظت من الغموم والاحزان والشدائد والبلوى والجهد

فهكذا القياس بين حال النفوس الخيرة وكونها مع الاجساد وبين كونها مفارقة للاجساد من اللذة والفرح والسرور وبالاضافة الى حالها مع الاجساد وما يلحقها من الهموم والغموم والاحزان والمصائب والشدائد نجانا الله واياك وجميع اخواننا من ألم نيران جهنم عالم الكون والفساد وأوصلك واياناا الى نعيم الجنان عالم الارواح والافلاك من ملكوت السماء وجوار الملائكة المقربين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

(تمت رسالة الآلام واللذات ويتلوها رسالة في بيان علل اختلاف اللذات)

الرسالة السابعة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في علل اختلاف اللغات ورسوم الخطوط والعبارات

وهى الرسالة الحادية والثلاثون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من ذكر اللذات والآلام الجسمانية والروحانية وذكر علة كراهية الحيوان للموت نريد أن نذكر في هذه الرسالة التي في آخر الطبيعيات بيان اختلاف علل اللغات فنقول :

ان معرفة علل اختلاف اللغات والكلام والاصوات ورسوم الخطوط والكتابات وكيفية مبادىء المذاهب واعتقادات الآراء والديانات وأصل تكوينها ومبدئها وظهورها ومنشئها وتزيينها ونموها وكثرتها واختلاف أهلها فيها وآرائهم ومناهجهم ودثور قوم وكون آخرين منهم قرناً بعد قرن وأمة بعد أمة لاتكون الا بعد البيان والايضاح عن الاصل الذي تفرعت عنه هذه الامور التي ذكرناها والاخبار عن كيفية تركيبها وتحليلها وحركتها في مبدئها وكونها بذاتها وعن اختلاف مجاريها وينبوعاتها في سائر الاجسام وشدة بيانها عن الحواس

وسريانها في الاجناس وانارتها للحواس وصفة حدوثها بسرعة وانتقال وخروجها بحركة وانفصال وذهابها بعدم واضمحلال وكيفية وجودها في عالم الانسان وكيف كانت فيه في مبدئها وكيفيتها فيمادونه من الحيوان وغير الحيوان ، تؤديها الى حاسة السمع من جملتها ومن يحملها وكيفية حملها وماالسبب الموصل لها الى الحاسة المتحققة بها ولم يدركها من الحواس غير هذه الحاسة وماالعلة في ذلك وكيف يعرف الانسان بخاصة هذه الحاسة مفهومها وغير مفهومها بالبرهان

وهذه أمور غامضة نحتاج فيها الى بحث دقيق والاخبار بها من غايات الاسرار ونريد أن نذكر منها في هذه الرسالة طرفاً بحسب التوفيق ليكون مدخلا الى علم ذلك ومقدمة بين يديه ليسهل الباقي ويكون بأوجز قول يؤدي الى الفهم وأوضح دليل يسهل به العلم من غير تطويل يشتبه على قارئه ولا اسهاب يضجر راويه ونبدأ من ذلك في ذكر الاصل والعلم في مبادئه فنقول :

اعلم ان هيولى الحكمة تتحد من ارادة الهيئة لانها هيولى قابلة لجميع الاشياء وهي مادة سماوية وقوة فلكية وأسباب علوية وقوة عقلية متصلة بجواهر روحانية وأشخاص نفسانية ، ترتبط بأفلاك دائرة وتتصل بكواكب سائرة وتشرق على نجوم طالعة وتضىء بأنوار ساطعة وترمي الى مادونها أنوارها وتودع المصطفين في الاشخاص الانسانية أسرارها وتجعل فيهم ودائع الخيرات وتجعلهم مفاتيح البركات وذلك بما يتخالف اليها ويتعاقب عليها من اتصال وافتراق واختلاف واتفاق من غير خلل في نظام الابتداء ولاتنقص عن تمام البلوغ والانتهاء وان تلك المادة الفاعلة لجميع المكونات لاتدرك الا بلطائف الحواس ولا يبلغ تناولها الا بالالتماس وكيف لايكون ذلك كذلك وهو السبب الذي لاتنقضي عجائب مادته ولاتفنى مواد كمينه فنقول :

اعلم يا أخي ان المعرفة لها والعلم بها درجة صعبة الارتقاء ومسافة بعيدة الانتهاء وهي درجة العارفين ومقام المستبصرين الناظرين الى آثارها العارفين

بأخبارها من طريق العناية عن الحواس الحيوانية والطريق الجرمانية اذ كانت آثارها روحانية ومواردها نفسانية وعنها صدرت القوة المتصلة بالحكماء وهي روح القدس النازلة على الانبياء عليهم السلام بالوحي من السماء وعليها معول العلماء وربما وردت أشياء كثيرة الاختلاف بعيدة الائتلاف متباينة القوانين مختلفة الموازين

وذلك ان ما كان منها في هذا المكان الارضى والمركز السفلى تضعف الحواس عن ادراك معرفتها وتعجز المشاعر البشرية التى هي من أسباب الهيولى عن بلوغ ادراكها. فاذا كانت الاشياء على هذا المثال منشؤها وبهذا الترتيب مبدؤها وكانت القوة التى هي مادة المعرفة بالحس في العالم الانسى وسبب القبول في الجسم المجبول يعجزان عن البلوغ ويضعفان عن الوصول وكانت مدة الزمانية التى هى سبب الحياة الانسانية تقصر عن الطاب وتفنى قبل بلوغ الارب وتضيق عن الاحاطة بمعرفة ذلك السبب

واذا كان الامر على ماوصفنا كان أول ماقصده العاقل وتوخاه واعتمد عليه الفاضل وتحراه معرفة ماطاوعه عليه حسه وساعده على قبوله جوهر نفسه وتلقاه أيام مدته وأعمل فيه فكرته زادت فيه بصيرته فمن لاحس فيه لامعرفة له ومن لامعرفة له لاجوهر له ومن لاجوهر له لابلوغ له ومن لابلوغ له لامقر له ومن لامقر له لاوجود له ومن لاوجود له فهو العدم

فصل

ثم اعلم ان الغرض من اتحاد المركبات كلها هو معرفة السبب الموجب لذاتها المنشىء لمباديها المؤلف لكيفياتها وكيف كان منشأ الابتداء والى أين تؤول العاقبة في الانتهاء وكيف كان التئام التأليف واتفاق اللطيف بالكثيف وازدواج التركيب وكيف يكون افتراق المجتمع وانفراد المزدوج وانحلال المنعقد واتحاد منفردها ، وعدم وجودها، ونفاد اجزائها بعد صحة وجودها ، وسلامة معهودها ووثاقة معقودها ، فاذا أنت علمته وتصورته وتبينته وتأملته بان لك اذا ساعدك

عليه حسك وأوصلك الى معرفة قبول جوهرة نفسك وتأملته تأمل التحقيق وبان لك كيفية التأليف والتركيب واقتران اللطيف بالكثيف الذين بهما وبصحة معرفتهما، وجود مادتهما واحداهما مادة ارضية وقوة جسمية والاخرى صورة روحانية وشهوة ملكية فيالها من قصة عجيبة ظريفة من اجتماع ما علا مع ما دنا وارتباط مالطف بما كثف، حارت في ذلك عقول الحكماء وتاهت فيه اذهان العقلاء وانسدت الطرقات وانطمست العلامات وتعذرت الدلالات إذ كان من المنكر فى هذا العالم على من له حكمة ونظر أن يقرن العالم بالجاهل وأن يجمع بين الجوهر والحجر فى مقر واحد اللهم ألا يكون أراد تعذيب العالم بالجاهل جزاء له بذنب عمله وجرم قدمه أو مقارنة الجوهر بالحجر وكونهما فى مكان واحد ليكون الحجر ستراً على الجوهر وواقياً له وغطاء عليه وحجابا بين يديه لا أن يكون العالم والجاهل عنده فى مقام واحد.

وكذلك الحجر والجوهر اذا كانا فى مقام من جهة الصورة الجسمانية والهيولى الجرمانية منعكسان فى فىء الهيولى فانهما لا يعرفان ما اتحد بهما بفيء الظل والجوهر من المواد المضيئة والرتب العلوية، أعنى العالم، والحجر عدم ذلك فليس يقال بانه عالم

ولما كان ذلك كذلك زالت الشبهة والانكار لوجود معرفة ذلك السبب الموجب الاجتماع ووجب للطالب اذا طلب معرفة ذلك السبب ومن بعد وجود اجتماعها حصول افتراقها ووجود أحدهما بجملة وعدم الآخر وتفرقته واذا عرفت ذلك بان لك الفرق بين الجسم والعرض وادركت المراد والغرض وسأبين من ذلك طرفا يعينك على ذلك ويبلغك الى معرفة ماوصفت لك. إذ قد فرغنا من ذلك رجعنا الى الابانة عن تركيب الاصوات واختلاف اللغات ومبادىء الخطوط والكتابات والالفاظ والعبارات واستخراج الحروف والمؤلفات ومن أين تخرجت وعمن أحدثت وفى أى مكان وجدت والله ولى التوفيق.

فصل

ثم اعلم انه لما سرت القوة النفسانية في الجسم الذي هو العالم باسره بعد كونها لا سريان لها ساكنة في حظيرة القدس في روضة الانس حيث سريان القوة العلوية فيها واشراقها عليها وكونها مرتبة بحيث رتبها باريها كما قال تعالى «ولقد علمتم النشأة الاولى» وهي الكون في وقت الابتداء فلما امتلأت من الفضائل والخيرات وما بلغ اليها من الافاضة وكانت ذات فكر وتخيل فتفكرت ثم تخيلت ثم نظرت فارادت أن تكون ذا منة وتفضل وان تكون رياسة ونفاسة وان تكون مفيدة فبدا لها في ذلك التخيل الذي تخيلته والمثال الذي مثلتـه وانبث السريان فيه والارتباط به من جسم العالم ومكنها الله تعالى من ذلك وجعله جسداً لها واراها خلاف ماظنته فلما دارت أفلاكه وسارت أملاكه وزهرت كواكبـه وبدت عجائبه اقبلت تمثل فيه ماكان ممثلا فيها وتخرجه من القوة الى الفعل ومن المعقول الى المحسوس الشيء بعد الشيء ثم أن جميع الموجودات وسائر المصنوعات لما بدت ووجدت في العالم وقع الاختلاف فيها والسؤال عنها من جهة ثلاثة أنواع يحصرها جنس واحد فأول ذلك الترتيب الاول المرتب كان في النفس أولا بالقوة والامور العقلية المعقولة وهي صورة أعياذ بسائط المركبات والموجودات بالترتيب والثاني هي الامور المحسوسة ثم البرهان يقتضي علتها ويبين معانيها ويعرف الناظر فيها والسائل عنها معرفة كيفيتها معقولة في غاية التجرد النفساني وكونها بعدها محسوسة في العالم الجسماني

فاما تفصيل ذلك فنقول أما الصورة العقلية فهي آثار العقل الكلي في النفس الكلي لقبولها منه وكونها بالقرب منه وهي أنوار مضيئة تخرج عن حد الوصف بالعبارة الجسمانيـة من حيث التركيب اذ كانت في غاية البساطة والتجريد الى الامور المحسوسة فهي صورة في الهيولى تدركها الحواس بالمباشرة لها وتنفعل منها بخاصة القوة فيها

وأما الامور المبرهنة فهي أشياء لاتدرك الا بمواد العلم وصحة العقل وهي

أمور يكون مبدؤها من أمور الاهية وأشخاص ملكية تضطر العقول الى الاقرار بها والاذعان لصحتها والتمسك بمعرفتها كما بين في كتب الهندسة وصحة الدليل على ما قد قال أهلها ان اشكال الاشياء لايحاط باطرافها ولاتدرك أقدارها ولا ترى أقطارها ولا يمكن رؤيتها الا مدورة بأي شكل شكلت وأي مثال مثلت كما قال أقليدس في كتابه ان مقدار ظل أي نهاية، جسما كان أو سطحاً أو خطاً فأنه يمكن أن يوجد منه دائماً ولا يفنى أبداً فهذه حكمة لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام البتة من غير تعريف

وقد تكلم اقليدس أيضاً في مقدمات كتابه عن البرهان وقال ان البرهان مقدمات الحجة على تحقيق الخبر

فأما التمام فهو العلم بالمعلوم بجميع ما ذكرنا، قال اقليدس وانما النقطة هي التي لا جزء لها والخط هو طول بلا عرض وطرفا الخط نقطتان والخط المستقيم هو الموضوع في مقابلة كل واحدة من نقطتي طرفيه على سمت واحـد فهذا يدل على ان النقطة وهمية لا تتحقق الا بالبرهان ولا تعرف الا بالخبرة فقد تبين اذا ان الامور المبرهنة لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام ولـكن البرهان الضروري والحجة القاطعة يضطران العقل الى الاقرار بهما لان البرهان ميزان العقل كما ان الـكيل والوزن والذرع ميزان الحواس فاعرف ما ذكرنا وتحقق ما وصفنا وأدم فيه فكرك واعمل رويتك فانك بذلك تنال غرضك فتبلغ مرادك وطلبتك

فصل

(في معرفة الاصوات الفلـكية)

فنقول اعلم أن الاصوات هي الاعراض الحادثة من الجواهر والجواهر جنسان فما علا ولطف قيل جواهر علوية ومادنا وكثف قيل جواهر سفلية وأصوات هي اعراض لايكون حدوثها الا عن الجواهر وحدوثها لايكون الامن

محرك يحركها تارة يطن الصوت ويتصل بمسمع الحاضرين وتارة يسكنها فيسكن الصوت .

ولما كان ذلك كذلك وضح البرهان على أن أصل الحركة هو النفس وان الصوت منفعل من حركتها وسريان قواها في الاجسام

ولما كانت الافلاك دائرات والكواكب والنجوم متحركات وجب أن يكون لها أصوات ونغمات

ولما كانت مستوية في نظامها محفوظة عليها صورة تمامها وكمالها وجب أن تكون حركاتها منفصلة واصواتها متصلة وأقسامها معتدلة ونغماتها لذيذة وألحانها بديعة ومقالتها تسبيحاً وتقديساً وتكبيراً وتهليلا تفرح بها نفوس المستمعين لها والحافين بها من الملائكة والنفوس التى تقدم عليها وتصعد اليها وتلك الحركات والاصوات هي مكيال الدهور والازمان التى بها يحكم على عالمها بالبقاء من حيث هى كما ان الاصوات اللذيذة والألحان المطربة والنغمات الحسنة في عالم الابدان تفرح بها نفوس السامعين لها وتحن الى استماع ما كان لذيذاً منها وتسر بقربها وتسلى عنها الغموم وينجلى عنها الهموم ويكون منها سكونات فاصلة بين تلك النغمات والحركات فتصير عند ذلك مكيالا للزمان وذرعا له ومحاكية لحركات الاشخاص الفلكية والاصوات الملكية ومناسبة لها وتلك هى الأصل فى جميعها وهذه فروعها وقد استمعتها النفوس وهى في عالم الكون والفساد فتذكرت بها عالم الافلاك ولذات النفوس التى هناك من فسحة الجنان وروضة الريحان ، وعلمت انها في أحسن الاحوال وأطيب اللذات وأتم الاشكال وأدوم السرور لان تلك النغمات والاصوات هي اضعاف هذه الالحان وهى أطيب لان تلك أحسن ترتيبا وأصح تأليفا وأجود هنداما وأقوم نظاما وأصفى جوهراً ومناسبات حركاتها أصح تأليفا

فاذا تخيلت النفوس الجزئية التى في عالم الكون والفساد مافي عالم الافلاك

وتيقنت حقيقة ماوصفنا تشوقت عند ذلك الى الصعود الى هناك واللحاق بأبناء جنسها والوصول الى حظيرة الفلك وروضة الانس

ولما بان لنا أن الفلك طبيعة خامسة وانها ليست بمخالفة لهذه الاجسام التى دون فلك القمر فى كل الصفات وذلك ان منها ماهو مضىء كالنار وهي الكواكب ومنها صقيل الوجه كوجه المرآة وهو جرم القمر ومنها مايقبل النور والظلمة مثل الهواء وهو فلك القمر وفلك عطارد وهذه كلها أوصاف الاجسام الطبيعية تشاركها الاجسام الفلكية فقد بان بأن الفلك وان كان طبيعة خامسة فليس بمخالف للاجسام الطبيعية في كل الصفات بل في بعض دون بعض وذلك انه ليس بحار ولا بارد ولا رطب ولا يابس بل هو صلب أشد صلابة من الياقوت وأشف من البلور وأصقل من المرآة وانه يماس بعضه بعضاً ويصطك ويحتك ويطن كما يطن النحاس ويكون لنغماته وأصواته مناسبات مؤتلفة والحان موزونة كما بينا في رسالة الموسيقى باكثر من هذا البيان وأقمنا عليه البرهان من صناعة العود وضرب الاوتار وما يستعمله أهل هذه الصناعة من النسبة وهي أصح نسبة تكون وأفضلها لانها نسبة روحانية

فصل

ثم اعلم انه لو لم يكن لحركات أشخاص الافلاك أصوات ونغمات ولا للملائكة كلام ولا تسبيح ولا تقديس فليسوا هم اذا أحياء فهم أموات لان الصمت بالموتى أولى ولربما احتك بعض الاحجار ببعض فيحدث من بينهما قرع في الهواء ولو كان الفلك ومن فيه بغير كلام ولا صوت ولا نطق لكان مايكون تحته مشاكلا له وكان من يكون سا كنا بغير حركة

ولما كان هذا من الاصل في البداية وجب أن يكون ماتحته مناسباً له لكن هو الاعلى زيادة عليه اذ كان هو الفاعل وهذا المنفعل وايهما الاولى بالنطق والحركة والكلام والتسبيح والتكبير والتقديس والتهليل أهل السماوات والافلاك أم أهل

الارض من عالم الانسان والحيوان والجمادات وايهما أولى بالسمع والابصار والاذهان والافكار والخواطر والاذكار والعلم والعقل أهل السماوات أم أهل الارض فأهل السماوات هم المسبحون المستغفرون لمن في الارض لا يفترون عن التسبيح ولا يسكتون عن التقديس بالحان طيبة ونغمات لذيذة ألذ من نغمات العيدان ونقر الاوتار والطنابير ومجاوبة المزامير في الميادين الفسحية والانبوبات القائمة وان تلك النغمات والالحان تذكر تلك النفوس البسيطة التي هناك سرور عالم الارواح ومحل الاشباح التي فوق فلك الافلاك التي جواهرها أشرف وألطف من جواهر عالم الافلاك الذي هو عالم النفوس ودار الحيوان الذي نعيمها كله روح وريحان في درجات الجنان ولذلك صارت النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد اذا سمعت الاصوات الطيبة والنغمات اللذيذة مثل قراءة الانجيل وتلاوة القرآن والحان الداودية والحان القراء في المجالس تذكرت رسوم الافلاك ومحل السماوات وتشوقت الى ما هناك ولذلك قالت الحكماء ان الموجودات والمعلومات هي التي تحاكي أحوال الموجودات الاولى التي هي علل لها وقولهم أن الاشخاص الفلكية علل وآلات لهذه الاشخاص التي في عالم الكون والفساد وان حركات تلك علة لحركات هذه وحركات هذه تحاكي حركات تلك فواجب أن تكون أصوات هذه ونغماتها تحاكي ما هو علة لها كمحاكات الصبيان أصوات آبائهم وأمهاتهم وحركاتهم في لعبهم فانهم يحاكون أفعال الآباء والامهات

وهكذا التلامذة يحاكون أفعال الاستاذين وأكثر العقلاء والعلماء من الناس يعلمون ان الاشخاص الفلكية وحركاتها المنتظمة وأصواتها الموزونة على النسبة الفاضلة متقدمة الوجود على الحيوانات التي تحت فلك القمر وحركاتها علة لحركات هذه وان عالم النفوس متقدم الوجود على عالم الاجسام كما بينا في رسالة المبادىء العقلية ولما وجد في عالم الكون والفساد حركات وأجسام ذوات أصوات وحيوانات ناطقة

دل على ذلك ان في عالم السماوات أشخاص ناطقات ولطائف متحركة وان لتلك الحركات نغمات متناسبات مفرحة لنفوسها ومشوقة لها الى فوقها كما يوجد في طباع الصبيان اشتياق الى أحوال الآباء والامهات وفي طباع المتعلمين والتلامذة اشتياق الى احوال الاستاذين وفي طباع الجنود والخدم اشتياق الى احوال الملوك والرؤساء . وفي طباع العقلاء والفضلاء اشتياق الى أحوال الملائكة وتشبه بهم كما قيل في حد الفلسفة انها تشبه بالاله بحسب طاقة الانسان

وقد قيل أن فيثاغورث سمع بصفاء جوهره وذكاء قلبه نغمات حركات الافلاك وأصوات حركات الكواكب واستخرج بجودة فكره أصوات نغمات الموسيقى وأوضاع ألحانها المطربة وهو أول من تكلم في هذا العلم وخبر عن هذا السر من الحكماء ثم نيقوماخس وبطليموس واقليدس وغيرهم من الحكماء تصرفوا في ذلك واتقنوا كما ينبغي

وقد ذكرنا في هذا المعنى واستقصينا البيان باقامة الدلالة عليه في رسالة الموسيقى فقد بان بما ذكرنا وتحقق بما وصفنا ان السماوات عامرة بأهلها مسكونة ولسكانها أصوات ونغمات والاصوات والنغمات والحركات التي هي أعراض تحدث من حركات الاجسام الحيوانية وغير الحيوانية انما تظهر وتبرز بحسب بروز تلك الاصوات في ذلك العالم

وهكذا أيضا تتبع هذه الحركات الجزئية تلك الحركات الكلية . وهذه حركات ناقصة وتلك حركات كاملة وهذه حركات فانية وتلك حركات باقية صالحة وتلك الحركات والاصوات والنغمات كلها مفهومة وهذه غير مفهومة وتلك مستوية وهذه غير مستوية

والعلة في ذلك صفاء هيولى تلك وكدر هيولى هذه ، وهيولى هذه فانية فاسدة وتلك باقية صالحة وتلك الحركات مكائل الدهور النفسانية ، وهذه مكائل الاوقات الزمانية . وهذه مركبة وتلك بسيطة وهذه فيها اختلاف وتغيير وتلك لا اختلاف فيها ولا تغيير والنغمات اللذيذة والاصوات الطيبة في هذا

العالم قليلة الوجود معدومة على الحال الا كثر يتخصص بها الملوك والكبار ويتنافسون فيها ويكثر غير المخصوص بها لشرفها وجلالتها فى النفوس

ولذلك صارت النفوس الجزئية اذا سمعت نغمة طيبة وصوتاً حسنا تنجذب اليه وتصبو نحوه وتنصت اليه أسماعها لقلته وكثرة أضداده من الاصوات المنكرة وهكذا ميلها الى الصورة الحسنة والاشخاص المليحة لقلتها وكثرة اضدادها فلذلك صارت المستحسنات مرغوبا فيها محبوبة لكثرة التنافس فيها ولقلة وجودها

فأما ذلك العلوي فكله روح وريحان ونغمات لذيذة والحان طيبة وصور حسان وهو مسكن الحور والولدان وسرور وخير معرى من الشوائب المنغصة والاخلاق الموحشة

فلذلك قيل انه لا يصل الى هناك الا من حسنت أفعاله وزكت أعماله فيكون ذلك معيناً له على الارتقاء الى هناك واللحاق بذلك العالم الفاضل الشريف الكامل ، ولذلك قيل حسن الصوت زيادة في الرزق ، وقيل سماحة الصوت نصف الزمانية

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان من لدن فلك المحيط الى منتهى فلك القمر اصوات مرتفعة وألحان مطربة ونغمات لذيذة ولغات مختلفة وحركات مؤتلفة ناطقة كلها بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد فقد بان لك بهذا الوصف معرفة الاصوات الفلكية والحركات السماوية . وسنذكر بعد ذلك الاصوات الارضية والنغمات السفلية

﴿ فصل ﴾

في معرفة اصول الاصوات الارضية

فنقول اعلم ان اصل الاصوات هوما حدث من تصادم الاجرام وحركات الاجسام والصوت قرع يحدث من الهواء اذا صدمت الاجسام بعضها بعضا

فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتا بأى حركة تحركت ولاى جسم صدمت ومن اى شىء كانت وهذه الاصوات تنقسم قسمين حيوانية وغير حيوانية والحيوانية تنقسم اقساما وتتفرق اجناسا على حسب اختلاف الحيوان فى اجناسها وتباينها فى اصواتها . وسنأتى على بيان ذلك فى موضعه ان شاء الله والاصوات التى هي غير حيوانية ايضا تنقسم قسمين وتوجد فى نوعين وذلك انها طبيعية وآلية فالطبيعية كصوت الرعد والريح والبرق وكصوت الاجسام التى لا ارواح فيها كالجمادات ومثل صوت الحديد والحجر والخشب وما اشبه ذلك. والالية هي الاجسام الصناعية كصوت الطبل والبوق والزمر والوتر والمناقر وجميع هذه طبيعية وآلية لايحدث فيها صوت ولا يسمع لها حركة الا من تصادم بعضها ببعض وامتزاج بعضها ببعض فانه لولا ان الزامر ينفخ في الناي والمغنى يحرك الوتر والناقر ينقر الحجر لم يوجد لذلك صوت ولا يسمع له حس.

وأما أصوات الرعد فقد قالت الحشوية انه للملك يزجر السحاب ويسوقه ويفرقه يمينا وشمالا وان الملائكة عن يمينه وشماله يسبحون بتسبيحه ويسكتون بسكوته . سبحانك هذا بهتان عظيم فلم يكن عند علماء هذه الطائفة الحشوية أكثر من هذا العمى ببصيرتهم وقلة عقلهم وتمام جهالتهم

وقال غيرهم ممن يدعى معرفة علم الهيئة انه يحدث من تصادم السحاب واصطكاك الغيوم وهذا خطأ لان السحاب جسم منعقد من البخار يتصاعد من الارض لطيفا ثم يتكاثف من التئام بعضه الى بعض وهو جسم لا صوت له

وقال آخرون هو الريح يخرق السحاب والريح اذا خرق السحاب فرقه وقطعه ولم يحدث من بينهما صوت

بقي القول في الصواب وهو ان يطلع البخار بلطافته حتى يتعلق في عنان الهواء وهو على ضربين رطب ويابس فاذا اجتمعا وتكاثفا امتزجا وتعاقدا فعقد البخار الرطب مع البخار اليابس بقوة كثافته وشدة رطوبته ولا يكون له منفذ الا بشدة شديدة فيجتمع بقوته ويخترق الهواء بلطافته فيحدث منه ذلك الصوت

على قدر كثرته وقلته وربما طلب العلو فلم يكن له منفذ فانعكس البخار اليابس فطلب السفل فقدح ناراً أو يحدث منه صوت هائل وهو الذي يسمى الصاعقة كما يحدث من الزق المنفوخ اذا وقع عليه حجر ثقيل من شاهق وشقه وخرج منه الهواء الذي كان فيه دفعة واحدة وحدث منه صوت هائل،وهوالذي يسمى صاعقة يسمعه من بقرب تلك البقعة وربما يتحول ذلك البخار فيصير ريحا يدور في جوف السحاب ويطلب الخروج منه ويسمع له دوي وقرقرة كما يسمع من أجواف الحيوان والانسان من الريح التى تحدث فى الجوف من جهة المأكول الذى يحدث فيه

فصل

ثم اعلم انه لولا العناية الالهية والسياسة الربانية ورحمة الله تعالى بخلقه ورأفته بعباده بأن جعل كرة النسيم عالية عن كرة السحاب، مرتفعة بعيدة من الارض بمقدار الحاجة وجعل من شأن السحاب انه اذا انخرق طلب الصعود الى فوق ومن شأن قرع الهواء اذا حدث أن تكون حركته الى فوق،ولولا ذلك لكانت أصوات الرعد ولمعان البرق تضر بمسامع الحيوان وأبصارها ولاهلكتها كما يكون ذلك في بعض الاحايين

وذلك ان السحاب اذ تزاحم ودفع بعضه بعضا حتى ينضغط فينتقل من قرب الارض وتحدث منه الرعود وتنخرق السحب من أسفل فيحدث من ذلك قرع في الهواء وتدافع منحط في الارض فيكون من ذلك صوت هائل يسمى صاعقة وتقتل كثيراً من الحيوان الذي يقرب من ذلك المكان وربما أحرقت بعض الاجسام الرخوة لأنها نار لطيفة

وأما الاجسام الصلبة فانها قل ماتفعل فيها وقد ذكرنا طرفا من هذا فى رسالة الآثار العلوية ولولا خروجنا عما له قصدنا لشرحنا ذلك شرحا تاما كاملا

ثم اعلم انه كما لايجوز في العقل أن يكون حيوان الا من مماسة أسباب

أو نكاح أجسام كذلك لاتوجد الاصوات الا فى الاجسام ولاتصوت الاجسام الا بحركات .

ثم ان الاصوات اعراض حادثة والجواهر أجسام حاملة لها فان زعم زاعم أو اعترض معترض فقال انه قد توجد أصوات فى غير اجسام ومن غير حركات الاجسام ، وذلك انه اذا تكلم متكلم في سفح جبل أو صاح فى قعر بئر أو نهر اجابه مجيب بمثل كلامه يسمع المتكلم جوابه من غير جسم ولا حركة جسم

وقد يرى أيضاً حيوان يتكون من غير نتاج ولا نكاح مثل دود الخل وسوس التمر وما يتكون من العفونات ومن النداوات وما أشبه ذلك.

فليعلم هذا المعترض وهـذا القائل انه ليس القول كما زعم فانه جاهل بهذه الاشياء وبهذه الاسباب الموجبة لحدوثها منها وكونها عنها فغلط فيما رأى من موجوداتها وكان قليل المعرفة بمعلوماتها وانه لما سمع الصوت من الجبل والبئر ظن بانه اجابه بجوابه ورد عليه بكلامه إما من حيوان لايراه وشيء لايعاينه أو ان الجبل نطق بجوابه وقعر البئر رد كلامه فهذا تخيل من لاعقل له ولا معرفة عنده . فالصوت الذي يسمعه انما هو صوته والحركة التى بدت منه في الهواء وذلك انه صاح في سفح الجبل وقعر البئر الى جانب الحائط فخرج من جوف المتكلم شكل كروي ونقش عرضى يأخذه الهوء الى أن يؤديه الى ذلك الموضع فيصادفه مايمنعه من النفوذ والانتشار فيرتد راجعاً فيسمع منه ذلك الصوت وهو الصدى وسنأتى على شرح ذلك كما ينبغي في موضعه

فصل

واعلم أن الاصول في أصوات ذوات الأصوات ان معرفتها تكون بمعرفة الطبائع الاربع التى هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاركان الاربعة المعلومة وكيفية استحالة بعضها الى بعض وامتزاج بعضها ببعض فى الازمان والاماكن ومايحدث منها في البقاع والمعادن . فمن بحث عن ذلك بفكره ونافذ

بصيرته وجودة تأمله وثاقب نظره علم ان الاركان الاربعة لها جهات أربع من الشرق والغرب والشمال والجنوب.

ولهذه الجهات أوتاد أربعة وهي الطالع والغارب ووتد تحت الارض ووتد وسط السماء . وهذه الاسباب الاربعة ممثلة على حدود أربعة ترجع الى سبب واحد . ولمعرفة هذه الحدود أقوام اذا سألتهم عنها عرفوك واذا قصدتهم أرشدوك فان الكائنات التي هي من استحالة هذه الاركان اربعة انواع :

فمنها حوادث الجو والتغيرات الهوائية والكائنات منها مثل الرياح والامطار والرعد والبرق والثلج والهالات والشهب وذوات الاذناب واحمرار الشفق والنيران الحادثة في الافق

ومنها الكائنات التي في باطن الارض كالبخار المحتقن هناك والهواء المنحصر وما يحدث من الزلازل والرجفات والخسف والهدأت وما قد احكمته الطبيعة في باطن الارض وأسخنته ببخارها وطبخته بنارها من مائع وجامد وكاين وفاسد مثل معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزيبق والكبريت والنفط والملح والشب والزاج وسائر المعدنيات الذائبة والجامدة وهذا علم معرفة كثيرة الفائدة

وقد ذكرنا طرفا في رسالة المعادن ومنها الكائنات على وجه الارض التي تسمى النامية وهي على ضربين نام بالقوة وهي سائر النبات ونام بالحياة وهو جميع الحيوان وكون جميع الحيوان على ضربين «نتاج وتكوين» فالنتاج من مماسة الاجسام الحيوانية بعضها لبعض

وقد ذكرنا في رسالة الحيوانات المتكون منها بغير مماسة ما هو من امتزاج الطبائع بعضها ببعض وهو النكاح الاول وهو الاصل فاذا امتزجت الطبائع ونكحت بعضها بعضاً نكاحاً طبيعياً أخذت القوة المنفعلة عن القوة الفاعلة بمقدار هيولى ذلك المكان وما في هيئات ذلك الزمان مما يسهل قبوله فيحدث من بينهما حيوان

والدليل على ذلك ان مافيه طبيعة واحدة لايحدث منه حيوان وسائر الاجسام الصلبة لايوجد فيها حيوان لامتناع الهواء أن يتخللها وكل مكان لايدخله الهواء لايوجد فيه حيوان وانما الهواء يجمع بين قوى الطبائع ويؤلف بينها ويحركها حركة الاختلاط والامتزاج ويكسبها النداوة والعفونة والتحليل والتركيب ويكون الحرارة فيلقح ذلك المكان ويقبل العفونة من الهواء ، فتتحد الطبيعة بالطبيعة وتختلط القوتان فيكون البخار الحار اليابس كالذكر والبارد الرطب كالانثى واجتماعهما كالنكاح فيحدث من بينهما حيوان

وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن إذ يقول «وأرسلنا الرياح لواقح» الرياح هاهنا فاعلة والاصل في هذه الكلمة موضوعها في اللغة العربية على ما اجمع عليه النحويون ملاقح فيصير هاهنا على القلب والتبديل، والعرب تقلب الشيء الى الشيء وتبدل وتقدم اذا كان المعنى مفهوما وكان المخاطب به يفهم من المخاطب والدليل على انها ملاقح قولهم في اللغة لقحت الارض والنخلة فهي لاقحة والجمع لواقح فجعل لفظة الفاعل هاهنا لفظة المفعول على القلب كما قال تعالى ماء دافق وانما هو مدفوق لان الرباعي الذي اسم الفاعل منه مفعل والثلاثي الذى اسم المفعول منه فعيل وقد يكون الفعيل مرة للفاعل ومرة للمفعول والمعنى يدل عليه كقولك قتيل وجريح وصريع اذا أردت المفعول وكريم ورحيم وعليم اذا أردت الفاعل

وكذلك تجدها في حكم الطبيعة ان الرياح هي الملقحة للشجرة وغيرها فقد تبين اذاً كيف يكون ذلك من الممازجة والاختلاط وبطل أن يكون من غير ممازجة وقولنا نكاحا طبيعياً انما هو على المجاز يعنى به امتزاج الطبائع بعضها ببعض فقد أقمنا الدليل على انه لاحيوان الا من نكاح ولاصوت عرضي الا من جوهر ، ثم نرجع الى الاصل في الاصوات

فصل

ثم اعلم أن الاصوات على ضربين مفهومة وغير مفهومة فالمفهومة هي الاصوات الحيوانية وغير المفهومة أصوات سائر الاجسام مثل الحجر والمدر وسائر

المعدنيات ، والحيوانات أيضاً على ضربين : منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هي أصوات الحيوانات غير الناطقة وهي نغمات تسمى أصواتاً ولا تسمى منطقاً لأن النطق لا يكون الا في صوت يخرج من مخرج يمكن تقطيعه بالحروف التي اذا خرجت عن صفة الحروف أمكن اللسان الصحيح نظمها وترتيبها ووزنها فتخرج مفهومة باللغة المتعارفة بين أهلها فيكون بذلك النطق الامر والنهي والاخذ والاعطاء والبيع والشراء والتوكيل وما شاكل ذلك من الامور المخصوصة بالانسان دون الحيوان فهذا فرق ما بين الصوت والنطق

فأما مخارجها من سائر الحيوان فانها من الرئة الى الصدر ثم الى الحلق ، ثم الى الفم ثم يخرج من الفم شكل على قدر عظم الحيوان وقوة رئته وسعة شدقه وكلما اتسع الحلقوم وانفرج الفكان وعظمت الرئة زاد صوت ذلك الحيوان على قدر قوته وضعفه

وأما الاصوات الحادثة من الحيوان الذي لا رئة له مثل الزنابير والجنادب والصرصر والجدجد وما أشبه ذلك من الحيوانات فانه يستقبل الهواء ناشراً جناحيه فاتحاً فاه ويصدم الهواء فيحدث منه طنين ورنين يشبه صوتا

وأما الحيوان الاخرس كالحيات والديدان وما يجرى هذا المجرى فانها لا رئة له وما لا رئة له لا صوت له

وأما الحيوان الانسى فأصواته على نوعين دالة وغير دالة فأما غير الدالة فهي صوت لا هجاء له ولا يتقطع بحروف متميزة يفهم منها شيء مثل البكاء والضحك والسعال والانين وما أشبه ذلك

وأما الدالة فهي كالكلام والاقاويل التي لها هجاء في أي لغة كانت وبأي لفظ قيلت

وكل هذه الاصوات مفهومها وغير مفهومها ، حيوانها وغير حيوانها ، انما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجرام وعصر حلقوم الحيوان . وذلك أن الهواء لشدة لطافته وصفاء جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام

كلها ويسرى فيها ويصل اليها ويحرك بعضها الى بعض فاذا صدم جسم جسما انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروى يتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج

وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت قوة ذلك الصوت الى أن يسكن . ومثال ذلك اذا رميت فى الماء الهادىء الواقف في مكان واسع حجراً فيحدث في ذلك الماء دائرة من موضع وقع الحجر فلا تزال تتسع فوق سطح الماء وتتموج الى سائر الجهات وكلما اتسعت ضعفت حركتها حتى تتلاشى وتذهب

فمن كان حاضراً في ذلك الموضع أو بالقرب منه من الحيوان سمع ذلك الصوت فيبلغ ذلك التموج الذي جرى في الهواء الى مسامعه ودخل صماخه وتحرك الهواء المستقر في عمق الاذنين بحسب القوة السامعة بذلك التموج والحركة التي تنتهى الى مؤخر الدماغ

ثم يقف فلا يكون له مخرج فيؤديه الى الدماغ ثم يؤديه الدماغ الى القلب فيفهم القلب من هذه الحاسة ما أدته اليه من ذلك الحادث . فان كان صوتاً مفهوماً يدل على معنى توجهت المعرفة بذلك وان كان غير مفهوم فانه لا بد ان يستدل بصفاء جوهره على ذلك الصوت ومن أى جوهر حدث وعن اي حركة عرض وهو يستدل على ذلك من ماهية الصوت وكيفية التموج والقرع والحركة الواصلة الى حاسة السمع

ومثال ذلك طنين الطاس فانه اذا سمعه الانسان قال هذا طنين الطاس حدث من قرع شيء آخر أصابه . أما من جهة حيوان أو حدوث شيء وقع عليه من غير قصد ولا تعمد

وكذلك صوت الحديد والذهب والفضة وغير ذلك فان أصواتها اذا حدثت تكون مختلفة بحسب اختلاف جواهرها وتباين طباعها من الصلابة والرخاوة واللين واليبوسة ومثالها فى ذلك مثال أصوات الحيوانات فكلما كان فى نفسه أمثل ورئته أقوى كان صوته أعظم وأبعد مسافة في الهواء لشدة حركته

وكذلك ما كان من الجواهر المعدنية أشد صلابة وأكثر يبوسة كان أرفع طنيناً وأشد تصويتاً فاذا اتفق ان يكون مصنوعاً لذلك والقصد منه التصويت والطنين مثل الجلاجل والطرجهارات للحصون التي تستعمل على الاسوار والثغور فان أصواتها وطنينها يمكث في الهواء على قدر اتساع تلك الاواني وضيقها وصوت النحاس خفيف صاف ليبسه وصلابته وقوة الحرارة فيه ولا يمكن أن تتخذ من الرصاص آلة الطنين والتصويت كما يتخذ من النحاس. والحديد اذا خالط النحاس كان له أيضاً تصويت وطنين والذهب له صوت يختص به يشابه طبيعته وله طنين يسير وهو معتدل الحرارة لين الطبيعة قد تساوت فيه أجزاء طبائعه والفضة دون ذلك وهي أشف من الذهب وأحسن صوتاً منه اذا نقرت . كذلك الرصاص لا صوت له كصوت النحاس والحديد وذلك لغلبة الاجزاء الارضية عليه وكثافة جسمه وصوته يشاكل صوت الحجر وما بينهما. وعلى هذا المثال وجد منطق الانسان على الاعتدال لا بالجهير الخارج عن الحد كصوت الاسد وصهيل الفرس ونهيق الحمار وما شاكل ذلك ولا صامت كصوت السمك ولا خفيف كخفوت أصوات كثير من الحيوانات لكنه متوسط بين ذلك

ومن أراد ان يكون له صوت طويل يمكث في الهواء فليتعمد ذلك ويجتهد في جمع الهواء حتى يكون ارساله بحسب ما اجتمع فيه فيدرك بذلك ما يريد وان تأذى وتألم وانما كان صوته متوسطا لتوسط طبائعه واعتدالها مثل ما اعتدلت طبيعة الذهب وكان أشرف الجواهر الذائبة بالنار

وكذلك الانسان أشرف الحيوانات المتحركة بالحياة. وللنبات أصوات منها ما كان أشد صلابة وأكثر اجتماعاً ولا طبيعة لها كبقية الاصوات اذا قرع انقرع كالساج والابنوس وما شاكلها . وما كان يتخلل جسمها ضعيف الحرارة كخشب التين والجميز وما شاكل ذلك يكون أضعف صوتا اذا قرع وتحرك

بجسم يحدث في الهواء من قوة حركة المحرك وكون ذلك الصوت عن المصوت وما هو مجبول عليه من طبيعته . وبحسب قوته يكون اتصال ذلك الحادث في الهواء بمسامع الحيوان من الانسان وغيره فالانسان اذا سمع صوت الخشب والحديد والماء والريح امكنه ان يخبر عن صوت كل واحد منها وينسبه الى ماحدث عنه وخرج منه . والحيوان لايعرف ذلك ولا يمكنه ان يعبر عنه ويفصل كما عبر الانسان بقوة النطق والبيان عما سمع. وبهذا فضل الانسان على غيره من الحيوان. وكذلك يجري حاله في حاسة السمع فانه من جهة الهواء يتصل به ذلك ويخبر عن كل رائحة بما هي به وينسبها الى الذي فاحت منه وكذلك يخبر عن حاسة اللمس اذا لمست الاجسام وعرفت الحاسة ما كان رطبا ويابسا وحارا وباردا ولينا وخشنا وما شاكل ذلك

واما حاسة البصر فانما تحتاج في معرفة محسوساتها الى حواس أخر لأنها ربما كذبتها محسوساتها مثل ما ترى الكبير صغيراً لبعد ما بينها وبينه من المسافة والصغير كبيراً في الأرض الواسعة والمستوى معوجاً كالجزاف في الماء وما شاكل ذلك

فصل

ثم اعلم أن منتهى كل حاسة الى القلب مقرها ، وعنده مؤئلها ولكل حاسة محسوسة مختصة بها مجعولة لها ، لا تتعداها ولا تتعرض لسواها فالبصر مختص بالنظر والاذن مختصة بالسمع والفم مختص بالذوق والانف مختص بالشم وكل حاسة من هذه الحواس تؤدي محسوساتها الى القلب ويفهم منها حاسة القلب ثم ان قوة حاسة القلب اذا أدركت من الحواس شيئاً وقبلته منها أدته الى العقل ليدركه

ولو لا قوة حاسة القلب لبطلت هذه الحواس كما أن الاكمه الذي يولد كذلك لا يمكنه أن يتصور السماء ولا موضعها من الجهات لانه لم ير جهة فتؤديها

الحاسة الناظرة الى حاسة القلب المناسبة لها لأن حاسة البصر تؤدي آثار محسوساتها الى قوة عاقلة مناسبة لها حافظة لما يؤدى اليها ولذلك قال تعالى « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور » وقد بينا في رسالة الحاس والمحسوس شيئاً من هذا بغير هذا الشرح

ثم اعلم ان القلب في الجسد مصور على صورة الانسان ولذلك صار أفضل الاعضاء التى في اجسام الحيوان وذلك ان له بصيرة يبصر بها ما غاب من حاسة النظر من خارج وله مسامع يدرك بها الاصوات ويؤدى الى حاسة السمع ما يدركه بها وله حاسة اللمس فهو يتشوق الى محسوساتها اذا فقدها مثل ما يشتاق العاشق عناق معشوقه والتزامه

وكذلك الاكمه لا يتصور بقلبه صور الاشياء لان حاسة البصر لم تؤد الى الحاسة المختصة بالقلب شيئاً فتبقى تلك الحاسة فارغة معطلة مغلقة الباب لا يطرقها طارق فيكون لها به معرفة . ولكل حاسة من هذه الحواس مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهي لا تخطيء في المدركات بالعرض

مثل ذلك البصر فان المبصرات له بالذات هي: الانوار والضياء والظلم

فأما ادراكها الالوان فان ذلك بتوسط النور والضياء. وأما سائر الاجسام وسطوحها وأشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها فهي بتوسط الالوان لان كل جسم لالون له لا يرى ولا يدرك البتة والمحسوسات التى له بالذات لاواسطة بينها وبينه في ادراكها لانه لا يحتاج البصر فى ادراك الضياء والنور الى شيء آخر ولا في ادراك الظلمة أيضا وصار بينه وبين النظر الى الالوان واسطة واحدة وهي النور وصار بينه وبين ادراكه كيفية الاجسام وأسبابها النور والالوان ، وكلما كثرت الوسائط بينه وبين النظر كان الخطأ فيه أكثر واحتاجت الحاسة فيه الى دليل آخر يحقق نظرها ويصدق خبرها

من ذلك السراب فانه آخذ من لون الماء بياضه ومن الضياء اشراقه فحار فيه النظر وحال البعد فيما بين النظر وبينه عن الحكم عليه بما هو به فظنه ماء . فلما

جاءه لم يجده شيئاً وكالمجزاف الذى هو غائص في الماء فان البصر لا يدركه الا معوجاً لأنه قد زاد فيما بينه وبينه واسطة أخرى وهي الماء وكذلك مايكون في الماء من الاشياء فان البصر لا يدركها على ما هي به

وكذلك حال الشيء البعيد فان الوسائط بينه وبين البصر كثيرة وهى الضياء والهواء وكلما بعد ازداد في الصغر والتلاشى في البصر الى أن يغيب

وأما حاسة السمع فانها لاتكذب وقلما تخطيء وذلك لانه ليس بينها وبين محسوساتها الا واسطة واحدة وهى الهواء وانما يكون خطؤها بحسب غلظ الهواء ورقته وذلك انه ربما كانت الريح عاصفة والهواء متحركا حركة شديدة فيصوت المصوت في مكان قريب من المسامع فلا يسمع من شدة حركة الهواء وهيجانه فتكون حركة ذلك الصوت يسيرة فى شدة حركة الهواء وهيجانه فيضعف عن الوصول الى الحاسة السامعة

واذا كان الهواء ساكناً وصل ذلك الصوت الى الحاسة اذا كان فى مكان يمكن ان يتصل به ذلك التموج والحركة الحادثة فى الهواء

فأما اذا كانت المسافة بعيدة فانها لاتدركه وتتلاشى تلك الحركة وتنفد قبل وصولها اليها

وهكذا حاسة الشم فانها تدرك من ذلك بحسب غلظ الهواء ورقته وسكونه وحركته وذلك انه اذا كان الهواء غليظا فانه قل ماتجد الروائح في الجهات وقل ماتسري فيه ، واذا كان صافيا رقيقا والمسافة قريبة فانها تتصل بمشام الحاضرين واذا بعدت تفرقت تلك الروائح فى الجهات ولم يدرك شيء منها ، وأما قبول الهواء للاصوات والروائح فاني أشرحه لك بعون الله

فصل

ثم اعلم أن جميع الجواهر تختلف في أنواعها وتتباين فى عناصرها وتركيبها وكل جوهر هيولاني يكون الطف جوهراً وأشد روحانية وأعم خاصية وانه

يكون لقبول الصورة وحمل الاعراض أسرع انفعالا وأسهل قبولا من غيره

مثال ذلك الماء العذب لما كان الطف جوهراً من الماء المالح وأصفى صار لقبول الطعوم والاصباغ أكثر قبولا . ولا بد انه للحيوان أكثر امتزاجا ومخالطة وأكثر نفعاً وصلاحاً وبذلك صار حياة الاجسام ومادة الحيوان والنبات

وهكذا لما كان الضياء الطف من الهواء صار قبوله الألوان والاشكال أسرع انفعالا وأشد روحانية وبساطة والطف سريانا.

وكذلك جوهر النفس الطف وأشد روحانية من جوهر النور والضياء والدليل على ذلك قبوله رسوم سائر المحسوسات والمعقولات جميعها. فلهاتين العلتين صار الانسان يقدر بالقوة المتخيلة أن يتخيل ويتوهم مالا يقدر عليه بالقوى الحاسة لان هذه روحانية وتلك جسمانية ولانها تدرك سائر محسوساتها في الجواهر الجسمانية من خارج والقوة المتخيلة انما تتخيلها وتتصورها في ذاتها والدليل على ماقلنا أفعال الصناع البشريين

وذلك أن كل صانع يبتديء ويفكر ويتخيل ويتصور في وهمه صورة مصنوعة بلا حاجة الى شيء خارج عنه فاذا أراد اظهار مافي نفسه الى الفعل عمد الى هيولي ما ، في مكان ما، في زمان ما، فيتصور فيها ما كان متصوراً في ذاته بادوات ما وحركات ما

وذلك ان كل حيوان لايبصر فهو لايتخيل الالوان العرضية والاجسام الجوهرية . وما لاسمع له لايتصور ولايتخيل الاصوات الكلامية ولا يتوهم الالفاظ المنطقية

فأما الانسان الصحيح التركيب ،السالم الحواس فانه لما كان يفهم الكلام، صار تمكنه أن يتخيل المعنى اذا وصفت . و الغرض من الكلام تأدية المعنى وكل كلام لامعنى له فلا فائدة للسامع منه والمتكلم به وكل ، معنى لايمكن أن يعبر عنه بلفظ مافي لغة ما فلا سبيل الى معرفته وكل حيوان ناطق لايحسن أن يعبر عما في نفسه فهو كالعدم الزائل والجماد الصامت

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان المعاني في الكلام كالارواح، والفاظها أجساد لها، فلا سبيل الى قيام الارواح الا بالاجساد ، والكلام ضربان: مفيد وغير مفيد والفائدة واقعة في الاخبار من جهة المجهول والمجهول هو المخبر عنه والخبر دال وغير دال والخبر هو كل قول جاز تصديق قائله فيه وتكذيبه لغيبته عن العيان أو لمضيه عن الزمان ووصفه انه مسموع من قائله مثل مخبر أن مدينة كذا عامرة بأهلها وان فلاناً الذي مات كان من أمره وصفته كذا فقد جاز لمن يسمعه أن يصدقه وأن يكذبه لغيبة ما ذكره من أمر المدينة عن العيان وغيبة المائت في الزمان

وأيضا فان الاخبار على ثلاثة أقسام اما عن ماض من الزمان اوعن غائب عن العيان أو عن موجود في زمان ومكان وامتحان ذلك بكان ويكون وكائن فكان الزمان ماض ويكون لزمان آت وكائن لما هو موجود في الحال وكل هذه الاقسام تدخلها الموجبة والسالبة والموضوع والمحمول. وهذه أقسام الخبر وهو أيضاً غير خارج من معان ثلاثة واجب وجائز وممتنع فالواجب والممتنع معروفان مستغنيان عن الدلالة على أحوالها في الصحة والفساد

مثال ذلك اذا سمع رجل قائلا يقول الارض تحتي والسماء فوقي فانه لا يشك في صدقه ولا يحتاج الى اقامة دليل على ذلك

وهذا وان كان كلاما مستقيما لا يستغنى عن الدليل على كذبه فانه ما لا يقع منه فائدة ولا فائدة أيضاً في قوله ولا في سماع ذلك ولا يعد هذا من المتكلم به فضيلة بل ربما من هجو قوله

وكذلك لو سمع قائلا يقول اني قد حملت الجبل وخضت النار ورأيت شجرة على سطح البحر نابتة فانه لا يشك في كذبه وبطلان قوله فهذا القسم الممتنع

وأما الجائز أن يكون صدقا وأن يكون كذبا فهو الذي يجب أن يطلب الدليل عليه والفائدة واقعة فيه وبه يستفيد السامع وعنه يسأل السائل والمعنى الذي به يوصل الى علم الحقيقة ما كان عند الاخبار ممكنا أن يكون صدقاً أو كذباً

وهو ان يكون متيقناً عند من بلغه عنه الكذب والصدق يقيناً ويعلم ان ذلك ثابت بحيث يثبت عليه نظر أهل العقول كمعرفة من أخبر بعمارة المدينة أو حال الميت بما وصف به المخبر عنه فقد صار كذب المخبر منفيا وعند من تقدمت عنه صحته . وكذلك ما حكمت عليه العقول وقضت به البراهين عند العارفين فانهم يعرفون ما غاب كعلم ما حضر ويصير الدليل والبرهان كالمثال لان المثال صورة المخبر عنها المدلول بصفاتها على معنى الخبر فاعلم ذلك

﴿ فصل ﴾

في معرفة أصل الصوت وعن الاجسام التى في الابتداء
دون فلك القمر قبل خلق الانسان والحيوان

فنقول معولين على الله تعالى بأنه لما خلق الله السموات بمشيئة واتقنها بصنعته ورتبها بحكمته وجعل الارض بساطاً تحتها وخلق الهواء فسحة فيما بين السماء والارض ثم ارسله يميناً وشمالا على وجه الارض ويسرى على البحار ويحركها ويموجها كان كالارواح السارية في الاجساد فأقام الهواء على تلك الحال والسريان في الجهات الاربع يخالط البحار بالتراب ويمزج الطبائع بعضها ببعض كما ذكر اولا في هذه الرسالة فتحدث بحركته أنواع الاصوات والصفير والطنين ومجاوبة الجبال وأصوات أمواج البحار وهبوب الرياح في الفلوات والقفار فتكونت المعادن في البقاع المخصوصة بكونها فيها وانعقد البخار وارتفعت الانداء وتراكمت الغيوم وارتفعت الى آخر كرة النسيم وتعلقت تحت كرة الزمهرير وعصرها وهيج الاثير واستولت الكواكب المائية فأرسلت الامطار على وجه الارض ولحقها الهواء وسرى عليها وأشرقت الكواكب بأنوارها ولحظتها الشمس وسرت فيها قوة النفس النامية وكان أول ما ابتدأ على وجه الارض بالنمو والزيادة على سطحها صورة النبات وقامت على تلك الحال والارض ليس فيها الا البحار والجبال والنبات والاشجار على ماذكره بعض العلماء ثلاثة آلاف سنة والرياح

تهب عليها والاصوات الهوائية تجيب بعضها بعضاً والنفس سارية في الهواء متصلة بقوة النور والضياء تدبر الامور الجسمانية وتؤلف الطبائع الجرمانية وروحانيات الكواكب متصلة بعالم الهواء فهم سكان الارض قبل آدم عليه السلام فلما تمت هذه المدة المقدرة بهذه الصفة وابتدأ الدور الجديد وأراد الله انشاء النشأة الثانية وابراز الصورة الانسانية خلق آدم وحواء من الطين واسكنهما الجنة الموصوفة وهي الياقوت فى ناحية المشرق وكان من امرهما ما كان وقد ذكر هذه القصة من أولها الى آخرها رجل من أهل فارس عالم بحساب النجوم بكتاب بين فيه هذه الامور ولو كان هذا ما قصدنا واياه ما اردنا لذكرنا منه طرفا ولكننا نشير الى بعض ذلك فلما فطر آدم وسواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وكان ظهور آدم وحواء بعد كون الحيوان وعمارة الارض وظهور الاقوات فيها على تمام أجناسها واستيفاء أنواعها وكان ظهور الحيوان بعد ظهور النبات وانبساطه على وجه الارض وعلوه عليها وكان أول بروز النبات بحذاء برج السنبلة وكان في وسط السماء والحيوان بحذاء الثور وآدم وحواء بحذاء الجوزاء من أرض المشرق ولذلك قيل للجوزاء ذات جسدين وكانت البداية من الحمل وقد حل فيه زحل وهو هابط فصار المركز مهيأ من الطين وكانا كثير دمظاماً وصار ثقيلا رزينا وصارت الجبال راسيات مستقرة وكان أول معدن انعقد في بطن الارض الاسرب ولذلك صارت الارض مقر الثقل ومستقر الكثائف من اجل زحل وكونه فى ذلك التقدير بمشيئة الله تعالى فاقام آدم وحواء والحيوان مدة ماذكر فى الكتاب من غير مماسة ولا التئام ثم الهم الله تعالى عطارد صاحب المنطق النطق ونطقت حواء وعلم الله آدم الاسماء كلها فصار يعرفها ويلقي على كل جنس وشكل ونوع وشخص من النبات والمعادن والحيوان وجميع المرئيات الاسماء والصفات ثم لم يزالا على ذلك حتى اكلا من الشجرة واهبطا من الجنة الى الارض مسخوطاً عليهما فاقاما في الارض مدة معلومة وكانا مع سائر الحيوانات يأكلان من ثمر الاشجار ويشربان

من ماء العيون والانهار الى أن سلم الحمل الدور الى الثور اذ هو أحد منافع الدنيا وسبب العمارة وهو بيت الزهرة وكانت حسنة الحال مستقيمة في مسيرها صاعدة في أوجها مشرقة أنوارها وكان في هذا الحد اجتماع آدم وحواء ومماستهما فحملت منه وكان ذلك ابتداء النسل وجرى حال الحمل على ما ذكرنا في رسالة مسقط النطفة فلما كثرت أولادهما تولى آدم تعليمهم وتأديبهم وتهذيبهم وعلمهم كيفية الحرث والزرع وازدواج الذكور والاناث وعمروا العالم وعاينوا الحيوانات وما تصنعه بعضها ببعض وما يطلب من منافعها فاقتدوا بها في أفعالهم وأيد الله تعالى آدم عليه السلام بوحيه والهامه لما تاب عليه بما يكون له به صلاح ولذريته فلاح وأقام على ذلك مدة ما أراد الله تعالى ، ثم نقله الى رحمته وخلفه من خلقه في ذريته واولاده ولم يزل الامر على ذلك وبنو آدم معهم والدهم يتكلمون بالسريانية وقال بعضهم بالنبطية ويفهم بعض عن بعض المعاني وما قصدوا وأرادوا . ووصفوا كل شيء بصفته الا انها لم تكن الحروف مجتمعة بعضها الى بعض ولا مؤلفة بالكتابة وانما كان آدم عليه السلام يعلمهم تلك الاسماء تلقيناً وتعريفا كما يعلم الاشياء ويعرف من لا علم له بالكتابة والهجاء ولذلك يقال لمن لا يكتب ولا يقرأ أمي وكان الخلق يحفظون تلك الاسماء والصفات عن السلف الى أن سلم الدور الثور الى الجوزاء وظهرت الكتابة من أجل انه بيت عطارد وشرف الرأس وهبوط الذنب وصارت الحروف في ذلك أربعة وعشرين حرفا وهي الكتابة اليونانية لانها قسمت لكل برج حرفين فصارت أربعة وعشرين حرفاً فقيدت تلك الالفاظ وكتبت الاسماء بالحروف على لغة أهل ذلك العصر

فانظر أيها الاخ الى هذه الحكمة الصحيحة والصنعة المحكمة المتقنة كيف تأتي بكل شيء في وقته المقدر وزمانه الميسر

وانظر كيف سرت هذه القوى التي هي الاصوات والنغمات أولا في عالم السماوات ثم في حركات الهواء ثم في حركات النبات ثم في اجسام الحيوان ثم في عالم الانسان .

فالصوت في الحيوان يسمى بأسماء مختلفة . مثل قول القائل : صهيل الفرس ، ونهيق الحمار ، ونباح الكلب ، وخوار الثور ، وزئير الأسد ، ونعيب الغراب وغير ذلك

وأما الصوت المخصوص به الانسان فانه يقال له كلام ولفظ متكلم كقول القائل فلان يتكلم بالعربية والفارسية والرومية وغير ذلك وسنأتي على شرحه وبيانه ونفرق بين الصوت والكلام

❊ فصل ❊

في الفرق بين الصوت والكلام

اعلم يا أخي أن الكلام هو صوت بحروف مقطعة دالة على معاني مفهومة من مخارج مختلفة وأبعد مخارج الحروف أقصى الحلق وهو مما يلي أعلى الصدر والصوت من الجسم في الرئة بيت الهواء كما أن أصل الصوت في العالم الكبير الذي هو بمنزلة انسان كبير، الهواء فيما دون فلك القمر والنفس في عالم الافلاك ، ولذلك توجد في الانسان الذى هو عالم صغير في الرئة وفي قوة نفسه معاني ما يدل عليه الصوت وكذلك الحركات والاصوات التي دون فلك القمر انما هي مثالات ودلالات على تلك الاصوات الفاضلة والحركات المنتظمة وتلك أرواح وهذه أجساد وأصل الاصوات في الرئة هواء يصعد الى أن يصير الى الحلق فيديره اللسان على حسب مخارجه فان خرج على حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعلم خبره وان خرج على غير حروف لم يفهم كان كالنهاق والرغاء والسعال وما أشبه ذلك فان رده اللسان الى مخرجه المعلوم في حروف مفهومة يسمى كلاماً ونطقاً بأي لفظة كانت على حسب الموافقة ومساعدة الطبيعة لكل قوم في اتساع حروفهم وسهولة تصرفهم في مخارج كلامهم وخفة لغاتهم بحسب مزاج طبائعهم وأهوية بلدانهم وأغذيتهم وما أوجبت لهم دلائل مواليدهم وما تولاهم من الكواكب في وضع أصل تلك اللغة في الابتداء الوضعي والمنهاج الشرعي وما تفرع من ذلك الاصل وما ينقسم من ذلك النوع

ثم اعلم أن أصل الاختلاف في اللغات انما هو لما كثرت أولاد بنى آدم وانتشروا في جهات الارض ونزلت كل طائفة منهم اقليما من أقاليمها وقطراً من أقطارها من الربع المسكون تولى كل قوم في وقت نزولهم ذلك الاقليم كوكب من الكواكب السبعة المدبرات فعقد لهم عقداً نشأ عليه صغيرهم ومات عليه كبيرهم

ثم اعلم ان الكلام الدال على المعاني مخصوص به عالم الانسان وهو النطق التام بأي حروف كتب والحيوان لا يشرك الانسان فيه من الجهات المنطقية والعبارات اللفظية لكن من جهة الحركة الحيوانية والآلة الجسمانية والحاجة فيها الى ذلك لأنك تجد كثيراً من الحيوانات تريد بأصواتها دفع المضار وجذب المنافع تارة لانفسها وتارة لأولادها مثل صياح البهائم اذا احتاجت الى الأكل ومنعت منه والى شرب الماء وزيدت عنه . ومثل استدعاء أولادها وما غاب عنها وماشا كل ذلك من الطيور التى تحاكى الانسان ومحاكاة القرد للانسان في جميع أفعاله وأكثر اعماله

فهذه الاشياء لما يريد الحيوان التطريب والتصويت والصياح لها ومن أجلها فانه لا يقال لها معان علمية وانما يقال لها ارادات طبيعية فأجساد الحيوانات مجبولة عليها وانما استدعاؤها اياها بالتصويت في بعض الاوقات اذا عدمتها وحيل بينها وبين ما تريد وقل ما يكون دالا بأصواتها على الامر الاعم ولا معنى لها ولا يعرف المراد منها ولا القصد كصياح الطيور في أكثر أوقاتها

منها ما يصوت بالليل ومنها ما يصوت بالنهار وكذلك الحيوانات أكثرها ولكن المراد بها منها كلها اجتماع الجنس وقيام الشكل الى الشكل وبحسب ما في كل شخص من اشخاصها من قوة الحرارة الغريزية وحركة النفس الحيوانية فان كل شخص أكثر حرارة وأقوى حركة وأحيى نفسا كان أكثر صوتا وأدوم كلاما في عموم الاوقات وما كان دون ذلك كان بحسب ما فيه وما هو مجبول عليه

وبالجملة ان الصوت الحادث بحركة نفسانية حيوانية فهو مخصوص به الحيوان وأما ما يسمع من الاصوات من غير الحيوان فانما يقال له قرع ووقع وطنين وصفير وزمير ونقر ودق وقرقعة كصوت البوق وضرب الدف والطبول والدبادب وما شا كل ذلك

فهذه المثالات لهذه الاصوات مخصوصة بما يحدث من حركات الاجساد الصامتة التى لا يحدث صوت وحس عنها الا بمحرك من غير جنسها يرفعها ويضعها وينقرها ويقرع بعضها ببعض فالمحرك لها اما بعمد وقصد كالانسان فيما يتخذه من هذه الآلات للتصويت بالحركة أو كحيوان يحدث ذلك بغير قصد كاحتكاك الدابة بالباب ودفعها للاناء وغيره فيحدث من تلك الحركة وذلك الدفع صوت أو من حركة الرياح والهواء للاجساد والنبات والاشجار وحفيف أوراقها واحتكاك قضبانها وسلوك الهواء بينها وسريانه بين الحيطان والبنيان وخرقه منافذ الجبال والغدران والكهوف فيحدث منه أنواع الصفير والتصويت وما يحدث من أصوات حوادث الجو ماقد ذكرناه مثل مايحدث من حركات المياه اذا انحدرت وتدافعت من أعلى الجبال الى بطون الاودية ومثل أصوات الدواليب والأرحية والطواحين والمجازيف وجريان السفن في البحر وجرى العجل في البر وكل ماء اذا تحرك أو تصرف فيه المحرك ظهر منه الصوت وقرع الهواء

فهذه كلها أصوات فما كان منها عن أجسام الحيوان قيل أصوات ونغمات وما كان منها عن حركة الهواء قيل صفير وزمير وما كان عن حركة الماء قيل دوي وخرير وأمواج وما كان من المعدنيات والاحجار والخشب قيل وقع وطنين ونقرة وماشا كل ذلك. وما كان من جهة الانسان قيل كلام ولفظ ومنطق بالجملة وعند التفصيل والتقسيم فكثرة الالوان والفنون مثل كلام الخطيب وانشاد الشعر وقراءة القرآن وماشا كل ذلك وينسب ذلك الكلام الى المعنى المقصود اليه به

فقد بان بما ذكرنا الفرق بين الصوت الحيواني والكلام الانساني ومايحدث من حركة الهواء ومايظهر من أجسام النبات والمعادن . واذا تأملت ذلك وميزته

بفكرتك وأعملت فيه رويتك ، رأيت تلك الحركات وسمعت تلك الاصوات والنغمات والمجاوبات وتبينت ان العبارات كلها تأدية عن النفوس الجزئية بما أمدتها النفس الكلية

وكذلك الحركات الكلية العرضية أصلها الحركة الذاتية وهذه أعراضها وتلك جواهرها وهذه فانية وتلك الحركات باقية لان مركز هذه سفلي ومقر تلك علوي وهذه منها فاضلة ومنها غير فاضلة وتلك فاضلة كلها وبعض هذه حي وبعضها ميت وتلك كلها حية وبعض هذه متكلمة ناطقة وبعضها مصوتة وتلك ناطقة كلها وبعض هذه أصواتها مفهومة وبعضها أصواتها غير مفهومة وتلك أصواتها كلها مفهومة وبعض هذه الاصوات دال وبعضها غير دال وتلك كلها دالة ومعاني هذه الاصوات مضمنة في حروفها وتلك كلها معاني وأهل هذه يحتاجون الى من يكشف لهم معانيها ويدلهم على مراميها وأولئك لا يحتاجون الى ذلك وهؤلاء يضجرون من الكلام ويملون وأولئك لا يضجرون وهؤلاء أكثرهم غير طيبي النغمة ولا لذيذي الصوت ولا حسنى الكلام. وأولئك كلهم طيبي النغمة ذوي ألحان لذيذة وبعض هذه الاصوات معكوس يشبه أصوات أهل جهنم وزفيرهم وشهيقهم كنعيق الكلاب ونهيق الحمار وزعقات البوم وصياح السباع وما يحدث في القلوب من الوحشة والنفور والفزع والرعب وما تضجر منه النفوس وما شاكل هذه الاصوات والمصوتات

ثم اعلم ان كل صوت يسمع فانما يخرج عن هيئة الجسم الذى يصوته بحسب قوته وصفاء طبيعته وغلظها ونحتاج هاهنا الى بيان ووضوح برهان ونحن نذكره بشرح مبين

فصل

ثم اعلم ان اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم وأصل الاختلاف في اللغات هو اختلاف مخارج الحروف ونقصها

عن تأدية ما يؤديه البليغ منها وقد زعم بعضهم ان فساد الكلام من فساد التركيب وفساد المزاج وليس هو كما زعم وانما هو من اختلاف مخارج الحروف في قوتها وضعفها وهو فساد في اللسان يقلب ويعدل الحروف عن مخارجها ولو كان من فساد المزاج لكانت اللغة كلها فى حرف واحد من مخرج واحد ولكانت ترجع الى الاستواء عند صلاح المزاج كما يحدث بالفصيح الكلام ، وضعف الصوت من فساد المزاج وغلبة بعض الطبائع واذا عاد الى الامر السالم عاد كلامه الى المعهود منه أولا واللغة ليست كذلك والناس فيها مختلفون وغير متفقين فى الحروف التى يقع الخطأ فيها والعدول بها عن استوائها الى خلافها وهي أعراض كثيرة تختص باللسان وتعرض فتفسد الكلام وهي زمانة لازمة مثل الخلسة والفأفأة والتمتمة والعقلة والحلكة والرثة واللثغة وما أشبه ذلك

واذا كان الكلام يثقل على الرجل قيل في لسانه خلسة واذا أدخل بعض حروف العرب في بعض حروف العجم قيل في لسانه لكنة واذا عجز عن سرعة الكلام قيل في لسانه عقلة والحلكة انما هي نقصان آلة المنطق وعجزها عن أداء اللفظ حتى لا يعرف معناه الا القليل وهو قريب من كلام البهائم والخرس ونحو ذلك

فصل في المعاني

فاما افهام المعاني فانها تفهم من الكل من الالكن والفصحاء، وانما يتفاضل الناس في البلاغة وهو عند الحشوية والعوام والنساء والصبيان حسن الصوت وحلاوة المنطق وصفاء الكلام

وليس كل من حسن صوته وصفا كلامه كان بليغاً في ابانة المعنى واقامة الدليل والحجة في ازالة الشبهة عن النفس الساهية وانتباه الجاهل عن رقدته واصحاء السكران من سكرته بالتذكرة والموعظة فان صاحب النغمة الطيبة والكلام الصافي ربما استعمل ذلك في الاغاني والملاهي

وسبب كل ذلك محبة اللذات الدنية والشهوات الحسية وما يتضمن

الـكلام من السخف والمجون وأمثاله فان معانيها لا حقيقة لها والـكلام بها انما هو تصويت وهذيان لاحق باصوات الحيوان والمجانين والسكارى والصبيان والنسوان ومن لاعقل لهم

وأصل المعاني انها المقالات المدلول بصحتها في الاخبار بهاعن معرفة حقائقها ومقاصد طرائقها وحد المعنى انه هو كل كلمة دلت على حقيقة وارشدت الى منفعة ويكون وجودها في الاخبار بها صدقا والقول عليها حقاً والاخبار على اربعة أقسام خبر واستخبار وأمر ونهي

وقد جعلها قوم ستة وآخرون عشرة وأصلها هذه الاربعة فثلاثة منها مالا يدخله الصدق والـكذب وواحد منها يدخله الصدق والـكذب وهو الخبر ويوجد فى ذلك السالبة والموجبة والممكن والممتنع

فصل

ثم اعلم ان جميع هذه المعاني وما يتعاقبها من مدح أو ذم ويدخلها من صدق وكذب وبلاغة وحصر فلابد من أن يقع على مسمى باسم من مدح أو ذم وكل مسمى باسم فيه مدح من سائر المعاني فهو واقع بين اثنين متضادين : عدل بين حاشتي جور فالعلم واقع بين أمرين إما علم مالايجب أو جهل مايجب فصار العدل بين حاشتين افراط وتفريط

وعلى هذا المثال الفهم عدل بين الاعتراف بما لا يمكن وانكار ما يمكن

واللب أيضاً عدل بين الحصر عن التفهيم والتراخي عن التوهم .والعزم عدل بين التهور والجبن ، والجود عدل بين التقتير والتبـذير والشـجاعة عدل بين الاقدام والاحجام

وعلى هذا المثال يقع كل اسم من اسماء القصد والحزم وكل وصف يستحق به صاحبه المدح وبازائه مايستحق عليه الذم

واعلم أن حقيقة مطالب معنى العدل بان تصرف فى فنون المسميات وتقسم

في وجوه العبارات وذلك ان القصد هو الذي لايجزي مادونه ولاينفع مافوقه فهو راجع الى معنى العدل الذي ماتقص عنه كان ضعفاً ومازاد عليه كان اسرافا

وكذلك الحزم أيضاً مالم يمل الى احدى حاشيتيه اللتين احـداهما الفشل والاخرى التهور ،وكذلك الحياء الذي طرفاه الفتور والقحة وكل يرجع من العدل الى انقباض بين ازدياد على حدة وانتقاص ويؤول الى انبساط منه وتفريط وافراط

فمن طلب العدل في جميع الصفات وجده متوسطا بين ضدين احدهما يتطرق دونه الى بخس ونقصان والآخر يتطرق فوقه الى افراط وعدوان والعـدل فى الطلب هو مالم يمل الى الالحاح في المسـألة ولا الى الابتهال والخضوع . والحر لايكون مهينا والـكريم لايكون لجوجا

ولهذا قيل القنوع خير من الخضوع والعدل في السياسة مالم يمل الى عبوس موحش ولاملق مدهش فان العبوس يشين المودة ويزيل ما في القلب من صفاء المحبة والملق يذهب برونق المرؤة

ولهذا قيل من كثر ملقه لم يعرف وده ، والعدل فى البلاغة ما لم يقصر عن درك البغية ، واصابة المعنى وقصد الغرض . ألا ترى ان الهذار فى المنطق بعد بلوغ الغاية لايحتاج اليه ولو كانت البلاغة هى البلوغ الى غايات المعانى لـكان العالم كلهم بلغاء خاصهم وعامهم لانه ما من أحد الا وهو اذا عبر عما فى نفسه بلغ غرضه في افهام السامع عنه مايريده منه على حسب استطاعته وماتساعـده عليه آلاته . وانمـا البلاغة هى التوصـل الى افهام المعنى باوجز مقال وأبلغ كلام ليعرف به المراد باسهل المسالك وأقرب الطرق بواضح البيان وصادق المقال والايجاز في إذلك ما بلغت غاياته بيسـير اللفظ . والاطناب ما بلغت غاياته بالتطويل فصارت البلاغة حينئذ التوسط بين الحالتين والتوصل الى ادراك الغاية من أقرب الطرق. وقيل البلاغة معرفة مواضع المفاصـل المطلوبة بالفاظ مفهومة والبليغ هو الذى لايؤتي سامعه من سوء افهامه والفهيم الذى لا يأتى بسوء فهم

من يريد افهامه بتقصير عن البلاغة في خطابه أو كتابه فيخرق بفهمه وصفاء ذهنه تلك الحجب الحائلة بينه وبين المعنى الذي يقدر على الفهم لانه يجرده من تلك الشوائب المعوقة له عن البيان والايضاح. والبلاغة في اللغة من بالغت في كذا وكذا وهي مشتقة من المبالغة يقال بلغت أبلغ بلوغا فالمصدر منه بلاغة فانا بالغ وتقول أبلغت الكلام وبلغته الى فلان أي أديته اليه

واعلم أن المعاني تنطق بها أفواه السوقة والعوام في الاسواق والطرق ولكن قل من يحسن العبارة عنها وربما اراد المعنى فعبر عن غيره وهو يظن أنه قد عبر عنه والمعاني هي الاصول وهي الاعتقاد الذي أول ما يتصور في النفس والالفاظ هيولى لها والمعاني كالنفوس والالفاظ كالاجسام والمعاني كالارواح والحروف كالابدان

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان الهيولى اذا قبلت آثار النفس قبولا تاماً ظهرت أفعال النفس في الغرض والمراد مضيئة بهيئتها وان عجزت عن القبول كانت دون ذلك وكذلك الالفاظ ان قبلت التأدية عن المعاني ببلاغة فهمت المعاني ولاحت دلائلها بغير تطويل ولا اسهاب وان عجزت الالفاظ عن تلك التأدية احتاجت الى التطويل والتطويل ذهاب البلاغة والتقصير هو ضعف الدلالة والحجة وفي الناس من يجول في قلبه المعنى الصحيح فيعبر عنه باللفظ الركيك فيحيله عن معناه وان لم يرد الاحالة ولكنه عجز في اللفظ فيصير اللفظ غير مؤد عن المعنى لا لعجز المعنى ولكن لعجز اللفظ كما أن الطبيعة تفعل أشياء فتعجز عنها الهيولى القابلة فتنقص عن الكمال لا لعجز الطبيعة بل لعجز الهيولى فتأمل هذا الكلام فانه من الاسرار العجيبة والرموز الدقيقة والمعاني الغامضة وفيه غرض غامض

وأنت أيها الاخ ينبغي لك أن تراجع نفسك النائمة الساهية فانتبه من نوم غفلتك وانعم النظر في جميع ما قلناه وافهم جميع ما بيناه من الاشارات والرموزات ولا تظن بنا ظن السوء لان افشاء سر الربوبية كفر

﴿ فصل ﴾

في كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات

فنقول اعلم ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وغير الحيوانية قسمان طبيعية وآلية فالطبيعية كالصوت من الحجر والحديد والصفر والخشب والرعد والريح وخرير الماء وسائر الاجسام التي لا روح فيها من الجمادات. والآلية كصوت البوق والطبل والدف والمزمار والاوتاد وما شاكلها. والحيوانية أيضاً نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية أصوات سائر الحيوان التي ليست بناطقة

وأما المنطقية فهي أصوات الناس منها دالة ومنها غير دالة فغير الدالة الضحك والبكاء والانين والاصوات التي لا هجاء لها

وأما الدالة فهي الكلام والقول الذي له هجاء . وكل هذه الاصوات انما هو قرع يحدث في الهواء عن تصادم الاجرام

وذلك أن الهواء بشدة لطافته وخفة جوهره وصفاء طبعه وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كلها فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء وتدافع الى جميع الجهات وحدث منه شكل كما ذكرنا أولا فيصل بمسامع الحيوان

فأما كيفية ادراك الحاسة السامعة للصوت الحيواني وغير الحيواني وتمييزها لكل واحد منها كما تميز القوة الذائقة طعوم الاشياء وتخبر الناطقة عن كل شيء بما يخصه من طعمه وكذلك القوة الشامة

فأما الذائقة فهي أكثر تأثراً من الشامة وكذلك الحاسة السامعة فان قواها في تمييزها الاصوات بعضها من بعض ألطف وأشرف والحاسة اللامسة أكثف من الجميع واختلف العلماء في حاسة النظر وحاسة السمع أيهما ألطف وأشرف . فقال بعضهم حاسة السمع أشرف وكان برهان من قال ذلك ان محسوسات السمع كلها روحانية وان النفس بطريق السمع تدرك من هو غائب بالمكان والزمان وان محسوسات البصر كلها جسمانية لانها لا تدرك الا ما كان حاضراً في ذلك

الوقت وقال ان السمع أدق تمييزاً من البصر اذ يعرف جودة الذوق وجودة الحس والكلام الموزون والنغمات المختلفة والفرق بين السقيم والصحيح والمستوى والمنزحف وصوت الطير من صوت الكلب وصوت الحمار من صوت الجمل وأصوات الاصدقاء من أصوات الاعداء وما يحدث من أصوات الاجسام التي لا روح فيها وأصوات الناس على اختلافهم وأشكال كلامهم فتخبر عن كل صوت بما هو دأبه وتنسبه الى الذي بدا منه ولا يحتاج الى البصر في ذلك وفي ادراكه والبصر يخطىء في أكثر مدركاته فانه ربما يرى الصغير كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقريب بعيداً والمتحرك ساكناً والساكن متحركا . فصح بهذا القول ان السمع ألطف وأشرف من البصر ولنعم ما قيل :

الشمس تستصغر الاجسام جثتها فالذنب للعين لا للشمس في الصغر

فاذا كان كذلك كانت الحواس الخمس الموجودة في الانسان المستوى البنية التام الخلقة مناسبة للطبائع الخمس في جسم العالم الذي هو الانسان الكبير فحاسة اللمس مناسبة لطبيعة الارض لان الانسان يحس بجسمه كله وحاسة الذوق التي هي اللسان مناسبة لطبيعة الماء اذ بالمائية والرطوبة التي في اللسان والفم تدرك طعوم الاشياء وسنشرحها اذا انتهى بنا القول الى تفصيل ذلك وبيانه . وحاسة الشم مناسبة لطبيعة الهواء لان القوة الكامنة هوائية وهي المستنشقة للهواء وبه تدرك روائح الاشياء والحاسة الباصرة مناسبة لطبيعة النار اذ بها وبالنور تدرك محسوساتها والحاسة السامعة مناسبة لطبيعة الفلك الذي هو مسكن الملائكة الذين شعارهم وشغلهم ليلهم ونهارهم وكلامهم كله تقديس وتسبيح وتهليل ويلتذ بعضهم بسماع بعض ويقوم لهم في ذلك العالم العلوى مقام الغذاء الجسماني في العالم السفلي

وذلك ان حاسة السمع محسوساتها كلها روحانية . ولذلك قيل ان فيثاغورس الحكيم سمع بصفاء طبيعته وصفاء جوهره نغمات الافلاك وانه استخرج الآلة التي تسمي العود وانه اول من الف الالحان ومن بعده من الحكماء الذين اقتدوا

به وبان لهم حقيقة ما وصفه فصدقوه وتابعوه واتسعوا في فعل ذلك كل بقدر مااتسع له زمانه وساعده عليه إمكانه

﴿ فصل ﴾

ثم ان لكل صوت صفة روحانية تختص به خلاف صوت آخر فان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوت بهيئته وصيغته ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيئاتها الى ان يبلغها الى اقصى غاياتها عند القوة السامعة لتؤديها الى القوة المفكرة ذلك تقدير العزيز العليم الذى جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليل ما تشكرون فان قال قائل ما العلة التى أوجبت للهواء هذه الفضيلة الشريفة والحركة الخفيفة فنقول لقد سألت عن امر يجب السؤال عنه اذ كان من اكثر الفوائد فيجب ان تعلم ان جسم الهواء لطيف شريف وهو متوسط بين الطرفين فما هو فوقه ألطف منه وهو النور والضياء ومادونه أكثف وهو الماء والتراب ولما كان الهواء أصفى من الماء وألطف وأشرف جوهراً وأخف حركة صار النور يسري فيه ويصبغه بصبغته ويودعه روحانيته لانه قد قاربه وجانسه بما فيه من اللطافة ولما كان النور والضياء أصله ومبدأه من أشرف الجواهر العالية صار له اتصال بالنفوس والارواح وصارت سارية فيه وهو المعراج الذي تعرج به الارواح وتنزل به النفوس الى عالم الكون والفساد ومجاورة الاجساد ولما كان للهواء هذه الفضيلة صار يحفظ لكل شيء صورته تامة ويحوطه حتى يبلغه الى الحال المقصود به بحسب ما جعله فيه باريه جلت قدرته بحكمته ليكون بذلك اتقان الصنعة واحكام الخلقة فلذلك صارت تدركها بماهي به اذا كانت الحاسة سالمة والاداة كاملة

وهكذا حاسة الشم تقبل من الهواء مايحمله من الروائح فانه يحفظها ويتبع الاحاطة بما يعرض من الروائح عن كثير من الاجناس ثم تؤديها الى حاسة الشم فتخبرها عن كل رائحة بما هي به وعما فاحت عنه ولذلك قيل عالم الارواح روح وريحان

ونغمات وألحان. وكذلك النور يحفظ الالوان على الاجسام ولايخلط بعضها ببعض وتدركها القوة بما هي به اذا كانت الحاسة سالمة ثم انه متى حدث ببعض الحواس حادث أوجب تغير ادراك الحاسة فليس ذلك لفساد في الهواء والضياء ولكن لفساد المزاج واضطراب البنية فاذا كانت الحاسة سالمة وجاءتها الاشياء بخلاف ما تعهد فليس ذلك لفساد فيها لكن للحادث الذي حدث في الهواء والضياء وذلك ان الهواء يتغير ويتكدر والضياء يظلم ولذلك صار البصر لا يدرك بعد مغيب الشمس ما كان يدركه وقت طلوعها وكذلك السمع لا يدرك من الاصوات في وقت هيجان الريح وحركة الهواء ما كان يدرك من ذلك في وقت سكون الهواء وهدوء الرياح

فصل

ثم ان مادون فلك القمر لطيف وكثيف يجرى عليه التغير والاستحالة وذلك ان النار تستحيل فتصير هواء والهواء يستحيل فيصير ترابا والتراب يستحيل فيصير ماء والماء يستحيل فيصير هواء والهواء يستحيل فيصير نوراً فالنار صار أولها يتصل بالهواء وآخرها يتصل بالنور وأول طرف الهواء متصل بالماء وآخره متصل بالنار وأول الماء متصل بالتراب وآخره متصل بالهواء فمن جهة طرفه الأعلى يتصل بما فوقه وبطرفه الأدنى يتصل بمادونه ويستحيل اليه

فانظر يا أخي كيف أوجبت الحكمة التغيير والاستحالة والزوال والانتقال من حال الى حال في الموجودات الطبيعية والعلة في ذلك هو جزاء النفوس بما كسبت وعقوبتها بما جنت لان عالم الارواح لا تغير فيه ولا تبديل ولا زوال ولا انتقال .

ثم اعلم ان كيفية ادراك الحاسة السامعة بجميع أصوات مافي العالم من الانس وسائر الحيوان والنبات والرياح والاشجار وماشاكل ذلك من كل شيء له صوت وحركة ينقسم عددها الى ثلاثة أقسام : أحدها حي والآخر ميت والثالث

لاحي ولاميت وكلام الانسان وصوت الحيوان حي ذو حركات نفسانية وصوت الحجر والخشب والحديد والنحاس وماشاكلها ميت والقسم الثالث لاحي ولا ميت مثل صوت الهواء اذا تدافع وصدم بعضه بعضاً وحدث منه الصفير والزمير وصوت تدافع الماء في التلاليع وأمواج البحار وجريان الانهار وصوت زفير النار فان هذه لا يقال لها حية كما يقال للانسان والحيوان انه حي ذو حركة يقصد لغرض يناله بحركته ولا يقال انها ميتة كموت الحجر والخشب لانها متحركة بالاتفاق لا بالقصد ولانها تقوي مرة حركة الهواء ومرة تسكنها وكذلك الماء والنار ثم يجمع هذه الاصوات كلها شيء واحد وهو هيولاها ولولاها لما كانت

فأما كيفية الاصوات التي تعلم الانسان انها صدرت عن أجسام حية فهو أن يكون وصولها الى حاسة سمعه بسرعة وخفة ويجد لنفسه التي تفهمها وتقبلها سرعة الاخبار عنها بما هي به ، بخلاف تلك الاصوات الصادرة عن الاجسام المائية التي لا يوصل اليها الا بالفكرة والروية

وأيضا فان الانسان يأنس باصوات الحية اذا كان في فلوات بعيدة في موضع منقطع عن العمران فيستوحش ، فاذا سمع نباح كلب أو صوت انسان استأنس وقويت نفسه وعلم انه بقرب عمران وبخلاف ذلك اذا سمع صوت الوحش يخاف منه على نفسه ، وأيضا صوت هبوب الرياح العواصف وجريان الاودية وأمواج البحار واهتزاز الاشجار ووقع الاحجار اذا سمعها الانسان الفريد الوحيد فى المواضع النائية عن الناس استوحش منها غاية الاستيحاش

ولذلك قيل ان فى الفلوات والقفار جبالا تنقطع وتتكسر وتخر فيسمع منها أصوات مرتفعة فاذا سمع الانسان ذلك يستوحش ولا يأنس بها

وقيل ايضاً ان النار والهواء والماء لا يحكم عليها بموت ولا حياة وهى وان كانت مادة للحياة والحركة فان ذلك يكون باجتماعها بقوة طبيعية وحركة نفسانية بمشيئة آلهية واما اذا تفردت كل منها بذاته فلا يقال لها حية ولا ميتة ولكن كل واحد منها ذات طرفين طرف متصل بالحياة وطرف متصل بالموت وهو متوسط

بين ذلك فالتراب طرفه الاعلى وما لطف منه متصل بالماء فهو ذو حياة بما يخرجه ويبرزه من النبات الذي به حياة الحيوان وطرفه الآخر هو ما كثف منه مثل الجبال والصخور والسباخ فانها أموات لاتقبل الماء ولاتحس به ولا يكون منها نبات ولاينتفع بها حيوان والطرف المتصل بالماء يقال له عمران والذي بعد من الماء يقال له خراب وهو بالموت أشبه من طرفه العامر

والماء أيضا ذو طرفين طرفه الاعلى متصل بالهواء وهو بالحياة أشبه وطرفه الادنى متصل بالتراب والتراب لا حياة فيه ولا حركة له فالطرف المتصل بالتراب بالموت أشبه والطرف المتصل بالهواء بالحياة أشبه والهواء طرفه الادنى متصل بالماء والماء بالموت أشبه لان الماء ربما صار جامداً ثقيلا واذا جمد صار مواتا وكانت منه صخور وجماد وهو بالموت أشبه وطرفه الاعلى متصل بالنار والنار بالحياة أشبه .

والنار أيضا ذات طرفين طرف منها متصل بالهواء وطرف منها متصل بالنور والضياء وذلك ان النار اذا قدحت خرجت من احتكاك الاجسام بحدوث ذلك القرع في الهواء واذا برزت مع الهواء اتصلت بالاجسام النباتية والحيوانية فاكلتها وأحرقتها وزالت بزوالها واضمحلت باضمحلالها فيقال خمدت النار وانطفىء السراج فصار هذا الطرف أشبه بالموت . ولها طرف آخر يطلب العلو أبداً متصل بالاشراق والنور والضياء وهذا الطرف لاتصاله بالنور ومشاكلته اياه بالحياة أشبه

وكذلك آخر المعادن متصل باول النبات وآخر النبات متصل باول الحيوان وآخر الحيوان متصل بأول عالم الانسان وآخر الانسان متصل باول مرتبة الملائكة وكذلك آخر التراب متصل بأول مرتبة الماء وآخر الماء متصل بأول مرتبة الهواء وآخر الهواء متصل باول مرتبة النار وآخر النار متصل باول مرتبة الضياء

كذلك ماحدث من الاصوات يجري على هذا المثال فصوت الاحجار يشبه

أصوات النبات لان النحاس اذا خلط بالحديد وجمع بينهما كان له طنين كطنين العيدان ، وذلك ان العود نبات صنعه الناس وحركوه وصارت له نغمة ظاهرة ناطقة معبرة عما في افكار النفوس

وكذلك صوت نقرات الاجراس وطنين النحاس وليس للحجر الغير المعدني مثل ذلك فالطرف الاعلى من أصوات النبات نغمات العيدان وما شاكلها وهي لاحقة باصوات الحيوان وكلام الانسان والطرف الآخر الادنى المتصل باصوات الحجارة الموات كصوت الدف ودوي الاوتاد في الارض وماشاكلها

والطرف الاعلى من أصوات الاحجار المعدنية كما قلنا هو صوت النحاس وما كان له طنين وزمير وهو اللاحق باصوات النبات مثل العيدان والطنابير وما شاكل ذلك .

والطرف الأدنى من أصوات الحيوان لاحق بصوت النبات مثل أصوات البهائم الخرس التي لايتبين لها صوت يمكن تقطيعه ووزنه مثل النهيق . والحيوانات التي لاأصوات لها لاحقة بالجمادات والموات .

والطرف الأعلى لاحق بكلام الناس مثل كلام الفصحاء من الطيور والهزار داستان والبلبل وماشاكل ذلك مما حسن صوته . من الحيوان

والانسان أيضاً كلامه ذو طرفين طرفه الادنى متصل بالحيوان مثل الفافاء والتمتام والاخرس والالثغ وما شاكل ذلك

والطرف الاعلى منه . متصل بمنطق الملائكة مثل كلمات الفصحاء والبلغاء وذوي النغمات والالحان المطربة مثل نغمات داود عليه السلام والقراء والملحنين في المساجد وقراءة المزامير مثل اصوات قراءة التوراة في الكنائس والبيع والقرآن في المساجد والخطباء على المنابر والرهبان في الصوامع وما شاكل ذلك ولكل صوت من هذه الاصوات عند الحاسة السامعة كيفية وماهية فماهية صوت الانسان انه غرض مفهوم دال على معنى فتحتاج القوة المفكرة الى ان تفكر فيه

وتفتش عن معناه وأصوات الحيوانات غير مفهومة لكن القوة المفكرة تقضي عليها انها ماصوتت الا لحاجة وما أرادت به الا سبب أكل وشرب ونكاح فهذه الاقسام من الصوت مختصة بالاجسام الحية

فأما صوت الحجارة والخشب فان القوة المفكرة لاتقضي عليها بأنها مابدت لغرض ولا لقصد إلا أن تكون آلية لحركة الانسان مثل البوق والزمر والعود وماشاكل ذلك وانها تنسبها الى الحركة التي كانت هي السبب في تصويتها مثل بوق ومزمار وعود وصفار وماشاكل ذلك وكل هذه أصوات انسانية أودعتها النفس الجزئية هذه الاشكال النباتية بالصناعة التي اتخذتها حيلة للمعاش والكسب .

وأما صوت هبوب الرياح والرعد وخرير الماء اذا انحدر من علو الى أسفل واضطراب موج البحار واهتزاز الاشجار فان القوة المفكرة لاتعبأ بذلك ولاتفكر فيه وانما تمر على الحاسة السامعة شبه الخوار ولاحاجة اليه وربما ضجر الانسان منه وتأذى من مداومة سماعه

وإذ فرغنا من ذكر ماهية الاصوات وكيفية حدوثها وكيف تدركها القوة السامعة فلنذكر مابين هذه الحاسة وبين ماتدركه هذه الاصوات من المناسبة والمشاكلة والمجانسة والمطابقة

﴿ فصل ﴾

فنقول : اعلم ان ادراك الحاسة السامعة لصوت الحجر والجواهر المعدنية والجمادات الغير النامية والحية كنمو النبات وخوار الحيوانات فهذا لما بينها وبين تلك من المناسبات والمجانسات من جهة الجسمية والطبيعة الارضية وذلك ان جسم الانسان مائل الى التراب

وأما ادراكه أصوات الخشب وكل مايصوت ويتحرك من النبات والاشجار فلأجل المناسبة بينه وبين ذلك وذلك ان الانسان يشارك النبات في النمو والزيادة والكبر بعد الصغر

وأما ادراكه أصوات الحيوان ومعرفته بها واخباره عنها فلما بينه وبين الحيوان من المناسبة وذلك ان الانسان مشارك للحيوان في الحياة والحس والنفس الحيوانية جارية بينهم متصل بعضها ببعض أكثر اتصالا من النفس النامية بين النبات والحيوان،وذلك ان الانسان يشارك النبات من جهة واحدة وهي النمو فحسب ويشارك الحيوان من جهات كثيرة وهي النمو والشهوة والاكل والشرب والنكاح والحس والألم واللذة والامور الحيوانية والانسان انما يتميز عن الحيوان بالنطق والتمييز والقوة العاقلة وقيل ان لبعض الحيوانات فكراً وتمييزاً وهي النحل والنمل

وأما ادراكه أصوات الهواء والنار فلما بينه وبينها من المناسبة لانه مهيء منها كما ذكرنا في رسالة الهيولى والصورة

واعلم يا أخي انه لولا المناسبة التي بين الحيوان الحي وبين الجمادات الميتة لما كان يدرك من المعرفة بها والاحاطة بخبرها قليلا ولا كثيراً . فان قال قائل لم لايعرف الصبي الصغير هذه الاشياء على حقيقتها وبينه وبينها النسبة موجودة قيل ان ذلك لعجز في الهيولى عن القبول لالغلط من الخالق تعالى « ذلك تقدير العزيز العليم » يخلق مايشاء كما يشاء بلااعتراض عليه ويحكم مايريد بلاغرض جل جلاله

﴿ فصل ﴾

في اختلاف الاصوات في الصغر والكبر

فنقول : اعلم ان حدوث الاصوت يكون من تصادم الاجسام بعضها ببعض فنقول ان كل جسمين تصادما برفق لايسمع لهما صوت لان الهواء ينسل من بينهما قليلا قليلا فلايحدث صوتاً وانما يحدث الصوت من تصادم الاجسام اذا كانت صدمتها بسرعة فينضغط الهواء عند ذلك وتتدافع أمواجه وتتموج حركته الى الجهات الست بسرعة فيحدث الصوت ويسمع كما بينا فيما تقدم ، والاجسام

الكبار العظام اذا تصادمت يكون اصطدامها اعظم من أصوات ما دونها لان تموج هوائها اكثر . وكل جسمين من جوهر واحد مقدارهما واحد وشكلهما واحد اذا تصادما معاً فان صوتاهما يكونا متساويين فان كان أملس فان صوتيهما يكونا املس من السطوح المشتركة والهواء المشترك بينهما املس . والاجسام الصلبة المجوفة كالاواني وغيرها والطرجهارات اذا نقرت طنت زمانا طويلا لان الهواء يتردد في جوفها ويصدم في حافاتها ويتموج في أقطارها وما كان منها أوسع كان صوته أعظم لان الهواء يتموج فيها ويصدم في مروره مسافة بعيدة والحيوانات الكبيرة الرئة الطوال الحلاقيم الواسعة المناخر والاشداق تكون جهيرة الاصوات لانها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة. فقد تبين بما ذكرنا ان علة عظم الصوت انما هو بحسب عظم الجسم المصوت وشدة صدمة الهواء وكثرة تموجه في الجهات . وان اعظم الاصوات صوت الرعد وقد بينا علة حدوثه فيما تقدم في رسالة الآثار العلوية . وأما أصوات الرياح وشدة حدوثها فليست شيئاً سوى تموج الهواء شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وفوقاً وتحتاً فاذا صدم بحركته وبجريانه الجبال والحيطان والاشجار والنبات وتخللها حدثت من ذلك فنون الاصوات والدوي والطنين مختلفة الانواع كل ذلك بحسب كبر الاجسام المصدومة وصغرها وتجويفها لعلل يطول شرحها

فأما أصوات المياه في جريانها وحدوثها وتصادمها بالاجسام فان الهواء بلطافة جوهره وسريان عنصره يتخللها كلها ويكون حدوث تلك الاصوات وفنون أنواعها بحسب تلك الاسباب التي ذكرنا في أمر الرياح

وأما أصوات الحيوانات من ذوات الرئات واختلاف أنواعها وفنون أقسامها بحسب تلك الاقسام والاسباب التي ذكرناها من أمر الرياح وبحسب طول اعناقها وقصرها وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها للهواء وقوة ارسال أنفاسها من أفواهها ومناخرها وكل ذلك لاسباب وعلل يطول شرحها

وأما أصوات الحيوانات التي لا رئة لها كالزنابير والجراد والصراصر واشباهها فانها تحرك الهواء بجناحين لها سرعة وخفة فتحدث من ذلك أصوات مختلفة كما يحدث من تحريك الاوتار والعيدان وتكون فنونها متباينة وانواعها مختلفة وصغرها وكبرها بحسب لطافتها، أعني أجنحتها، وغلظها وطولها وقصرها وكبرها وصغرها وسرعة تحريكها لها

وأما الحيوانات الخرس كالسمك والسلاحف وما شاكلها فانها صمت لانها ليست لها رئة ولا جناحان فلا يكون لها أصوات

وأما أصوات الجواهر المعدنية كالحديد والنحاس والزجاج والحجارة وما شاكلها فان اختلاف الاصوات يكون بحسب يبسها وصلابتها وكمية مقاديرها من الصغر والكبر والطول والقصر والسعة والضيق

وأما أصوات النبات فبحسب صلابتها ورخاوتها وما يتخذ منها بالصناعة من الآلات المصنوعة كما قدمنا ذكره ، وكذلك حال ما يتخذ منها لمثل ذلك من الجواهر المعدنية واختلافها في الاصوات والطنين وما يبدو عنها من أنواع النغمات والاصوات كصوت الطبل والبوق والدف والسرناي والزمر فهو يختلف بحسب أشكالها فان كل صوت انما يبدو مناسباً للجسم الذي يكون منه وبحسب صفاء جوهره وكدره الذي يكون متخذاً منه وكبر أجسامه وصغرها وطولها وقصرها وسعة أجوافها وضيق ثقبها ودقة أوتارها وغلظها وبحسب تحريك المحرك لها والمصوت بها .

ومنها وسائط بين الانسان والهواء في التصويت مثل البوق والزمر والصفارة وجميع ما يجعله الانسان في فيه ويرسل فيه الهواء من جوفه بقوة أنفاسه

ومنها الوسائط بين الآلة والصوت من حركة الانسان كصوت الطبل ونقرة الدف وما أشبه ذلك فما يكون من هذه الآلة مصوتاً بالفم فانه يكون ممتداً مستطيلا مجتمع الاجزاء لا سكون فيه الا أن يسكن الصوت مرة واحدة

وأما الاصوات بحركة اليدين فان بين أجزائها سكونات ودقة في أثر دقة

ونقرة تعقب نقرة كما بينا في رسالة الموسيقى وهذه الاصوات اعني صوت الزمر والبوق تشبه أصوات الاحجار والمعادن اذا نقره المحرك كان له دوي وطنين يمكث في الهواء ممتداً لا ينقطع الى ان يسكن لا تقطيع فيه من اصوات الحيوانات مثل أصوات الزنابير وما شاكلها

فأما أصوات ذوات الاوتار وما يستعمل منها في أنواع الاغاني بحركات اليدين موازية لحركة اللسان والايقاع، مستوى اللحن، صحيح الوزن وما كان بخلاف ذلك كان مناسباً لاصوات الطيور الثقال الطبع كالاوز وما جانسها وككلام الثقيل الكلام من الناس، ويكون ذلك لفساد الحركة وبعدها من النسبة الفاضلة كما عجزت هيولى الانسان عن قبول ماجعل فيها وعجزها باظهارها اياه من القوة الى الفعل وكان ذلك عجزاً من المصنوع لا من الصانع كما ان صانع العود اذا احكم صنعته وشد أوتاره وأصلح مضاربه وأخذه من لا يعرف الصناعة ولا يحسن العمل به فنقره فانه لا يأتي من تصويته مثل ما يأتي به العارف بعلمه وصنعته ولا ينسب ذلك الى فساد في الآلة والى فساد من الصانع وانما ينسب الى عجز المحرك

فاذا رأيت آلة العود مفردة والاوتار مقطعة وحركة الحاذق بالصناعة لم تساعده على مايريد باظهار صناعته فليس ذلك منسوبا الى عجزه فيه ولكن الى عجز الآلة ونقصانها عن التمام فمن كلا الوجهين الصانع بريء من العجز اذا كانت صنعة الاشياء على النسبة الفاضلة وقصده في صنعته الاتقان والاحكام

وانما حدث النقص والفساد من جهة الهيولى كما ان المعلم انما غرضه أن يعلم تلميذه مايحسنه حتى يكون حاذقا فيه فيكون مثله وحافظا لعلمه فاذا لم يقبل المتعلم منه وأخذ الفاظاً مستوية فاحالها عن وجهها فليس ذلك منسوبا الى المعلم لكن الى عجز المتعلم عن البلوغ الى مالا يعلمه الاستاذ دفعة واحدة لا بالتدريج ليعرف الشيء بعد الشيء

فصل
في السكون والحركة

فنقول اعلم أن الحركة هي النقلة من مكان الى مكان في زمان ثان وضدها السكون وهو الوقوف والثبات في مكان واحد بين زمانين والحركة تكون سريعة وبطيئة فالسريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة طويلة في زمان قصير والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة قصيرة في زمان طويل وعلى هذا المثال تعتبر الحركات والمتحركات

ثم اعلم ان الحركات تنقسم من جهة الكيفية الى ثمانية أنواع كل نوعين منها متقابلين من جنس المضاف فمنها الكبير والصغير والسريع والبطيء والدقيق والغليظ والثقيل والخفيف

فاما الكبير والصغير من الاصوات فان المثال فيها أصوات الطبول الكبار والصغار.

وذلك ان اصوات طبول المواكب اذا أضيفت الى اصوات اللهو كانت كبيرة واذا أضيفت الى أصوات طبول الكوس كانت صغيرة واذا أضيف صوت طبول الكوس الى صوت الرعد كان صغيراً

وعلى هذا المثال تعتبر الاصوات في الصغر والكبر باضافة بعضها الى بعض وهي التي تكون ازمان السكونات ما بين نقراتها وحركاتها صغيرة بالاضافة الى غيرها والمثال على ذلك أصوات مداق القصارين ومطارق الحدادين فانها سريعة بالاضافة الى اصوات مداق الرزازين والحصاصين فهذه بطيئة بالاضافة اليها وأما بالاضافة الى أصوات مجاذيف الملاحين فهي سريعة

وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الاصوات وبطؤها باضافة بعضها الى بعض

وأما الدقيق والغليظ من الاصوات فباضافة بعضها الى بعض كاصوات نغمة الزير باضافتها الى نغمة اليم ونغمة المثنى الى المثلث

وأما بالعكس فان صوت اليم بالاضافة الى المثلث غليظ وكذلك المثلث الى المثنى والمثنى الى الزير

ومن وجه آخر فان صوت كل وتر على غليظ بالاضافة الى مادونه أى وتر كان ، فعلى هذا القياس تعتبر حدة الصوت وغلظها باضافة بعضها الى بعض

وأما الجهير الخفيف من الاصوات فبحسب قوة الحركة وضعفها

والمثال في ذلك صوت العليل السقيم بالقياس الى صوت الصحيح المعافى وصوت العليل الى من هو أضعف منه وأسقم حتى يكون أجهر الاصوات من الناس ما كان في غاية الصحة وسلامة الحواس واستواء الآلة،واخفاهن ما كان فى الغاية بخلاف هذه الصفة لما به من ضعف القوة وقلة الحركة وفساد الجملة وغير ذلك •

فصل

في معرفة قسمة الاصوات من جهة الكمية

فنقول الاصوات من جهة الكمية نوعان متصلة ومنفصلة فالمنفصلة هي التى بين ازمان حركاتها في النقرات زمان سكون محسوس مثل نقرات الأوتار وايقاع القضبان •

وأما المتصلة من الاصوات مثل أصوات المزامير والنايات والدواليب ونحو ذلك كما ذكرنا في فصل قبل هذا·والاصوات المنفصلة تنقسم نوعان حادة وغليظة فما كان من النايات والمزامير أوسع تجويفاً وثقباً كان صوته أغلظ وما كان أضيق تجويفاً كان صوته أحد

ومن جهة أخرى أيضاً ما كان من الثقب الى موضع النفخ أقرب كانت نغمته أحد وما كان أبعد كان أغلظ

وهكذا تنقسم الاصوات المتصلة أيضا على هذا المثال غليظة وحادة وقد بينا في رسالة الموسيقى ذلك

واما معرفة طبائع الاصوات وائتلافها واختلافها بحسب مانبين هاهنا فنقول ان الاصوات الحادة والغليظة يتضادان فاذا جمع بينهما على نسبة تأليفية ائتلفت

وامتزجت واتحدت وصارت كلاما موزونا ونظما مؤتلفا فعند ذلك يستلذه السامع وتسر به الارواح وتأنس به النفوس

واذا كانت على غير هذه النسبة تنافرت وتباينت ولم تأتلف ولم يستلذها السامع بل ينفر منها ويشمئز والاصوات الغليظة باردة وهي رطبة وتنقسم قسمين ضارة ونافعة

فأما الضار فهو الذي اذا ورد على السامع يعوقه وهي الاصوات الخارجة عن الاعتدال

وقد استعمل الحكماء اليونانيون آلة لذلك كانوا يستعملونها عند ملاقات الاعداء وهي صوت بلازعيق والاصوات المعتدلة المناسبة تعدل مزاج الاخلاط الحارة والكيموسات اليابسة فهذه تابعة لها

والاصوات الغليظة التى يحدث منها فساد المزاج باردة يابسة لانه ربما جاء منها ماء يميت الحيوانات الصغار مثل فراخ الطيور والاطفال من الصبيان والاصوات المناسبة باردة رطبة والاصوات الحادة حارة فما كان منها على غير النسبة المعتدلة أفسد المزاج وأحرق الطبيعة وما كان منها على النسبة الفاضلة والاعتدال أصلح المزاج ولطف البرودة فالقسم الاول حار يابس والقسم الثاني حار لين

وقد اتخذ الحكماء لهذه الاصوات ميزانا يعرفون به طبائعها على النسبة الفاضلة بحد الاعتدال وهي الآلة التى تسمى العود وقد ذكرنا كيفية بنيته والعمل به في رسالة الموسيقى·

فصل

(في معرفة الاصوات من جهة طبيعة الانسان والحيوانات واختلافهم فيها)

فنقول : اعلم ان أمزجة الابدان كثيرة الفنون وطبائع الحيوانات كثيرة الانواع ولكل مزاج وطبيعة نغمة مشاكلة ولحن ملائم لها لايحصى عددها الا الله تعالى والدليل على ذلك انك اذا تأملت وجدت لكل أمة من الناس ألحاناً ونغمات وأصواتاً يستلذونها ويفرحون بها لايستلذها غيرهم ولايسر بها سواهم

وذلك لاختلاف لغاتهم وتباين أمزجتهم وطباعهم وماجرت به العادات والاخلاق وهكذا يجرى في أصحاب لغة واحدة : أقوام يستلذون ألحاناً ونغمات وأصواتاً لايستلذها غيرهم من لغتهم وهكذا ربما تجد انساناً واحداً يستلذ وقتاً لحناً ما ويعافه وقتاً آخر

وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم ومسموعاتهم وملبوساتهم وسائر الانواع من الملاذ والزينة كل ذلك بحسب تغيير أمزجتهم واختلاف طبائعهم وماجرت به عاداتهم وماتولاهم من الاسباب الفلكية والاحكام السماوية في أوقات مواليدهم ومساقط نطفهم

وكذلك تجد الحيوانات ربما استلذت بعض الاصوات وأنست بها وجاءت الى المواضع التى تكون فيها فان بعض صيادي الطيور ومتخذي آلة الصفير يصفرون ويحاكون بها صوتاً لبعض أجناس الطيور فتجتمع اليه وتدور حوله فربما تقع في شباكهم

وكذلك مايستعمله الجمالون من الحداء والنغمات التى اذا سمعتها الجمال في ظلمة الليل آنست بها ونشطت للسير والمشى وخفت عليها الاثقال ، ويستعمل مثل ذلك رعاة الاغنام والمواشى والخيل عند ورودها الماء أنواع الصفير ، ويستعملون غناء آخر عند حلب ألبانها ، وكل ذلك بحسب مناسبات تقع في الطباع واتفاقات فى المواليد والاصوات الحسان المعتدلة ، تستلذها مسامع الحيوان وتأنس بها الارواح وتسكن اليها النفوس .والاصوات الخارجة عن الاعتدال عند الحيوانات كلها بالعكس من ذلك وكل جنس من أجناس الحيوان فانما يأنس ويسر بما كان من نغمات جنسه ويجتمع به ويألفه بحسب ماجرت عادته والفت طباعه ، وينفر من صوت آخر يكون من جنس غيره ولم تجر عادته بسماعه ولاالفته ، وكذلك جميع الامم من أصناف الناس

واذ قد فرغنا من ذكر اختلاف الاصوات وبيانها وصفاتها وحركاتها والمنفصل منها والمتصل ، والفرق بين أصوات الحيوان وكلام الانسان وأصوات

الاشجار والمعادن وكيفية أصواتها ومصوتاتها وما يكون منها بالقصد الاول وغير القصد وأصوات النار والهواء والماء والحركات الصغار والكبار ، الخفيف والجهير ، وطبائعها ومضارها ومنافعها ، وكيفية حمل الهواء لها وقبول الحاسة السامعة لها ، وكيفية اختصاصها بها دون سائر المحسوسات ، ومابين الانسان والاصوات في ادراكه لها من الوسائط والمناسبات ، وذكر علل هذه الاشياء ومعلولاتها وجواهرها وأعراضها وبدايتها في الاصول ، وكونها في شكل واحد فيما علا ، ووجودها في أشكال كثيرة فيما دنى ، واتفاقها في الاصول ، واختلافها في الفروع ، وتشكلها بأشكال الاجسام البادية عنها ، والآلة المتخذة لها والحاجة الداعية اليها ، والمعاني الموضوعة عليها والحقائق المضمنة بها ، ومامنها مفهوم لايحتاج سامعه الى من يعرفه لوضوحه وتمامه ، ومايحتاج السامع الى من يفهمه اياه لانغلاقه وكتمانه

واذ قد أتينا على كثير مما يحتاج اليه في هذا الباب ، فلنذكر الآن اختلاف اللغات من جهة الحروف والكتابات وكيف كان مبدؤها ومن أين كان منشؤها ، والعلة فى اختلافها وأوزانها ، وانفراد كل أمة بشكل منها عمن سواها ، وبلغة عن غيرها ، ونوضح ذلك ايضاحاً يكون لك به الاطلاع على ما أردت منه وسألت عنه

فصل

في معرفة بداية الحروف

فنقول : اعلم ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو أبو البشر ومبدئه جعله ناطقاً متكلما فصيحاً مميزاً بالقوة الناطقة والروح الشريفة والقوة العاقلة القدسية وجعل صورته أحسن الصور وشكله أفضل الاشكال ، وطبيعته أصفى الطبائع الارضية ، ومزاجه أعدل الامزجة مما هو خارج عنه ، وجعله سيد الحيوانات كلها ومليكا عليها وأميراً ورئيساً فيها ، وملكه اياها وألزمها طاعته ،

والسجود له طوعاً وكرهاً كما قال تعالى للملائكة « انى جاعل في الارض خليفة » فلما جعله بهذا المثال فليس من الحكمة أن يكون صامتاً كالجماد ولا سكوتاً كالحيوان الذي لا ينطق ، بل قائماً ناطقاً متكلما معلماً مفهماً عاقلا حكيما لانه سبحانه وتعالى نفخ فيه من روح قدسه وأيده بكلمته وعلمه الاسماء كلها وصفات الاشياء كلها ، وجعل له العقل العاقل لها والمحيط بمعرفتها ، وأخرج سائر الموجودات من المعادن والنبات والحيوان اليه ليديرها ويسوق اليه منافعها ويدلها على مايكون به صلاحها وبقاؤها وتزايدها ونماؤها وسلامتها من الآفات ويضع كل شيء منها في موضعه ويوفيه قسطه من حفظ النظام وبلوغ التمام ، وجمع له هذه الاشياء كلها صغيرها وكبيرها ، جليلها وحقيرها في تسع علامات بأشكال مختلفة مسمية بأسماء قد جمعت أسماء جميع الموجودات وانعقدت بها المعاني كلها كما اجتمعت أجزاء الحساب كلها والاعداد بأسرها في التسعة الاعداد التى من واحد الى تسعة وكذلك وجودها في العالم العلوي على هذه النسبة وهذه الحروف هى التى علمها الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وهي التى يستعملها أهل الهند على هذه الصفة (٩٨٧٦٥٤٣٢١)

وقد كان بهذه الحروف يعرف أسماء الاشياء كلها وصفاتها على ماهي عليه وبه موجودة من أشكالها وهيأتها ، ولم يزل كذلك الى أن كثر أولاده وتكلم بالسريانية وتشكل الفلك بشكل اوجب التغير والاستحالة بعد مضى آدم عليه السلام ، ولم يكن يكتب في زمانه كتابات أو يخط بقلم ، وانما كان تلقين بالفاظ وكلام يحفظ لقلة العدد ، ولانه ما كان فى الارض من العالم الانساني أكثر من بيت واحد والكلام بينهم فيما يحتاجون اليه فقط ، ولم يكن لهم حديث في مامضى ولاحاجة بهم اليه ولا بقية من آثار من كان قبلهم في كتاب ولا طومار . ولأن كلام الملائكة لا يكتب في الاجسام الطبيعية وانما هيولاها الجواهر النفسانية وكما ان الناس في هذا الوقت لا يحتاج الرجل منهم هو وأهل بيته أن يكتبوا جميع مايحتاجون اليه ولا أن يثبتوا جميع مافي بيوتهم من كتاب يذكرون فيه كل

ماعندهم من مأكول ومشروب ومايننتفع به ، وانما حاجتهم الى علم أسماء ذلك ، فهم يعلمون ذلك أولادهم حتى يعرفوه وينشأوا عليه بأي لفظ كان

ثم ذهب السلف وبقي الخلف وتفرقوا في الاقاليم وتقطعوا في الارض وذهبوا في الاطراف فأوجبت الحكمة الالهية والعناية الربانية تقييد تلك الاسماء والالفاظ والحروف بصناعة الكتابة ولولا ذلك لبعد من الخلق ما كان يستعمل السلف التى كانت حاجتهم اليها ولما كان اللسان يحيل بينهم وبين مايحتاجون اليه من ذلك بالكذب . وكانوا لا يعلمون أخبار من كان معهم في الارض اذا غابوا عنهم بالمكان لان الرسول لا يمكنه حفظ جميع مافي قلب مرسله

فلما كان ذلك كذلك أظهر الله تعالى صناعة الكتابة فزادوا فيها وعرفوها ومهروا فيها والفوها واعتادوها وبعث الله فيهم من الانبياء عليهم السلام وأقام فيهم من الحكماء من أظهر فيهم الصنائع وكثرت بينهم الصناع والمتعلمون والعلماء والاستاذون ، وعمرت الارض وانتقلت أخبار بعضهم الى بعض ولم تزل الحروف تزيد ويظهر الشيء بعد الشيء وصناعة الكتابة تتسع وتتفرع الى أن كمل عدد الحروف ثمانية وعشرين حرفاً ثم وقفت على هذا العدد ولم تزد على ذلك

وذلك ان هذا العدد من الاعداد التامة والاعداد التامة أفضل من الاعداد الزائدة والناقصة وذلك ان هذا العدد عزيز الوجود وانه يوجد منها فى كل مرتبة من مراتب الاعداد عدد واحد لاغير كالستة فى الآحاد وثمانية وعشرين فى العشرات وأربع مئة وستة وتسعين في المئات وثمانية آلاف ومئة وثمانية وعشرين فى الالوف ، وأيضاً ان هذا العدد يمكن أن يقسم بالسوية مرة أو مرتين وكانت صناعة الكتابة في اللغة العربية خاتمة الكتابات وتمام عدد الحروف كما ان شريعة الاسلام آخر الشرائع كلها ومحمد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وأصحاب الشرائع وعلى شريعته تقوم القيامة

فصل

ثم اعلم ان الحكيم واضع الخط العربي اتتفى فيما وضعه من ذلك آثار حكمة

الله تعالى وكان حكيما فاضلا ، وقيل ان الحكمة هي التشبه بالاله بحسب طاقة البشر ومعنى هذا الحكمة أن يكون الرجل حكيما في مصنوعاته متحققاً في معلوماته خبيراً في أفعاله فوضع ذلك على موجب الحكمة في العالم لتكون حروف (ا ب ت ث)وهي حروف الجمل مشتملة على كل الاشياء مطابقة للاعداد الموجودات في الاصل وماتتفرع منه ويحدث عنه مما لايحصى ذلك الا الله تعالى

فمن الموجودات التي عدتها ثمانية وعشرون في العالم الكبير منازل القمر فانها ثمانية وعشرون منزلا أربعة عشر فوق الارض وأربعة عشر تحت الارض وهي في موضع اليمين واليسار ، منها أربعة عشر في البروج الشمالية وأربعة عشر في الجنوبية من البروج

وكذلك يوجد في جسم الانسان أعضاء مشاكلة لهذه العدة لان اللغة التامة لغة العرب والكلام الفصيح كلام العرب وماسوى ذلك ناقص فاللغة العربية في اللغات مثل صورة الانسان في الحيوان

ولما كان خروج صورة الانسان آخر صور الحيوانية كذلك كانت اللغة العربية تمام اللغة الانسانية وختام صناعة الكتابة ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ولايغيرها ولايزيد عليها ولاينقصها وفي كل أمة وبكل اقليم وجزيرة وموضع أهل خط وحروف وكتابات وعلامات ، يجمعها كلها هذه الثمانية والعشرون حرفاً ، ولولا خوف الاطالة لاتينا على ذكر كثير من اللغات وكتابات أهلها وأعداد حروفهم مثل مايوجد في اللغة السريانية والعبرانية واليونانية والرومية ومايتفرع منها ويتكون عنها في سائر الاجناس والامم من بني آدم

ثم اعلم ان أصل هذه الحروف كلها والخطوط بأجمعها خطابان لاثالث لهما ومن بينهما ومنهما وعنهما تركبت هذه الحروف حتى بلغت الى نهاياتها كحدوث الانس كلهم من الشخصين اللذين هما آدم وحواء عليهما السلام

وكذلك العالم بأسره السموات ومن فيها والارض ومن عليها من جوهرين وهما السابق والتالي أو البسيط والمركب وهما العقل والنفس والله تعالى مبدعهما وهو

الواحد المنزه عن جميع ماحدث منهما المتعالي بكبريائه عنهما وذلك من الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيطها فأول الحروف هو الخط المستقيم الذي هو الألف والثاني الباء وبازائه في العالم العلوي السابق وهو العقل والتام هو النفس

وذلك ان النفس مرتبة تحت العقل ومن بينهما كان حدوث الاشياء كلها في العالم السفلي مثل آدم وحواء فهما الأبوان الذكر والأنثى، والانثى مرتبة تحت الذكر ومن بينهما كان العالم

وكذلك الحيوانات كلها وأشكال النبات لاتخرج عن هذا الحد والشكل وصورة الانسان شبه الخط المستقيم وصورة الحيوانات شبه الخط المقوس والنبات والحيوان مرتبان تحت الانسان.

وهكذا عالم الافلاك وسكان السموات، اشكالها مستقيمة وصورهما كاملة فهم الخط المستقيم وما دون فلك القمر بمنزلة الخط المعوج

وهكذا يوجد في الاعداد الناشئة من الواحد والاثنين فالواحد كالخط المستقيم والاثنان كالمعوج وهما أصل الاعداد وينبوعها وعنهما يكون تزايدها ونماؤها

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان لسان الانسان اذا كان متحركا الى جهة كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين يخرجه من تلك الجهة ولايعدل به الى غيرها ولا يخلط بعضها ببعض ولايحيلها عما هي به في اللفظ فهو لسان صحيح وكلام فصيح من جهة بيان الحروف ووضعها على ماهي به في أي كتابة كانت وبأي لغة اتفقت كان الكلام بها ،

وأصح الكتابات وأتمها وأحسنها ما كانت على النسبة الفاضلة في وضعها ومقادير حروفها بعضها من بعض

وقد ذكرنا من هذا الفن طرفاً في رسالة الموسيقى ويختص بهذا المكان شيء من ذلك بعينه ليكون دلالة على ماقاله أهل صناعة الكتابة فى لغة العرب إذ كانت تمام اللغات .

وليس بنا حاجة في وقتنا الى كتابة غيرها ولاالى لغة سواها غير انا نحب الاحاطة بجميع العلوم ومعرفة سائر اللغات وتعلم سائر انواع الكتابات .

ولذلك وضعنا لهم هذه الرسالة لتكون مهذبة لنفوسهم مؤدبة لاخلاقهم وجعلناها مقدمات ومداخل وطرقات الى سائر المعلومات والمصنوعات من المعقولات والمحسوسات

ولما كانت اللغة العربية والكتابة بحروفها التامة يحتاج اليها في قراءة كتاب الله تعالى الذي ختم بنزوله كتب الانبياء عليهم السلام وذكر فيه ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم، فانه لايجب أن يكتب الا باحسن الخطوط وأقومها وأتمها وأكملها ولايجب أن يكتب بالخطوط الناقصة التى ليست بموزونة ولا معتدلة لئلا يتصحف على قارئه ويكثر الخطأ واللحن والزلل فيه عند القراءة

قال المحرر الحاذق المهندس المستبصر في تصحيح كتابة العربية ينبغى لمن يريد أن يكون جيد الخط صحيح الكتابة أن يجعل له أصلا يبنى عليه خطوطه

ومثال ذلك أن يبتديء فيخط الالف باي قدر شاء ويجعل غلظه مناسبا لطوله وهو الثمن ويجعل طوله قطر دائرة ما ثم يبنى سائر الحروف مناسباً لطول الالف ويلحظ تلك الدائرة التى الالف مناسب لقطرها فيجعل الباء وأختيها كل واحدة طولا ما ولطول الألف ورؤوسها الى فوق ثمن طولها مثل هذا (ا ب ت ث)

ويجعل الجيم واختيها كل واحدة مدتها من فوق نصف الألف وتقويسه الى أسفل نصف محيط الدائرة التى الالف مناسب لقطرها مثل هذا (ج ح خ)

ثم يجعل الدال والذال كل واحدة منها ربع محيط الدائرة مقوسا مثل هذا (د ذ)

ثم يجعل الراء والزاي كل واحدة ربع تقويس الدائرة مثل هذا (رز)

ثم يجعل السين والشين رأس كل واحد الى فوق ثمن الالف ومدتها الى أسفل نصف محيط الدائرة المقدم ذكرها مثل هذا (س ش)

ويجعل الصاد والضاد طول كل واحد الى فوق ثمن الالف ومدتها الى أسفل نصف محيط الدائرة المقدم ذكرها مثل هذا (ص ض)

ويجعل الطاء والظاء كل واحدة مدتها الى فوق بطول الالف وفتحتها مثل ثمن الالف ورؤسها الى فوق بطول الالف مثل هذا (ط ظ)

ويجعل العين والغين كل واحدة تقويسة ربع الدائرة المذكورة مدته الى خلف نصف الدائرة مثل هذا (ع غ)

وعلى هذا المثال باقي الحروف فاجعل هذا دستورك في الكتابة

فصل

في ان الكلام صنعة منطقية

فنقول ان المصنوعات كلها ، محكمة متقنة بمقتضى الحكمة ومنها صنعة الكلام والاقاويل

وذلك ان أحكم الكلام ما كان أبينه وأبلغه وأتقن البلاغة ما كان أفصحها وأحسن الفصاحة ما كان موزونا متفقاً وأصح الموزونات من الاشعار ما كان غير منزحف والمزحف من الاشعار هو الذي حروفه السواكن متحركة والمتحركة ساكنة والمستوى ما كان متفق التأليف

والمثال فى ذلك الطويل والمديد والبسيط فانها مركبة من ثمانية مقاطع كما ذكره العروضيون فالطويل

فعولن مفاعيلن * فعولن مفاعيلن

وكذا المصرع الثاني وهذه الثمانية الاجزاء مركبة من اثنى عشر سبباً وثمانية أوتاد وجملتها ثمانية وأربعون حرفاً عشرون منها سواكن وثمانية وعشرون متحركات .

والمصراع منه أربعة وعشرون حرفاً عشرة سواكن وأربعة عشر متحركات ونصف المصراع الذي هو ربع البيت اثناعشر حرفاً خمسة منها سواكن وسبعة متحركات ونسبة سواكن حروف ربعها الى متحركاتها كنسبة سواكن نصفها الى متحركاتها ونسبة سواكن نصفها الى متحركاتها كنسبة سواكن حروفها كلها الى متحركاتها كلها

وهكذا تجد حكم الوافر والكامل فان كل واحد منها مركب من ستة مقاطع وهي هذه

مفاعلتن مفاعلتن متفاعلن متفاعلن

ست مرات فنسبة سواكن نصف حروفه الى متحركاته كنسبة حروفه كلها السواكن الى متحركاته كلها وعلى هذا المثال يوجد كل بيت من الشعر اذا سلم من الزحف منصفا كان أو مربعا أو مسدسا وكذلك حكم الازمان التي بينها

وقد وضعت لها دوائر وعلامات لتبين ذلك للناظرين فيها والمتأملين لها في كتب العروض فاستدل بهذه المقدمة على ماوصفته لك فنقول

اعلم ان الوقوف على ما تضمنته هذه الصناعة الكلامية والالفاظ المنطقية يكون بها انتباه للنفوس الساهية والارواح اللاهية الغريقة في بحر الهيولى وأسر الطبيعة وقيد الالف والعادة

ومن أمثال ذلك أيضاً صناعة الكتابة التي هي أشرف الصناعات وبها يفتخر الوزراء وأهل الادب في مجالس الملوك والرؤساء مع كثرة أنواعها وفنون فروعها وما اختلف فيه الامم من اللغات وأشكال الكتابات وفنون التأليفات مثل ما لاهل الهند وهي الحروف التي أخرجت مع آدم عليه السلام من الجنة وبها يعرف أسماء جميع الموجودات

واما كون عدد حروفها تسعة حسب ما بينا ورسمنا قبل هذا، وذلك لمناسبة الافلاك التسعة الحاوية لجميع الموجودات بأسرها، ثم تفرعت بعد ذلك

واختص بها أهل الهند دون سواهم من الامم، لان آدم عليه السلام كان هناك لما هبط من الجنة

والسريانية لغة ولها حروف وكتابة وصناعة ونسبة تجتمع عليها الحروف، ولها أسماء تختص بها موافقة للغتهم، وهكذا أيضاً للرومية لغة وكتابة أخرى بشكل موافق لكلامهم ولسانهم، وهكذا لليونانيين ولأهل فارس وغيرهم من الامم أجناس من اللغات وفنون من العبارات ولكن أصل الحروف كلها في أي لغة كانت وبأي نقش صورت وان كثرت وتنوعت هو الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيط الدائرة كما ذكرنا قبلا

وأما سائر الحروف، فمركبة منها، ولو تأملت عند انفكاك الحروف العربية وجدت بعضها خطا مستقيما كالالف وبعضها مدورا كالقاف والميم وبعضها مقوسا كالحاء والخاء، وعلى هذا المثال توجد كتابات سائر الامم الذين ذكرناهم وغيرهم ممن لم نذكرهم وقد استغنينا بذكر الاصل والمشهور المعروف عند الجمهور عن ذكر من سواهم لطول الشرح

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن صناعة الكتابة ذات طرفين طرف كأنه البداية وطرف كأنه النهاية فالطرف الاول هو الكلام والنطق بالحروف التسعة التي يستعملها أهل الهند الى وقتنا هذا

والطرف الآخر الذي هو النهاية فهي الحروف الثمانية والعشرون التي هي حروف اللغة العربية وما سوى ذلك فهو بين هذين الطرفين

وانما مثل الحروف كمثل شجرة نبتت وتمرعت وتفرقت فروعها وكثرت أوراقها وثمارها وتقسمها الاقوام فاخذ كل قوم بحسب مااتفق لهم في أصول مواليدهم وبحسب اجتهاد رئيسهم وما أعمل فيه فكرته وانتجته قريحته وأوجبته رويته بتأييد ربه تعالى والهامه فيأخذ صور هذه الحروف فيلقي عليها أسماء من ذاته فان كان حكيما فبتأييد الله له والهامه، وان كان نبياً مرسلا كان بوحي الله

اليه وكلامه من وراء حجاب عظمته أو بوحيه على السنة ملائكته ويقيدها بصورة أخرى من الكتابة وينطق بلغة أخرى غير اللغة الاولى وينسخ الاسماء من اللغة الاولى الى اللغة الثانية

فاذا تم ذلك له ونطق به وا كمل الصناعة النطقية وقيدها بحروف الكتابة وضم الاشكال الى اشكالها والخطوط الى امثالها ، ثم عرفها أقرب الناس اليه وأكرمهم لديه فيصطلح عليها هو وأهل بيته وعشيرته ثم أهل مدينته وبعد ذلك أهل بقعته ثم أهل أقليمه ثم تنتشر في العالم وينشأ عليها الصغير ويأنس بها الكبير من تلك الامة وينقل الشريعة والملة من اللغة الاولى الى الثانية ويجدد الاحكام والاوامر والنواهي والصلاة واحكام الشريعة الى تلك اللغة التي نطق بها والامة التي ارسل اليها

وكل حكيم من الحكماء أو ملك من الملوك اذا أراد نقل علم أو حكمة أو دين أو شريعة من لغة الى لغة أو من أمة الى أمة فانه يتهيأ ذلك له بتوفيق الله تعالى وموجب مولده وسعادته حتى يتمكن من ذلك ويقدر عليه مثل مافعل سليمان عليه السلام لما أتاه الله الملك وجعل له القوة والقدرة كيف نقل العلوم والحكمة من جميع اللغات حين قهر ملوكها وذلل رؤساءها الى اللغة العبرانية

وكذلك فعل ملك الروم فانه لما غلب اليونان وقهرهم نقل علومهم وحكمهم من اللغة اليونانية الى اللغة الرومية

وكذلك فعل ملوك يونان بمن غلبوا عليهم فلذلك اختلفت اللغات وتباينت الآراء والديانات وكان ذلك لعلل وأسباب يطول شرحها وكل ذلك بامور فلكية واحكام سماوية ومشيئة الهية ذلك تقدير العزيز العليم

فصل

ثم اعلم أن لكل أهل ملة وشريعة كتاب بامر ونهي وحلال وحرام وقضايا واحكام وصناعة من الكلام والكتابة والالحان والنغمات وفيهم من هو عارف بكلية ذلك ومنهم دونه في المعرفة ومنهم من قد عدم صناعة الكتابة الا انه

عارف بالاسماء والمسميات وينطق بحروف الاسماء ولايعرف صورها ولايحسن أن يخطها بيده ولاان يؤلف بينها بنظره ويأخذ جميع مايلقي اليه تلقيناً وربما نجده جيد الخط قليل المعرفة ولايحسن سوى الخط المسطور من غير تصور ويكون منفعة ذلك لغيره لاله

ومنهم من يكون جيد المعرفة قليل النسيان فغرضه ان يعرف الاشياء التي يحتاج اليها مخافة ان ينساها ويستظهر منها ماتدعو حاجته اليه، وكذلك كان آدم عليه السلام في البداية بهذه الصفة يحفظ أسماء الحروف ويتكلم باللفظ وينطق بالمعنى ويدل عليه ولم يخط بيده بقلم ماشاء الله ، بقي على ذلك الى أن أظهر الله تعالى صناعة الكتابة ، في الوقت الذي قدره والزمان الذي يسره والخلق لاتدري بصناعة الكتابة لطفاً منه بخلقه ورأفة بعباده

واعلم بأن لهم من الحاجة الى ذلك مالاغنى عنه ولابد لهم منه فصار يحدث في وقت كل قران وبموجب كل زمان نوع، من أنواع الكتابات وجنس من أجناس اللغات والخطوط والعبارات ويحدث في ذلك من كل امة وكل لغة انواع الكلام والنظم والالحان والنغمات وأشياء كثيرة لايحصيها الا الله عز وجل

ثم اعلم انه قيل ان أول من نطق باللغة العربية كان يعرب بن سام ثم لم تزل تتسع مع الزمان وتتزايد على كثرة العرب وانتشارهم في الارض بحسب اتفاقات تقع لهم فى مواليدهم وبقاعهم وأمزجتهم وطباعهم وأبدانهم وأهويتهم حتى صارت أنواعاً كثيرة وصار لكل قبيلة من قبائل العرب لغة يعرفون بها وكلام ينسب اليهم ويتميزون به عن غيرهم ، واختلفوا فى أسماء الاشياء حتى صار الشيء الواحد من الموجودات له فى لغة العرب أسماء كثيرة يعرف بها ويشار اليه بها كلها ولذلك صار علم اللغة العربية من العلوم الكبار وصار الناس من الحاجة اليه بحيث لايسعهم تركه بل يجب عليهم علمه ولاينبغي الجهل بشيء منه وذلك من حكمة الباريء تعالى انه خلق الموجودات والقى عليها الاسماء والصفات وجعل لها فى كل طائفة وفى كل لغة أسماء تعرف بها ويشار بها اليها خلاف مافى لغة أخرى

ولو تأملت واعتبرت لغات العرب لرأيتها من العجائب الطريفة والحكمة الشريفة فانظر كيف اختلفوا في كثير من كلامهم وماهم محتاجون اليه من أسماء مأكولهم ومشروبهم وقد جمعتهم لغة واحدة وشريعة واحدة حتى ان القراء اختلفوا فى قراآتهم وتباينوا فى رواياتهم

وكذلك تجد فى اللغات غير اللغة العربية أكثر والامر فيها أصعب ، وعلى هذا المثال فى الآراء والديانات أيضاً حتى ان كثيراً من العرب الذين يسكنون البرارى البعيدة من العمران من يجرى فى لغته أسماء كثيرة لايعرفها من باقي العرب أكثرهم ولايعرفها العرب الحاضرة الا بعد البيان والايضاح ويحتاج فيه الى معرفة اشتقاقاتها حتى تتصور له ثم يسمى ذلك الشيء بذلك الاسم كل ذلك لعلل وأسباب يطول شرحها

وكذلك اختلفت المذاهب والآراء والديانات والاعتقادات فيما بين أهل دين واحد لافتراقهم فى موضوعاتهم واختلاف لغاتهم وأهوية بلادهم وتباين مواليدهم وتصور رؤسائهم وعلمائهم وأستاذيهم الذين يختلفون فيما بينهم طلباً لرياسات الدنيا . وقد قيل فى المثل خالف تذكر لانه لو لم يقع بين رؤساء علمائهم الاختلاف لم تكن لهم رياسة وكانوا شرعاً سواء لان أكثرهم متفقون فى الاصول مختلفون في الفروع

مثاله انهم مقرون كلهم بتوحيد الله ووصف البارى تعالى بما يليق به من الصفات ومقرون بالنبى المبعوث اليهم متمسكون بالكتاب المنزل من جهة الرسول المرسل اليهم مقرون بايجاب الشريعة مختلفون في الروايات عنه والمعاني التى وسائطها رجال أخذوها منه فرواها كل من أخذ بلسانه لان النبى صلى الله عليه وآله من معجزاته وفضله انه كان يخاطب كل قوم بما يفهمون به بحسب ماهم عليه من حيث هم وبحسب ما يتصورونه في نفوسهم وتدركه عقولهم فلذلك اختلفت الروايات وكثرت مذاهب الديانات واختلفوا في خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك من أكبر أسباب الخلاف في الامة الى حيث انتهينا

وأيضاً فان أصحاب الجدل والمناظرات ومن يطلب المنافسة فى الرياسة اخترعوا من أنفسهم في الديانات والشرائع أشياء كثيرة لم يأت بها الرسول عليه السلام وما أمر بها ، وابتدعوها وقالوا للعوام من الناس هذه سنة الرسول عليه السلام وسيرته وحسنوا ذلك لانفسهم حتى ظنوا ان ماقد ابتدعوه حقيقة وان النبى عليه السلام أمر به وأحدثوا في الاحكام والقضايا أشياء كثيرة بآرائهم وقياسهم وعدلوا بذلك عن كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه السلام واستكبروا عن أهل الذكر الذين بينهم ، وقد أمروا أن يسألوهم عما أشكل عليهم وظنوا بسخافة عقولهم ان الله قد ترك أمر الشريعة وفرائض الديانة ناقصة حتى يحتاج هؤلاء الى أن يبينوه بآرائهم الفاسدة وقياساتهم الكاذبة واجتهادهم الباطل ويخترعوه ويبتدعوه من ذواتهم وكيف يكون ذلك وهو يقول تعالى « مافرطنا في الكتاب من شيء » وقال « تبياناً لكل شيء » وانما فعلوا ذلك طلباً للرياسة كما بينا آنفاً ، وأوقعوا الخلاف والمنازعة فى الامة فهم يهدمون الشريعة ويوهمون من لايعلم انهم ينصرونها

وبهذه الاسباب تفرقت الامة وتحزبت ووقعت بينها العداوة والبغضاء أبداً وصاروا الى الفتن والحروب واستحل بعضهم دماء بعض فان اتعظ بعض من يعرف الحق من العلماء وخاطب رؤساءهم في ذلك وخوفهم وأرهبهم من عذابه عدلوا الى العوام وقالوا لهم هذا فلان ويغرون به العوام وينسبون اليه من القول مالم تأت به شريعة ولاقاله عاقل .ولايتمكن ذلك العالم أن يبين للعوام كيف جرى الامر في الشريعة وينبههم على فساد ماهم عليه لما قد غلب عليهم من العصبية التى الفوها ونشؤا عليها وأخذها خلف عن سلف

ولما رأى رؤساؤهم ذلك وأن العلماء قد اشمأزوا من العوام وجعلوا ذلك سوقاً لهم عندهم وأوهموهم ان ذلك انقطاع منهم عن الحجة والقيام بايرادها وان سكوتهم وتخفيهم انما هو لبطلان مامعهم ، وان الحق ماهو الا مااجتمعنا عليه نحن الآن فلايزال ذلك دأبهم والرؤساء الجهال فيهم يتزايدون في كل يوم

واختلافهم يزيد واحتجاجاتهم ومناظراتهم تكثر وجدالهم ينتشر حتى ينسخوا أحكام الشريعة ويغيروا كتاب الله بتفسيرهم له بخلاف ماهو به كما قال « يحرفون الكلم عن مواضعه » وفي أصل أمرهم قد حولوا الشريعة من حيث لايشعرون وأولوا أخبار النبى عليه السلام بتأويلات اخترعوها من تلقاء نفوسهم ماانزل الله بها من سلطان وقلبوا المعاني وتكلموا بها على ما يريدون مما يقوي رياستهم ويقبح أهل العلم عند العوام وذلك دأبهم يتوارثونه ابن عن أب وخلف عن سلف وكابر عن كابر الى أن يشاء الله اهلاكهم ويقضى بانقراضهم وفنائهم. ولم يزل هؤلاء الذين هم رؤساء العوام أعداء للحق في كل بلد وقرية فكم نبى قتلوه ووصى جحدوه وعالم شردوه ، وهم بأفعالهم كانوا السبب في نسخ الشرائع وتجديدها في سالف الدهور الى أن يتم ماوعد الله تعالى بقوله « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز » و « العاقبة للمتقين » « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين »

فهذه العلة هي السبب في اختلاف الآراء والمذاهب واذا كان كذلك يجب على طالب الحق والراغب في النجاة أن يطلب مايقربه الى ربه ويخلصه من بحر الاختلاف والخروج من سجون أهل الخلاف وما الذي ينبغي له أن يعمل حتى يتخلص من هذه الورطة وينتبه من هذه الرقدة ويستيقظ من هذه الغفلة وينظر في أيام حياته قبل دنو وفاته فان الامل مدة ممدودة وللاعمال أيام معدودة وآجال محدودة وانما خلق الانسان في الدنيا ليكون متوجهاً الى ربه تعالى مستعداً لمقابلته بعمله لانه ينفذ من غير أن يستأذن فان كان معه زاد وجده كما قال تعالى « وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله » فانه الزاد وان لم يكن معه زاد كان ممن يقول « ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل » والله تعالى يقول « قد خسروا أنفسهم » ووبخ قوماً فقال لهم « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » أي صفراً من الزاد وقال « أفحسبتم انما خلقناكم

عبثاً وانكم الينا لاترجعون » وقال تعالى « ووفيت كل نفس ماعملت وهو اعلم بما يفعلون »وآيات كثيرة فى القرآن تدل على ان الديانات والشرائع ووظائف العبادات انما جعلها الله طرقات ومسالك يسلكها العبد الى رحمة خالقه ويمشى القاصد بها طالباً لجنته والقرار بجواره

وان غفل عن مصالحه وأعرض عن مقاصده وترك طريق الحق وأهله والدين الذى لا اختلاف فيه ، وانضم الى أهل الخلاف والشقاق والى طالبى الرياسة من العوام واستحسن نمق الكلام وزخرف القول ممن يريد العلو والرياسة فى دين الله تعالى تشبهاً برسوله الذى أرسله ونبيه الذى بعثه وهو يوهم الناس انه ركن من أركان الدين والشريعة وانه برأيه وقياسه واجتهاده قد أقام معوجها وأبان معجمها ، نعوذ بالله من الميل والانضمام الى هؤلاء ،كان ذلك سبب بواره وهلاكه وبعده عن جوار الله وقربه وقرن بالشياطين أعداء الله كما قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) فهكذا يكون حاله مع عالمه وغيره،تراه جميع العوام حاله شقية وكلامه وتهذيبه والفاظه بعيدة من حيث لايشعر لانه اذا حلل بقوله وحرم برأيه فقد عبده كما قال تعالى (انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وقال تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) فعليك أيها الاخ بأهل العلم ومواظبة الذين هم أهل الذكر من أهل بيت النبوة المنصوبين لنجاة الخلق فقد قيل استعينوا في كل صنعة بأهلها

ثم اعلم بأن أهل الذكر في بعض الوجوه هو العقل الذى يذكر النفس ماغاب عنها من أمر عالمها الروحانى ومحلها النوراني ويحرضها على المتاجر الرابحة ويحثها على الاعمال الصالحة وان النفس متى عدلت عنه وخالفته وتركت وصية ربها وما أمر مولاها واقبلت على الطبيعة ومالت الى استحسانها وطلب الرياسة والعلو والتعصب والتعدى أصابها مثل ما أصاب المقعد والاعمى الذين خالفا وصية صاحب البستان

حكاية

ذكر فيما يروى من الامثال أنه ببلاد الهند رجلان أعمى ومقعد اصطحبا في طريق فعبرا بستانا فمالا اليه فرآهما صاحب البستان وشاهد فقرهما ومسكنتهما فرحمهما وقال لهما ماتقولان فى أن أدخلكما بستانى هذا فتأويان اليه وتتناولان منه بحسب الحاجة ما يكفيكما مما آتيكما فلا تولعا بالثمار فتفسداها فقالا وكيف نؤذيك في بستانك ونحن على مانرى من الزمانة وسؤ الحال: أحدنا أعمى والآخر مقعد وأى حيلة لنا في تناول شيء من الثمار وهى على رؤس الاشجار فقال صاحب البستان لهما ادخلا ذلك المكان وتبوآ مكاناً منه وأوصى بهما الناطور الموكل بالبستان وقال له احفظهما وأحسن اليهما وأتهما من ثمرة هذا البستان مايكون فيه صلاح شأنهما فقال سمعاً وطاعة ومضى صاحب البستان لشأنه وأقاما على ذلك مدة والناطور يتعهدهما بما فيه كفاية لهما واينعت الثمار وكثرت وحسنت فقال المقعد يوماً للأعمى ويحك انك صحيح الرجلين وان في هذه الاشجار التى في هذا البستان أنواعا من الثمرات وأجناساً من الطيبات وهذا الناطور لا يحمل الينا من هذا الجيد شيئاً فما الحيلة فى تناول ذلك فقال الاعمى قد شوقتنى الى ماذكرت وانك ترى وتعاين من هذه الطيبات وأصناف الثمرات فما الحيلة في ذلك فلم يزالا يفكران ويعملان الروية أن قال المقعد للاعمى ويحك أنا صحيح العين أرى ما غاب عنك فاحملنى على كتفك لاطوف بك فى البستان فكلما رأيت ثمرة مليحة طيبة قلت لك قدمنى يمنة ويسرة وتطاول وتقاصر فأقطفها لك فأكل منها وأطعمك وما اعتذر وصول يدي اليه اضربه بعصاك الى أن يقع فتشيله بيدك أنت وليكن ذلك اذا غفل الناطور

فقال الاعمى نعم مارأيت وأنا أفعل ذلك غداً فلما كان الغد ذهب الناطور في حوائجه وأغلق باب البستان فركب المقعد عنق الاعمى وطاف به البستان فأفسدا فيه ذلك اليوم ما قدرا عليه ووصل المقعد اليه ثم رجعا الى موضعهما ورقدا فلما جاء الناطور لم يخف عليه ما حدث في البستان من فساد الثمار وما كان

غير عليه منها فى أشجار معلومة أراد قطافها ليهديها الى بعض رؤساء الناحية فلم يجده على الشجرة فجاء اليهما وسألهما هل دخل ذلك البستان أحد في غيبتى فقالا له ماندري فقال الاعمي ترى حالى انى لا أبصر وقال المقعد وأنا كنت نائماً فصدقهما الناطور . فلما كان الغد خرج الناطور على الرسم فقاما وفعلا أقبح من فعلهما الاول وعاد الناطور ورأى الفساد قد تضاعف عما كان بالامس فخاف الملامة من صاحب البستان وانه يقول لعلك تبيع ثمارى أو لست تحفظها فقال كيف أعمل حتى أعلم من الذي يصيب هذا البستان ومن يفعل ذلك في البستان فلما كان من الغد اوهمهما أنه قد خرج لعادته واستتر ببعض حيطان البستان فقاما الى ما قد عولا عليه من الفساد وارتكاب المحظور فلما رآهما الناطور علم أن الفساد من جهتهما وكان رجلا حليما رحيما لطيفاً فتركهما حين رأى مايعملانه وقبيح ما يصنعانه الى أن عادا الى مكانهما فأقبل عليهما وقال لهما ويحكما ما الذي استحق به صاحب البستان ما فعلتماه من هذا العبث والفساد في البستان فبهتا فقال الناطور انى نظرت اليكما وقد قمت أيها المقعد فى كتف عنق الاعمى ومشى بك تحت الشجرة فما وصلت اليه أخذته بيدك وما لم تصل اليه ضربته بعصاك فلما سمعا منه ذلك تحقق كلاهما أنه قد رآهما فقالا له قد فعلنا ذلك فلا تخبر به صاحب البستان فانا نتوب على يديك ولا نعاود فقبل منهما وأقبل الناطور يعظهما وقال أنا آتيكما بكلما تريداه من الثمار والفواكه من حيث لا أضر ببستان صاحبى ولا أضر به ولا أرتكب ما نهي عنه لئلا تأكلا الا من حلة

فقالا سمعاً وطاعة وتركاه حتى غاب الناطور وعادا الى ما كانا عليه بل أقبح فرجع الناطور ورأى أثر فسادهما فأعاد عليهما النصيحة ووعظهما وخوفهما بالله تعالى فلم يقبلا وارتكبا ما نهاهما عنه فاتفق دخول صاحب البستان اليه ذلك اليوم فلم يجد الناطور بدا من اعلامه بما كان من أمر الاعمى والمقعد فقال صاحب البستان قد كنت أقدر أن يركب المقعد ظهر الاعمى ويطوف به في البستان فيفسدان على المعيشة

فقال له الناطور هكذا عملا وقد نهيتهما فما انتهيا، فقال صاحب البستان انهما قد استحقا العقوبة بما فعلا من قبيح ما ارتكباه، ثم أمر عبيده وأعوانه أن يعاقبوا المقعد والاعمى أشد العقوبة وان يخرجوهما من البستان الى برية لا يجدان فيها معتصما ولا ملجأ حتى يأكلهما الوحش ويهلكهما الجوع والعطش ففعل بهما ذلك وأخرجا من البستان ورمي بهما فى البرية كما فعل بآدم وحواء عليهما السلام لما ذاقا الشجرة

تفسيره — فاعلم أيها الاخ أنه اذا ضربت حكماء الهند هذا المثل فما ذلك الا لأنهم شبهوا النفس بالمقعد وذلك لانها لا تبطش الا بالآلة الجسدانية وبهذه الآلة تتمكن من الطاعة والمعصية وشبهوا الجسد بالاعمى وذلك انه ينقاد حيث ما تقوده النفس ويأتمر لما تأمره به وشبهوا البستان بدار الدنيا والثمار بطيبات الدنيا من الشهوات وصاحب البستان هو الله تعالى وشبهوا الناطور بالعقل الذي هو يدل على المنافع ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والعدوان، وهو ينصح النفس ويدلها على ما يكون لها به من الصلاح والسلامة في الدين والدنيا جميعا وأخذ الاشياء من حيث يجب فاذا لم تقبل النفس منه وعدلت الى الشهوات الجسمانية والمحاسن الطبيعية والملاذ الجرمانية التى يكون بها صلاح الجسم وحسن حاله في الدنيا، فبذلك تكون اماتتها وخسران آخرتها وتحيط بها سيئات ماعملت في البستان، وقبائح ما اكتسبته في الدنيا وتكون من تناول الشهوات غافلة عن مصلحتها متردية في ضلالتها حتى تأتيها ملائكة الله الغلاظ الشداد وزبانيته وجنوده وتخرجها من دار الدنيا بالكره والاجبار فعند ذلك تقدم على ماعملت من سوء، ومن قبائح ما اكتسبته من سوء آدابها . وقد خسرت الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وعند نزع النفس يأتيها الخبر وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

فاحذر أيها الأخ أن لا تغتر بهذه الدنيا ولا بمصاحبة الجسد الفاني المضمحل المتغير الفاسد وانما هي أيام يسيرة ولذة حقيرة ومدة قصيرة واعدل الى الحق

والعقل فانهما يؤديانك الى ربك ويدلانك على الاعمال الصالحة التى يكون لك بها الدرجة العليا والوصول الى الجنة المأوى في مقام الكرام حيث لا تحتاج الى جسدك الفاني ولا تذوق الموت ولا يصل اليك الألم ولا يجديك السقم ولا تبتلى بمفارقة الاحباب ومباينة الاصحاب ولا يلحقك غم الفقر ولا ذل القهر ولا ضيق القبر ولا كرب الاشتياق وتكون في حظيرة القدس وروضة الانس أمناً من المصائب والنكبات وحوادث الزمان ولا ترى الا ما تحب وتؤثر وتأمن من النوائب الزمانية وما يدفع اليه أهل الدنيا من الكدر والنصب والتعب والعناء والجوع والسغب ونكد الزمان وجور السلطان وحسد الحيوان وما هو موجود بين أهل الديانات والمقالات من العدوات والمباغضات والملاعنات وما يستحل بعضهم من بعض من سفك الدماء وأخذ الاموال وهتك الحرم

فاذا تأملت فى أمور الدنيا وجدتها كدار قد ملأت أجناس حيوانات تعادى بعضها بعضا عداوة طبيعية مركوزة في الجبلة كعداوة البوم والغربان وعداوة الكلاب والسنانير وهي تهر بعضها على بعض وتحسد بعضها بعضاً كغلبة السباع والكلاب ، وكما يفعل الملوك والسلاطين لمن دونهم اذا غلبوا عليهم وأخذوا أموالهم وكما تفعل الكلاب بالسنانير التى تخالفها في الصورة اذا وصلت اليها وقدرت عليها حسداً لها على ما تأكله من دور الناس ومن الدعة والرفاهة التى هي فيها ومحبة الناس لها واكرامهم اياها .

فهكذا أمور الدنيا وأهلها الاشرار أعداء الاخيار والفقراء أعداء الاغنياء يتمنون لهم المصائب واذا قدموا على شيء من أموالهم أخذوه ونهبوه وكذلك أهل الشرائع المختلفة يقتل بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضا كما يفعل النواصب والروافض والجبرية والقدرية والخوارج والاشاعرة وغير ذلك وكذلك فى الملة العبرانية مثل العينية والسمعية ، وفي الملة السريانية كالنسطورية واليعقوبية وما بينهما من الخلاف • وكذلك في الملة الصابئية • وكذلك تجد المختلفين في اللغات

يستوحش بعضهم من بعض ويثقل على كل واحد منهم ما لم يألفه من لغة وهذا لا يخفى على من تأمله وتفكر فيه

ثم اعلم أنه لا يصلح بين أهل الديانات ولا يؤلف بين المتعاديات ولا تزيل من النفوس العداوات والاحقاد الطبيعية الا المعرفة بالحق الذي يجمعهم على كلمة التقوى ويدعوهم الى سبيل الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً » وقال تعالى لرسوله عليه السلام « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال تعالى « اخواناً على سرر متقابلين » وقال تعالى يحبون من هاجر اليهم » وقال تعالى « قل هذه سبيلى ادعوا الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » فمن رأى نفسه معادية لطائفة من الطوائف حنق عليها فهو لا يزدرع الحق في قلبه ولم تخالط الهداية لبه

فصل

ثم اعلم ان الدين والشريعة في أزمان النبى المبعوث عليه السلام الى قومه هما من الله تعالى ولا يكون فيهما اختلاف ولا تباغض ولا عداوة ويكون رأي المؤمنين في زمانه رأياً واحداً وتكون محبة بعضهم لبعض خالصة لا تشوبها كدورة ويكونون مطمئنين مساعدين على اقامة الدنيا ومجاهدة الكافرين وانما مجاهدتهم الكفار لا لعداوة منهم للكفار بل ليردوهم الى الحق ليكون المسلمون فارغي البال من كيدهم ونهبهم ويقنعوا من الكفار بالجزية ان لم يقبلوا الدين لانهم لا يأمنوهم ان تركوهم ولم يطلبوهم فى بعض الاوقات بالجزية فقد قيل في المثل ان الروم ان لم تغز غزت، فهذا سبب قتالهم الكفار والافليس لهم رغبة في سفك الدماء واتلاف النفوس وخراب الديار وبالرغم منهم يجري ذلك على أبدانهم ضرورة لما اعلمتك لان ظاهر هذا الفعل من فعل الاشرار الذين لا رأفة لهم ولا رحمة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أراد قتال المشركين أرسل

اليهم من ينذرهم ويحذرهم ويبين لهم فساد ما هم فيه ويدعوهم الى ما معه من الحق كما أمر الله تعالى بقوله : أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن وأمره بالملاطفة فقال تعالى : وقولوا لهم قولا سديداً وقل لهم قولا معروفا.

وقال لموسى عليه السلام لما أرسله هو وهرون عليهما السلام الى فرعون فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ففعل النبى عليه السلام ذلك فلما أبوا واستكبروا وقالوا لا نرضى بدينك وكانوا من أهل الكتاب أمرهم على بذل الجزية بعد أن تجري عليهم أحكامنا ويكفوا أذيتهم عنا ليكون اذلالا لهم لئلا يحدثوا أنفسهم بغلبتهم على المؤمنين ويكون ذلك كالغمغمة والمذلة فان أبوا الجزية . فعند ذلك أمرهم بقتالهم وأمر أصحابه أن لا يبدؤوا حتى يبدؤهم واذا ظفروا بهم أن لا يقتلوا أسيراً حتى يعرضوا عليه الدين والاسلام فان أبى ألزم الجزية فان أبى قتل .

واذا ملكوا دار الكفر ووضعت الحرب أوزارها أمرهم أن لا يقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً ولا امرأة الا ان يقاتلوا ولا راهباً ولا قسيساً ولا شماساً ولا مطراناً ولا جاثليقاً ولا من يكون من خدم البيع والكنائس كل ذلك رأفة بهم ورحمة عليهم

فمن أبى واستكبر وناصب العدواة أمر بجهاده فقال الله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

ألا ترى أيها الأخ الى هذه الرأفة انه لم يأمره بقتالهم الا بعد انذارهم وتذكارهم والملاطفة بهم وذلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا كما قال تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا وقال ما من أمة الا خلا فيها نذير وآيات كثيرة في القرآن فى هذا المعنى

فما دام هذا الخلاف واقعاً في الآراء والمذاهب فان الغداوة بينها قائمة والحرب لا تنطفي نارها لان كل واحد يقيم الحجة والدليل برأيه وقياسه على

صحة مذهبه وبطلان مذهب غيره ولا يبالى أن يكذب على الله تعالى ورسوله ويسخطهما لرضى نفسه وتعجيل منفعته

وكذلك السلطان الذي اذا رأى فى أحد رعيته أو بعض سكان مدينته من له نعمة حال رغب فيها وحسده عليها وطلبه عليها الحجج حتى يوقع به ويأخذ ذلك الغرض اليسير الحقير في جنب ماملكه الله تعالى من ذلك البائس ويجعله فقيراً مسكيناً متحيراً مغتماً وربما مد عليه الضرب وطالبه بما ليس في وسعه فقتله

وكذلك اذا علم ان رجلا له امرأة نظيفة أو جارية حسنة حسده عليها ولا يزال يتحيل الى ان يفسدها عليه فان صح له مراده والا عدل عن افسادها الى ادعائها فى التزوج ولا يزال يراسلها في ذلك الى ان يطرح بينها وبين زوجها الشر ويفرق بينهما ويأخذها لنفسه كما حكي عن داود النبى عليه السلام بامرأة أوريا بن حنان كيف قدمه أمام التابوت حتى قتل وتزوج بامرأته.

وأيضا ذكروا أن تلك المرأة أم سليمان وكان الاصل في ذلك الهواء والحسد الغالب ومثل مافعله حكيم بن هشام المعروف بابي جهل برسول الله ﷺ وقد علم أنه رسول الله ﷺ ولكن حمله على فعله الحسد وود انه لو كان النبى المبعوث ، كذلك أبو لهب وجماعة من قريش وبنى عبد المطلب الذين خالفوا رسول الله ﷺ وناصبوه العداوة والبغضاء

وهكذا جرت أحوال الامم السالفة فى الايام الخالية والادوار الماضية ولم تزل الامم على هذه الصفة التى ذكرنا

فصل

ثم اعلم ان الاختلاف ينقسم قسمين محمود ومذموم فالمحمود منه كاختلاف القراء وما جرى مجراه من اختلاف الفقهاء فى رواياتهم اذا لم يختلفوا في المعاني ولم يزيلوا الالفاظ من مواضعها ولم يبدلوها تبديلا مع اعتمادهم على صدق المخبر بين لهم بان ذلك من صاحب الشريعة

واذا صح لهم ذلك كان اختلافهم منفعة لان في العرب من يخالف بعضها بعضا في كثير من اللغة العربية

وأما الاختلاف المذموم فهو ما كان منه في المذاهب والاراء فاذا زال الخلاف ظهر دين الاسلام على جميع الاديان واللغة العربية على جميع اللغات ويكون الدين واحداً كما قال الله تعالى :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» واظهار دين النبى ﷺ على جميع الاديان ولغته على سائر اللغات من أجل ان القرآن أكرم قرآن انزله الله تعالى وأشرف كتاب أحكمه وانه لا يقدر أحد من الامم على اختلافهم في لغاتهم أن يحيله عما هو به من اللغة العربية الى لغة غيرها لانه لا يمكن أن ينقل البتة الى لغة على ماهو به من الاختصار والايجاز وهذا لاخفاء به ولا يكون اجتماع الناس على كلمة واحدة الا بمجاهدة المجاهدين المحقين لاهل الباطل وان يكون الخادمون في الناموس آمرين بالمعروف فاعلين له والناهين عن المنكر منتهون عنه الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم وأرجو أن يبلغنا الله ذلك الزمان انه عليه يسير.

ثم اعلم انه انما وقع الخلاف فى الشريعة بعد خروج النبى عليه السلام من الدنيا لما تنازعوا فيما بينهم لطلب الرياسة والمنزلة وكان منهم ما كان الى ان جرى ماجرى من هتك حرمة النبوة وقتل آل بيت الرسالة واهباط الوحي وما فعله ابن زياد بكربلاء وما كان من الفتنة التى شملت أهل الشريعة المحمدية والعصبة الهاشمية من قتل بعضهم بعضاً .

فلذلك كثرت الآراء والمذاهب فقال قوم لم يجر ذلك كله الا بقضاء الله وقدره ولعمري ان الامر كما قالوا لكن انما قصد القائلين بذلك براءة نفوسهم فيما عملوا فانهم انما فعلوا ذلك على ماعلمه ربهم وانه اذا علمه فقد أراده واذا كان ذلك كذلك فلا ذنب لهم ولا وزر ولا لوم ولا وبال

فصل

انهذا الرأي يجرأ الانسان على فعل المعصية وارتكاب الفاحشة وانما يستخرج هذا الرأي في الناس أصحاب الكبائر من الذنوب لما علموا أن ذنوبهم اذا ظهرت وانتشرت في العالم بعد ذهاب أيامهم وانقراض دولهم يكثر لعنهم وسبهم وشتمهم فاذا جرى ذلك كان في العالم من يحفظ هذا الرأى منهم فيذب ذلك عنهم ويقول لمن يسمع هذا منه أمسك فان كل شيء انما كان بقضاء الله وقدره وحكمه عليهم وان ما حكمه الله تعالى لا يقدر أحد على دفعه فيكون هذا تسكينا لما سمع من ذكرهم وأفعالهم وأعمالهم وقبائح ما أتوه من أفعالهم فوسوسوا لجهال الناس والنساء خصوصاً أن ما يفعلونه انما هو محكوم عليهم به لا يمكنهم دفعه فجعلوا هذا الاعتقاد مذهباً وأقدموا على المعاصي بهذه الحجة وأن رد واحد قولهم قيل له أنت كافر قدري فيقول انما قضاء الله تعالى وقدره يمكن أن يحترز منه ولم يعلموا ما القضاء والقدر ولم يطالبوا علمه من أهله ونشاء على ذلك الصغير واعتاده الكبير والى حيث انتهينا هو مذهب أكثر العوام وبعض من عنده انه متميز وانما ذكرت ذكرت هذا بحسب ما أوجبه ذكره في هذا الفصل

ثم اعلم أن أصل العداوة في الدنيا والدين الحسد كما قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد فالحسد يخرب الديار ويوقع الفتن ويورث البغضاء والحقد والغضب والتعدي والظلم والجور وما شاكل ذلك وهو أيضاً من أكبر الاسباب في اختلاف الآراء والمذاهب وذلك اذا اتخذ رجل مذهبا ومال الناس اليه ورغبوا فيما عنده فيراه آخر من أبناء جنسه فيحسده ويجيل فكره ويعمل رأيه الى أن ينحت له من الحجج والكلام ما يفسد به ما أورده ولا يزال يطعن عليه ويسعى في فساده ويغلط في أصله ووضعه فهذا يكون سبب الاختلاف وتكثر المذاهب مع اعتمادهم على صدق صاحب الشريعة الذي أنزل عليه القرآن

واذا صح ذلك لهم كان في اختلافهم منفعة لان في العرب كثير ممن يخالف

بعضهم في كثير من اللغة العربية وانما أراد الله تعالى افهام الكل والافصاح عما بهم الحاجة اليه من أمر الدين والدنيا

وكان النبي ﷺ يجيب السائل من أمته بلغته ويكلمه بلسانه ، فاما غيرهم فانه يكلمهم صلى الله عليه وسلم بكلامهم وانما بعث اليهم وأقام فيهم وعلمهم وأرشدهم وسهل عليهم الالفاظ وضرب لهم المعاني وأخذهم بالملاطفة حتى فهموا الدين وتعلموا القرآن بلسان فصيح لا يخطئ فيه ولا يغيره ولا يبدله اذا كان صحيح الحفظ متقن التلقين. ولذلك ما يقال في الصلاة وفي الحج من التلبية والاحرام والدعاء والابتهال الى الله تعالى يقال فيه ولا يفهم ما سوى ذلك

ثم اعلم ان مثل الامة اذا تركت وصية نبيها واختلفت من بعده واعتمدت على رأيها وأرادت أن تملك عليها ملكا وتنصب فيما بينها خليفة بغير معرفة من الرسول ولا وصية منه ولا أرشاد ورأت في اجتماعها منفعة لها وصلاحاً لامورها من غير نص ولا اشارة فمثلها كما يذكر مثل الغربان والبزاة فيما قيل في أمثال الهند ان الغربان كان عليهم ملك منهم وكان بهم رحيما واليهم محسنا وان ذلك الغراب مات واختلفوا من جهة من يملكونه عليهم من بعده وتحاسدوا وخافوا أن تقع بينهم العدواة.

فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نجتهد في الرأى ونجمع العلماء وأهل الفضل فينا ونعقد مجلسا للمشاورة فيمن يصلح لهذا الامر وفيمن ينبغي أن يكون ملكا علينا فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا لا نرضى بأحد من أهل الملك الذي كان فينا مخافة أن يعتقد ويظن أن الملك انما ناله وارثا من أبيه وأقاربه فيسومنا سوء العذاب. وإذ كنا نحن نتولى اقامة من نقيمه كنا نحن أصحاب المنة عليه والاحسان عليه

قال أحدهم واذا كان الامر على هذا فعليكم باهل الورع والدين فان صاحب الورع والدين لا يكاد يهجم على الامور الدنيوية ولا يرغب في الدنيا .

فقالوا له كيف لنا بذلك فقال لهم طوفوا واطلبوا من هذه صفته فانكم أن تظفروا به قدموه وكان بالقرب منهم باز قد كبر وخرف وضعفت قوته عن الصيد وانحل جسمه وتناثر ريشه من قلة المعيشة وتعذر القوة فبلغه خبر الغربان وما أجمعوا عليه فبرز من وكره الى حيث بمرهم عليه وأقبل يكثر التهليل والتسبيح ويظهر التخضع والتورع فاقبلت الطيور تطاير على رأسه فلا يولع بها ولا يمشي اليها فلما رأته الغربان على تلك الحال ظنوا أنه يفعل ذلك صلاحا وديانة فاجتمع بعضهم الى بعض وقالوا ماترى في جماعة الطيور مثل هذا البازي وماهو عليه من الديانة والزهد فهلموا بنا نوله علينا فأتوا اليه وأخبروه بما عزموا عليه فاتقبض من ذلك وأراهم من نفسه الزهادة فيما عزموا عليه فلم يزالوا به حتى قبل منهم فصار خليفة فيهم وملكا عليهم فقال في نفسه كنتم تحذرون من البلاء وما أراه الا وقد وقع بكم.

فلما تمكن منهم وقوى عليهم بما كانوا يأتونه من الرزق ويجعلون له من الاجرة على ذلك قوي جسمه ونبت ريشه وعادت اليه صحته أقبل يخرج كل يوم عدة من الغربان فيخرج عيونها ويأكل أدمغتها ويطرح ماسوى ذلك من أجسادها فأقام فيها مدة فلما دنت وفاته اعتمد على بعض أبناء جنسه فملكه عليهم فكان أشدمنه وأعظم بلية وأكبر رزية فقالت الغربان بعضها لبعض بئس ماصنعنا بأنفسنا وقد أخطأنا ، فندموا من حيث لم تنفعهم الندامة وكان ذلك سبب الخلاف والمنازعة

فتفكر أيها الاخ في هذا المثل واعتبر به في أحوال من مضى ولا تغفل هذه الاشارات واياك واظهار المخالفة والمداوة والدخول فيما دخل فيه أهل الخلاف فتهلك بهلاكهم ويصيبك ماأصاب العقعق حيث وافق الحمام في ذلك الوقت ونحن نذكر هاهنا ماجرى بينهما

﴿ فصل ﴾

يقال ان جماعة من الحمام البري كانت تطير في الهواء لطلب الرعي فرآها عقعق

وقال في نفسه مالي لا أكون معها فلعلها تمضي الى موضع يكون به معاش فصار في جملتها وانتهوا الى موضع أقبح مراح من الارض وكان سبق اليه صياد فنصب شباكه ودفن فخاخه وطرح فيها حبوباً كثيرة وكمن في موضع لا يرى فقال الحمام بعضه الى بعض نمضي الى مكان وقال بعضها بل ننزل في هذا الموضع واختلفت وتنازعت فيما بينها حتى تضاربت وتحاربت ولم تزل ذلك حتى تقطعت الى تلك الارض ورأت تلك الحبوب فأقبلت الجماعة على التقاطها فأطبق الصياد عليها شباكه فهبطن فيها جميعاً فأخذها الصياد وأهلكها عن آخرها وهلك العقعق مع الحمامات جميعاً. واياك والمكان الذي تكون فيه المنازعة والخلاف وان جرى وأنت فيه فاخرج وابعد عنه. واياك والظلم والتعدي على من هو دونك فانك ان فعلت ذلك أصابك ما أصاب الذئب الذي جار على الثعالب وغصبها وأراد قتلها وقطع أرزاقها

﴿ فصل ﴾

وقد قيل في أمثال الهند ان ثعالب خرجت في طلب ماتأكل فرأت جملا ميتاً ففرحت به وقلن قد وجدنا مانعيش به دهراً ولكنا نتخوف أن يضرب بعضنا بعضاً ولا ندع قوينا يغلب ضعيفنا ويجب أن نؤمر علينا في قسمة هذا الرزق من هو أقوى منا ليعطي كل واحد منا حقه ويأخذ لنفسه قسمة كالواحد منا ، فرضوا بذلك .

فبينما هم كذلك اذ مر بالثعالب ذئب فقلن هذا ذئب قد جاءنا وهو قوي أمين وكان أبوه ملكا في بعض الازمان وكان محسناً الينا وقدعولنا في ذلك عليه وهو لنا رضى فخاطبوه في ذلك وعرضوا عليه ما أرادوه فأجابهم اليه بعد مراودات كثيرة وقال لهم ستجدون كما تحبون وتولى أمرهم وقسم في ذلك اليوم بعض ذلك بينهم بالعدل فلما كان الليل تفكر الذئب في نفسه فقال ان في قسمة هذا الجمل على هذه الثعالب عجزاً وسخافة رأي وماينبغي لي أن أفعل ذلك لاني

ذو قوة وليس لهم قدرة وهذا رزق ساقه الله الي وخصني به دونهم فما الذى يدعوني الى اطعامها اياه والله يقسم لهم غيره وأنا أدخره لنفسي

فلما كان من الغد أصاب الجوع جماعة الثعالب فاجتمعت عليه فدفع اليها نصف الجمل فقسمه بينها كما فعل بالأمس وقال لاتعدن الى بعد يومكم هذا فلا رزق لكن عندي وان عاودتم جرى عليكن مني مكروه فعند ذلك علمت الثعالب انها وقعت في بلية فقال بعضها لبعض ان صاحبنا هذا خبيث فاجر ونراه يريد ظلمنا والتعدي علينا لانه ذو قوة وقد علم انه ليس فينا من يقوى عليه وقد طمع في الفوز بأرزاقنا وقال بعضهم لعله انما حمله على ذلك ما كان فيه من الضر ولعله اذا شبع منه قسم الباقي علينا وفى هذا اليوم يشبع فان جثة الجمل عظيمة وتلك الساعة يرجع الى خلق الكرام فقد قيل فى المثل لامروءة لضعيف ولاضيافة عند جائع ولا بد لنا من معاودته ومخاطبته

فلما كان من الغداة أتاه جماعة الثعالب وقلن ياأبا جعدة إنا جعلناك أميراً علينا ووليا حتى لايظلم بعضنا بعضاً ورجونا فى فعلنا ذلك عدلك وفى أول يوم عدلت بيننا فى أول ولايتك وأطعمتنا فى مرؤتك ثم أتيناك أمس فدفعت الينا النصف مما دفعت في اليوم الاول وأتبعته باليأس مما لنا عندك دفعة واحدة وأغلظت القول علينا فانصرفنا عنك وقد ظننا بك خيراً فكن عند ظننا بك ولاتقصد ظلمنا ونحن ضعاف وقد أصابنا الجوع الشديد وقد رزقنا الله تعالى هذا الرزق فكل منه مايكفيك وأطعمنا منه وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فأبى عليها وردها وزاد فى الغلظ لها وايأسها من كل خير لها عنده

فلما لم تجد حيلة اجتمعن وقلن كيف نعمل في أمر هذا الغادر الجائع فاجتمعت آراؤهن على أن يرفعن أمرهن الى الأسد اذ هو أقوى منه وهو ملك السباع كلها وأن يقصصن عليه قصتهن من أولها الى آخرها وجعلن له الجمل جعلا على

اهلاكه ثم يذهب كل واحد من هذه الثعالب بعد ذلك في طلب رزقه من ربه كما وعد وله الفضل علينا. فاجتمعت على ذلك وحضرت عند الاسد وقصت عليه القصة وتظلمت من الذئب فاغتاظ الاسد منه وأمرها أن تسير بين يديه فأتوه ووجدوه باركا على جثة الجمل يأكلها فقبض الأسد عليه فقطعه قطعة قطعة ومزقه ورد جثة الجمل على الثعالب وخلى بينه وبينهن ولذلك قيل مامن طامة الا وفوقها طامة

فصل

ثم اعلم ان السلطان الجائر قصير العمر لأن الله قاصم كل جبار عنيد ومهلك كل مارد ومعتد، وهو منصف المظلوم من الظالم فانه جلت قدرته يقول في بعض الكتب المنزلة أيها السلطان انما جعلتك خليفتي في أرضي والقيت عليك اسما من أسمائي وملكتك رقاب عبادي وبسطت يديك في بلادي لتنصف المظلوم من الظالم . فاذا كنت أنت الظالم وتعديت على الضعفاء من خلقي والمساكين من عبادي ، وصرت أنت الظالم وهم المظلومون ، فأنا ملك الملوك وسلطان السلاطين ، وأنا آخذ الحق منك . ثم أذن للمهلكين في اهلاكك وتخليدك في العذاب الأليم

ثم اعلم انك ان أقبلت على شهوات الدنيا وملاذها واغتررت بما فيها من الطيبات ومحاسن المرئيات واشتغلت بها عما لك فيه صلاح ونجاح في دار المعاد يوشك أن يؤتيك ما أصاب رجلا اجتاز في طريق كان يسلكه في نهر جرار ينحدر من جبال وعليه جسر يعبر عليه الناس

وانه لما صار على ظهر الجسر وقف ينظر الى جريان الماء فبينا هو كذلك اذ نظر الى سمكة كبيرة من أحسن أجناس السمك فقال في نفسه ما انصرف في يومي هذا الى بيتي بأحسن من هذه السمكة فأشويها وأجمع عليها أهلي وأولادي وآكل منها أكلة طيبة ولكن أخشى من جريان الماء ان يحول بيني وبين السمكة

ثم قويت شهوته ورام مقام السمكة بحيث يراها وقويت طبيعته في أخذها فنزع ثيابه ورمى بنفسه وغاص وراءها الى أن قبض على السمكة باحدى يديه وفرح بظفره بها واشتغل عن السباحة مخافة أن تفلت السمكة منه فغلبه الماء لشدة جريانه فزحزحه عن الموضع الذى نزل منه وأشرف على الهلكة وشح على السمكة ان يفلتها وينجو بنفسه فلم يزل ذلك حاله وهو يروم الخلاص بنفسه مع السمكة حتى حدره الماء الى جرف عظيم ينصب الى وهدة تحت الارض فغاص به فأتاه عامر النهر وكان يسكن ذلك الموضع . فقال ما تفعل في هذا المكان الذي لا يقع فيه أحد الا غرق وهلك

فقال أنا الذي تركت الطريق الواضح والمحجة اللائحة التى فيها النجاة والسلامة ووقعت في هذه المهلكة من أجل لذة يسيرة وشهوة حقيرة · فقال له هلا خليت ما في يدك ونجوت بنفسك . فقال الطمع منى في السلامة والفوز بما كنت حدثت به نفسى . فقال انك جاهل وما أرى أحداً أولى منك بالغرق فوضع يده على رأسه فغرقه . فاذا تفكرت يا أخي في هذه الامثال والاشارات وقرأت على اخواننا أيدهم الله، كان ذلك ذكرى لك ولقومك ونعوذ بالله ان تكون ممن تنطبق عليه هذه القصة ولا أحد من اخواننا ولكن اتباعاً لقول الله تعالى حيث يقول لرسوله «فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين»

فصل

وقد حكى أن بعض ملوك الهند لما دنت وفاته وكان مسلماً قد أحضر ولداً له قد كان أهلا للملك بعده ولم يكن له ولد سواه وقد علمه شيئاً من الحكمة وعرفه شيئاً من سياسة الملك

فقال له يابنى أوصيك بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته في أمر دنياك بعشر خصال تنتفع بها في الآخرة أولها وأولاها الاقرار بالتوحيد والابتهال اليه بالدعاء والتضرع بالليل والنهار . والثانية الاقرار برسله وتصديقهم والقبول منهم.

والثالثة التصديق بالكتب المنزلة من عنده عليهم . والرابعة حفظ الناموس وسياسة الناس . والخامسة التواضع لله وترك الفخر . والسادسة ترك الظلم والجور فانمن ظلم عباد الله كان الله تعالى خصمه ومن كان الله خصمه فهو مخذول لا محالة. والسابعة ترك مخالطة النساء والاجتماع معهن والاصغاء الى قولهن فانها تفسد عقول الرجال اذا اصغوا اليهن. والثامنة ترك شرب المسكر فانه عدو العقل والعقل خليفة الله الباطن فمن سلط على خليفة الله عدوه دمره الله وذهب عقله بدخول عدوه عليه فاذا ذهب العقل فلا دين ولا علم ولا مروءة ولا حياء ولا مراقبة ومن عدم هذه الخصال كان موته صلاحاً عاماً . والتاسعة الكرم والسخاء وسماحة النفس والتفضل على سائر الناس صديق أم عدو فانه خلق يشرف صاحبه. والعاشرة صدق القول وأداء الأمانة الى البر والفاجر • وعليك يابنى بعشر خصال أخرى تنفعك في دنياك وترى بها الخير والبر والبركة وزيادة الرزق أولها حسن الخلق . وثانيها حسن الادب وثالثها صدق الوعد والوفاء بالعهد . ورابعها العفو عند القدرة . وخامسها اصطناع الرجال وترك الحسد . وسادسها ان تحرص على ان لا يكون لك عدو وان كان لك عدو فيكون احسانك اليه عقوبتك له فان الله يكفيك مؤونته ويمكنك من ناصيته . وسابعها ترك التفريط فيما لديك من وديعة الله عندك وان لا تفعل الا ما يقربك اليه . وثامنها أن تكون مروءتك غالبة لشهواتك . وتاسعها ان لا تؤثر دنياك على آخرتك فان الله سبحانه اذا علم منك ذلك آتاك الدنيا فانه يقال ان الله عز وجل أوحى الى الدنيا يادنيا من خدمك فاستخدميه ومن خدمنى فاخدميه . وعاشرها ترك النظر فيما لا يعنيك وان لا تشتغل الا بما يشغلك الله تعالى به

وعليك يابنى بعشر خصال أخرى يصلح الله تعالى بها ملكك ويثبت بها سلطانك: أولها أن تكون متفقداً لأهل مملكتك حتى لا يغيب عنك شيء من أمور صغيرهم وكبيرهم بل يكون علمك محيطا بجميع أعمالهم والثانية أن تقابل كل واحد من رعيتك على قدر عمله والثالثة أن يكون عدلك شاملا لهم والرابعة أن لا تجور عليهم والخامسة أن لا تسوي بين علمائهم وجهالهم في العطية والمنزلة والسادسة أن

تولى عليهم من قبلك الاخيار والاحرار واياك أن تولى عليهم العبيـد والسـوقة وأولاد الزنى

ثم اعلم أن أعمال ولاتك اليك منسوبة أن عدلوا قيل عدل السلطان وأن جاروا قيل جار السلطان والسابعة أن لا تستعمل من أصحاب الرأى والمشورة من هو مخالف لك في دينك فانه لا ينصحك وان نصحك في أول مرة غشك في أخرى والثامنة أن يكون وزيرك أرفع أهل زمانك درجة في الدين والدنيا جميعاً ويكون من الاخيار فقد قيل أن من لا أصل له فلا فرع له ومن لا فرع له لا ثمرة له وكل شجرة لا ثمرة لها فالنار أولى بها والتاسعة انصاف المظلوم من الظالم ومنع القوى من التعدى على الضعيف والعاشرة رد الحق الى أهله والانتصار لهم فاذا كملت لك هذه الخصال الثلاثون رجوت لك كمال الامور في الدين والدنيا والملك والسلطان واستوجبت أن تكون ملكا عادلا فتنال بذلك الحظوة من الله تعالى وحسن العاقبة في المعاد والمنقلب اليه

فتأمل أيها الاخ هذه الوصية وتدبرها وانظر شفقة هـذا الملك العادل على ولده كيف رضي له ما كان يرضى لنفسه فهكذا يجب على الحكيم أن يوصي تلامذته وعلى النبي أن ينصح أمته ومن يخلفه فيهم لمقامه وخلافته من بعـده وكان مما أوصى هذا الملك رعيته ما يأتي ذكره في هذا الفصل

فصل

ويقال انه لما فرغ من وصية ولده الذي أهله للملك بعـده جمع علماء أهل مملكته وأولي الفضل والشرف فيهم من أهل المنازل والرتب الذين هم أصحابه وأسبابه فقال أيها العلماء الذين كانوا ولاة أمري وأهل سري وبطانتي قد كنتم لي نصحاء ومطيعين وحسنت طاعتكم لي بنية صادقة، وكانت ألسنتكم بشكري ودعا لي وحسن الثناء علي ناطقة، وكنت لكم مكرماً ولحقكم عارفاً وعليكم مشفقاً والى جماعتكم محسناً فكونوا لهذا الغلام مثل ما كنتم لي يكن لكم مثل ما كنت لكم. ثم قال لجمعهم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا ولاتكم واياكم والخلاف والنفاق

والعداوة والمنازعة والمجادلة في أديانكم وآرائكم ومذاهبكم فان في ترك ذلك صلاحا لكم ولأنفسكم وجمع شملكم ودعة لقلوبكم ودفاعا عن بلادكم ولا يطمع فيكم عدوكم مادمتم على ذلك وان تركتم ماهو خير لكم واستبدلتم به ماهو شر لكم فعند ذلك يطمع فيكم عدوكم وتخرب بلادكم وتكون نفقتكم في ذلك أموالكم وأنفسكم وربما لا يكون لكم قوة بذلك فتهلكوا عن بكرة أبيكم ولا تتعادوا في المذاهب ولا تتلاعنوا فتهلكوا عن بكرة أبيكم واعلموا أن في اجتماع الكلمة وترك الخلاف بركة لمن أقبل عليها وحصناً لمن التجأ اليها فأن القضيبين اذا جمعا وكانا ضعيفين وضم اليهما من جنسهما أضعاف عديدة حتى تكون قبضة فانه يعسر كسرها واذا فرقت كسرت باهون سعي وقد علمتم الذي عاهدتموني عليـه وما وصيتكم به في أمر هذا الغلام الذي بيني وبينكم فاياكم والتغيير عليه ونقض العهد له فليس المنكوث عليـه بأسـوء حالا من الناكث فعليكم بالسمع والطاعة وأوفوا له يوف الله لكم وقوا له يق الله لكم وتمموا له فيه ما بدأتم يتم الله لكم أفضل أموركم ويحسن حالكم على يديه فهذا هو ملككم وأخذ بعضده ودعا له وأشهد بعضهم بذلك على بعض وأشهد الله تعالى عليهم ولحقته سكرة الموت واعتقل لسانه وضعف جنانه وعرق جبينه واعتنقه ولده وفاضت روحه وحزن عليه أهل مملكته ثم قضى الله فيمن بعده بما أحبه وتصرفت بهم الاحوال. وانما ذكرت لك ذلك لعلك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتكون هذه الرسالة تذكرة لك ولجميع من وقف عليها وعساها تكون تذكرة لمن تذكر وعبرة لمن اعتبر وفقك الله تعالى وايانا وجميع اخواننا السداد انه رؤوف بالعباد

تمت رسالة علل اختلاف اللغات بتمامها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الرسالة الاولى

من النفسانيات العقليات

في مبادىء الموجودات العقلية على رأي الفيثاغوريين

وهي الرسالة الثانية والثلاثون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ انا قد فرغنا من بيان علل اختلاف اللغات والكلام والاصوات ورسوم الخطوط والكتابات وكيفية مبادىء المذاهب والاعتقادات والآراء والديانات وختمنا الكلام في الطبيعيات عند ختمنا تلك الرسالة . ونريد الآن أن نشرح فى القسمة الثالثة من النفسانيات العقليات حسبما وعدنا في صدر كتابنا ونذكر فيها ما يتعلق بتلك الرسائل على التوالي . منها هذه الرسالة الاولى في مبادىء الموجودات

فنقول على رأي فيثاغورث الحكيم الذي هو أول من تكلم في علم العدد وطبيعته ، قال : ان طبيعة الموجودات بحسب طبيعة العدد ، فمن عرف العدد وأحكامه وطبيعته وأجناسه وأنواعه وخواصه ، أمكنه أن يعرف كمية أجناس الموجودات وأنواعها وما الحكمة في كمياتها على ما هي عليه الآن ولم لم يكن

أكثر من ذلك ولا أقل منه ؟ . وذلك ان الباري تعالى لما كان هو مبدع علة الموجودات وخالق المخلوقات ومخترعها وهو واحد بالحقيقة من جميع الوجوه ، لم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء كلها شيئاً واحداً من جميع الجهات ولا متباينة من جميع الوجوه ، بل يجب أن تكون الاشياء كلها واحداً بالهيولى كثيرة بالصورة ولم يكن أيضاً من الحكمة أن تكون الاشياء كلها ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية ، وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ بل كان الاحكم والاتقن أن تكون على ما هي عليه الآن بحسب الاعداد والمقادير ، وكان ذلك هو في غاية الحكمة والاتقان وذلك أن من الاشياء ما هي ثنائية . ومنها ما هي ثلاثية ورباعية وخماسيات ومسدسات ومسبعات ومثمنات ومتسعات ومعشرات وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ

فالاشياء الثنائية مثل الهيولى والصورة والجوهر والعرض والعلة والمعلول والبسيط والمركب واللطيف والكثيف والمشف وغير المشف والمظلم والمنير والمتحرك والساكن والعالى السافل والحار والبارد والرطب واليابس والخفيف والثقيل والضار والنافع والخير والشر والصواب والخطأ والحق والباطل والذكر والانثى . وبالجملة من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى : «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

وأما الاشياء الثلاثية فمثل الابعاد الثلاثة التى هي الطول والعرض والعمق ، ومثل المقادير الثلاثة التى هي الخط والسطح والجسم ، ومثل الازمان الثلاثة التى هي الماضى والحاضر والمستقبل ، ومثل العناصر الثلاثة ، التى هي الممكن والممتنع والواجب ، ومثل الامور الثلاثة التى منها رياضية وطبيعية والهية ، وبالجملة كل أمر ذي وسط وطرفين

وأما الاشياء الرباعية فمثل الطبائع الاربع التى هي الحرارة والبرودة واليبوسة ، ومثل الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ومثل الاخلاط الاربعة التى هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء ، ومثل الازمان الاربعة التى هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الاربع التى هي المشرق والمغرب

والشمال والجنوب ، والاوتاد الاربعة التى هى الطالع والغارب ووتد الارض ووتد وسط السماء • ومراتب الاعداد التى هي الآحاد والعشرات والمئون والالوف. وعلى هذا القياس اذا اعتبرت وجدت أشياء كثيرة مخمسات ومسدسات ومسبعات بالغا ما بلغ وقد توغلت المسبعة فى الكشف عن الاشياء السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها وأغفلوا ماسوى ذلك من المعدودات وكذلك أيضاً الثنوية أطنبوا فى الكشف عن الموجودات الثنائية فظهر لهم منها أشياء عجيبة فشغفوا بها وأغفلوا ما سوى ذلك من الموجودات ، وهكذا النصارى في التثليث والمثلثات ، وهكذا الطبيعيون أطنبوا في الطبائع الاربع والمربعات من الامور

وهكذا الخرمية أطنبوا في المخمسات من الامور ، وأهل الهند أيضا أطنبوا في المتسعات من أمور العدد والمعدودات

فأما الفيثاغوريون فأعطوا كل ذى حق حقه حتى قالوا ان الموجودات بحسب طبيعة العدد يعنون أن الاشياء الموجودة منها ما هو اثنان اثنان ومنها ما هو ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وخمسة خمسة وهكذا بالغاً ما بلغ

وقالوا إن الواحد أصل العدد ومنشؤه ومن الواحد يتألف العدد قليله وكثيره وأزواجه وأفراده وصحيحه وكسوره ، فالواحد هو علة العدد كما أن البارى جلت أسماؤه علة الموجودات وموجدها ومرتبها ومتقنها ومتممها ومكملها ، وكما أن الواحد لا جزء له ولا مثل ، كذلك أن البارى جل ثناؤه لا شريك له ولا شبه ولا مثل ، وكما أن الواحد موجود في جميع الاعداد محيط بها ، كذلك ان البارى جل ثناؤه شاهد على كل موجود محيط به ، وكما أن الواحد يعطى اسمه لكل عدد ومقدار ، كذلك البارى جل ثناؤه أعطى الوجود لكل موجود ، وكما أنه ببقاء الواحد بقاء العدد ، كذلك ببقاء الباري جل ثناؤه بقاء الموجودات ودوامها وكما أن بالواحد بعد كل عدد ومقدار كذلك علم البارى تعالي محيط بكل شيء شاهد وغائب

وقالوا كما أن من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايده ، كذلك من فيض الباري وجوده نشأة الخلائق وتمامها وكمالها وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الوحد ، كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عز وجل ، وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين كذلك النفس ترتبت بعد العقل ، وكما أن الاربعة ترتبت بعد الثلاثة ، كذلك الهيولى ترتبت بعد النفس ، وكما أن الخمسة ترتبت بعد الاربعة كذلك الطبيعة ترتبت بعد الهيولى ، وكما أن الستة ترتبت بعد الخمسة كذلك الجسم ترتب بعد الطبيعة ، وكما أن السبعة ترتبت بعد الستة كذلك الافلاك ترتبت بعد وجود الجسم ، وكما أن الثمانية ترتبت بعد السبعة كذلك الاركان ترتبت بعد الفلك ، وكما ان التسعة ترتبت بعد الثمانية ، كذلك المولدات ترتبت بعد الاركان ، وكما ان التسعة آخر مرتبة الآحاد ، كذلك المولدات آخر مرتبة الموجودات الكليات ، وهي المعادن والنبات والحيوان ، فالمعادن كالعشرات والنبات كالمئين ، والحيوان كالالوف والمزاج كالواحد ، وقالوا : العدد كله أزواج وأفراد وصحيح وكسور ، فمراتب الموجودات التى في عالم الارواح بطبيعة الافراد أشبه ، ومراتب الموجودات التى في عالم الاجساد بطبيعة الازواج أشبه ومراتب الموجودات التى في عالم الافلاك بطبيعة الاعداد الصحيحة أشبه ، ومراتب الموجودات التى في عالم الكون والفساد بطبيعة الاعداد الكسور أشبه

فصل

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه أن الوجود متقدم على البقاء والبقاء متقدم على التمام والتمام متقدم على الكمال ، لان كل كامل تام وكل تام باق وكل باق موجود . ولكن ليس كل موجود باقياً ولا كل باق تاماً ولا كل تام كاملا : وذلك أن الباري جلت أسماؤه الذي هو علة الموجودات ومبدعها ومبقيها ومتممها ومكملها أول فيض فاض منه الوجود ثم البقاء ثم التمام ثم الكمال . وقد بينا في الرسالة التى ذكرنا فيها خواص العدد الفرق بين التمام والكمال فاعرفه من هناك إن شاء الله .

﴿ فصل ﴾

انه ينبغي لمن يريد النظر في مبادىء الموجودات ليعرفها على حقائقها أن يقدم أولا النظر في مبادىء الأمور المحسوسة ليروض بها عقله ويقوى بها فهمه على النظر في مبادىء الامور المعقولة ، لان معرفة الأمور المحسوسة أقرب من فهم المبتدئين وأسهل على المتعلمين فنقول :

ان الجسم أحد الموجودات المحسوسة وهو جوهر مركب من جوهرين بسيطين معقولين أحدهما يقال له الهيولى والآخر يقال له الصورة ، فالهيولى هو جوهر قابل للصورة والصورة هي التي بها الشيء ماهو . مثال ذلك : الحديد هيولى لكل مايعمل منه كالسكين والسيف والمنشار وغير ذلك ، فالسكين انما هي اسم للصورة وكذلك السيف والفأس لأن الحديد في كلها واحد والصورة مختلفة ،واختلاف الأسماء بحسب اختلاف الصور ، وكذلك أيضاً الخشب فانه هيولى لكل مايعمل منه كالباب والسرير والكرسي

وليس كل هيولى تقبل كل صورة لأن الخشب لايقبل صورة القميص ولا الشقة تقبل صورة الكرسي ولا الهيولى تقبل أي صورة تقدمت ، لان القطن لايقبل صورة الشقة ولاالغزل يقبل صورة القميص . لكن القطن أول مايقبل صورة الغزل وبتوسط صورة الغزل يقبل صورة الشقة ثم صورة القميص . وهكذا الطعام أول مايقبل صورة الدقيق ثم صورة العجين ثم صورة الخبز

وعلى هذا المثال يكون قبول الهيولى للصور المختلفة،الأول فالأول على الترتيب . وذلك أن الهيولى الأولى أول ماقبلت صورة الجسم الذي هو الطول والعرض والعمق ، ثم بتوسط الجسم تقبل سائر الصور من التدوير والتثليث والتربيع وماشاكل ذلك . والهيولى يقال على أربع جهات ، فأقربها الى الحس هيولى الصناعة مثل الخشب والحديد والقطن بحسب مابينا ، فان كل صانع لابد له من هيولى يعمل فيه ومنه صناعته . والثاني هيولى الطبيعة وهي النار والهواء والماء والارض ، وذلك أن كل شيء تعمله الطبيعة التي تحت فلك القمر من

الموجودات فان هذه الاركان الاربعة هيولى لها . والثالث هيولى الكل أعني الجسم المطلق الذي يعم الأفلاك والكائنات أجمع . والرابع الهيولى الاولى وهو جوهر قابل للصورة ، فأول صورة قبل هي الطول والعرض والعمق وكان بذلك جسما مطلقاً . وهذه الهيولى من المبادىء الأولى المعقولة

وذلك أن هذه الهيولى أول معلول النفس والنفس أول معلول العقل والعقل أول معلول الباري تعالى وان الباري تعالى علة كل موجود ومبدعه ومتقنه ومتممه ومكمله على النظام والترتيب الاشرف فالاشرف ، وترتيب الموجودات عنه كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها خواص العدد . فالعقل هو أول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم أوجد النفس بواسطة العقل ثم أوجد الهيولى ، وذلك أن العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل

﴿ فصل ﴾

اعلم أن علة وجود العقل هو وجود الباري عز وجل وفيضه الذي فاض منه وعلة بقاء العقل هو إمداد الباري عز وجل له بالوجود والفيض الذي فاض أولا وعلة تمامية العقل هي قبول ذلك الفيض والفضائل واستمداده من الباري تعالى وعلة كمال العقل هي افاضة ذلك الفيض والفضائل على النفس بمااستفاده من الباري عز وجل فبقاء العقل إذاً علة لوجود النفس ، وتمامية العقل علة لبقاء النفس ، وكماله علة لتمامية النفس ، وبقاء النفس علة لوجود الهيولى ، وتمامية النفس علة لبقاء الهيولى . فمتى كملت النفس تمت الهيولى ، وهذا هو الغرض الاقصى في رباط النفس بالهيولى . ومن أجل هذا دوران الفلك وتكوين الكائنات لتكمل النفس باظهار فضائلها في الهيولى ، وتتم الهيولى بقبول ذلك . ولو لم يكن هذا هكذا لكان دوران الفلك عبثاً

واعلم يا أخي أن العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله التي هي البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلازمان ولاحركة ولا نصب لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته . فأما النفس فانه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل وصارت ناقصة في قبول الفضائل ولأنها أيضاً تارة تتوجه نحو العقل لتستمد منه الخير والفضائل ، وتارة تقبل على الهيولى لتمدها بذلك الخير والفضائل . فاذا هي توجهت نحو العقل لتستمد منه الخير اشتغلت عن إفادتها الهيولى ذلك الخير واذا هي أقبلت على الهيولى لتمدها بذلك الفيض اشتغلت عن العقل وقبول فضائله .

ولما كانت الهيولى ناقصة الرتبة عن تمام فضائل النفس وغير راغبة في فيضها احتاجت النفس إلى ان تقبل عليها اقبالا شديداً وتعنى باصلاحها عناية تامة فتتعب ويلحقها العناء والشقاء في ذلك :

ولولا ان الباري عز وجل بفضله ورحمته أيدها بالعقل وأعانها على تخليصها لهلكت النفس في بحر الهيولى ، كما قال الله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً وأما العقل فليس يناله في تأييده النفس وفيضه عليها فضائله ، تعب ولا نصب لأن النفس جوهرة روحانية سهلة القبول تطلب فضائل العقل وترغب في خيراته وهي حية بالذات علامة بالقوة فعالة بالطبع قادرة صانعة بالعرض

وأما الهيولي فلبعدها من الباري — تعالى ذكره — صارت ناقصة المرتبة عادمة الفضائل غير طالبة لفيض النفس ولا راغبة في فضائلها ولا علامة ولا مفيدة ولا حية ، بل قابلة حسب . فمن أجل هذا يلحق النفس التعب والعناء والجهد والشقاء في تدبيرها الهيولى وتتميمها لها ، ولا راحة للنفس الا اذا توجهت نحو العقل وتعلقت به واتحدت معه . وسنشرح كيف يكون هذا فيما بعد ان شاء الله .

فصل

في سؤالات عن المبادىء

كيف سريان الوجود في الموجودات — كيف سريان البقاء في الباقيات — كيف سريان الدوام في الدائمات — كيف سريان التمام في التامات — كيف سريان الكمال في الكاملات — كيف سريان الحياة في الاحياء — كيف سريان العلم في ذوي العلم — كيف سريان القدرة في ذوي القدرة — كيف سريان الرياسة في ذوي الرياسة — كيف سريان الربوبية في ذوي الأرباب — كيف سريان الكثرة من الوحدة المحضة . ؟

وقال بعضهم ولنعم ماقيل : —

يامنير العالم الحسي بالعقل المنير   أنت مبدىء الكل مازلت على مر الدهور
لم يزل في علمك العالم من قبل الظهور   متقن الصنعة كالصورة في وهم الضمير
ثم أظهرت إلى الوجدان إظهار البصير   جملة أبدعتها إبداع خلاق قدير

فصل

في المبادىء الروحانية والجسمانية معاً ومراتبها

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه أن أول شيء اخترعه الله جل ثناؤه وأوجده ، جوهر بسيط روحاني في غاية التمام والكمال والفضل ، فيه صور جميع الاشياء يسمى العقل الفعال ، وأن من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه في الرتبة يسمى الرتبة الكلية ، وانبجس من النفس جوهر آخر يسمى الهيولى الاولى ، وأن الهيولى الأولى قبل المقدار الذي هو الطول والعرض والعمق ، فصارت بذلك جسما مطلقاً وهو الهيولي الثانية .

ثم ان الجسم قبل الشكل الكرى ، الذي هو أفضل الاشكال ، فكان من ذلك عالم الافلاك والكواكب ماصفى منه ولطف ، الاول فالاول من لدن الفلك المحيط الى منتهى فلك القمر ، وهي تسع أكر بعضها في جوف بعض : فأدناها الى المركز

فلك القمر ، وأبعدها وأعلاها الفلك المحيط ويسمى أيضاً الفلك الحامل للكل الذى هو الطف الافلاك جوهراً وأبسطها جسما ، ثم دونه فلك الكواكب الثابتة ثم دونه فلك زحل ، ثم دونه فلك المشترى ، ثم دونه فلك المريخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزهرة ، ثم دونه فلك عطارد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دون فلك القمر الاركان الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض: فالارض هي المركز وهى أغلظ الاجسام جوهراً وأكثفها جرما.

ولما ترتبت هذه الأكر بعضها فى جوف بعض كما أراد باريها جل ثناؤه وكما اقتضت حكمته ، من لطيف نظامها وحسن ترتيبها ودارت الأفلاك بابراجها وكواكبها على الاركان الاربعة وتعاقب عليها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد واختلط بعضها ببعض فامتزج اللطيف منها بالكثيف والثقيل بالخفيف والحار بالبارد والرطب باليابس ، تركبت منها على طول الزمان أنواع التراكيب التى هى المعادن والنبات والحيوان :

فالمعدن هو كل ما انعقد فى باطن الارض وقعر البحار وجوف الجبال من البخارات المتحللة والدخانات المتصاعدة والرطوبات المحتقنة في المغارات ، والاهوية والترابية عليها أغلب .

وأما النبات فهو كل مانجم على وجه الارض من العشب والكلأ والحشائش والبقول والزروع والاشجار ، والمائية عليها أغلب .

وأما الحيوان فهو كل جسم يتحرك ويحس وينتقل من مكان الى مكان بجثته والهوائية عليه أغلب .

فالمعادن أشرف تركيباً من الاركان ، والنبات أشرف تركيباً من المعادن والحيوان أشرف تركيباً من النبات ، والانسان أشرف تركيباً من جميع الحيوان ، والنارية عليه أغلب .

وقد اجتمع فى تركيب الانسان جميع معاني الموجودات من البسائط

والمركبات التى تقدم ذكرها ، لان الانسان مركب من جسد غليظ جسمانى ومن نفس بسيطة روحانية .

فمن أجل هذا سمت الحكماء الانسان عالماً صغيراً والعالم انساناً كبيراً فالانسان اذا ماهو عرف نفسه بالحقيقة من غرائب تركيب جسده ولطيف بنية هيكله وفنون تصاريف قوى النفس فيه واظهار افعالها به ومنه من الصنائع المحكمة والمهن المتقنة تهيأ له أن يقيس عليها جميع معاني المحسوسات ويستدل بها على جميع معاني المعقولات من العالمين جميعاً

فينبغى لنا أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه — إذا كنا عازمين على معرفة حقائق الموجودات — أن نبتدىء أولا بمعرفة أنفسنا إذ هى أقرب الاشياء الينا ، ثم بعد ذلك بمعرفة سائر الاشياء لانه قبيح بنا أن ندعى حقائق الاشياء ولا نعرف أنفسنا .

فصل

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن النفس الكلية انما هى قوة روحانية فاضت من العقل باذن الباري جل ثناؤه كما ذكرنا قبل وان لها قوتين أثنتين ساريتين في جميع الاجسام من لدن فلك المحيط الى منتهى مركز الارض كسريان ضوء الشمس في جميع أجزاء الهواء : فاحدى قوتيها علامة ، والاخرى فعالة ، فهى بقوتها الفعالة تتمم الاجسام وتكملها بما تنقش فيها من الصور والاشكال والهيئات والزينة والجمال بالوان الاصباغ ، وبالقوة العلامة تكمل ذاتها بما يظهر من فضائلها من حد القوة الى حد الفعل من العلوم الحقيقية والاخلاق الجميلة والآراء الصحيحة والأعمال الصالحة والصنائع المحكمة والمهن المتقنة بحسب قبول شخص تأثيراتها بصفاء جوهره ولطافة جرمه

فصل

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن النفس جوهرها

لايبيد وقواها لاتفنى وأفعالها لاتنقطع ، لان مادتها من العقل بالتأييد لها دائم وقبولها منه الفيض سرمداً متصل .

وهكذا تأييد الباري تعالى للعقل دائماً وأبداً وفيضه متصل وقبول العقل لذلك متصل دائم لأن فضائل الباري تعالى لاتفنى وعطاياه لاتنقطع وفيضه لايتناهى لانه ينبوع الخيرات ، ومبدأ البركات ، ومعدن الجود وسبب كل موجود . فلله الحمد والثناء ، والشكر والعطاء

فصل

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن النفس الكلية رتبتها فوق الفلك المحيط وقواها سارية في جميع أجزاء الفلك وأشخاصه بالتدبير والصنائع والحكم ، وفي كل مايحوى الفلك من سائر الاجسام ، وان لها في كل شخص من أشخاص الفلك قوة مختصة به مدبرة له مظهرة منه أفعالها وان تلك القوة تسمى نفساً جزئية لذلك الشخص. مثال ذلك القوة المختصة بجرم زحل المدبرة له المظهرة منه وبه أفعالها يسمى نفس زحل

وهكذا القوة المختصة بجرم المشترى المدبرة له المظهرة به ومنه افعالها يسمى نفس المشترى .

وعلى هذا المثال والقياس سائر القوى المختصة بكوكب كوكب وجرم جرم من أجرام الفلك وأشخاصه المدبرة لها المظهرة بها ومنها أفعالها تسمى نفوساً لها

وهذا هو حقيقة ما قد رمز اليه في الكتب الالهية أنهم الملائكة والملأ الاعلى وجند الله الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون .

وهذا هو حقيقة ماقالت الحكماء والفلاسفة في تفصيل النفوس الجزئية في عالم الافلاك والاركان المسمون الروحانيين الموكلين بحفظ العالم وتدبير الخلائق بادارة الافلاك وجريان الكواكب وتصاريف الدهور وتغاير الازمان ومراعاة الاركان وتربية النبات والحيوان وحفظهما

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن للنفس الكلية التى هى فوق الفلك المحيط قوة مختصة سارية في جميع الاجسام التى دون فلك القمر وهي مدبرة لها متصرفة فيها ، مظهرة بها.

ومنها أفعالها ويسميها الفلاسفة والاطباء طبيعة الكون والفساد ، ويسميها الناموس ملكا من الملائكة ، وهى نفس واحدة ولها قوى كثيرة منبثة في جميع أقسام الحيوان والنبات والمعادن والاركان الاربعة من لدن فلك القمر الى منتهى مركز الارض .

وما من جنس ولا نوع ولا شخص من هذه الموجودات الا ولهذه النفس قوة مختصة به مدبرة له مظهرة به ، ومنه أفعالها ، وأن تلك القوة تسمى نفساً جزئية لذلك الشخص

فصل

اعلم أن أول قوة لهذه النفس فى هذه الاركان التى هي النار والهواء والماء والارض ، هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة

وان أول افعال هذه القوى في هذه الاسطقسات هو التحريك والتسكين والتبريد والتسخين والتحليل والتجميد والتصعيد والتقطير والخلط والمزج والتأليف والتركيب والتصوير والتنقيش والتصبيغ وماشاكلها . وكل ذلك يفعل هذه القوى في هذه الاسطقسات بمعاونة قوى الاشخاص الفلكية لها باذن الله تعالى . مثال ذلك تحريكها لركن النار لتسخين العالم بمعاونة قوة الشمس لها دائماً وتسكينها لركن الارض بمعاونة قوة زحل لها دائماً وتحليلها لركن الماء بالسيلان بمعاونة قوة المشترى لها دائماً ، وتلطيفها لركن الهواء بمعاونة قوة المريخ لها دائماً ، وتقطيرها لركن البخار الرطب بمعاونة قوة الزهرة لها دائماً ، وتمزيجها لركن البخار اليابس بالبخار الرطب بمعاونة قوة عطارد لها دائماً ، وامدادها للمولدات بركن العصارات بمعاونة ركن قوة القمر لها دائماً.

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه ، ان أول فعل هذه القوي أعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في تكوين المعادن صنعة الزئبق والكبريت : وذلك ان الرطوبات المحتقنة في باطن الأجسام الارضية والبخارات المحتبسة فيها اذا تعاقب عليها حر الصيف وحرارة المعدن لطفت وخفت وتصاعدت علواً الى سقوف تلك الأهوية والمغارات وتعلقت هناك زماناً، فاذا تعاقب عليها برد الشتاء غلظت وجمدت وتقاطرت راجعة الى أسفل تلك الاهوية والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع ومكثت هناك زماناً طويلا . وحرارة المعادن دائماً تعمل في إنضاجها وطبخها وتصفيتها فتصير تلك الرطوبة المائية ، بما يختلط بها من الاجزاء الترابية وما تأخذ من ثقلها وغلظها بطول الوقت وانضاج الحرارة لها ، زئبقاً رطبا ثقيلا . وتصير تلك الأجزاء الترابية التي في أسفل المعادن بما يمازجها من الرطوبة الدهنية وانضاج الحرارة لها كبريتاً محترقاً . فاذا اختلط الزئبق والكبريت مرة ثانية وتمازجا — والتدبير بحاله — تركب من امتزاجهما أجناس الجواهر المعدنية وأنواعها : مثال ذلك في تركيب الجواهر الذائبة أن الزئبق اذا كان صافياً والكبريت اذا كان نقياً واختلطا جميعاً اختلاطاً سوياً وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما شرب التراب نداوة الماء واتحدت أجزاؤهما على الاعتدال وكان مقدارهما متناسبين وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس ، قبل انضاجهما، انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز . فان عرض لهما البرد قبل النضج انعقد فصار فضة بيضاء ، فان عرض لهما اليبس من فرط الحرارة صارا نحاساً يابساً ، وان عرض لهما البرد قبل ان تتحد أجزاء الكبريت بأجزاء الزئبق صارا من ذلك رصاصاً قلعياً، وان عرض لهما البرد قبل النضج وكانت أجزاء الكبريت أكثر صارا حديداً وإن كان الزئبق اكثر والكبريت أقل والحرارة ضعيفة انعقد منهما الاسرب . وعلى هذا القياس تختلف سائر أجناس الجواهر المعدنية بسبب العوارض التي

تعرض لها من كثرة الزئبق والكبريت وقلتهما أو فرط الحرارة والبرودة قبل وقت نضجهما والخروج عن الاعتدال وما شاكل ذلك

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الباري جل ثناؤه قد أيد النفس النباتية بسبع قوى فعالة : وهي القوى الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة المصورة والقوة النامية ، وانها تفعل بكل قوة من هذه فعلا خلاف ما تفعله بقوة أخرى . فأول فعلها في تكوين النبات هو جذبها عصارات الاركان الاربعة التي هي الارض والماء والهواء والنار ومصها لطائفها وما فيها من الاجزاء المشاكلة لكل نوع من أنواع النبات ثم امساكها لها بالقوة الماسكة لئلا تسيل وتحلل وتنعكس راجعة، ثم تنضيجها لها بالقوة الهاضمة لتحيلها الى ذاتها، ثم دفعها لها بالقوة الهاضمة لتحيلها الى ذاتها، ثم دفعها لها بالقوة الدافعة الى اقطارها، ثم تغذيتها بالقوة الغاذية، ثم النمو والزيادة فيها بالقوة النامية ، ثم التصوير لها بأنواع الاشكال والاصباغ بالقوة المصورة . مثال ذلك أن القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة التراب بعروق النبات وجذبتها كما يمص الحجام الدم بالمحجمة أو كما تمص النار الدهن بالفتيلة انجذبت معها الاجزاء الترابية لشدة اتحادها بها ، فاذا حصلت تلك المادة في عروق النبات انضجتها القوة الهاضمة ، وصيرتها مشاكلة لجرم العروق وتناولتها القوة الغاذية وألزقت بكل شكل من تلك الاعضاء والمفاصل ما يلائمه القوة المصورة وزادت النامية في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً، وما فضلت من تلك المادة ولطفت ورقت دفعتها القوة الدافعة الى فوق في أصول النباتات وقضبانها وفروعها وأغصانها، وجذبتها الجاذبة الى ماهناك ، وأمسكتها الماسكة كيلا تسيل راجعة الى أسفل . ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثانية وصيرتها مشاكلة لجرم الاصول والفروع والاغصان ، ومادة لها فزادت في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً . وما ثقلت من تلك المادة ولطفت ورقت دفعتها الدافعة الى أعلى الفروع والاغصان، وجذبتها

الجاذبة الى هناك . وأمسكتها الماسكة ، ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثالثة وصيرتها مشاكلة لجرم الورق والنور والزهر وأكمام الحب والثمر وما شاكل ذلك ، ومادة لها وزادت في أقطارها طولا وعرضاً وعمقا . وما لطفت من تلك المادة ورقت صيرتها مادة للحب والثمر وأمسكتها الماسكة هناك . ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة رابعة وأنضجتها ولطفتها وميزت منها اللطيف من الكثيف ، والغليظ من الدقيق وصيرت الغليظ والكثيف مادة لجرم القشر والنوى وزادت في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً وصيرت اللطيف والرقيق مادة للب والحب والثمر وهي الدقيق والشيرج والدهن والدبس والطعم واللون والرائحة

فاذا تناول الحيوان لب النبات ليتغذى به وحصلت تلك المادة في المعدة ، فأول فعل هذه القوى فيها فعل القوة الهاضمة بالحرارة الغريزية ثم تصفيتها في المعى وجذب الكيموس الى الكبد ، ثم تنضيجها مرة أخرى ثم تمييز الاخلاط بعضها من بعض وهي الدم والبلغم والمرتان . ثم دفعها الى الأعضاء والأوعية المعدة لقبولها ثم تقسيط الدم على الأعضاء والمفاصل بالأوراد ثم تغذيته لكل عضو بما يشاكله من تلك المادة ، ثم النمو والزيادة في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً . ثم استخراج النطفة من جميع أجزاء بدن الفحل عند حركة الجماع وهي زبدة الدم ، ثم نقلها الى رحم الأنثى بالآلات المعدة لذلك .

وأما فعل هذه القوى في تركيب جسد الانسان عند حصول النطفة في الرحم وتدبيرها لها تسعة أشهر حالا بعد حال الى أن تستتم بنية الجسد وتستكمل هناك صورته فقد شرحناها في رسالة أخرى غير هذه .

فاذا تمت له المدة المقدرة التي قدرها الباري جل ثناؤه نقلته قوة النفس الحيوانية الحساسة باذن الله تعالى من ذلك المكان الى فسحة هذه الدار استؤنف به تدبير آخر الى تمام أربع سنين . ثم ترد القوة الناطقة المعبرة لأسماء المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر الى تمام خمس عشرة سنة . ثم ترد القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر الى تمام ثلاثين سنة . ثم ترد القوة

الحكمية المستبصرة لمعاني المعقولات وتستأنف به تدبيراً آخر تمام أربعين سنة . ثم ترد القوة الملكية المؤيدة وتستأنف به تدبيراً آخر الى تمام خمسين سنة . ثم ترد القوة الناموسية الممهدة للمعاد المفارقة للهيولى وتستأنف به تدبيراً آخر الى آخر العمر . فان تكن النفس قد تمت واستكملت قبل مفارقة الجسد نزلت قوة المعراج فرقت بها الى الملأ الأعلى وتستأنف تدبيراً آخر . وإن لم تكن النفس قد تمت واستكملت قبل مفارقة الجسد ردت الى أسفل سافلين ، ثم استؤنف بها التدبير من الرأس كما ذكر الله تعالى فقال « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين » وقال تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » وقال سبحانه « ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً »

مسألة

أترى ماذا يقول ويعتقد من ينظر في مبادىء الأشياء ويتكلم عليها هل اخترعت كلها اختراعا في غاية التمام والكمال والفضل ثم تناقصت ورذل بعضها أم اخترعت كلها في غاية النقص ثم زادت وكملت وتمت وتفاضل بعضها على بعض ؟ أم بعضها هكذا وبعضها هكذا ؟

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادراً على ايجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها . فاذاً بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متصلا متواتراً غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الاشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات . وفاض من

العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل وهي النفس الكلية وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام ، كما يقبل التلميذ من الاستاذ التعليم

وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها فى الرتبة يسمى الهيولى الأولى ، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والاشكال بالزمان شيئاً بعد شيء • فأول صورة قبلت الهيولى الطول والعرض والعمق ، فكانت بذلك جسما مطلقاً وهو الهيولى الثانية ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية وغلظ جوهره وبعده من العلة الاولى . ولما دام الفيض من البارى تعالى على العقل ، ومن العقل على النفس عطفت النفس على الجسم فصورت فيه الصور والاشكال والاصباغ لتتمه بالفضائل والمحاسن بحسب مايمكن من قبول الجسم وصفاء جوهره .

فأول صورة عملت النفس في الجسم الشكل الكري الذي هو أفضل الاشكال كلها وحركته بالحركة الدورية التى هي أفضل الحركات ورتبت بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهي احد عشرة كرة ، فصار الكل عالما واحداً منتظما نظاما كليا واحداً ، وصارت الارض أغلظ الاجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها من الفلك المحيط ، وصار الفلك المحيط ألطف الاجسام كلها وأشدها روحانية وأشفها نوراً لقربها من الهيولى الاولى التى هي جوهر بسيط معقول . وصارت الهيولى أنقص رتبة من العقل والنفس لبعدها من الباري جل وعز

وذلك ان الهيولى هي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها . وأما النفس فانها جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة في الهيولى بالتحريك لها بالزمان ، وأما العقل فانه جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد البارى تعالى ، علام بالفعل مؤيد للنفس بلا زمان . وأما البارى

تعالى فهو مبدع الجميع وخالق الكل • فالمبدع لايشبه المبدع ، وكذلك الخالق لايشبه المخلوق ، والفاعل لايشبه المفعول بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب فتبارك الله رب العالمين وأرحم الراحمين

فانتبه أيها الاخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قبل أن ينفخ في الصور وتقول ياحسرتى على مافرطت ، وينادي المنادى من الملأ الأعلى ألا قد سعد فلان وشقي فلان ! واجتهد أن تكون من السعداء الذين هم من أصحاب اليمين وتكون في سدر مخضود وطلح منضود • واجتهد ألا تكون من الاشقياء الذين هم أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم واعتصم بحبل الله المتين واجتنب الشيطان الرجيم عسى أن تصير من الذين أنعم الله عليهم ، ولا تصير من المغضوب عليهم ولا الضالين

وفقك الله أيها الاخ البار الرحيم وجميع اخواننا للسداد ، انه رؤوف بالعباد

﴿ تمت رسالة مبادىء الموجودات العقلية على رأي الفيثاغوريين

ويتلوها رسالة المبادىء العقلية على رأى اخوان الصفا ﴾

الرسالة الثانية

من النفسانيات العقليات

في المبادىء العقلية على رأي اخوان الصفاء

وهي الرسالة الثالثة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، أنه قد بحث الفلاسفة والعلماء والحكماء في مبادىء الموجودات عن أصول الكائنات فسنح لقوم منهم غير ماسنح للآخرين ، وذلك أنه سنح لقوم من الثنوية الامور المثنوية ، ولقوم من النصارى الامور الثلاثية ، ولقوم من الطبيعيين الامور الرباعية ، ولقوم اخرين السداسية ، ولقوم من الخرمية الامور الخماسية ، ولقوم آخرين الامور السداسية ، ولقوم آخرين الامور السباعية ، ولقوم آخرين من الموسيقيين الامور الثمانية . ولقوم آخرين من الهند الأمور التساعية وأطنبت كل طائفة في ذكر ماسنح لها وشغفت به وأغفلت ماسوى ذلك . فأما الحكماء الفيثاغوريون فأعطوا كل ذى حق حقه : اذ قالوا إن الموجودات، بحسب طبيعة العدد كما سنبين طرفا منه في هذه الرسالة ، وهذا مذهب إخواننا أيدهم الله وبحسب رأيهم في وضع الاشياء مواضعها وترتيبهم حق مراتبها على المجرى الطبيعي والنظام الالهي

فصل

في معنى قول الفيثاغوريين إن الموجودات بحسب طبيعة العدد

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن فيثاغورث كان رجلا حكيما موحداً من أهل حران وكان شديد العناية بالنظر في علم العدد وكيفية نشوئه، كثير البحث عنه وعن خواصه ومراتبه ونظامه ، وكان يقول : ان في معرفة العدد وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين معرفة وحدانية الله عز وجل وفى معرفة خواص الاعداد وكيفية ترتيبها ونظامها معرفة موجودات البارى تعالى وعلم مخترعاته وكيفية نظامها وترتيبها، ، وان علم العدد مركوز في النفس يحتاج الى أدنى تأمل ويسير من التذكار حتى يستبين ويعرف بلا دليل

فصل

في مراتب الموجودات ونظام المخترعات وأنها مطابقة لمراتب الاعدد المفردات المتتاليات عن الواحد ، وأن الكل محتاج الى الواحد . وعلى رأي الاخوان أن الواحد وما بعده محتاج الى الغير ، وهو العاد

فصل

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن الله جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع المخلوقات نظمها ورتبها في الوجود كمراتب الاعداد عن الواحد لتكون كثرتها دالة على وحدانيته وترتيبها ونظامها دالان على إتقان حكمته في صنعها ، ولتكون أيضاً نسبتها الى الذي هو خالقها ومبدعها كنسبة الاعداد الى الواحد الذي قبل الاثنين الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشأها كما بينا في رسالة الارثماطيقي: وذلك أن الباري جل ثناؤه لما كان واحداً بالحقيقة من جميع الوجوه والمعاني لم يجز أن يكون المخلوق المخترع واحداً بالحقيقة ، بل وجب أن يكون واحداً متكثراً مثنوياً مزدوجاً ، وذلك أن الباري جل ثناؤه أول ما بداء بفعل واحد مفعولا واحداً متحداً بفعله الذى هو علة العلل ، فلم يكن واحداً بالحقيقة بل فيه

مثنوية . فلذلك قالوا إنه أوجد واخترع أشياء مثنوية مزدوجة وجعلها قوانين الموجودات وأصول الكائنات

فمن ذلك ما قالت الحكماء الفلاسفة : الهيولى والصورة ، ومنهم من قال النور والظلمة ، ومنهم من قال : الجوهر والعرض ، ومنهم من قال : الخير والشر ومنهم من قال : الاثبات والنفي ، ومنهم من قال : الايجاب والسلب ، ومنهم من قال : الروحاني والجسماني ، ومنهم من قال : اللوح والقلم ، ومنهم من قال : الفيض والعقل ، ومنهم من قال : المحبة والغلبة ، ومنهم من قال : الحركة والسكون ، ومنهم من قال : الوجود والعدم ، ومنهم من قال : النفس والروح ومنهم من قال : الكون والفساد ، ومنهم من قال : الدنيا والآخرة ، ومنهم من قال العلة والمعلول ، ومنهم من قال المبدأ والمعاد ، ومنهم من قال القبض والبسط

وعلى هذا القياس توجد أشياء كثيرة طبيعية مزدوجة أومتضادة كالمتحرك والساكن والظاهر والباطن والعالى والسافل والخارج والداخل واللطيف الكثيف والحار والبارد والرطب واليابس والزائد والناقص والجماد والنامي والناطق والصامت والذكر والانثى من كل زوجين اثنين .

وهكذا توجد تصاريف أحوال الموجودات من الحيوان والنبات كالحياة والممات والنوم واليقظة والمرض والصحة والألم واللذة والبؤس والنعمة والسرور والغمة والحزن والفرح والصلاح والفساد والضر والنفع والخير والشر والسعادة والمنحسة والادبار والاقبال.

وهكذا توجد احكام الأمور الوضعية والشرعية كالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والطاعة والمعصية والمدح والذم والعقاب والثواب والحلال والحرام والحدود والاحكام والصواب والخطأ والحسن والقبيح والصدق والكذب والحق والباطل .

وعلى هذه الامور توجد الامور المثنوية المزدوجة المتضادة . وبالجملة من كل زوجين اثنين

واعلم يا أخي أنه لما لم يكن من الحكمة أن تكون الأمور الموجودة كلها مثنوية مزدوجة جعل بعضها مثلثات وبعضها مربعات ومخمسات ومسدسات ومسبعات ومازاد بالغاً ما بلغ كما سنذكر منها طرفاً بعد هذا الفصل إن شاء الله

واعلم يا أخي أن الموجودات كلها نوعان لا أقل ولا أكثر كليات وجزئيات حسب . فالكليات تسع مراتب محفوظ نظامها ثابتة أعيانها وهي كتسعة آحاد أولها الباريء الواحد الفرد جل ثناؤه ، ثم العقل ذو القوتين ثم النفس ذات الثلاثة الالقاب ، ثم الهيولى الأولى ذات الأربع الاضافات ، ثم الطبيعة ذات الخمسة الاسماء ، ثم الجسم ذو الست الجهات ، ثم الفلك ذو السبع المدبرات ، ثم الاركان ذات الثمانية المزاجات ثم المكونات ذات التسعة الانواع

﴿ فصل ﴾

واعلم ان الباري جل ثناؤه هو أول الموجودات كما ان الواحد هو قبل كل الاعداد . وكما ان الواحد هو نشوء الاعداد كذلك الباري موجد الموجودات وكما ان الاثنين أول الاعداد والاعداد ترتبت عن الواحد ، كذلك العقل أول موجود أبدعه الباري جل وعلا واخترعه ، فمنه غريزي ومكتسب دليل على رتبته في الموجودات . وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين ، كذلك النفس ترتبت في الوجود بعد العقل وصارت أنواعها ثلاثة نباتية وحيوانية وناطقة لتكون دالة على رتبتها في الموجودات له ، ثم أوجد الباري جل ثناؤه الهيولى ، كما ترتبت الاربعة بعد الثلاثة

ومن أجل هذا قيل إن الهيولى أربعة أنواع : هيولى الصناعة . وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، والهيولى الاولى لتكون هذه الاربعة الاركان دالة على مرتبتها فى الموجودات . ثم الطبيعة ترتبت بعد الهيولى كما أن الخمسة ترتبت بعد الاربعة .

ومن أجل هذا قيل إن الطبائع خمس : إحداها طبيعة الفلك ، وأربع تحت الفلك ، ثم ترتب الجسم بعد الطبيعة كما ترتبت الستة بعد الخمسة.

ومن أجل هذا قيل ان الجسم له ست جهات . ثم تركب الفلك من الجسم وترتب بعده كما ترتبت السبعة بعد الستة .

ومن أجل هذا صار أمر الفلك يجري على سبعة كواكب مدبرات ليكون دلالة على رتبته فى الموجودات . ثم ترتبت الاركان في جوف الفلك كما ترتبت الثمانية بعد السبعة.

ومن أجل هذا قيل انها ذات ثمانية مزاجات . فالارض باردة يابسة ، والماء باردرطب ، والهواءحاررطب ، والنار حارةيابسة لتكون هذه الثمانيةالاوصاف دالة على رتبتها في الموجودات . ثم تولدت المولدات الثلاثةالاجناس ذات التسعة الانواع لتكون دالة على مرتبتها في الموجودات الكليات وهي آخرها كلها ، كما أن التسعة آخر مرتبة الآحاد وهي الكائنات المولدات من الاركان الاربعة التى هي الامهات : وهي المعادن والنبات والحيوان . والمعادن ثلاثة أنواع : ترابية لاتذوب ولاتحترق كالزاجات والكحل ، وحجريذوب ولايحترق كالذهب والفضة والنحاس وماشاكلها ، ومائيــة تذوب وتحترق كالكبريت والقير وغيرها .

والحيوان ثلاثة أنواع : منه مايلد ويضع ومنه مايبيض ويحضن ومنه مايتكون من العفونات . والنبات ثلاثة أنواع : منها مايغرس كالاشجار ، ومنها مايزرع كالحبوب ، ومنها ماينبت كالحشائش والكلأ .

فقد تبين بما ذكرنا أن الموجودات الكليات هي هذه التسعة المراتب التى ذكرناها وشرحناها . وأما الأمور الجزئيات فداخلة في هذه الكليات التى تقدم ذكرها . وأما الأمور الموجودات المثلثات فان من الموجودات الثلاثية الهيولى والصورة والمركب منهما ، والجواهر والاعراض والمؤلف منهما ، والروحاني والجسماني والمجموع منهما ، ومثل المقادير الثلاثة التى هي الخطوط والسطوح والأجسام ، ومثل الابعاد الثلاثة التى هي الطول والعرض والعمق ، والأزمان الثلاثة التى هي الماضى والحاضر والمستقبل ، والحركات الثلاث من الوسط والى الوسط وعلى الوسط . والأعداد الثلاثة التام والزائد والناقص ، والعناصر الثلاثة

التى هي الممكن والواجب والممتنع . وتقاسيم الأوتاد والزوائل ومايلي الوتد ، والمكونات الثلاثة : المعادن والنبات والحيوان . وبالجملة كل أمر ذي واسطة اوطرفين

ولما كانت الاربعة من الاعداد تالية للثلاثة وجب أن تكون أشياء رباعية للمثلثات فى الوجود : فجعل الباري جل ثناؤه أشـياء مربعات تاليات لها في الوجود .

فمنها الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، والطبائع الاربع وهي البرودة واليبوسة والرطوبة والحرارة ، والاخلاط الاربعة الصفراء والسوداء والدم والبلغم ، والرياح الاربع الصبا والدبور والجرميا و التيمن ، والجهات الاربع المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، والاوتاد الاربعة الطالع والغارب والرابع والعاشر ، والازمان الاربعة الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وأيام العمر أربعة فصول : أيام الصبا وأيام الشباب وأيام الكهولة وأيام الشيخوخة ، ومراتب الاعداد اربع : أحاد وعشرات ومئات وألوف .

وعلى هذا القياس اذا تأمل وجد كثيراً من مربعات ومخمسات ومسدسات ومسبعات ومثمنات ومتسعات ومعشرات ، ومازاد بالغاً مابلغ من المئات والألوف وعشرات الألوف ومئات الالوف وألوف الالوف .

وبالجملة مامن عدد من الاعداد الا وقد خلق الباري جل ثناؤه جنساً من الموجودات مطابقاً لذلك العـدد ، قل أو أكثر ونريد أن نبين من ذلك طرفا ليكون دليلا على ماقلنا وحقيقة لما ذكرنا :

أما المسدسات من الموجودات فاولها في طبيعـة الافلاك وأقسام البروج وحالات الكواكب وذلك أن البروج الاثنى عشر : ستة منها ذكور وستة منها أناث وستة نهارية وستة ليلية وستة شمالية وستة جنوبية وستة مستقيمة الطلوع وستة معوجة الطلوع وستة من حيز الشمس وستة من حيز القمر وسـتة تطلع بالنهار وستة تطلع بالليل وستة ترى انها فوق الارض وستة لا ترى فهي تحت الارض

وأما الاحوال الست التي للكواكب فهي أن تكون في أوجاتها أوحضيضها او شرفها أو هبوطها أو مع رأس جوزهرها أو مع الذنب فهي ست أحوال

وأما الست الأخرى ، فهي أن يكن مقترنات أو متقابلات أو مربعات أو مثلثات أو مسدسات أو سواقط لاينظر بعضها الى بعض

وأما المسدسات من الامور التي تحت الفلك فهي الجهات الست التي تنسب الى الاجسام والستة الاخرى التي وضعت لمقادير الاوزان من الصنجات والاذرع والمكاييل والارطال كل ذلك بفعل الستة اذا كانت هي أول العدد التام

وأما السبعات من الامور الموجودة فتركنا ذكرها إذ كان قوم من أهل العلم قد شغفوا بها وأطنبوا في ذكرها وهي معروفة موجودة في أيدي أهل العلم .

وأما المثمنات فقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الموسيقى لايحتاج الى اعادته

وأما المتسعات من الامور فقد شغف بها أيضاً قوم من أهل الهند وأكثروا من ذكرها ، وأيضاً رجل من أهل العلم يعرف بالكيال قد شغف بها وأكثر من ذكرها في كتب له معروفة موجودة في أيدي أهل العلم

وقد ذكرنا أيضاً طرفا منها في بعض رسائلنا وفي فصل من هذه الرسالة مما تقدم وقلنا ان الموجودات الكليات تسع مراتب بحسب لاأقل ولاأكثر مطابقة التسع الاحاد المتفق بين الامم كلها على وضعها لتكون الامور الوضعية مطابقة مراتبها للامور الطبيعية التي هي ليست من صنع البشر بل صنعة خالق حكيم سبحانه وبحمده

وأما الموجودات المخمسات فالكواكب الخمسة المتحيرة : زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وانما سميت متحيرة لان لها رجوعا واستقامة .وليس للشمس ولا للقمر رجوع ولااستقامة

والاجسام الطبيعية الخمسة التي هي جسم الفلك والاربعة الاركان التي دونه من النار والهواء والارض والماء.

والخمسة الاجناس من الحيوان هي : الانسان والطير والسائح والمشاء ذو

الرجلين وذو الاربع والذي ينساب على بطنه .

والحواس الخمس الموجودة في الحيوان التام الخلقة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس

والخمسة الاجزاء الموجودة في النبات وهي الأصل والعروق والورق والزهر والثمر .

والخمسة الاشكال الفاضلة المذكورة في كتاب أقليدس وهي الشكل الناري ذو الاربعة السطوح المثلثات. والشكل الارضي ذو السطوح المربعات والشكل المائي ذو الثمانية السطوح المثلثات والشكل الهوائي ذو العشرين قاعدة مثلثات والشكل الفلكي ذو الاثنى عشر قاعدة مخمسات

والخمس النسب الفاضلة الموسيقية وهي المثل والجزء والمثل والاجزاء والضعف والضعف والجزء والضعف الاجزاء .

والخمسة أولو العزم من الرسل : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام.

والخمسة الايام الملقب اسماؤها بالعدد في جميع اللغات وهي بالعربية: الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس .وبالفارسية مثلها يك شنبه دوشنبه سه شنبه جهار شنبه بنج شنبه

والخمسة الايام المشرفة من جملة أيام السنة الفارسية في آخر أبان ماه وأسماؤها بالفارسية أهند كاه اسهدكاه اسفيدكاه همشتركاه استورستكاه.

ففي كون هذه الموجودات على هذه الاعداد المخصوصة دلالة لمن كان له عقل راجح وفهم دقيق وفطنة بان لله تعالى ملائكة هم صفوته من خلقه وخيرته من بريته اليهم تقع الاشارة بهذه الموجودات المقدمات المخصوصات، خلقهم لحفظ عالمه وجعلهم سكان سمواته ومدبري أفلاكه ومسيري كواكبه ومربي نبات أرضه ورعاة حيوانه . منهم السفراء بينه وبين أنبيائه من بني آدم فمنهم يقع الوحي والنبوات

وهم ينزلون بالبركات من السموات ، ويعرجون باعمال بنى آدم وبارواحهم واليهم أشار في أكثر أحكام الشريعة ومفروضات سننها مثل الصلوات الخمس والزكاة الخمس والطهارة الخمس وشرائط الايمان الخمس وبنى الاسلام على خمس والفضلاء من أهل بيت النبوة خمسة . ومراقي منبر النبوات خمس . وفرائض الحج خمسة. والايام المعدودات بمنى وعرفات خمسة . والحروف المستعملة فى أوائل سور القرآن من واحد الى خمسة

وكل هذه المخمسات إشارات ودلالات على خمسة من الملائكة مع كل واحد منهم خمسة آلاف من الملائكة الى خمسين ألفاً الى خمسة مائة ألف، وما زاد بالغاً ما بلغ . واليهم أشار في عدة آيات من سور القرآن مثل قوله « تنزل الملائكة والروح » . « وما نتنزل الا بأمر ربك » وقوله تعالى «وما منا إلا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » والى الخمسة الفاضلة من الملائكة أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « حدثنى جبريل عليه السلام عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم » فقد تبين مما ذكرنا معنى قول الحكماء الفيثاغوريين أن الموجودات بحسب طبيعة العدد

﴿ فصل ﴾

في بيان نضد العالم وأنه كرى الشكل

اعلم يا أخي أن البارى تعالى لما أبدع الموجودات واخترع المخترعات رتبها ونظمها وجمعها كلها في فلك واحد محيط بها من كل الجهات كما ذكر سبحانه وتعالى بقوله « وكل في فلك يسبحون »

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الفلك المحيط كرى الشكل مستدير مجوف وسائر الافلاك في جوفه مستديرات محيط بعضها ببعض كحلقة البيض والبصل وهي احدى عشرة أكرة، والشمس هي في أوسط الأكر : خمس من فوق اكرتها وخمس من دون اكرتها

فالتى فوق اكرتها اكرة المريخ ثم اكرة المشتري ثم اكرة زحل ثم اكرة الكواكب الثابتة ثم اكرة المحيط والتى دون اكرتها اكرة الزهرة ثم اكرة عطارد ثم اكرة القمر ثم اكرة الهواء ثم اكرة الارض التى هي المركز وهي ليست مجوفة ولكن متخلخلة لكثرة المغارات والكهوف والأهوية ، وأما الكوكب فانه أكريات مصمتات مستديرات كما بين في المجسطي بقياس هندسى

واعلم يا أخي أن الباري جل ثناؤه،جعل شكل العالم كريا لان هذا الشكل أفضل الاشكال الخمسة من المثلثات والمربعات والمخروطات وغيرها ، وهو أيضاً اوسعها مساحة وأسرعها حركة وأبعدها من الآفات وأقطاره متساوية ومركزه في وسطه ، ويمكنه أن يدور في مكانه ولا يماس غيره إلا على نقطة وأجزاء متقاربة، ويمكنه أن يتحرك مستديراً مستقيما ولا يمكن أن توجد هذه الخصال والصفات فى غيره . وقسم الفلك اثنى عشر قسما لأن هذا العدد زائدة أجزاؤه أكثر من كله ، فقد تبين مما ذكرنا أن هذا الشكل الاكري أفضل الاشكال وأن الباري عز وجل يفعل الأحكم والأتقن فنتج من هاتين المقدمتين أن شكل العالم مستدير، وانما اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن جعل الباري جل ثناؤه شكل العالم كريا مستديراً والافلاك والكواكب كذلك لما تبين من فضل هذا الشكل على سائر الأشكال الخمسة، وجعل أيضاً حركات الكواكب والافلاك كرية مستديرة: وذلك أن كل كوكب من السبعة يدور في فلك صغير يسمى أفلاك التداوير ، وتلك الأفلاك الخارجة المراكز تدور في سطح فلك البروج المحيط بسائر الافلاك، وهذا الفلك المحيط أيضاً يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة من المشرق الى المغرب فوق الارض ، ومن المغرب الى المشرق تحت الأرض مثل الدولاب

فلو لم تكن الارض والفلك وكواكبه كريات مستديرات لما استوى هذا الدوران ولما استمرت حركات كواكبه على ماذكرنا وبينا في هذا الوصف . واذ قد تبين مما ذكرنا أن العالم كري الشكل مستدير فنريد أن نبين أيضاً أن تصاريف أموره

الجزئيات أيضاً مستديرة : فمن ذلك أن الارض بما عليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب أكرة واحدة ، والهواء لمحيط بها من جميع جوانبها وفلك القمر محيط بالهواء . كذلك ان شكل الجبال على بسيط الارض كل واحدة قطعة قوس من محيط الدائرة ، وكذلك شكل الأنهار والأودية ومحيط الاقاليم كل واحد قطعة قوس من محيط الدائرة . وهكذا حكم جريان مياه الانهار فانها تبتديء من الأنهار في جريانها نحو البحار وتسقي القرى والسوادات وينصب الباقي الى البحار ويختلط بمياهها المالحة ، ثم يصير بخاراً و يرتفع في الهواء، ويتركب ويتكاثف ويصير غيوماً وسحاباً تسوقها الرياح الى رؤوس الجبال والبراري والقفار فتمطر هناك وتسيل منها أودية وأنهار وتجرى نحو البحار راجعة من الرأس ويكون منها البخار والغيوم مثل ما كان عام أول، دولاب يدور . و « ذلك تقدير العزيز العليم » وهكذا حكم النبات والحيوان والمعادن فانها تتكون من هذه الاركان وتنشأ وتتم وتكمل ثم تفسد وتبلى وتصير تراباً كما كانت بديا . ثم ان الله تعالى ينشيء منها مايشاء كما بدأ أولا يعيده مرة أخرى دولاباً يدور . وكذلك اذا نظرت وتأملت واعتبرت وجدت أكثر ثمار الاشجار وحبوب النبات وبذورها وأوراقها مستديرات الاشكال أو كريات أو مخروطات قريبة من الاستدارة .

وهكذا الثقب التي في أبدان الحيوان الى الاستدارة أقرب ماتكون .وهكذا أشكال أواني الناس وأدوات الصناع وأرحيتهم ودواليبهم وآبارهم والكيزان والغضائر والقدور والاقداح والقصاع والخواتم والقلانس والعمائم والحلي والتيجان أقرب الى التدوير

فاعلم ذلك أيها الأخ وتفكر فيه أعانك الله على المعرفة بحقائق الأشياء بمنه ولطفه . وصلى الله على النبي الخاتم وعلى الوصى القائم ،وعلى أولاده وبنيه وعترته آباء الأئمة المهتدين وأمراء المؤمنين الموحدين وسلم تسليما. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ تمت رسالة المبادىء العقلية وتتلوها رسالة في معنى قول الحكماء: أن العالم انسان كبير ﴾

الرسالة الثالثة

من النفسانيات العقليات

في معنى قول الحكماء أن العالم انسان كبير

﴿ وهي الرسالة الرابعة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد فرغنا من ذكر مراتب المبادىء العقلية على رأى اخوان الصفاء وبينا فيها بكلام مشبع أن الوجود متقدم على البقاء، والبقاء متقدم على التمام، والتمام متقدم على الكمال ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة معنى قول الحكماء ان العالم انسان كبير فنقول

اعلم ان قول الحكماء ان العالم انسان كبير وقولهم ان الانسان عالم صغير يجب أن نشرح معناه لنقف على حقيقته ، معنى ذلك أن العالم له جسم ونفس يعنون به الفلك المحيط وما يحوي من سائر الموجودات من الجواهر والأعراض ، وان حكم جسمه بجميع أجزائه البسيطة والمركبة والمولدة يجري مجرى جسم انسان واحد أو حيوان واحد بجميع أعضاء بدنه المختلفة الصور المفننة الاشكال ، وان حكم نفسه بجميع قواها السارية في أجزاء جسمه المحركة المدبرة لاجناس الموجودات وأنواعها وأشخاصها، كحكم نفس انسان واحد أو حيوان واحد السارية في جميع

اعضاء بدنه ومفاصل جسده،المحركة المدبرة لعضو عضو وحاسة حاسة من بدنه . وذلك قول الله تعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » واذا قلنا نحن في رسائلنا:الجسم الكلي فانما نعني به جسم العالم بأسره ، واذا قلنا النفس الكلية فانما نعني بها نفس العالم بأسرها ، واذا قلنا العقل الكلي فانما نعني به القوة الالهية المؤيدة للنفس الكلية ، واذا قلنا الطبيعة الكلية فانما نعني بها قوة النفس الكلية السارية في جميع الاجسام المحركة المدبرة لها المظهرة بها ومنها أفعالها وآثارها ، واذا قلنا الهيولى فانما نعني به الجوهر الذي له طول أو عرض وعمق فهو بها جسم مطلق ، واذا قلنا الاجسام البسيطة فانما نعني بها الافلاك والكواكب والاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ، واذا قلنا الانفس البسيطة فانما نعني بها قوى النفس الكلية المحركة المدبرة لهذه الاجسام السارية فيها وهذه القوى نسميها الملائكة الروحانيين في رسائلنا ، واذا قلنا الاجسام المولدة فانما نعني بها أنواع الحيوان والنبات والمعادن ، واذا قلنا الانفس الحيوانية والنباتية والمعدنية فانما نعني بها قوى النفس البسيطة المحركة المدبرة لهذه الاجسام المولدة السارية فيها المظهرة بها ومنها أفعالها

فاذا قلنا الاجسام الجزئية فانما نعني بها أشخاص الحيوانات والنبات والمعادن وغيرها من المصنوعات على أيدي البشر وغيرهم من الحيوان

واذا قلنا الانفس الجزئية المتحركة فانما نعني بها قوى النفوس الحيوانية والنباتية والمعدنية السارية في الاجسام الجزئية المحركة المدبرة لها المظهرة بها ومنها أفعالها واحداً واحداً من الاشخاص الموجودة تحت فلك القمر ، فقد بان بهذا أن مجرى حكم العالم ومجاري أموره بجميع الاجسام الموجودة فيه مع اختلاف صورها وافتنان أشكالها وتغاير أعراضها يجري مجرى جسم الانسان الواحد من الناس أو الحيوان الواحد بجميع أجزائه المختلفة الصور ومفاصله المفتنة الاشكال وهيئته المتغايرة الاعراض ، وان حكم سريان قوى نفس العالم في جميع أجزاء جسمه كحكم سريان قوى نفس انسان واحد في جميع أجزاء بدنه ومفاصل جسده

فصل

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ان العالم الذي سميناه انساناً كبيراً ،في أجزائه ومجاري أموره أمثلة وتشبيهات دالات على مجاري أحكام العالم الذي هو انسان صغير فنريد أن نذكر من تلك الامثلة طرفاً ليكون أقرب لفهم المتعلمين ومن يريد أن يفهم حكم العالم ومجاري أموره في فروع الموجودات التي في العالم من أصولها ، تلك الاصول من أصول آخر قبلها الى أن تنتهي الى أصل يجمعها كلها كمثل شجرة واحدة لها عروق وأغصان وعليها فروع وقضبان وعلى تلك الفروع والقضبان أوراق وتحتها نور وثمار لها لون وطعم ورائحة ، ومن وجه آخر مجاري حكم الموجودات التي في العالم - فروعها من أصولها وأصولها من أصول أخر الى أن تنتهي كلها الى أصل واحد كمجرى حكم جنس الاجناس الذي تحته أنواع تسمى جنس المضاف ، وتحتها أنواع تسمى أنواع المضاف وتحت تلك الانواع أشخاص كثيرة مختلفة الصور والاشكال والهيئات والاعراض لا يحصى عددها الا الله عز وجل ومن وجه آخر مثل هذه الموجودات الجنسية والنوعية والشخصية مع جنس الاجناس كمثل قبيلة لها شعوب ، ولشعوبها بطون ، ولبطونها أفخاذ ، ولافخاذها عمائر ولها عشائر وأقارب ومن وجه آخر مجرى حكم العالم في جميع موجوداته كمجرى حكم شريعة واحدة فيها مفروضات كثيرة ولتلك المفروضات سنن مختلفة ، ولتلك السنن أحكام متباينة ولتلك الاحكام حدود متغايرة يجمعها كلها دين واحد لاهله مذاهب مختلفة ولكل أهل مذهب مقالات متغايرة ، وتحت كل مقالة أقاويل كثيرة مفننة . ومن وجه آخر حكم العالم ومجاري أموره من فنون تركيب أفلاكه واختلاف حركات كواكبه واستحالة بعض أركانه الى بعض وتولد اختلاف الكائنات المختلفة الاشكال وافتنان أجناس نباته وفنون جواهر معدنه وسريان قوى النفس الكلية في هذه الاجسام وتحريكها إياها وتدبيرها لها وبها ومنها كمجرى حكم دكان لصانع

واحد وله فيه أدوات وآلات مختلفة الصور وله بها ومنها أفعال وحركات مفننة ومصنوعاتها مختلفات الصور والاشكال والهيئات وقوة نفسه سارية فيها كلهـا وحكمه جار عليها بحسب ما يليق بواحد واحد منهـا . ومن وجه آخر مجاري أحكام الموجودات الجسمانية في العالم مع اختلاف صورها وأعراضها ومنافعها للنفس الكلية كمجرى حكم دار فيها بيوت وخزائن ، وفي تلك الخزائن آلات وأواني وأثاث لرب الدار وله فيها أهل وخدم وغلمان وحكمه جار فيها وفيهم جميعاً وتدبيره لهم منتظم على اتقن ما تقتضيه السياسة الربانية والعناية الالهية .

ومن وجه آخر حكم العالم الذي هو انسان كبير ومجاري اموره في الاجسام الكليات والبسائط والمولدات والمركبات الجزئيات وارتباط بعضها ببعض واحاطة بعضها ببعض من تركيب افلاكه ونظام كواكبه ومقادير اجرامها وترتيب اركانه واستحالاتها وقرار معادنه واختلاف جواهرها وانواع نباته وثبات اصولها وحركات حيوانه وتصرفها لمعايشها وسريان قوى النفس الكلية من اولها الى آخرها كحكم مدينة حولها اسوار وفي داخلها محال وخانات ونواح، فيها شوارع وطرقات واسواق في خلالها منازل ودور فيها بيوت وخزائن فيها أموال وأمتعة وأثاث وآلات وحوائج يملكها كلها ملك واحد له في تلك المدينه جيوش ورعية وغلمان وحاشية وخدم وأتباع وحكمه جار في رؤساء جنده وأشراف مدينته وثناء بلده، وحكم اولئك الرؤساء والاشراف والثناء (١) جار في اتباعهم وحكم أتباعهم فيمن دونهم الى آخره ، وان ذلك الملك يسوس تلك المدينة وأهلها على أحسنها من مراعاة أمورهم واحداً واحداً صغيرهم وكبيرهم أولهم وآخرهم لا يخل بواحد منها

فهكذا يجري حكم النفس الكلية في جميع أجزاء العالم من الافلاك والكواكب والاركان والمولدات والمركبات والمصنوعات على أيدي البشر كجريان حكم ذلك الملك على تلك المدينة .

(١) ثنأ تنوءاً بالمكان أقام به فهو ثانيء والجمع ثناء

وكذلك يسري حكمها في الأنفس البسيطة والجنسية والنوعية والشخصية في تصريفها لها وتحريكها وتدبيرها للموجودات الجسمانية وأجناسها وأنواعها وأشخاصها صغيرها وكبيرها وأولها وآخرها وظاهرها وباطنها.

ثم اعلم ان مثل النفس الكلية كجنس الاجناس والانفس البسيطة كالانواع لها . والانفس التي دونها كنوع الانواع ، والانفس الجزئية كالاشخاص مرتبة بعضها تحت بعض كترتيب العدد .

فالنفس الكلية كالواحد ،والبسيطة كالاحاد والجنسية كالعشرات والنوعية كالمئات والأنفس الجزئية الشخصيـة كالألوف — وهي التي تختص بتدبير جزئيات الاجسام والانفس النوعية مؤيدة لها .والجنسية مؤيدة للنوعية والنفوس البسيطة مؤيدة للجنسية.

والنفس الكلية التي هي نفس العالم مؤيدة للنفوس البسيطة والعقل الكلي مؤيد للنفس الكلية ،والباري — جل ثناؤه — مؤيد للعقل الكلي فهو مبدعها كلها ومدبر لها من غير ممازجة لها ولا مباشرة فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم اعلم أيها الأخ كما أن في تلك المدينة رجالا ونساءً ومشايخ وشباناً وصبياناً فمنهم أخيار وأشرار وعلماء وجهال ومصلح ومفسد ، وأقوام مختلفو الطباع والاخلاق والآراء والاعمال والعادات فهكذا في العالم الكبير نفوس كثيرة بسيطة كلية و جزئية مختلفات الحالات :فمنها نفوس علامة خيرة فاضلة ، ومنها نفوس علامة شريرة رذلة . ومنها جاهلة شريرة ومنها جاهلة غير شريرة .

فالنفوس العلامة الخيرية الفاضلة هي أجناس الملائكة وصالحو المؤمنين والعلماء من الجن والانس،والعلامة الشريرة مردة الشياطين وسحرة الجن والفراعنة والدجالون من الناس ، والجاهلة الشريرة أنفس السباع الضارية والجهال الاشرار من الناس،والجاهلة غير الشريرة أنفس بعض الحيوانات السليمة كالغنم والحمام وغيرها من الحيوان

فصل

ان أجساد بعض الحيوانات حبوس لنفوسها ومطامير لهـا وبعضها صراط يجوزون عليه وبعضها ، برزخ الى يوم يبعثون . وبعضها أعراف لها ، هم عليها واقفون .

وقد بينا هذه المعانى فى رسالة أخرى . وكما أن لأهل تلك المدينة فيهـا مساجد وبيع وصلوات ولأهل العلم والدين فيها مجالس وجماعات وأعياد وصلوات فهكذا يجرى في فضاء الأفلاك وسعة السموات للملائكة جموع وتسابيح ودعوات كما ذكر الله تعالى « يسبحون الليل والنهار لايفترون » وقال الله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » وكما أن في تلك المدينة لأهلها فيها حبوس ومطامير ، عليها شرط وأعوان ، فهكذا فى العالم الكبير للنفوس الشريرة جهنم ونيران وهاوية عليها ملائكة غلاظ شداد — وهو عالم الكون والفساد

ثم اعلم أيها الأخ أنه ليس كل نفس وردت الى عالم الكون والفساد تكون محبوسة فيه ، كما أنه ليس كل من دخل الحبس يكون محبوساً فيه بل ربما دخل الحبس من يقصد إخراج المحبوسين منه ، كما أنه قد يدخل بلاد الروم من يستنقذ أسارى المسلمين ، وانما وردت النفوس النبوية الى عالم الكون والفساد لاستنقاذ هـذه النفوس المحبوسة في حبس الطبيعة الغريقة في بحر الهيولي الأسيرة في الشهوات الجسمانية

وكما أن المحبوس اذا اتبع من دخل الحبس لاخراجه خرج ونجا ، كذلك من اتبع الانبياء في شرائعهم وسننهم ومناهجهم نجا وتخلص من جهنم وخرج من عالم الكون والفساد ونجا وفاز ولو كان بعد حين ، كما روى عن النبى ﷺ أنه قال « لايزال يخرج من النار قوم بعد قوم من أمتى بعد مادخلوها حتى لايبقى فى النار أحد ممن قال لا إله إلا الله مخلصاً في دار الدنيا » وذلك قول الله تعالى

« وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » وكما أن في تلك المدينة لأهلها جناناً وميادين وأنهاراً وبساتين وفيها مجالس لنزهة النفوس وبهجة وسرور ولذة ونعيم

فهكذا في فضاء الافلاك وسعة السموات لاهلها فيها فسحة وجنان وروح وريحان ونعمة ورضوان ، كما ذكر في التوراة والانجيل والقرآن من وصف الجنان.

فافهم ياأخي هذه الارشادات والتنبيهات وانتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وقد روي في الخبر أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنان بالنهار على رؤوس أشجارها وأنهارها وأزهارها وتأوي بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وذلك قول الله تعالى « ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المحسنين » وكما ان لاهل تلك المدينة فيها لاهلها صناعا وعمالا لهم أجرة وأرزاق وفيها باعة وتجار يتعاملون بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات ولهم فيها قضاة وعدول ولهم فقه وأحكام وفصول وقضايا — وان من سنة القضاة البروز والجلوس لفصل القضايا في كل سبعة أيام يوم واحد فهكذا يجرى حكم النفس الكلية في الانفس الجزئية في كل سبعة آلاف سنة مرة تعرض النفوس الجزئية لدى النفس الكلية فتبرز النفس الكلية لفصل القضايا بينها بالحق . فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين .

وروي عن النبى ﷺ أنه قال « عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخر الف منها » وقال « لا نبى بعدي » وعلى آخر هذه المدة تقوم الساعة . والى هذه المدة أشار بقوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » وهذا الخطاب كان يوم الميثاق وهو يوم العرض الاول ويوم القيامة هو يوم

العرض الثاني الكائن بينهما مدة سبعة أيام كل يوم كألف سنة كما قال الله تعالى « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » والى هذ اليوم أشار بقوله تعالى «ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون » وقال « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب »وقال « كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين» وكما ان يوم الحكم يقعد القضاة ويحضرون العدول ويدعي الشهود ويحشرون هم والخصوم وتخرج الصكوك ويفصل الحكم،فهكذا يوم عرض المحبوس يخرج الوالى ويحضر الاعوان ويخرجون المحبوسين وتتبين براءة قوم منهم فيطلقون وقوم تقام عليهم الحدود ويخلون ، وقوم يخلدون فى الحبس الى يوم الفصل الثاني، وهكذا يوم عرض النفوس،يخرج الوالى ويخرج الدواوين ويحضر الكتاب ويدعو المنيبين للعرض وتعطى أرزاق المستحقين ويزاد قوم وقوم ينقصون ، ويثبت قوم وقوم يسقطون ، وهكذا تجري حكم النفس الكلية في الانفس الجزئية يوم الدين لان الله تعالى جعل أحكام الدنيا ومجاري أمورها أمثلة وأشار بها الى أحوال القيامة ومجاري أمورها فاعتبروا ياأولى الابصار وتيقنوا ياأولى الالباب «انما عندكم ينفد وما عند الله باق » وانما ذكر الله الميزان والوزن والعدد يوم الحساب لان النصفة بين الناس لاتتبين لهم الا بالكيل والوزن والعدد والذرع وهذه كلها كالموازين تعرف بها مقادير الاشياء فمن أجل هذا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ولم يقل ونضع الميزان فان توهم متوهم أن الذى وعده النبى ﷺ الناس يوم القيامة من وزن الاعمال من الخير والشر ، وهذه أعراض لاتثبت وتتبين ، فكيف يكون وزنها ،فليعلم أن الوزن إنما يحتاج اليه ليعلم مقدار الشىء ليقابل بمثله أو يزداد عليه أو ينقص منه ، وهذا المعنى شائع في الاعراض،جار فيها مثل العروض الذي هو ميزان الشعر الذي به يعرف استواؤه وزائده وناقصه

والشعر عرض من الاعراض،ومثل البنكان والاصطرلاب وأمثالها من الآلات يعرف بها مقادير الزمان من الزيادة والنقصان والاستواء . والزمان عرض من

الاعراض ومثل الذراع الذي يعرف به الطول والقصر والبعد والقرب والكبر والصغر ، وهي أعراض كلها . ومثل المسطرة والبركار يعرف بهما الاستواء والاعوجاج وهما عرضان . ومثل الصنجات والارطال يعرف بهما الثقل والخفة والزيادة والنقصان وهي أعراض كلها ـ فالذي ينكره المتوهم أن يكون لاعمال الخير والشر ميزان يعرف به مقدار الخير والشر وله قوم يعرفون كيفية وزن الاعمال وهي صناعتهم ، كما أن لتلك الموازين التى ذكرنا لكل واحد منها قوم هي صناعتهم ، واخواننا الفضلاء هم أهل هذه الصناعة واليها ندعو اخواننا الباقين

. تمت الرسالة . وبعد هذه زيادة لم توجد في سائر النسخ ولعلها زيدت من رسائل متقدمة

﴿فصل﴾

اعلم ايها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن العالم بأسره كرة واحدة تنفصل احدى عشرة طبقة : تسع منها هي أفلاك كريات مجوفات مشفات وكواكبها أيضاً كلها كريات مستديرات مضيئات ، وحركتها كلها دورية وذلك ان الفلك المحيط بجميع مايحوى من الافلاك والكواكب يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وكذلك كل كوكب يدور في فلك مختص به أو دائر حركة دورية في زمان معلوم ، وكلما دارت دورة استأنفت ثانية كما وصفنا في رسالة مدخل النجوم ورسالة السماء والعالم ورسالة الأدوار والاكوار . ودون فلك القمر كرتان احداهما النار والهواء ، والاخرى الماء والارض . وكل واحدة منها كرية الشكل محيطات أواخرها متصلة بأوائلها. بيان ذلك أن النار متصل أولها بفلك القمر وآخرها بطبيعة الزمهرير . والزمهرير آخره متصل محيط بالماء والارض كما ذكرنا فى رسالة الآثار العلوية . وأما الأرض بجميع جبالها وبحارها فهى كرة واحدة فاذا اعتبر شكل الجبال والأنهار على بسيط الأرض وتأمل،تبين أن كل واحد منها كأنه قطعة قوس من محيط الدائرة، وأما أشكال البحار فكل واحد كأنه قشر من سطح جسم كرى

فصل

وهكذا أحوال الكائنات اذا اعتبرت وتأملت تبين أن أكثرها كريات الشكل ومستديرات: من ذلك أن أكثر الاشجار وأوراقها وحب النبات ونوارها كريات الاشكال ومستديرات . وهكذا أكثر مصنوعات البشر كما بينا فى رسالة الهندسة . وأما أحوالها فدائرة أيضاً بعطف أوائلها على أواخرها مثل دوران الزمان من الشتاء الى الربيع ، ومن الربيع الى الصيف ، ومن الصيف الى الخريف ومن الخريف الى الشتاء. وهكذا دوران الليل والنهار حول كرة الارض كما بينا في رسالة الهيولى

وكذلك الحكم في دوران مياه الأنهار والبحار والغيوم والأمطار فانها كالدولاب الدائر . وذلك أن الغيوم والسحاب تنشأ من البخار الصاعد من البحار والأنهار وتسوقها الرياح الى القفار ورؤوس الجبال وتمطر هناك فتجتمع السيول الى الأودية والأنهار فتذهب راجعة الى البحار ثم تصعد ثانية ، وذلك تقدير العزيز العليم . وكذلك حال النبات وتكوينه من التراب والماء والنار والهواء ورجوعه اليها في دورانها كالدولاب. وذلك أن النبات يبدو وينشأ ويتم ويكمل حتى اذا بلغ الى أقصى غاياته ومنتهاها رجع عند البلى والفساد إلى ما تكون منه . وبيان ذلك أن النبات يمتص بعروقه لطائف الاركان ويصير منه ورق وثمار يتناولها الحيوان بالاغتذاء فتستحيل في بعض أبدانه لحماً ودماً ، وبعضها ثقلا وسماداً ، ويرد الى أصول النبات ليغتذي منه ويصير حباً وثماراً ثانيا ويتناوله الحيوان أيضاً . فاذا تأمل هذا من حالها وجد كأنه دولاب دائر

وأما أجسام الحيوان فانها كلها تعود الى التراب وتبلى وتصير تراباً ، ويكون منها ثانياً النبات ومن النبات حيوان كما بينا قبل فاذا تأمل ذلك أيضا وجد كأنه دولاب يدور . وأما أحوال البشر اذا اعتبرت فكلها دائرة كالدواليب وذلك أن الانسان يبتدىء كونه من النطفة ثم ينشأ وينمو ويتم ويبلغ الى أن يتولد منه النطفة فينتهي العود الى حيث خرج لقضاء شهوته ونتاج مثله . وكذلك بدء

كونه ناقص القوة ضعيف البنية ثم يرتقى ويتزايد إلى ان يبلغ أشده ثم يأخذ في الانحطاط والنقص إلى أن يرد الى أرذل العمر كما كان بديا وكما ذكر سبحانه فقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون » وكما قال سبحانه « خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً.

فصل

واعلم ياأخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن لهذه الموجودات التى تحت فلك القمر نظاماً وترتيباً أيضاً في الوجود والبقاء وهى مرتبة بعضها تحت بعض متصل أواخرها باوائلها كترتيب العدد وترتيب الافلاك .

بيان ذلك انه لما كان ترتيت أجزاء العالم محيطات بعضها ببعض وهى إحدى عشرة كرة تسع منها في عالم الافلاك أولها من لدن فلك المحيط وآخرها الى منتهى فلك القمر وأواخرها متصلة باوائلها كما بينا فى رسالة السماء والعالم ، وكان اثنان منها دون فلك القمر وهي كرة النار والهواء وكرة الماء والارض ،وهى مقسومة على أربع طبائع أولها الاثير وهو نار ملتهبة دون فلك القمر ودونه الهواء وهو جسم سيال ودونه الزمهرير والبرد المفرط ودونه الماء المفرط : الرطوبه ودون الارض المفرطة اليبس .

وهذه الاربعة محفوظة كلياتها فى مراكزها ومتصلة أواخرها بأوائلها مستحيله جزئياتها بعضها الى بعض كما بينا فى رسالة الكون والفساد.

فأما الكائنات منها التى هى جزئياتها فهى المعادن والنبات والحيوان ولها نظام وترتيب متصل أواخرها بأوائلها كترتيب الأفلاك والأركان . بيان ذلك

أن المعادن متصلة أوائلها بالتراب وأواخرها بالنبات أيضاً والنبات متصل آخره بالحيوان والحيوان متصل آخره بالانسان ، والانسان متصل آخره بالملائكة ، والملائكة أيضاً لها مراتب ومقامات متصلة أواخرها بأوائلها كما بينا في رسالة الروحانيات .
ونريد أن نذكر في هذا الفصل مراتب الكائنات من الاركان الاربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان فنقول : إن المعادن اذا تأملت وجدت إما مما يلي التراب فهو الجص ، وإما مما يلي الماء فهو الملح . وذلك أن الجص هو تراب رملي يقبل الامطار ثم ينعقد ويصير جصاً ، وأما الملح فانه ماء يمتزج بالتربة السبخة ثم ينعقد فيصير ملحاً

وأما أواخر المعادن مما يلي النبات فهو الكمأة والفطر وما شاكل ذلك وذلك ان هذا الجنس من الكائنات يتكون في التراب كالمعدن ثم ينبت في المواضع الندية في أيام الربيع من الامطار كما ينبت النبات ولكن من أجل أنه ليس له ثمرة ولا ورقة ويتكون في التراب كما تتكون الجواهر المعدنية وعلى اشكالها صار يشبه المعادن ، ومن جهة أخرى يشبه النبات

فأما باقي أنواع الجواهر المعدنية ففيما بين هذين الحدين أعني الجص والكمأة وقد بينا في رسالة أنواعها وأجناسها وخواصها ومنافعها

وأما النبات فاقول إن هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعدن كما بينا في رسالة المعادن وآخره بالحيوان أيضاً . بيان ذلك أن أول مرتبة النباتية وأدونها مما يلي التراب وهو خضراء الدمن ليس بشيء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم يصيبه بلل الامطار وندا الليل فتصبح بالغداوات خضراء كأنها نبت زرع وحشائش فاذا أصابها حر الشمس نصف النهار رجعت ثم تصبح من غد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن الا في ايام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لان هذا معدنه نباتي وذلك نبات معدني .

﴿ فصل ﴾

وأما النخل فهو آخر مرتبة النباتية مما يلي الحيوانية : وذلك ان النخل نبات حيواني لان بعض أفعاله وأحواله مباين لاحوال النبات وان كان جسمه نباتاً . بيان ذلك ان القوة الفاعلة فيه منفصلة من القوة المنفعلة .

والدليل على ذلك ان أشخاص الفحولة منه مباينة لاشخاص الأناث ، وللفحولة من أشخاصه لقاح في أناثها كما يكون ذلك في الحيوان .

وأما سائر النبات فان القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشخص بل بالفعل حسب كما بينا في رسالة النبات

وأيضاً فان النخل اذا قطعت رءوسها جفت وبطل نموها ونشوءها وماتت وكذلك موجود في الحيوان : فهذا الاعتبار يبين أن النخل نبات بالجسم حيوان بالنفس : إذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية وشكل جسمه شكل نباتي

وفي النبات نوع آخر فعله أيضاً فعل النفس الحيوانية ولكن جسمه جسم نباتي وهو الكشوث : وذلك ان هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النبات ولا له أوراق كاوراقها بل انها يلتف على الاشجار والزروع والشوك فيمتص من رطوبتها ويتغذى كما يفعل الدود الذي يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات وتقرضها فيأكلها ، ويتغذى هذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان . فقد بان مما وصفنا أن آخر رتبة النباتية متصل بأول الحيوانية ، وأما سائر مراتب مرتبة النباتية ففيما بين هذين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن أول مرتبة من الحيوانية أيضاً متصلة بآخر النبات ، كما أن أول النباتية متصل بآخر المعدنية وأول المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل

فأدون الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له الا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون ، وهي دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار ، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة وتنبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يتغذى بها جسمها ، فاذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليه ، فان أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الانبوبة حذراً من مؤذ لجسمها أو مفسد لهيكلها وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا اللمس فحسب . وهكذا أكثر الديدان التي تتكون في الطين في قعور البحار وأعماق الأنهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم لأن الحكمة الالهية لا تعطي الحيوان عضواً لا يحتاج في جر المنفعة أو دفع المضرة ، لأنه لو أعطاها مالا تحتاج اليه كان وبالا عليها في حفظها لبقائها . فهذا النوع حيوان نباتي لأنه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائماً ، وهو من أجل أنه يحركه حركة اختيارية حيوني ، ومن أجل أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة في الحيوانية

أما تلك الحاسة فقد شارك بها النبات : وذلك أن النبات له حس اللمس حسب ، والدليل على ذلك إرساله العروق نحو النهر في المواضع الندية وامتناعه عن إرسالها نحو الصخور واليبس وأيضا فانه متى اتفق منبته في مضيق مال وعدل عنه طالبا للفسحة والسعة فان كان فوقه سقف يمنعه من الذهاب علوا وترك له ثقب من جانب مال إلى نحو تلك الناحية التي اذا طال طلع من هناك ، وهذه الافعال تدل على أن له حسا وتمييزاً بمقدار الحاجة . فأما حس الألم فليس للنبات ، وذلك لأنه لم يلق بالحكمة الالهية أن تجعل للنبات ألما وهي لم تجعل له حيلة الدفع ، كما جعلت للحيوان ، وذلك أن الحيوان لما جعل له أن يحس بالألم جعلت له أيضا حيلة الدفع إما بالفرار والهرب وإما بالتحرز وإما بالممانعة . فقد بان مما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي الانسانية — ليست من وجه واحد ولكن من عدة

وجوه — وذلك أن رتبة الانسانية لما كانت معدن الفضائل وينبوع المناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ، ولكن عدة أنواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسده مثل القرد ، ومنها بالاخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه وكالطائر الانسي أيضا ، ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الاطيار الكثيرة الاصوات والألحان والنغمات ، ومثل ذلك النحل اللطيف الصنائع إلى ماشاكل هذه الاجناس ، وذلك انه مامن حيوان يستعمله الناس أو يأنس بهم إلا وله في نفسه شرف وقرب من نفس الانسانية

فأما القرد فلقرب شكل جسده من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك منه متعارف بين

وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم اخلاقه أن صار مركباً للملوك ، وذلك انه ربما بلغ من حسن أدبه أن لا يبول ولا يروث مادام بحضرة الملك أو حامله وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون للرجل الشجاع كما وصف الشاعر حيث يقول :

واذا شكى مهري الى جراحة   عند اختلاف الطعن قلت له أقدما
لما رآني لست أقبل عذره   عض الصميم على اللجام وحمحما

وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي كما يمتثل الرجل العاقل المأمور المنهي . وهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان لما يظهر منها من الفضائل الانسانية

وأما باقي أنواع الحيوانات ففيما بين هاتين المرتبتين ، وإذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية فينبغي أن نذكر أول مرتبة الانسانية مما يلي الحيوانية

❊ فصل ❊

اعلم يا أخي أن ادون رتبة الانسانية مما يلي الحيوانية هي رتبة الذين لا يعلمون من الامور المحسوسات ولا يعرفون من الخيرات الا الجسمانيات ، ولا يطلبون

الاإصلاح الاجساد ولا يرغبون إلا في الدنيا ولا يتمنون الا الخلود فيها مع علمهم أنهم لا سبيل لهم إلى ذلك ! ولا يشتهون من اللذات إلا الأكل والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون الا في الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ، ولا يحرصون إلا في جمع الذخائر متاع الحياة الدنيا يجمعون مالا يحتاجون اليه كالنمل ويخبأون مالا ينتفعون به كالعقائق ، ولا يعرفون من الزينة الا صباغ اللباس كالطواويس يتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف وان كانت صورتهم الجسدانية صورة الانسان فان افعال تتوسهم افعال النفوس الحيوانية والنباتية

﴿ فصل ﴾

اعلم ايها الأخ ماعلمت وأعمل بما أودعت أعاذك الله أيها الأخ البار الرحيم من نزغات الشيطان الرجيم ووفقك الله وايانا وجميع إخواننا بمنه الكريم

(تمت رسالة معنى قول الحكماء إن العالم انسان كبير ويليها رسالة العقل والمعقول)

الرسالة الرابعة

من النفسانيات العقليات

في العقل والمعقول

﴿ وهي الرسالة الخامسة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من بيان قول الحكماء ان العالم إنسان كبير وأوردنا المثالات والاشارات والتشبيهات حسب ماجرت عادة اخواننا الكرام قد سبق منا ذكر المبادىء العقلية وبينا فيه كيفية اختراع الموجودات وتكوين المخلوقات ، وكذلك قد سبق منا في رسالة الحاس والمحسوس بيا أن المحسوسات كلها أعراض جسمانية وهي كلها في الهيولى الجسماني ، وأن إدراك النفس لها بطريق الحواس بقوتها الحاسة وأن الحواس كلها آلات جسدانية وأن الحس هو تغيير مزاج تلك الحواس عند مباشرة المحسوسات لها وأن الاحساس هو شعور القوى الحساسة بتغيير تلك الأمزجة فنريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالعقل والمعقول ونبين أن المعقولات أيضاً كلها صور روحانية تراها النفس في ذاتها وتعاينها في جوهرها بعد مشاهدتها لها في الهيولى بطريق الحواس إذا هي انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ونظرت بعين البصيرة الى نور العقل واستضاءت بضيائه وتجملت ببهائه

واعلم ياأخي أن العقل اسم مشترك يقال على معنيين : أحدهما ماتشير به الفلاسفة إلى أنه أول موجود اخترعه الباري جل وعز وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية . والمعنى الآخر مايشير به جمهور الناس إلى أنه قوة من قوى النفس الانسانيـة التى فعلها التفكر والروية والنطق والتمييز والصنائع وماشا كلها ، فنريد أن نتكلم في هذه القوة ونبين أقسامها ونصف أفعالها وكيفية إدراكها صور المعلومات في ذاتها وجوهرها

واعلم يا أخي أنه لما كان العقل الذي نحن في ذكره قوة من قوى النفس الانسانية هي أيضاً قوة من قوى النفس الكلية والنفس الكلية هي فيض فاض من العقل الكلى الذي هو أول فيض فاض من الباري جل وعز وهي كلها تسمى موجودات أولية احتجنا أن نذكر أولا أقسام الموجودات ومامعنى الموجود ، ومعنى الوجود والعدم وطرق العلم بها

واعلم ياأخي أن لفظة الموجود مشتقة من وجد يجد وجداناً فهو واجد وذاك موجود ، فالموجود يقتضي الواجد لأنهما من جنس المضاف . وقد بينا معنى جنس المضاف في رسالة المنطق

واعلم أن كل واجد من البشر شيئاً — إذا وجد شيئاً — فان وجدانه له لايخلو من إحدى الطرق الثلاث : إما باحدى القوى الحساسة كما بينا فى رسالة الحاس ، وإما باحدى القوى العقليـة التى هي الفكرة والروية والتمييز والفهم والوهم الصادق والذهن الصافي ، وإما بطريق البرهان الضروري كما بينا في رسالة البراهين التى هي طريق الاستدلال ، وليس الى الانسان طريق الى المعلومات غير هذه

وأما معنى العدم فهو مايقابل كل نوع من هذه الطرق الثلاث : فيقال معدوم من درك الحس له ، ومعدوم من تصور العقل ، ومعدوم من إقامة البرهان عليه . وأما علم الباري جل ثناؤه بالأشياء فليس من هذه الطرق الثلاث بل أشرف وأعلا من هذه كلها وذلك أنه لايقال للباري سبحانه إنه واجد للأشياء ، بل

يقال إنه وجدها موجد ومحدث ومخترع ومبدع ومبق ومتمم ومكمل .

واعلم أيها الاخ انما علم الانسان بالباري عز وجل ووجدانه له باحدى طريقتين إحداهما عموم والاخرى خصوص ، فالعموم هي المعرفة الغريزية التى في طباع الخليقة أجمع بهويته : وذلك أن الناس كلهم العالم والجاهل والخير والشرير والمؤمن والكافر كلهم يفزعون عند الشدائد الى الله ويستغيثون به ويتضرعون إليه حتى البهائم أيضاً في سنى الجدب ترفع رءوسها إلى السماء تطلب الغيث ، فهذا العلم منهم يدل على معرفتهم بهويته

وأما معرفة الخصوص فهي بالوصف له والتجريد والتنزيه والتوحيد وهي التى بطرق البرهان ويختص بها فضلاء الناس وهم الانبياء والاولياء والحكماء والاخيار والابرار كما وصفهم فقال في محكم تنزيله « سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين » وهي معرفة ضرورية

واعلم يا أخي بأن الموجودات كلها التى أوجدها البارى سبحانه وتعالى بأى طريق كان وجدانها ليست تخلو من أن تكون جواهراً أوأعراضاً أو مجموعاً منهما ، هيولى أو صورة أو مركباً منهما ، عللا أو معلولات ، أو مشاراً اليهما جسمانياً أو روحانياً أو مقروناً بينهما ، بسيطاً أو مركباً أو جملتهما . ولما كانت هذه الاقسام محتوية على الموجودات كلها احتجنا أن نبين نفس معاني هذه الالفاظ الغامضة التى تاه فيها اكثر العلماء عن الوقوف على حقائق معانيها

واعلم ياأخي بان الموجودات كلها صور وأعيان غيريات أفاضها الباري عز وجل على العقل الذي هو أول موجود جاد به الباري وأوجده ، وهو جوهر بسيط روحانى فيه جميع صور الموجودات غير متراكمة ولا متزاحمة ، كما يكون فى نفس الصانع صور المصنوعات قبل إخراجها ووضعها فى الهيولى وهو فائض تلك الصور على النفس الكلية دفعة واحدة بلا زمان كفيض الشمس نورها على الهواء . وأن النفس قابلة لتلك الصورة تارة وفائضة على الهيولى تارة ، كما يقبل القمر نور الشمس تارة ويفيض علي الهواء تارة . وان الهيولي قابلة لتلك الصور

من النفس الكلية شيئا بعد شيء على التدريج بالزمان ، كما يقبل الهواء نور القمر في وقت دون وقت ومن مسامتة دون مسامتة ، كما يقبل التلميذ من الأستاذ شيئا بعد شيء.

واعلم يا أخي أن صور الموجودات كلها يتلو بعضها بعضا فى الحدوث والبقاء عن العلة الأولى التى هى الباري عز وجل ، كما يتلو العدد أزواجه أفراده بعضها بعضا في الحدوث والنظام عن الواحد الذي قبل الاثنين . ثم اعلم أن هذه الالفاظ كلها ألقاب وسمات يشار بها الى الصور ليميز بين إضافات بعضها الى بعض ، كما يميز بين الاعداد بالالفاظ : وذلك أن الصورة الواحدة تارة تسمى هيولى وتارة تسمى جوهرية وتارة تسمى عرضية وتارة بسيطة وتارة مركبة وتارة رحانية وتارة جسمانية وتارة علة وتارة معلولة وما شاكل هذه الالفاظ ، كما يسمى العدد الواحد تاره نصفا وتارة ضعفا وتارة ثلثا وتارة ربعا وتارة غير ذلك لاضافة بعضها الى بعض . مثال ذلك أيضا أن القميص هو أحد الموجودات الجسمانية الصناعية المدركة بالحس ، وماهيته أنه صورة فى الثوب . والثوب هيولى لها ، وماهية الثوب أيضا أنها صورة فى الغزل والعزل هيولي لها ، والغزل أيضا ماهيته أنه صورة فى القطن والقطن هيولى لها ، والقطن أيضا ماهيته أنه صورة فى النبات والنبات هيولى لها ، والنبات أيضا ماهيته أنه صورة فى الاجسام الطبيعية التى هي النار والهواء والماء والأرض ، وكل واحد منها أيضا صورة فى الجسم المطلق كما بينا فى رسالة الكون والفساد . والجسم المطلق أيضا صورة فى الهيولى الأولى كما بينا في رسالة الهيولى ، والهيولى الأولى هى صورة روحانية فاضت من النفس الكلية والنفس الكلية أيضا هى صورة روحانية فاضت من العقل الكلى الذى هو أول موجود أوجده البارى عز وجل كما بينا فى رسالة المبادىء العقلية فقد بان لك بهذا المثال أن الموجودات كلها صور متعلقة حدوثها وبقاؤها يتلو بعضها بعضا الى أن تنتهى الى المبدع الأول الذي هو البارى عز وجل كتعلق حدوث العدد أزواجه وأفراده عن الواحد الذى قبل الاثنين . واعلم يا أخى أن

هذه الصور كل واحدة منها مقومة لشيء ، اما جوهرية له متممة لشيء آخر أو عرضية له . والفرق بينهما أن الصورة الجوهرية المقومة للشيء هى التى اذا انخلعت عن الهيولى بطل وجدان الشيء ، والصورة العرضية المتممة هى التى اذا انخلعت عن الهيولى لم يبطل وجدان الهيولى . مثال ذلك أن الخياطة هى صورة مقومة لذات القميص جوهرية له لانها بها يكون الثوب قميصا ومتممة للثوب عرضية فيه بيان ذلك أنه اذا انخلعت الخياطة عن الثوب بطل وجدان القميص ولم يبطل وجدان الثوب ، وهكذا النساجة صورة فى الثوب جوهرية ومقومة له وعرضية فى الغزل ومتممة له ، فاذا انسلت صورة الثوب التى هى النساجه بطل وجدان الثوب ولم يبطل وجدان الغزل ، وهكذا الفتل في الغزل صورة جوهرية مقومة لذات الغزل وعرضية متممة لذات القطن ، فاذا نكث الغزل من ابرامه بطل وجدان القطن ، وهكذا صورة الزئير (١) جوهرية في القطن مقومة له عرضية في النبات متممة له ، فاذا بطل الزئير بطل وجدان القطن ولم يبطل وجدان الجسم النباتي وهكذا اذا بطلت صورة النبات صار ترابا أو ناراً أو ماء أو هواء ، فاذا أطفئت النار صارت هواء والهواء أحد أجسام الطبيعة . وعلى هذا القياس اذا انخلعت صورة من صور الاركان الأربعة بطل أن يكون موجوداً ذلك الركن ولكن لم يبطل ان يكون جسما ، وإذا انخلعت الصورة الجسمية من الهيولى الأولى لم تبطل الهيولى ان تكون جوهراً بسيطاً معقولا ، وان بطلت الهيولى لم تبطل النفس ، وان بطلت النفس لم يبطل العقل ، وان بطل العقل لم يبطل المبدع الأول الذي هو الباري جل وعز . ومثال هذا من العدد أن العشرة هى صورة واحدة ترتبت فوق التسعة : فاذا أسقط الواحد منها بطلت صورة العشرة ولم تبطل صورة التسعة ، وان أسقط من التسعة واحد بطلت صورة التسعة ولم تبطل صورة الثمانية . وعلى هذا القياس تنحل صورة العدد واحداً واحداً إلى أن ينتهى

(١) الزئير : يراد بهنا التكاثف والتضام من زأر البستان والغابه تضامت فروع أشجارها

الى اثنين الذى هو أول العدد ، واذا أخذ منها واحد بطلت صورة الاثنين أيضاً، وأما الواحد الذي هو قبل الاثنين فلا يمكن أن يؤخذ منه شيء لأن صورته من ذاته وهو أصل العدد ومنشؤه واليه يرجع العدد عند التحليل ، كما منه نشأ عند التركيب

فقد بان بهذا المثال أن الموجودات كلها صور غيريات : وهي أعيان الاشياء وأنها متتاليات فى الحدوث والبقاء كتتالى العدد من الواحد ... وانها كلها من الله مبدأها واليه مرجعها كما ذكر في كتابه على لسان نبيه فقال «الى الله مرجعكم جميعاً » وقال «والى الله ترجع الامور » وقال الله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده » كما ان العدد الى الواحد ينحل ، كما أن منه تركب في الأصل حسب مابينا. كذلك الموجودات كلها مرجعها ومصيرها الى الله الواحد الاحد

﴿ فصل ﴾

فاعلم ياأخي أن الموجودات كلها نوعان جسماني وروحاني فالجسمانى مايدرك بالحواس ، والروحانى مايدرك بالعقل ويتصور بالفكر

فاما الجسماني فهو على ثلاثة أنواع : منها الاجرام الفلكية ومنها الأركان الطبيعية ومنها المولدات الكائنة .

والروحاني أيضاً على ثلاثة أنواع :منها الهيولى الاولى الذي هو جوهر بسيط منفعل معقول قابل لكل صورة .والثاني النفس التى هى جوهرة بسيطة فعالة علامة والثالث العقل الذى هو جوهر بسيط مدرك حقائق الاشياء

وأما البارى جل وعز فليس يوصف لا بالجسماني ولا الروحاني بل هو علتها كلها كما أن الواحد لا يوصف بالزوجية ولا الفردية بل هو علة الأزواج والافراد من الاعداد جميعاً

واعلم أن الموجودات كلها علل ومعلولات . فنبدأ أولا بذكر العالم الجسمانية لأنها أقرب لفهم المتعلمين وأسهل على المبتدئين بالنظر فى العالم والمعلومات الروحانية

وأعلم أن الموجودات الجسمانية لكل واحد منها أربع علل: علة فاعلة وعلة صورية وعلة تمامية وعلة هيولانية ، مثال ذلك السرير فانه أحد الموجودات الجسمانية له أربع علل : فعلته الفاعلة النجار والهيولانية الخشب ، والصورية التربيع . والتمامية القعود عليه . وهكذا السكين فان علتها الفاعلية الحداد . والهيولانية الحديد ، والصورية الشكل الذى هو عليه ، والتمامية ليقطع به اللحم أو الحبل أو شيء ما آخر . وعلى هذا القياس ـ اذا اعتبر ـ وجد لكل شخص من الأجسام الموجودة هذه العلل الاربع

وأما الجسم المطلق فعلته الهيولانية هو الجوهر البسيط الذى قبل الطول والعرض والعمق فصار بها جسما ، وعلته الفاعلية هو البارى عز وجل ، وعلته الصورية العقل لأن الطول والعرض والعمق انما هي صورة عقلية ، وعلته التمامية هي النفس لأن الهيولى من أجلها خلق وموضوع لها لكيما تفعل فيه . ومنه مايعمل ويصنع ليتم الهيولي ويكمل النفس الذي هو الغرض الأقصى في رباط النفس مع الهيولى كما بينا في رسالة المبادىء .

وأما الهيولى الأولى الذي هو جوهر بسيط روحاني فله ثلاث علل : الفاعلية وهو الباري عز وجل ، و، والصورية وهو العقل ، والتمامية وهي النفس .

وأما النفس فلها علتان وهما الباري عز وجل . والعقل . فالباري علتها الفاعلة المخترعة لها ، والصورية هي العقل الذي يفيض عليها مايقبل من الباري عز وجل من الفضائل والخير والفيض .

وأما العقل فله علة واحدة فاعلة الذي هو الباري عز وجل الذى أفاض عليه الوجود والتمام والبقاء والكمال دفعة واحدة بلازمان .

أردنا بالعلة الفاعلة أنه أبدعه بلاواسطة ، فهذا العقل هو الذي أشار اليه بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد ﷺ وماأمرنا الا واحدة كلمح بالبصر أوهو أقرب واليه أشار بقوله سبحانه « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقال « ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين »

فالخلق هو الامور الجسمانية والامر هو الجواهر الروحانية

واعلم يا أخي أن أكثر أهل العلم ظنوا أن الموجودات ليست الا نوعان حسب أحدهما الباري عز وجل والآخر الجسم ومايحله من الأعراض وليست لهم خبرة بالجواهر الروحانية والصور المجردة . ومن أجل هذا نسبوا كلما يظهر من الأفعال والصنائع والعلوم والحكم على أيدي البشر باختياراتهم ومايظهر من الحيوانات من الأفعال الطبيعية الى الجسم المؤلف من اللحم والدم على بنية مخصوصة ، والى أعراض حية فيها بزعمهم مثل الحياة والقدرة والعلم وماشاكلها ولايدرون أن مع الجسد جوهراً آخر هو المحرك له والمظهر به ومنه أفعاله

فأما الذي يظهر في الأجسام من الأفعال الطبيعية التي لايمكنهم أن ينسبوها الى الحيوان مثل احراق النار لاجسام الحيوان والنبات ومثل مايستحيل في أجوافها من الغذاء الى الروث والسرقين (١) ومثل مايظهر في طباعها من السرور وماشاكله من الافعال الطبيعية نسبوها كلها الى الباري جل ثناؤه ، ومنهم من نزه الباري سبحانه عن ذلك ونسبها الى البخت والاتفاق ، ومنهم من نسبها الى الطبيعة ولايدرى ما الطبيعة ! ومنهم من يعللها بعلل مستمرة . ووقع بينهم في ذلك من التنازع والتناقض مايطول شرحه

وأما الحكماء والنجباء الراسخون في العلم فانهم شاهدوا بصفاء نفوسهم ونور عقولهم جواهر أخر غير جسمانية علامة بقوتها سارية في الاجسام بلطافتها فعالة فيها برويتها هي جند الله ولب الخليقة — نسبوا هذه الافعال الطبيعية اليها ونزهوا الباري سبحانه عنها الا مايليق به من الحكمة والسياسة والتدبير

واعلم يا أخي ان الحكماء الذين عرفوا الجواهر الروحانية انما وصلوا الى معرفتها بعد اعتبار حال الجسم والاعراض التي تحله .وذلك ان الجسم من حيث هو جسم ليس بفاعل ولامتحرك بل هيولى ، منفعل قابل للصورة والاعراض

(١) السرقين : وتقرأ بالجيم بدل القاف وهو الروث مادام في الكرس فاذا نزل فهو الروث

الحالة فيه ، وكذلك الاعراض التي تحل الجسم لافعل لها لانها أنقص حالا من الجسم إذ كان لاجو دلها الا بتوسط الجسم

وأما الحياة والقدرة والعلم وماشاكلها التي زعموا انها اعراض حالة في الجسم وبها يفعل هذه الافعال—وها هنا وقع اللبس—فانها ليست هي اعراض جسمانية بل هي أعراض روحانية توجد في بعض الاجسام بمقارنة النفس اياها لها وتفقد عند مفارقتها اياها .

فصح بهذا الاعتبار أن مع الاجسام الحيوانية جواهر أخرى غير جسمانية هي الفعالة في الاجسام هذه الأمارات التي تظهر في بعضها دون بعض وسموها نفوساً .

ولما رأوا أن النفوس تتفاضل بعضها على بعض بأمر آخر مؤيد لها ومفيض عليها الخير والفضائل ، علموا انه جوهر أشرف وأفضل من جوهر النفس وسموه العقل .

ولما كان العقل هو المقر على نفسه بانه مربوب وله مدبر خالق صانع حكيم نزهه من جميع صفات النقص فحينئذ صح لهم ، وبهذه الاعتبارات ، ماقالوه ووصفوه من مراتب هذه الموجودات الروحانية التي تقدم وصفها وذكرها وهي الهيولى الاولى والنفس والعقل والباري جل ثناؤه.

واعلم يا أخي أنه قد بان بما ذكرنا أن النفس الكلية هي جوهرة روحانية فاضت من العقل الذي أشارت اليه الفلاسفة وانها كالهيولى الموضوع له لما يفيض عليها من الصور والفضائل والخيرات لتكمل هي وانها كالصانع المصور للجسم بما تنقش فيه من الصور والاشكال لتتمه بذلك .

واعلم أن النفس الكلية هي صورة فيها جميع الصور كما ان الجسم الكلي شكل فيه جميع الاشكال ، غير ان الصور في ذات النفس لاتتراكم ولاتتزاحم لانها جوهرة روحانية لطيفة حية علامة فعالة.

وأما الجسم فان الاشكال تترا لم فيه وتتزاحم من أجل انه جوهر غليظ كثيف ميت جاهل منفعل كما بينا في رسالة المبادىء .

فصل

وأعلم أن النفس هي في ذاتها جوهرة ولكن كونها مع الجسم بالعرض لغرض ما ، والغرض هو أمر سابق الى وهم الفاعل فاذا بلغ الفاعل اليه قطع الفعل .

فصل

واذ قد فرغنا من ذكر النفس الكلية والعقل الكلي فنريد أن نذكر النفس الانسانية إذ هي قوة من قوى النفس الكلية .

ونذكر أيضاً العقل الانساني إذ هو قوة من قوى النفس الكلية ونصف أفعال النفس وقواها إذ كانت النفس جوهرة روحانية .

ولما كانت الجواهر الروحانية لاتدرك بالحواس ولاتعرف الا بما يصدر عنها من الافعال والاعمال بحسب القوى احتجنا إلى أن نذكر كمية قواها ونصف فنون أفعالها وعجائب صنائعها وغرائب علومها وظرائف أخلاقها واختلاف آرائها .

واعلم ياأخي أن للنفس الانسانية قوى كثيرة لايحصى عددها الا الله جل ثناؤه ، وأن لها بكل قوة فى عضو من أعضاء الجسد فعلا خلاف عضو آخر قد بينا طرفا من ذلك في رسالة تركيب الجسد وطرفا في رسالة الحاس والمحسوس وطرفاً في رسالة الانسان عالم صغير ووصفنا فيها أن نسبة القوى الحساسة الى النفس فيما يأتون به اليها من أخبار محسوساتها كنسبة أصحاب الاخبار للملك قد ولى كل واحد منهم ناحيه من مملكته ليأتوه بالاخبار من تلك النواحي

وذكرنا فيها أيضاً أن لها خمس قوى أخرى نسبتهن اليها كنسبة الندماء الى الملك وهى القوة المفكرة والقوة المتخيلة والقوة الحافظة والقوة الناطقة والقوة الصانعة

واعلم أن القوة المفكرة التى مسكنها وسط الدماغ من بين هذه القوى كالملك وسائرها لها كالجنود والاعوان والخدم والرعية يتصرفون بأمرها ونهيها فيما يفعلون في أعضاء الجسد من الحركات ومايظهرون من الصنائع والاعمال، وان موضعها من بين مواضع سائر القوى فى أشرف عضو من الجسد وأخص مكان منه كما ان دار الملك في أشرف مدينة من بلدان مملكته ، وفي أجل موضع من المدينه وفي أشرف بقعة منها

واعلم ياأخي أن أفعال هذه القوى الخمس أشرف وأكرم من أفعال سائر القوى .

وقد بينا في رسالة الحاس والمحسوس أن القوة المتخيلة التى مسكنها مقدم الدماغ نسبتها الى القوة المفكرة بما تجمع اليها من أخبار المحسوسات كنسبه صاحب الخريطه الى الملك ونسبة القوة الحافظه التى مسكنها مؤخر الدماغ الى المفكرة كنسبة الخازن الحافظ ودائع الملك ، ونسبة القوة الناطقة التى مجراها على اللسان الى المفكرة كنسبة الحاجب والترجمان الى الملك ،ونسبةالقوةالصانعة التى مجراها اليدان والاصابع الى المفكرة كنسبة الوزير المعين له في تدبير مملكته والمساعد له في سياسته لرعيته

فصل

فيما تتولى القوة المفكرة بنفسها من الافعال

واعلم ياأخى انه إذا أوصلت القوة المتخيلة رسوم المحسوسات الى القوة المفكرة بعد تناولها من القوى الحساسة وغابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها ، بقيت تلك الرسوم في فكر النفس مصورة صورة ،روحانية،فيكون جوهر النفس لتلك الرسوم المصورة فيها كالهيولي وهى فيها كالصورة

والمثال فى ذلك أن الانسان اذادخل مدينة من البلدان وطاف في أسواقها

ومحالها وعاين طرقاتها وشاهد أهلها ورأى هيئاتهم وسمع أقاويلهم وعرف شمائلهم ثم خرج منها وغابت مشاهدة حواسه لها فانه كلما فكر في تلك المدينة وماشاهد فيها تخيلها كأنه يراها معاينة على مثل ما كان شاهد في وقت كونه فيها ، لو كان ذكر لها بعد حين من الدهر .

فتلك الفكرة ليست شيئاً سوي لمحات النفس الى ذاتها ، وتخيلها لصورة تلك المدينة ومارأى فيها من الموجودات ليس شيئاً سوى صور تلك الموجودات انطبعت في جوهر نفسه كما ينطبع نقش الفص في الشمع المختوم .

وعلى هـذا القياس حكم سائر المحسوسات من أول استعمال آلات الحواس الى وقت تركها لها عند الممات الذي هو ترك النفس استعمال الجسد .

واعلم ياأخي أنه إذا حصلت رسوم المحسوسات في جوهر النفس فان أول فعل القوة المفكرة فيها هو تأملها واحدة واحدة لتعرف معانيها وكمياتها وكيفياتها وخواصها ومنافعها ومضارها ، فاذا حصل العلم بهذه المعانى أودعتها القوة الحافظة الى وقت التذكار ، فاذا أراد الانسان الاخبار عن معلوماته للمخاطبين له والجواب للسائلين له عن متصوراته ومفهوماته استعانت عند ذلك القوة المفكرة بالقوة الناطقة في النيابة عنها في الجواب لغيرها كما يستعين الملك بحاجبه وترجمانه في النيابة عنه في الخطاب لغيره . ولهذه القوة المفكرة في معلوماتها المحفوظة أفعال أخر ذكرنا طرفا منها في رسالة المنطق وطرفا آخر في رسالة الموسيقى ، وطرفا آخر في رسالة " الانسان عالم صغير حسب مايليق بكل رسالة منها لأن العلوم كلها لا يمكن أن تجمع في دفتر واحد جسماني فأما النفس فانها تجمع علوما شتى وصنائع عدة وأخلاقا مختلفة وآراء متفاوتة لأنها دفتر روحاني لا تتزاحم فيها صور المعلومات كما تتزاحم في الهيولى الجسمانى . مثال ذلك أن السواد والبياض لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد ولا الحلاوة ولا المرارة في جسم ذى طعم ولا التدوير ولا التربيع في شكل واحد مجسم وما شاكلها من الصور والاعراض المتضادة ، فان بعضها يفسد بعضا إذا كانت من جنس واحد

فأما في جوهر النفس فلا تتزاحم فيها الصور بل كلها تجمع في نقطة واحدة كما تلتقى الخطوط في مركز الدائرة في نقطة واحدة ، وكما تلتقى صور المرئيات كلها مع اختلاف أجناسها في المرآة وفي الحدقة التى هى نقطة من العين كما بينا في رسالة الحاس والمحسوسات فليطلب هناك

فصل

فيما يختصر بالقوة الناطقة من الأفعال فنقول

اعلم أن من شأن القوة الناطقة اذا استعانت بها القوة المفكرة في النيابة عنها فى الجواب والخطاب أن تؤلف ألفاظ من حروف المعجم بنغمات مختلفة السمات التى هى الكلام ، ثم تضمن تلك الألفاظ المعاني التى هى مصورة عند القوة المفكرة فتدفعها عند ذلك الى القوة المعبرة لتخرجها الى الهواء بالأصوات المختلفة في اللغات لتحملها الى مسامع الحاضرين بالقرب فتكون تلك الالفاظ المؤلفة من الحروف المختلفة الأشكال والسمات كالأجساد المركبة من الاعضاء المختلفة ، وتكون تلك المعانى المضمنة في تلك الالفاظ كالارواح لها ، لان كل لفظة لامعنى لها فهى بمنزلة جسد لا روح فيه ، وكل معنى في فكر النفس ليس له لفظة تعبر عنه فهو بمنزلة روح لا جسد له . وقد بينا كيفية حمل الهواء صور الأصوات وحفظها بهيأتها الى أن توردها وتؤديها الى السمع في رسالة الحاس والمحسوس ، وذكرنا أيضاً أن الاصوات لما كانت لا تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل احتالت الحكمة الالهية بأن قيدتها بالقوة الصناعية التى هى الكتابة : وذلك أن القوة المفكرة لما رأت أن الكلام لا يثبت في الهواء دائما لانه جسم سيال احتالت حيلة أخري واستعانت بالقوة الصناعية أن نقشت حروفا خطوطية بالقلم تحاكى معاني حروف لفظية ، ثم ألفتها ضروبات التأليف حتى صارت كتابا مكتتبا وأودعتها وجوه الألواح وبطون الطوامير لكيما يبقى العلم مفيداً فائدة من الماضين للغابرين وأثراً من الأولين للآخرين

وخطابا للحاضرين من الغائبين وبالعكس . وهذا من جسيم نعم الله تعالى على الانسان كما ذكر الله تعالى في كتابه « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » ثم اعلم أن للقوة الصناعية أفعالا كثيرة لايحصى عددها إلا الله تعالى ، وقد ذكرنا طرفا من ذلك في رسالة الصنائع ، وكذلك القوة الناطقة لها لغات كثيرة وألفاظ مختلفة ونغمات مفننة لا يحصى عددها إلا الله عز وجل وقد ذكرنا منها طرفا في رسالة اختلاف اللغات ، وطرفا في رسالة الموسيقى . ثم اعلم أن القوة المفكرة لها أفعال كثيرة تستغرق فيها أفعال سائر القوى .

وذلك أن أفعالها نوعان : فمنها مايخصها بمجردها ، ومنها مايشترك مع قوى أخرى . فمنها الصنائع كلها فانها مشتركة بينها وبين القوة الصناعية ، ومنها الكلام وأقاويل اللغات فانها مشتركة بينها وبين القوة الناطقة ، ومنها تناول رسوم المعلومات المحفوظة فانها مشتركة بينها وبين القوة الحافظة ، وأما التي تخصها من الافعال فالفكر والروية والتصور والاعتبار والتركيب والتحليل والجمع والقياس ولها الفراسة والزجر والتكهن والخواطر والالهام وقبول الوحي وتخييل المنامات .

وتفصيل ذلك : فأما بالفكر فاستخراج الغوامض من العلوم ، وبالروية تدبير الملك وسياسة الامور ، وبالتصور درك حقائق الاشياء ، وبالاعتبار معرفة الامور الماضية من الزمان ، وبالتركيب استخراج الصنائع أجمع وبالتحليل معرفة الجواهر البسيطة والمبادىء ، وبالجمع معرفة الانواع والاجناس ، وبالقياس درك الامور الغائبة بالزمان والمكان ، وبالفراسة معرفة ما في الطبائع من الامور الخفية وبالزجر معرفة حوادث الأيام ، وبالتكهن معرفة الكائنات بالموجبات الفلكية ، وبالمنامات معرفة الانذارات والبشارات ، وبقبول الخواطر والالهام والوحي معرفة وضع النواميس وتدوين الكتب الالهية وتأويلاتها المكنونة التي لايمسها الا المطهرون من أدناس الطبيعة الذين هم أهل البيت الروحانيون

وقد بينا في رسالة الناموس أن وضع النواميس وتدوين الكتب الالهية أعلى رتبة ينتهي اليها الانسان بالتأييد الرباني ، وهي أشرف صناعة تجري على أيدي البشر مثل شريعة صاحب التوراة والانجيل والزبور والفرقان

واعلم يا أخي أن البارى جل جلاله جعل الامور الجسمانية المحسوسة كلها مثالات ودلالات على الروحانية العقلية وجعل طرق الحواس درجا ومراقي يرتقي بها الى معرفة الامور العقلية التي هي الغرض الاقصى في بلوغ النفس اليها

فاذا أردت يا أخي أن تبلغ الى أفضل المطلوبات وأشرف الغايات التي هي الامور العقلية فاجتهد في معرفة الامور المحسوسة فانك بذلك تنال الامور العقلية . وقد بينا في رسائلنا الطبيعية طرفاً من ذلك . ثم اعلم ان معرفة الامور الجسمانية المحسوسة هي فقر النفس وشدة الحاجة ومعرفة الامور المعقولة الروحانية هي غنائها ونعيمها ، وذلك أن النفس في معرفة الامور الجسمانية محتاجة الى الجسد وحواسها وآلاتها لتدرك بتوسطها الامور الجسمانية .

وأما إدراكها الامور الروحانية فيكفيها ذاتها وجوهرها بعد ماتأخذها من الحواس بتوسط الجسد . واذا حصل لها ذلك فقد استغنت عن الجسد وعن التعليم بالجسم بعد ذلك

فاجتهد ياأخي في طلب الغنى الابدي بتوسط هذا الهيكل وآلاته مادام يمكنك ذلك قبل فناء العمر وتصرم المدة وفساد الهيكل وبطلان وجوده ، واحذر كل الحذر أن تبقى نفسك فقيرة محتاجة الى هيكل ايتم به مافاته من الكمال فتكون ممن يقول « ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » وتبقى في البرزخ الى يوم يبعثون . ومن أين لهم أن يشعروا أيان يبعثون مادامت هي ساهية لاهية غافلة مقبلة على الشهوات الجسمانية من اللذات الجرمانية والزينة الطبيعية والغرور بالاماني في هذه الحياة الدنيا المذمومة التي ذمها رب العالمين فقال « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد كمثل غيث

أعجب الكفار نباته » الى قوله وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور » وقال في قصة قارون « فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذو حظ عظيم

ثم حكي قول الربانيين العلماء العارفين بالامر الاشرف في المراتب العالية «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن يعنون به الدار الآخرة التي هي الحيوان لوكانوا يعلمون يعني به عالم الارواح الذي كله روح وريحان وتحية ورضوان

ثم ذم الذين لايعرفون من هذه الامور المعقولة الاالمحسوسات حسب فقال: « رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون» يعني أمر الآخرة ودار النعيم ودار السلام التي ترتقي اليها نفوس الاخيار بعد مفارقتها أجسادها كما ذكر في كتابه « اليه يصعد الكلم الطيب » «يعني روح المؤمن » والعمل الصالح يرفعه أي يرغبه فيها وهمته ترقيه الى هناك «ومغفرة من الله » وروح ورضوان وغير ذلك من الآيات المذكورة في القرآن وأخبار الانبياء عليهم السلام في ذم الدنيا والاجتناب عنها ، وكذلك اشارات الحكماء شعراً

فاجهد على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

فعليك أن لاتغتر بزخارف هذه الدنيا الدنية وعليك أن تتبع الآراء الحسنة وتهذب . النفس وفقك الله وإيانا واخواننا للسداد وهداك وايانا سبيل الرشاد ، انه رؤوف بالعباد

تمت رسالة العقل والمعقول ويليها رسالة في الادوار والاكوار

الرسالة الخامسة

من النفسانيات العقليات

في الادوار والاكوار

وهي الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم ، أيدك الله وايانا بروح منه ، انا قد فرغنا من رسالة العقل والمعقول وبينا فيها تعريف جواهر النفوس بحقيقتها وكيفية اجتماع صور المعقولات في العقل المنفعل ، وكنا قد بينا قبل ذلك في رسالة ماهية الطبيعة ذكر كيفية تأثيرات الأشخاص العلوية الفلكية في الأشخاص السفلية الكائنة تحت فلك القمر الذي هو عالم الكون والفساد ، وبينا فيها معنى قول القدماء في روحانيات الكواكب وبينا قول واضع الناموس في أجناس الملائكة وكيفية سريان قواها في العالم واظهار أفعالها في الاجسام الموجودة فيه ، فنريد أن نبين الآن ونذكر في هذه الرسالة أدوار الاشخاص الفلكية وأكوارها وقراناتها فنقول .

ان للفلك وأشخاصه حول الأركان الاربعة التي هي عالم الكون والفساد ، أدواراً كثيرة لايحصى عددها الا الله تعالى ولأدوارها كور ولكواكبها في أدوارها وأكوارها قرانات . ويحدث في كل دور وكور وقران في عالم الكون والفساد حوادث لايحصى عدد أجناسها الا الله تعالى . ونريد أن نذكر من ذلك طرفاً مجملا مختصراً ليكون مثالا ودليلا على الباقية فنقول :

اعلم أن الأدوار خمسة أنواع : فمنها أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تداويرها ومنها ادوار مراكز أفلاك التداوير في أفلاكها الحاملة ، ومنها أدوار أفلاكها الحاملة في فلك البروج ، ومنها أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج ومنها أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان . وأما الاكوار فهي استئنافاتها في أدوارها وعودتها الى مواضعها مرة بعد أخرى

وأما القرانات فهي اجتماعاتها في درج البروج ودقائقها وهي ستة أجناس : مائة وعشرون نوعاً ، فمنها واحد وعشرون قراناً ثنائية وثلاثون قراناً ثلاثية وخمسة وثلاثون قراناً رباعية ، وواحد وعشرون قراناً خماسية وواحد وثلاثون قراناً سداسيه ، وقران واحد سباعي فجملتها مائة وعشرون قرانا نوعية مضروبة فى ثلاثمائة وستين درجة يكون جملتها ثلاثة وأربعين الفاً ومائتى قران شخصية .

وأما أدوار الالوف فأربعة أنواع ، فمنها سبعة آلاف سنة ومنها اثنا عشر الف سنة ، ومنها واحد وخمسون الف سنة ومنها ثلاثمائة الف وستين سنة

ثم اعلم أن من هذه الادوار والقرانات مايكون في كل زمان طويل مرة واحدة . ومنها مايكون فى كل زمان قصير مرة واحدة . فمن الادوار التى تكون فى الزمان الطويل أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج وهو في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة واحدة ، ومن الادوار التى تكون فى كل زمان قصير أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة في كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة كما ذكر الله تعالى فقال « وكل فى فلك يسبحون » وباقي الادوار فيما بينهما ومن القرانات مايكون فى كل ثلاثمائة وستين الف سنة مرة واحدة وهو أن تجمع الكواكب السيارة كلها بأوساطها فى أول دقيقة من برج الحمل الى أن تجتمع فيها مرة أخري ، ويسمى هذا الدور فى زيج السند هندسية يوم واحد من أيام العالم الكبير ، ومن القرانات مايكون فى كل شهر مرة واحدة وهو اجتماع القمر مع كل واحد من الكواكب السيارة

فأما باقى القرانات ففيما بين هذين الوقتين . ومن الادوار القصار مايكون في كل اربعة عشر يوماً مرة واحدة وهي دورة مركز الفلك : التدوير والقمر في فلكه الحامل له ومنها مايكون في كل سبعة وعشرين يوماً وسبع ساعات ونصف مرة واحدة وهى أدوار للقمر في فلك البروج ، ومنها أدوار الفلك الجوزهر في كل احدى وعشرين سنة في كل ثمانية عشر سنة وسبعة شهور وتسعة عشر يوماً مرة ، وهو ادوار عطارد في فلك تدويره . ومنها مايكون في كل ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم مرة واحدة وهي ادوار الشمس والزهرة وعطارد في فلك البروج ، ومنها مايكون في ثلاثمائة وثمانية وسبعين يوماً مرة واحدة ، وهي أدوار زحل في فلك تدويره .ومنها مايكون فى كل ثلاثمائة وتسعة وتسعين يوماً مرة واحدة وهى ادوار المشترى في فلك تدويره . ومنها مايكون في كل خمسمائة وأربعة وستين يوماً مرة واحدة وهى ادوار الزهرة في فلك تدويرها . ومنها مايكون في كل ثمانمائة وسبعين يوماً مرة واحدة وهي أدوار المريخ في فلك البروج ومنها مايكون فى كل خمسمائة وسبعة وثمانين يوماً مرة واحدة وهى ادوار المريخ في فلك تدريره ومنها مايكون فى كل اربعة آلاف وثلاثمائة واربعة وثلاثين يوما مرة واحدة وهي ادوار مركز المشترى فى فلك البروج . ومنها ما يكون في عشرة آلاف وسبعمائة وواحد واربعين يوما مرة واحدة وهى ادوار مركز زحل في فلك البروج وجملة هذه أربعة عشر نوعا

وأما القرانات القصيرة الزمان فمنها ما يكون فى كل مائة وستة عشر يوما مرة واحدة وهو قراز عطارد مع الشمس ، ومنها مايكون فى كل ثلاثمائة واحد وثمانين يوما مرة واحدة وهى اقتران الشمس والزهرة وعطارد مع زحل ، ومنها مايكون فى كل ثلاثمائة وتسعين يوما مرة وهو اقتران المشتري والزهرة وعطارد والشمس ومنها ما يكون فى كل سبعمائة وخمسة وثمانين يوما مرتين وهو اقتران الزهرة مع الشمس . ومنها مايكون فى كل سبعمائة وثمانين يوما مرة واحدةوهو اقتران الشمس مع المريخ . ومنها مايكون في كل سنتين ونصف سنة بالتقريب

مرة واحدة وهو اقتران المريخ مع زحل والمشترى ، ومنها ما يكون في كل عشرين سنة بالتقريب مرة وهو اقتران المشتري وزحل . ومن القرانات الطويلة الزمان ما يستأنف الدور في كل مائتين وأربعين سنة مرة واحدة وهو أن يستوفي زحل والمشتري اثنى عشر قرانا في المثلثة الواحدة · ومنها مايكون في كل تسعمائة وستين سنة مرة واحدة وهو يستوفي زحل والمشتري ثمانية وأربعين قرانا في المثلثات الأربعة . ومنها مايكون في كل ثلاثة آلاف وثمان مائة وأربعين سنة مرة واحدة وهو أن يستأنف زحل والمشترى القرانات في المثلثات ، وشرحها طويل ويخرج بنا عما نحن فيه .

واذ قد فرغنا من ذكر كمية دوران الفلك وعدد قرانات كواكبه في أبراجها في الأدوار والألوف واستئنافها أعدادها بالكور ، ونريد أن نذكر ونلوح بطرف مما يتبعها من الحوادث الكائنات في عالم الكون والفساد التي دون فلك القمر فنقول : إنا قد بينا في رسالة السماء والعالم أن الفلك المحيط تديره النفس الكلية بتأييد العقل الكلي الفعال باذن الله تعالى . وقد بينا في رسالة المبادىء العقلية أن النفس والعقل هما أمران مبدعان للباري وهو مبدعهما وعلتهما ومثبتهما ومكملهما كيف شاء فتبارك الله رب العالمين .

ثم اعلم أن كل الحوادث التي تكون في عالم الكون والفساد هي تابعة لدوران الفلك وحادثة عن حركات كواكبه ومسيرها في البروج وقرانات بعضهامع بعض واتصالاتها باذن الله تعالى . فمن ذلك الحوادث ما هو ظاهر جلي لكل انسان ، ومنها ماهو باطن خفي يحتاج في معرفتها الى تأمل وتفكر واعتبار .

ثم اعلم أن كل حادث في هذا العالم سريع النشوء ، قليل البقاء سريع الفساد فذلك عن حركة في الفلك سريعة قصيرة الزمان قريبة الاستئناف ، وكل حادث بطيء النشوء طويل الثبات بطيء البلى فذلك عن حركة بطيئة طويلة الزمان بعيدة الاستئناف . ونحتاج في هذا الفصل الى شرح طويل وقد ذكرنا طرفا من ذلك في رسالة تكوين المعادن ، وطرفا في رسالة النبات ، وطرفا في رسالة الحيوان.

ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفا منه ليتبين الصدق ويتضح الحق ويتجلى الخفي للباحثين عن حقيقة هذا الأمر · ثم نذكر تأثيرات الأشخاص العالية في الأشخاص السافلة : فمن ذلك الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان في كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة كما ذكر الله تعالى « وكل في فلك يسبحون » · وهي التي بها يكون الليل والنهار في هذا العالم الذي نحن فيه ·

ومن الحوادث الكائنة التي لا تخفى على أحد من العقلاء من هذه الحركة نوم أكثر الحيوان بالليل ويقظتها بالنهار ، وذلك أنه إذا طلعت الشمس مع دوران الفلك على جانب الارض أضاء الهواء بنورها وأشرق وجه الارض بضيائها فانتبهت أكثر الحيوانات من نومها وتحركت بعد سكونها وترنمت بعد عجمتها وهدوئها وانتشرت في طلب معايشها وتصرفت في مذاهبها ، وتفتحت أيضا أكثر أكمام النبات وفاح نسيم روائحها وذهب الناس في مطالبهم وسعوا في حوائجهم · واذا غابت الشمس أظلم الهواء أو اسود الجو وامتلأ وجه الارض من الظلام واستوحش أكثر الحيوانات وتراجعت عن متصرفاتها الى أوطانها وأماكنها وانصرف الناس عن أسواقهم الى منازلهم وعن مواضع أعمالهم الى بيوتهم ووقع عليهم النوم والنعاس والكسل الانتشار والنشاط في الاعمال والسكون بعد الحركة والهدوء بعد الجلبة . فاذا تأمل المتفكر في حال هذا العالم بالنهار رآه كأنه حيوان منتبه متحرك حساس ، واذا تأمله بالليل رآه كأنه نائم أوميت أو جامد من السكون والهدوء ·

ثم اعلم أنه مادامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فهذه الحالة موجودة في الحيوان ، فاذا سكنت تلك الحركة بطل ذلك النظام والترتيب ، وهذه الحركة من أعظم نعم الله تعالى على خلقه كما ذكر تعالى « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » . قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل

تسكنون فيه أفلا تبصرون » ومن الحوادث الكائنة عن هذه الحركة في هذه المدة كون بعض النباتات الناقصة كخضراء الدمن فانها تصبح بالغدوات ريانة من نداوة الليل وطيب نسيم الهواء ، فاذا أشرقت عليها الشمس نصف النهار جفت ثم تصبح من الغد مثل ذلك ، وترى هذا خاصة في أيام الربيع في أكثر المواضع .

ومن الكائنات الحادثة عن هذه الحركة في هذه المدة المذكورة كون بعض الحيوانات الناقصة الخلقة الضعيفة البنية كالديدان والبق والبراغيث التى تتولدمن العفونات وفي الزبل والسماد والروث وجثةالجيف وماشا كلها . فاذا أصابها أدنى حر من الشمس أو برد من الهواء هلكت .

وبالجملة فكل كائن عن هذه الحركه التى تستأنف الدور فى كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة وكل حادث عنها من أشخاص الحيوانات والنبات الناقص الخلقة الضعيف البنية فانها لا تبقى سنة تامة لأنه يهلكها إما حر الشمس في الصيف أو برد الشتاء ، وقد بينا علتها في رسالة الحيوان والنبات

ومادامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فان صورة هذه الكائنات عنها الحادثات في هذا العالم تكون موجودة فى الهيولى ، ومتى وقف الفلك فسد النظام وبطل الكون ، وذلك كائن لامحالة اذا بلغت النفس الكلية أقصى غرضها لأن الغرض هو غاية سبق اليها الوهم . ومن أجل البلوغ اليها يفعل الفاعل فعله . واذا بلغ اليه قطع الفعل .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ياأخي أن دوران الفلك أكرم الأفعال وأشرفها فغرض فاعله أيضاً أشرف الأغراض وأكرمها كما بينا في رسالة البعث والقيامة . ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ما يكون في كل شهر مرتين وهي حركة مركز فلك تدوير القمر في الفلك الحامل في كل أربعة عشر يوما مرة

واحدة ، وفي هذه المدة يكون القمر مقبلا بوجهه الممتلىء من النور نحو مركز الأرض — يعرف حقيقة ما قلنا أهل الصناعة الذين يعرفون علم مافى المجسطي . والذي يتبع هذه الحركة من الحوادث والكائنات في هذا العالم كثرة الربو والزيادة في الأشياء وسرعة النشوء فى الاشياء المبتدئة الحادثة من الحيوان والنبات والمعادن والزيادة أيضاً في المدود والرطوبات والانداء — يعرف ذلك أهل التجارب والعلماء المتيقظون المتفكرون في الآفاق المعتبرون أحوال الموجودات وفي النصف الثاني من الشهر يدور هذا المركز في الفلك الحامل مرة أخرى ، ولكن يكون القمر موليا بوجهه الممتلىء من النور عن مركز الارض نحو فلك عطارد يدور القمر فى الفلك الحامل مرة واحدة في هذه المدة . والذي يحدث عن هذه الحركة في هذه المدة في هذا العالم الذبول والهزال والنقصان فى الاشياء النامية والنضج والجفاف واليبس في الأشياء البالغة الى التمام من الحب والثمر .

يعرف صحة ماقلنا أهل الصناعة المتقدم ذكرهم . وفي هذه المدة عن هذه الحركة يتكون بعض الجواهر المعدنية كالملح والكمأة وأمثالها

واعلم يا أخي أن الكمأة نبات معدني ، والملح معدن نباتي كما بينا فى رسالة المعادن . وفى هذه المدة أيضاً عن هذه الحركة قد يتم كون بعض النبات ويبلغ وينتفع به كالبقول . وفي هذه المدة أيضاً قد يتم كون بعض الحيوانات كالطيور ودود القز وزنابير النحل فان أكثرها يتم فى خلقتها في أربعةعشر يوماً ويخرج بعد واحد وعشرين يوماً ويتولى فى ثمانية وعشرين يوماً ويخرج

وهذا المدة هي مقدار مسير القمر من يوم الحضانة الى يوم الخروج من البرج الذي كان فيه الى البرج التاسع الذى هو بيت النقلة والسفر فينتقل من هذه الحيوانات الكائنة من حال الى حال في هذه المدة . ومادامت هذه الحركة محفوظة فى الفلك فصور هذه الكائنات موجودة فى الهيولى في هذا العالم ، واليها أشار جل ثناؤه فقال « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

واعلم يا أخي ان كل الكائنات عن هذه الحركة من الحيوانات والنبات : فنها ماهي طويلة البقاء ، ومنها ماهي قصيرة المدة . ولكن أطولها بقاء لا يتجاوز مائة وعشرين شهراً والقصيرة المدة مادون ذلك .

وعلة نهاية بقاء أشخاص هذا النوع فى الهيولى المقدار من الزمان هو أن علة حدوثها حركة القمر في فلك البروج المقسوم بثمانية وعشرين منزلا لدورة واحدة ، وذلك أن القمر اذا كان فى برج من الأبراج فى منزل من المنازل يوم حضانة الطير فانه يوم يخرج الفرخ يكون فى المنزل العشرين من ذلك المنزل وفى البرج التاسع من ذلك البرج وقد قطع مائتين وأربعين درجة فى الفلك وبقي له تسع منازل ـ مائة وعشرون درجة الى أن يعود الى الدرجة التى كان فيها يوم ابتداء الحضانة فيستأنف هذا الكائن العمر الطبيعي فى الدنيا لكل درجة شهر وهذا هو العمر الطبيعي .

وأما مايهلك قبل هذه المدة أو يعيش أكثر من هذا المقدار فذلك لاسباب وعلل وأغراض يطول شرحها .

وعلى هذا البيان لكل كائن تحت فلك القمر حركة لشخص من الاشخاص الفلكية لاستئنافه الدور في مدة معلومة طالت أو قصرت ، فيكون بقاء تلك الكائنات عنها على هذا المثال الذي ذكرنا من الكائنات من حركة القمر

ومثال آخر نذكر فى أمر الانسان وذلك أنه اذا سقطت النطفة فى الرحم من جنس البشر أو بعض الحيوانات التى تلد لتسعة أشهر فلا بد من أن تكون الشمس فى تلك الساعة فى درجة فى برج من الفلك

فاذا كان أول الشهر التاسع يكون قد قطعت الشمس بسيرها ثمانية أبراج . وقد استوفت طبائع البروج المثلثات مرتين وبلغت الي أول البرج التاسع بيت السفر والنقلة فينتقل المولود من مكان الى مكان ومن حال الى حال أخرى وتكون قد سارت الشمس فى فلك البروج من يوم مسقط النطفة الى ذلك اليوم مائتين وأربعين درجة لها مائة وعشرون درجة الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيه

يوم مسقط النطفة بها ، فجعل نهاية بقاء أشخاص هذا النوع وعمرها الطبيعي في الهيولى لكل درجة سنة فان زاد أو نقص فلأسباب أو علل . وعلى هذا القياس يعتبر كل مولود من أنواع الحيوان فيكون عن حركة شخص من الاشخاص الفلكية مما يكون ولادته وكونه الطبيعي لستة عشرة يوما أو لواحد وعشرين يوما أو لاربعين يوما أو لأربعة أشهر أو لخمسة أو لستة أو لسبعة أو لتسعة أو لعشرة . أو لسنة أو لسنتين فانه يستوفى ذلك الشخص الموجب لكونه ، المحمل فى الفلك بعض الدائرة قبل الولادة الطبيعية لذلك النوع ، ويكون مدة العمر الطبيعي لهذا النوع بمقدار ما بقي لذلك المتحرك من المسير في الفلك الى اتمام دورة واحدة بروجا كانت أو درجا أو دقائق أو ساعات وأياما . وذلك أن الحيوانات الناقصات الخلقة الضعيفة البنية التى سبب كونها وعلة حدوثها حركة ذلك الشكل الذي يستأنف الدور في أربع وعشرين ساعة كما ذكرنا قبل . فان اشخاص النوع أكثر بقائها وعمرها الطبيعي تسعة أيام ، وان زاد أو نقص فلأسباب أخر ، وذلك أنها تتم خلقتها وتكمل صورتها فى ست عشرة ساعة مقدار ما يدور من الفلك ثمانية أبراج .واذا ابتدأ البرج التاسع بالطلوع نهض وتحرك واتنقل في طلب القوت والغذاء الذى هو مادة بقاء شخصها في الهيولى أو تبقى الى تمام الدور تسع ساعات فيستأنف العمر فى الدنيا تسعة أيام لكل ساعة يوم ثم يهلك ويتكون غيرها ويكون ذلك النوع محفوظا والاشخاص فى السيلان

واعلم ياأخى أن لكل كائن تحت فلك القمر من الحيوان والنبات والمعادن ، له عن وقت كونه وحدوثه الى وقت فنائه وعدمه ، مقداراً من الزمان وهو دورة واحدة من أدرار الاشخاص الفلكية :

بيان ذلك أن كل كائن فى هذا العالم له أربع أحوال متباينة أحدها ابتداء كون الوجود ، ومنها زيادته ونموه وارتقاؤه الى نهاية ما ، ومنها توقفه وانحطاطه ونقصه ، ومنها زمان بواره وعدمه . وعلة ذلك أن كل شخص فى الفلك له حركة

دائرة تخصه فان لحركته فى دائرته أربع أحوال منها صعود من الحضيض ، ومنها صعود الى الاوج ، ومنهاهبوطه من الاوج ، ومنها هبوطه الى الحضيض

يعرف حقيقة ما قلنا أصحاب المجسطي . ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ما يدور فى كل أربعة أشهر مرة واحدة وهى حركة عطارد فى فلك تدويره تارة مستقيمة وتارة راجعا وتارة مشرقا وتارة مغربا وتارة محترقا وتارة صاعداً فى ذروته وتارة هابطا الى حضيضه وتارة واقفا من موازاة درجة واحدة · والذى يحدث ويتم من هذه الحركة في هذه المدة في هذا العالم كون بعض النبات كالسمسم والذرة والشعير وأمثالها كما بينا فى رسالة النبات · وعن هذه الحركة فى هذه المدة قد يتم كون بعض الجواهر المعدنية كما يتم بالصنعة .

يعرف ما قلنا أصحاب المعادن والذين يسبكون الزجاج والذين يتعاطون صناعة الكيمياء عن هذه الحركة فى هذه المدة في هذا العالم قد يتم خلقة بعض الحيوانات وتولدها كبعض السباع والوحوش والغزلان وبعض الغنم كما بينا فى رسالة الحيوانات . ومما يكون عن هذه الحركة فى هذه المدة فى هذا العالم مايعرض لبعض الناس من الحوادث عند اختلاف أحوال عطارد فى دورانه مما يذكره أصحاب أحكام النجوم فى مواليدهم

وبيان ذلك أنه إذا خلف عطارد يعرض لبعض الناس أمراض وأعلال وأوجاع ، وخاصة للصبيان ، وما يعرض لبعض الكتاب والعمال وأصحاب الدواوين والوزراء من العزل والاعتقال والمصادرات ولبعض الصناع من العطلة والكسل ، ولبعض التجار من الخسران والمحق ، ولبعض الناس من الحبس والاستتار والعسرة . وعند استقامته وتشريفه ما يعرض لهم من الخلاص والسلامة والظهور والولاية والنشاط واستقامة الاحوال . وعند وقوفه ورجوعه مايعرض لهم من الحيرة والشكوك والظنون والريبة والتوقف والتخلف من سقوط الجاه

وذو العز ونقصان المراتب وكل ذلك بحسب ما أوجب شكل الفلك فى أصل المواد وطبقات أحواله - يعرف بعضها لطبقات أجناسهم ويعلم تفصيلها أصحاب النجوم

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ، مايكون في كل مرة واحدة ، وهي حركة الشمس في فلك تدويرها . والزهرة وعطارد في فلك البروج تارة في البروج الشمالية وتارة في الجنوبية ، وتارة في المستقيمة الطلوع وتارة في المعوجة وتارة فى النارية وتارة فى الترابية ، وتارة فى الهوائية وتارة فى المائية ، وتارة صاعدة وتارة هابطة ، وتارة فى بيوتها ، وتارة فى وبالها وتارة فى حظوظها ، وتارة فى إغرابها وتارة فى إشراقها ، وتارة فى هبوطها وتارة فى أوجاتها ، وتارة فى حضيضها وتارة مسرعة وتارة بطيئة وتارة عند رؤوس جوزهراتها وتارة عند ذنب جوزهراتها وتارة متيامنة بعضها من بعض وتارة متياسرة وتارة شرقية وتارة غربية ، وتارة مناظرة وتارة ساقطة وتارة خالية ، وتارة وحشية وتارة فى الاوتاد وتارة فيما يليها وتارة زائلة عن الاوتاد · وتارة فى البروج المنقلبة وتارة في الثابتة وتارة فى ذوى الاجساد وماشا كل هذه الدلالات

فصل

واعلم يا أخي أن الذي يحدث عن هذه الحركات فى هذه المدة في هذا العالم وعن أحوال هذه الكواكب من الفنون المختلفة والحالات المتغايرة أشياء لايحيط علماً بكثرتها الا الله تعالى ، ولكن نذكرمنها طرفاً ليكون دليلا على الباقية ونبدأ أولا بذكر الزمان وأحواله وأرباعه وتغيرات الهواء : وذلك أنه إذا ابتدأت الشمس بحركتها فى أول برج الجدي صاعدة من الجنوب نحو الشمال ومن الحضيض نحو الأوج مرتفعة فى الفلك أخذت الطبيعة عند ذلك بمعاونتها باذن البارى جل وعز فى جذب الرطوبات المختلفة بالتراب من الأمطار وامتصاصها فى عروق الشجر والنبات الى أصولها وقضبانها وامسا كها هناك

بالقوة الماسكة ، وذلك دأبها الى أن تبلغ الشمس آخر الحوت . فاذا نزلت أول دقيقة من برج الحمل فهو الربع الربيعي — استوى الليل والنهار فى الاقاليم واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون وارتفعت الرطوبات الى أعلى فروع الاشجار ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتكونت الحيوانات والدبيب ونتجت البهائم ودرت الضروع وانتشرت الحيوانات فى البلاد عن أوطانها وطاب عيش أهل الوبر وطاب أعلى السطوح أهل المدن وأخذت الارض زخرفها وفرح الناس والحيوان اجمع بطيب نسيم الهواء وازينت الارض وصارت كأنها جارية شابة قد تزينت وتحلت للناظرين . فلا تزال تلك حال الدنيا وأهلها من الحيوان والنبات إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء : رأس أوجها . فاذا نزلت الشمس أول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل في الأقاليم كلها ، وأخذ النهار فى النقصان والليل في الزيادة ، وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحمى الجو وهبت السمائم ونقصت المياه ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك الحصاد والثمار وأخصبت الارض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وسمنت البهائم واتسع للناس القوت من الثمار وللطير من الحب وللبهائم من العلف ، وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة بالغة تامة كاملة كثيرة العشاق . فلا يزال ذلك دأبها ودأب أهلها الى أن تبلغ الشمس آخر السنبلة وأول الميزان ، فاذا نزلت الشمس أول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى ، ثم ابتدأ الليل بالزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون وجف النبت وفنيت الثمار ودبست البيادر (١) وأحرز الناس الحب والثمار وعرى وجه الأرض من زينتها وماتت الهوام وانحجرت

(١) البيادر : جمع بيدر والبيدر الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويدرس أو يداس — على حد تعبير المؤلف

الحشرات . والطير والوحش تنصرف لطلب البلدان الدافئة وأحرز الناس القوت للشتاء ودخلوا البيوت ولبسوا الجلود والغليظ من الثياب فراراً من البرد ، وتغير الهواء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب

فاذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار ثم أخذ النهار في الزيادة على الليل وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وانحجز أحسن الحيوانات فى باطن الارض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الانداء وكثرت ونشأت الغيوم وأظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان ومنع الناس البرد عن التصرف وتمرمر(١) كثير عيش الحيوان وضعفاء الناس وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قددنا منها الموت .

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ما يكون في كل ثلاثة عشر شهراً بالتقريب مرة وهي حركة جرم زحل والمشترى فى فلكي تدويرها .

ومن الحوادث في هذه المدة — عن حركتهما واختلاف احوالها مايعرض لطبقات من الناس المستولى عليهم — اليبس والبرد نحو المشايخ والعجائز والاكره (٢) والتناء والاشراف والقضاة والعدول والعلماء والتجار ومن شاكلهم من الناس من المستولى عليه في مولوده أحد الكوكبين مثل مايعرض لاصحاب عطارد كما ذكرنا قبل ، وقد يعرض من حركة هذين الكوكبين وأحوالهما الكثير من الحيوان والنبات والمعادن أعراض وأسباب قد ذكرنا كيفيتها في الرسائل التى ذكرنا فيها هذه الاجناس

ومن الحركات القصيرة الزمان السريعة الاستئناف ، حركة الزهرة في فلك تدويرها في كل خمسمائة وأربعة وثمانين يوما مرة واحدة ، وحركة المريخ فى فلك تدويره فى كل سبعمائة وثمانين يوما مرة واحدة . والذى يحدث ويتبع هذين

(١) تمرمر : اضطرب وقلق (٢) الاكر : زراع الارض وحراثها

الـكوكبين في عالم الكون والفساد ما يعرض لبعض طبقات الناس في عالم الكون والفساد من النساء والمخانيث وأصحاب اللذات واللهو والملهين وأصحاب المريخ(١) من الشباب والشطار والعيارين والجند وأصحاب السلاح وساسة الدواب ومن شاكلهم ، مثل ما يعرض لاصحاب عطارد كما ذكرنا قبل . ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف حركة فلك المشتري في الفلك الحامل في كل أربعة آلاف وثلاثمائة وأربعة وثلاثين يوما مرة واحدة والذي يحدث في عالم الـكون والفساد عن هـذه الحركة اعتدال أهوية بعض البلاد بعـد فسادها ، وعمارة بعض البقاع بعد خرابها ، وتـكوين بعض المعادن ونشوء بعض النبات ، وذكاة بعض الثمر وصلاح حال بعض الحيوانات ، والرخص في بعض المدن ، وتجديد النعم على أقوام وماشاكل ذلك من الصلاح والخير في هذا العالم . ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف مايكون في كل خمسة وعشرين سنة مرة واحدة وهو أن يحصل المريخ في اثنى عشر برجا اثنتى عشرة رجعة . ومن الحوادث في هذا العالم عن هذه الحركة أن يقع نضج بعض المعادن وسرعة النشوء في بعض النبات وزيادة القوة في بعض الحيوانات وظهور الدولة في بعض الناس والأمم وزيادة القوة في بعض السلاطين وخروج بعض الخوارج وتجديد ولايات في الملك وماشاكل ذلك من تأثيرات قوة المريخ وظهورها في العـالم ، والقصد منها وفيهـا هو صلاح شأن الـكائنات ، والغرض منها هو إبلاغها الى الـكمال والتمام ، ولـكن ربما تعرض أسباب الفساد مثل إثارة الحروب والفتن والنصب في طلب الغارات فيخرب بعض البلدان وتزول دولة قوم ويذهب نعيمهم ولـكن عاقبتها تعود الى الصلاح .

وبالجملة ما يعرض منها من الفساد عند هذه الحركة في جنب مايكون منها من الصلاح في العالم شيء يسير .

(١) المريخ : الرجل الاحمق . وقيل كثير الادهان المزهو بنفسه .

مثـال ذلك حركة الشمس بالطلوع والغروب ليكون بها الليل والنهار ، ومسيرها في البروج ليكون الشتاء والصيف كما بينا قبل . ولـكن ربما حدث من إسخانها حر شديد فيهلك بعض النبات ويقتل بعض الحيوانات الضعيفة البنية بلا قصد من الطبيعة ولا عناية من الحـكمة .

وكذلك الأمطار القصد منها إحياء البـلاد والعشب والـكلأ . أو سقي الزروع والثمر لتكون قوتا للحيوان ، ولربما كانت مهلكة لبعض الزروع مفسدة لبعض الثمار ، وربما خرب السيل بعض البلاد لـكن ذلك في جنب مايكون من صلاح عامة البلاد والحيوان والنبات شيء يسير .

وهكذا حكم المريخ وزحل والذنب وما يذكر من مناحسها شيء يسير في جنب ما يكون عن حركاتها من الصلاح في العالم .

ثم اعلم يا أخي أن كثيراً ممن يقر بصحة أحكام النجوم أو يتـكلم فيها يظن أن زحلا والمريخ والذنب نحوس بالـكلية ، والزهرة والقمر والمشـتري سعود بالـكلية ، وليس الامر على ما ظنوا لانه ربما عرض عن إفراط القوة المنبثة منها في العالم فساد من الرطوبات والبرودات المفرطة مثل ما يعرض عن إفراط حر الشمس وبرد زحل ويبس المريخ ورطوبة الزهرة والقمر وأكثر العفونات منها كما يعرض عن المريخ وزحل .

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف حركة فلك تدوير زحل في فلك الحامل الممثل بفلك البروج في كل خمسة آلاف وسبعمائة واحد وأربعين يوما مرة واحدة : والذي يحدث عن هذه الحركة في هذه المدة تتميم بعض المعادن كالـكحل والزرنيخ والحديد وثمار بعض النبات كالزيتون والجوز وبلوغ الانسان أشده ، وعمـارة بعض البلاد واستحداث بعض المدن والقرى وانتقال الملك من قوم الى قوم وما شاكل ذلك .

ومن الحركات البطيئة الطويلة الزمان البعيدة الاستئناف حركات الكواكب الثابتة في فلك البروج في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة .

وأوجات الكواكب السيارة وحضيضها وجو زهراتها ، والذى يحدث عن هذه الحركات في هذه المدة في عالم الكون والفساد ، تقل العمارة على سطح الارض من ربع الى ربع وأن تصير مواضع البرارى بحاراً ومواضع البحار جبالا كما بينا فى رسالة المعادن كيفية ذلك . واذ قد فرغنا من ذكر حوادث الأدوار فنريد أن نذكر طرفا من القرانات وألوفها .

فصل

فنقول اعلم أن الكائنات التى يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع : فمنها الملل والدول اللتان يستدل عليهما من القرانات الكبار التى تكون فى كل ألف سنة بالتقريب مرة واحدة ، ومنها تنقل المملكة من أمة الى أمة أو بلد الى بلد أو من أهل بيت الى أهل بيت آخر ، وهى التى تكون ويستدل على حدوثها من القرانات التى تكون فى كل مائتى وأربعين سنة مرة واحدة . ومنها تبدل الاشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التى يستدل عليها من القرانات التى تكون فى كل عشرين سنة مرة واحدة . ومنها الحوادث الكائنات التى تحدث فى كل سنة من الغلاء والرخص والخصب والجدب والوباء والموت والقحط والامراض والعلل والحدثان والسلامة . ومنها يستدل على حدوثها من تحاويل سنى العالم التى عليها تؤرخ التقاويم ، ومنها حوادث الايام شهراً بشهر ويوما بيوم التى يستدل عليها من أوقات الاجتماعات والاستقبالات التى تؤرخ فى التقاويم ، ومنها أحكام المواليد لواحد واحد من الناس فى تحاويل سنيهم من حيث ما يوجب لهم تشكيل الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدهم وتحاويل سنيهم ، ومنها الاستدلال على الخفيات من الامور الجزوية كالخبء والسرقة واستخراج الضمير ، والمسائل التى يستدل عليها من طالع وقت المسئلة والسؤال عنها .

ثم اعلم أن في كل ثلاثة آلاف سنة تنقل الكواكب الثابتة وأوجات الكواكب السيارة وجو زهراتها في البروج ودرجاتها ، وفي كل تسعة آلاف

سنة تنتقل من ربع الى ربع من أرباع الفلك ، وفي كل ستة وثلاثين ألف سنة تدور فى البروج الاثنى عشر دورة واحدة فبهذا السبب تختلف شعاعات الكواكب على بقاع الارض وأهوية البلاد وبختلف تعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف عليها إما باعتدال واستواء وإما بالزيادة والنقصان وافراط الحرارة والبرودة واعتداله بينهما . ويكون هذا أسبابا وعللا لاختلاف أحوال أرباع الارض وتغيرات أهوية البلاد والبقاع وتبدلها بالصفات من حال الى حال — يعرف حقيقة ماقلنا المتحذلقون فى المجسطي وأحكام القرانات — ويصير بهذه العلل والاسباب زوال الملك والدول وانتقاله من قوم الى قوم وتغييرات العمارات من ربع الى ربع آخر ، وتكون هذه بموجبات أحكام القرانات الكائنة في الوقت والزمان من جهة القرانات والادوار فى كل ألف سنة مرة واحدة ، وفي كل اثنى وعشرين ألف سنة أو فى كل ستة وثلاثين ألف سنة مرة . والقرانات الدالة على قوة النحوس وفساد الزمان وخروج الناس عن الاعتدال وانقطاع الوحي وقلة العلماء وموت الاخيار وجور الملوك وفساد الاخلاق للناس وشر أعمالهم واختلاف آرائهم ، ويمنع نزول البركات من السماء بالغيث فلا تزكى الارض ويجف النبات ويهلك الحيوان وتخرب المدن والبلاد . اذ هي بروز آخر القران ! والقرانات الدالة علي قوة السعود واعتدال الزمان واستواء طبيعة الاركان والحدوث بوحى الانبياء ﷺ وتواتره وكثرة الانبياء وعدل الملوك وبركات السماء بالغيث وتزكو الارض والنبات ويكثر تولد الحيوان وتعمر البلاد ويكثر بنيان المدن والقرى ، وكل ذلك بأمر بارئها على حسب أفعال العباد من الخير والشر جزاء لأعمالهم فانتبه أيها الاخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، واعلم وتيقن أن ماوراء عالمك المحسوس هى جهنم وجحيم عالم آخر ، وأمور أخر هي عالم الارواح ومقر الملائكة والكروبين والروحانيين الموكلين بحفظ هذا العالم ومراتبها . وفقك الله وإيانا بروح منه وجميع اخواننا السداد انه رؤوف بالعباد

﴿ تمت رسالة الأدوار والأكوار ويليها رسالة فى ماهية العشق ﴾

الرسالة السادسة

من النفسانيات العقليات

في ماهية العشق

﴿ وهي الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ أنا قد فرغنا من رسالة الأدوار والاكوار وبينا فيها كيفية أحوال القرانات — حسب ماجرت عادة اخواننا الكرام — ونريد أن نذكر الآن في هذه الرسالة ماهية العشق ومحبة النفوس والمرض الالهي وماحقيقة ذلك ومن أين مبدؤه فنقول :

اعلم أن الحكماء قد أكثروا القيل والقال في فنون العلوم وطرق المعارف وغرائب الحكم من الرياضيات والطبيعيات والفلسفيات والالهيات ، ولكن بعض تلك العلوم والمعارف ألطف من بعض ، وقد عملنا في كل منها رسالة شبه المدخل والمقدمات ليقرب تناوله على المتعلمين ، ويسهل أخذه على المبتدئين ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً مما قالت الحكماء والفلاسفة في ماهية العشق وكمية أنواعه وكيفية نشوئه ومبدئه وما علله الموجبة لكونه والأسباب الداعية اليه ، وما الغرض الأقصى منه إذا كان هذا أمراً موجوداً في العالم مركوزاً في طباع النفوس دائماً لا يعدم ألبتة ما دامت الخليقة موجودة

واعلم يا أخي أن من الحكماء من قد ذكر العشق وذمه وذكر مساوىء أهله وقبح أسبابه وزعم أنه رذيلة ، ومنهم من قال إن العشق فضيلة نفسانية ومدحه وذكر محاسن أهله وزين أسبابه ومنهم من لم يقف على أسراره وعلله وأسبابه بحقائقها ودقة معانيها فزعم أنه مرض نفساني ، ومنهم من قال إنه جنون إلهي ، ومنهم من زعم أنه همة نفس فارغة ، ومنهم من زعم أنه فعل البطالين الفارغي الهمم الذين لا شغل لهم

ولعمري إن العشق يترك النفس فارغة من جميع الهم إلا هم المعشوق وكثرة الذكر له والفكرة في أمره وهيجان الفؤاد والوله به وبأسبابه ، ولكن ليس ذلك من فعل البطالين الفراغ كما زعم من لا خبرة له بالأمور الخفية والأسرار اللطيفة ولا يعرف من الأمور إلا ماتجلى للحواس وظهر للمشاعر . وأما الذي يدرك منها بصفاء الذهن وجودة التمييز وكثرة الفكر وشدة البحث ودقة النظر فهم عنها بمعزل

وذلك أن الذين زعموا أن العشق هو مرض نفساني ، أو قالوا إنه جنون إلهي فانما قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا مايعرض للعشاق من سهر الليل ونحول الجسم وغور العيون وتواتر النبض والأنفاس الصعداء مثل مايعرض للمرضى فظنوا أنه مرض نفساني

وأما الذين زعموا أنه جنون إلهي فانما قالوه من أجل أنهم لم يجدوا لهم دواء يعالجونهم به ولا شربة يسقونها إياهم فيبرؤون مما هم فيه من المحنة والبلوى إلا الدعاء لله بالصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل ورقى الكهنة وماشاكل ذلك كما حكى العاشق بقوله ، وهو عروة بن حزام قتيل الحب :

بذلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني
فما تركا من سلوة يعرفانها ولا رقية الا بهـا رقياني
فقالا : شفاك الله! والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وأشعار كثيرة للعشاق في هذا المعنى

وأما الحكماء والاطباء من اليونانيين فكانوا اذا أعياهم علاج مريض أو مداواة عليل وأيسوا منه حملوه عند ذلك الى هيكل المشتري وتصدقوا عنه وصلوا لله تعالى وقربوا قرباناً وسألوا الكهنة أن يدعوا الله بالشفاء فاذا برىء سموا ذلك طباً ومرضاً وجنوناً إلهياً

ومن الحكماء من زعم ان العشق هو افراط المحبة وشدة الميل الى نوع من الموجودات دون سائر الانواع والى شخص دون سائر الاشخاص أو الى شيء دون سائر الاشياء بكثرة الذكر له وشدة الاهتمام به أكثر مما ينبغي فان كان العشق هو ذا فليس اذاً أحد من الناس يخلو منه اذ كان لا يوجد أحد الا وهو يحب ويميل الى شيء دون سائر الاشياء أكثر مما ينبغي ، وكثير من الحكماء والاطباء يسمون هذه الحال ماليخوليا !! وقد أكثر الاطباء القيل والقال في هذه العلة وأعياهم علاجها

وقد ذكرت في كتب أحكام المواليد علل ذلك تركنا ذكرها مخافة التطويل لأنا نريد أن نتكلم في العشق المعروف عند جمهور الناس : وذلك أنهم لا يسمون العشق الا ما كان من هذه الحال نحو شخص من أبناء الجنس ذكراً كان أو أنثى

ومن الحكماء من قال إن العشق هو هوى غالب في النفس نحو طبع مشاكل في الجسد أو نحو صورة مماثلة في الجنس . ومنهم من قال ان العشق هو شدة الشوق الى الاتحاد . ولهذا فأي حال يكون عليها العاشق يتمنى حالا أخرى أقرب منها ، ولهذا قال الشاعر :

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... اليها ، وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي ... فيزداد ما ألقى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى أن ترى الروحين يمتزجان

وهذا القول أرجح ما قيل فيه وألطف ما أشير اليه . ونحتاج أن نشرح هذا الباب لتتضح حقيقته وتعرف أسبابه ، ولكن لما كان الاتحاد هوى نفسانياً

وتأثيراً روحانيا احتجنا الى أن نذكر أنواع النفوس وأنواع معشوقاتها وعلل تلك وأسبابها .

وأما الفرق بين العلل والاسباب فهو ان العلل كائنة في طباع النفوس والاسباب خارجة منها ، كما سنبين بعد هذا الفصل .

واعلم ياأخي أن النفوس المتجسدة لما كانت ثلاثة أنواع كما قالت الحكماء والفلاسفة صارت معشوقاتها أيضاً ثلاثة أنواع : فمنها النفس النباتية الشهوانية وعشقها يكون نحو المأكولات والمشروبات والمناكح ، ومنها النفس الغضبية الحيوانية وعشقها يكون نحو القهر والغلبة وحب الرياسة ومنها النفس الناطقة وعشقها يكون نحو المعارف واكتساب الفضائل

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أنه ليس أحد من الناس يخلو من نوع من هذه الانواع الثلاثة التي ذكرناها أو يكون آخذاً بنصيب من كل واحد منها قل أو كثر ، والعلة في ذلك أنه لما كان من شأن النفوس أن تتبع أمزجة الابدان في اظهار أفعالها وأخلاقها ومعارفها وبخاصة ما كان أغلب منها في المزاج وأقوى في أصل التركيب كما بينا في رسالة الاخلاق ورسالة مسقط النطفة : وذلك أن كل انسان يكون المستولي عليه في أصل مولده القمر أو الزهرة وزحل ، فان الغالب على طبيعته قوة النفس الشهوانية نحو المأكولات والمشروبات والجمع والادخار لها وان يكن المستولي المريخ والزهرة أو القمر فان الغالب على طبيعته شهوة الجماع والمناكح ، وان كان المستولي على أصل مولده الشمس والمريخ فان الغالب على طبيعته تكون شهوة النفس الغضبية نحو القهر والغلبة وحب الرياسة وان كان المستولي عليه في أصل مولده الشمس وعطارد والمشترى فان الغالب على طبيعته تكون شهوات النفس الناطقة نحو المعارف واكتساب الفضائل والعدل

وقد بينا في رسالة مسقط النطفة كيف يتقرر في جبلة الجنين وطبع المولود تأثيرات هذه الكواكب . وبينا في رسالة الاخلاق كيف يعتاد الانسان باكتساب تلك الطباع والاخلاق التي في الطباع قبولها وتهيئها أو ضد ذلك . وإذ قد فرغنا

من ذكر ما احتجنا إلى أن نذكره فنرجع الآن الى تفسير قول من قال من الحكماء ان العشق هو شدة الشوق الى الاتحاد فنقول ان الاتحاد هو من خاصية الامور الروحانية والاحوال النفسانية لأن الامور الجسمانية لا يمكن فيها الاتحاد ، بل المجاورة والممازجة والمماسة لا غير . فأما الاتحاد فهو في الأمور النفسانية كما سنبين في هذه الفصول .

واعلم يا أخي أن مبدأ العشق وأوله نظرة أو التفات نحو شخص من الاشخاص فيكون مثلها كمثل حبة زرعت أو غصن غرس أو نطفة سقطت في رحم بشر وتكون باقي النظرات واللحظات بمنزلة مادة تنصب الى هناك وتنشأ وتنمى على ممر الايام الى أن تصير شجرة أو جنيناً : وذلك أن همة العاشق ومناه هو الدنو والقرب من ذلك الشخص ، فاذا اتفق (١) في ذلك وسهل تمنى الخلوة والمجاورة، فاذا سهل ذلك تمنى المعانقة والقبلة ، فاذا سهل ذلك تمنى الدخول في ثوب واحد والالتزام بجميع الجوارح أكثر ما يمكن . ومع هذه كلها الشوق بحاله لا ينقص شيئا بل يزداد وينمو كما قيل :

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... اليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كي تزول صبابتى ... فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله ... سوى ما يرى : زوجان يمتزجان

ثم اعلم أن روح الحياة انما هو بخار رطب يتحلل من الرطوبة والدم وينشأ في جميع البدن ومنها تكون حياة البدن والجسم ، ومادة هذا الروح من استنشاق الهواء بالتنفس ، دائماً لترويح الحرارة الغريزية التي في القلب، فاذا تعانق العاشق والمعشوق جميعاً وتباوسا وامتص كل واحد منهما ريق صاحبه وبلعه وصلت تلك الرطوبة الى معدة كل واحد منهما وامتزجت هناك مع الرطوبات التي في المعدة ووصلت الى جرم الكبد واختلطت باجزاء الدم هناك وانتشر في العروق

(١) لعله وفق كما يقتضى السياق

الواردة الى سائر أطراف الجسد واختلطت بجميع أجزاء البدن وصارت لحما ودماً وشحما وعروقا وعصباً وماشا كل ذلك .

وهكذا أيضا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه خرج من تلك الانفاس شيء من نسيم روح كل واحد منهما واختلط باجزاء الهواء. فاذا استنشقا من ذلك الهواء دخلت الى خياشيمهما أجزاء ذلك النسيم مع الهواء المستنشق ووصل بعضه الى مقدم الدماغ وسرى فيه كسريان النور في جرم البلور واستلذ كل واحد منهما ذلك التنسم ، ووصل أيضا من أجزاء ذلك الهواء المستنشق بعض الى جرم الرئة في الحلقوم ومن الرئة الى جرم القلب مع النبض في العروق الضوارب الى جميع أجزاء الجسد واختلط هناك بالدم واللحم وماشا كل ذلك من أجزاء الجسد وانعقد في بدن هذا ما تحلل من جسد هذا ! وفي بدن هذا ما تحلل من جسد ذاك .

فيكون من ذلك ضروب . ومن المزاجات من تلك الامزجة ضروب الاخلاط ومن تلك الاخلاط ضروب الاخلاق كل ذلك بحسب أمزجة أبدانها . ومن شأن النفس أن تتبع مزاج البدن في اظهار افعالها واخلاقها لان مزاج الجسد وأعضاء البدن ومفاصله للنفس بمنزلة آلات وأدوات للصانع الحكيم يظهر بها ومنها أفعاله . فلهذه الأسباب والعلل التي ذكرناها يتولد العشق والمحبة على ممر الأيام بين المتحابين وينشأ وينمو . فأما الذي يتغير من المحبة ويفسد بعد التأكيد فلاسباب يطول شرحها ، ولكن نذكر أولا ما العلة في محبة شخص لشخص دون سائر الاشخاص فنقول :

ان العلة في ذلك اتفاق مشاكلة الاشخاص الفلكية في أصل مولدهما بضرب من الضروب الموافقة من بعض لبعض وهي كثيرة الفنون ، ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقية . فمنها أن يكون مولدهما ببرج واحد أو رب البرجين كوكب واحد ، أو يكون البرجان متفقين في بعض المثاني كالمثلث أو تكون مطالعهما متساوية أو ساعات نهارهما متفقة ، وماشا كل ذلك مما يطول

شرحه . يعرف حقيقة ماقلنا أصحاب الأحكام الناظرون فى مواليدالناس . واما تغير العشق بعد ثباته زماناً طويلا فهو تغير أشكال الفلك في تحاويل سني مواليد الناس وسير درجة الطالع وتنقلها فى حدود البروج والوجوه ، وهكذا تسييرات شعاعات الكواكب فى أبراج الانتهاءات فى مستقبل السنين

واعلم يا أخي أن كل الكائنات التى دون فلك القمر فهي مربوطة الاحوال بحركات الاشخاص الفلكية كما بينا في رسالة ماهية الطبيعة ورسالة الادوار والاكوار ورسالة الافعال الروحانية

﴿ فصل ﴾

في ماهية علة فنون المعشوقات

اعلم يا أخي أن كثيراً من الناس يظنون أن العشق لايكون إلا للأشياء الحسنة حسب ! وليس الأمر كما ظنوا فانه قد قيل : يارب مستحسن ماليس بالحسن ! ولكن العلة فى ذلك هي الاتفاقات التى بين العاشق والمعشوق وهي كثيرة لايحصى عددها الا الله جل ثناؤه ، ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقية

وذلك أن الاتفاقات بحسب المناسبات التى بين أجزاء المركبات . فمن تلك المناسبات ماهى بين كل حاسة ومحسوساتها ، وذلك أن القوة الباصرة لاتشتاق إلا إلى الألوان والأشكال ، ولاتستحسن منها إلا ما كان على النسبة الافضل وهكذا القوة السامعة لاتشتاق الا الى الأصوات والنغم ولاتستلذ منها الاما كان على النسبة الافضل كما بينا في رسالة الموسيقى .

وعلى هذا القياس سائر الحواس كل واحدة منها لاتشتاق الاالى محسوساتها ولاتستحسن ولا تستلذ الا ما كان منها على النسبة الافضل بينهما في الآفاق . ولما كان تراكيب أمزجة الحواس والمحسوسات كثيرة الفنون وكثيرة التغيير غير ثابتة على حالة واحدة صارت القوى الحساسة في احساسها لمحسوساتها مفتنة

متغيرة ، وذلك أنك تجد واحداً من الناس أو من الحيوان يستلذ مأكولا أو مشروبا أو مسموعا أو مشموما والآخر لايستلذه ، بل ربما كان يكرهه ويتألم منه . وهكذا تجد الانسان الواحد يستلذ في وقت ماشاء ويستحسنه ، وفي آخر يكرهه ويتألم منه . كل ذلك بحسب اختلاف التراكيب وفنون الامزجة ومايعرض لها ومايحدث بينها من المناسبات والمنافرات ، وشرحها طويل

واعلم يا أخي أن الحكمة الالهية والعناية الربانية قد ربطت أطراف الموجودات بعضها ببعض رباطا واحداً ونظمتها نظاما واحداً

وذلك أن الموجودات لما كان بعضها عللا وبعضها معلولات ، ومنها أوائل ومنها ثواني جعلت في جبلة المعلولات نزوعا نحو عللها واشتياقا اليها ، وجعلت أيضا في جبلة عللها رأفة ورحمة وتحننا على معلولاتها كما يوجد ذلك في الآباء والأمهات على الأولاد ، ومن الكبار على الصغار ، والأقوياء على الضعفاء لشدة حاجة الضعفاء الى معاونة الأقوياء والصغار الى الكبار كما أجاب رئيس قريش وحكيمها لما سأله كسرى : — أي أولادك أحب اليك ؟ فقال : صغيرهم حتى يكبر ، وعليلهم حتى يبرأ ، وغائبهم حتى يرجع

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن الاطفال والصبيان اذا استغنوا عن تربية الآباء والأمهات فهم بعد محتاجون الى تعليم الأستاذين لهم العلوم والصنائع ليبلغوا بهم الى التمام والكمال ، فمن أجل هذا يوجد في الرجال البالغين رغبة في الصبيان ومحبة للغلمان ليكون ذلك داعياً لهم الى تأديبهم وتهذيبهم وتكميلهم للبلوغ الى الغايات المقصودة بهم ، وهذا موجود في جبلة أكثر الامم التى لها شغف فى تعلم العلم والصنائع والأدب والرياضات مثل أهل فارس وأهل العراق وأهل الشام والروم وغيرها من الامم. وأما الامم التى لا تتعاطى العلوم والصنائع والأدب مثل الأكراد والأعراب

والزنج والترك ، فانه قلما يوجد فيهم ولا في طباعهم الرغبة في نكاح الغلمان وعشق المردان .

وأما محبة النساء للرجال وعشقها فان ذلك في طباع أكثر الحيوانات التي لها سفاد .

وانما جعلت تلك في طبائعها لكيما يدعوها الى الاجتماع والسفاد ليكون منها النتاج . والغرض منها بقاء النسل وحفظ الصورة في الهيولى بالجنس والنوع اذ كانت الأشخاص دائماً في السيلان . والغرض من هذه كلها بعيد من أفكار أكثر العقلاء . وقد بينا ذلك في رسالة المبادىء ورسالة البعث

فصل

في أنواع المحبوبات وما الحكمة فيها

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان المحبة مفننة والمحبوبات كثيرة لا يحصى عددها إلا الله ، ولكنا نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقية : فن أنواع المحبوبات محبة الحيوانات الازدواج والنكاح والسفاد لما فيه من بقاء النسل ، ومنها محبة الامهات والآباء للأولاد وتحننهم على الصغار وتربيتهم لهم وإشفاقهم عليهم كأنها مجبولة في طباعهم مركوزة في نفوسهم لشدة حاجة الصغار الى الكبار ، ومنها محبة الرؤساء والرياسات وحرصهم على طلبها ومراعاتهم لمرؤوسيهم وحفظهم لهم واشفاقهم عليهم ومحبتهم للمدح والثناء والشكر كأنها مجبولة في طباعهم مركوزة في نفوسهم ، ومنها محبة الصناع في إظهار صنائعهم وحرصهم على تتميمها وشهوتهم لتحصيلها وتركيبها كأنه شيء مجبول في طباعهم مركوز في نفوسهم لشدة حاجتهم اليها ، ومنها محبة التجار لتجاراتهم ورغبة الراغبين في الدنيا وحرصهم على الجمع والادخار لها وحفظها ومحبة عمارة الارض واصلاح الامتعة وجمعها وحفظها كأنه شيء مجبول في طباعهم مركوز في نفوسهم لما فيه من الصلاح لغيرهم ومن يأتي من بعدهم ، ومنها محبة العلماء والحكماء لاستخراج

العلوم ووصف الآداب وتعليم الرياضات والبحث عن الغوامض والفحص عنها وتدوينها في الكتب والادراج أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن كأنه شيء مجبول في طباعهم مركوز في نفوسهم لما فيه من إحياء النفوس وإصلاح الاخلاق وصلاح الدين والدنيا جميعاً ، ومنها محبة البر والاحسان ومايقال فيهما من المدح والثناء كأنه شيء مجبول في طباع البشر مركوز في نفوسهم لما فيه من الحث على مكارم الاخلاق ، ومنها محبة أبناء الجنس وما يسمى العشق وما يصف العشاق من أحوالهم وأحوال معشوقهم وما يجدون في نفوسهم من الافكار والهموم والاحزان والفرح والسرور والنشاط وما يذكرون من الاخلاق الجميلة والطرائق الحميدة وما يذمون من الاخلاق المذمومة والاحوال المرذولة ، قالوا : لو لم يكن العشق موجوداً في الخليقة لخفيت تلك الفضائل كلها . ولم تظهر ولم تعرف تلك الرذائل أيضا ! فقد بان وتبين اذاً بما ذكرنا أن المحبة والعشق فضيلة ظهرت في الخليقة وحكمة جليلة وخصلة نفيسة عجيبة . ذلك من فضل الله على خلقه وعنايته بمصالحهم ودلالة لهم عليه وترغيبا لهم فيما أمر به من المزيد

واعلم يا أخي أن محبوبات النفوس ومعشوقاتها مفننة وهي بحسب مراتبها في العلوم ودرجاتها في المعارف وذلك أن النفس الشهوانية لا يليق بها محبة الرياسة والقهر والغلبة ، ولا النفس الحيوانية يليق بها محبة العلوم والمعارف واكتساب الفضائل ، ولا النفس الملكية يليق بها محبة الأجساد والكون مع الاجسام اللحمية والدموية ، بل الذي يليق بها محبة فراق الاجساد والارتقاء الى ملكوت السماء والسيحان في سعة فضاء الافلاك والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن .

ومن أجل هذا الذي ذكرنا من مراتب النفوس وما يليق بها من المعشوقات انك لا تجد ولا ترى نفساً تحب وتعشق وتشتاق إلا لابناء جنسها وما شاكلها من المحبوبات والمعشوقات . مثال ذلك أنفس الصبيان والناقصين من الناس فانهم لا يحبون ولا يعشقون الا اللعب والتماثيل المصورة والمزينة المشاكلة لمرتبة

نفوسهم ، فاذا عقلوا وتعلموا وارتاضوا ارتفعت هممهم وشغلت نفوسهم بغيرها مما هو أشد تحقيقاً مما كانوا فيه وهو الصورة من الاشكال والمحاسن والزينة الموجودة في الاشكال والاجساد اللحمية من الحيوان والناس وهي المحبوبة المرغوبة فيها المشتهاة المعشوقة عند أكثر الناس من البالغين العقلاء فاذا ارتاضت نفوسهم في العلوم الالهية والمعارف الربانية ارتفعت نفوسهم أيضاً عن هذه الصور والتماثيل المزوقة الموجود فى اللحم والدم الى ما هي أشرف منها وأفضل وهي الصورة للنفوس ذوات الحسن والبهاء والكمال والجمال التى تراها النفوس الناطقة الناجية (١) في عالم الارواح

ثم اعلم أنه لما قصرت أفهام كثير من الناس عن تصورها وقلت معرفتهم بها رضوا بهذه الصورة والاشباح الجسمية الجسدانية المؤلفة من اللحم والدم والصديد واطمأنوا اليها وسكنوا اليها وتمنوا الخلود بها لنقص نفوسهم ، كماذكر الله تعالى رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

ثم اعلم يا أخي أنه مقرر في طباع الموجودات وجبلة النفوس محبة البقاء والدوام السرمدي على أتم الحالات وأكمل الغايات وأتم حالات النفس الشهوانية بأن تكون موجودة أبداً تتناول شهواتها وتتمتع بلذاتها التى هي مادة وجود أشخاصها من غير عائق ولا تنغيص

وهكذا من أتم حالات النفس الحيوانية أن تكون موجودة أبداً رئيسة على غيرها قاهرة لمن سواها منتقمة ممن يؤذيها من غير عائق ولا تنغيص.

وهكذا أيضاً من أتم حالات النفس الناطقة أن تكون موجودة أبداً مدركة لحقائق الاشياء متصورة لها ملتذة بها مسرورة فرحانة بلا عائق ولا تنغيص

وانما صارت النفوس الناطقة تلتذ بالعلوم والمعارف لان صور المعلومات في ذاتها هي المتممة لها المكملة لفضائلها المبلغة لها الى أتم غاياتها وأفضل نهاياتها عند

(١) لعلها السابحة

باريها جل ثناؤه كما قال تعالى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

ثم اعلم أن هذه الاحوال لا تليق بالنفس الشهوانية ولا بالنفس الغضبية ولكن تليق بالنفس الناطقة اذا هى انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وانفتحت لها عين البصيرة وعاينت عالمها وعرفت مبدأها ومعادها واشتاقت عند ذلك الى باريها وتاقت وحنت اليه كما يحن العاشق الى معشوقه وإلى هذا أشار بقوله تعالى : (والذين آمنوا أشد حباً لله) يعنى من كل محبوب سواه

ثم اعلم أن كل نفس اذا أحبت شيئاً اشتاقت وحنت نحوه وطلبته وتوجهت نحوه حيث كان ولم تلتفت الى شيء سواه ولم تعرج عليه كما قال الشاعر : —

أحب حبيباً واحداً لست ابتغى   مدى الدهر عنه ماحييت بديلا
فان ظفرت كفى به فهو بغيتى   وإن فات ماأبغي سواه خليلا

ثم اعلم أن كل محب لشيء من الاشياء مشتاق اليه هائم به ، وانه متى وصل اليه ونال مايهواه منه وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه فانه ولا بد يوما من أن يفارقه أو يمله أو يتغير عليه وتذهب تلك الحلاوة وتتلاشى تلك البشاشة ويخمد لهب ذلك الاشتياق والهيجان ، الا المحبين لله تعالى من المؤمنين والمشتاقين اليه من عباده الصالحين فان لهم كل يوم من محبوبهم قربة ومزيداً أبد الا بدين بلا نهاية ولا غاية ،والى المحبين لسواه عز وجل أشار بقوله : (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) ثم عطف نحو محبيه فذكر حالهم وكنى عن ذكرهم والى نحو ذكرهم فقال تعالى (ووجدالله عنده فوفاه حسابه) يعنى عند المحب

وكما روي في الخبر عن موسى عليه السلام أنه نادى ربه فقال : (يارب أين أجدك) فقال عند المنكسرة قلوبهم من أجلى وقال عليه السلام أعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك

ثم اعلم أن رؤية أولياء الله تعالى جل اسمه ليست كرؤية الاشخاص والاشباح والصور والاجناس والانواع والجواهر والاعراض والصفات والموصوفات فى

الاماكن والمحاذيات ، ولكن بنوع أشرف منها وأعلى وفوق كل وصف جسماني ونعت جرماني وهي رؤية نور بنور لنور في نور من نور كما قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) أي لاصورية ولاهيولانية

ثم اعلم أن الغرض الاقصى من وجود العشق في جبلة النفوس ومحبتها الاجساد واستحسانها لها ولزينة الابدان واشتياقها الى المعشوقات المفتنة كل ذلك انما هو تنبيه لها من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ورياضة لها وتعريج لها وترقية من الامور الجسمانية المحسوسة الى الامور النفسانية المعقولة ومن الرتبة الجرمانية الى المحاسن الروحانية ودلالة على معرفة جوهرها وشرف عنصرها ومحاسن عالمها وصلاح معادها ، وكل ذلك أن جميع المحاسن والزينة وكل المشتهيات من المرغوب فيها الذي يرى على ظواهر الاجرام وسطوح الاجسام انما هي أصباغ ونقوش ورسوم قد صورتها النفس الكلية في الهيولى الاولى وزينت بها ظواهر الاجرام وسطوح الاجسام ، كيما اذا نظرت اليها النفوس الجزئية حنت اليها وتشوقت نحوها وقصدت لطلبها بالنظر اليها والتأمل لها والتفكر فيها والاعتبار لاحوالها ، كل ذلك كيما تتصور تلك الرسوم والمحاسن والنقوش في ذاتها وتنطبع في جوهرها حتى اذا غابت تلك الاشخاص الجرمانية عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم والصور المعشوقة المحبوبة مصورة فيها أعين النفوس الجزئية صورة روحانية صافية باقية معها معشوقاتها متحدة بها لاتخاف فراقها ولا فواتها أبداً .

والدليل على ما قلنا وصحة ماوصفنا معرفة من عشق يوما من أيام عمره لشخص من الاشخاص ثم تسلى عنه أو فقده أو تغير عليه ثم إنه وجده من بعده وقد تغير عما كان عليه وعهده من الحسن والجمال وتلك الزينة والمحاسن التي كان رآها على ظاهر جسمه فانه متى رجع عند ذلك فنظر الى تلك الرسوم والصور

التي هي باقية في نفسه منذ العهد القديم وجدها بحالها تلك ولم تتغير ولم تتبدل ورآها برمتها ، فتشاهد النفس في ذاتها حينئذ من تلك المحاسن والصور والرسوم والاصباغ ما كانت من قبل تراها على غير تغير ، وتجد في جوهرها ما كانت قبل ذلك تطلبه خارجا عنها . فعند ذلك تبين له وعلم أن المعشوق والمحبوب بالحقيقة إنما هي تلك الرسوم والصور التي كان يراها علي ذلك الشخص وهو اليوم يراها منقوشة في نفسه مرسومة في جوهره مصورة في ذاته باقية لم تتغير ! فاذا فكر العاقل اللبيب فيما وصفنا انتبهت نفسه من نوم غفلتها واستيقظت من رقدة جهالتها واستقلت بذاتها وفازت بجوهرها واستغنت عن غيرها وكان حالها كما وصف المحب بقوله :

قد كنت آلف موطنا وتشوقي   نحو الأحبة لوعة ما تنكر
والآن مالي مصدر عن موردي   ما للعبيد عن الموالي مصدر

فاستراحت نفسه عند ذلك من تعبها وعنائها ومقاسات صحبة غيرها وتخلصت من السقام الذي لايزال يعرض لعاشقي الاجرام ومحبي الاجسام حسب ماوصفوه في أشعارهم وشكوه من أحوالهم كما قال بعضهم :

وما في الارض أشقى من محب   وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين   مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأى شوقا اليه   ويبكي إن دنا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي   وتسخن عينه عند التلاقي

فصل

ثم اعلم أن من ابتلى بعشق شخص من الاشخاص ومرت به تلك المحن والاهوال وعرضت تلك الاحوال ثم لم تنتبه نفسه من نوم غفلتها فيتسلى ويفيق أو نسى وابتلى من بعد بعشق ثان لشخص آخر ، فان نفسه نفس غريقة في عمائها سكرى في جهالتها كما قيل

(تسلت عمايات الرجال عن الصبى) (وما إن أري عنك الغواية تنجلى)

ثم اعلم أن في الناس خواصا وعواما : فالعوام من الناس هم الذين اذا رأوا مصنوعا حسنا أو شخصا مزينا تشوفت نفوسهم الي النظر اليه والقرب منه والتأمل له . وأما الخواص فهم الحكماء الذين اذا رأوا صنعة محكمة أو شخصا مزينا تشوقت نفوسهم الى صانعها الحكيم ومبدئها العليم ومصورها الرحيم وتعلقت به وارتاحت اليه واجتهدوا فى التشبه به في صنائعهم والاقتداء به في أفعالهم قولا وفعلا وعلما وعملا

ثم اعلم أن النفوس الناقصة تكون قصيرة الهمم لا تحب الا زينة الحياة الدنيا ولا تتمنى إلا الخلود فيها لانها لا تعرف غيرها ولا تتصور سواها ! فأما النفس الشريفة المرتاضة فهي تأنف من الرغبة فى الدنيا بل تزهد فيها وتريد الآخرة وترغب فيها وتتمنى اللحوق بأبناء جنسها وأشكالها من الملائكة ، وتشتاق الى الترقي الى ملكوت السماء والسيحان في سعة فضاء الافلاك ، ولكن لا يمكن الا بعد فراق الجسد على شرائط محدودة ، كما ذكرنا في رسالة البعث والقيامة .

واعلم أن نفوس الحكماء تجتهد فى أفعالها ومعارفها وأخلاقها فى التشبه بالنفس الكلية الفلكية وتتمنى اللحوق بها ، والنفس الكلية أيضاً كذلك فانها تتشبه بالباري في ادارتها الافلاك وتحريكها الكواكب وتكوينها الكائنات ، كل ذلك طاعة لباريها وتعبداً له واشتياقا اليه . ومن أجل هذا قالت الحكماء : ان الله هو المعشوق الاول ، والفلك انما يدور شوقا اليه ومحبة للبقاء والدوام المديد على أتم الحالات وأكمل الغايات وأفضل النهايات

ثم اعلم أن الباعث للنفس الكلية على ادارة الفلك وتسيير الكواكب هو الاشتياق منها الى اظهار تلك المحاسن والفضائل والملاذ والسرور التى في عالم الارواح التى تقصر ألسن الوصف عنها الا مختصرا كما قال تعالى «فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين »

ثم اعلم أن تلك المحاسن والفضائل والخيرات كلها انما هى من فيض الله واشراق نوره على العقل الكلي ، ومن العقل الكلي على النفس الكلية ، ومن النفس الكلية علي الهيولى وهى الصورة التى ترى الانفس الجزئية في عالم الاجسام على ظواهر الاشخاص والاجرام التى من محيط الفلك الى منتهي مركز الارض.

ثم اعلم أن مثل سريان تلك الانوار والمحاسن من أولها الى آخرها كمثل سريان النور والضياء التى في ليلة البدر منبعثاً من جرم جوهر القمر على الهواء ، والذى على جرم القمر من الشمس ، والذي على جرم الشمس والكواكب جميعاً من اشراق النفس الكلية ، والذي على النفس الكلية من العقل الكلى والذي على العقل الكلي من فيض البارى واشراقه كما قال الله تعالى « الله نور السموات والارض » فقد تبين بما ذكرنا أن الله هو المعشوق الاول وأن كل الموجودات اليه تشتاق ونحوه تقصد واليه يرجع الامر كله لان به وجودها وقوامها وبقاءها ودوامها وكمالها لانه هو الموجود المحض وله البقاء والدوام السرمد والتمام والكمال المؤبد . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا . بلغك الله أيها الاخ اليه وتمم نورك كما وعد أولياءه وأصفياءه من عباده ، وذلك قوله تعالي « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا الكرام الى طريق السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد انه رؤوف بالعباد

﴿ تمت رسالة ماهية العشق ويليها رسالة البعث والقيامة ﴾

الرسالة السابعة

من النفسانيات العقليات

في البعث والقيامة

وهي الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ انا قد فرغنا من بيان ماهية العشق ومحبة النفوس ماهو أشرف وأحسن وأكمل وأجل وأتم وأدوم منها، ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة ماهية البعث والقيامة وكيفية المعراج فنقول :

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه أن العلوم كثيرة وكلها شريفة وفي معرفتها عزة وفي طلبها نجاة من الهلكة ونيلها حياة للنفوس وراحة للقلوب وتعلمها هدى ورشد وخروج من ظلمات الجهالة وصلاح في الدين والدنيا جميعاً ، ولكن بعض العلوم أشرف من بعض وأهلها يتفاضلون : وذلك أن أفضل العلماء هم أهل الدين والورع الذين هم من أمر الآخرة على يقين وبصيرة لا على تقليد ورواية

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن معرفة حقيقة الآخرة والعلم بالمعاد محجوب عن ابليس وذريته المنكرين لما غاب عن رؤية الأبصار وعن أهل التقليد الذين لا يعرفون حقيقة ماهم مقرون به من أمر الآخرة والبعث والقيامة والحشر والحساب والميزان والصراط والمعاد والجزاء هناك : إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً لأن هذا العلم هو لب الألباب وسر لأولياء الله دون سواهم ، لأن

أولياء الله هم المصطفون الأخيار الذين أخلصوا بخالصة ذكرى الدار . ونريد أن نلوح من هذا العلم طرفاً في هذه الرسالة الجليلة القدر باشارات مرموزة وأمثال مضروبة للمريدين لله عز وجل الطالبين دار الآخرة ، اذ كان الاخبار عن حقيقتها يدق عن البيان ويبعد عن التصور بالأفكار والتخيل بالأوهام الا لأنفس زاكية وأرواح طاهرة وقلوب واعية وآذان سامعة : ولكن قبل ذلك نحتاج أن نذكر النفس والروح وحقيقتها وماهيتهما وتصاريف أمرهما اذ كان معرفة حقيقة الآخرة وأمر المعاد بعد معرفة البعث والقيامة بعد معرفة النفس والروح ، وعلة أخرى أيضاً أن قوماً من علماء الاسلام يتعاطون العلوم والكلام والجدل وينكرون أمر النفس ووجودها ويجهلون حقيقة الروح وتصاريف أحوالها .

من أجل هذا احتجنا الى أن ندل أولا على وجود النفس وماهية جوهرها وتصاريف أمورها بطريق السمع والاخبار وماذكر في الاخبار والكتب النبوية المنزلة ، ثم نذكر حججاً عقلية حكمية ، لأن قوماً من هؤلاء المجادلة لا يرضون طريق السمع والاخبار ولا يقنعهم ذلك لشكوك في نفوسهم وريبة في قلوبهم ، بل يريدون دلائل عقلية وحججاً فلسفية فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن الحكماء والفلاسفة قد أكثرت في كتبها وفي مذاكراتها ذكر النفوس وحثت تلاميذها وأولادها على طلب علم النفس ومعرفة جوهرها لان في علم النفس ومعرفة جواهرها معرفة حقائق الاشياء الروحانية من أمر المبدأ والمعاد والباري تعالى عز وجل وملائكته وخاصة معرفة البعث وحقيقة القيامة والنشر بعد الموت والحشر والحساب والجزاء وثواب المحسنين وعقاب المسيئين

وذلك أن كل انسان لا يعرف نفسه ولا يعلم ذاته ولا يعلم ما الفرق بين النفس والجسد تكون همته كلها مصروفة الى اصلاح أمر الجسد ومرافق أمر البدن من لذة العيش والتمتع بنعيم الدنيا وتمني الخلود فيها مع نسيان أمر المعاد وحقيقة

الآخرة ! واذا عرف الانسان نفسه وحقيقة جوهرها صارت همته في أكثر الاحوال في أمر النفس وفكرته أكثرها في إصلاح شأنها وكيفية حالها بعد الموت واليقين بأمر المعاد والاستعداد للرحلة من الدنياوالتزود للمعاد والمسارعة في الخيرات والتوبة وتجنب الشر والمنكر والمعاصى

فاذا فعل ذلك يزول عنه خوف الموت وربما تمنى لقاء الله تعالى وهذه صفة أولياء الله تعالى وعباده الصالحين كما ذكر الله سبحانه وأشار اليهم بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في توبيخه لليهود لما زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس فقال لهم : « فتمنوا الموت ان كنتم صادقين» بأنكم أولياء الله من دون الناس وإنما يتمنى أولياء الله الموت إذا تذكروا ما وعدهم الله وأعده لهم من التحية والسلام كما قال جل ثناؤه : « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما » وقال تعالى أيضا « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عندربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقد علم كل عاقل علما يقيناً أن أجساد هؤلاء قد بليت في التراب وأن هذه الكرامة والتحية والسلام هي لأرواحهم ونفوسهم الطاهرة الزكية كما ذكر جل ثناؤه بقوله تعالى « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلى جنتى» وقال تعالى «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وقال تعالى « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » وقال أيضاً « إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي » وقال جل وعز « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى» وآيات كثيرة في القرآن في ذكر النفس وخطابها بالتأنيث ليعلم كل عاقل أنها هي شيء غير الجسد لأن الجسد مذكر لا يخاطب بالتأنيث ، فكفى بهذا فرقا وبياناً بين النفس والجسد

وقد يعلم كل عاقل اذا تأمل وتفكر في أمر الجسد أنه جسم مؤلف من اللحم والدم والعروق والعصب والعظام وماشاكلها ، وأصله نطفة ودم انطمس .ثم اللبن والغذاء والمأكولات والمشروبات ، ثم آخر الامر الموت وبعد مفارقة النفس اياه يبلى ويصير ترابا ، ثم يعاد خلقاً جديداً اذا شاء الله كما وعد جل ثناؤه :

فأما النفس يعنى الروح فهي جوهرة سماوية نورانية حية علامة فعالة بالطبع حساسة دراكة لا تموت ولا تفنى بل تبقى مؤبدة : إما ملتذة واما مؤلمة فأنفس المؤمنين من أولياء الله وعباده الصالحين يعرج بها بعد الموت الى ملكوت السموات وفسحة الافلاك وتخلى هناك فهي تسبح في فضاء من الروح وفسحة من النور وروح وراحة الى يوم القيامة الطامة الكبرى ، فاذا انتشرت أجسادها ردت اليها لتحاسب وتجازى بالاحسان احساناً والسيئات غفرانا

وأما انفس الكفار والفساق والاشرار فتبقى في عماها وجهالاتها معذبة متألمة مغتمة حزينة خائفة وجلة الى يوم القيامة ، ثم ترد الى أجسادها التى خرجت منها لتحاسب وتجازى بما عملت من سوء

والدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول الله سبحانه « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقال أيضاً « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » وقال أيضاً « شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » وقال « ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار» وقال أيضاً « يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين » وآيات كثيرة في القرآن فى هذا المعنى تدل على بقاء النفوس بعد الموت اما منعمة ملتذة واما معذبة متألمة

وفيما ذكرنا كفاية لمن انصف عقله ونصح نفسه واهتم لما بعد الموت وتفكر في أمر المعاد واستعد للرحلة وتزود للسفر وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة

قبل فناء العمر وتقارب الأجل والفوت . وفقك الله أيها الاخ للسداد وهداك للرشاد وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه أن الذين أنكروا أمر البعث والقيامة والنشر والحشر والوقوف والحساب ووضع الموازين لوزن الحسنات والسيئات والجواز على الصراط وما شاكل هذه الامور المذكورة في كتب الانبياء عليهم السلام لشكوك في نفوسهم وحيرة في قلوبهم ،والعلة في ذلك طلبهم حقيقة معرفتها وكيفيتها وأبنيتها وماهيتها وكميتها قبل معرفتهم أنفسهم وحقيقة جوهرها وكيفية كونها مع الجسد ولم ربطت به وقتاً ما ولم تفارقه وقتاً آخر ، ومن أين كان مبدؤها والى أين يكون معادها بعد مفارقتها جسدها ، وهذه المباحث علم غامض وسر لطيف ليس اليها طريق للمبتدئين في العلوم الحكمية الا التسليم والايمان والتصديق للمخبرين عنها الصادقين عن الله جل ثناؤه الذين أخذوا هذا العلم عن الملائكة وحياً وإلهاماً بتأييد من الله جل ثناؤه .

وأما الذين لا يرضون أن يأخذوا هذا العلم تسليما وتصديقاً بل يريدون براهين عقلية وحججاً فلسفية فيحتاجون الى أن تكون لهم نفوس زكية وقلوب صافية وأذن واعية وأخلاق طاهرة وأن يكونوا غير متعصبين في الآراء والمذاهب المختلفة ،ومع ذلك يكونون قد ارتاضوا في الرياضات الفلسفية من علم العدد والهندسة والمنطق والطبيعيات ، ثم نظروا في العلوم الالهيات

وقد ذكرنا في رسائلنا طرفا من ذلك وبينا فيها مايحتاج اخواننا من هذه العلوم اليها والمعرفة بها فانظر ياأخي فيها واعتبرها وتأملها ترشد ان شاء الله

ثم اعلم ياأخي أن معنى القيامة مشتق من قام يقوم قياماً،والهاء فيه للمبالغة وهي من قيامة النفس من وقوعها في بلائها . والبعث هو انبعاثها وانتباهها من نوم غفلتها ورقدة جهالتها وهي بالفارسية رست خيزاى قياماً مستويا

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن كل عاقل لبيب اذا تفكر في أمر الدنيا وتأمل تصرف حالاتها بأهلها من الكون والفساد والتغير والاستحالة

وخاصة أمر الحياة والممات اللذين مرهون بهما جميع الحيوان ، واعتبر أحوال الماضين من القرون السالفة تيقن أنه لامحالة ميت وصائر الى ماصاروا اليه فيود عند ذلك ويتمنى أن يعرف حقيقة أمر الآخرة على صحة وبيان ليكون على يقين منها . واعلم يا أخي بأن الناس في أمر الآخرة على رأيين ومذهبين : فطائفة مقرة بها وطائفة منكرة ، فالمنكرون أمر الآخرة هم الذين يظنون أن حكم الانسان بعد الممات كحكم النبات والحيوان ، وذلك أنهم لما تأملوا أمرهما وتفكروا في كونهما وفسادهما واعتبروا أحوالهما وجدوا النبات يتكون وينشأ ويبلغ الى غاية ما ثم يبلى ويضمحل ويتكون مثله آخر ، وهكذا أمر الحيوان يتوالد ويتربى ثم يبلغ الى غاية ما ثم يموت ويهلك ويبلى ويتكون آخر مثله

فلما وجدوا حكم النبات والحيوان على ماوصفنا جعلوا ذلك قياسا على حال الانسان فقالوا : « نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر » فقال الله تعالى « وما لهم بذلك من علم » لأنهم لو سئلوا ما الدهر لعجزوا عن ماهو الدهر في البيان ، وما دروا ما الدهر

واعلم ياأخي ان المقرين بالآخرة طائفتان من الناس : احداهما الذين يقرون بها بألسنتهم من غير تصور منهم لها بقلوبهم ولا معرفة بحقيقتها بعقولهم ، فاقرارهم إيمان وتسليم لقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقليد لهم فيما يقولون ويخبرون عنها ، والطائفة الاخرى الذين هم مع اقرارهم بها وتصديقهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام متصورون لها بقلوبهم عارفون حقيقتها بعقولهم ، وقد مدح الله تعالى كلتا الطائفتين جميعا وأثنى عليهم بقوله جل ثناؤه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ولكن فضل الله احداهما على الاخرى بقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

واعلم يا أخي أن العلم هو تصور الشيء على حقيقته وصحته ، فأما الايمان فهو الاقرار بذلك الشيء والتصديق لقول المخبرين عنه من غير تصور له .

فالانبياء عليهم السلام وأولياؤهم هم المخبرون عن الآخرة المتصورون لها

بقلوبهم والعارفون حقيقتها بعقولهم ، والمؤمنون هم المقرون بالآخرة بألسنتهم المصدقون الانبياء عليهم الصلاة والسلام في أخبارهم المنتظرون لكشفها لهم

واعلم ياأخي أن المنتظرين لأمر الآخرة طائفتان من الناس احداهما ينتظر كونها وحدوثها فى الزمان المستقبل عند خراب السموات والارضين وهم لايعلمون من الامور الا المحسوسات ولا من الجواهر الا الجسمانيات ولا من أحوالها إلا ماظهر والطائفة الاخرى ينتظرونها كشفا وبيانا واطلاعا عليها وهم الذين يعرفون الامور المعقولة والجواهر الروحانية والحالات النفسانية .

واعلم ياأخي أن معرفة أمر الآخرة على الحقيقة في معرفة أمر الدنيا لانهما من جنس المضاف ، ومن خاصة جنس المضاف أن في معرفة أحد المضافين معرفة الآخر . فالدنيا باسمها تدل على اسم الاخرى أن الدنيا مشتق من الدنو، والآخرة مشتق من التأخر .

فالدنيا هي أول معلوماتنا وأحوالها أول محسوساتنا ، وشعورنا من أجسادنا ومشاهدتنا أحوال أجسامنا وأبناء جنسنا .

وهذه كلها قبل معرفتنا بنفوسنا ومشاهدتنا عالمها وعرفاننا أبناء جنسها ووجداننا لذات معقولاتها ، لان هذه تحصل لنفوسنا بعد مفارقتها أجسادها كما حصلت تلك لنا بعد ولادة أجسادها لان مفارقة النفس الجسد هي ولادة لها ، كما أن مفارقة الجنين للرحم ولادة الجسد

واعلم يا أخي ان الحياة الدنيا انما هي مدة كون النفس مع الجسد في عالم الاجسام الى وقت المفارقة التي هي الممات .

وأما الدار الآخرة فهي عالم الارواح التي هي الحيوان لو كانوا يعلمون أي أبناء الدنيا وهو كون النفس فى عالمها بعد مفارقتها جسدها مابقيت السموات والارض كما ذكر الله تعالى في كتابه فقال الله تعالى « فاما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض «وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها» زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض»

وقد بينا في رسالة الآلام كيف يكون عذاب الاشقياء فى الآخرة وكيف تكون لذات السعداء هناك

واعلم يا أخي أن الموت ليس هو شيء سوى ترك النفس استعمال الجسد ، وأن النفس تترك استعمال الجسد لسببين اثنين : احدهما طبيعي والآخر عرضي .

والسبب الطبيعي هو أن يهرم الجسد على طول الزمان وتضعف البنية وتكل آلات الحواس وتسترخي الاعصاب والعضلات المحركات للاعضاء وتجف الرطوبة المغذية للبدن وتطفأ الحرارة الغريزية كما يطفأ السراج اذا فنى الدهن فعندذلك لايمكن أن يعيش الانسان ولا يفعل شيئاً من الافعال والأعمال ، لان البدن للنفس بمنزلة الدكان للصانع والاعضاء بمنزلة الادوات ، فاذا كلت آلات الصانع أو انكسرت أو خرب الدكان وانهدم ، فان الصانع لايقدر على عمل شيء من صنعته الا ان يتخذ دكانا آخر وأدوات مجددة .

وأما ترك النفس استعمال الجسد لسبب عرضي فهو كثير الفنون ولكن يجمعها نوعان : فمنها أسباب من داخل الجسد بلا اختيار كالامراض والاعلال المتلفة للجسد ، ومنها أسباب من خارج كالذبح والقتل ، والقتل ليس هو شيء سوى أن يقصد قاصد فيهدم بنية الجسد بضرب من الفساد والخراب كما يقصد إنسان فيخرب دار انسان أو دكانه

واعلم ياأخي أن كل صانع حكيم اذا فكر في أمره ونظر في العواقب علم انه لابد أن يخرب يوما دكانه وتكل أدواته وتضعف قوة بدنه وتذهب أيام شبابه فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان وكلال الادوات وذهاب القوة فاكتسب مالا بصنعته فى دكانه واستغنى عن السعي فانه لايحتاج بعد ذلك الى دكان آخر ولا أدوات مجددة بل يستريح من العمل ويشتغل بالتمتع واللذات بما قد كسب. فهكذا يكون حال النفس بعد خراب الجسد .

فانظر ياأخي وتفكر وبادر واجتهد وتزود قبل خراب هذا الدكان وانهدام هذه البنية (فان خير الزاد التقوى)

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن مواهب الله عز وجل لعباده كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ، فمن جليل مواهبه وعظيم نعمه وجزيل إحسانه ومننه على الانسان العقل الراجح والرأي الرصين والتمييز الصحيح التى لها نتائج العلوم الحقيقية ووجدان المعارف الروحانية والتأله الربانى

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن من أجل نتائج العقول وأشرف وجدانها الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المصلحة لنفوس معتقديها : وذلك ان الاراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المعينة لنفوس معتقديها على الانبعاث من نوم الغفلة ومن رقدة الجهالة ومحيية من موت الخطيئة ومنجية لها من نيران جهنم وعذاب الهاوية : عالم الكون والفساد وموصلة الى نعيم الجنان فى دار الحيوان : عالم الافلاك وسعة السموات ومقربة لها الى خالقها ومنشئها ومتممها ومكملها ومبلغها أتم غاياتها وأكمل نهاياتها عند باريها في دار الخلود والمقام هناك — متنعمة ملتذة فى دائم الاوقات مسرورة أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله .

ثم اعلم أن من أحد الآراء الصحيحة المنجية لنفوس معتقديها اعتقاد الموحدين بان العالم محدث مخترع مطوي فى قبضة باريه محتاج اليه في بقائه مفتقر اليه فى دوامه لا يستغنى عنه طرفة عين ولا عن امداد الفيض عليه ساعة فساعة ، وأنه لو منعه ذلك الفيض والحفظ والامساك لحظة واحدة لتهافتت السموات وبادت الافلاك وتساقطت الكواكب وعدمت الاركان وهلكت الخلائق ودثر العالم دفعة واحدة بلا زمان !! كما ذكر الله تعالى بقوله « ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعد » وبقوله تعالى : (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه)

واعلم يا أخي أن من يعتقد هذا الرأي ويتحقق هذا الاعتقاد فى أمر السموات والارض فهو في دائم الاوقات يكون متعلق القلب بربه معتصما بحبله متوكلا

عليه فى جميع أحواله مسنداً ظهره اليه في جميع تصرفاته داعياً له في جميع أوقاته سائلا منه كل حوائجه مفوضا اليه سائر أموره ، فيكون له بهذه الاوصاف قربة الى ربه وحياة لنفسه وهدوء لقلبه ونجاة من المهالك ، كما ذكر الله تعالى بقوله حكاية عن عبد من عباده وهو مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه في آخر خطاب طويل مع فرعون « وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيأت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب » فأما من يظن أو يتوهم أن العالم مستقل بذاته ومستغن فى وجوده عن فيض باريه عليه بالمادة والبقاء والحفظ والامساك ، فهو يكون معرضا عن ربه ناسيا ذكره غافلا عن دعائه مشغولا بما حوله من أعراض دنياه وما كازله فيها وملكه منها ! فهو لا يذكر ربه إلا ساهيا ولا يدعوه إلا لاهياً ولا يسأله إلا بطراً ورياء أو مضطراً عند الشدائد والبلوي والمصائب والضراء على كره منه وشكوك في حيرة وضلال ! لا يدري لم ابتلى ولا كيف عوفي هو ويكون جاهلا بربه حق معرفته فيبقى محجوبا عن ربه طول عمره فى دنياه « وفي الآخرة أعمى وأضل سبيلا » ومن الآراء الجيدة والاعتقادات النافعة لنفوس معتقديها المعينة لها على الانبعاث من نوم الغفلة المقيمة لها من رقدة الجهالة المحيية لها من موت الخطيئة المنجية لها من نيران الهاوية : عالم الكون والفساد ، الموصلة لها الى الجنة : عالم الافلاك وسعة السموات ، المقربة لها الى باريها لديه زلفى — اعتقاد الانسان العاقل وعلمه اليقين أنه متوجه الى ربه وقاصد نحوه منذ يوم خلقه نطفة فى قرار مكين ، ينقله ربه وخالقه حالا بعد حال من الانقص الى الاتم والاكمل ، ومن الادون الى الاشرف والافضل الى أن يلقى ربه ويراه ويشاهده فيوفيه حسابه ، كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى . وقال الله تعالى وعيداً وذماً وتوبيخاً لمن لا يعتقد هذا الرأى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون » ؟ « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن

آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن ملاك أمر الآخرة وزمام أمر المعاد هي معرفة حقيقة البعث والقيامة كلها هو في معرفة الانسان نفسه وحقيقة جوهرها ، وذلك أن كل انسان لايعرف نفسه ولا يميز بينها وبين الجسد تكون همته أكثرها مصروفة الى أمر الجسد وإصلاح شأنه والتمني للخلود في الدنيا والتمتع بلذة شهواتها .فأما كل من كان يعرف نفسه على الحقيقة فان أكثر همته تكون مصروفة الى حال النفس واصلاح شأنها والتفكر له في أمر معادها ودار قرارها والاستعداد للرحلة من الدنيا والتزود للمعاد واليقين بلقاء الله تعالى وقلة الخوف من الموت ، وهذه صفة أولياء الله تعالى واليهم أشار بقوله في توبيخه لليهود «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» وقال «يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» يعني في قولهم « نحن أبناء الله وأحباؤه»

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن من أفضل مناقب العقلاء كثرة العلوم والمعارف ، وأن من أشرف العلوم وأجل المعارف التي يبلغها العقلاء العلماء ، ويهدي الله أولياءه اليها من المؤمنين المصدقين ويكرمهم بها ، علم البعث ومعرفة حقيقة القيامة وكيفية تصاريف أحوالها . وقد ذكر الله سبحانه في القرآن تصاريف أحوالها في نحو من ألف وسبعمائة آية وأشار اليها بأوصاف شتى واشارات مفننة مثل قوله تعالى يوم القيامة (ويوم يبعثون) (ويوم الدين) (ويوم الفصل) (ويوم الحساب) (ويوم الآزفة) (ويوم التناد) (ويوم التغابن) (ويوم الحشر) (ويوم يخرجون) (ويوم تقوم الساعة) وماشاكل هذه الأوصاف والاشارات التي قد تاهت عقول أكثر العلماء في طلب حقائقها وتصور كيفياتها بكنه صفاتها ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم من أولياء الله وأصفيائه الذين يقولون (كل من عند ربنا) (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) (ولا يطلع على غيبه أحدا) (الا من ارتضى من رسول) (وهم من خشيته مشفقون)

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن علم البعث وحقيقة القيامة محجوب عن ابليس وذريته وأتباعه وجنوده من شياطين الجن والانس وهو سر الله الاعظم لا يطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى من أوليائه وأصفيائه وأهل مودته من ذرية آدم ومن ذرية نوح وذرية ابراهيم واسرائيل ، وممن هدى واجتبى ! اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً . جعلكم الله أيها الاخ وايانا منهم برحمته انه ودود رءوف رحيم

ونريد أن نلوح من هذا السر طرفاً ونشير اليه اشارة ما ، إذ لايجوز التصريح به اقتداء بسنة الله عز وجل (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال عليه السلام (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) اشارة الى مثل هؤلاء القوم الذين هم ظالم لنفسه .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أنه لما كان العقلاء متفاوتي الدرجات في ذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم وجودة تمييزهم ، صاروا أيضاً متفاوتي الدرجات في العلوم والمعارف ، كما بينا في رسالة الآراء والمذاهب .

ولما كان الأمر كما وصفنا لم يكن أن يخاطبوا بصريح الحقائق خطاباً واحداً إلا بألفاظ مشتركة المعاني ليحمل كل ذي لب وعقل وتمييز بحسب طاقته واتساعه في المعارف والعلوم ، كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله على سبيل المثل « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » قال المفسرون معنى هذه الآية وتأويلها أنه أنزل القرآن من السماء الى الارض كما أنزل المطر من الغيم فاحتملت القلوب من علم القرآن بحسب اتساعها في المعارف وصفاء جواهر النفوس ، كما تحمل الاودية من سيل المطر بحسب سعتها وجريانها

ثم افهم أن لفظ القلب ليس هو قطعة لحم صنوبرى الشكل المعلقة من الصدر الموجود في أكثر الحيوانات . وليس المراد من القلب ههنا ذاك ، بل مراد اخواننا أمر وراء ذلك وهي النفس

واعلم يا أخي أن لفظ البعث اسم مشترك في اللغة العربية يحتمل ثلاثة معان:

فمنها قول القائل بعثت يعنى أرسلت كما قال الله تعالى « بعث الله النبيين » يعنى أرسلهم ، ومنها ما يكون معنى البعث هو بعث الاجساد الميتة من القبور ونشر الابدان من التراب ، كما وعد الكفار والمنكرين بقولهم : « أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » قال الله تعالى «قل نعم» ومنها بعث النفوس الجاهلة من نوم الغفلة وإحياؤها من موت الجهالة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله «أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » وقوله تعالى : « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » وقوله لمحمد ﷺ (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً)

واعلم يا أخي أن من لا يوقن ببعث الأجساد ولا يتصوره فليس من الحكمة أن يخاطب ببعث النفوس لأن بعث الأجساد يمكن تصوره ويقرب فهمه وعلمه فأما من لا يقر به ولا يتصوره فهو لبعث النفوس أنكر وبه أجهل ومن تصوره أبعد ، لأن بعث النفوس هو من علم الخواص ولا يتصوره الا المرتاضون بالعلوم الالهية والمعارف الربانية ، وانما وعد الكفار أن يبعث أجسادهم ليوافقهم على تكذيبهم ويجازيهم بسوء أفعالهم ووعد الله المؤمنين أن يحيي نفوسهم ويبعث أرواحهم ليجازيهم على حسناتهم ويثيبهم بأعمالهم

فلا تكن يا أخي ممن ينتظر بعث الاجساد ويؤمل نشر الابدان فان ذلك ظلم عظيم في حقك اذا كنت تتوهم ذلك . ولكن ان استوى لك فكن من الذين ينتظرون بعث النفوس ويؤملون حياتها ووصولها الى عالمها الروحاني ودار قرارها الحيواني مخلداً في النعيم أبدالآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

فصل
في بعث الاجساد

واعلم يا أخي أن بعث الاجساد من القبور الدارسات وقيامها من التراب

انما يكون ذلك اذا ردت اليها تلك النفوس والارواح التى كانت متعلقة بها وقتا من الزمان فيما سلف من الدهر فتنتعش تلك الاجساد وتحيي تلك الابدان وتتحرك وتحس بعد ما كانت جموداً ثم تحشر وتحاسب وتجازى لأن الغرض من البعث هو المجازاة والمكافأة

واعلم يا أخي أن رد النفوس الناجية الى الاجسام الفانية في التراب من الرأس ربما يكون موتاً لها في الجهالة واستغراقا في ظلمات الاجسام وحبساً في أسر الطبيعة وغرقا في بحر الهيولى

فأما بعث النفوس وقيام الارواح فهو الانتباه من نوم الغفلة واليقظة من رقدة الجهالة والحياة بروح المعارف والخروج من ظلمات عالم الاجسام الطبيعية والنجاة من بحر الهيولى وأسر الطبيعة والترقي الى درجات عالم الارواح والرجوع الى عالمها الروحاني ومحلها النوراني ودارها الحيواني كما ذكر الله تعالى بقوله «ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» يعني أبناء الدنيا . فاذا كانت الدار هي الحيوان فما ظنك يا أخي بأهل الدار كيف تكون صفاتهم ونعيمهم ولذاتهم الا كما ذكر الله تعالى بقوله « فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون» لا يموتون فيها ولا يمرضون

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن العلوم كلها شريفة ونيلها عز لصاحبها وعرفانها نور لقلوب أهلها وهداية وحياة لنفوسهم وشفاء لصدورهم ويقظة لها من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ولذة للأرواح وصلاح للاجساد وتمام وكمال للاجسام وقوام للعالم ونظام للخلائق وترتيب للموجودات وزينة للكائنات ولكن قيل بعض العلوم أشرف وأفضل وأكرم ، فأشرف العلوم وأجل المعارف التي ينالها العقلاء المكلفون ، معرفة الله جل ثناؤه والعلم بصفات وحدانيته وأوصافه اللائقة به

ثم بعد هذا معرفة جوهر النفس وكيفية تصاريف أحوالها في جميع الازمان الماضية والآتية والحاضرة ، ثم كيفية تعلقها بالاجسام وتدبيرها للأجساد

واستعمالها الأبدان مدة ، ثم كيفية تركها لها ومفارقتها اياها وتفردها بذاتها ولحوقها بعالمها وعنصرها وجوهرها الكلي ، ثم معرفة البعث والقيامة والحشر والحساب والميزان والصراط ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذو الجلال والاكرام

واعلم يا أخي أن هذا الفن من العلوم هو لب الألباب واليه ندب ذوي العقول الراجحة والحكمة الفلسفية دون غيرهم من الناس ، لأن هذا الفن من العلم والمعارف آخر مرتبة ينتهي اليها الانسان في المعارف مما يلي رتبة الملائكة ، ومن أجل هذا هو مكلف متعبد وقاصد نحوه منذ يوم خلقه الله تعالى الى يوم يلقاه فيوفيه حسابه ، وهو الغرض الأقصى في وجود النفس وتعلقها بالأجساد ونشوئها معها وتتميمها وتكميلها

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أنك اذا أردت النظر في هذا العلم الشريف والبحث عن هذا السر اللطيف فنحتاج الى أن تقصد الى أهله وتسألهم عنه كما يقصد في سائر العلوم والصنائع الى أهلها ، كما قيل : استعينوا على كل صناعة بأهلها

واعلم يا أخي أن أهل هذه الصناعة وعلماء هذه الأسرار هم اخواننا الكرام الفضلاء . فانظر يا أخي فيما قالوا وتأمل ماوصفوه من حقائق الأشياء التي أنت مقر بها بلسانك وتؤمن بقلبك ، ثم تفكر فيما تسمع وتأمل مايوصف لك وميزه ببصيرتك واعرضه على عقلك الذي هو حجة الله عليك والقاضي بينك وبين أبناء جنسك ، فان اتضحت لك حقيقة ماتسمع وتصورت مايصفون وتيقنت مايخبرون فبتوفيق من الله وهداية منه . وإن تكن الأخرى كنت قد بذلت المجهود وأزلت العذر فيما أنت مكلف له « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

وإن لم يتفق لك يا أخي لقاء أحد من أهل هذه الصناعة بحيث أن تسأله عن حقيقة هذا السر ويعرفك ماتطلب وتريد أن تعلم أنت باجتهادك وعقلك وبصيرتك وتمييزك فاسلك في هذا البحث والنظر طريقة الحكماء النجباء ، واستعمل القياس البرهاني الذي هو ميزان العقول — كما وصف في المنطق — وقد بينا من علم

المنطق في رسائل شبه المدخل والمقدمات مافيه كفاية ، ولكن نذكر في هذا الفصل مثالا واحداً ليقرب به عليك مأخذه

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن علم الانسان المعلومات بعضها بطريق الحواس ، وبعضها بطريق السمع والروايات والاخبار ، وبعضها بطريق الفكر والروية والتأمل والعقل الغريزي ، وبعضها بطريق الوحي والالهام وليس هذا الفن باكتساب من الانسان ولا باختيار منه بل هو موهبة من الله تعالى وبعضها بطريق القياس والاستدلال ، وهو العقل المكتسب وبهذا العقل يفتخر العقلاء وبه يتفاضل الحكماء والفلاسفة .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أنك إذا طلبت علم البعث ومعرفة حقيقة القيامة ومايوصف من أحوالها فليست تخلو معرفتها من أحد هذه الطرق التي تقدم ذكرها : فان أردت أن تعرفها بطريق القياس والبرهان فاعمل في هذه المسألة وابحث — أعني معرفة البعث وعلم حقيقة القيامة — كما يعمل أصحاب المجسطي عند طلبهم معرفة عظم جرم الشمس . وذلك أنهم قالوا لايخلو جرم الشمس من أن يكون مساوياً لجرم الأرض أو أعظم أو أصغر منها في المقدار ، إذ ليس في القسمة العقلية غير هذه . ثم بحثوا عن واحد واحد من هذه الأقسام الثلاثة حتى عرفوا حقيقتها كما هو مذكور في كتبهم بشرح طويل

فاعمل أنت يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه في هذه المسألة مثل ماعمل هؤلاء في مسألتهم وهو أن تقول : لايخلو أمر البعث ومعنى القيامة أن تبعث الأجساد دون النفوس ، أو النفوس دون الأجساد ، أو الجميع إذ كان ليس في القسمة غير هذه الوجوه الثلاثة ، ثم ابحث وتصفح عن حقيقة واحد واحد من هذه الوجوه الثلاثة كما نبين في هذا الفصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن من يري ويعتقد بأن الانسان ليس هو شيء سوى هذه الجملة المحسوسة : أعني الجسد المؤلف من اللحم والدم والعظم والعروق وماشاكلها التي هي كلها أجسام طويلة عريضة عميقة وما يحلها

من الاعراض على البنية المخصوصة التى هى صورة الانسانية ، فهو لا يتحقق أمر البعث ولا يتصور حقيقة القيامة إلا اعادة هذه الاجساد برمتها وتلك الاجرام والاعراض بعينها ، على هذه الحال التي هى عليها الآن ، ثم يحشرون ويحاسبون الجسمانية والنوازع الجاذبة لها الى الاسباب الضرورية . من الجوع والعطش والغذاء والحر والبرد والآلام والأوجاع والامراض والاسقام والاحزان والمصائب والحدثان من جور السلطان وحسد الاخوان وعداوة الجيران ومقاساة غيظ الاقران ووساوس الشيطان وماهو مكلف به من حمل ثقل الطاعات والجهد في العبادات من الصوم والصلوات ومنع النفس عن الشهوات المركوزة في الجبلة والعادات المطبوعة وماعلى النفس في البدن من الكلية مع شدة هذه كلها يرى ويعتقد بأنه محبوس في هذه الدنيا الى وقت معلوم كما قال رسول الله ﷺ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » لان المؤمن الحق قد سجن نفسه بالمنع لها عن الشهوات والملاذ التى تراد الدنيا من أجلها . ومن كان يرى ويعتقد أمر الحياة في الدنيا على هذه الحال فهو لا يتصور أمر البعث ولا يتحقق أمر القيامة إلا مفارقة النفس الجسد بعد استقلالها بذاتها وتفردها بجوهرها ومشاهدتها عالمها ، ولا يسأل ربه إلا اللحوق بأبناء جنسها من الماضين من عباد الله الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، كما سأل ابراهيم خليل الرحمن ربه في آخر دعائه فقال : « وألحقنى بالصالحين » يريد بعد الموت . وهكذا يوسف الصديق : « توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » يريد بعد الموت . فقال الله تعالى لمحمد نبيه ﷺ وعلى جميع النبيين « وللآخرة خير لك من الاولى » وقال عليه السلام « أبى الله أن يجعل لاوليائه الخلود في الدنيا »

فمن كان هذا رأيه واعتقاده فهو لا يتصور البعث والقيامة إلا مفارقة النفس الجسد ، كما حكى عن رسول الله ﷺ أنه قال « من مات فقد قامت قيامته »

ويحكي عن بعض من كان يعتقد هذا الرأي أنه لقي أخا له من أهل رأيه فقال له : كيف أصبحت يا أخي فكيف حالك في هذه الدنيا فقال بخير ونرجو

خيراً من هذا أن سلمنا من آفاتها وبلياتها ان شاء الله تعالى ، فكيف أنت وكيف حالك ؟ قال : كيف تكون حال من يصبح في دار غربة أسيراً فقيراً لا يقدر على جر نفع مايرجو ولادفع ضر مايكره !! قال أخوه : كيف ذلك ؟ قال : لانهم قد يجازون بما عملوا من خير أو شر أو عرفان أو انكار

واعلم يا أخى أن هذا الرأي والاعتقاد جيد للنساء والصبيان والجهال والعوام ومن لا ينظر في حقائق العلوم ولا يعرفها :

وذلك أنهم اذا اعتقدوا هذا الرأي وتحققوا هذا الاعتقاد يكون ذلك حثاً لهم على عمل الخير وترك الشرور واجتناب المعاصى وفعل الطاعات وأداء الامانات وترك الخيانات والوفاء بالعهود وصحة المعاملة والنصيحة فيها وحسن الخلق وخصال كثيرة محمودة تتبعها ، ويكون ذلك صلاحاً لهم ولمن يعاملهم ويعاشرهم في الحياة الدنيا الى الممات

وأما من كان فوق هذه الطوائف فى العلوم والمعارف فهو يرى ويعتقد بأن مع هذه الأجساد جواهر أخر أشرف منها وأفضل ، وليست بأجسام تسمى أرواحاً أو نفوسا فهو لا يتصور أمر البعث ولا يتحقق أمر القيامة الا برد تلك النفوس والأرواح الى تلك الأجساد بعينها أو أجساد أخر تقوم مقامها ، ثم يحشرون ويحاسبون ويجازون بما عملوا من خير أو شر ، وهذا الرأي أجود وأقرب الى الحق وفى اعتقادهم له صلاح لهم ولغيرهم كما تقدم من قبل

وأما من كان فوق هذه الطائفة في العلم والمعارف والدراية فهو يرى ويعتقد بأن الغرض من كون هذه النفوس والارواح مع هذه الاجساد في الدنيا مدة ما هو من أجل أن تستتم ذواتها وتكمل صورها وتخرج من حد القوة والكون الى الفعل والظهور ، ولتستكمل أيضا فضائلها من عرفانها أمر المحسوسات وتخيلها رسوم المعقولات وتخرج بالآداب والرياضات والنظر في العلوم الطبيعيات والالهيات ، وبالاعتبار والتجارب والتدبير والسياسات ، وليكون ذلك سبباً لانتباه النفوس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف وينفتح لها

عين البصيرة لتنظر الى عالمها الروحاني وتشاهد دارها الحيواني ويتبين لها أنها في عالم الغربة وموضع المحنة والبلوى، غريقة في بحر الهيولى مبتلاة في أسر الطبيعة مشتعلة فيها نيران الهاوية الموقدة المطلعة على الافئدة من حريق الشهوات أصبحنا فى الدنيا معذبين في صورة المنعمين ، مجبورين في صورة المختارين ، مغرورين في صورة المغبوطين ، أحراراً كراماً في صورة عبيد مهانين مسلط علينا خمسة حكام يسوموننا سوء العذاب : ينفذون أحكامهم علينا شئنا أو أبينا ليست لنا حيلة في الخروج عن أحكامهم ولا دفع سلطانهم ولا الخلاص من جورهم الى الممات

قال أخبرني من هؤلاء الحكام ؟. قال : نعم : أولهم هذا الفلك الدوار الذي نحن في جوفه محبوسون ، وكواكبه السيارة التي لا تزال تدور علينا ليلا ونهاراً لا تقر ، تارة تجيئنا بالليل وظلمته ، وتارة بالنهار وحرارته ، وتارة بالصيف وسمائمه ، وتارة بالشتاء وزمهريره ، وتارة بالرياح العواصف في زعازعها ، وتارة بالغيوم وأمطارها ، وتارة بالرعود والزوابع وصواعقها ، وتارة بالجدب والغلاء والموتات والبلاء ، وتارة بالحروب والفتن ، وتارة بالهموم والاحزان ليس منها نجاة الا بجهد وبلوى وكدر وعناء وخوف ورجاء الى الممات ، ثم قال : فهذا واحد

وأما الآخر فهو هذه الطبيعة وأمورها المركوزة في الجبلة من حرارة الجوع ولهب العطش ونار الشبق وحريق الشهوات والآلام والامراض والأسقام وكثرة الحاجات ! ليس لنا شغل ليلا ولا نهارا إلا طلب الحيلة لجر المنفعة أو لدفع المضرة عن هذه الاجساد المستحيلة التي لا تقف على حالة واحدة طرفة عين ! فنفوسنا منها في جهد وبلاء وكد وعناء وبؤس وشقاء ! ليس لنا راحة الى الممات فهذان اثنان . وأما الثالث فهو هذا الناموس وأحكامه وحدوده وأوامره ونواهيه ووعيده وزجره وتهديده وتوبيخه : ان خرجنا من أحكامه فضرب الرقاب والحدود ، وإن فررنا منه لم نجد لذة العيش ولا صلاح الوجود في الوحدة ، وإن دخلنا تحت أحكامه فما نقاسي من الجهد والبلوى في اقامة حدوده أكثر مما يحصى

من ألم الجوع عند الصيام وتعب الابدان عند القيام للصلاة، ومقاساة برد الماء عند الطهارات ، ومجاهدة شح النفوس عند اخراج الزكاة ، والصدقات الواجبات ، ومشقة الأسفار والأحكام عند قضاء الحج والجهاد ، وما نقاسي من الألم عند ترك اللذات والشهوات المحرمات !! وإن لم نأتمر ولم ننته فالحدود والأحكام بحسب الجنايات ، ومع هذه كلها (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) فهذه حالنا ليس لنا منها خلاص ولا نجاة الى الممات ! فهذه ثلاثة وأما الرابع فهذا السلطان المسلط الجائر الذى قد ملك رقاب الناس بالقهر والغلبة واستعبدهم جبراً وكرهاً يتحكم عليهم كما يشاء ويرفع ويكرم من يريد ممن يخدمه ويطيعه ويتصرف بين يديه ويمتثل أمره ونهيه ويضع ويبعد من خالفه ويعذب ويقتل من خانه أو غشه! فاذا خرجنا من مملكته وفررنا من سلطانه فلا عيش لنا فى الوجود فى هذه الدنيا الا عيشا نكداً لاننا قد نحتاج في لذة العيش وصلاح المعاش الى الجم الغفير من المتعاونين فى المدن والقرى فى اصلاح أمر المعاش ولا بد لهم من سلطان يملكهم ويرؤسهم ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه ويتنازعون ، ويمنع الظالم القوي من التعدى على الضعيف المظلوم ويأمن لخوفه السبل ، ويأخذ الناس بلزوم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه التي في إقامتها وحفظها صلاح الجميع . فلهذه العلة وبهذا السبب لا يمكننا الخروج من المملكة ولا الفرار من سلطانه ، فان خدمناه وقمنا بواجب طاعته فما نقاسي من الجهد والبلوي أكثر مما يحصى من تعب الأبدان وهموم النفوس وعناء الارواح وتلف الاجساد واحتمال الذل وشماتة الحساد ومداراة الاخوان وعداوة الأقران ومشقة الأسفار ومخاوف الحروب وما يتكلف من التعب والعناء في جمع الآلات والاثاث من السلاح والدواب وحوائجها ومرافقها مما لا يحصى عدها كثرة وليس لنا منها راحة الى الممات . فهذه أربعة وأما الخامس فهو شدة الحاجة الى المواد التي لا قوام لهذا الهيكل الا بها من المأكولات والمشروبات واللباس والمسكن والمركب والاثاث وما لا بد منه فى

قوام الحياة الدنيا وما نقاسي من الجهد والبلوي في طلبها ليلنا ونهارنا في تعلم الصنائع والتجارات المتعبة والمكاسب المكدة من الحرث والزرع والبيع والشراء والمناقشة في الحساب والحرص والشره وجمع الاموال وحفظها من حيل اللصوص ومكابرة القطاع ، وأخذ السلطان لها بالجور والظلم وحراستها من الآفات العارضة التى لا يحصى عددها ، كل ذلك بالكد والعناء والهموم والغموم وتعب الابدان وعناء الارواح وشقاء النفوس التى لاراحة لنا منها الى الممات . فهذه حالنا ياأخى وحال أكثر أبناء جنسنا فى هذه الحياة الدنيا ، فأما من يريد المقام فى الدنيا ويتمنى الخلود فيها مع هذه الآفات كلها فهو من أجل احدى خلتين . أما أنه لايؤمن بالآخرة ولايصدق بالمعاد ولا يتصور الوجود الا هكذا ويظن ويتوهم أن بعد الموت عدم أو شر محض ! فمن أجل هذا الرأى وهذا الاعتقاد يريد المقام فى الدنيا ويتمنى الخلود فيها مع هذه الآفات كلها ويكون معذوراً فى تمنيه وارادته الخلود، لان فى جبلة الخلائق فى وطبائع الموجودات محبة البقاء وكراهية الفناء مذكور ذلك .

فمن أجل هذه الخصال والشرائط يرضى أكثر أبناء الدنيا المقام فيها ويتمنون الخلود ! فأما من قد تصور كيفية الدار الآخرة وتحقق أمر المعاد وعرف فضلها وشرفها وسرورها ولذاتها ونعيمها فأى عذر له فى التمنى للخلود فى الدنيا مع ماقد عرف من آفاتها وشرورها وأحزانها ومصائبها وبلياتها فاجتهد يا أخي في طلب معرفة الدار الآخرة وحقيقة أمر المعاد لكيما تساق نفسك اليها بعد الفراق مع أهلك زمراً كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً)

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أنك إن لم تعرف الدار الآخرة ولم تتحقق أمر المعاد قبل الممات وكانت نفسك فى الدنيا عمياء فهي بعد الممات فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، وحوشيت ياأخي من ذلك إن شاء الله تعالى .

واعلم ياأخى أن المقر بالاخرة المؤمن بالمعاد المصدق بها لايتصورها ولا يعرف حقيقتها الا بعد ماتنتبه نفسه من نوم الغفلة وتنبعث من موت الجهالة

وتحيا بروح المعارف وتنفتح عين البصيرة فتبصر عند ذلك بنور الهداية ماهو مقربه ومصدق له ، ويكون عند ذلك من أهل الاعراف ، كما حكى عن مستبشر لما سئل فقيل : كيف أصبحت ؟ فقال: أصبحت مؤمنا حقا ! قيل وما حقيقة إيمانك ؟ قال : أرى كأن القيامة قد قامت وكأني بعرش ربي بارزاً وكأن الخلائق فى الحساب وكأني بأهل الجنة فيها منعمين وأهل النار فيها معذبين . فقيل له : قد أصبت فالزم عن الطريق . واليه والى امثاله أشار جل ثناؤه بقوله : « وعلى الاعراف رجالا يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » . واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » وهم الرجال الذين (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (تعالى) فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)

فهل لك ياأخي أن ترغب فى صحبتهم وتسلك طريقهم وتطلب منهاجهم وتتخلق باخلاقهم وتسير بسيرتهم وتنظر فى علومهم لتعرف مذهبهم وتعتقد رأيهم وتعمل مثل عملهم لعلك تحشر معهم وتفوز بمفازتهم (لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون) وهم أولياء الله وعباده الصالحون الذين استثناهم بقوله فى قصة أبليس (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله: (إلا عبادك منهم المخلصين)

فاذا أردت ياأخى أن تعرف وتعلم أأنت منهم أم من غيرهم فاعلم أن لهم علامات يعرفون بها وسمات يستدل عليهم بها : فمن إحدى علامات أولياء الله المبعوثين من موت الجهالة المنبهين من رقدة الغفلة المستبصرين بعين اليقين ونور الهداية العارفين بحقائق الاشياء الشاهدين حساب يوم الدين، انهم قوم تستوي عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور وتصاريف الاحوال، فقد صارت الايام كلها عندهم عيداً واحداً وجمعة واحدة وصارت الاماكن كلها لهم مسجداً واحداً والجهات كلها قبلة ومحرابا أينما تولوا فثم وجه الله وصارت حركاتهم كلها عبادة لله وسكوناتهم طاعة له ، استوى عندهم مدح المادحين وذم الذامين ، لا يأخذهم في الله لومة لائم قياما لله بالقسط شهداء لله بالحق وهم على صلواتهم

دائمون . وانما استوت عندهم الاماكن كلها وصارت مسجداً وقبلة ومحراباً واحداً لتصديقهم قول الله تعالى (أينما تولوا فثم وجه الله) وصاروا شهداء بمشاهدتهم له وتصديقهم قوله : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ،ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولاأدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم).

وانما استوت عندهم الايام كلها فصارت جمعة وعيداً لمشاهدتهم يوم القيامة الذى هو من أول ما بعث الله محمداً عليه السلام الى تمام الف سنة كما قال ﷺ بعثت أنا والقيامة كهاتين .

وأيضا فانما استوى عندهم تغاير الازمان وتصاريف الاحوال لتصديقهم قول الله تعالى (ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وصار دعاؤهم مستجابا لانهم لايسألونه الا مايكون ،ولايكون الاماقدر في سابق العلم .فقلوبهم في راحة من التعلق بالاسباب وأبدانهم فارغة من تكلف مالايعنى به ، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس وهم فى راحة من انفسهم والناس منهم فى راحة وأمان ، لايريدون لاحد سوءاً ولا يضمرون شرا لاحد من الخلق عدواً كان أو صديقا ، مخالفا كان أو موافقا.

وهذه أيضا حكاية أخرى. فهذه محاورات جرت بين رجلين أحدهما من أولياء الله تعالى وعباده الصالحين الذين نجاهم الله من نار جهنم وأعتقهم من أسرها وأخلص نفوسهم من عداوة اهلها وأراح قلوبهم من ألم المعذبين فيها . والآخر من الهالكين المعذبين فيها بالوان العذاب المحرقة قلوبهم بحرارة عداوة أهلها المتألمة نفوسهم بعقوباتها : قال الناجي للهالك : كيف اصبحت يافلان ؟ قال : أصبحت فى نعمة من الله طالباً للزيادة راغباً فيها حريصاً على جمعها ناصراً لدين الله معادياً لاعداء الله محاربا لهم . قال الناجي : ومن أعداء الله هؤلاء ؟ قال : كل من خالفنى فى مذهبي واعتقادى . قال : وإن كان من أهل لا إله الا الله. قال نعم قال : إن ظفرت بهم ماذا تفعل بهم ؟ قال له : أدعوهم الى مذهبي واعتقادى

ورأيي .قال: فان لم يقبلوا منك ؟قال: أقاتلهم وأستحل دماءهم وأموالهم وأسبي ذراريهم قال : فان لم تقدر عليهم ماذا تفعل ؟ قال أدعوا عليهم ليلا ونهاراً وألعنهم فى الصلاة كل ذلك تقربا إلى الله تعالى . قال : فهل تعلم أنك إذا دعوت عليهم ولعنتهم يصيبهم شيء ؟ قال : لا أدرى ! ولكن إذا فعلت ماوصفت لك وجدت لقلبي راحة ولنفسي لذة ولصدرى شفاء . وقال له الناجي : أتدري لم ذلك ؟ قال : لا ولكن قل أنت . قال : لانك مريض النفس معذب القلب معاقب الروح لان اللذة إنما هي خروج من الآلام ، ثم اعلم أنك محبوس فى طبقة من طبقات جهنم وهي الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة الى أن تخلص منها وتنجو نفسك من عذابها إذا لقيت الله عز وجل كما وعد بقوله . (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) ثم قال الهالك للناجي : أخبرني أنت عن رأيك ومذهبك وحال نفسك كيف هي ؟ قال نعم : أما أنا فانى أرى أنى قد أصبحت فى نعمة من الله وإحسان لا أحصي عددها ولاأؤدي شكرها راضياً بما قسم الله لي وقدر صابراً لأحكامه لاأريد لأحد من الخلق سوءاً ولا أضمر لهم دغلا ولا أنوي لهم شراً ، نفسي فى راحة وقلبي فى فسحة والخلق من جهتي فى أمان ! أسلمت لربي مذهبي وديني دين ابراهيم عليه السلام ! أقول كما قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم)

فصل

ثم اعلم أن جهنم لها طبقات كثيرة وهى الأهواء المختلفة والجهالات المتراكمة التى النفوس فيها محبوسة ومعها موقوفة ، وقلوب أهلها معذبة منها بألوان من الآلام وهم فى العذاب مشتركون ، كلما مضت منهم أمة فانقرضت خلفها قوم آخرون من تلاميذهم وأتباعهم فى تلك المذاهب والآراء وكلما دخلت من الآراء أمة لعنت أختها المخالفة لها كما ذكر الله تعالى فى عدة سور من القرآن . قوله في سورة الاعراف «كلما دخلت أمة لعنت أختها » وفي سورة أخرى يلعن بعضهم

بعضا ويتعايرون ويتنادرون ويتباغضون وهم في العذاب مشتركون فهذه حالهم في الدنيا وفي الآخرة سواء وأشر لو كانوا يعلمون . وقاك الله وايانا شرهم برحمته

وأما ما قيل من تتعاطى علم النفس والطبيعة ما تقول يا أخي (١) ان الصانع الذي بنى هذه المدينة ، أعني جسد الانسان أهو الساكن فيها والمستعمل لها في هذه الساعة أو غيره ؟ فان كان المستعمل لها في هذه الساعة هو الذي بناها فلم لا يدري كيف بناها ولم لا يذكر كيف كانت فانا نرى أصحاب التشريح لم تعرف (٢) كيفية بنية هذا الجسد الا بعد هدمه ونقضه وخرابه وان كان هذا الذي بنى هذه البنية هو غير المستعمل لها هذه الساعة فترى بناؤها بناها بنفسه أو بناها على يدي غيره ، ثم سلمها الى المستعمل لها دون مافيها اترى أن هذا المستعمل لهذه البنية هو تلميذ ذلك الصانع الذي بنا هذه المدينة أو ابن له كان في ذلك الوقت صبياً جاهلا وصار الساعة بالغاً عاقلا حكيما ، وانما كان بالقوة فيخرج الآن الى الفعل والظهور ؟ ! أفتنا أيدك الله في ذلك وهدنا الى سواء الصراط مأجوراً

فصل

ذكروا أن ملكا كان عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة كثير الجنود والعبيد ولد له ولد ذكر كان أقرب الخلق شبهاً به والى والديه طبعا وخلقا

فلما تربى ونشأ وكمل ولاه أبوه بعض مملكته وأمر جنوده وعبيده بطاعته ، وأوصاه بحسن سياستهم وأباحه جميع النعمة ، غير أنه نهاه عن مرتبته فمكث الابن زمانا طويلا قدر نصف يوم متنعما متلذذاً الا إنه كان غاراً (١) ساهيا فحسده بعض عبيد أبيه ممن كان رئيسا قبله ، فقال له إنك لست تعرف نعمة ولا

(١) لعله يقصد : وماقولك فيمن يتعاطى علم النفس الخ لكن السياق مضطرب فتنبه

(٢) الصواب أن يقول : لم يعرفوا كيفيه الخ

تجد لذة لأنك منهي عن أرفع لذة ونعمة وممنوع من ألذ شهوة ، فان بادرت وطلبت الملك سبقت اليه ، فاغتر بقوله لأنه كان غراً جهولا وطلب ما ليس له أن يتناوله قبل حينه ويطلبه قبل وقته فسقطت مرتبته وانحطت درجته عند أبيه وبدت له سوأته واستبانت له خطيئته فهرب خوفا من أبيه ذاهبا في مملكته شبه المستتر ، فلقى العناء وأصابته البأساء والضراء وقاسى الجهد والبلاء ، فتذكر يوما ما كان فيه من نعمة أبيه فحزن على ما فاته وبكى أسفا ثم نعس فنام فخيل الى أبيه ، فقال : دعوه نائما الى يوم الجمعة : ثم رزق في اليوم الثاني ابنا آخر أشبه الناس بأخيه فتربى ونشأ وكمل ونما وكان حليما وقوراً شكوراً صبوراً فولاه أبوه بعض مملكته وأمرهم بطاعته وأوصاه بسياستهم ودعاهم وأمرهم ونهاهم فلم يسمعوا له ولم يطيعوا أمره لأنه كان شبه زحل ! بل آذوه فصبر زمانا ثم شكى الى ابيه فغضب عند ذلك عليهم ورمى اكثرهم الى الماء

فلما رأى ما أصابهم اغتم وحزن ونعس ونام وحمل الى ابيه فقال : اتركوه نائما الى يوم الجمعة ثم انه رزق في اليوم الثالث ابنا آخر وكان اشبه الناس بأخويه الذين تقدم ذكرهما فتربى ونشأ وكمل ونما وكان خيراً فاضلا عالما محجاجا ، فولاه أبوه مكان أخويه وأمر الرعية بطاعته وأوصى اليه بما أوصى الى أخويه ، فدعاهم وأمرهم ونهاهم فلم يسمعوا له ولم يطيعوه لأنه كان أشبه بالمشترى ، وفزعوه بالنار فذهب الى أبيه وبنى له هيكلا ونذر له قربانا وعمل مناسك ونادى في الناس هلموا تعالوا اتروا ما لم تروا وتسمعوا ما لم تسمعوا ، ثم نام وحمل الى الى أبيه فقال : اتركوه نائما الى يوم الجمعة وبقي نداؤه في مسامع النفوس يتوارثونه من غير أن يسمعوه ويذهبون الى هيكله فيرون ظاهره ومرآه ما لا يبصرون ويفعلون سنة مناسكه ولكنهم معناها لا يفهمون لأنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون

وأعيذك أيها الأخ أن تكون منهم وانظر بنور عقلك في رسالة أفعال الروحانية لعلك تعرف ما قلنا وتفهم ما اشرنا اليه . ثم انه رزق في اليوم الرابع

ابنا آخر فتربى ونشأ وكمل ونما وكان جلداً قويا جريئا مقداما فولاه ابوه مكان اخوته وامر الرعية بطاعته واوصى اليه بما كان اوصى الى اخوته ، فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا له ولم يطيعوه لانه كان شبه المريخ ! وبارزوه وبارزهم وناوشوه وناوشهم وكان مؤيداً بقوة ابيه فغلبهم وبدد شملهم وفرق جمعهم وشتت الفتهم ورماهم فى البر والبحر

ثم بقي وحيداً كالغريب يدعو فلا يجاب ويأمر فلا يهاب! فاغتم وحزن ونعس ونام وحمل الى ابيه فقال دعوه نائما الى يوم الجمعة. ثم انه رزق فى اليوم الخامس ابنا آخر أشبه الناس بأخيه الاول فتربى ونشأ وكمل ونما وكان هاديا رشيداً طيبا رفيقا فولاه أبوه مكان إخوته وأمر الرعية بطاعته وأوصى اليه بما أوصى الى إخوته ودعاهم وأمرهم ونهاهم فلم يتبعوه الا قليلا ولم يطيعوه الا يسيراً ، إلا انه كان يشبه الزهرة ثم وثبوا عليه فأخذوا منه القميص الذي خاطت أمه فذهب الى أبيه فاستنفر عليهم بجنوده وأيده بروح منه فسرى في نفوسهم وتحكم في لاهوتهم بدلا وقصاصاً لما تحكموا فى ناسوته ! وأراد أن ينزل من الرأس . فقال أبوه اصبروا الى يوم الجمعة . ثم قال أبوهم في اليوم السادس للنجوم : اختاروا لابنى الذي يشبه عطارد يوماً لينزل الى عالم الكون والفساد فينبه اخوته النيام ويناديهم الى حقه فقد رضيت عنهم ويأمرهم بالاستعداد للصلاة فان غداً هو العيد يوم الجمعة فيبرز القضاة ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ، فاجتمعت سادة النجوم ورؤساء الكواكب في بيت المريخ وتشاوروا بينهم

فقال رئيس الكواكب وملكها الشمس : أنا أختار له من قوتي وأزوده من فضائلي العظمة والرياسة والسلطان والعز والرفعة والبهجة والبهاء والمدح والثناء والبذل والعطاء . وقال شيخهم كيوان : أنا أختار له من قوتى الحلم والوقار والصبر والثبات وبعد الغور وعلو الهمة والحفظ والامانة والفكر والروية .

وقال برجيس القاضى العدل : انا اختار له من قوتى وازوده الدين والورع والخير والصلاح والعدل والانصاف والحق والصواب والصدق والوفاء والصيانة والمروءة . قال بهرام صاحب الجيوش انا اختار له من قوتى وازوده من فضائلي العزم والصرامة والنجدة والشجاعة والهمة والبسالة والظفر والغلبة والبذل والسخاء والتيقظ . وقالت الناهيد أخت النجوم : انا اختار له من قوتي وازوده من فضائلى الحسن والجمال والتمام والكمال والرأفة والرحمة والزينة والنظافة والحب والمودة والسرور واللذة

وقال اخوهم الاصغر وهو اخفاهم منظراً واجلهم مخبراً الذي صنعته اظهر وعلومه اكثر وعجائبه اشهر وازهر : انا اختار له من قوتى وازوده من فضائلى وأسوى (١) اليه من مناقبى الفصاحة والنطق والتمييز والفطنة والنظر واللطافة والقراءة والنغمة والعلوم والحكمة . وقالت أم النجوم وهى القمر ! أنا أرضعه وأربيه وأختار له من قوتى وأزوده من فضائلى النور والبهاء والزيادة والنماء والحركة فى الأقطار الثلاثة والتنقل فى الأسفار وبلوغ الآمال والسير والأخبار وعلم مواقيت الآجال . ثم إنه دارت الأفلاك وتمخضت قوي الروحانيات واستبشر أهل السموات ونزل الى عالم الكون في ليلة القدر قبل طلوع الفجر صاحب النشور لينفخ في الصور فمكث هذا المولود في الرحم أربعين يوما من أيام الشمس ، وعشرين يوما في الرضاع حتى تربى ونشأ وكمل ونما وكان أشبه الناس باخيه الثالث شبهاً لأنه كان يشبه عطارد الذي هو أخو المشتري لتقابل بينهما وتربيعهما وتقابل فلكهما فصار هذا المولود من بين اخوته أتمهم جثة وأكملهم صورة ، وكان أديباً عالما حكيما ملكا عزيزاً إماما عادلا نبياً مرسلا فولاه أبوه مملكته ومملكة اخوته كلها فظهر وقهر من خالفه ورفع وأعز من وافقه ، وتحكم في مملكته نحواً من ثلاثين يوما من أيام الشمس ، ثم أعجبته نفسه فأصابته العين فاعتل وبقى على

(١) لبس في كتب اللغة مايفهم منه : أن سوى بمعنى أعطى أو وهب وهو المراد من السياق كما جاء في الاصل

الفراش نحو ألف يوم من أيام القمر مرفه الجسم عليل النفس ، ثم تحول الى دار أخرى ونهض قليلا ومشى وقوي ونشط وانبسط وشرب من حب الدنيا وغرورها وأمانيها فسكر من خمر شهواتها ودخل الى كهف أبيه ونام مع اخوته فمكثوا زماناً طويلا ، فلما انقضى دور الرقاد وتقارب الميعاد ناداهم أبوهم : ألم يأن لكم أن تنتبهوا من نومكم وتستيقظوا من غفلتكم وتذكروا مانسيتم من أمر مبدئكم وترجعوا إلى معادكم من أسفاركم اذ لكل ابتداء انتهاء ولكل حياة فناء ، ولكل موت ونائم انتباه ، وبادروا الى معادكم من غربتكم فقد تم خلق السموات السبع في ستة أيام وغداً يوم الجمعة يستوي ربكم على العرش يحمله يومئذ ثمانية ! فانتبهت لذلك الاخوة الذين قيل لهم إنهم سبعة وثامنهم كلبهم بعد رقدتهم ثلاثمائة سنة وأربعة وخمسين يوماً من أيام الشمس بحساب القمر يتذاكرون كم لبثوا في كهفهم ! فقال أبوهم لأخيهم : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) فاخفوا وكتموا أسرارهم لأنه (لا يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فافهم يا أخي هذه الاشارات والتنبيهات وقس على ذلك نظائرها ولا تفش الأسرار لعلك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قبل أن ينفخ في الصور وقبل أن ينادى مناد للصلاة من يوم الجمعة (فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم) وقبل أن يحشر المجرمون الى جهنم ورداً . وتزود من الدنيا فانك راحل و (ان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) (ولا تبغ الفساد في الارض) (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

والله فقك وإيانا وجميع إخواننا الى طريق السداد انه رءوف بالعباد

﴿ تمت رسالة البعث والقيامة ويليها رسالة في كمية أجناس الحركات ﴾

الرسالة الثامنة

من النفسانيات العقليات

في كمية اجناس الحركات

﴿ وهي الرسالة التاسعة والثلاثون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم ايها الاخ أنا قد فرغنا من رسالة البعث والقيامة ، وكنا قد بينا قبل ذلك ماهية الاجسام وكمية انواعها وبينا ايضا ان الاجسام لاتنفك من الحركة والسكون ، وقد بينا ان المحرك والمسكن للاجسام هي النفس في رسائلنا الطبيعيات والالهيات . ونريد الآن ان نبين في هذه الرسالة ماهية الحركات وكمية انواعها والجهات التي تتحرك المتحركات اليها وفيها فنقول :

اولا ما الحركة وما السكون ؟ وذلك ان العلماء والحكماء قد اختلفوا في ماهية الحركة والسكون وحقيقتهما فمنهم من اثبتهما ومنهم من نفاهما وقال لاحقيقة لهما ولامعنى ، ومنهم من قال ان الحركة لاتكون إلا من حي قادر ، ومنهم من قال إنها هي الحياة نفسها . ويطول ذلك لو شرحنا اختلاف أقاويلهم واحتجاجاتهم ولكن نقول :

إن الحركة هي صورة روحانية تجعلها النفس في الأجسام فبها تكون الاجسام متحركة كما تجعل الأشكال والنقوش والصور والألوان في الأجسام ، وبها

تكون الاجسام مصورة منقشة مشكلة متحركة ، فالنفوس هي المحركة للاجسام والاجسام هي المحركات والمسكنات بتحريك النفوس لها وتسكينها إياها ، كما بينا في رسالة الهيولى والصورة . والتحريك هو فعل النفس . والحركة هي صورة تجعلها النفس في الجسم بها يكون الجسم متحركا . وأما التسكين فهو أيضاً فعل من أفعال النفس تحرك الجسم تارة وتسكنه أخرى : مثال ذلك أن الانسان يحرك يده تارة ويسكنها أخرى

وإذ قد تبين مما ذكرنا ماالحركة وماالسكون ، نريد الآن أن نذكر كمية أنواعها وماهية كل نوع منها فنقول :

اعلم أن الحركة نوعان : جسماني وروحاني ، كما سنبين ، فالحركة الجسمانية ستة أنواع وهي : الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة . ونريد أن نتكلم أولا في الحركات التى هى النقلة إذ كانت هي أبين وأظهر للحواس ، ثم نذكر الخمسة الباقية إذ كانت هي أدق وألطف فنقول : ان الحركة التى هي النقلة ثلاثة أنواع مستقيمة ومستديرة ومركبة منهما ، فالحركة المستقيمة نوعان من المركز الى المحيط ومن المحيط الى المركز يعنى مركزالعالم ومحيط العالم أو بين ذلك . وأما المستديرة فهى التى تكون حول المركز

وإذ قد تبين بما ذكرنا كمية أنواع الحركات التى هي النقلة فنريد أيضاً أن نذكر المحركات إذ كانت هي أبين وأظهر للحواس فنقول :

ان المحركات اثناعشر نوعاً حسب . لاأقل ولاأكثر . منها حركات الافلاك التسعة ، ومنها حركات الكواكب السيارة ، ومنها حركات الكواكب ذوات الأذناب ، ومنها حركات الشهب ، ومنها حركات الهواء والرياح ، ومنها حركات حوادث الجو والسحاب والغيوم ، ومنها حركات مياه البحاروالانهاروالامطار ، ومنها حركات مايحدث في بواطن الارض من الزلازل والخسوف ، ومنهاحركات الكائنات من الجواهر المعدنية في باطن الارض ، ومنهاحركات النبات والاشجار على وجه الارض ، ومنها حركات الحيوانات في الجهات الست من البحر والبر والهواء .

وأماجهات الحركات فمختلفة جداً كثيرة الضروب والصور ولكن لاتخلو كلها إما أن تكون من مركز العالم نحو المحيط أو من المحيط نحو المركز أو حول المركز أو مؤرباً بين ذلك

﴿ فصل ﴾

في تفصيل ذلك

فنقول : أما حركات الأفلاك التسعة فكلها حول الارض لانها مركزها والارض مركز العالم بأسره ، وهكذا أيضاً حركات الكواكب الثابتة حول مركز العالم ، وأما حركات الكواكب السيارة السبعة فحول مركز أفلاكها المستديرة : وأما حركات الافلاك حول مراكز أفلاك أخر تسمى الافلاك الحاملة ، وحركات تلك الافلاك حول مركز الافلاك الخارجة المركز من مركز الارض ، كما بين ذلك في المجسطى ببراهين هندسية ضرورية بشرح طويل

وأما الحركات التى ترى الكواكب السيارة على توالي فلك البروج وبالميل والعرض والرجوع والاستقامة وماشا كلها فقد بينا حقيقتها في رسالة السماء والعالم بمثالات ذكرناها ، وأما شرحها فتجدها في المجسطي ، وأما كمية تلك الحركات فتسع وأربعون حركة للسيارة ، لكل واحد سبع حركات ، وللكواكب الثابتة سبع أخرى ، ولفلك البروج حركة واحدة ، فذلك سبع وخمسون حركة وأما الكواكب التى تسمى ذوات الاذناب فليست هي بكواكب بل هي نيرات تظهر دون فلك القمر في كرة الاثير ، وأما حركاتها فمختلفة تارة تكون نحو كرة المغرب مع دوران الفلك المحيط ، وتارة على توالي فلك البروج نحو المشرق أو مائلا طولا وعرضاً بحسب مايوجبه شكل الفلك وأحكام النجوم ، وأن حدوثها يكون دون فلك القمر في كرة الاثير كما يكون حدوث الشهب ما بين كرة الاثير وكرة الزمهرير ، والذي يكون من حدث البروق في كرة النسيم دون كرة الزمهرير وكل هذه حوادث تكون في عالم الكون والفساد بحسب موجبات أحكام

النجوم يطول فيها القول في كيف وكم ومتى ولماذا . وأما كمية أنواع حركات الرياح فهي الى ست : وذلك أن الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء لأن الهواء بحر لطيف ما بين السماء والأرض ، فاذا تموج من المشرق الى المغرب سمي الصبا ، وان تموج بالعكس سمي دبوراً ، وان تموج من الجنوب الى الشمال سمي التيمن ، وان تموج بالعكس فهي الجربى ، وان تموج من أسفل الى فوق سمي الزوائغ(١) وان تموج بالعكس سمي الزمهرير ، وبالفارسية اباددمه ، وهي التى هلكت بها عاد كانت تنفخت عليهم من كرة الزمهرير « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً »

وأما التى تتحرك من غير هذه الجهات فتسمى النكباوات وهي كثيرة الجهات والمعروف منها أربع : نكباء الشمال ، ونكباء الجنوب ، ونكباء المشرق ، ونكباء المغرب

وأما الاسباب المحركة للهواء المموجة لها فمنها ماهو من جهة مطارح الشعاعات من الكواكب ونزول القمر منازله الثماني والعشرين واتصالاته بالكواكب . وقد ذكرنا طرفا من كيفية ذلك في رسالة الآثار العلوية فيطلب من هناك

وأما حركات الشهب فهي أيضاً الى الجهات الاربع أو نكباواتها بحسب القوة الدافعة لها من مطارح شعاعات الكواكب ، وليست حركاتها بأسرع من حركات الكواكب في أفلاكها ولكن لقربها منا نراها أسرع حركة من الكواكب

وأما حركات السحاب والغيوم فالى هذه الجهات الاربع أيضاً نكباواتها وهي بحسب مهب الرياح التى تسوقها من سواحل البحار والآجام والانهار الى البلدان المقصود بها من البراري والقفار ورؤوس الجبال منتصباً أو مؤرباً

وأما حركات قطر الامطار فكلها تجري من جو الهواء الى الارض والبحار منتصباً أو مؤرباً

(١) لعل الاصوب : الزوابع

وأما حركات الارض فهي ثلاثة أنواع : منها الزلازل ومنها الخسوف ومنها الارجحان ، فأما سبب الزلزلة فهو البخار المحتقن في باطن الارض يطلب الخروج فيهز بعض بقاع الارض وتضطرب وترتعد كما يرتعد المحموم عند شدة الحمى . وسبب ذلك هو رطوبة عفنة في خلل الابدان فتشتعل منها الحرارة العرضية فتذيبها وتحللها وتصيرها دخاناً وبخاراً يخرج من مسام خلل الابدان فيهتز من ذلك البدن كله أو عضو منه ويرتعد ، ولا يزال البدن كذلك إلى أن تخرج تلك البخارات والدخانات من هناك وتفنى مادتها وتخمد تلك وتسكن ، وكذلك حركات بقاع الارض عند الزلازل وربما ينشق ظاهر الارض وتخرج تلك الرياح والدخانات والبخار المحتقن المحتبس دفعة واحدة وتنخسف الارض والبقاع ويقع في تلك الاهوية كما ينخسف سقف البيت ويقع في أرضه

وأما حركات الارجحنان فعند الحكماء انها تترجح تارة من الجنوب الى الشمال وتارة بالعكس ولكن الناس لا يحسون بها لكبر الارض وعظمها كما لا يحس أهل المراكب في البحر بحركاتها عند شدة سوق الرياح لها . وذكر هذا الحكيم أن علة تلك الحركة هي مرور الشمس ، تارة من البروج الجنوبية الى البروج الشمالية ، وتارة من الشمالية الى الجنوبية وانما تجذبها الى حيث دارت ومعها كيف مالت كما تجذب نباتها من باطنها الى ظاهرها وكما تجذب أصول النبات وفروعها الى الهواء. ومن الحكماء من قال إن سبب ذلك هو أنه من دوران الشمس فوق الارض في ناحية الشمال ستة أشهر في الصيف ، كما ذكر في المجسطي ، سخنت أهوية تلك البلاد ومياهها وتحللت رطوبة تلك البلاد وخلا ذلك الجانب وتحركت الارض وترجحت وثقل الجانب الآخر وتحركت الارض ، وينقل المراكز البعد والثقل جميعاً ، وترجحت الارض ولكن لا يحس بها لكبرها . ولهم في هذا احتجاجات وكلام وأقاويل يطول شرحها

فأما الذين أنكروا ذلك من الحكماء ودافعوا ان تترجح الارض فقالوا : لو كان القول كما قيل وكما زعموا لكان يجب أن تختلف مسامتات الكواكب

الثابتة لبقاع الارض في الشتاء والصيف ، وكان يجب أن يرتفع القطبان تارة وينخفضا تارة ، وكان يجب أن يكون موضع خط الاستواء الذي تحت معدل النهار مختلفا ، ولسنا نجد الامر كذلك فدل على أن ما قالوه من ارجحان الارض باطل . وقد روى في الخبر أن الارض في بدء الخلق كانت تترجح كما قال هؤلاء الحكماء ، فلما أرساها الله تعالى وشيدها بالجبال الثقال استثقلت وسكنت حركاتها

وأما حكم حركات باطن أجزاء الارض فقد قدمنا طرفا منها في رسالة المعادن ولكن نذكر في هذا الفصل ما لا بد منه

فصل

اعلم ان الارض جسم كرى بجميع ما عليها من الجبال والبحار والعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم وليست مستديرة ملساء ولا مصمتة صماء ، بل كثيرة الارتفاع والانخفاض من الجبال والتلال والاودية والاهوية كثيرة التخلخل والتجويفات والكهوف والغارات والمنافذ والظواهر والبواطن ، وكلها ممتلئة مياها ورطوبات وبخارات دهنية وكبريتية تنعقد منها الجواهر المعدنية

وتلك البخارات والدخانات والرطوبات في دائم الأوقات في الاستحالة والتغير والكون والفساد .

وهكذا حكم ظاهرها فانها كثيرة البحار والأنهار والأودية والجداول والبطائح والآجام والغدران وفيها منافذ وخليجات يجري بعضها الى بعض في دائم الاوقات وأمواج البحار متصلة في دائم الاوقات ليلا ونهارا لا تفتر ولا تهدأ وتصاريف الرياح كذلك ، والغيوم والامطار والسحاب والضباب دائمات الكون والفساد ، والامطار متصلة في دائم الاوقات في بلدان مختلفة البقاع شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، بل حكم الليل والنهار والشتاء والصيف الموجودات في الأوقات في بلدان شتى يتعاقب على بقاع الارض من كل جانب ، والنبات والحيوان والمعادن

في الكون والفساد متصل لا ينقطع ، والسفاد والنكاح والتوالد والحس والحركة والنوم واليقظة والموت والحياة متصلة في الخليقة !

وما في الارض موضع شبر إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان قل أم كثر صغر أم كبر ، مختلف الاجناس والانواع والأشخاص والاشكال والصور والطباع والمزاج والاخلاق والالوان والاصوات لا يعلم أحد كنهها وكثرتها وتفصيلها الا الله تعالى الذي خلقها وصورها ودبرها كما شاء وكيف شاء فتبارك الله رب العالمين .

واذا تأملت يا أخي واعتبرت ما وصفنا من أحوال الحركات والمتحركات التي في العالم علمت وتبين لك ان حكم العالم بجميع أجزائه ومجاري أموره تجري مجرى مدينة واحدة أو حيوان واحد أو انسان واحد لا ينفك من الحركة والسكون إما بكليته أو بجزئيته.

وقد بينا في رسالة ماهية الطبيعة ورسالة السماء والعالم أن سبب حركات الاركان ومولداتها هو حركات الكواكب ، وسبب حركات الكواكب دوران الافلاك والمحرك والمدبر للافلاك هي النفس الكلية الفلكية فان النفس الكلية الفلكية هي ملك من الملائكة المقربين وجنوده وأعوانه ، وهو الذي أشير اليه بقوله تعالى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن » وقال تعالى « ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » . وهذا الملك وكله الله تعالى بادارة الافلاك وحركات الكواكب وما تحت فلك القمر من سائر الأركان ومولداتها من المعادن والنبات والحيوان أجمع ، وهذا الملك هو أكبر من الفلك وأقوى منه وأعظم وأقدم وأشرف وأجل وأعلى من سائر الخلائق الجسمانيين ، وهو يقدر على تسكين الافلاك والكواكب كما يقدر على تحريكها لان التسكين أسهل من التحريك يعلمه كل عاقل منصف بحكم العقل

وأما حركات أشخاص الحيوانات فهي مختلفة الجهات والاشكال والهيئات والصور لا يعلم عددها الا الله الواحد القهار ، ولا يقدر أحد على تفصيلها إلا هو

ولكن نذكر منها طرفا من فنون حركات أعضاء بدن الانسان ومفاصل جسده ليكون دلالة على حركات أبدان سائر الحيوانات وأعضائها كلها المختلفة الاشكال والصور

فصل

فنقول اعلم أن حركات أعضاء البدن نوعان : طبيعية وارادية ، فالطبيعية مثل حركات نبض العروق الضوارب وحركات أضلاع صدره وفؤاده ورئته وحلقومه عند استنشاقه الهواء وإرساله في حال النوم واليقظة من غير ارادة منه ولا اختيار.

وأما الحركات الارادية والاختيارية فمثل القيام والقعود والذهاب والمجيء والصنائع والاعمال والكلام والاشارات باعضاء بدنه ، فانه لا يكون الا بارادة واختيار منه ، وهى مائة ونيف وعشرون حركة منها حركات لجفن العين بالفتح والاطباق

ومنها حركة تقل حدقتيه إلى اربع جهات فوق وتحت ويمين ويسار يحركها باعصاب ممتدة من الدماغ الى جرم العين وبالعضلات المتصلة بالعين فهو يقلب عينه بتلك العضلات والاعصاب متى شاء الى الجهات كلها كما يجذب الفارس لجام فرسه يمنة ويسرة ويصرفه كيف يشاء في تقلب عينه ويحركها الى حيث يريد أن ينظر اليه بتلك الاعصاب .

ومنها حركات اللسان الى ست جهات لمضغ الطعام وتقليبه تحت أسنانه للقطع والكسر والدق والطحن والقطع بالثنايا والكسر بالرباعيات والأنياب والدق والطحن بالاضراس والطواحن

وأما حركات اللسان عند الكلام فانا نذكرها في فصل آخر : منها حركات اللسان أيضاً عند قطع الشفتين لحدوث الحروف التي مجراها على اللسان وهي

أربعة عشر حرفاً في لغة العرب . وهي هذه ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن والاربعة عشر حرفاً أخرى فخارجها مختلفة ليس للسان فيها مدخل.

ثم اعلم أن هذه الاحرف لا تحدث الا بارسال النفس المستنشق من الهواء وارساله وقطع اللسان لها في مخارجها ومجاريها كما نبين ذلك في فصل آخر

ومنها حركتان للشفتين بالفتح والضم ومنها حركات عصبات الخياشم عند استنشاق الهواء والروائح بالمنخرين.

ومنها حركات المريء للبلع وازدراد الطعام والشراب وإيصالها الى المعدة ومنها حركة الفك السفلانى الى أربع جهات ، ومنها حركات الرأس والرقبة الى أربع جهات ، ومنها حركات الكفين الى أربع ، ومنها حركات العضدين مثل ذلك ، ومنها حركات الذراع الى جهتين ، ومنها حركات الكرسوع الى أربع جهات ، ومنها حركات الاصابع الاربع كل واحدة الى جهتين إلا الابهام فانها تتحرك الى الجهات الاربع ، ومنها حركات الظهر الى أربع جهات ، ومنها حركات الفخذين الى أربع جهات ، ومنها حركات الساقين الى جهتين ، ومنها حركات أصابع الرجل الى جهتين ، ومنها حركات السبيلين عند اطلاق البول والغائط ، فهذه جملة مختصرة من تعديد أعضاء بدن الانسان . فأما عللها فيطول شرحها مذكور بعضها في كتب التشريح ، وبعضها في كتاب منافع سائر الاعضاء لجالينوس . وأما حركات أعضاء أبدان سائر الحيوانات فيطول شرحها لكثرة اختلافها وصورها وأشكال أعضائها وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الحيوانات على لسان رسول النحل عند ملك الجن في الخطاب .

فأما حركات الصناع وأصحاب الحرف في صنائعهم وأعمالهم فقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الصنائع العملية . فأما حركات الحواس الخمس عند إدراكها محسوساتها فقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الحاس والمحسوس .

وأما حركات عصبات مقدم الدماغ ووسطه ومؤخره فقد ذكرناها في رسالة الآراء والمذاهب والديانات . وأما حركات النبات فقد بينا طرفا منها في رسالة

النبات . وأما حركات الجواهر المعدنية ففي رسالة أخرى . وأما حركات الجو والهواء ففى رسالة الآثار العلوية . وأما حركات الاركان الاربعة فقد بيناها في رسالة الكون والفساد . وأما حركات الافلاك والكواكب ففي رسالة السماء والعالم . وأما حركات الاصوات ففي رسالة الموسيقى . وحركات الآلام واللذات فى رسالة أخرى : فقد ذكرنا فى كل رسالة مايليق بحسبه ، وانما طولنا ذكر الحركات وزدنا فى شرحها لانها هي حياة العالم : وذلك أن حياة كل شيء من نبت وحيوان بالماء ، وحياة الماء بالحركة وحياة الابدان بالنفس ، وحياة النفس بالفكر والجولان والخواطر كما ذكرنا طرفا منها فى رسالة الايمان وهي لاتهدأ اعنى النفس لا في النوم ولا في اليقظة عن الحركات والجولان

فصل

ثم اعلم أن غرضنا من ذكر حركات العالم وحركات أجزائه الكليات والجزئيات وفنون تصاريفها هو بيان بطلان قول من يقول بقدم العالم ، وذلك لأن الحركات المختلفة تدل على اختلافها والمتحرك والمختلف الاحوال لا يكون قديما لان القديم هو الذي يكون على حالة واحدة لايتغير ولايستحيل ولايحدث له حال ، وذلك ليس يوجد موجود هذا شأنه إلا الله الواحد الاحد ، ولا يمكن أن يوجد شيء سوي الله تعالى هذا شأنه .

ثم اعلم أن الذين قالوا بقدم العالم ظنوا بأنه ساكن والساكن لا تختلف أحواله وليس الأمر كما ظنوا وتوهموا من سكون العالم كما بينا فيما تقدم بكثرة حركات كلياته وجزئياته ما لا تنكره العقول السليمة : فمنها حركات الكواكب ودوران الافلاك واستحالات الاركان وتكوين المولدات مما لا خفاء به .

ولعمرى ان الفلك المحيط هو جسم كروى محيط بسائر الأشياء والافلاك وهو ساكن فى مقره لا ينتقل منه ولكنه متحرك أجزائه كلها ، وكل فلك من الافلاك المستديرة والافلاك الخارجة المراكز يدور كل واحد حول مركزه

الخاص لا يقر ولا يهدأ طرفة عين ، ولا يمكن أن يتوهم بسرعة حركتها إلا شيء نذكره ، وذلك أن الدوارة هي أسرع شيء حركة نشاهدها . وقد ذكر أصحاب المجسطى أن حركات الافلاك والكواكب أسرع من ذلك وقد بينوها ببراهين هندسية ضرورية : فمن ذلك ماقالوه في حركة الشمس أنها تتحرك فى مقدار ما يشيل الانسان رجله بخطوة من خطواته ويضعها تمشى فراسخ .

ثم اعلم أن كل حركة في متحرك فهي متحركة له وهي سبب لشيء آخر ، فمتى عدمت تلك الحركة بطل ذلك السبب .

مثال ذلك حركة الرحى عن الدابة التى تديرها أو الماء وهي سبب الطحن ، فمتى وقفت الدابة وانقطع الماء سكنت الرحى وعدم الطحن ! فهكذا حكم الدولاب متى وقفت الدابة سكن دوران الدولاب وعدم الاستقاء ، وهكذا حكم الرياح وتحريكها المراكب والسفن والمياه فمتى سكنت الرياح وقفت مراكب البحر عن السير وسكنت الامواج ، وهكذا أيضاً مراكب الانهار والسماريات فى جريانها متى توهم عدم الماء ووقوفها وجريان الانهار وقفت المراكب والسماريات والسفن واقفة عن الانحدار والاصعاد ، وهكذا متى سكنت حركات قوائم الحيوان ماتت ، وهكذا متى سكنت حركات أبدانها وأعضائها عن النبض والتنفس ماتت وبطلت حياتها ، وهكذا متى وقفت الكواكب السبعة السيارة في البروج عن دورانها وقفت الامور التى تحت عالم الكون والفساد من الحيوان والنبات عن حركاتها وتكوينها ، يعرف حقيقة هذا من كان حاذقا بصناعة النجوم وتكلم عليها

والمثال في ذلك كرواحة متى وقفت عن الدوران سقطت بعد ما كانت قائمة منتصبة عند حركاتها ، فهكذا حكم العالم متى وقف الفلك المحيط عن الدوران وقفت الكواكب عن المسير والحركات ! ووقفت عندذلك مجاري الليل والنهار والشتاء والصيف فيبطل عند ذلك الكون والفساد ويبطل نظام العالم وتذهب الخلائق وتفارق النفس الكلية الجسم الكلي وتقوم القيامة الكبرى . وذلك أن العالم هو انسان كبير فاذا فارقت نفس العالم الجسم الكلي فقد مات الانسان

الكبير وقد قامت قيامته الكبرى ، كما ان كل انسان اذا فارقت النفس جسده فقد مات الانسان الذي هو عالم صغير وقد قامت قيامته لان القيامة قيامتان : قيامة كبرى وقيامة صغرى كما قال عليه السلام : « من مات فقد قامت قيامته » ثم بعد ذلك تبين للمنكرين ما كانوا يوعدون

فصل

في بيان مقدمات عقلية ضرورية تدل على ان العالم محدث مصنوع

فنقول : اعلم أن معنى قول الحكماء العالم هو اشارة الى الفلك المحيط ومايحويه من سائر الافلاك والكواكب والبروج والاركان الاربعة ومولداتها التى هي الحيوان والمعادن ، ثم نقول : اعلم أن الفلك المحيط ومايحويه من جميع ماذكر كلها أجسام ، ومما لاشك فيه عند الحكماء أن الجسم عبارة عن الشيء الطويل العريض العميق وقولهم الشيء اشارة الى الهيولى وهو الجوهر ، والطول والعرض والعمق اشارة الى الصورة التى صارت بها الهيولى جسما طويلا عريضاً عميقاً . ثم اعلم أن من الاجسام ماهو متحرك دائماً وهي الافلاك والكواكب ، ومنها ماهي ساكنة بكليتها متحركة بأجزائها وهي الاركان الاربعة ، وذلك أن النار التى دون فلك القمر لاتبرح من مكانها وهى المسمى الاثير وهو هواء حار لين ليس له ضوء ودونه هواء بارد يسمى الزمهرير وليس يبرح أيضاً من مكانه ، ودونه النسيم المحيط بالارض والبحار ، وهو هواء معتدل بين الحرارة والبرودة وكل هذه الاكر الثلاثة لاتبرح من مكانها بل هي متحركة بأجزائها ، ومنها ماهي متحركة تارة بكليتها وجزئيتها وتارة ساكنة بكليتها وجزئيتها وهى المولدات الكائنة من الحيوان والنبات . وكل هذه الاجسام المتحركات والساكنات يقتضى محركا ومسكناً

بيان ذلك أن الفلك لما كان أجساما كريات مستديرات مشفات محيطات بعضها ببعض : الصغير منها فى جوف الكبير والكبير فى جوف ماهو أكبر منه الى أن ينتهي الى الفلك التاسع المحيط بالكل .

وكل هذه الافلاك متحركات حركات مستديرة مختلفة فى السرعة والابطاء ، والجهات المختلفة شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وطولا وعرضا .

وهكذا حكم حركات الكواكب فانها كلها أجسام كريات مستديرات مضيئات بحركات مستديرة مختلفة ، كما بين في المجسطي ببراهين هندسية عقلية ضرورية تدل هذه من أحوالها المختلفة الاشكال من الصغر والكبر والابطاء والسرعة وغير ذلك على انها واقفة بقصد قاصد وصنع صانع وجعل جاعل وفعل فاعل حكيم قادر عالم

وهكذا حكم الاركان الاربعة ومولداتها من الحيوان والنبات والمعادن من اختلاف أحوالها وفنون تصاويرها وتغير أوصافها تدل على انها كلها من صنع صانع حكيم بصير قادر وهو الله الواحد القهار العزيز الغفار.

فعند ذلك بطل قول المنجمين فيما يدعونه من تأثير الكواكب لقيام الادلة بانها مضطرة مسخرة إذ المضطر لافعل له والفعل لمن يضطره ويبعد عليه قدرته! ومن تعدى هذا الحكم فقد ظلم ولا يبعد الله الا لظالم قال بما لا يعلم

فصل

فى بيان مشاهدة العلماء الحكماء العارفين المستبصرين الذين هم أولياء الله المصطفون الذين يرون صانع العالم بعين البصيرة

فنقول : اعلم أن الجسم ذو جهات لايمكنه أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة ، وليست حركته الى جهة أولى من جهة إلا لسبب أو علة بها تكون تلك الحركة من تحريك غيره اياه.

فاعلم أن صانع العالم لما كان محتجباً عن ابصار الناظرين الذين هم به جاهلون أثر الصنعة في مصنوعاته ظاهراً جليا بينا لايخفى على كل عاقل منصف لعقله وان كان لايدري الصنعة لمن هى ومن عمله ومتى صوره ومن أي شيء خلقه وكيف صوره وواحد عمله أو أكثر ، وان كان العمل لواحد فعلى مثال احتذاه بفعله

اياه أو يعرف مثال عمله ؟ ولم فعل بعد ان لم يكن فعل ؟! فمشاهدتهم أثر الصنعة فى المصنوع — وهي التى ذكرنا من اختلاف احوالها — دلالة على أنها كلها بقصد قاصد وصنع صانع وفعل حكيم قادر وان كانوا ليسوا يرونه ولا يدرون من هو لجهلهم به وقلة معرفتهم له وهي الحجاب الذي بينه وبينهم ، كما ذكر الله تعالى في ذمهم « كلا انهم عن ربهم يومئذلمحجوبون» والحجاب ها هنا هو جهالتهم وقلة معرفتهم به.

وأما أولياء الله وأصفياؤه والعلماء العارفون المستبصرون فانهم يرونه ويشاهدونه في جميع أحوالهم ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم لا يغيب عنهم طرفة عين كما لاتغيب مصنوعاته ومخلوقاته ومصوراته عن أبصار الناظرين ، كما وصفهم تعالى بقوله : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط» وقال : « إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » سماهم شهداء لمشاهدتهم لله تعالى فى جميع أحوالهم كما قال : « أينما تولوا فثم وجه الله» وقال « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولاأكبر الاهو معهم أينما كانوا« مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم» وقال « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد.

ولما تحقق أولياء الله تعالى فهم هذه الايات وعرفوها حق معرفتها شرح الله قلوبهم ونور أبصارهم وكشف الغطاء عنهم حتى رأوه وشاهدوه بابصارهم كما عرفوه بقلوبهم ، وكما ادعى أسد الله فى الارض (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً أراد بذلك انى أراه في هذا الوقت مثل ماأراه في الآخرة .

﴿ فصل ﴾

في أن وجود العالم عن الله

فنقول اعلم أن وجود العالم عن البارى ليس كوجود الدار عن البناء أو كوجود الكتاب عن الكاتب الثابت المستقل بذاته المستغنى عن الكاتب بعد

فراغه من الكتابة وعن البناء بعد فراغه عن أبنية الدار ، ولكن كوجود الكلام عن المتكلم الذي ان سكت بطل وجود الكلام ، فالكلام يكون موجوداً ما دام المتكلم يتكلم به ، ومتى سكت بطل وجوده . أو كوجود نور السراج في الهواء ما دام السراج باقياً فالنور باق موجود ، أو كوجود ضوء الشمس في الجو ، فان غابت الشمس بطل وجدان الضوء من الجو أو كوجود الحرارة المسخنة في جسم النار لو انطفأت بطل ضوءها وحرارتها ، أو كوجود العدد عن الواحد قبل الاثنين. كما بينا في رسالة الارثماطيقي

ثم اعلم أن كلام المتكلم ليس هو جزء منه بل فعل فعله أو عمل عمله وأظهره بعد أن لم يكن ، وهكذا حكم النور الذي يرى في الجو عن جرم الشمس ليس هو جزء منها بل هو أشخاص منها وفيض وفضل منها ، وهكذا حكم حرارة النار المنتشرة منها حولها ليس بجزء منها بل هي فيض يفيض منها ، وهكذا الحكم والمثال في وجود العالم عن البارى . وذلك أن العالم ليس بجزء منه بل فضل تفضل به وفيض جود أفاضه وفعل فعله بعد ان لم يكن فعل ، كما أن المتكلم أظهر الكلام بعد ما لم يكن تكلم وليس الكلام جزءاً من المتكلم بل فعل فعله وصنع أظهره . فقد تبين اذاً بما ذكرنا من هذه المثالات التى تقدمت كيفية وجود العالم عن الله تعالى . ولا تقدر أيضا ولا ينبغي أن تظن أن وجود العالم عن الله تعالى طبعاً بلا اختيار منه مثل وجود نور الشمس في الجو طبعاً لا اختياراً منها ، ولا تقدر أن تمنع نورها وفيضها لانها مطبوعة على ذلك طبعها رب العالمين .

فأما البارى تعالى فمختار في فعله ان شاء فعل وان شاء أمسك عن الفعل تركا ، مثل المتكلم القادر على الكلام ان شاء تكلم وان شاء أمسك وسكت . وهكذا حكم ايجاد البارى تعالى واختراعه ان شاء أفاض جوده وفضله ونعمته واحسانه واظهار رحمته وحكمته وان شاء أمسك عن الفعل تركا وان شاء لم يمتنع عن ايجاده فعله صنعا اذ هو قادر على الفعل وترك الفعل مختاراً ، كما ذكر في كتابه «ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده » . وقال « كل يوم هو فى شان » ولا يشغله شان عن شأن

واذ قد تبين بما ذكرنا حدوث العالم وكيفية حدوثه عن الله تعالى فنريد الآن أن نذكر ونبين أيضاً كيفية بوار العالم وخراب الافلاك وطي السماوات كطي السجل للكتب بمقدمات عقلية ضرورية صادقة ينتج عنها ما ذكرنا من بوار العالم وخراب الافلاك

فصل

فنقول اعلم أن الفاعل المختار هو الذي يقدر على الفعل وتركه متى شاء . فهذه مقدمة موجبة صادقة ، ومقدمة أخرى كل فاعل حكيم مختار فله في فعله غرض ، فهذه موجبة صادقة ومقدمة أخرى نشرحها فنقول : الغرض هو عناية سابقة في علم الصانع قبل اظهار صنعته ومن أجله يفعل ما يفعله ، فاذا بلغ الى غرضه قطع الفعل وأمسك عن العمل

فهذه مقدمات ثلاث موجبات صادقات ، ومقدمة أخرى : كل حكيم صانع إذا علم علما يقينيا أنه لا يبلغ الى غرضه في فعله فانه لا يعمل شيئاً ولا يطلبه ، وهذه مقدمة كلية موجبة صادقة ، ومقدمة خامسة : محرك الافلاك والكواكب فاعل مختار حكيم قادر ، وهذه مقدمات موجبة

فينتج من هذه المقدمات أن العالم سيخرب يوما . بيان ذلك أنه ان كان قد يبلغ محرك الافلاك الى غرضه في تحريكها فسبيله أن يمسك عن تحريكها وإدارتها وان كان لم يبلغ الى الغرض فالغاية في ذلك بلوغ الغرض ، وان كان يعلم أنه لا يبلغ غرضه ومطلبه فسبيله أن يمسك عن فعله ان كان حكيما وان كان يعلم أنه سيبلغه ، فاذا بلغ غرضه ومطلبه قطع الفعل وأمسك عن العمل

واذا أمسك محرك الافلاك عن التحريك لها وقفت الافلاك عن الدوران ووقفت الكواكب عن المسير في البروج ووقفت مجاري الليل والنهار والشتاء والصيف وبطل ترتيب الزمان ووقف الكون والفساد في المولدات الثلاثة وفسد النظام . وفي ذلك يكون بطلان العالم وبوار الكل ، لأنا قد بينا في فصول قبل هذه ان قوام العالم وصلاح الخلائق هو بالحركة التي هي حياة العالم وصلاحه وبها يكون الخير والشر والسعود والمعارف أجمع .

فقد تبين بما ذكرنا كيفية بوار العالم وطي السموات والارضين التي هي القيامة الكبرى . فأما حديث عالم الأرواح وبقائها ودوامها وكيفية تصاريف أهلها فقد ذكرنا طرفاً منها في رسالة البعث والقيامة بشرحها

فصل

في بيان الضرر لمن يعتقد أن العالم قديم غير مصنوع

فنقول : إن من يعتقد أن العالم قديم غير مصنوع أو يظن ذلك فان نفسه نائمة نوم الغفلة وتموت بموت الجهالة ، وذلك أنه لا يخطر بباله ولا يجول في خلده ولا في فكره كيفية صنعة العالم وتكوينه ولا يسأل عن صانعه من هو ولا من خلقه أو متى أحدثه ومن أي شيء خلقه وكيف صوره ولم فعل بعد أن لم يكن فعل ، وما الذي أراد بما فعله وما شاكل هذه المباحث والسؤالات التي فيها وفي أجوبتها انتباه النفس من نوم الغفلة وحياة لها وخلاص من البؤس والشدة . فاذا لم يخطر بباله لا يسأل عنه ، واذا لم يسأل عنه لا يجاب ، واذا لم يجب لا يعلم واذا لم يكن عالماً فنفسه تنام في غفلتها وتعمى عن الاعتبار للمشاهدات وتصم من استماع الاذكار والخطاب وتموت في ظلمات الجهالة التي هي ظلمات بعضها فوق بعض ، ويشتغل حينئذ بالاكل والشرب والجماع وطلب الشهوات الجسمانية واللذات الجرمانية ، اذ هو جاهل بنفسه مصر على سوء فعله مستكبر في حياته الى الممات ، ثم يفارق الدنيا على رغم منه كارهاً حزيناً خاسراً لا يرجى له بعد الموت ثواب ولا يؤمل له إحسان إذ لم يكن له ما يجازي به إحساناً ، وهو قوله: « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »

فأما من يعتقد خلاف ذلك وهو يعتقد أن العالم محدث مصنوع بقصد قاصد وفعل حكيم فانه يعرض له عند ذلك خواطر عجيبة وفكر وروية واعتبار وبصيرة وسؤالات طريفة ومباحث لطيفة عن العلوم الشريفة ، ويكون في ذلك النجاة والسبب لانتباه النفس من نوم الغفلة وتنفتح له عين البصيرة ويحيا حياة العلماء

ويعيش عيش السعداء في الدنيا والآخرة جميعاً ، وذلك أنه يخطر بباله ويعرض في فكره أن يبحث ويسأل فيقول : من هذا الصانع الذي خلق العالم ومتى خلق ومن أي شيء عمل وكيف صنع وصور ولم فعل بعد أن لم يكن فعل ما فعل وما الذي أراد بذلك ، ولماذا ؟ وما شاكل هذه المباحث والسؤالات التي في أجوبتها حياة النفس من موت الجهالة ويقظة لها من الغفلات والخروج من ظلمات الخطيئة . وإن وفق لفهمها بإلهام من الله تعالى فذلك هو الوحي والنبوة ، وان عز عليه فعليه بمجالسة الحكماء والمباحثة معهم ، فاذا فهم ما قالوه — حسبما بيناه في رسائلنا الالهيات — صارت نفسه مثل نفوسهم ويكون معهم حيث كانوا في درجات الجنان وتنتبه نفسه من نوم الغفلة ويحيا حياة العلماء ويعيش عيش السعداء ويرفع الى ملكوت السماء ويصير في زمرة الانبياء الذين أخلصوا بخالصة ذكرى الدار وتصير نفسه من ورثة جنة النعيم وسكان السماوات وقاطني الافلاك ويبقى هنالك خالداً مخلداً منعما ملتذاً أبد الآبدين

فصل

ثم اعلم أن لكل شيء من الموجودات قسطاً من السعادة قلت أم كثرت ، وهي أن يبقى ذلك الشيء موجوداً أطول ما يمكن على أحسن حالاته وأتم نهاياته ، ولكن أسعد السعادات وأتم النهايات وأرفع المقامات ما بنا له أولياء الله الذين هم صفوته وأهل مودته ، وهو ثلاث خصال : أولها معرفتهم بربهم ، والثانية قصدهم نحوه بهممهم ، والثالثة طلابهم مرضاته بسعيهم وأعمالهم

فأما معرفتهم بربهم فهو أن يعلم أن كل نفس جزئية هي قوة منبجسة فائضة من النفس الكلية ، ويعلم أن النفس الكلية هي أيضاً قوة منبجسة فائضة من العقل الكلي ويعلم أن العقل الكلي هو أيضا نور فائض من وجود الباري تعالى ويعلم أن الله تعالى هو نور الانوار ومحض الوجود ومعدن الجود ومعطي الفضائل والخيرات والسعادات وهو باق أبداً سرمداً وأن النفس الجزئية هي أيضاً أنوار وضياء وإشراقات

فائضة من النفس الكلية منبثة منها في العالم سارية في الأجسام من لدن فلك المحيط إلى منتهى مركز الارض . فهذا أصل علم أولياء الله تعالى ومعرفتهم بربهم .

وأما قصدهم نحوه بهمم نفوسهم فانه فكرتهم آناء الليل وأطراف النهار في عجائب مصنوعاته وغرائب مخترعاته وأصناف خلائقه واعتبارهم تصاريف أحوالها وكيفية الوصول اليها والى صانعها وبارئها ومحبتهم له واشتياقهم اليه من كثرة مايرون من احسانه وانعامه عليهم وعلى الخلق أجمعين ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها . وأما طلابهم مرضاته بسعيهم وأعمالهم فهو قبولهم وصايا ربهم تعالى التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم السلام والعمل بجميع ما أشاروا اليه فهم في ليلهم ونهارهم لا يغفلون عنه ولا يسهون عن أسراره في القيام والقعود والممر والمجيء والأكل والشرب والافعال والاعمال والانقلاب في جميع أحوالهم ومتصرفاتهم : فهم في جميع اعمالهم كأنهم يرون ربهم بعين القلب لاشك ولاريب ، كما قال سيد المرسلين عليه السلام لما سئل عن ما الاحسان ؟ فقال ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » والله لا يضيع أجر من أحسن عملا « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » « ان الله لا يضيع أجر المحسنين »

وفقك الله وايانا وجميع اخواننا الى طريق السداد ، وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد ، انه رءوف بالعباد

﴿ تمت رسالة كمية أجناس الحركات ويليها رسالة في العلل والمعلولات ﴾

الرسالة التاسعة

من النفسانيات العقليات

فى العلل والمعلولات

وهى الرسالة الاربعون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ انا قد فرغنا من بيان كمية أجناس الحركات وكيفية اختلافها وأشرنا في ذلك أن العالم محدث مصنوع . ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة بيان العلل والمعلولات فنقول :

إن نعمة الله تعالى على عباده جمة لاتفنى ومواهبه كثيرة لاتحصى ، ولكن يتفاضل بعضها بعضاً بحسب جزالتها وغزارتها فمن مواهب الله الجزيلة وعطاياه الجميلة لبعض عباده التى خص بها قوماً دون قوم وهي الحكمة البالغة كما ذكر بقوله « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » يعنى به علم القرآن خاصة وتفسير آياته ومعانى أسراره وإشاراته اللطيفة التى لايمسها إلا المطهرون من العيوب والذنوب والكذب في حق الله وآياته حيث يفسر قوم آيات الله على خلاف ماهو معناه كما فسروا الاستواء بالجلوس والتمكن على العرش والرؤية بالنظر الى الجسم المشار اليه وبالسمع والبصر فسروا الاعضاء الالهية ، وفسروا الكلام بالنطق والحروف ، وبالنزول الانتقال من السماء السابعة الى السماء الدنيا وغير ذلك من الآيات التى لايعرف تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وهؤلاء هم

الذين يعلمون ويعرفون تأويل آياته وأسراره ويقولون آمنا به كل من عند ربنا فهذا قول الحكماء الربانيين والعلماء المتفلسفين

ثم اعلم أن لفظ الفيلسوف عند اليونانيين معناه الحكيم والفلسفة تسمى الحكمة ، والحكيم هو الذي أفعاله تكون محكمة وصناعته متقنة وأقاويله صادقة وأخلاقه جميلة وآراؤه صحيحة وأعماله زكية وعلومه حقيقية وهى معرفة حقائق الاشياء وكمية أجناسها وأنواع تلك الاجناس وخواص تلك الأنواع واحداً واحداً والبحث عن عللها هل هى وماهى وكم هى وأي شيء هى وكيف هى وأين هى ومتى هى ؟ ولم كانت ومن هى ؟ — ويحسن أن يسأل عن هذه الوجوه أو يجيب عنها إذا سئل ويفهم معانيها إذا فكر فيها وبحث عنها ، كما قلنا في رسالة أجناس العلوم

ثم اعلم أن أصعب الأجوبة عن هذه السؤالات التسعة جواب اللمية لانه سؤال عن العلل والعلل كثيرة دقيقه غامضة تحتاج الى بحث شديد وفهم صادق ونفس زكية ونظر دقيق

ثم اعلم أن المباحث والمطالب في معرفة حقائق الأشياء تسعة أنواع : أولها هل هو ؟ والثاني ما هو ؟ والثالث لم هو ؟ والرابع كم هو ؟ والخامس أي شيء هو ؟ والسادس كيف هو ؟ والسابع أين هو ، والثامن متى هو ؟ والتاسع من هو ؟ ولكل سؤال من هذه السؤالات جواب خاص لا يشبه الآخر : فمن يتعاطى معرفة حقائق الاشياء ويخبر عن عللها وأسبابها يحتاج الى أن يكون قد عرف هذه المباحث التسعة والجواب عن هذه السؤالات واحدة واحدة بحقها وصدقها .

ثم اعلم أن معرفة الكيفية قبل معرفة الكمية فمن لايدري كيفية الأشياء وترتيبها ونظامها لا يوثق بقوله اذا أخبر عن عللها وأسبابها بأن ذلك منه عن معرفة بل هو حكاية وإخبار عن غيره ولايكون إلا مبلغاً ! وينبغي لمن يطلب حقائق الأشياء ويبحث عن عللها وأسبابها أن يبتدىء أولا بمعرفة الاصول

والقوانين والاجناس الكليات ، ثم ينظر في الفروع والأنواع والاشخاص التي هي الحروف .

ثم اعلم أن ملاك الأمر في معرفة حقائق الأشياء هو في تصور الانسان حدوث العالم وكيفية إبداع الباري (تعالى) العالم واختراعه إياه وكيفية ترتيبه للموجودات ونظامه للكائنات بما عليه الآن ولم كان ذلك

ثم اعلم أن كل عاقل اذا سمع كلام العلماء في حدوث العالم وأقاويل الحكماء في كيفية ابداع الباري تعالى العالم واختراعه له بعد أن لم يكن وتفكر فيما قالوه فانه يشتهي ويتمنى أن لو علم كيف صنعه ومتى عمله ولم فعل ذلك بعد ان لم يكن قبل . فان فكر في هذه الثلاثة من المباحثات ولم يتصور كيفية ذلك ولا متى ولا لم لصعوبتها ودقتها فربما تحير عقله وتشككت نفسه فيما قالت الحكماء وارتابت بها وتبلبلت

ثم اعلم أن العلة في صعوبة التصور لحدوث العالم وكيفية إبداع الباري تعالى له من غير شيء هو من أجل جريان العادة في الشاهد أن كل مصنوع فان صانعه يعمله من هيولي ما في مكان مافي زمان ما بحركات وأدوات .

وليس حدوث العالم وصنعته وإبداع الباري تعالى له هكذا بل أخرج من العدم إلى الوجود هذه الاشياء كلها ، أعني الهيولى والمكان والزمان والحركات والادوات والاعراض . فمن أجل هذا لا يتصور كيفية حدوث العالم وإبداعه .

فصل

ثم اعلم أن الله تعالى قد علم بانه يعرض للعقلاء هذه الشكوك والحيرة حيث تفكروا في كيفية حدوث العالم ولا يتصور بهذه الطريقة لصعوبتها فجعل له طريقا آخر أسهل من هذه وأقرب وركزها في نفوسهم كأنها مكتوبة فيها كتابة الهية لا يمكن لاحد من العقلاء انكارها اذا أنصف عقله لانه يجد صدقها في نفسه شاهداً له بها وهي كيفية صورة العدد ومنشؤه من الواحد الذي قبل الاثنين كما في رسالة الارثماطيقي

ثم اعلم أن الحكماء والعلماء هم ورثة الانبياء والانبياء هم سفراء الله بينه وبين خلقه ليعبروا عنه المعاني ويفهموها الناس بلغات مختلفة ، لكل أمة ما تعرفه على قدر احتمال أفهامهم . فاذا مضت الانبياء لسبلها خلفهم العلماء والحكماء وقاموا مقامهم ونابوا منابهم فيما كانوا يقولون ويفعلون ، ويعلمون الناس من معالم الدين وطريق الآخرة ومصالح الدنيا . فمن قبل منهم ماقالوه وعمل بما أمروه فهو على طريق النجاة والفوز ، ومن أبي وكفر به فهو على خطر عظيم وخوف من الهلاك . فاحذر ياأخي مخالفة الحكماء ومعاندة العلماء ، بل كن منهم اذا استوي لك ، وينبغي أن لا ترضى لنفسك إلا بأعلى مرتبة في العلم والحكمة فان بذلك يكون القربة الى الله (تعالى) كما ذكر بقوله : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ إنما يتذكر أولو الالباب) . وإذ قد بان بما ذكرنا طرفا من فضيلة العلماء ومناقب الحكماء فنقول الآن : قد قالت الحكماء كلمة كلية صادقة وهي قولهم : ان الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا ، ومعنى هذا القول أنه ليس شيء في الموجودات بلا فائدة ولا عائدة ، بل ما من شيء إلا وفيه جر لمنفعة أو دفع لضر

فاذا كان الامر كما ذكرت فيحتاج كل من يدعي أنه يعرف الحكمة أو يتعاطى التحقيق أن يخبر اذا سئل عن علة كل موجود ولماذا وكيف وما الحكمة في كونه وما الفائدة في وجوده — ان كان يحسن ذلك — وإلا ينبغي له أن يقول: الله ورسوله أعلم ، ولا يأنف أن يقول : لا أدري فنقول : قبل كل شيء انه ينبغي لمن يريد النظر في حقائق الاشياء والبحث عن عللها والسؤال عن اسبابها ولم وكيف ولماذا وما الحكمة فيها ؟ أن يكون له قلب فارغ من هموم الدنيا وأمورها ونفس زكية وفهم دقيق وعقل واضح وأخلاق طاهرة وصدر سليم من الدغل والغش والآراء الفاسدة ويكون مرتاضاً بالرياضيات الحكمية الاربع والنظر في المنطق والطبيعيات ، ويكون قد عرف السؤالات وأجوبتها — كما بينا في رسالة الاجناس من العلوم — ثم ينظر في هذا الفن الذي يسمى علم الانبياء

الملقب بعلم الالهيات ، لان هذا العلم هو الغاية القصوى التي ينتهي اليها الانسان في علم المعارف التي تلي رتبة الملائكة الذين هم الملأ الأعلى وسكان السموات وملوك الأفلاك .

فصل

ثم اعلم أن الاشياء هي أعيان أي صور غيريات أفاضها وأبدعها الباري تعالى كما أن العدد هو أعيان أي صور غيريات فاض من الواحد بالتكرار في أفكار النفوس والأشياء كانت في علم الباري تعالى قبل إبداعه واختراعه لها ، كما أن الواحد لم يتغير عما كان عليه قبل ظهور العدد منه في أفكار النفوس

ومن أخص أوصاف الباري أنه غير الوجود وأصل الموجودات وعلتها ، كما أن الواحد أصل العدد ومبدؤه ومنشؤه ، فلو كان الباري تعالى ضداً لكان العدم ولكن العدم ليس بشيء ، والباري تعالى في كل شيء ومع كل شيء من غير مخالطة لها ولا ممازجة معها ، كما أن الواحد في كل عدد ومعدود ، فاذا ارتفع الواحد من كل الموجود توهمنا ارتفاع العدد كله ، واذا ارتفع العدد فلم يرتفع الواحد ، كذلك لو لم يكن الباري لم يكن شيء موجوداً أصلا . واذا بطلت الاشياء لا يبطل هو ببطلان الاشياء ومن الموجودات ما هو أقرب الى الباري تعالى رتبة ومنزلة وهو العقل ، كما أن من الاعداد ما هو أقرب الى الواحد رتبة ونسبة وهو الاثنين ثم الثلاثة ثم الاربعة ثم ما زاد بالغاً ما بلغ . فهكذا حكم الموجودات من الله تعالى مرتبة ومنتظمة كترتيب العدد ونظامه ، كما بينا في رسالة العدد ، وفي رسالة المبادىء العقلية

ثم اعلم أن كثيرا ممن ينظرون ويتفكرون في مبادىء الامور يظنون ويتوهمون بأن المعلومات في علم الله لم تزل مثل صور المصنوعات في أنفس الصناع قبل اخراجهم لها ووضعهم في الهيولى المعروفة في صنائعهم ، أو مثل صورة المعقولات في أنفس العقلاء وتصورهم لها ، وليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل مثل كون العدد

في الواحد كما بينا قبل — لان صورة المصنوعات حصلت في أنفس الصناع بعد النظر منهم في مصنوعات أستاذيهم والتأمل لها والتفكر فيها والاعتبار لها ، والتي في أنفس استاذيهم الذين أبدعوا الصناعات واخترعوها حصلت في نفوسهم بعد النظر منهم الى المصنوعات الطبيعية والتأمل لها والتفكر فيها ، وهكذا حكم صورة المعقولات في أنفس العقلاء حصلت فيها بعد النظر الى المحسوسات وتأملهم لها والفكر منهم فيها وليس حكم الله تعالى كذلك بل علمه من ذاته ، كما أن العدد من ذات الواحد

والمثال ينبغي أن يكون مطابقا لما يمثل به في أكثر المعاني لا في أقلها . فمثال الباري تعالى بالواحد في نسبته الى المبروزات بالاعداد أكثر مطابقة له من غيرها من المثالات

ثم اعلم أن كل موجود تام فانه يفيض منه على مادونه فيض ما ، وأن ذلك الفيض هو من جوهره أعني صورته المقومة التي هي ذاته . والمثال في ذلك حرارة النار فانها تفيض منها على ماحولها من الأجسام من التسخين والحرارة وهي جوهرية النار التي هي صورتها المقومة لها ، وهكذا أيضا يفيض من الماء الترطيب والبلل على الأجسام المجاورة له ، والرطوبة جوهرية في الماء وهي صورة مقومة لذاته ، وهكذا أيضا يفيض من الشمس النور والضياء على الافلاك والهواء لان النور جوهري في الشمس ، وهي صورته المقومة لذاته ، وهكذا أيضا تفيض من النفس الحياة على الاجسام لان الحياة جوهرية لها وهي الصورة المقومة لذاتها

فصل

ثم اعلم أنه مادام الفيض من الفائض يكون متواترا متصلا مادام ذلك المفاض عليه ، ومتى لم يتواتر متصلا عدم وبطل وجوده ، لانه يضمحل الاول فالاول . والمثال في ذلك الضوء في الهواء اذا تواتر البرق واتصل بقي الهواء مضيئاً مثل النهار لان الشمس تفيض الفيض منها على الهواء متواتراً متصلا ، فاذا حجز بينهما حاجز عدم ذلك الضوء من الهواء لأنه يضمحل ساعة ساعة ولا يتواتر الفيض

عليه . وهكذا الحياة من النفس على الاجسام مادامت متصلة متواتراً تدوم الحياة فاذا فارقت النفس الجسد بطلت حياة الجسد من ساعته واضمحلت . وهكذا حكم وجود العالم وبقائه من الباري تعالى . فما دام الفيض والجود والعطاء متواتراً متصلا دام وجود العالم من الله تعالى

واعلم أن أكثر العقلاء يظنون ويتوهمون أن وجود العالم من الله تعالى كوجود الدار المبنية من البناء المستقلة بذاتها المستغنية عن البناء بعد بنائه ، وليس الامر كما ظنوا وتوهموا لأن بناء الدار تركيب وتأليف من أشياء هي موجودة بأعيانها قائمة بذواتها كالتراب والماء والحجارة والآجر والجص واللبن والخشب وماشا كلها وليس الابداع والاختراع تركيبا وتأليفا بل إحداث واختراع من العدم الى الوجود . والمثال في ذلك كلام المتكلم وكتابة الكاتب ، فان أحدهما يشبه الابداع وهو الكلام والآخر يشبه التركيب وهو الكتابة ، فمن أجل هذا صار اذا سكت المتكلم بطل وجدان الكلام ، فاذا أمسك الكاتب لا يبطل الموجود من الكتابة فوجود العالم من الله (تعالى) كوجود الكلام من المتكلم اذا أمسك عن الكلام بطل وجدان الكلام . والدليل على ماقلنا وحقيقة ماوصفنا قول الله تعالى « إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا » الآية و «كل يوم هو في شأن » ولا يشغله شأن عن شأن

ثم اعلم أن كل لبيب عاقل اذا فكر في كيفية حدوث العالم وإبداع الباري له وخلقه أطباق السماوات والارض وتركيبه أكر الافلاك وتدويره أجرام الكواكب البسيطة والأركان الاربعة وتكوينه المولدات الثلاثة منها فلا بد أن يعتقد فيها أحد الآراء الثلاثة : أما أن يظن ويتوهم بأنها أبدعت دفعة واحدة وأخرجها الباري تعالى من العدم الى الوجود على ماهي عليه الآن أو يظن ويتوهم بأنها أبدعت على تدريج فأخرجت على ترتيب أولا فأولا الى آخرها على مر الدهور والأزمان ، أو يقول بعضها دفعة وبعضها على التدريج ! إذ ليس في القسمة العقلية غير هذه الثلاثة : فأما من يظن ويقول إنها أبدعت دفعة واحدة بلا زمان فلا يجد لما يقول عليه دليلا من الشاهد فيتشكك فيما يقول

وأما من يقول إنها أبدعت وأخرجت من العدم الى الوجود على تدريج ونظام وترتيب فهو يجد على ما يقول شواهد كثيرة من الموجودات باستقراء واحد .
وأما من يقول إن بعضها أبدع وأحدث دفعة واحدة وبعضها على التدريج فهو يحتاج إلى أن يبينها ويشرحها ويفصلها

فصل

فنقول إن الأمور الطبيعية أحدثت وأبدعت على تدريج ممر الدهور والازمان ، وذلك أن الهيولى الكلي أعني الجسم المطلق قد أتى عليه دهر طويل الى أن تمخض وتميز اللطيف منه من الكثيف ، والى أن قبل الاشكال الفلكية الكرية الشفافة وتركب بعضها في جوف بعض والى أن استدارت أجرام الكواكب النيرة وركزت مراكزها والى أن تميزت الاركان الاربعة وترتبت مراتبها وانتظمت نظامها

والدليل على ذلك قوله تعالى « خلق السماوات والارض في ستة أيام » وقوله تعالى « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »

فأما الامور الالهية الروحانية فحدوثها دفعة واحدة مرتبة منتظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان . بل بقوله « كن فيكون » والأمور الروحانية الالهية هي العقل الفعال والنفس الكلية والهيولى الاولى والصور المجردة . والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولا والنفس هي نور العقل وفيضه الذي أفاضه الباري منه ، والهيولى الاولى هي ظل النفس وفيئها ، والصور المجردة هي النقوش والاصباغ والاشكال التي عمتها النفس في الهيولى باذن الله تعالى وتأييده لها بالعقل

وهذه الامور كلها بلا زمان ولا مكان : بل بقوله « كن فيكون ، كما قال : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر »

والمثال حدوث البرق واشراق نور الشمس في الهواء وإضاءة الابصار ورؤية الاشياء دفعة واحدة بلا زمان

ثم اعلم أن الاركان الاربعة متقدمة الوجود على مولداتها بالأيام والشهور والسنين ، كما أن الافلاك متقدمة الوجود على الاركان بالازمان والادوار والقرانات ، وعالم الارواح متقدم الوجود على عالم الافلاك بالدهور الطوال التى لا نهاية لها . والبارى تعالى متقدم الوجود على الكل ، كتقدم الواحد على جميع العدد

ثم اعلم أنه قد أتى على النفس دهر طويل قبل تعلقها بالجسم ذى الابعاد وكانت هي في عالمها الروحاني ومحلها النورانى ودارها الحيوانية مقبلة على علتها العقل الفعال تقبل منه الفيض والفضائل والخيرات ، وكانت منعمة متلذة مستريحة مسرورة فرحانة

فلما امتلأت من تلك الفضائل والخيرات أخذها شبه المخاض فأقبلت تطلب ما تفيض عليه تلك الخيرات والفضائل . وكان الجسم فارغاً قبل ذلك من الاشكال والصور والنقوش فأقبلت النفس على الهيولى تميز الكثيف من اللطيف وتفيض عليه تلك الفضائل والخيرات

فلما رأى البارى تعالى ذلك منها مكنها من الجسم وهيأ لها نخلق من ذلك الجسم عالم الافلاك وأطباق السماوات من لدن فلك المحيط الى منتهى مركز الارض ، وركب الافلاك بعضها في جوف بعض وركز الكواكب مراكزها ورتب الاركان مراتبها على أحسن النظام والترتيب بما هي عليه الآن لكيما تتمكن النفس من ادارتها وتسيير كواكبها ويسهل عليها إظهار أفعالها وفضائلها والخيرات التى قبلتها من العقل الفعال

فهذا الذى كان سبب كون العالم أعنى عالم الاجسام بعد ان لم يكن ومن يرد أن يتصور كيفية تمخض الهيولى وتميز أجزاء الجسم اللطيف منها من الكثيف وقبولها الاشكال الكرية الفلكية الشفافة وكيف تركب بعضها فى جوف بعض فى مراتبها ودورانها وكيف استدارت أجرام الكواكب النيرة وركزت مراكزها فى أفلاكها فى مسيراتها وكيف تمخضت أجزاء الاركان الاربعة بعضها مع بعض

وتميز بعضها من بعض وترتبت على ما هي عليه الآن كلها من هيولى واحدة من حيث الجسمية مع اختلاف صورها وفنون أشكالها فليعتبر تركيب جسده من دم الطمث فى الرحم كيف تمخض وتميز وصار بعضها عظاماً بيضاً صلبة ، وبعضها لحماً أحمر ، وبعضها شحماً دسماً أصفر ، وبعضها عروقاً مجوفة ، وبعضها أعضاء آلية ، وبعضها اعضاء متشابهة الاجزاء ، وكيف صار بعضها قلبا وبعضها جرم الكبد وبعضها جرم الرئة ، وكذلك المعدة والطحال والدماغ والامعاء وكيف صار بعضها جلداً وشعراً وظفراً وما شاكل هذه الاشياء المختلفة الاشكال والصور والالوان والطعوم والروائح والطباع

وان عجز فهمه عن تصور كون هذه من دم الطمث ومن النطفة وتركيبها منه وكيفية قبولها هذه الصور والاشكال والطعوم والالوان التى هي اقرب اليه ومعرفتها اسهل عليه — فهو عن تصور كيفية الافلاك وخلق اطباق السماوات والاراضين ابعد وهو بها اجهل واقل فهماً

فصل

ثم اعلم أنه سترجع النفس الكلية الى عالمها الروحاني ومحلها النورانى وحالتها الأولى التى كانت عليها قبل تعلقها بالجسم ، كما قال تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » ولكن لايكون ذلك إلا بعد مضى الدهور والأزمان الطوال والأدوار ، وسيخرب العالم الجسماني اذ فارقته النفس وسكن الفلك عن الدوران والكواكب عن السير والأركان عن الاختلاط والمزاج ، ويبلى النبات والحيوان والمعادن ويخلع الجسم الصور والأشكال والنقوش ويبقى فارغاً كما كان بديا اذ أعرضت عنه النفس وأقبلت نحو عالمها ولحقت بعلتها الاولى وصارت عنده واتحدت به ، لأن مثل النفس في إقبالها على الجسم واشتغالها به في إصلاح شأنه — بعد ما كانت مقبلة على علتها في عالمها مستفيدة منها الفيض من الفضائل والخيرات — كمثل الرجل الخير العاقل المحب المقبل على أستاذه ، المحب الحريص في تعلمه العلم والحكم والمعارف المتخلق بأخلاقه الجميلة وآدابه

الصحيحة مدة من الزمان ، حتى إذا امتلأ من الخيرات والفضائل والعلوم والحكم أخذه عند ذلك شبه المخاض واشتهى وتمنى وطلب من يفيض عليه من تلك الخيرات والفضائل ويفيده إياها .

فاذا وجد تلميذا يعلم أنه يقبل منه تأديبه ويفهم علمه وحكمته أقبل عليه بالفيض والافادة طمعاً في إصلاحه وحرصاً فى تعليمه ورغبة في تأديبه تشبهاً بأستاذه في أفعاله وصنائعه ، مثل ما كان يفعل أستاذه به ، تشبهاً بأستاذه ومعلمه ومخرجه الأول الذي أدبه وخرجه وهذب جوهره وصفى عنصره

فاذا فرغ من تعليمه وتثقيفه بتأديبه أقبل عند ذلك على عبادة ربه وطلب الخلوات لمناجاة باريه وتمنى اللحوق بأسلافه وأقاربه والدخول في زمرة ملائكته . وهكذا سيرة الأنبياء صلوات الله عليهم، وكذلك أيضاً كانت سيرة الحكماء والقدماء الربانيين . كل ذلك تشبهاً بالله تعالى في اظهار حكمته وفيض فضائله على بريته إذ أوجدهم بعد أن لم يكونوا فأفاض عليهم من فنون نعمه وألوان الخيرات والبركات مما لا يحصى عددها إلا الله . فافهم يا أخي هذه الاشارات والتنبيهات لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

فصل

حكي في بعض الاخبار أن نبياً من أنبياء الله تعالى قال في مناجاته مع ربه : يارب لم خلقت الخلق بعد أن لم تكن خلقته ؟ فقال له ربه ، على سبيل الرمز : كنت كنزاً مخفياً من الخيرات والفضائل ولم أكن أعرف فأردت أن أعرف

معناه لو لم أخلق الخلق لخفيت هذه الفضائل والخيرات التى أفضتها وأظهرتها من عجائب خلقي ومصنوعاتي المحكمات التى كلت الألسن عن البلوغ الى كنه صفاتها وحارت عقولهم عن كنه معرفتها بحقائقها .

وأنت يا أخى فاحذر من سوء الفهم من كلام العقلاء والحكماء ولطيف أقاويلها واشاراتها الى المعاني الدقيقة ! فان سوء الفهم يؤدي صاحبه الى سوء الظن بالحكماء : فمن ذلك مايتوهمه كثير من الناس في حق الحكماء أنها تقول بقدم

العالم وأزليته ، وهذا هو سوء الظن منهم لسوء فهمهم لأقاويلها واشاراتها، وذلك أنهم لما سمعوا قول الحكماء : ان العالم لم يخلق في زمان ولاهو في مكان ، ظن من سمع هذا القول منهم أنهم يقولون بقدم العالم ولم يفهم ماأرادوا وانما أرادوا بقولهم : لازمان ولامكان أفضل لأن الزمان عدد حركات الفلك والمكان سطحه الخارج ، فاذا لم يكن فلك فلازمان ولامكان ، بل لما أبدع الباري تعالى الفلك وأداره وأوجد المكان والزمان معاً بعد وجود الفلك

ومن ذلك أيضاً قولهم : ان الجوهر جوهر لنفسه ، والعرض عرض لنفسه فظن من سمع هذا القول ولم يفهم المراد أنهم يقولون أنها ليست بجعل جاعل أو بصنع صانع اذ كان لنفسه ! وليس الأمر على ماظنوا وتوهموا وانما قالت الحكماء هذا القول لما تأملت الموجودات وتصفحت أحوالها وجدت بعضها صفات وبعضها موصوفات مختلفات وعرفت أن علة اختلاف الموصوفات هى من أجل اختلاف الصفات ، وأما اختلاف الصفات فهي لا لنفسها لان الله تعالى أبدعها مختلفة بأعيانها لا لعلة فيها .

والمثال في ذلك اختلاف حال الأسود والأبيض : فانه من أجل اختلاف السواد والبياض في ذاتيهما لا لعلة أخرى

فمن ظن أن السواد والبياض لهما علة أخرى تمادى الى غير النهاية ! وذلك أن الأسود هو موصوف وإنما كان أسود لكون السواد فيه ، فهكذا الابيض إنما كان أبيض لكون البياض فيه ، فأما السواد والبياض فانهما في أنفسهما مختلفان لا لصنعة فيهما بل بذاتيهما مختلفان ، لأن الله تعالى أبدعهما هكذا مختلفي الذاتين فهذا معنى قول الحكماء : إن السواد سواد لنفسه لا لصفة فيه ، ولم يريدوا أن السواد ليس بجعل جاعل ولا بصنع صانع ، كما توهم كثير من الناس الذين هم غير مرتاضين بالحكمة ولا متحققين بالشريعة

ثم اعلم أن العجز هو من أحد الأسباب التى تعوق الفاعل عن إظهار أفعاله والصانع عن إحكام صنعه ، ولكن ربما يكون من الفاعل لضعف قوته ولقلة معرفته،

وربما كان من عدم الأدوات والآلات التى يحتاج اليها الصانع فى إحكام صنعته أو من عدم المكان والزمان والحركات وماشا كلها ، أو ربما يكون العجز من قبل الهيولى وعسر قبولها الصورة من الصانع الحكيم . مثال ذلك تعسر قبول الحديد من الحداد أن يفتل من الحديد البارد حبلا طويلا كما يفتل الحبال من القنب ، فليس العجز من الحداد ولكن من الحديد لعسر قبوله للفتل . ومثل الهواء لا يقبل كتابة الكاتب فيه لسيلان عنصره ، ومثل النجار لا يقدر أن يعمل سلما يبلغ السماء لعدم الخشب ، لا لعجز فيه . ومثل رجل حكيم لا يقدر أن يعلم الطفل لا لعجز فى الحكيم بل لان الطفل غير مستعد لقبول ذلك فى حال الطفولية . وعلى هذا القياس يوجد العجز من الهيولى وعسر قبولها للصور لا لعجز فى الصانع الحكيم.

ثم اعلم أن كثيراً من العلماء لا يعرفون كيفية العجز من الهيولى ولا يعتبرونه فينسبون العجز كله الى الفاعل القادر الحكيم ، ذلك أنهم ربما يظنون ويتوهمون ذلك على الله تعالى فيقولون إنه يعجز عن أشياء كثيرة مثل قولهم : إنه لا يقدر أن يخرج إبليس من مملكته ولا يعتبرون(١) أن العجز من عدم ماليس من مملكته ليس من عدم القدرة من الله تعالى !! ويقولون : إنه لا يقدر أن يدخل الجمل فى سم الخياط ولا يعتبرون العجز من الابرة ! ويقولون : ان الله لا يقدر أن يجعل أحداً قائما قاعداً في وقت واحد ولا يدرون أن العجز من الواحد منا إذ ان القيام والقعود لا يكون في وقت واحد معا ! ثم يطلقون القول بأن هذه الأشياء لا يصح القول بها في مقدوره . فاذا سئلوا مامعنى قوله : « والله على كل شىء قدير » ؟ قالوا : هذه خصوص لا على العموم خلاف ماقال الله تعالى لانه ذكره على العموم مطلقا فقال : « على كل شىء قدير » ! ثم إنهم يدخلون الشبهة على من يقول انه عموم بقولهم : أترى أنه قادر على أن يخلق مثل نفسه ولا يدرون أن هذا العجز هو من عدم وجدان المثل ، لا فى قدرته ، لان العجز هو العدم لا الوجود

فصل

في ما العلة ؟ هي السبب الموجب لكون شىء آخر — ما المعلول ؟ هو الذي

(١) المراد عدم وجود مملكة أخرى يخرج اليها

لكونه سبب من الأسباب — كم العلل ؟ أربعة أنواع : فاعلية وهيولانية وصورية وتمامية — كم المعلول ؟ أربعة أنواع وهي : المصنوعات كلها : فمنها مصنوعات بشرية حيوانية ، ومنها طبيعية وهي المعادن والنبات والحيوان ، ومنها نفسانية بسيطة وهي الأفلاك والكواكب والاركان ، ومنها الروحانية الالهية وهى الهيولى والصورة المجردة والنفس والعقل — ما الصنعة ؟ هى اخراج الصانع ما في نفسه من الصور ونقشها في الهيولى ، وكل صانع حكيم فله في صنعته غرض ما ، والغرض هو غاية تسبق في علم العالم أو في فكر الصانع ومن أجله يفعل ما يفعله ، فاذا بلغ اليه قطع الفعل وأمسك عن العمل

ثم اعلم أن كل مصنوع فله أربع علل : علة فاعلية وعلة هيولانية وعلة صورية وعلة تمامية ، مثال ذلك السرير فان علته الفاعلية النجار ، والهيولانية الخشب ، والصورية التربيع ، والتمامية القعود عليه . وكل صانع بشرى يحتاج فى صناعته الى ستة أشياء حتى يتم صنعته : هيولى ما ، ومكان ما ، وزمان ما ، وأدوات ما ، كاليد والرجل ، وآلات ما كالفأس والمنشار ، وحركات ما . وكل صانع طبيعى يحتاج الى أربع منها : وهي الهيولى والمكان والزمان والحركة . وكل صانع نفسانى يكفيه اثنان منهما : هيولى وحركات ما ، والبارى (تعالى) لا يحتاج الى شىء منها لان فعله إبداع واختراع لهذه الاشياء ، أعنى الهيولى والزمان والحركات والآلات والأدوات

واعلم أن كل صانع حكيم من البشريين يجتهد أن يحكم صنعته إحكاما أجود ما يقدر عليه ، ولكن ربما عرض له عوائق إما لعلة المادة أو لعسر الهيولى عن قبول الصورة أو لعدم الأدوات والآلات أو ضعف القوة والنسيان والغفلة والسهو وقلة المعرفة بالحذق في الصنعة ، والله (تعالى) منزه عن جميع ذلك كله

فصل

ثم اعلم أن الموجودات كلها نوعان : كليات وجزئيات ، فالكليات رتبها

البارى من أشرفها الى أدونها كما بينا في رسالة المبادىء والجزئيات ، ابتـدأها من أدونها الى أتمها وأكملها رتبة ، كما بينا فى رسالة الطبيعيات

ثم اعلم أنه ربما يكون فى المسألة الواحدة عدة أجوبة ولـكن ليس كل جواب يصلح لـكل واحد : وذلك أن فى الناس خواص وعوام . أما جواب الخاص اذا سأل عن حدوث العالم وعلته الموجبة فجوابه على ماسنذكره ونشرحه من بعد . وأما جواب العامة اذا سألوا لم خلق الله العالم بعد أن لم يكن ؟ فجوابه أن فى خلقه العالم حكمة وخيراً ، وفعل الحـكمة عن الحـكيم واجب ! فلو لم يخلق العالم لـكان تاركا للحكمة وفعل الخيرات ، وهذا هو الجواب . فان قال لم خلق فى وقت دون وقت ؟ فيقال : لانه كان عالماً أنه سيخلق فى الوقت الذي خلق فيه فلو خلق قبل ذلك لـكان فعله مخالفاً لعلمه تعالى عن ذلك علواً كبيراً . فان قيل : لم خلق الله تعالى العالم على هذه الصورة التى هو عليها الآن ولم يخلقـه على غيرها من الصور ؟ فيقال : لان هذا أحكم وأتقن . فان قيل : بل غيره أحكم وأتقن! فيقال له بين كيفية ذلك ؟ فان الحـكماء الربانيين قالوا لا يجوز ولا يمكن أحكم من هذا ولا أتقن منه . فان قال أوليس زيد الزمن قد كان يمكن أن يكون أحكم بنية وأحسن صورة مما هو عليـه الآن ؟ فيقال : سألتنا عن صورة العالم بكليتـه لا عن صورة حروف أجزائه بل ماذا تقول فى صورة الانسانية : هل يجوز أن تكون أحكم وأتقن مما هي عليه الآن

ثم اعلم ان الله تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم بالقصد الأول . فأما صورة زيد الزمن وعمرو المفلوج الأسباب الفلـكية والعلل الطبيعية ، ويطول شرح ذلك : وذلك أن الحـكماء بحثوا عن علل الاشياء وخبروا عن أسبابها ، فانما كان ذلك عن علل الـكليات . فأما علل الجزئيات فلا يبلغ فهم البشر معرفتها بل تقصر عقولهم عن معرفتها وعن عللها وأسبابها الدقيقة الخفية .

ونريد أن نذكر عن تلك العلل والأسباب التى أدركها الحـكماء بدقة نظرهم وشدة بحثهم وجودة فكرهم واعتقادهم ، طرفاً ليكون دلالة على الباقية وقياساً

لما نريد النظر فيها والحث عليها والاعتبار لها تشبهاً بهم واقتداء بمذاهبهم . وإذ قد ذكرنا مايحتاج اليها فنريد الآن أن نبين طرفاً من كيفية السؤال والجواب عن علل الأشياء وماهية الحـكمة فيها

فصل

وكيف إذا قيل لم خلق الله تعالى العالم بعد أن لم يكن ؟ فيقال : لأن الله حكيم وخلقه العالم حكمة ، وفعل الحكمة عن الحـكيم واجب ، وبواجب الحـكمة إذاً خلق العالم . وإذا قيل : لم خلق الله في وقت ولم يخلق قبل ذلك ؟ قيل : لعلمه السابق أنه سيخلق في هذا الوقت لا قبل . فان قيل : لم خلقه على هذه الصورة التى عليها الآن ولم يخلقه على صورة غيرها ؟ فيقال : لعلمـه أن هذه الصورة أحكم وأتقن ففعل كما علم ليكون فعله موافقاً لعلمه . وإذا قيل : كيف خلق الله العالم وكيف ابتدأه من اوله الى آخره ؟ فقد أوردنا لهذا العـالم أربع رسائل : رسالتين في المبادىء ، ورسالتين في العالم بينا فيها كيف أبدع البارى تعـالى الموجودات وجميع الـكائنات وكيف رتبها ونظمها بعضها يتلو بعضاً فى الوجود والبقاء كترتيب العدد عن الواحد الذى قبل الاثنين

وينبغي لمن يريد النظر في هذه الرسالة أن يكون قد نظر في رسالة الاربعة الموصوفات قبل هذا ، لأن معرفة كيف هو قبل معرفة لم هكذا — كما بينا في رسالات أجناس السؤالات التسعة وأجوبتها للحكماء

ثم اعلم أن لله تعالى عالمين : أحدهما جسمانى والآخر روحاني ، فالعالم الجسمانى هو الفلك المحيط ومايحويه من سائر الافلاك والـكواكب والأركان والمولدات الثلاثة والعالم الروحانى هو عالم العقل ومايحويه من النفس والصور التى ليست بأجسام ذوات الابعاد الثلاثة التى هي ظل ذي ثلاث شعب

ثم اعلم أن العالم الروحانى محيط بعالم الافلاك كما أن عالم الافلاك محيط بعالم الاركان الذي دون فلك القمر ، وقد جعل الله تعالى عالم الافلاك كريات الاشكال مستديرات الحركات ، لان هذا الشكل هو أفضل الاشكال من عدة

وجوه ومعان ، والحركة المستديرة أفضل الحركات من جهات شتى . وقسم الله تعالى الفلك اثنى عشر قسما لان هذا العدد أفضل الاعداد ، وذلك أنه أول عدد زائد ، وجعل عدد الافلاك تسعة مطابقة لاول عدد فرد مجذور ، وجعل عدد الكواكب السيارة سبعة مطابقة لاول عدد كامل وجعل فيها نيرين ، واثنين سعدين ، واثنين نحسين ، وواحد ممتزج . وجعل أيضا فى الفلك عقدتين ، وجعل بعض البروج منقلبة وبعضها ذا جسدين وبعضها ثابتة وبعضها نارية وبعضها ترابية — كل ذلك — لما فيه من وجوه الحكمة واتقان الصنعة — لا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها الا من ألهمه الله تعالى وهدي قلبه وشرح صدره بنور حكمته كما ذكر بقوله : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بماشاء » . فاذا قيل : لم جعل الباري تعالى عالم الاجسام قسمين اثنين أحدهما علوي وهو عالم الافلاك ومافيها من أصناف الاكر والكواكب ، والآخر سفلي وهو عالم الاركان ومافيهامن أجناس الخلائق ؟ فيقال له : لعلل شتى وأسباب عدة ، ولما فيه من اتقان الحكمة واحكام الصنعة مالا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها ، ولكن نذكر منها طرفاً فنقول :

ليكون في ذلك تبصرة للعقلاء وبيانا لأولى الابصار فان لله (تعالى) دارين اثنين إحداهما هي الدنيا التى هى عالم الأجسام ومسكن الأجرام ،والاخرى هى دار الآخرة التى هي عالم الأرواح ومحل النفوس . فان قيل لم جعل الباري (تعالى) في عالم الافلاك نيرين وسعدين ونحسين وعقدتين وقدفان فى واحد واحد كفاية ؟ قيل له : ليكون ذلك دلالة على تحقيق ما قلنا وصحة ما وصفنا من أن له دارين اثنين وهما الدنيا والاخرة . وذلك أن حالات أحد النيرين تشبه حالات أمور الدنيا وأبنائها وهو القمر ، والآخر تشبه حالاته حالات الآخرة وأبنائها وهى الشمس النير الاكبر . ولذلك ان امور الدنيا وحالات أبنائها تعد من أنقص الوجوه وأدون المراتب مرتبة إلى أتمها وأكملها ، فاذا بلغت إلى غاياتها أخذت في الانحطاط والنقصان إلى أن تضمحل وتتلاشى ، وهذا حال القمر من أول الشهر

ثم إلى نصفه ، ومن نصف الشهر إلى آخره تشاهد فى كل سنة اثنتى عشرة مرة . وهكذا حكم السعدين ودلائلهما : أحدهما تدل على سعادة أبناء الدنيا والآخر يدل على سعادة أبناء الآخرة . وذلك أن الزهرة التى هى السعد الأصغر اذا استولت على مواليد ابناء الدنيا دل لهم على حسن الرتبة والعز والكرامة والسرور واللذة والنعمة والرفاهة واللعب واللهو والغناء وما يتنافس فيه أبناء الدنيا من هذه الخصال ويعدونها سعادة وليست هى سعادة بالحقيقة بل هى محنة وشقاء وبلوى . وأما اذا استولى المشتري الذى هو السعد الاكبر على مواليد الناس دل لهم على حسن الأخلاق وجودة النفس ومحبة الخير والعمل به والعدل والانصاف في المعاملات والتمسك بالدين وكثرة العبادة وذكر الميعاد وترك اللذات والشهوات الدنياوية والتفكر في أمر الآخرة والتقلب بعد الموت وما شاكل هذه الخصال المتضادة لما يدل عليه أبناء الاخرة . وهكذا حكم النحسين وذلك أن أحدهما يدل على محنة ومنحسة أبناء الدنيا وهو زحل اذا استولي على المواليد دل على الفقر والبؤس والشدائد والذل والهوان والعلل والامراض والتعب والعناء والمصائب والغموم والأحزان ونوائب الحدثان التى هى أكثر من أن تحصى وأبناء الدنيا مرهونون بها لا ينفك أحد منها . واذا استولى المريخ على المواليد وتقوى فدلالته على أنواع الشرور : على الفسق والفجور وقتل الأنفس وقطع صلة الرحم وإهراق الدماء وهتك الحرم وانتهاك المحارم والخروج عن الطاعة والحمية الجاهلية والسرعة والعجلة وترك النظر فى العواقب وقلة الورع والانكار لأمر المعاد والمنقلب بعد الموت !! ومن كانت هذه حاله في الدنيا فليس له فى الآخرة الا العذاب . وأما كون عطارد ممازجا للكواكب ففيه دلالة على أن أمور الدنيا معلقة بأمور الآخرة ممازجة لها ، وهكذا حكم البروج المنقلبة يدل على تقلب أمور الدنيا وحالات أهلها والبروج الثوابت تدل على ثبات أمور الآخرة وحالات أهلها ، والبروج ذوات الجسدين تدل على أن أمور الدنيا متصلة بأمور الآخرة وممازجة لها . وأما كون العقدتين في الفلك اللتين احدهما رأس الجوزهر والأخرى ذنب الجوزهر ، وهما خفيتا

الذات وظاهرتا التأثيرات في الفلك فتدلان على أن في العالم جواهر لطيفة خفيات الذوات ظاهرات الافعال والتأثيرات وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين وأرواح الحيوانات ونفوسها . فان قيل : لم جعل الكسوف للنيرين دون سائر الكواكب ؟ قيل : لنزول الشكوك عن قلوب المرتابين الذين يظنون أنهما الهين اثنين فانهما لوكانا الهين لما انكسفا

ثم اعلم أن الله تعالى جعل في جبلة الحيوان أربعة أسباب : آلامها ودواعي عطب أبدانها وشقاوة نفوسها وهلاك هياكلها وهي الجوع والعطش والشهوات المختلفة واللذات الذليلة . أما قصد الباري الحكيم في فعله ذلك كلها فهو لبقاء نسلها وصلاح معاشها . وأما الذي يعرض لها من الالام والنكب فليس بالقصد الأول ، ولكن بالعرض من أجل النقص الذي هو فى الهيولى ، وذلك أن الله تعالى جعل لها الجوع والعطش لكيما تدعو بها الى الأكل والشرب ليخاف على أبدانها من الكيموس بدل ما يتحلل من البدن . لان البدن في التحلل دائما من أسباب خارجة وأسباب داخلة ، وأما الشهوات فلكيما تدعو الى المأكولات المختلفة الموافقة لأمزجة ابدانها وما تحتاج اليه طباعها . وأما اللذة فلكيما تأكل بقدر الحاجة من غير زيادة ولا نقصان . فان قيل : لم جعل للنفوس من الآلام والأوجاع والأفزاع عند الآفات العارضة لاجسادها ؟ قيل له : لكيما تحرص نفوسها على حفظ أجسادها من الآفات العارضة لها الى وقت معلوم إذ كانت الأجساد لا تقدر على جر منفعة ولا دفع مضرة عنها . فان قيل : لم جعل بعض الحيوانات أكلة لحوم بعض ؟ قيل لكيما لا يضيع شيء مما خلق الله بلا نفع ، وذلك أنه قد تاهت أوهام العلماء وتحيرت عقولهم فى طلب علة أكل الحيوانات بعضها بعضاً وماوجه الحكمة منه اذ كان الباري (تعالى) جعل ذلك فى طباعها جبلة وهيأ بها آلات وأدوات تتمكن بها كأنياب ومخاليب وأظافر حداد التي تقدر بها على القبض والبسط والضبط والخرق والنهش والأكل والشهوة واللذة والجوع وما شاكل ذلك مهما يلحق المأكولات منها من الآلام والأوجاع والفزع عند الذبح والقتل والأمراض !

فلما تفكر في ذلك ولم تسنح لهم العلة ولا ما وجه العلة والحكمة ، اختلفت عند ذلك بهم الآراء والتبست بهم المذاهب حتى قال بعضهم : ان تسلط الحيوانات بعضهم على بعض وأكل بعضها لبعض ليس من فعل الحكيم بل فعل شرير قليل الرحمة ، فلهذا قالوا أن للعالم فاعلين خير وشرير ! ومنهم من نسب ذلك الى النجوم، ومنهم من قال عقوبة لها لما سلف منها من الذنوب في الادوار السالفة — وهم أهل التناسخ ، ومنهم من قال بالعرض ، ومنهم من قال : ان هذا اصلح ، ومنهم من أقر على نفسه بالعجز وقال لا أدري ما العلة في أكل الحيوانات بعضها بعضاً ولا ما وجه الحكمة فيه ! غير أنه قال : الباري الحكيم لا يفعل شيئاً إلا بحكمته ومنهم من قال بل لاحكمة فيه

وكل هذه الاقاويل قالوها في طلبهم الحكمة والعلة وإنما لم يقفوا عليها لأن نظرهم كان جزئياً وبحثهم عن علل الأشياء خصوصياً ، وليس يعلم علل الاشياء الكليات بالنظر الجزئي لأن أفعال الباري إنما الغرض منها النفع الكلي والصلاح العمومي . وان كان قد نقص من ذلك ضرر جزئي ومكاره خصوصية وليس يعلم علل الا شياء الكليات أحياناً

والمثال في ذلك أحكام الشريعة النبوية وحدوده فيها وذلك لحكم القصاص في القتل . قال تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وان كان موتاً وألماً للذي يقتص منه ، وكذلك قطع يد السارق منه نفع عمومي وصلاح الكل وان كان يناله حزن وألم . وكذلك غروب الشمس وطلوعها والامطار كان النفع منها عمومى والصلاح كلي وان كان قد يعرض لبعض الناس والحيوان والنبات من ذلك ضرر جزئي

وهكذا أيضا قد ينال الأنبياء والصالحين وأتباعهم شدائد وجهد وآلام في إظهار الدين وإفاضة سنن الشريعة في أول الأمر

ولكن لما كان الباري تعالى غرضه في إظهار الدين وسنة الشريعة هو النفع

العام وصلاح الكل من الذين يجيئون من بعدهم الى يوم القيامة ولا يحصى عددهم ونفعهم وصلاحهم ، سهل في جنب ذلك وصغر ما نال النبي ﷺ من أذية المشركين وجهاد الاعداء المخالفين وما لاقوه من الحروب والقتال في الغزوات وتعب الأسفار وقيام الليل وصيام النهار وأداء الفرائض وما فيها من الجهد على النفوس والتعب على الابدان

ولما كان نزول الأمر في المنقلب الى الصلاح العمومي والنفع الكلي كانت الشدائد والجهد والبلوى في جنبه أمراً صغيراً جزئيا . فعلى هذا المثال والقياس ينبغي أن يعتبر من يريد أن يعترض : ما العلة وما وجه الحكمة في أكل الحيوانات بعضها بعضا ليتبين له الحق والصواب . ونحن نريد أن نبين ما العلة وما وجه الحكمة في الكل وفي أكل الحيوانات بعضها بعضا ولكن لا بد أن نقدم أشياء لا بد من ذكرها

❊ فصل ❊

فنقول اعلم أن عقول القوم انما أنكرت أكل الحيوانات لما ينالها من الآلام والاوجاع عند الذبح والقتل ولو لا ذلك لما أنكروا كما لا ينكرون أكل الحيوان والنبات إذ ليس ينال النبات الآلام والاوجاع فنقول : قصد الله وغرضه في ألم الحيوانات ما جبلت عليه طباعها والاوجاع التي تلحق نفوسها عند الآفات العارضة ليس عقوبة لها وعذابا كما ظن أهل التناسخ ، بل حثا لنفوسها على حفظ أجسادها وصيانة لها كلها من الآفات العارضة لها اذ كانت الاجساد لا تقدر على جر منفعة ولا دفع مضرة عنها ، ولو لم يكن ذلك كذلك لتهاونت النفوس بالأجساد وخذلتها وأسلمتها الى الهلاك قبل فناء أعمارها وتقارب آجالها وهلكت كلها دفعة واحدة في أسرع مدة

فلهذه العلة جعلت الآلام والاوجاع للحيوان دون النبات وجعل فيها حبا للبقاء إما بالحرب والقتال وإما بالهرب والفرار والتحرز لحفظ جثتها من الآفات

العارضة الى وقت معلوم ، فاذا جاء أجلها فلا ينفع القتال ولا الهرب ولا التحرز بل التسليم والانقياد ولو كان ينالها بعض الآلام والاوجاع . واذ قد ذكرنا ما يحتاج اليه .

فنقول الآن إن الله تعالى لما خلق أجناس الحيوانات التي في الارض وعلم أنها لا تدوم بذاتها أبد الآبدين جعل لكل نوع منها عمراً طبيعياً أكثر ما يمكن منه ثم يجيئه الموت ان شاء أو أبى وقد علم الله تعالى أنه يموت كل يوم منها في البر والبحر والسهل والجبل عدد لا يحصيه الا الله تعالى ثم جعل بواجب الحكمة جثة جيف موتاها غذاء لاحيائها ومادة لبقائها لئلا يضيع شيء مما خلق الله تعالى بلا نفع ولا فائدة وكان في هذا منفعة لاجسادها ولم يكن فيه ضرر على الموتى . وخصلة أخرى لو لم تكن الاحياء تأكل جيف الموتى منها لبقيت تلك الجيف واجتمع منها على ممر الايام والدهور حتى تمتلىء منها الارض وقعر البحار وتنتن ويفسد الهواء والماء من نتن روائحها فيصير ذلك سبباً لكونها وهلاكها للاحياء فأي حكمة أكثر من هذه أن جعل الباري تعالى في أكل الحيوانات بعضها بعضا من المنفعة للأحياء ودفع المضرة عنها كلها وان كانت تنال بعضها الآلام والاوجاع عند الذبح والقتل ؟ وليس قصد القابض من القاتل من ذبحها وقبضها إدخال الالم والوجع عليها بل لينال المنفعة فيها لدفع مضرة بها

❊ فصل ❊

ثم اعلم أن الله تعالى لما ابدع الموجودات واخترع الكائنات قسمها قسمين اثنين كليات وجزئيات ورتب الجميع ونظمها مراتب الاعداد المفردات ، كما بينا في رسالة المبادىء وكانت مرتبة الكليات أن جعل الاشرف منها علة لوجود أدونها وسببا لبقائها ومتمما لها ومبلغاً الى أقصى غاياتها وأكملها ، وكانت مرتبة الجزئيات أن جعل الناقص منها علة للناقل(١) وسببا لبقائه ، والأدون خادما للأشرف ومعينا ومسخرا له . وبيان ذلك من النبات الجزئي : لما كان أدون رتبة من الحيوان

(١) لعل الصواب : الكامل كما يقتضيه السياق

الجزئي وأنقص حالة منه جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادة لبقائه وجعل النفس النباتية في ذلك خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها . وهكذا أيضا لما كانت رتبة النفس الحيوانية أنقص وأدون من رتبة النفس الانسانية جعلت خادمة ومسخرة للنفس الانسانية الناطقة . وهذه الحكمة التي ذكرناها كاية بينة ظاهرة للعقول السليمة . فنقول على هذا الحكم والقياس : لما كان بعض الحيوانات أتم خلقة وأكمل صورة كما بينا قبل هذا ، جعلت النفس الناقصة منها خادمة ومسخرة للتامة منها الكاملة ، وجعلت أجسادها غذاء ومادة للاجساد الناطقة منها وسببا لبقائها لتبلغ الى أتم غاياتها وأكمل نهاياتها كما جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادة لبقائه وسببا لكماله . وكما أنه لما كانت النفس النباتية (اذ هي) أدون رتبة من النفس الحيوانية جعلت خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها في رتبتها غذاء لها ومادة لاجسادها فهكذا جعل حكم نفوس الحيوانات الناقصة خادمة لنفوس الحيوانات التامة الخلقة الكاملة ومسخرة لها لكيما تربي جسمها وتنميها وتسلمها الى الحيوانات التي هي أكمل منها وأشرف ليكون ذلك غذاء لأجسادها ومادة لأبدانها وسببا لبقاء أشخاصها زمانا ما أطول ما يمكن وعلة لتوالد نسلها وبقاء صورتها ، لأن هيولى الاشخاص دائما في الذوبان والسيلان فيحتاج الى بدل ما يتحلل من الاشخاص ، فاذاً قد تبين بما ذكرنا ما العلة في أكل الحيوانات بعضها بعضا . فأما المنفعة العامة والصلاح الكلي في أكل الحيوانات بعضها بعضا فهو أنه لو لم يكن لامتلأ وجه الارض وقعر البحار وجوف الانهار من جيف الحيوانات المنتنة في كل يوم على ممر الدهور ، ولفسد جو الهواء وعرض من ذلك الوباء للاحياء منها وهلكت كلها دفعة . وعلة أخرى : وذلك أن الله (تعالى) لما خلق الاحياء . اما لجر منفعة أو لدفع مضرة عنها لم يترك شيئا بلا نفع ولا عائدة . فلو لم يجعل أكل بعض الحيوانات بعضها بعضا لكان بعض الحيوان باطلا بلا فائدة وكان يعرض منها ضرر عام وهلاك كلي كما ذكرنا آنفا فاما الآلام والاوجاع والفزع الذي يعرض لها عند الذبح والقتل والموت والامراض ، فلم يجعل ذلك الباري (تعالى) تعذيبا لنفوسها ولا عقوبة ساقها لها — كما ظن ذلك أهل التناسخ — بل جعل ذلك حثا لنفوسها

على حفظ أجسادها من الآفات العارضة لها الى أجل معلوم ، واذا لم يكن كذلك لتهاونت النفس بالاجساد وتركتها هذه الآفات وأسلمتها الى المهالك والتلف وكانت تهلك جميعا قبل مجيء آجالها وفناء أعمارها وقبل تمامها وكمالها . واذا قيل : ما العلة في محبة الحيوانات الحياة وكراهيتها الموت ؟ قيل ذلك لعلل شتى وأسباب عدة أحدها أن الحياة تشبه البقاء والموت يشبه الفناء والبقاء محبوب في جبلة الخلائق كلها اذ كان البقاء قرين الوجود والفناء قرين العدم والعدم والوجود متقابلان ، والله (تعالى) لما كان هو علة الموجودات وهو باق أبداً صارت الموجودات كلها تحب البقاء وتشتاق اليه : فمن أجل هذا قالت الحكماء ان الله (تعالى) هو المعشوق الاول المشتاق اليه سائر الخلائق ، وعلة أخرى لكراهية نفوس الحيوانات الموت وهو ما يلحقها من الآلام والاوجاع والفزع عند مفارقة نفوسها أجسادها . وعلة أخرى أن نفوسها لا تدري أن لها وجوداً خلوا من الاجساد . فان قيل : فلم لا تدري نفوسها بأن لها وجودا خلوا من الاجسام ؟ قلنا لانه لا يصلح لها أن تعلم هذه المعاني لانها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل ، واذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلاء بلا فعل ولا عمل ، وليس من الحكمة أن يكون كذلك اذ كانت علتها التي هي خالقها لم تخل من تدبير ليكون فارغا بلا فعل البتة ، بل كل يوم هو في شأن

فصل

ثم اعلم ان النفوس التامة الكاملة اذا فارقت الاجساد تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص هذه من حال النقص وتبلغ تلك الى حال الكمال وترتقي هذه المؤيدة أيضاً الى حالة هي أكمل وأشرف وأعلى « وأن الى ربك المنتهى »

والمثال في ذلك الأب الشفيق والاستاذ الرفيق في تعليمهما التلامذة والاولاد واخراجهما اياهم من ظلمات الجهالات الى فسحة العلوم وروح المعارف ليتمم التلامذة والاولاد ويكمل الآباء والاستاذون باخراج ما في قوة نفوسهم من

العلوم والمعارف والصنائع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبهاً به فى حكمته اذ هو العلة والسبب والمبدأ فى اخراج الموجودات من القوة الى الفعل والظهور ، وكل نفس هي أكثر علوماً وأحكم صنائع وأجود عملا فهي أقرب تشبهاً بربها وأشد تشبهاً ، وهذه هي مرتبة الملائكة الذين لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » . ولهذا المعنى قالت الحكماء الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر

معناه أن تكون علومه حقيقية وصناعته محكمة وأعماله صالحة وأخلاقه جميلة وآراؤه صحيحة ومعاملته نظيفة وفيضه على غيره متصلا ، والله سبحانه تعالى كذلك

ثم اعلم أنه قد اختلف الحكماء فى ماهية الانسان وماحقيقة معناه اختلافاً كثيراً والبحث فى ذلك القيل والقال ولكن يجمعها كلها ثلاث مقالات : وذلك أن منهم من قال : ان الانسان هو هذه الجملة المرئية المبنية بنية مخصوصة من اللحم والدم والعظم وماشا كل ذلك لاشىء آخر سواها ، ومنهم من قال : ان الانسان هو هذه الجملة المجموعة من جسد جسمانى ومن روح نفسانى أي روحانى مقترني المجموعة ، ومنهم من قال : ان الانسان بالحقيقة هو هذه النفس الناطقة والجسد لها بمنزلة قميص ملبوس أو غلاف مغشا عليه . فهذه ثلاث مقالات في كلام الحكماء فى ماهية الانسان . فأما اختلافهم في ماهية النفس فنبينه أيضاً ويجمعها ثلاث مقالات وذلك أن منهم من قال ان النفس هى جسم لطيف غير مرئى ولا محسوس . ومنهم من قال انما هى جوهرة روحانية غير جسم معقولة وغير محسوسة باقية بعد الموت . ومنهم من قال ان النفس عرض يتولد من مزاج البدن وأخلاط الجسد يبطل ويفسد عند الموت اذا بلى الجسد وتلف البدن ولا وجود لها الا مع الجسم البتة وهؤلاء قوم يقال لهم الجسميون لا يعرفون شيئاً سوى الاجسام المحسوسة والأعراض ذو الابعاد الثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق ، والاعراض التى تحلها مثال الالوان والطعوم والروائح والاشكال ذوات

الاضلاع من الاقطار والزوايا وليس عندهم علم من الامور الروحانية والجواهر النورانية والصور العقلية والقوى النفسانية السارية في الاجسام المظهرة فيها ومنها افعالها وتأثيراتها حسب

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن من العلوم الشريفة والمعارف النفيسة معرفة الانسان نفسه لانه قبيح بكل عالم أن يدعى معرفة حقائق الاشياء وهو لايعرف نفسه ويجهل حقيقة ذاته وهو يتعاطى الحكمة ، لان مثل ذلك كمثل من يطعم غيره وهو جائع أو يكسو غيره وهو عريان ويهدي غيره وهو ضال فى الطريق الانهج ، وقد علم كل عاقل ذاته في هذه الاشياء بأنه ينبغي للانسان أن يبتدى أولا بنفسه ثم بغيره .

ثم اعلم أن الانسان لايمكنه أن يعرف نفسه على الحقيقة الا أن ينظر ويبحث وذلك من ثلاث جهات أحدها الجسد بمجرده عن النفس ، والثانى النظر في أمر النفس والبحث عن جوهرها بمجردها عن الجسد ، والثالث النظر والبحث عن الجملة المجموعة من النفس والجسد جميعاً . وقد بينا في رسالة تركيب الجسد هذه الابواب الثلاثة بشرح طويل ولكن نذكر طرفا منها هاهنا مما لا بد منه فنقول:

ان الجسد هو جسم مؤلف من لحم وعظم وعروق وعصب وماشا كل ذلك. وهذه كلها أجسام طويلة عريضة عميقة وجملة ذلك تدرك بالحس ولا يشك فيها عاقل .

وأما النفس فهي جوهرة سماوية روحانية حية بذاتها علامة دراكة بالقوة فعالة بالطبع لا تهدأ ولا تقر عن الجولان مادامت موجودة ، وهكذا خلقها ربها يوم خلقها وأوجدها ، والدليل على ماقلنا وصحة ما وصفنا حسب مابينا من أمر النفس آنفاً وكذلك نبين أيضاً فيما بعد هذا.

وأما الجملة المجموعة من الجسد والنفس بهذا المحسوس المشاهد المخاطب المتكلم السائل المجيب العالم العارف مادام حياً ، فاذا مات بطل منه ظهور هذه الاشياء لان الموت ليس هو شيء سوى مفارقة نفسه جسدها ، وعند ذلك يعدم

منه جميع فضائله الظاهرة من العلوم والصنائع والكلام والحركات والحواس وما شا كلها .

ثم اعلم أن أكثر العقلاء وكثيراً من العلماء ممن يقر بوجود النفس أو يتكلم فى أمرها يظنون ويتوهمون أنها شيء متولد من مزاج الجسد وليس الامر كما ظنوا وتوهموا لان المتولد من الشيء يتكون من جوهر ذلك الشيء والجسم جسم لاشك فيه والنفس ليس بجسم ولاعرض من الاعراض

والدليل على ذلك أنها ليست بجسم ، وهو أن الجسم لا يعقل الا متحركا أو سا كنا فلو كان متحركا من حيث هو جسم لكان يجب ان يكون كل جسم متحركا ولو كان سا كنا لكان يجب أن يكون كل جسم ساكنا وليس يوجد الامر كذلك ، بل قد يوجد بعض الاجسام متحركا دائما وبعضها متحركا تارة وسا كنا أخرى مثل الهواء والماء والنار والحيوان والنبات ، فيدلنا بأن شيئاً آخر هو الذى يحركها ويسكنها

وليست النفس بجسم ولا بعرض من الاعراض القائمة بالجسم المتولد منه أو فيه ، لان العرض هو شيء لا يقوم بنفسه وهو انقص حالا من الجسم ،والمحرك للشيء المسكن له هو اقوى منه واشرف

ودليل آخر ان العرض لا فعل له لأن الفعل عرض من الاعراض قائم بفاعله ولو كان للعرض فعل لكان يجب ان يكون العرض قائما به ، ولا هو يقوم بنفسه فكيف يقوم بغيره

فهذا دليل على ان العرض لا فعل له . وقد بينا ايضا ان الجسم لا فعل له لأن الفاعل بالحقيقة هو الذى يقدر على اخذ الفعل وتركه لان ترك الفعل اسهل من اخذه فلو كان للعرض فعل لكان يقدر على تركه كما يقدر علي اخذه ، فمن ظن ان النفس الناطقة الفاعلة الحساسة الدراكة العلامة الصانعة الحكيمة المتكلمة العارفة المجردة من الكائنات : من تركيب الافلاك واقسام البروج والحركات والمولدات المركبات من الحيوان والنبات والمعادن وانواعها وخواصها ومنافعها ومضارها

انما هي عرض او مزاج متولد من اخلاط البدن من غير دليل على ما زعم او حجة بينة دعته الى ما هو عليه ويتوهم ، فهو جاهل بأمر نفسه لم يعرف حقيقة ذاته فكيف يوثق بقوله انه يعرف حقائق الاشياء ويعبر عن علل الموجودات الغائبات عن الحواس وانه يعلم اسباب الكائنات الخفيات التى لا تعلم الا بدليل عقلي وبراهين حكمية ومقدمات ونتائج منطقية او هندسية ؟! وهذا يظن ان نفسه العالمة الناطقة الصانعة الحكيمة جسم اومزاج او عرض من الأعراض لاقوام لها ولا حس ولا حركة ولا شعور « هيهات هيهات لما توعدون » بعيد عن الحق « ونودى به من مكان بعيد » ضل عن طريق الصواب من يظن بنفسه هذه الظنون « وماقدروا الله حق قدره » اذ من جهل نفسه كيف يتيسر له معرفة الله كما قال النبى ﷺ «من عرف نفسه فقد عرف ربه واعرفكم بنفسه اعرفكم بربه »وقال تعالى« بل الانسان على نفسه بصيرا » وقال : « وفي انفسكم افلا تبصرون » وقال : « واشهدهم على انفسهم الست بربكم » « قالوا بلى شهدنا » . وقال:«ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم » . قال اهل المعارف اشار بقوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » يعنى العارفين بأنفسهم لينتبه الجاهل من نوم غفلته . فان قيل : ما الحكمة في اختلاف أنواع النبات وأوراقها وثمارها وفنونها وألوانها وطعومها وروائحها وطباعها المختلفة ؟ قيل لما فيها من كثرة المنافع للحيوانات المختلفة الصور المتغايرة الطباع المفننة الاخلاق الكثيرة المتصرفات فان قيل : لم جعل في طباع بعض الحيوانات وجبلتها الالفة والانس والمودة ؟ يقال ليدعوها ذلك الى اجتماع المعاون لما فيه من صلاحها وكثرة منافعها. وان قيل : فما الحكمة في كون النفور والوحشة والعداوة في جبلة بعض الحيوانات يقال لكيما يدعو ذلك الى التباعد في الاماكن والانتشار في البلاد مما فيه من صلاح حالها وسلامتها من الآفات ولكيما تتزاحم في الاماكن ويضيق بها التصرف والفسحة ورغدة العيش ، ثم اجتمع الناس في المدن والقرى وتزاحموا لشدة حاجتهم الى معاونة بعضهم بعضاً لأن الانسان لم يقدر أن يعيش وحده الا عيشاً نكداً

فصل

ما العلة فى اختلاف لغات الناس وألوانهم وأخلاقهم وصورهم واحد وكلهم أبوهم واحد فنقول : اختلاف أماكن أبدانهم وألوانهم واختلاف تربها وتغيرات أهويتها وطوالع البروج عليها ومسامتات الكواكب وفنون آرائهم مع كثرة العداوة منهم في ذلك لكيما يدعوهم الى استخراج فنون العلم والاجتهاد في تهذيب النفس أو الانتباه من نوم الغفلة والخروج من ظلمات الجهالة والبلوغ الى التمام والكمال والبقاء على أتم الاحوال ما أمكن واستوى

وأيضاً لما حكم على نفوس الحيوانات كلها بالموت ؛ لتنتقل الى حالة هي أتم وأكمل وأفضل

فصل

ثم اعلم أنه ينبغي لمن يريد أن يعرف حقائق الاشياء أن يبحث أولا عن علل الموجودات وأسباب المخلوقات وأن يكون له قلب فارغ من الهموم والغموم والامور الدنياوية ونفس ذكية طاهرة من الاخلاق الردية وصدر سليم من الاعتقادات الفاسدة ، ويكون غير متعصب لمذهب أو على مذهب ، لان العصبية هي الهوى والهوى يعمي عين العقل وينهى عن ادراك الحقائق ويعمي النفس البصيرة عن تصور الاشياء بحقائقها فيصدها ذلك عن الهوى ويعدل عن طريق الصواب

ونحن نريد أن نبحث في هذه الرسالة عن علل الموجودات وأسبابها فنريد أن نبين من ذلك طرفاً حسبما جرت عادة اخواننا وعلى حسب جهدنا وطاقتنا فيما وهب الله لنا من الهداية ولكن نبدأ أولا بتوطئة أصول لا بد من ذكرها مقدمات ينتج عنها ما نريد أن نبين من هذه العلل والاسرار فنقول

ان العلماء الراسخين والحكماء الربانيين قالوا ان الله تعالى لما أبدع الموجودات واخترع المخلوقات رتبها مراتب الاعداد المتواليات ونظمها نظاماً واحداً يتلو

بعضها بعضا في الموجودات الى الاعداد المتناسبات ، اذ كان ذلك أحكم وأتقن . كما بينا في رسالة المبادىء العقلية

وأما فعل الباري تعالى حسب ما ذكرنا : وذلك أنه جعل كل جنس من الموجودات على أعداد مخصوصة مطابقة بعضها لبعض إما بالكمية واما بالكيفية ليكون ذلك دليلا للعلماء وبياناً للعقلاء إذا بحثوا عنها واعتبروا واستدلوا بشاهدها الجلي على غائبها الخفي ، فيبين لهم ويعلموا أنها كلها من صنع باريء حكيم فيزدادون بذلك بصيرة ويقيناً والى لقاء الله تعالى اشتياقا ويعبدون ربهم ليلا ونهاراً

ثم اعلم أن من الاشياء الموجودة ما هي على أعداد مخصوصة ، ومنها ما هي في البروج والافلاك ، ومنها ما هي في الاركان والامهات ، ومنها ما هي في خلقة النبات ، ومنها ما هي في تركيب جثة الحيوانات ، ومنها ما هي في سنن الشرائع من المفروضات ، ومنها ما هي في الخطاب والمحاورات

فمن ذلك أن الله تعالى أنزل القرآن بلغة فصيحة هي أفصح اللغات وجعل هذا الكتاب مهيمناً على كل كتاب أنزله قبله وجعل هذه الشريعة أتم الشرائع وأكملها وحكم فى سنن المفروضات أموراً مثنويات ومثلثات ومربعات ومخمسات ومسدسات ومسبعات ومثمنات ، وما زاد بالغاً ما بلغ ليكون اذا تأمل أولو الالباب وتفكر فيها أولو الابصار واعتبروا فيها وجدوا فى سنتها وأحكامها أموراً معدودة مطابقة لامور من الرياضيات والطبيعيات والالهيات ، ويتعلمون ويتيقنون أن هذا الكتاب هو من عند الصانع الحكيم الذي هو صانع المخلوقات وباريء الموجودات ، وأن هذه الشريعة هي التى وضعها وشرحها فيزول الشك العارض عن قلوب هؤلاء المتعاطين الحكمة من تلك الامور المعدودة وهذه الحروف التى فى أوائل السور ان الله تعالى أورد من جملة الحروف المعجمة الثمانية والعشرين حرفاً أربعة عشر حرفا حسب ، ولم يزد عن أربعة عشر وهى : اح ر

س ص ط ع ق ك ل م ن لا ي تجعل منها فى بعض السور حرفا حرفا وفى بعضها حرفين وثلاثة وأربعة وخمسة ولم يزد على ذلك

ثم اعلم أن العلماء المفسرين تناظروا وشرعوا فى القيل والقال فى معانى هذه الحروف التى فى أوائل سور القرآن وما حقيقة تفسيرها والغرض منها ماهو وهى عدة سور فى القرآن أولها «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» «الم الله لا إله إلا هو» «المص» «الر تلك آيات الكتاب الحكيم» «الر كتاب أحكمت آياته» «الر تلك آيات الكتاب المبين» «المر تلك آيات الكتاب» «الر كتاب أنزلناه» «الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» «كهيعص» «طه ما أنزلنا» «طسم» «طس» «طسم» «الم أحسب الناس أن يتركوا» «الم غلبت الروم» «الم تلك آيات الكتاب الحكيم» الم تنزيل الكتاب من الله» «يس والقرآن الحكيم» «ص والقرآن ذي الذكر» «حم تنزيل الكتاب» «حم تنزيل من الرحمن الرحيم» «حمعسق» «حم والكتاب المبين» «حم والكتاب المبين» «حم تنزيل الكتاب» «حم تنزيل الكتاب» «ق والقرآن المجيد» «ن والقلم وما يسطرون» فذلك تسع وعشرون سورة. منها ما جاء فى أولها حرف واحد مثل ق ص ن. ومنها ماجاء في أولها حرفان مثل طه يس حم. ومنها ماجاء فى أولها ثلاثة أحرف مثل الم طسم الم الر. ومنها ما جاء فى أولها أربعة أحرف المر المص. ومنها ماجاء فى أولها خمسة أحرف مثل كهيعص حمعسق ولا يزيد على خمسة أحرف

فمن العلماء من قالوا إن هذه الحروف قسم أقسم الله تعالى بها، ومنهم من قال إن كل حرف منها كلمة قائمة بنفسها مثل ألف الله، لام جبرائيل، ميم محمد عليه السلام. ومنهم من قال إنها حروف حساب الجمل كما جاء في الخبر أن علماء التوراة ورؤساء اليهود اجتمعوا في المدينة وزعموا أنهم يعلمون حد هذه الأمة كم هو بحساب الجمل، ولأن لها قصة معروفة مشهورة تركنا ذكرها. ومنهم من قال إن هذه الحروف سر القرآن ولا يعلم تأويل ذلك الا الله. ومنهم من قال ان الراسخين في العلم

أيضاً يعلمون تفسير ذلك لما علمهم الله تعالى كما ذكر بقوله «ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء» «ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم». ومنهم من قال إن معرفتها أسراراً لا يصلح أن يعلمها كل أحد إلا الخواص من عباد الله الصالحين

ثم اعلم أن كل هذه الاقاويل مقنع لنفوس أقوام دون أقوام وذلك أن في الناس أقواماً عقلاء لا يرضون بالتقليد بل يريدون البراهين والكشف عن الحقائق وطلب العلة، ولم؟ وكيف؟ ولماذا؟ ولا يغنيهم من جوع ما يتأولون من التفسير في هذا المعنى. بل يطلبون وراء ذلك ما هو أحسن تأويلا وأبين تفسيراً. ونحن نذكر الآن من ذلك طرفاً ونشير اليها إشارة حسبما تحتمل عقول هؤلاء القوم من أهوائها

﴿ فصل ﴾

فنقول اعلم أن من يريد أن يعلم لم لم ترد من جملة الثمانية والعشرين حرفا إلا أربعة عشر حرفا ولم يزد على خمسة أحرف منها، وما المراد والحكمة في ذلك، فينبغي له أن يبحث ويعتبر جميع المحسوسات المفروضات في سنن الشريعة مثل الصلوات الخمس والزكوات الخمس، وأن شرائط الايمان خمس. إذ بنى الاسلام على خمس والفضلاء من أهل بيت النبوة خمسة، وواضعو الشريعة خمسة ومراقى منبر النبي خمسة، وما شاكل هذه المخمسات في أمور الدين والشريعة وأحكامها وما يحققها أيضا من المعدودات المخمسات مثل الكواكب الخمسة السيارة التى لها رجوع واستقامة، ومثل الحواس الخمس في الحيوانات التامة الخلقة، ومثل المخمسات فى خلقة النبات وما فى أسماء الايام الخمسة من جملة السبعة والخمسة المسترقة من جملة أيام السنة، وما شاكل هذه المخمسات فى الموجودات المطابقة بعضها بعضاً. ويعتبر أيضاً خاصية الخمس من العدد لأنها عدد كرى، ويقال إنها عدد دوائر وأنها تحفظ نفسها ومايتولد منها، كما بينا فى رسالة الأرثماطيقي والاشكال الخمسة الفاضلة المذكورة فى كتاب أقليدس والنسبة الخمسة الفاضلة

في الموسيقى وما شاكل هذه الامور من المحسات . فاذا اعتبر اللبيب العاقل هذه الاشياء التي ذكرنا وتأملها فعسى الله أن يفتح قلبه ويشرح صدره ويوفقه لعلمه علل الموجودات وأسباب المخلوقات وما الحكمة في كونها على ما هي عليه الآن .

وهكذا ينبغي لمن يريد أن يعرف سر هذه الحروف التي هي في أوائل السور لم كان منها أربعة عشر من جملة ثمانية وعشرين حرفا ، أن يعتبر الموجودات التي عددها ثمانية وعشرون فانه يجدها تنقسم قسمين حيث ما وجد : فمن ذلك ثمانية وعشرون عدد مفاصل اليدين للانسان فانها في اليد اليمنى أربعة عشر وأربعة عشر في اليد اليسرى ، وأن عددها مطابق لعدد ثمانية وعشرين خرزة هي في عمود ظهر الانسان ، منها أربعة عشر في أسفل الصلب وأربعة عشر في أعلاه . وهكذا توجد خرزات العمود التي في أصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقر والجمل والابل والحمر والسباع .

وبالجملة كل حيوان ترضع وتلد منها أربعة عشر في مؤخر الصلب وأربعة عشر في مقدم البدن ، وهكذا وجد عدد الريشات التي في أجنحة الطير المعتمدة عليها في الطيران فانها أربعة عشر ظاهرة في كل جناح ، وهكذا توجد عدد الخرزات التي في أذناب الحيوانات الطويلة الاذناب كالبقرة والسباع وكل ماله ذنب طويل ، وهكذا يوجد في عموم صلب الحيوانات الطويلة الخلقة كالسمك والحيات وبعض الحشرات ، وهكذا يوجد عدد الحروف التي في لغة العرب التي هي أتم اللغات وأفصحها ثمانية وعشرون حرفا منها أربعة عشر حرفا تدغم فيها لام التعريف وهي :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
التاء	والثاء	والدال	والذال	والراء	والزاي	والسين
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
والشين	والصاد	والضاد	والطاء	والظاء	واللام	والنون

وأربعة عشر لا تدغم فيها وهي الالف والباء والجيم والحاء والخاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف والميم والهاء والواو والياء . وهكذا يوجد حكم الحروف التي تخط بالقلم قسمين : أربعة عشر منها معلم وهي الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والذال والزاي والشين والضاد والظاء والغين والفاء والقاف والنون والياء ، وأربعة عشر غير معلم وهي الالف والحاء والدال والراء والسين والصاد والطاء والعين والكاف والميم والواو والهاء واللام : وهكذا حكم الحكيم الواضع للخط العربي فانه اقتفى في وضعه الخط العربي حكمة الباري (تعالى) فانه كان حكيما فيلسوفا ، وقد قيل : إن الحكمة هي التشبه بالاله بحسب طاقة البشر ، ومعنى هذه الكلمة أن يكون الانسان حكيما في مصنوعاته محققاً في معلوماته خيراً في أفعاله . ومن التي عددها ثمانية وعشرون : هي منازل القمر في الفلك فان عددها ثمانية وعشرون منها في البروج الشمالية أربعة عشر ، وفي البروج الجنوبية أربعة عشر . فقد علم مما ذكرنا وصدق بما قلنا أن الموجودات التي عددها ثمانية وعشرون تنقسم قسمين أي موضع وجدت : كل أربعة عشر منها لها حكم ليست للأربعة عشر الاخرى ، فلهذه العلة أورد من جملة الثمانية والعشرين حرفاً حروف الجمل أربعة عشر حرفا ولم يورد أربعة عشر الاخرى ، لان لهذه حكما ليس لذلك وهي السر المكتوم الذي لا يصلح أن يعلمه كل أحد إلا الخواص من عباد الله المخلصين .

وإذ قد ذكرنا طرفا من الاشارة الى هذه الحروف ودللنا على أنها سر القرآن ولا يجوز الافصاح عنها اذ لم يأذن لنا الحكماء والانبياء صلوات الله عليهم وفيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب زكي ونفس زكية وأخلاق طاهرة . فلنذكر الآن طرفاً من فضيلة ثمانية وعشرين على سائر الاعداد فنقول

اعلم أنه ما من عدد من الخليقة إلا وله فضيلة ليست لشيء آخر غيره وقد ذكرنا طرفاً من فضيلة الاعداد في رسالة الارثماطيقي : فمن فضيلة الثمانية والعشرين أنه من الاعداد التامة ، والاعداد التامة هي أفضل من الاعداد الناقصة والزائدة ،

أو أنها قليلة الوجود : وذلك أنه يوجد في كل مرتبة من مراتب الاعداد واحدة لا غير كالستة في الآحاد وثمانية وعشرين في العشرات ، وأربعمائة وستة وتسعين في المئات وثمانية آلاف ومائة وعشرين في الألوف فنقول :

انه أيضاً لما كان الاثنان أول عدد الزوج والثلاثة أول عدد الفرد ، والاربعة أول العدد المجذور يجمع بين ذلك ، وكانت السبعة التي هي عدد كامل وعدد الكواكب السيارة مطابقها ، ثم ضرب الثلاثة فى الاربعة وكان اثنا عشر الذي هو أول عدد زائد ، وجعل برج الفلك اثناعشر مطابقا له ، ثم ضربت السبعة في أربعة وكان ثمانية وعشرين التى هي عدد تام وجعل منازل القمر مطابقا له وجعل سائر الموجودات الاثنا عشرية مطابقة لعددها مثل الثقب للانسان التى هى اثنى عشر ، والاعضاء الاثنى عشر وشهور السنين الاثنى عشر عددها .

وعلى هذا القياس يوجد أشياء كثيرة اثنى عشريات وسبعيات وستيات وخمسيات وأربعيات وثلاثيات ومثنويات مطابقة بعضها لبعض ، ليدل ذلك على أنها كلها من صنع صانع كريم ، كما قال تعالى « ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار » وفقك الله وايانا وجميع اخواننا الى طريق السداد وهداك وإيانا سبيل الرشاد إنه رؤوف بالعباد

﴿ تمت رسالة العلل والمعلولات ويليها رسالة في الحدود والرسوم ﴾

الرسالة العاشرة

من النفسانيات العقليات

فى الحدود والرسوم

هى الرسالة الواحدة والاربعون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ انا قد فرغنا من بيان العلل والمعلولات وبينا فيها أقاويل جميع الحكماء ، حسب ما جرت به عادة اخواننا ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة بيان الحدود والرسوم فنقول :

إن الأنبياء عليهم السلام هم سفراء الله تعالى بينه وبين خلقه ، والعلماء هم ورثة الانبياء والحكماء هم أفاضل العلماء . وقد قيل إن الحكيم هو الذي يوجد فيه سبع خصال محمودة ، احداها أن تكون أفعاله محكمة وصنائعه متقنة وأقاويله صادقة وأخلاقه جميلة وآراؤه صحيحة وأعماله زكية وعلومه حقيقية

واعلم أن معرفة حقيقه الاشياء هى معرفة حدودها ورسومها وذلك أن الاشياء كلها نوعان : مركبات ووسائط

فأما المركبات فتعرف حقائقها اذا عرفت الاشياء التى هي مركبة منها ، والبسائط تعرف حقائقها اذا عرفت الصفات التى تخصها

مثال ذلك اذا قيل لك ما حقيقة الطين ؟ فيقال : ماء وتراب مختلطان ، والسكنجبين ؟ فيقال ؟ خل وعسل ممزوجان ، والسرير ؟ خشب وصورة مركبان ،

والـكلام ؟ ألفاظ ومعاني مؤلفات ، واللحن ؟ نغمات حادة وغليظة متحدان ، والحيوان ؟ نفس وجسد مقرونان

وعلى هذا القياس تجيب اذا سئلت عن هذه الاشياء المركبة فلا بد من ذكر تلك الأشياء التى هى مركبة ومؤلفة منها . فأما الاشياء البسيطة فتعرف حقائقها إذا عرفت الصفات التى تخصها

مثال ذلك اذا قيل لك ما الهيولى ؟ فيقال جوهر بسيط قابل للصورة ، فان قيل ما الصورة ؟ فيقال ماهية الشيء وله الاسم والفعل والقيامة ، فان قيل فما الجوهر ؟ فيقال هو قائم بنفسه القابل للصفات ، فان قيل فما الصفة ؟ فيقال عرض حال فى الجوهر لا كالجزء منه ، فان قيل ما الشيء ؟ فيقال هو المعنى الذي يعلم ويخبر عنه ، فان قيل ما الموجود ؟ قيل هو الذى وجده أحد الحواس أو تصوره العقل أو دل عليه الدليل ، فان قيل ما المعدوم ؟ فيقال ما قابل هـذه الاشياء المذكورة فى الوجود ، فان قيل ما الوجود ؟ فيقال إيس ، فان قيل ما العدم ؟ فيقال ليس فان قيل ما القديم ؟ فيقال مالم يكن ليس ، فان قيل ما المحدث ؟ فيقال ما كونه غيره فان قيل ما الاحداث ؟ فيقال تـكوين المكون ، فان قيل ما العـلة ؟ فيقال هى سبب لكون شيء آخر إيجاداً ، فان قيل ما المعـلول ؟ فيقال هو الذي لوجوده سبب من الاسباب ، فان قيل ما العالم ؟ فيقال هو المتصور للشيء على حقيقته ، فان قيل ما العلم ، فيقال صورة المعلوم فى نفس العالم ، فان قيل ما الحي ، فيقال المتحرك بذاته ، فان قيل ما القادر ؟ فيقال هو الذى لا يتعذر عليه الفعل متى شاء ، فان قيل ما الفعل ؟ فيقال أثر من مؤثر ، فان قيل ما معنى البارى (تعالى) فيقال علة كل شيء وسبب كل موجود ومبدع المبدعات ومخترع الـكائنات ومتقنها ومتممها ومكملها ومبلغها الى أقصي مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها بحسب ما يتأتى فى كل واحد منها ، فان قيل ما القدرة ؟ فيقال امكان ايجاد الفعل ، فان قيل ما الصنعة ؟ فيقال هو اخراج الصانع من فكره ووضعه في الهيولى ، فان قيل ما المصنوع ؟ فيقال مركب من هيولى وصورة ، فان قيل ما العقل الفعال ؟ فيقال هو أول مبدع

أبدعه الله (تعالى) وهو جوهر بسيط نوراني فيه صورة كل شيء ، فان قيل ما النفس ؟ فيقال جوهرة بسيطة روحانية حية علامة فعالة وهي صورة من صور العقل الفعال ، فان قيل ما الارادة ؟ فيقال إشارة بالوهم الى تكوين أمر ممكن كونه وكون خلافه ، فان قيل ما العقل الانساني ؟ فيقال التمييز الذى يخص كل واحد من أشخاصه دون سائر الحيوانات ، فان قيل ما الجنس ؟ فيقال صفة جماعة متفقة بالصورة يعمها معنى واحد ، فان قيل ما الشخص ؟ فيقال كل جملة يشار اليها دون غيرها مميزة من غيرها بالافعال والصور ، فان قيل ما الخاصة ؟ فيقال صفة مخصوصة لما دون غيره بطيئة الزوال ، فان قيل ما النور ؟ فيقال جوهر مرئى يضيء من ذاته ويرى به غيره ، فان قيل ما الظلمة ؟ فيقال عدم النور عن الذات القابلة للنور ، فان قيل ما النهار ؟ فيقال هو ضوء الشمس ، فان قيل ما الليل ؟ فيقال هو ظل الارض ، فان قيل ما الحرارة ؟ فيقال غليان أجزاء الهيولى ، فان قيل ما البرودة ؟ فيقال جمود أجزاء الهيولى ، فان قيل ما الرطوبة ؟ فيقال سيلان أجزاء الهيولى ، فان قيل ما اليبوسة ؟ فيقال تماسكها ، فان قيل ما اللون ؟ فيقال هو بروق شعاعات الأجسام ، فان قيل ما الرائحة ؟ فيقال بخارات ذوات كيفيات تتحلل من الاجسام المركبة ، فان قيل ما الصوت ؟ فيقال قرعٌ في الهواء من تصادم الاجسام ، فان قيل كم الحركات ؟ فيقال ستة أنواع : هى الـكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة ، فان قيل كيف حالتهن في الافعال ؟ فيقال ان الـكون هو قبول الهيولى والصورة ، وخروجه من حيز العدم والفساد هو خلق الصورة وخلعها من الهيولى ، والزيادة تباعد نهايات الشيء ، والنقصان تقاربها ، والتغير تبدل الصفات على الموصوف ، والنقلة خروج من مكان الى مكان . فان قيل ما المكان ؟ فيقال انه كل موضع تمكن فيه المتمكن وهو نهايات الجسم ، فان قيل ما الزمان ؟ فيقال عدد حركات الفلك وتكرار الليل والنهار ، فان قيل ما الفلك ؟ فيقال انه جسم شفاف كري محيط بالعالم ، فان قيل ما العالم فيقال جميع الموجودات المتكونات التى يحويها الفلك ، فان قيل ما الكواكب ؟ فيقال أجسام منيرة مستديرة كالجامدة من دوام ثباتها في

موضع معروف بها ، فان قيل ماالجسم فيقال ماله طول وعرض وعمق ، فان قيل ماالجسم الشفاف يقال كل جسم يرى ماوراءه فان قيل ماالنار ؟ فيقال نير حار يبدد الاشياء ويفرق أجزاءها ويردها الى ذاتها البسيطة ، فان قيل ما الهواء ؟ فيقال جسم لطيف خفيف سيال شفاف سريع الحركة الى الجهات الست وهى فوق وتحت وغرب وشرق وجنوب وشمال ، فان قيل ماالماء ؟ فيقال جسم سيال قد أحاط حول الارض ، فان قيل ما الارض ؟ فيقال جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام وتواقف في مركز العالم ، فان قيل ماالجهات . فيقال ستة أنواع : شرق وغرب وجنوب شمال وفوق وتحت ، وذلك أن الشرق حيث تطلع الشمس والغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق هو ممايلى المحيط والاسفل هو مما يلى الارض فان قيل ماالطين . يقال ماء وتراب . فان قيل ما الزبد يقال ماء وهواء . فان قيل ما البخار . يقال ماء ونار . فان قيل ماالدخان . يقال نار وتراب . فان قيل ماالبرق . يقال نار وهواء . فان قيل ماالمعادن يقال ماالغالب عليه الترابية . فان قيل ماالنبات . يقال ماالغالب عليه المائية . فان قيل ماالحيوان يقال ماالغالب عليه الهوائية . فان قيل ماالانسان . يقال ماالغالب عليه النارية . فان قيل ماالملائكة يقال ماالغالب عليها طبيعة الفلك . فان قيل ماالجن فيقال ماالغالب عليها النارية والهوائية . فان قيل ماالشياطين . يقال ماالغالب عليها الترابية والنارية . فان قيل ما الرياح يقال هى تموج الهواء وسيلانه الى احدى الجهات فان قيل ماالطبيعة الفاعلة يقال هى قوة من قوى النفس الكلية الفلكية سارية في الاركان فان قيل ماالاثير ، يقال الهواء الحار الذى يلى فلك القمر . فان قيل ماالنسيم يقال هو الهواء المعتدل الذي يلى وجه الارض .

فان قيل ما الزمهرير ؟ يقال هو الهواء الذى هو فوق كرة النسيم ودون الاثير وهو بارد مفرط البرودة ، فان قيل ما الشعاع ؟ يقال نور الشمس والقمر والكواكب السيارة فى الهواء نحو مركز الارض ، فان قيل ماانعكاس الشعاع ؟ يقال هو رجوع تلك الانوار من سطح الارض والبحار والانهار والجبال في الهواء ، فان قيل

ما البخار ؟ يقال هو أجزاء مائية رطبة ترتفع فى الهواء مع تلك الشعاعات الراجعة من سطوح المياه ، فان قيل ماالدخان يقال هو أجزاء أرضية لطيفة ترتفع فى الهواء مع الحرارة ، فان قيل ماالغيم والسحاب ؟ يقال الاجزاء المائية والترابية اذا كثرت فى الهواء وتراكمت ، والغيم منها هو الرقيق والسحاب هو المتراكم ،

فان قيل ما المطر ؟ يقال تلك الاجزاء المائية اذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت ورجعت نحو الارض ، فان قيل ما الرياح ؟ يقال تلك الاجزاء الارضية اذا بردت ورجعت نحو مركزها ، فان قيل ماالبرق ؟ يقال هو النار تنقدح من احتكاك تلك الاجزاء الدخانية في جوف السحاب ، فان قيل ما الرعد يقال هو الصوت الذي يدور في جوف السحاب ويطلب الخروج ، فان قيل ما الصاعقة ؟ يقال هى صوت يحدث من خروج تلك الرياح دفعة واحدة مع تلك البروق ، فان قيل ماالصوت ؟ يقال هو قرع يحدث فى الهواء من تصادم الاجسام بعضها بعضا

فان قيل ما الضباب ؟ يقال هو البخار الرطب يثور من وجه الارض بعقب الامطار ، فان قيل ما الهالة ؟ يقال دائرة تحدث فوق سطح الغيم من انعكاس شعاع الشمس والقمر والكواكب ، فان قيل ماقوس قزح ؟ يقال هو نصف محيط تلك الدائرة اذا حدثت فى كرة النسيم منصبة ، فان قيل كم عدد الألوان المتناهية من ذلك باصباغها ؟ يقال أربعة : الحمرة في اعلاها والصفرة دونها والخضرة دون الاصفرار والزرقة دون الخضرة .

ونحن قد ذكرنا طرفاً في كيفية حدوث هذه الاشياء في رسالة الآثار العلوية بشرحها . فان قيل ما الثلوج ؟ يقال قطر صغار تجمد في خلل الغيم تنزل برفق. فان قيل ما البرد ؟ يقال قطر تجمد في الهواء بعد خروجها من سلك السحاب ، فان قيل ماالغيم ؟ يقال ما كان بسيطاً رقيقاً يقال له الغيم وما كان مترا كما بعضه فوق بعض كأنه جبال من قطن يقال له السحاب ، فان قيل ما السيول ؟ يقال مياه أودية تجري من كثرة الامطار ، فان قيل مامدود الانهار ؟ يقال من ماء العيون الذى ينزل من أصول الجبال فينصب ويجري فى بطون الاودية — زيادتها من كثرة

السيول ، فان قيل من أي موضع تجري الانهار كلها ؟ يقال تبتدىء من عيون في رؤوس الجبال أو أسافلها وتلال في البراري وتمر بجريا نهانحو الآجام والغدران والبطائح ، فان قيـل ماالزلازل ؟ يقال هي حركة بعض بقاع الارض من رياح محتبسة في جوف الارض ، فان قيل ماالخسوف ؟ يقال هي سقوط سطح بقاع الارض على أهوية تحتها اذا انشقت وخرجت منها تلك الرياح المحتبسة ،فان قيل ماالجبال ؟يقال أوتاد الارض ومسنيات الرياح والبحار . فان قيل ماالجزائر .يقال بقاع من الارض في وسط البحار . فان قيل ماالبراري .يقال هى بقاع من الارض ليس فيها نبات ولا بناء ، فان قيل ماالآجام والبطائح ؟ يقال بقاع فيها مياه ونبات ، فان قيل ماالغدران ؟ يقال مواضع تجتمع فيها مياه الأمطار ، فان قيل ماالأرض ؟ يقال جسم كري الشكل واقف فى الهواء باذن الله (تعالى) بجميع ماعليها من الجبال والبحار ، فان قيل ماالهواء ؟ يقال ما هو محيط بالأرض من جميع الجهات ، فان قيل ماالفلك ؟ يقال هو محيط بالهواء مثل ذلك ، فان قيل ما مركز الأرض ؟ يقال نقطة في وسط عمقها ومن ذلك النقطة الى ظاهر سطحها ثلاثة ونصف من اثنين وعشرين ـ المحيط ، فان قيل ماالبحار ؟ يقال هي مستنقعات على وجه الارض حاصرة للمياه المجتمعة فيها ، فان قيل مازيادة البحر ؟ فيقال هي انصباب مياه الانهار والاودية فيها ، فال قيل ماالعلة في مد بحر فارس وجزره في اليوم والليلة يقال علة كون المد عند طلوع القمر فانه يؤثر في غليان أجزاء المياه فى قعره وثوران انتفاخها ورجوع تلك الانهار المنصبة الى خلف فيظهر المد فعله كون الجزر هي عند مغيب القمر ورجوع تلك الأجزاء الى قرارها ويؤثر بازالة الغليان وهو الفوران والانتفاخ السكون فيظهر الجزر فان قيل ما العلة في أن مياه البحار كلها مالحة مرة غليظة ومياه الامطار والانهار وأكثر الآبار عذبة لطيفة وقد ذكرنا طرفا من علك وأسبابها في رسالة لنا قد تقدم ذكرها ، فان قيل ما الطبائع الاربع يقال هي البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة ، فان قيل ما الاركان الاربعة يقال هي النار والهواء والماء والارض ، فان قيل ما الاخلاط الاربعة

يقال هي الصفراء (١) والسوداء والدم والبلغم ، فان قيل ما المولدات الكائنات يقال هي المعادن والنبات والحيوان ، فان قيل ما المعادن يقال ما يكون في عمق الارض من الجواهر وغيرها مما يجرى مجرى الموات ، فان قيـل ما النبات يقال ماهو ظاهر ويظهر على وجه الارض من نبت الاشجار وما ينجم ، فان قيل ما الحيوان يقال كل جسم متحرك حساس مؤلف من نفس حيوانية وبدن موات وتكوينها على ضربين

فمنها ما يتكون ويتولد في الرحم ، ومنها ما تخرجه البيض ومنها ما يتولد من أشياء ومنها ما يجتمع من الطرفين يتوالد ويتولد ، فان قيل ما الارادة يقال هي اشارة بالوهم الى تكون شيء ما يمكن كون ذلك ويمكن السكون في غير ، فان قيل ما القدرة يقال هي امكان شيء من الافعال اختياراً ، فان قيل ما الاختيار يقال هو قبول أحد الامرين بالوهم من ذوات الباطن وذوات الظاهر بالحس ، فان قيل ما الجهل يقال تصور الشيء بغير صورته ، فان قيل ما الاعتقاد يقال هو عقد الاحتمال على تحقيق شيء ، فان قيل ما الوهم يقال هو قوة من قوى النفس الحيوانية متخيلة بها الاشياء ، فان قيل ما الايمان ، يقال هو التصديق مما يخبر به المخبر ، فان قيل ما الاسلام يقال هو التسليم بلا اعتراض ، فان قيل ما الدين يقال هو الطاعة من جماعة لرئيس ينتظر منه نيل الجزاء ، فان قيل ما الكفر يقال هو الغطاء ، فان قيل ما الشرك يقال هو اثبات ربوبية اثنين ، فان قيل ما الجحود يقال هو انكار الحق ، فان قيل ما المعصية يقال هي الخروج عن الطاعة ، فان قيل ما الطاعة يقال هي الانقياد لأمر الآمر ونهي الناهي ، فان قيل ما المعاد يقال هو رجوع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية ، فان قيل ما الثواب يقال هو ما تجد كل نفس من الراحة واللذة والسرور والفرح بعد مفارقتها للجسد ، فان قيل

(١) الصفراء أجزاء لطيفة تحركت من طبخ الطبيعة للكيموس والسوداء هي أجزاء غليظة محترقة احترقت من طبخ الطبيعة للكيموس والدم أجزاء معتدلة بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والغلظة واللطافة والبلغم أجزاء غليظة فجة لم تنضج من طبخ الطبيعة للكيموس .

ما العقاب يقال هو ما ينالها من الخوف والحزن والآلام بعدالمفارقة للأجسام وكل نفس بحسب ما اكتسبت تنال من الخير إن كان خيراً أو من الشر إن كان شراً فان قيل ما المعروف يقال هو فعل ما جرت به العادة ولم تنه عنه الشريعة والسنة ، فان قيل ما المنكر يقال فعل مالم تجر به العادة لا في السنة ولا في الشريعة، فان قيل ما أجرة الاجير يقال هي جزاء لما يستحق كل عامل بما يعمله

فصل

الشكل هو صورة جسمانية واللون صورة روحانية وهما جميعاً موجودان في الاشياء كلها اذا تأملها المتأمل فيكونان فى جنس الثمار يعنى في شكل الثمرة موجود لنضجها واستحالة الرطوبة اللطيفة الرقيقة الى ما قد بدت لها إما من ذوات الرطوبة السيالة وذوات الرطوبة المكتثرة فتقدم السيالة لانحفاظ كالآلة تقوم مقام لحاء الشجر لحفظ رطوبتها وتمنع أن يلحقها الفساد والذوات الدهانة في ترتيبها أن نفس الثمرة تقبلها وتحفظها لئلا يلحقها الفساد ، و « ذلك تقدير العزيز العليم » ليطبخ الحرارة الغريزية الكائنة في جميع الثمار وبلاغاً لها فهي لتصير من لا هيئة غير نافعة الى هيئة نافعة ، لأن غرض الطبيعة انضاج كل شيء تطبخه بالحرارة الغريزية لرطوبات الهيولى على ما هي مرتبة ترتيب الاله للمنافع التي من أجلها صار كذلك

فاذا لم تقدر على ذلك لعرض يعرض لذلك إما ما لكون الرطوبات غالبة على الشيء فتتولد فيه العفونة فيكون دليلا لفساد ، وإما لكون الرطوبات في الشيء ناقصة فيصير ما يتولد فيه اليبوسة والخشن فيكون من ذلك الفساد وبذور النبات عند ظهورها وبذور الزرع والشجر كلها حارة رطبة لأن الحرارة في ذلك أكثر من الرطوبة والرطوبة التى فيها مانعة للحرارة ، فلذلك يحدث الطراوة في بدئها .

ألا ترى الى فعل الانفحة التى تجمد اللبن الحليب بفضل حرارته واتباع اللبن

لها القبول منها لأن فى الحرارة قوى جاذبة تجذب الرطوبات اليها لتتغذى بها وتعيش مادامت المادة من ذلك باقية

فاذا ازدادت البرودة والرطوبة عليها اختفت الحرارة في باطن الاجسام فأحرقتها لأن الحرارة هي الفاعلة والرطوبة هي الهيولى القابلة للصورة ، والحرارة أيضا بتمدد الحركة الى فوق تكون في مخرجها نحو اليمين والقدام والى فوق من ناحية القلب لان القلب أفضل أجزاء البدن وليس بأفضل من البدن ، وعروق الشجرة أفضل أجزائها وليس أفضل منها ، فالصغار بكثرتها تقاوم الكبار لقلتها ومن أجل أن المحرك الاول واحد صار لكل كائن فعله في مثله مماثلا للأول الواحد ، وكل مبديء واحد أول ما ينبعث من القلب في بدن الحيوان فانه يبدو منه عرقان اثنان واحد لأعلى البدن والآخر لاسفله

ومن بدن النبات يبدو عرقان أحدهما ينزل الى أسفل ويتناول المادة من الارض والماء بحسب ما يكون سبب حياته ، والآخر يرقبه الى فوق ليتغذى به فتكون منه تربية البدن والورق والثمر

فصل

ثم اعلم أن العدد هو أحد الرياضيات الحكيمة ، وذلك ان الوحدة الموجودة في الواحد الموهوم هي أصل العدد ومنشؤه وهو لاجزء له والعدد هو كثرة الآحاد المجتمعة وهو صورة تطبع في نفس العاد من تكرار الوحدة

والمعدودات هى الاشياء التى تعد ، والحساب هو جمع العدد وتفريقه ، والمحسوبات هى الاشياء التى عرفت مقاديرها

فالعدد منه أزواج ومنه أفراد ، والزوج هو كل عدد له نصف صحيح ، والفرد هو كل عدد يزيد على الزوج بواحد . والعدد منه صحيح ومنه كسور فالعدد الصحيح هو كلما يشار اليه باحدى عشرة لفظة أصلية وهى اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف، وما تركب منها وهي هذه :

عشرون ثلاثون أربعون خمسون ستون سبعون ثمانون تسعون مائة مائتان ثلاثمائة أربعمائة خمسمائة ستمائة سبعمائة ثمانمائة تسعمائة ألف ألفان ثلاثة آلاف أربعة آلاف خمسة آلاف ستة آلاف سبعة آلاف ثمانية آلاف تسعة آلاف

وعلى ذلك تكرار اللفظ بالغا ما بلغ ، والعدد المكسور هو كلما يشار اليه بتسعة الفاظ مشتقة من نفسه وهى هذه : النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر ، أو ما تركب منها مثل : نصف وثلث وربع ربع وخمس خمس وسبع سبع وماشا كلها من الالفاظ المركبة من هذه التسعة . والعدد الذي مبدؤه من واحد في جميع أموره ومنتهاه الى أربعة وهذه صورة ذلك ١ ٢ ٣ ٤ وهذه الاربعة تبلت أصله ومايتولد منه في كيفية فرعه ثم الباقي مركب منها كما بينا فى رسالة الارثماطيقي ، وللعدد مراتب أربع : مراتب آحاد ومراتب عشرات ومراتب مئات ومراتب الألوف ، وله أيضاً نظام وترتيب ذو فنون تجدها عند التصرف فيها .

فمنها نظم طبيعي مثل ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

ومنها نظم الازواج على الولاء مثل هذه ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠

ومنها نظم الافراد على الولاء مثل هذه ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١

ومنها نظم ذوج الفرد مثل هذه ٦ ١٥ ١٤ ١٨

ومنها نظم ذوج الزوج والفرد مثل هذه ١٢ ٢٥ ٢٨

ومنها نظم زوج الزوج مثل هذه ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢

ومنها نظم الأفراد الأول الأول مثل هذه ٣ ٥ ٧ ٩

ومنها المجذورات مثل هذه ٤ ٩ ١٦ ٢٥

ومنها نظم المكعبات مثل هذه ٦ ٢ ٢ ٤ ٦

ومنها نظم المربعات غير المجذورات مثل هذه ٦ ١٥ ١٤ ١٨ ٢٥ ٦٢

ولكل نوع من هذه الكيفية نشوء وكمية أنواع ، ولتلك الانواع خواص قد ذكرنا طرفا منها في رسالة العدد . والنسبة هي قدر أحد العددين عند الآخر ، والنسبة المتصلة هي التى تكون قدر الأول الى الثانى كقدر الثانى الى الثالث ،

والمنفصلة هى التى تكون قدر الأول الى الثانى كقدر الثالث الى الرابع ، والضرب هو تضعيف أحد العددين بقدر مافي الاول من الآحاد ، والقسمة عكس الضرب ، والجذر هو العدد المضروب فى نفسه والمجذور هو المجتمع من ذلك ، والمكعب هو المجتمع من ضرب المجذور فى الجذر .

ثم اعلم أن الهندسة أصل الرياضات الحكمية وعلم الهندسة هو معرفة الابعاد والمقادير : فالأبعاد ثلاثة أنواع الطول والعرض والعمق ، والمقادير ثلاثة أنواع خطوط وسطوح وأجسام ، فالخط هو مقدار ذو بعد واحد ، والسطح هو مقدار ذو بعدين ، والجسم ذو ثلاثة أبعاد ، والخطوط ثلاثة أنواع : مستقيم ومقوس ومنحنى وهو المركب منهما ، والسطوح ثلاثة أنواع : البسيط والمقعر والمقبب ، والأجسام كثيرة الأنواع فمنها من كثرة السطوح ومنها من جهة كثرة الأشكال ومنها من جهة الجميع .

فأما التى اختلافها من جهة كثرة السطوح فنذكر منها ثمانية أنواع : أولها الكرة وهي جسم يحيط به سطح واحد ، ونصف الكرة يحيط به سطحان ، وربع الكرة يحيط به ثلاثة سطوح ، والشكل الناري يحيط به أربعة سطوح ، والشكل الأرضى وهو المكعب يحيط به ستة سطوح ، والشكل الهوائى يحيط به ثمانية سطوح ، والشكل المائي يحيط به عشرون سطحاً ، والشكل الفلكي يحيط به اثنا عشر سطحاً .

والسطوح كثيرة الانواع : تارة من جهة الأضلاع ، وتارة من جهة الزوايا وتارة من الجميع . ولكن يجمعها كلها أربعة أنواع : المثلث والمربع والمدور والكثير الزوايا ، فالسطح المثلث ما يحيط به ثلاثة خطوط وله ثلاثة زوايا والسطح المربع مايحيط به أربعة خطوط وأربعة زوايا ، والدائرة سطح يحيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه متساوية من المركز الى المحيط مساو بعضها لبعض والشكل الكثير الزوايا مثل المخمس والمسدس والمسبع ومازاد بالغاً ما بلغ ، والزوايا ثلاث : قائمة وحادة ومنفرجة ، فالزاوية

القائمة هي التي بجنبها مثلها ، والحادة أصغر من القائمة ، والمنفرجة أكبر من القائمة .

فصل

النبات هو كل جسم يتغذى وينمو والحيوان كل جسم متحرك حساس ، والانسان حي ناطق مائت ، وهو جملة مركبة من نفس ناطقة وبدن مائت ، والجسم جوهر لطيف طويل عريض عميق ، والصوت قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام ، واللفظ كل صوت له هجاء ، والكلام كل لفظ يدل على معنى . وان قيل ما الصدق ؟ فيقال ايجاب صفة الموصوف هي له أو سلب صفة عن موصوف ليست له ، والكذب ؟ فهو عكس ذلك . ويقال أيضاً الصدق والكذب في الأقاويل ، والصواب والخطأ في الضمائر ، والخير والشر في الأفعال والحق والباطل في الاحكام ، والضر والنفع في الاشياء المحسوسة .

والدنيا هي مدة بقاء النفس مع الجسد الى وقت افتراقها الذي يسمى الموت ، والموت هو ترك النفس استعمال البدن والآخرة هي نشوء ثان بعد الموت .

ويقال أيضاً الموت هو بقاء النفس بعد مفارقة الجسد وخلوها في عالمها والجنة هي عالم الارواح وجهنم هي عالم الاجسام ، والجنة أيضاً هي المرتبة العليا وجهنم أيضاً هي المرتبة السفلى .

لجنة نفس النباتية صورة الحيوانية ، وجنة نفس الحيوانية صورة الانسانية وجنة نفس صورة الانسانية صورة الملائكة ولصورة الملائكة مقامات ودرجات عند الله تعالى وبذلك يكون بعضهم أشرف من بعض كالمقربين منهم وغير المقربين

والبعث هو انتباه النفوس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، والنوم هو اشتغال النفس عن الجسد بغيره مع شمول عنايتها به ، والقيامة قيام النفس من قبرها وهو الجسد الكائن الذي كانت فيه فزهدت وأبعدت عنه.

والحشر هو جمع النفوس الجزئية نحو النفس الكلية واتحاد بعضها ببعض إذ الجزء أحد أجزاء الكل ، والكل مجمع الاجزاء المنفصلة منه

وقولنا الاتحاد امتزاج الجواهر الروحانية كامتزاج صوت الزير والبم ، والحساب موافقة النفس الكلية النفوس الجزئية بما عملت عند كونها مع الاجساد والصراط هو الطريق المستقيم القاصد الى الله تعالى

فصل

الالوان المفردة هي البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة والزرقة والكدرة ، والاشياء البيض إنما تراها بيضاء لاسباب ثلاثة أحدها لان النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة والرطوبة لونها كاللبن ، والثاني لان النور مولج فيها لكثرة التخلخل كالملح ، والثالث لان النور محبوس فيها لجمود رطوبتها كالفضة

على أن النور من وراء الاجسام المشفة يرى أبيض ، فان عرض له عارض يرى اصفر ، والاشياء الصفر ترى صفراء لأسباب تمنع النور أن يرى صافياً كالنار يراها صفراء لان حرارتها تسد مسام البصر فلا تقدر قوة الباصرة إدراكها على التمام .

ومنها ما يرى أصفر لان الحرارة تسد مسامها كالأشياء البيض إذا طبخت أصفرت

فأما علة رؤية الاشياء حمر فلشيئين : أحدها الاسباب المعفنات ، والآخر الاسباب المذوبات ، فالمعفنات لكثرة الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة كالشمس تراها حمراء عند كثرة البخارات الصاعدة اليها من جملة المياه والرطوبات وعند النضج والازهار والثمار تؤدي من شدة الحرارة المذوبة .

فقد تبين بهذا ان البصر إذا رأى النور من وراء الاجسام المشفة وغلبها أحد الاسباب الثلاثة رآها حمراء .

وأما الخضرة فهي من أجل غلبة الرطوبة الارضية على النور ومنع البصر اياها أو منع النور أن يصير الى البصر صرفا

وأما السواد فهو منع الرطوبة الارضية وصول النور الى البصر أو منع البصر الوصول الى النور ، لان السواد يجمع البصر والبياض يفرقه.

وكل الالوان الباقية متوسطة بين هذين الطرفين وفعلها في البصر بحسب غلبة أحد هذين عليها .

والطعوم تسعة أنواع : وهي المفوصة والقبوضة والحموضة والحلاوة والملاحة والمرارة والحرافة والعذوبة والدسومة . والحلاوة تجعل اللسان أملس والمرارة تجعل أجزاءه متفرقة خشنة والحريف يزيد في ذلك والمالح يفرق ويجفف والعفوصة تجمع وتقبض والحموضة تفرق وتقبض.

ثم اعلم أيها الأخ بانك قاصد الى ربك منذ خلقت نطفة فى الرحم وربطت بها نفسك تنقل كل يوم من حالة هى أدون إلى حالة أتم وأكمل وأشرف ، ومن مرتبة هى أنقص الى مرتبة أخرى هى أعلى وأشرف والى منزلة هي أرفع الى أن تلقى ربك وتشاهده ويوفيك حسابك وتبقى عنده نفسك ملتذة فرحانة مسرورة مخلدة أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وفقك الله وإيانا وجميع إخواننا إلى السداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد إنه رؤوف بالعباد .

تم القسم الثالث فى العلوم النفسانيات العقليات من كتاب اخوان الصفاء وخلان الوفاء ويتلوه القسم الرابع في الناموسيات الالهيات أوله رسالة فى الآراء والديانات .

الرسالة الاولى

فى الآراء والديانات

في العلوم الناموسية الالهية والشرعية

﴿ وهي الرسالة الثانية والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم ايها الاخ أنا قدفرغنا من رسالة الحدود والرسوم التي هي آخر رسائل النفسانيات العقليات حسب ما وعدنا في فهرست صدر كتابنا هذا فنريد الآن أن نذكر في هذا القسم الرابع الكلام في الالهيات وهوالغرض الأقصى والغاية القصوى فنبدأ أولا بالرسالة الاولى منها في الآراء والديانات فنقول :

اعلم أن الناس مختلفون في آرائهم ومذاهبهم كما هم مختلفون في صور أبدانهم وأخلاق نفوسهم وأعمالهم وصنائعهم .

واعلم أن سبب اختلاف أخلاقهم هو من أربع جهات : احداها من جهة اختلاف تركيب أبدانهم ومزاج أخلاطها ، والأخرى من جهة اختلاف ترب بلادهم وتغيرات أهويتها والازمان التي تنشأ فيها ، والأخرى من جهة نشوئهم على عادات آبائهم في سنن دياناتهم وعلى عادات من يربيهم ويؤدبهم ، والاخرى من جهة أشكال الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدهم ومساقط نطفهم وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة الاخلاق، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة

طرفاً من فنون اختلافات العلماء الذين هم أصلوا الآراء والمذاهب وفرعوا منها أنواع المقالات والأحكام ، وكم هي تلك الآراء والمذاهب ، وما هي تلك الاسباب التى أدت بالعلماء الى الاختلاف ، وكم هي . ولكن قبل ذلك نحتاج أن نذكر أجناس الأشياء التى اختلفوا فيها : كم هي وما هي فنقول :

إن الاشياء المختلف فيها ثلاثة أنواع : أولها في الترتيب هى الامور المحسوسة وبعدها الامور المعقولة ، وبعدها الامور الالهية المبرهنة

أما الامور المحسوسة فهى صور في الهيولى تدركها الحواس المباشرة لها وتنفعل عنها كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس

وأما الامور المعقولة فهى رسوم تلك المحسوسات التى أدتها الحواس الى القوة المتخيلة إذا بقيت مصورة فى الاوهام بعد غيبة المحسوسات عن مباشرة الحواس لها كما بينا في رسالة العقل والمعقولات

وأما الامور الالهية المبرهنة فهى أشياء لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام ولكن الدليل والبراهين الصادقة باعثة للعقول الى الاقرار بها والقبول لها — كما نبين ذلك فى كتب الهندسة وبيان المنطقية جميعاً

مثال ذلك أنه قد قام البرهان في كتاب إقليدس على أن كل مقدار ذي نهاية أى مقدار كان جسما كان أو سطحا أو خطاً فانه يمكن أن يوجد منه ظل دائما أبداً لا يفنى ، وهذه الحكمة مما لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام البتة وأمثال هذه الحكمة كثيرة فى هذه الكتب وفى غيرها من كتب الهندسة ، وهكذا أيضاً قد قام البرهان بطريق المنطق الحكمى الفلسفى على أن خارج العالم لاخلاء ولا ملاء ، وهذه الحكمة أيضاً مما لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام ، وأمثال هذه الاشياء كثيرة معروفة عند العلماء بخاصة إقرار الموحدين لله والعارفين به بأن الله تعالى حى قادر عالم حكيم خالق لا يوصف بالقيام ولا بالقعود ولا الدخول ولا الخروج ولا الحركة ولا السكون ، وما شاكل ذلك من الاوصاف مما يوصف بها النفس والعقل الفعال والصور المجردة من الهيولى وما

شاكلها من الجواهر البسيطة المسمين الملائكة والروحانيين . وذلك أن الحواس لا تدركها ولا تتصورها الاوهام بوجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب

فأما أوصاف الجاهلين بالله فهى أنهم يصفون الله تعالى بصفات المخلوقين بعد أن نزه الله تعالى نفسه عن ذلك بقوله « سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين » . فقد تبين اذن مما ذكرنا أن الامور المبرهنة التى لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام ولكن البرهان الضروري والحجة القاطعة يضطران العقول الى الاقرار بها مقررة

ثم اعلم أن البراهين هى ميزان العقول كما أن الكيل والذرع والشاهين موازين الحواس ، وكما أن الناس اذا اختلفوا فى حزر شيء وتخمينه من الاشياء المحسوسة رجعوا الى حكم الكيل والذرع ورضوا بها وارتفع الخلاف من بينهم ، فهكذا العقلاء الذين يعرفون البراهين الضرورية اذا اختلفوا فى حكم شيء من الاشياء التى لا تدرك بالحواس ولا تتصور بالاوهام رجعوا عند ذلك الى دليل وبرهان وما ينتج من المقدمات الضرورية وأقروا بها وقبلوها وان كانت لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام لانهم يرون الاقرار بالحق أولى من التمادي فى الباطل ، وقد تبين مما ذكرنا أن الامور المختلفة فيها ثلاثة أجناس حسب ، التى هى المحسوسة أو المعقولة أو المبرهنة . ونريد أن نذكر الآن كمية أسباب اختلاف الناس فى ادراكهم من كم وجه يكون

فصل

فى بيان اختلاف كمية ادراك المعلومات

فنقول : اعلم أن اسباب اختلاف الناس فى ادراك هذه الامور الثلاثة التى تعلم وتعرف من ثلاث جهات : احداها دقة المعانى ولطافتها وخفاها ، والثانية فنون الطرق المؤدية اليها الاسباب المعينة على ادراكها ، والثالثة تفاوت قوى نفوسهم الدراكة لها فى الجودة والرداءة وهى الاصل والسبب فى اختلافهم فى

الآراء والمذاهب وسائرها فروع عليها ونحتاج أن نشرح هذا الباب فنقول :

لما كان الانسان انما هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية صار يقوي نفسه الروحانية بدرك المعقولات كما أن بأعضاء جسده الجسماني يعمل الصنائع لأن كلية العلوم موضوعة بازاء قوي نفوس جميع الناس ، كما أن كلية الصناعات البشرية موضوعة بازاء قوى أجساد جميع الناس وذلك لأنه لا يتهيأ لانسان واحد بقوته الجزئية الاستنباط بجميع العلوم والاحتمال لسائر الصنائع ، وذلك أن لنفسه قوى كثيرة وله بكل قوة منها أفعال عجيبة كما أن لجسده مفاصل كثيرة وأعضاء طريفة ، وله بكل عضو من جسده حركات مختلفة — كما بينا طرفا من هذا الفن في رسالة تركيب الجسد

ولكن نريد أن نذكر هنا ثمانية أنواع منها : وهي القوة الدراكة للمعلومات ونبدأ أولا بذكر القوى الحساسة الخمسة اذ كانت هي أول قوى النفس التي ينال بها الانسان العلوم والمعارف ، ثم نذكر القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ ، ثم القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ ، ثم القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ

ثم اعلم أن الناس متفاوتون في الدرجات في هذه القوى بين الجودة والرداءة في إدراكهم المعلومات تفاوتاً بعيداً وهي أحد أسباب اختلافهم في الآراء والمذاهب ، وذلك أن من الناس من يكون حاد البصر يرى الاشياء الصغيرة البعيدة ، ومنهم من يكون دون ذلك ، ومنهم من لا يبصر شيئاً البتة

وهكذا تجد حالهم في القوة السامعة : وذلك أن منهم من يكون جيد السمع يسمع الاصوات الخفية ويميز بين النغمات الموزونة والمنزحفة ، ومنهم من يحتاج في ذلك الى مفاعيل العروض ، ومنهم من لا يحس بشيء من ذلك

وعلى هذا القياس يكون حكمهم في سائر قوى حواسهم من الذوق واللمس والشم وهكذا حكمهم في ذكاء نفوسهم وجودة قرائحهم وصفاء أذهانهم وذلك انك تجد كثيرا من الناس من يكون جيد التخيل دقيق التمييز سريع التصور ذكورا

حفوظاً ، ومنهم من يكون بليداً بطيء الذهن أعمى القلب ساهي النفس ، فهذا أيضاً أحد أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب لأنه اذا اختلفت ادراكاتهم اختلفت آراؤهم واعتقاداتهم بحسب ذلك

فصل

فى بيان علة اختلاف إدراك القوى العلامة

فنقول اعلم أن هذه التفاوتات التى ذكرنا من هذه القوى الداركة العلامة ليست هى من أجل أنها مختلفة في ذواتها بين الجودة والرداءة ولكن من أجل اختلاف أحوالها في إدراكها صور المعلومات ، وأن علة اختلاف أفعالها هو من أجل اختلاف أدواتها واختلاف آلاتها فى الجودة والرداءة ، وذلك أنه لما كان كل عضو من الجسد هو آلة وأداة لقوة من قوي النفس وكانت أعضاء الجسد مختلفة الهيئات المتفاوتة فى الجودة والرداءة فى بعض الناس أو في بعض الاحايين اختلفت أفعال هذه القوي بحسب تلك الاختلافات . مثال ذلك الحدقتان فانهما عضوان من الجسد وهما أداتان للقوة الباصرة ، فاذا كانتا سليمتين من الآفات العارضة صحيحتين صافيتين مجليتين تراءت فيهما صور المرئيات المقابلات لهما كما يتراءى في المرايا صور الاشياء المقابلة لها ، فأدركت هذه القوة تلك المبصرات على حقائقها . فأما إذا كانتا على غير ماذكرنا لعارض من الآفات — عاقت القوة الباصرة عن إدراكها محسوساتها . وهكذا أيضاً القوة السامعة وذلك أنه متى كانت أدواتها التى هى صماخا الأذنين مفتوحتين نقيتين من الأوساخ سليمتين من الآفات العارضة طنت فيهما الاصوات بهيآتها فأدركتها القوة السامعة بحقائقها واذا كانت على غير ما ذكرنا لعارض من الآفات عاقت عن ادراكها المسموعات. وهكذا أيضاً القوة الشامة متى كانت خياشيم المنخرين مفتوحة نقية من البخارات الغليظة سليمة من الآفات العارضة أدركت القوة الشامة الروائح وميزت بينها وعرفتها أو متى عرض هناك بخار أو زكام أو آفة عوقت عن إدراكها وتمييزها

وهكذا أيضاً القوة الذائقـة متى كانت الرطوبة المستبطنة التى في جرم اللسان معتـدلة سليمة من الآفات العارضة أدركت طعوم الأشـياء المذوقة بحقائقها وعرفت التمييز بينها ، ومتى غلب على تلك الرطوبة خلط أو مزاج خارج عن الاعتدال عوقت عن إدرا كها الطعوم والتمييز على حقائقها . وهكذا أيضاً القوة اللامسة فانه متى عرضت آفة للاعصـاب المنتسجة بين خلل اللحم والجلد عوقت عن ادرا كها الملموسات . وهكذا أيضاً حالات القوة المتخيلة فانه متى كان مقدم الدماغ معتدلا سالما من الآفات تخيلت فيه رسوم المحسوسات التى أدتها اليها القوة الحساسة بحقائقها وقبلتها بهيا ٓتها ومتى عرضت آفة كما يعرض فى الأمراض الحادثة المفرطة — كما ذكر في كتب الطب — عوقتها عن فعلها وتخيلها رسوم المحسوسات كما يعترض للمبرسمين (١) وصاحب الماليخوليا . وهكذا أيضـاً حكم القوة المفكرة المستبطنة وسط الدماغ متى كان معتدلا على الامر الطبيعي سالماً من الآفات العارضة ، كان فكر الانسان ورؤيته وتمييزه وفهمه على ما ينبغى ، ومتى عرضت هناك آفة لعارض من الاعراض أو خروج عن الاعتدال عوقت النفس عن أشراف أحوالها وأفعالها التى هى الفـكر والتمييز والروية والتحـصيل وماشا كلها لان هذا العضو من أشرف الاعضاء بعد القلب . وهكذا أيضاً حكم القوة الحافظة المستبطنة مؤخر الدماغ في التذكار والنسيان . وانما ذكرنا فى هذا الفصل هذه الأشياء لأن من هـذه القوى تكون معارف الحيوان كلها ، ومن تعاون أدوات هذه القوى بالمعاونات اللائقة تزيد في قواها ، ومن تفاوتها يكون اختلاف معارفها في الجودة والذكاء أكثر وأقل وهي الاصل في جميع العـلوم والمعارف ، ومن تفاوت أفعال هذه القوى يكون أكثر اختلاف الناس في معلوماتهم ومنازعات العلماء في آرائهم ومذاهبهم . وخصلة أخري أيضاً أن كثيراً من العلماء ممن ينظر في علوم النفس ويتكلم في أحوالها يظن أن لها قوى وأفعـالا وأخلاقا مختلفة تفعل بها اختلافات مختلفة ولا يدرون اختلاف أحوالها وأخلاقها انما هو

(١) يقال : برسه أحدث فيه البرسام وهو التهاب في الحجاب الذي بين الـكبد والقلب والمريض بهذا مبرسم

من جهة اختلاف أدواتها فى الهيأة والجودة والرداءة التى كل واحد منها عضو من الجسد — كما بينا ذكرها — وخصلة أخري أن كثيراً من العلماء الطبيعيين والمنطقيين لما اعتبروا هذا الرأي الذى ذكرنا من أن النفس انما هى مزاج البدن لما رأوا من تغيير أفعال الحيوان وأخلاقها عند تغيير مزاج الاعضاء واختلاف هيئاتها ، وخاصة تغيير أفعال الانسان وأخلاقه عند الأمراض وعند تغيير مزاج هذه الاعضاء واحداً واحداً .

فأما الالهيون فيرون خلاف ذلك وقد ذكرنا أقاويلهم فى خـلال رسائلنا الاحدى والخمسين وذكرنا البراهين عليها في الرسالة الجامعة فهذا الذى ذكرنا فى هذا الباب هو أحد اسباب اختلاف الناس فى معارفهم ومعلوماتهم المؤدية بهم الى اختلاف الاراء والمذاهب .

وأما السـبب الثاني الذي هو من جهة دقة المعاني ولطافتها وجلائها وظهورها فهو مثل التفاوت الذي بين الامور الجسمانيـة الظاهرة المدركة بالحواس وبين الامور الروحانية الخفية عن ادراك الحواس التى لا تعلم الا بدلائل العقول ونتائج البراهين — كما تقدم ذكرها . وهذا الباب هو أكثر أسباب اختلاف العلماء في آرائهم ومذاهبهم

وأما الوجه الثالث من الاسباب المؤدية للناس الى اختلافهم فى معلوماتهم فهو استعمالهم القياسات المختلفة وطرقات اسـتدلالاتهم المتفاوتة ، وهـذا الباب هو أكثرها تفرعا وتشـعبا وهو اكتساب منهم وعليه يجازون من الذم والمدح والثواب والعقاب .

وأما الوجهان الأولان فليس باختيار منهم ولا اكتساب لهم فيه

فصل

في بيان كمية القوى العلامة

وإذ قد تبين مما ذكرنا أسـباب اختـلاف الناس في مدركاتهم من الامور المختلفة فيها من كم وجه يكون وكان أحد الوجوه تفاوت القوى الداركة العلامة

التى هي أربعة أنواع الحساسة والمتخيلة والمفكرة والحافظة. وقدتقدم شرح تفاوتها في الجودة والرداءة قبل هذا فنريد أن نذكر في هذا الفصل الأسباب المعينة لها على ادراكها مدركاتها والمعوقة لها عن ذلك ونبدأ أولا بذكر القوى الحساسة ثم نذكر القوى المتخيلة ثم المفكرة ثم الحافظة.

فأما بيان ماتحتاج كل حاسة من الشرائط فى ادراكها محسوساتها حسبمانبين ها هنا فنقول أن كل حاسة من الحواس الخمس تحتاج في ادراكها محسوساتها الى شرائط معدودة لازايدة ولاناقصة فمتى عدم واحدة من تلك الشرائط أو بعض أو زاد أو نقص على المقدار الذي ينبغي عوقها عن ادراك محسوساتها على حقائقها .

مثال ذلك القوة الباصرة فانها تحتاج في ادراكها المبصرات الى ضوء ما والى بعد ما والى محاذات ما وإلى وضع ما فمتى عدم شيء منها عاقها ذلك عن ادراك المبصرات بحقائقها ، وذلك انه لايمكنها ادرك الضياء المفرط والنور الباهر كما لايمكنها ادراك المبصرات في الظلمة الظلماء ، وذلك ان الانسان لايمكنه النظر الى عين الشمس نصف النهار في يوم صائف ،كما لايمكنه رؤية الاشياء الصغار في الظلمة الظلماء ولارؤيتها في البعد الابعد ، ولافي القرب الاقرب اذا وضعت يده مثلا قرب الجفن ، ولارؤيتها من غير محاذات ولارؤيةالاشياءالمتحركةالشديدة الحركة كالنبل المار متى رمى عن قوس شديدة

وعلى هذا القياس حكم سائر الحواس فانها تحتاج في ادراكها محسوساتها الى شرائط معدودة ، فمتى عدمت واحدة منها أو نقصت عن المقدار أو زادت عليه عوقها عن ادراك محسوساتها

﴿ فصل ﴾

في بيان مالكل حاسة من المحسوسات بالذات

فاعلم ان لكل حاسة محسوسات مختصة لها بالذات ومحسوسات بالعرض وهى لاتخطيء في المدركات التى هي لها بالذات ولكن في التى لها بالعرض.

مثال ذلك البصر فان المبصرات لها بالذات هي الانوار والضياء والظلم .

وأما الالوان فان ذلك لها بتوسط النور والضياء .

وأما سائر الاجسام وسطوح أشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها فهو بتوسط اللون : وذلك أن كل جسم لالون له لايرى ولايدركه البصر

ثم اعلم أن البصر هو أشرف الحواس وأشدها تحقيقا لمدركاته كما يقال : ليس الخبر كالمعاينة، وبين الحق والباطل اربع أصابع يعنى بين العين والأذن ولكن مع شرفه وتحقيقه لمدركاته عظيم الخطأ كثير الزلل وذلك ان الانسان ربما يرى الشيء الصغير كبيراً أو الكبير صغيراً أو القريب بعيداً أو البعيدقريباً كما يرى الدرهم في قعر بركة صافي الماء قريبا كبيراً

وهكذا يرى في ماوراء البخار الرطب يرى الشيء أعظم مما هو ،فكذلك ربما يرى الانسان الشيء المتحرك ساكناً والساكن متحركا ، كما يرى من يكون في الزورق اذا نظر الى الشطوط فانه يرى الاشخاص الساكنة متحركة ويرى نفسه ومن معه ساكنا

وهكذا ربما يرى الشيء المستقيم معوجا والمنتصب منكوساً كما يرى العود المنتصب في الماء ، وربما يرى الشيء المرتفع منخفضا والمنخفض مرتفعا كما يرى سقف الرواق وأرضه في البعد متقاربين وماشاكل هذه الفنون — كما ذكر عللها في كتاب المناظر بشرح طويل واذا كان الخطأ والزلل الذي يدخل على الانسان العاقل المميز من جهة مدركات البصر الذى هو أشرف الحواس وأجل القوى الدراكة — هذا القدر فما ظنك ياأخي بمادونها من سائر الحواس والقوى الدراكة على هذا المثال

﴿ فصل ﴾

في بيان الحواس التى لا تخطيء في ادراكاتها المدركات التى هي لها بالذات

فنقول اعلم ان لكل حاسة مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهي لاتخطيء

في مدركاتها التى لها بالذات ، وانما يدخل عليها الخطأ والزلل في المدركات التى لها بالعرض

مثال ذلك البصر فان الذى له من المدركات بالذات هي الانوار والظلمة وهى التى لا تخطىء في ادراكها في جميع الاوقات البتة

فأما ادراكها الالوان والاشكال والاوضاع والابعاد والحركات وما شاكلها فهى تدركها بتوسط النور والضياء على الشرائط التى ذكرناها ، وقد يدخل عليها الخطأ والزلل في ذلك اذا نقصت الشرائط التى تحتاج اليها

وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الحواس ومحسوساتها فتعقل يا أخى فى هذا الباب فان الذين دفعوا حقائق الاشياء وكيفياتها والنظر فيها وأنكروها من هذا الباب أتوا

أما القوة السامعة التى لها بالذات هى بالأصوات والنغمات حسب ، والتى للذائقة هى الطعوم حسب ، والتى للشامة هى الروائح حسب ، والتى للامسة فهى عدة أشياء قد ذكرناها في رسالة الحاس والمحسوس فاعرفها من هناك

ثم اعلم أن لكل قوة من هذه الحواس الخمس خاصية ليست للأخرى ولكن الخاصية التى تعمها هى انها لا تخطىء فى مدركاتها اذا تمت شرائطها ولم يعرض لها عائق وخاصة أخرى أنها لا يدرك كل واحد منها محسوسات أخواتها التى لها بالذات مثال ذلك البصر فانه لا يدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم ! وهكذا أخواتها ولكن بما تشترك في المحسوسات اللاتى لهن بطريق العرض مثل الحركة فانها تدرك وتعلم بالبصر واللمس بالسمع جميعاً

﴿ فصل ﴾

في بيان زيادة القوى التى في حواس الانسان

فنقول اعلم ان الله تعالى خلق في حواس الانسان زيادة قوة وجودة تمييز ما لم يجعل في حواس سائر الحيوانات ، وبخاصة في القوة اللامسة فضله عليها

وكرمه بها كما جعل في قوة يديه من الصنائع العجيبة وفي قوة لسانه من اللغات المختلفة ما لم يجعل في أيديها ولا في ألسنتها كما هو بين ظاهر جلى لا يخفى على أحد من العقلاء ، وقد يظن كثير من الناس العقلاء أن بعض الحيوانات يفهم معانى الكلام ويمتثل الامر والنهى ، ولكن لا يقدر على الكلام كمثل الفيل والفرس الجواد والجمل والغنم والبقر والكلب والسنور والقردة والببغاء وأمثالها من الحيوانات المسخرة للانسان المستأنسة به المنقادة لخدمته

ولعمري أنها تفهم معانى بعض الكلام كالزجر والامر والنداء وما شاكلها التى هى بعض أقسام الكلام

فاما أن تفهم معانى الخبر والسؤال والجواب والاستفهام فلا — وقد بينا علة ذلك في رسالة الحيوانات

ثم اعلم أن الانسان مع استماعه الاصوات وتمييزه بالنغمات يفهم معانى اللغات والأقاويل والكلمات كما أنه عند نظره الى الخطوط والكتاب يفهم ما يتضمنها من معانى الكلام والعبارات ما لا يفهم عليها غيره من الحيوانات

ثم اعلم أن من هاتين الطريقتين أكثر معلومات الانسان التى ينفرد بها دون سائر الحيوانات

واعلم أن بنى الانسان فى هاتين القوتين متفاوتو الدرجات تفاوتاً بعيداً جداً وذلك أن من الناس من لا يفهم الا لغة واحدة ولا يعرف أيضا من معانى تلك اللغة من الاشياء والالفاظ والاقاويل الا شيئا قليلا ، ومن الناس من يفهم عدة لغات ويحسن أن يقرأ عدة كتابات ويفهم من كل لغة اسماء وألفاظ وأقاويل كثيرة ويفهم معانى دقيقة ما لا يفهم غيره من الناس . وهذه أحد أسباب اختلاف الناس في المعارف واختلاف العلماء فى الآراء والمذاهب

فأما بيان كمية معلومات الانسان حسبما نذكره ها هنا فنقول : إنه لما كان جميع معلومات الانسان من جهة الزمان ثلاثة أنواع فحسب ، فمنها ما قد كان

مع الزمان الماضى ، ومنها ما سيكون فى المستقبل ، ومنها ما هو كائن في الوقت والزمان والحاضر

ولما كان أحد الطرق التى تعلم الانسان الامور الماضية مع الزمان استماع الاخبار وكان رب مخبر كذاب ورب مستمع له مصدق . وهكذا أيضا مخبر صدوق ورب مستمع له مكذب

وعلى هذا القياس أيضا حكم الأخبار عن الكائنات قبل كونها وعن الاشياء الموجودة في الزمان الغائبة بالمكان . فهذا أيضا أحد أسباب اختلاف الناس فى المعلومات واختلاف العلماء فى الآراء والمذاهب

فصل

في بيان ما يخص الانسان من المعلومات

فنقول : ان الله لما خلق الانسان الذي هو آدم ابو البشر عليه السلام وفضله على كثير ممن خلق قبله تفضيلا جعل أحد فضائله كثرة العلوم وغرائب المعارف وجعل له اليها عدة طرقات : فمنها طرق الحواس الخمس التى بها يدرك الامور الحاضرة في المكان والزمان — كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس ، ومنها طريق استماع الاخبار التى ينفرد بها الانسان دون سائر الحيوانات يفهم بهـا الامور الغائبة عنه بالزمان والمكان جميعاً — كما ذكر الله تعالي ومن به عليه فقال « خلق الانسان علمه البيان » ومنها طريق الكتابة والقراءة يفهم بها الانسان معـاني الكلام واللغات والاقاويل بالنظر فيهما عمن لم يره من أبناء جنسه مع الزمان أومن هو غائب عنه بالمكان — كما قال الله ومن به على الانسان فقال لنبيه محمد عليه السلام « أقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وبهذه الفضيلة شارك الانسان الملائكة الكرام كما قال الله تعالى « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون »

واعلم أن فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متأخرة عن فهم الكلام والاقاويل كما أن فهم الكلام والاقاويل معرفتها إنما هي متأخرة عن فهم المحسوسات —

كما هو بين ظاهر لا يخفى على العقلاء ، وذلك أن الطفل اذا خرج من الرحم فانه في الوقت والساعة تدرك حواسه محسوساتها فيحس بالقوة اللامسة الخشونة واللين ، وبالقوة الباصرة النور والضياء ، وبالقوة الذائقة طعم اللبن ، وبالقوة الشامة الروايح ، وبالقوة السامعة الأصوات ولكنه لا يعلم معانى الكلام والاصوات إلا بعد حين : فأول شيء يحس باللمس فيتألم لان حساسة اللمس أعم الحواس ، ثم يحس بالطعم فيميز لبن أمه من غيره ، ثم يميز بين الروائح فيعرف الشم ، ثم يميز بين الصوت الشديد الجهير ، وبين الصوت الضعيف الخفيف ، ثم يفرق بين الصور . ثم يميز على ممر الاوقات بين نغمة الأم ونغمة الأب والأخوة والاخوات والاقرباء وغيره . ثم شيئا بعد شيء على التدريج وعلى هـذا المثال فهمه ومعرفته بسائر الحواس ومحسوساتها الى أن تتم سن التربية ويغلق باب الرضاع ويفتح الكلام والنطق . ثم بعد ذلك تجيء أيام الكتابة والقراءة والآداب والصنايع والرياضيات واستماع الاخبار والروايات ، والفقه فى الدين والنظر في العلوم والمعارف ، وطلب حقائق الموجودات ، والبحث عن الكائنات ، والاستدلال بالحاضرات على الغائبات ، والمحسوسات على المعقولات ، وبالجسمانيات على الروحانيات ، وبالرياضيات على الطبيعيات ، وبالطبيعيات على الالهيات التى هي الغاية القصوى في العلوم والمعارف والسعادة الابدية والدوام السرمدية . بلغك الله وايانا الى هذه الغاية وشرح صدرك وفتح قلبك ونور فهمك وصفى نفسك وحسن أخلاقك وأصلح شأنك وزكى أعمالك وأنعم بالك وأكرمك مما أنعم به على أوليائه وأنبيائه بما علمهم من البيان والكتاب — كما قال تعالى — « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »

فصل

في بيان القوة المتخيلة

فنقول انا قد ذكرنا طرفا من أحوال القوة الحاسة وكيفية التفاوتات التى بينها في ادراكها محسوساتها وما الأسباب المعينة لها على ذلك والمعرفة لها عنها

فيما تقدم فنريد أن نذكر طرفا فى هذا الفصل من أحوال القوة المتخيلة التى مسكنها الدماغ إذ كانت التالية للقوى الحساسة فى تناولها رسوم المحسوسات منها . ونذكر أيضاً بعض الأسباب المعينة على أفعالها والمعوقة عن ذلك . ونذكر تفاوت درجات الناس فى هذه القوة إذ كان ذلك أحد أسباب اختلافهم في العلوم والمعارف والآراء والمذاهب ، ولكن من أجل أن هذه القوة أكثر القوى الحساسة متخيلات وأعجبها أفعالا احتجنا أن نذكر علة ذلك فنقول : إن لهذه القوى خواصا عجيبة وأفعالا ظريفة فمنها تناولها رسوم سائر المحسوسات جميعاً وتخيلها بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها ، ومنها أيضاً أنها تتخيل وتتوهم ماله حقيقة وما لا حقيقة له بعد أن عرف بسائطها بالحس إذ له من القوة ما يقدر أن يوافى الصور التى أداها الحس الى النفس في هيولاه كيف شاء لانه كان يجدها مجردة عن الهيولى التى هى ماسكة للصور ومختفية بعضها دون بعض ، فاذا أخذها مجردة لا إمساك لها ولا ربط ، أمكنه أن يؤلف بينها كما شاء ويركبها ويصل بعضها ببعض مالم تكن متصلة بالهيولى . مثال ذلك أن الانسان يمكنه أن يتخيل بهذه القوة جملا على رأس نخلة أو نخلة ثابتة على ظهر جمل أو طائراً له أربع قوائم أو فرسا له جناحان أو حماراً له رأس انسان وما شاكل هذه مما يعمله المصورون والنقاشون من الصور المنسوبة الى الجن والشياطين وعجائب البحر مما له حقيقة ومما لاحقيقة له . وانما يستوي للانسان بهذه القوة المتخيلات والتصور لها لعلتين اثنتين : إحداهما من أجل أن هذه المتخيلات يجتمع عندها مواد كثيرة من رسوم المحسوسات مع اختلاف أجناسها وفنون أنواعها وسائر أشخاصها فهي يمكنها بهذا السبب أن تركب منها ضروب التراكيب مما له حقيقة في الهيولى ومما لا حقيقة له .

والعلة الاخرى من أجل شرف جوهر النفس ولطافتها وشدة روحانيتها وسهولة قبولها رسوم المعلومات في ذاتها وتصورها لها ، وذلك أن كل هيولى تكون ألطف جوهراً وأشد روحانية فانه يكون لقبول الصور أسرع انفعالا وأسهل

قبولا . مثال ذلك الماء العذب فانه لما كان ألطف جوهراً من التراب صار لقبول الطعوم والاصباغ أسرع انفعالا وأسهل قبولا لنظافته وعذوبته وسيلانه . وهكذا لما كان الهواء ألطف جوهراً من الماء وأشد سيلانا صار قبوله للاصوات والروائح أسرع انفعالا وأسرع قبولا . وهكذا لما كان الضياء والنور ألطف من الهواء صار قبولها للالوان والاشكال أسرع وأشد روحانية ، فكيف لطافة النفس وروحانيتها ولعل هذا الباب يخفى على كثير ممن ينظر في دقائق العلوم من المحسوسات فكيف بالنظر في الامور الروحانية وذلك أن جوهر النفس ألطف وأشد روحانية بكثير من جوهر النور والضياء . والدليل على ذلك قبولها رسوم سائر المحسوسات والمعقولات جميعاً فلهاتين العلتين صار الانسان بالقوة المتخيلة يقدر على أن يتخيل ويتوهم ما لا يقدر عليه بالقوى الحساسة لان هذه روحانية وتلك جسمانية ، ولانها تدرك محسوساتها في الجواهر الجسمانية من خارج .

وأما القوة المتخيلة فهي تتخيلها وتتصور فى ذاتها . والدليل على صحة ماقلنا أفعال الصناع البشريين : وذلك أن كل صانع يبتدىء أولا يتفكر ويتخيل ويتصور فى وهمه صورة مصنوعة بلاحاجة الى شيء من خارج ، ثم يقصد بعد ذلك الى هيولا ما ، في مكان ما في زمان ما ، فيصور فيها ماهو مصور فى فكره بأدوات ما وبحركات ما كما بينا في رسالة الصنائع العملية .

ومن خاصة هذه القوة أنها تعجز عن تخيل شيء لم تؤد اليه حاسة من الحواس وذلك أن كل حيوان لا بصر له فهو لا يتخيل الالوان وما لا سمع له فلا يتخيل الاصوات ولا يتوهمها لان التخيل أبداً فى تصوره للاشياء تبع للادراك الحسى والعقل في استنباطها تبع الدليل النفسى . فأما الانسان فانه لما كان يفهم الكلام أمكنه أن يتخيل المعانى اذا وصفت له

﴿ فصل ﴾

في عجائب هذه القوة المتخيلة وتفاوت الناس فيها

فنقول اعلم أن الناس فى هذه القوة متفاوتو الدرجات تفاوتاً بعيداً جداً والدليل

عليه أنك تجد كثيراً من الصبيان يكون أسرع تصوراً لما يسمعون وأجود تخيلا لما يصف لهم كثير من المشايخ والبالغين ، وذلك أن كثيراً من العلماء والعقلاء والمرتاضين فى العلوم والآداب تعجز نفوسهم عن تصور أشياء كثيرة قد قامت الحجة والبراهين على صحتها .

ثم اعلم أن العلة فى تفاوت درجات الناس فى هذه القوة ليست من اختلاف جواهر نفوسهم ولكن من أجل اختلاف تركيب أدمغتهم واعتدال أمزجتها أو فسادها وسوء مزاجها — كما ذكر ذلك في كتب الطب — ومن عجائب أفعال هذه القوة أيضاً وما يتأتى للانسان أن يعمل بها أعمالا عجيبة مايحكى عن قوم من الكهنة من أهل الهند أنهم يؤثرون فى غيرهم بأوهامهم أشياء عجيبة ينكرها أكثر الناس . فأما حكماء بلاد اليونان وفلاسفتها فيرون ذلك يمكن ويتأتى للانسان فى نفسه ، فأما في غيره فبعيد جداً ونحن قد بينا ذلك فى رسالة الزجر .

ومن عجائب أفعال هذه القوة أيضاً أنها تركب القياسات وتحكم بها على حقائق الاشياء بلا روية ولا اعتبار ، مثل ما يفعل الصبيان والجهال وكثير من العقلاء أيضاً . مثال ذلك أن الصبى الطفل اذا نشأ ورأى والديه وتأملهما وميز بينهما ثم رأى صبياً آخر مثله حكم بتوهمه بأن لذلك الصبى والدين أيضاً قياساً على نفسه ، وان يكن له أيضاً أخ أو أخت يظن ويتوهم بأن لذلك الصبى مثل ماله قياساً على نفسه من غير فكرة ولا روية ولا تأمل .

وأنت يا أخي ماتقول فى هذا هل هذا قياس صحيح أو خطأ ؟ حتى أنه ربما رأى فى دار والديه دابة أومتاعا أو أصابه حر أو برد أو جوع أوعطش أو وجع أو غم ، ظن وتوهم أن سائر الصبيان قد أصابهم مثل ذلك قياساً على أحوال نفسه من غير فكر ولا روية فى صوابه وخطائه ، حتى اذا كبر وتفكر وميز تبين له صوابه من خطائه في قياسه .

ثم اعلم أنك تجد كثيراً من الناس العقلاء ومن يتعاطى العلم هذا حكمهم فى قياساتهم ، وذلك أن كثيراً من الناس من إذا رأى فى بلده ليلا أو نهاراً أو شتاء

أو صيفاً أو حرا أو بردا أو ريحا أومطرا ظن وتوهم بأن سائر البلاد مثله في ذلك الوقت قياساً على ما وجد فى بلده ، فاذا نظر في علم الرياضيات من الهندسيات والطبيعيات تبين له أن قياسه كان خطأ أوصوابا . وهكذا تجد كثيرا من المرتاضين بهذه العلوم يتوهمون ويظنون بأن خارج العالم فضاء بلا نهاية قياساً على مايجدون خارج بلدانهم من بلادهم من سعة الارض ومن ورائها سعة الهواء ومن ورائها سعة الافلاك .

وهكذا أيضاً اذا فكروا فى كيفية حدوث العالم وخلق السموات والارض ظنوا وتوهموا أن ذلك كان فى زمان ومكان قياساً على افعال البشريين واذا سمعوا من أهل البصائر قولهم بان العالم لا فى مكان لايتصورون كيفية ذلك ، فاذا قيل لا في زمان ظنوا وتوهموا أنه قديم بلا حجة ولا برهان

﴿ فصل ﴾

في بيان فضيلة هذه القوة

فنقول اعلم انا قد ذكرنا أن لهذه القوة المتخيلة عجائب كثيرة ووصفنا خواص احوالها من أجل أنها من أعجب القوى الداركة وان أكثر العلماء تائهون فى بحر هذه القوة وعجائب متخيلاتها وذلك أن الانسان يمكنه بهذه القوة فى ساعة واحدة أن يجول في المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والجبل وفضاء الافلاك وسعة السموات وينظر الى خارج العالم ويتخيل هناك فضاء بلانهاية وربما يتخيل من الزمان الماضى وبدء كون العالم ويتخيل فناء العالم ويرفع من الوجود أصلا وماشا كل هذه الاشياء مما له حقيقة ومما لاحقيقة له

وهذا الباب أحد الاسباب من جهة اختلاف العلماء في آرائهم ومذاهبهم في المعلومات : وذلك انك تجد كثيراً من العقلاء اذا تفكروا وتخيلوا بهذه القوة شيئاً ما ظنوا أن ذلك حق وحكموا عليه حكما حقاً بلا حجة ولا برهان

وأيضاً أن كثيراً منهم اذا سمع شيئاً من العلوم فلم يتصوره — لعجز هذه القوة ونقصان فعلها فيه — أنكر وجحد ولم ينظر الى الدليل والبرهان البتة.

فاما العقلاء المنصفون في الحكومة الطالبون للحق غير المعجبين بانفسهم اذا سمعوا بالاخبار عن شيء متوهم وتخيلوا شيئاً غالبا لم يحكموا على صحته وعلى بطلانه الا بعد الحجة والبرهان على تحقيقه أو بطلانه كما يفعل المهندسون والمنطقيون

وإذ قد ذكرنا طرفا من خواص هذه القوة المتخيلة وعجيب أفعالها نريد أن نذكر طرفا من خواص القوة المفكرة التالية في تناولها رسوم المحسوسات المتخيلات منها التى هي أشرف افعالا وأكثرها عجائب

﴿ فصل ﴾

في بيان أفعال القوة المفكرة

فنقول اعلم أن للقوة المفكرة خواصا كثيرة وأفعالا عجيبة تستغرق فيها أفعال هذه القوة المتخيلة وأفعال سائر القوى الحساسة الدراكة، وذلك ان افعال هذه القوة نوعان : فمنها مايخصها بمجردها ، ومنها ماتشترك هي مع قوة أخرى من قوى النفس ، فمن ذلك الصنائع فان أكثرها أفعال مشتركة بين هذه القوة المفكرة التى آلتها وسط الدماغ وبين القوة الصناعية التى آلتها اليدان ، ومنها الكلام والاقاويل واللغات أجمع فانها أفعال مشتركة بين هذه القوة وبين القوة الناطقة التى آلتها اللسان ، ومنها تناول رسوم المحسوسات المتخيلات فانها أفعال مشتركة بين هذه وبين المتخيلة التى آلتها مقدم الدماغ ، ومنها تناول رسوم المعلومات المحفوظة فانها المشتركة بين هذه وبين القوة الحافظة التى آلتها مؤخر الدماغ.

وأما الافعال التى تخصها بمجردها فهي الفكر والروية والتميز والتصور والاعتبار والتركيب والتحليل والجمع والقياس البرهاني ، ولها أيضا الفراسة والزجر والتكهين والخواطر والالهام والوحي ورؤية المنامات وتأويلها

أما بيان ذلك فنقول : أن الانسان بالتفكر يستخرج غوامض العلوم بالروية ويمكن له تدبير الملك والسياسة ، وبالاعتبار يعرف الامور الماضية مع الزمان ،

وبالتصور يدرك حقائق الاشياء ، وبالتركيب يستخرج الصنائع ، وبالتحليل يعرف الجواهر البسيطة والمركبة ، وبالجمع يعرف الانواع والاجناس ، وبالقياس يدرك الامور الغامضة الغائبة بالزمان والمكان ، وبالفراسة يعرف مافي الطبائع ، وبالزجر يعرف الحوادث وتصاريف الاحوال ، وبالتكهين يعرف الكائنات بموجبات الاحكام الفلكيات ، وبالمنامات وتأويلها يعرف الكائنات والبشارات والانذارات ، وبقبول الوحي والالهام يعرف الوضع للنواميس الالهية وتدوين الكتب المنزلة .

فأما فضائل هذه القوة وقضاياها على ما بين ههنا وذلك ان هذه القوة المفكرة من بين سائر القوى الحساسة والمتخيلة ومدركاتها كالقاضى بين الخصماء ودعاويهم وذلك ان من سنة القاضى أن لايحكم بين الخصوم الا على سبيل معرفة شرعية وضعية معروفة بينهم أو مقاييس عقلية متفق عليها بين الخصمين ، ولا يقبل الدعاوي الا بالشهود والصكوك وموازين ومكاييل معلومة معروفة بين الخصماء

فهكذا حكومة هذه القوة المفكرة التى مسكنها وسط الدماغ وقضاياها بين مدركات الحواس ومتخيلات الأوهام فيما يدعى العقلاء بينهم من المنازعات والخصومات في الأراء والديانات والمذاهب ، فهي لاتحكم لأحد بين الخصمين بالصواب ولا بالخطأ الا بعد ماشهد شاهدان من الحواس الخمس أو نتائج مقدمات جزئية من أوائل العقول

مثال ذلك في رجلين اختلفا في الحكومة في لون الشراب : يحكم أحدهما بأن ذلك لون الماء والآخر أبى ، ثم تحاكما الى القوة المفكرة فلم تحكم هى لاحدهما بالصواب ولا بالخطأ إلا بعد شهادة شاهدين من الحواس : وهما القوة الذائقة والباصرة .

وهكذا لو انهما اختلفا في رؤية الماورد أو خل مصاعد(١) أو نفط أبيض أو

(١) الصواب أن يقول خل يصعد ، لان المصعد من الاشربة : ماعولج بالنار حتي تحول عما هو عليه طعما ولونا والا كان مافي الاصل تحريفا وكان الانسب أن يقال: أو خل فصاعداً والله أعلم ... فتنبه

ماشا كلها من الاجسام التى يشبه لونها لون الماء ولمسها لمس الماء، فان القوة المفكرة لاتحكم لاحدهما إلا بعد ماتشهد القوة الذائقة والشامة بماهيتها .

وعلى هذا المثال والقياس ينبغي أن يكون سائر قضايا القوة المفكرة بين الناس فيما يختلفون فيه من الحكومة على المحسوسات والمتخيلات في الحكومات والقضايا جميعا .

فتفقد ياأخى هذا الباب واعتبر فانه أول طريق العلوم وأول الاختلافات التى وقعت بين الناس في المدركات من المحسوسات والمتخيلات .

وإذ قد ذكرنا طرفا من أسباب الاختلافات التى وقعت بين الناس في المدركات من المحسوسات والمتخيلات أجمع ، فنريد أن نذكر طرفا من أسباب الاختلافات التى وقعت بين العقلاء في الاشياء التى تعلم بأوائل العقول إذ كان هذا الباب تالى المحسوسات في النظام والترتيب ، وذلك ان المعقولات التى هي في أوائل العقول ليست شيئاً سوى رسوم المحسوسات الجزئيات الملتقطة بطريق الحواس من الاشخاص المجتمعة في فكر النفس المسمى أنواعا وأجناسا — كما بينا في رسالة القاطيغورياس

ثم اعلم ان العقلاء متفاوتو الدرجات في معرفتهم هذه الاشياء التى تعلم باوائل العقول تفاوتاً بعيداً جداً . والدليل على ذلك بما قلنا أنك تجد كل انسان يكون أكثر تأملا من المحسوسات وأجود اعتباراً للمتخيلات فان الاشياء التى تعلم بأوائل العقول تكون في نفسه أكثر عدداً وأشد تحقيقا من غيره من الناس مثل المشايخ والمجربين للامور المحسوسة.

والدليل على ذلك قوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً » وقال : « علم الانسان مالم يعلم » وقال : « وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آبائكم » وقال : « وفوق كل ذي علم عليم » وقال : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »:

﴿ فصل ﴾

في بيان ما يعلم بأوائل العقول

فنقول اعلم أن الاشياء التى تعلم بأوائل العقول بعضها ظاهر جلى لكل العقلاء وبعضها غامض خفي يحتاج الى تأمل قليل ، وبعضها يحتاج الى تدقيق النظر وتأمل شديد . مثال ذلك قولهم : الكل أكثر من الجزء إن هذا عند الحكماء ظاهر في أوائل العقول السليمة

وأما قولهم أن الاشياء المختلفة إذا زيدت عليها أشياء متساوية كانت كلها في جميع أوائل العقول السليمة مختلفة يحتاج فيها الى تأمل قليل

وأما قولهم إذا كانت أربعة مقادير على نسبة واحدة فان في الاول من أضعاف الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع ، فهذا أيضاً من الأشياء التى تعلمها بأوائل المعقول ، ولكن يحتاج الى بحث أشد ونظر أدق ، وعلى هذا المثال يكون تفاوت المعقولات والأشياء التى تعلم بالعقول الثاقبة .

ثم اعلم أن كثيراً من العقلاء يظنون أن الاشياء التى تعلم بأوائل العقول مركوزة فنسبتها لما تعلقت بالجسم فهي تحتاج الى التذكار ويسمون العلم تذكراً ويحتجون بقول أفلاطون : التعليم تذكر وليس الامر كما ظنوا وإنما أراد افلاطون بقوله : العلم تذكر ان النفس علامة بالقوة فتحتاج الى التعليم حتى تصير علامة بالفعل فسمي العلم تذكراً ثم إن أول طريق التعاليم هي الحواس ، ثم العقل ، ثم البرهان فلو لم يكن للانسان الحواس لما أمكنه أن يعلم شيئاً لا المبرهنات ولا المعقولات ولا المحسوسات البتة

والدليل على صحة ما قلنا أن كل ما لا يدركه الحواس بوجه من الوجوه لا تتخيله الاوهام ، وما لا تتخيله الاوهام لا تتصوره العقول

واذا لم يكن شيء معقول فلايمكن البرهان عليه لأن البرهان لا يكون الامن نتائج مقدمات ضرورية مأخوذة من أوائل العقول والاشياء التى هي في أوائل العقول إنما هي كليات أنواع وأجناس ملتقطة من أشخاص جزئية بطريق الحواس

والدليل على ذلك الصبي لولا أنه قدر أن عشر جوزات أكثر من خمس ، أو خشبة طولها عشرة أذرع أطول من أخرى لها ستة أذرع فمن أين كان يمكنه أن يعلم أن الكل أكثر من الجزء

وعلى هذا القياس حكم سائر المعقولات فانها مأخوذة أوائلها من الحواس . والدليل على ذلك أيضاً أنك تجد من كان أكثر محسوسات ولها أكثر تأملا وللمتخيلات أجود اعتباراً ، فان الاشياء المعقولة عنده أكثر عدداً ونفسه لها أكثر تحققاً . فقد تبين بما ذكرنا أن الأشياء المعقولة ليست بشيء سوى رسوم المحسوسات الجزئيات الملتقطة بطريق الحواس من الاشخاص مجموعة في فكر النفس المسمى أنواعاً وأجناساً ، وأن العقل للانسان — اذا تبين — ليس هو شيء سوى النفس الناطقة إذا تصورت رسوم المحسوسات في ذاتها ميزت بفكرها بين أجناسها وأنواعها وأشخاصها وعرفت جواهرها وأعراضها وجربت أمور الدنيا واعتبرت تصاريف الايام بين اهلها

ثم اعلم أن كل من كان أكثر تأملا للمحسوسات وأدق نظراً في أمور الموجودات وأجود بحثاً عن الخفيات وأكثر تجارب للأمور الدنياوية وأحسن اعتباراً لأهلها كان أرجح عقلا من أبناء جنسه وأكثر علما من أهل طبقته

ثم اعلم أن العقلاء متفاوتو الدرجات في عقولهم تفاوتاً بعيدا جدا لا يقدر قدره إلا الله تعالى الذي خلقهم وفضل بعضهم على بعض كما اقتضت حكمته وسبق علمه في خلقه

ثم اعلم أن لتفاوت الناس في درجات عقولهم عللا شتى وأسباباً عدة فمن إحدى تلك العلل كثرة فضائل العقول ومناقب العقلاء التي لا يحصى عددها الا الله تعالى ، ولا يمكن أن تجتمع تلك الفضائل في شخص واحد موفرة كما بينا من امتناع ارتياض النفس الواحدة بجميع أصناف العلوم مع قصر العمر واعتراض العوائق ، ولأن كلية العلوم موضوعة بازاء قوي جميع الناس ، كما أن كلية الصناعات موضوعة بازاء قوى جميع الصناع

ولكن يجب للانسان أن يختار الأولى والأشرف والأفضل وذلك أن العقلاء هم أفاضل الناس والانسان أفضل من الحيوانات والحيوان اشرف من النبات ، والنبات الاركان ومخ طبائعها ، والانسان صورة مختصرة من جميع صور الحيوان وهو المجموع فيه أمزجة قوى النبات وخواص المعادن وطبائع الاركان والمولدات الكائنات منها أجمع

وهذه كلها لا يمكن أن تجتمع في شخص واحد فتفرقت في جميع الاشخاص هذه الصور فكثر وقل حتى عمرت الدنيا بهم ، فهذا أحد أسباب اختلاف طبائعهم واختلاف طبائعهم أحد أسباب اختلاف تفاوت عقولهم

والعلة الثانية في تفاوت الناس في درجاتهم في عقولهم هي خواص جواهر نفوسهم التابعة في إظهار أفعالهم لامزجة أبدانهم ، والثالثة هي كثرة غرائب علومهم ومعارفهم التي لا يمكن أن يحويها كلها انسان واحد ، الرابعة عجائب أفعالهم وفنون أعمالهم واختلاف صنائعهم وتصاريفهم في طلب معاشهم وأحكام تدبيرهم في سياستهم كثيرة لا تحصى ولا يمكن أن ينهض بها كلها انسان واحد ، والخامسة اختلاف أخلاقهم المتضادة في الحسن والقبح ومجاري عاداتهم بين الجودة والرداءة مما لا يمكن أن تجتمع كلها في انسان واحد ، والسادسة نشوءهم على اختلاف سنن دياناتهم وتباين مذاهب آبائهم وآراء استاذيهم ومعلميهم

ثم اعلم أن هذه الخصال والمناقب كلها لا يمكن أن تجتمع في شخص واحد ، فمن أجل هذا فرقت في جميع أشخاص الانسان كلها مع كثرتها ولا تخرج من صور الانسان البتة التي هي احدى الصور التي تحت فلك القمر وهي صورة الدور ، فلأجل ذلك تراه في غاية الاعتدال في حال الفطرة ثم تخرجه عن ذلك عاداته الحسنة والرديئة فتصير كالطبع له ، والعادة توأم الطبيعة ، وقيل طبيعة منتزعة ، وقيل صعب عادة منتزعة ، كما قيل صعب طلب ما ليس في الطبع

ثم اعلم أن هذه الصورة هي خليفة الله في أرضه متحكمة فيها مع كثرتها على حيواناتها ونباتاتها ومعادنها حكم الارباب على خولها اذ سجدوا لها بجملتها وهي

صورة واحدة وان كانت أشخاصها كثيرة فان حكم جميع الاشخاص في هـذه الصورة كحكم جميع أعضاء بدن الانسان الواحد لصورة نفسه وهي المتحكمة فى جميع البدن على عضو عضو ومفصل مفصل وحاسة حاسة من يوم الولادة الى يوم الفراق — كما بينا فى رسالة تركيب الجسد ، فهكذا حكم هـذه الصورة فى جميع أشخاص البشر الاولين والآخرين من يوم خلق الله تعالى السموات والارض . وآدم أبو البشر الترابى له الحـكم فى هذه الارض والربوبية على جميع ما فيها الى يوم القيامة الـكبرى «فسجد الملائكة كلهم أجمعون» كما بينا فى رسالة البعث والقيامة . وإذ قـد تبين مما ذكرنا طرفاً من علل تفاوت العقـلاء فى درجات عقولهم نريد أن نذكر أيضاً كيف تبين فيهم رجحان العقول والمعقول وكيف يعرف ذلك فيهم

فصل

في بيان رجحان العقول للعقلاء

فنقول ان ذلك يتبين فيهم ويعرف منهم بحسب طبقاتهم فى أمور الدنيـا ومراتبهم فى أمر الدين وهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى . ولـكن نجمعها كلها فى هذه التسعة الاقسام للتقرب من الفهم ونحصرها للحفظ فنقول : ان منهم أهل الدين والشرائع والنبوات وأصحاب النواميس ومن دونهم من الموسومين بحفظ أحكامها ومراعاة سننها والمعروفين بالتعبد فيها ، ومنهم أهل العلم والحكماء والادباء وأصحاب الرياضات الموسومين بالتعاليم والتأديب والرياضات والمعارف ومنهم الملوك والسلاطين والامراء والرؤساء وأرباب السياسات والمتعلقين بخدمتهم من الجنود والاعوان والـكتاب والعمال والخزان والوكلاء ومن شاكلهم ، ومنهم البناء والزارعون والأكرة والرعاة للشاة وساسة الدواب ورعاة الحيوان أجمع ، ومنهم الصناع وأصحاب الحرف والمصلحون للأمتعة والحوائج جميعاً ، ومنهم التجار والباعة والمسافرون والجلابون للأمتعة والحوائج من الآفاق ، ومنهم

المتعيشون الذين يعيشون فى خدمة غيرهم وقضاء حوائجهم يوماً بيوم ، ومنهم الضعفاء والسؤال والمكديون ومن شاكلهم من الفقراء والمساكين

ثم اعلم أن كل انسان من أهل هذه الطبقات — كائناً من كان — لا يخلو من أن يكون فيها رئيساً سائسا لغيره أو يكون مرؤوساً مسوساً فيها بغيره ورجحان عقل كل رئيس سائس يتبين فيها ويعرف منه فى حسن سياسته وتدبير رياسته وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يخرج من سنة شريعته وحكم الناموس ورجحان عقل كل مرؤوس مسوس يتبين فيه ويعرف منه فى حسن طاعته لرئيسه وسهولة انقياده لأمر سائسه وحسن عشرته مع أبناء جنسه ما لم يكن ذلك قدحاً فى دينه أو نقصا لاعتقاده ، ورجحان عقل كل متدين يتبين فيه ويعرف منه فى حسن قيامه بواجبه عليه فى أحكام شريعته وسنة دينه وحسن عشرته مع أبناء جنسه ما لم يكن تاركا للافضل ولا غالياً فى دينه ولا متقلبا فى مذهبه ، ورجحان عقل كل عالم أو أديب أو حكيم يتبين فيه ويعرف منه فى حسن كلامه وتحصيل أقاويله وجودة تأديبه وحسن عشرته مع أبناء جنسه ما لم يدع ما لا يحسنه او ينكر فضل غيره ، ورجحان عقل كل صانع وصاحب حرفة يتبين فيه ويعرف منه فى محكمات صنعته وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يتعاط ما لا يحسنه او يتكلف ما ليس فى صناعته ، ورجحان عقل كل تاجر بائع مشتر يتبين فيه ويعرف منه فى صحة معاملته وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يكذب فى بيعه وشرائه ، ورجحان عقل كل فقير مسكين او ضعيف او مبتلا يتبين فيه ويعرف منه فى حسن عشرته وقلة جزعه وإجماله فى الطلب وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يلح فى السؤال ويستخط عند الحرمان

﴿ فصل ﴾

في بيان فضل الفقراء والمساكين وأهل البلوى

فنقول اعلم أن هذه الطائفة هي رحمة للاغنياء وموعظة للمترفين ولمن كان معافاً ولارباب النعم ليكون كل عاقل معافى اذا فكر بهم واعتبر بأحوالهم علم

بان الذي أعطاه وعافاه هو الذي منعهم وابتلاهم ، ويعلم ان لم يكن للغني المعافى عندالله يد واحسان جازاه بها ولا لواحد عند الله اساءة كافأه عليها . فاذا فكروا في هذه الاحوال واعتبروا أحوال الفقراء وأهل البلوى عرفوا حسن موقع النعم عندهم فيزدادوا لله شكراً يستوجبون به المزيد — كما قال الله تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم» فبهذا الوجه والاعتبار صاروا هم رحمة للاغنياء وموعظة لمن كان معافى ، وخصلة أخرى أيضاً أن أهل الدين ومن يؤمن بالآخرة اذا نظروا الى هؤلاء واعتبروا أحوالهم يزدادون يقينا من الآخرة ويعلم كل عاقل أن من بعد هذه الحياة الدنيا داراً أخرى يجازى بها هؤلاء المبتلون بما صبروا على مصائبهم من أمور الدنيا — كما قال تعالى — «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»

ثم اعلم أن لهذه الطائفة — أعني الفقراء وأهل البلوى — فضائل كثيرة ولله تعالى في ايجادهم حكمة جليلة تخفى على كثير من العقلاء والمترفهين من أبناء الدنيا فمنها أنهم أشد الناس يقيناً بالآخرة من غيرهم من المترفين ، وأنهم أسرع الناس إجابة لدعوة الانبياء عليهم السلام من غيرهم من المترفين من أرباب النعم والاغنياء وأنهم أقل من غيرهم من الاغنياء وأنهم أخف مؤنة وأقل حوائج وأقنع باليسير وأرضى بالقليل من غيرهم من الناس ، وأنهم أكثر ذكراً لله تعالى في السر والعلانية وأرق قلوبا في الفكرة والتذكر ، وأخلص في الدعاء لله في السراء والضراء ، وخصال أخر كثيرة لو عددناها لطال الكلام ويخرج بنا عما نحن فيه . وانما ذكرنا طرفاً من فضائلهم لان كثيراً من العقلاء المترفين اذا نظروا اليهم يظنون بالله ظن السوء : فمنهم من يرى أن الذي نالهم من ذلك من سوء اختيارهم وشؤمهم وخذلانهم ، ومنهم من يرى أن الصواب لو أنهم لم يخلقوا لكان ذلك خيرا لهم ، ومنهم من يرى أنهم معاقبين بما سلف منهم في الادوار الماضية من الذنوب ، وهذا رأي أصحاب التناسخ . ومنهم من يرى أن الله تعالى ليس يفكر بهم ولا يهمه أمرهم والا كان قادراً على أن يغنيهم أو يميتهم ويريحهم مما هم فيه من الجهد والبلوى ، ومنهم من يرى أن هذا ليس يجري بعلم عالم أو حكم حكيم بل هو بحسب سوء

اتفاق رديء ، ومنهم من يرى أن هذه موجبات أحكام الفلك من غير قصد قاصد ولا صنع صانع . ومنهم من يرى أن هذا انما يفعل بهم ليجازوا به ويثابوا عليه. ومنهم من يرى أن هذه الحال أصلح لهم وأنفع من غيرها . ومنهم من يرى أن هذا كان في سابق العلم والقدر المحتوم لم يكن بد من كونه . ومنهم من يرى أنه اظهار القدرة وتحكم في الملك وانفاذ المشيئة . ومنهم من يرى أن هذه موعظة ووعيد وتهديد وتخويف لغيرهم . ومنهم من يرى أن هذا هو الأحكم والاتقن وان كان لا يدري ماوجه الحكمة في ذلك فليس إلا الايمان والتسليم والصبر والرضا بما يجري به القضاء والمقادير — كما قال تعالى — «ولنبلوكم أيكم أحسن عملا» وقال «أحسبتم أن تدخلوا الجنة» وانما ذكرنا في شرح هذا الباب لأن هذا البحث والنظر من احدى أمهات الخلاف بين العلماء المتفرع منها فنون الآراء والمذاهب وهي محنة لعقول ذوي الألباب ، ورجحان عقل كل صاحب مذهب يتبين فيه ويعرف منه في نصرته لدينه بحجج متقنة ومساعدة لاهل مذهبه مما يتعلق به وحسن عشرته مع أبناء جنسه مالم يكن معتقداً للرأيين المتناقضين ، فانه عند ذلك يكون مخالفاً لنفسه في مذهبه ومناقضاً لمذهبه باعتقاده ، وهذا من أكبر العيوب عند العقلاء ومن أشنع اعتقادهم عند العلماء

ثم اعلم أنه ليس على العقلاء كثير عيب في مخالفة بعضهم بعضاً لان ذلك من أجل تفاوت درجاتهم كما ذكرنا قبل .

وأما مخالفة الانسان الواحد في نفسه في رأيه ومذهبه فانه يدل على قلة التحصيل ورداءة التمييز وسخف الرأي التي بأضدادها يفتخر العقلاء بعضهم على بعض . وخصلة أخرى في عذر العقلاء فيما يختلفون في الفروع : وذلك أنه عسر جداً اجتماع العقلاء على رأي واحد كلهم في شيء واحد . وانما يتفقون في الاصول ويختلفون في الفروع . فأما انسان واحد فليس يعسر أن يعتقد في شيء رأيا واحداً وأن لا يعتقد رأيين متناقضين . واذ قد تبين مما ذكرنا طرفاً من كيفية رجحان عقول العقلاء في تصرفاتهم في أمور الدين والدنيا وكيف يعرف ذلك

منهم فنريد أن نذكر طرفا من أحوال العلماء الذين هم أفضل العقلاء ونبين مراتبهم في العلوم والصنائع والمعارف وكيفية معلوماتهم التي في أوائل العقول المتفق عليها بين أهل كل صناعة وعلم ومذهب فيما يخصهم وما يتميزون به عن غيرهم

فصل

في الفرق بين أصول الصنائع والعلوم وفروعها

فنقول اعلم أن لكل علم وأدب وصناعة ومذهب أهلا ولأهلها فيه أصولا فهم فيها متفقون كلها في أوائل عقولهم ولا يختلفون فيها وان كانت عند غيرهم بخلاف ذلك ، وان لتلك الأصول أيضاً فروعا وهم فيها يختلفون ، ولهم في كل أصل قياسات عليها يتفرعون وموازين بها يتحاكمون فيما يختلفون — وهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار ، ولكن نذكر منها طرفا ليكون ارشاداً لمن يريد النظر فيها والباحثين عنها فنبدأ أولا بصناعة العدد التي هي أول الرياضيات فنقول :

ان الأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم لماهية العدد وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين وعلمهم بأن العدد ليس هو شيء سوى كثرة الاحاد يتصورها الانسان في نفسه من تكرار الواحد في التزايد بلا نهاية ، وعلمهم بأن تلك الكثرة كم بلغت لا تخلو من أن تكون أزواجا وأفراداً آحاداً وعشراتها ومئاتها وألوفها بالغاً ما بلغ

وهذا هو الأصل المتفق عليه بين أهل صناعة الارثماطيقي الذين لا يختلفون فيه .

وأما كمية أنواعها وخواص تلك الانواع فهم في معرفتها متفاوتو الدرجات كل ذلك بحسب تفاوتهم في قوى نفوسهم وجودة بحثهم ودقة نظرهم وحسن تأملهم وكثرة اعتبارهم .

وهكذا أيضاً صناعة الهندسة فان الاصل المتفق عليه بين أهلها ومعرفتهم

بالمقادير الثلاثة التي هي الخط والسطح والجسم ، والابعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق ومايعرض فيها من الزوايا والأشكال والاوضاع وما شاكلها ، فان هذه الاشياء كلها كانت في أوائل عقولهم وان كانت عند غيرهم بخلاف ذلك.

فأما أنواع هذه الأصول وخواص تلك الانواع ومايعرض فيها من المناسبات العجيبة وماينتج عنها من المباحث الدقيقة ، فهم فيها متفاوتو الدرجات بحسب تفاوت قوى نفوسهم فيها وجودة بحثهم عنها ودقة نظرهم فيها وشدة تأملهم لها.

وهكذا أيضاً حكم صناعة التنجيم الذي يسمى علم الهيئة فان الأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بأن السماء كرية الشكل ، وأن الارض كرية أيضا موضوعة في وسط السماء ، وأن المركز واحد مشترك بها وان الارض ثابتة والسماء متحركة حولها على استدارة كدورة الدولاب في كل يوم وليلة دورة تامة .

وتركيب الافلاك التسعة وتخطيط الدوائر العظام وقسمة البروج الاثني عشر ، والكواكب السبعة السيارة والثابتة الباقية ، وكيف تكون الارض في مركز العالم . فان هذه الاشياء كلها كأنها في أوائل عقولهم إما تسليما أو استبصاراً أو برهانا وان كان عند غيرهم بخلاف ذلك

فان هذه الاشياء أوائل في هذه الصنعة لتقررها واتفاق أهلها عليها سواء كانوا في اعتقاد صحتها مقلدين لغيرهم مسلمين لهم أو مستبصرين في ذلك يعلمونه ببراهين وان كان عند غيرهم بخلاف ذلك .

وأما معرفتهم بكيفية تركيب أفلاك التداوير والأفلاك الخارجة المراكز والأوج والحضيض والجيب والميل والعرض والطول وما توصف به البروج من الاوصاف المختلفة وما توصف به الاقاليم السبعة وأحوالها في الطول والعرض واختلاف الليل والنهار فيها وماشاكل هذه المباحث ، فانهم في معرفتها متفاوتو الدرجات ، كل ذلك بحسب تفاوت قوى نفوسهم وجودة بحثهم عنها ودقة معرفتهم فيها وشدة تأملهم لها

وأيضاً حكم صناعة التأليف الذي يسمى الموسيقى فان الأصل المتفق عليه بين

أهلها هو معرفتهم بالنسب التي هي العددية والهندسية والتأليفية: وذلك أن كل مصنوع مركب من أشياء مختلفة لانه لايخلو تركيب أجزاءه وتأليف بنيته من إحدى هذه الثلاث فما كان منها تأليفه على النسبة الافضل فانه يكون أحكم اتقانا وأجود هنداما وأحسن نظاما وما كان على النسبة الأدون فهي بخلاف ذلك ، وما كان بينهما فهو متوسط .

والناظرون في هذا العلم والصناعة هم في معرفته متفاوتو الدرجات بحسب تفاوت قوى نفوسهم وجودة قرائحهم وصفاء أذهانهم وكثرة رياضاتهم وطول دربتهم ونظرهم وبحثهم عنها وتأملهم لها

وهكذا أيضاً حكم علم الطبيعيات يعني بها الاجسام وما يعرض فيها من الاعراض المتفننة وما يوصف بها من الصفات المختلفة ،وهي كثيرة الفنون ولكل فن منها أصول ولها فروع ولكن الأصل الاول فيها كلها المتفق عليه بين أهلها هو معرفة خمسة أشياء وهي الهيولى والصورة والمكان والزمان والحركة لأن هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم — فلكياً كان ذلك الجسم أومادونه من الاركان .

فأما الذي يتفرع من هذا الأصل فنوعان : أحدهما عالم السموات والافلاك والآخر عالم الكون والفساد الذي هو تحت فلك القمر والاصل المتفق عليه بين أهل هذا العلم هو معرفتهم بأن حكم العالم بجميع أفلاكه وطبقات سمواته والقوى السارية فيها تجري مجرى جسم انسان واحد وحيوان واحد يتحرك عن محرك واحد بحركة واحدة.

وأما كيفية تركيبها وفنون حركاتها وما يختص كل واحد منها فهم في معرفتها متفاوتو الدرجات بحسب قوى نفوسهم وشدة بحثهم عنها وجودة نظرهم فيها وشدة تأملهم لها .

وهكذا حكم الكون والفساد فان الأصل المتفق عليه بين أهلها فيها هو معرفتهم بالطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والاركان

الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ، وكيفية استحالة بعضها الى بعض في بعض الازمان وبعض المكان .

وأما فنون الكائنات منها في تلك الاماكن وفي تلك الازمان وفي تلك الأجناس فانهم في معرفتها متفاوتو الدرجات بحسب قوى نفوسهم وجودة بحثهم ونظرهم وتأملهم.

واعلم يا أخي ان الكائنات التي هي من استحالة هذه الاركان أربعة أنواع: فمنها حوادث الجو وتغيرات الهواء ، ومنها الكائنات التي في باطن الارض المسماة المعادن ، ومنها الكائنات على وجه الارض التي تسمى النبات ، ومنها الكائنات التي تسمى الحيوان ، وكل جنس من هذه الاربعة فان النظر فيه هو صناعة قائمة بنفسها .

فاما الاصل المتفق عليه في حوادث الجو بين أهل هذه الصناعة فهو معرفتهم بطبيعة كرة النسيم وكرة الزمهرير وكرة الاثير والبخارين الصاعدين : الرطب واليابس من البحار والبراري .

فأما كيفية حوادث الكائنات منها والرياح والأمطار والبروق والرعود والبرود والثلوج والهالات والشهب وذوات الاذناب في هذه الأكر وبين سطوحها المشتركة فانهم في معرفتها متفاوتو الدرجات ،كل ذلك بحسب تفاوت قوى نفوسهم وجودة بحثهم ونظرهم وتأملهم .

وهكذا الأصل المتفق عليه في كون المعادن وهو معرفتهم بالزئبق والكباريت اللذان هما عنصران ولباب جواهر المعدنية كلها .

وأما علة اختلاف بقاع الارض والمواضع المخصوصة لها وفنون أنواعها مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والاسرب والحديد والكحل والزرنيخ والشبوب والزاجات والاملاح والنفط والقار والاسفيذاج وماشاكلها وخواصها وتصاريفها فهم في معرفتها وعلمها متفاوتو الدرجات بحسب قوى نفوسهم وجودة تأملهم لها .

وهكذا أيضاً حكم النبات فان منه ماله حب أو بذر يزرع ،ومنه ماهو أشجار تغرس ومنه ماهو حشائش تنبت ، وكذلك حكم الحيوان فان منها مايتولد فى الارحام ومنها مايخرج من البيض ومنها مايكون من العفونات ،فهذا هو الاصل المتفق عليه بين أهلها .

وأما معرفتهم بعلة اختلاف انواعها وخواصها واختلافها وأفعالها ومتصرفاتها ومنافعها ومضارها فان أهلها فيها متفاوتو الدرجات ، كل ذلك بحسب قوى نفوسهم فيها وجودة بحثهم عنها ودقة نظرهم وتأملهم فيها.

وأما علوم المنطق فهى نوعان : لغوى وفلسفي . فاللغوي مثل صناعة النحو والأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بالاسماء والافعال والحروف وأعرابها من الرفع والنصب والخفض ، ومثل صناعة الخطب التى الأصل فيها هو معرفة السجع والفصاحة وضرب الامثال والتشبيهات ، ومثل صناعة الشعر التى الأصل فيها معرفة المفاعيل والاسباب والأوتاد والحروف المتحركات والسواكن

فأما النظر فى فروعها ومعرفة المزحفات منها والعويص وعللها فهم فيها متفاوتو الدرجات بحسب نفوسهم وطول دربتهم ودوام رياضتهم .

وهكذا أيضاً المنطق الحكمى هو فنون شتى منه : صناعة البرهان ، ومنه صناعة الجدل ، ومنه صناعة السفسطائي يعنى المغالطين.

فأما صناعة البرهان فان الاصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بمعاني الستة الألفاظ التى في ايساغوجي ، والعشرة التى فى كتاب قاطيغورياس والعشرين كلمة التى في باريمينياس ، والسبعة التى فى أنولوطيقا.

فأما مايتفرع من فنون المعاني ومايعرض فيها من غرائب المباحث فبحر عميق قد تاه فيه افهام كثير من الناظرين فيها وتحيرت عقول كثير من المباحثين عنها لدقة المعاني لهذه الصناعة وعجيب أصولها وكثرة فروعها وبعد مرامي أهلها لان من هذه الصناعة نعرف آداب الفلسفة وأدب الحكم وميزان العقل ومقاييس الحقائق التى تسمى البرهان .

فقد تبين مما ذكرنا أن لكل علم وصناعة أصول متفقق عليها بين أهلها وكأنها في أوائل عقولهم ظاهرة بينة وان كان غيرهم بخلاف ذلك مثال ذلك قول المهندسين : ان كل ضلعين من أضلاع المثلث مجموعين هما أطول من الباقي أى من الضلع الثالث ، فان هذه الحكومة عندهم كأنها في أولية عقولهم ظاهرة بينة . وأما قولهم إن الضلع الاطول من كل مثلث يوتر الزاوية العظمى فهو أدق وأخفى قليلا فيحتاج فيه الى تأمل . وأما قولهم أن الزوايا الثلاث من كل مثلث مساوية لزاويتين قائمتين فيحتاج فيه الى برهان ومقدمات .

وهكذا أيضاً صناعة المنطق فان فيها أشياء كأنها في أوائل عقولهم ظاهرة بينة ، وهو قولهم : الضدان لايجتمعان في شىء واحد في زمان واحد ، فان هذه الحكومة بينة ظاهرة .

وأما التى هي أدق من هذا ويحتاج فيها الى البرهان فهي مثل قولهم : كون كل شىء فساد لشىء آخر .

وعلى هذا المثال يكون حالهم في المقولات عند أهل كل صناعة وعلم وأدب ومذهب . يوجد أشياء كأنها فى أوائل عقولهم وأشياء أخر مثل ثوان وثوالث وروابع بالغاً مابلغ . مثال ذلك أن الحكومات التى في كتاب المجسطي على هيئة الافلاك في تركيبها هي بعد النظر فى علم المناظر ومعرفة الأبعاد والأجرام ، وعلم المناظر بعد علم الهندسة والنظر فى كتاب اقليدس ، وعلى هذا المثال أوائل كل صنعة مأخوذ من صناعة أخرى قبلها ، وان علم البرهان بعد المعقولات والمحسوسات .

واعلم أن كل صناعة مأخوذة من صناعة أخرى كما تقدم ذكره وأن أهل كل صناعة أو علم أو مذهب هم بصناعتهم وأصولها وفروعها أعلم وأعرف من غيرهم ، وانما ذلك لتعلمهم لها ودربتهم فيها وطول تجاربهم اياها .

فأما سبب اختلافهم في فروعها فهو من أجل تفاضلهم فيها وأن المتعلم المبتدي بها لا يمكنه أن يسأل الفاضل الكامل فيها ويعارضه ويطالبه بالدليل والحجة

ويناقضه من غير بصيرة ولا بيان ، وهـذه البلية العظمى فى الصنايع والعـلوم والمحنة على أهلها الفاضلين فيها ولـكن من أشد بلية على الصناعة وأعظم محنة على أهلها هو أن يتكلم عليها من ليس من أهلها ويحكم فى فروعها ولا يعرف أصلها فيسمع منه قوله ويقبل منه حكمه ، وهذا الباب من أجل أسباب الخلاف الذي وقع بين الناس فى آرائهم ومذاهبهم ، وذلك أن قوما من القصاص وأهل الجدل يتصدرون في المجالس ويتكلمون في الآراء والمذاهب ويناقضون بعضها بعضاً وهم غير عالمين بماهيتها فضلا عن معرفتهم بحقائقها وأحكامها وحدودها فيسمع قولهم العوام ويحكمون بأحكامهم فيضلون ويضلون وهم لا يشعرون

واعلم أن الجدل هو أيضاً صناعة من الصنائع ولـكن الغرض منها ليس هو إلا غلبة الخصم والظفر به كيف كان ، ولذلك يقال : الجدل فتل الخصم عما هو عليه إما بحجة أو شبهة أو شعبة وهو الثقافة في الحرب ، والحرب كما قيل خدعة وهو يشبه الحرب والمعركة اذ الحرب خدعة

فصل

ثم اعلم أن الاصل فى هذه الصناعة المتفق عليها بين أهلها هو معرفة الدعاوي والسؤالات والجوابات والدليل .

فأما كيفية السؤالات وأجوبتها والاستدلالات بالشاهد على الغائب وبالظاهر على الباطن وبالمحسوسات على المعقولات والحكم على الكل باستقراء الأجزاء فى أى شيء يجوز وفى أي شيء لا يجوز ، وكيف اطراد العلة فى معلولاتها وكيفية قياس الفروع على الاصول ومعارضة الدعوى بالدعوى ، والدليل بالدليل ، وقلب المسألة على الاصـل ومناقضة أصلها لفروعها ، ومقايسة الاصل بالاصل والفرع بالفرع ، ولوازم الشناعات وما يعرض فيهـا وفى معرفتها لاهلها من الانقطاع والشكوك والحيرة فهم فيها متفاوتو الدرجات كل ذلك بحسب قوى نفوسهم وجودة ذكائهم ودقة نظرهم وبحثهم ومكابرتهم ووقاحتهم وشغبهم

ثم اعلم أنه ليس من صناعة ولا علم ولا أدب يعرض لاهله فيها من الحيرة والدهشة والشكوك والظنون والخطأ والعدوان والبغضاء بينهم ما يعرض لاهل صناعة الجدل فيما يعتقدون فيها ويجادلون عنها . والعلة فى ذلك أسـباب شتى : منها أن جميع الصنايع والعلوم والمذاهب والآراء موضوعة لهم يتـكلمون عليها ويعارضون فيها ويجادلون عنها قبل النظر والبحث عنها والعلم فيها ، وعلة أخرى أنه يمكن أن يداخلهم فى صناعتهم من ليس منهم بالسؤال لهم والمعارضة فى دعاويهم والمناقضة لاجوبتهم ، لان السؤال أسهل من الجواب والمعارضة دعوى تحاذي دعوى ، والمناقضة أسهل من اثبـات الحجة لأنها افساد ، والافساد أسهل من الاصلاح فى أكثر الاشياء ، وخصلة أخرى أنهم ربما يكونون مقلدين فى أصول ما يجادلون فيه من المذاهب فيبصرون الفروع ، ومن يكون فى الاصل على التقليد كيف يمكنه أن يبصر الفروع على تبصرة وخصلة أخرى ، إن أكثرهم ربما جادل فيبصر الرأي والمذاهب لا على سبيل الورع والتدين وطلب الحق لـكن على سبيل التعصب والحمية ، والتعصب والحمية يعميان عن الحق ويضلان عن الصواب .

ثم اعلم أنه ليست من طائفة تتعاطى العلم والأدب والكلام أشر على العلماء ولا أضر على الانبياء ولا أشد عداوة لاهل الدين وأفسد للعقول السليمة من كلام هذه الطائفة المجادلة الظلمة . وخصوماتهم فى الآراء والخصومات والمذاهب وذلك انهم ان كانوا في أزمان الانبياء عليهم السلام وعند مبعثهم فهم الذين يطالبونهم بالمعجزات ويعارضونهم بالخصومات ، مثل ما قالوا للنبى عليه السلام : «لمن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً» وقالوا لنوح عليه السلام « وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا» وهم الذين اذا مروا بالمؤمنين يتغامزون وقال تعالى في ذمهم « ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون » فهذه حال من كانوا يعارضون أهل الدين في أزمان الانبياء عليهم السلام

فأما اذا كانوا في غير أزمان الانبياء فهم الذين يعارضون أهل الدين والورع بالشبهات وينبذون كتب الانبياء عليهم السلام وراء ظهورهم يفرعون الآراء

والمذاهب بعقولهم الناقصة وآرائهم الفاسدة ويضعون لمذهبهم قياسات مناقضة واحتجاجات مموهة ويعارضون بها العقلاء من الاحداث والعامة فيضلونهم عن سنن دياناتهم النبوية ويعدلون بهم عن موضوعات الشرائع الناموسية

ثم اعلم انه ليس من صناعة بين اهلها من التفاوت ما بين اهل هذه الصناعة، وذلك انك تجد فيهم من يكون له جودة عبارة وفصاحة كلام وسحر بيان يقدر معه على ان يصور بوصفه البليغ الحق في صورة الباطل والباطل فى صورة الحق وهو مع ذلك جاهل القلب عن حقائق الاشياء بعيد الذهن عن المعارف

وروى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « اخوف ما اخاف على امتى رجل منافق عليم اللسان غير حكيم القلب يغيرهم بفصاحته وبيانه ويضلهم بجهله وقلة معرفته » .

وتجد فيهم ايضاً من يجادل ويحتج ويناظر ، كلامه ينقض بعضه بعضاً ولا يدري بذلك ، فاذا نبه عليه لم يشعر به ، وتجد فيهم ايضاً الرجل العاقل الذكي المحصل في اشياء كثيرة من امور الدنيا فاذا فتشت اعتقاده في اشياء بينة ظاهرة فى العقول السليمة من الآراء الفاسدة وجدت رأيه واعتقاده في تلك الاشياء اسخف واقبح من رأي كثير من الجهال والصبيان

والعلة في ذلك اسباب شتى : منها شدة تعصبه فيما يعتقده بقلبه من غير بصيرة وأخرى اعجابه بنفسه في اعتقاده واخرى اعتقاده الاصول خفى فيها خطؤه بين ظاهر الشناعة فى فروعها ، فهذا يلزم ذلك الشناعات فى الفروع مخافة ان تنتقض عليه الاصول ويطلب لها وجوه المراوغة عن الزام الحجة عليـه ، تارة يشغب وتارة يموه وتارة يروغ فى الجواب والاقرار بالحق ويأنف ان يقول لا ادري والله ورسوله اعلم ! كما كان في زمان النبى ﷺ اذا سئلوا عما لا يدرون قالوا الله ورسوله اعلم اقتـداء بامر الله كما قال : وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وقال : « ولو ردوه إلى الله ورسوله وإلى أولى الامر منهم لعلمـه الذين يستنبطونه منهم »

ولـكن كثيراً من المجادلة يعتقد أن لا رجوع له إلى الله على الحقيقة ، ولا يرجو لقاءه ولا يجوز رؤيته لما نظر بعقله الناقص أداه اجتهاده الى هذا الرأي فترك ما ذكر الله فى كتابه في عدة مواضع وذلك قوله :« ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » وقوله : « الى الله مرجعكم جميعاً ثم يحكم بينكم يوم القيامة » وقوله : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » وقال « من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت » وقال « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم » « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق » . وقال المسيح عليه السلام « أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » وآيات كثيرة في هذا المعنى

ولـكن من هؤلاء من يحتج ويقول معنى الرجوع الى الله أي الى ثوابه ، ولو انهم اعتبروا سنن الديانات النبوية والموضوعات الناموسية الالهية كيف فرض فيها واضعوها في كل سبعة أيام يوماً لترك الاعمال والاشتـغال لامور الدنيـا والفراغ للعبادة والاجتماعات في بيوت العبادات من المساجد والبيع والـكنائس والهيكل بالصوم والصلاة والقرابين في الاعيـاد والبروز الى الصحراء والمنـابر والخطب والسكوت والاستماع للمواعظ والتـذكار للأمر المعاد بأن هـذه كلها اشارات ومرامي أحوال القيامة التي في سبعة آلاف سنة تعرض للنفوس الجزئية المتجسدة لدى النفس الـكلية لفصل القضاء ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ، فلو تركوا جدالهم واشتغلوا بما ينفعهم من أعمالهم الصالحة والتخلق بالاخـلاق الجميلة وطلبوا الآداب المحمودة لـكان خيرا لهم من الجدال والخصومات والغضب والتعصب والعداوات

ولـكن لاستيلاء المريخ عليهم فى مواليدهم يحثهم على ذلك وقوة المرارة تنمي الى أمزجتهم فيقيمهم على مثلها فتطول صحبتهم مع استاذيهم ورسائلهم معودون ذلك ودوامهم فيما يتدربون به فيصير عادة لهم لا يصبرون عنها !

فلا تطمع يا أخي في صلاحهم وانما أكثرنا ذكر هذه الطائفة المجادلة لان كثيرا من أسباب الخلاف فى الاراء والمذاهب من قبلهم يقع وهم السبب فيـه

لأنهم يتكلمون الكلام والجدال والحجاج في دقائق العلوم ويتركون تعلم أشياء واجب عليهم تعلمها وهي بينة ظاهرة جلية وهم يجهلونها جملة

فصل

في بيان آداب الجدال

فنقول اعلم أن كل مسألة تنازع فيها اثنان أو جماعة فلا يخلو من أن يكونوا من أهل تلك الصناعة التي المسألة منها أو يكونوا من غير أهلها فان كانوا من غير أهلها فكلامهم فيها على غير أصل مقرر منهم ، وكل كلام ومنازعة في شيء على غير أصل مقرر منهم فلا تحصيل لكلامهم فيه ولا حجة لدعاويهم ، وإن كان أحدهما من غير أهلها فان منازعته لصاحبه تعد منه وظلم ، وكلام صاحبه معه أيضا تخلف منه اذ كان يجادل مع من ليس من أهل صناعته ، وان كان من أهل تلك الصناعة فلا يخلو من ان يكونا متساويي الدرجة فيها أو متفاوتين ، فان كانا متفاوتين فحكمهما مثل ما تقدم ذكرها من ذكر حكم الاولين وان كانا متساويي الدرجة في تلك الصناعة فسبيلهما أن يؤاخذا فيما اختلفا فيه الى قوانين تلك الصناعة وأصولها ويقيسان عليها تلك المسألة وان كانت من فروعها

وان لم يكن في قوة نفوسهم استخراجها فسبيلهما أن يتحاكما الى من هو أعلى درجة منهما في تلك الصناعة ليحكم بينهما

وان لم يجدا من يحكم بينهما فيرضيان بحكمه ولا في قوة نفوسهم استخراجها من الاصول فليس لهما الا الترك لتلك المسألة والسكوت عنها ، فان لم يفعلا ما وصفنا في الجدال والخصومة فسيكون ذلك سبب العداوة والبغضاء بينهما كلما ازدادوا الحاحا ازدادوا خلافاً على خلاف وعداوة على عداوة وبغضا الى يوم القيامة وتكون تلك حالهم ، وهذا من أحد أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب

فأما بيان فنون القياسات فاعلم حسب ما نبين هاهنا . وذلك أن الامور التي

يعلمها الانسان ثلاثة أنواع : ماض ومستقبل وحاضر ، فعلمه بما هو حاضر في الوقت موجود في طريقة احدى الحواس ، والحواس قد تخطيء وتصيب في ادراكاتها محسوساتها لعلل شتى قد بينا طرفاً فيما قد تقدم ذكره

وعلمه بما كان من الامور ومضى مع الزمان وانقضى مع الايام أو غاب عنه بالمكان فهو بطريق السمع والاخبار ، والمخبر قد يكون صدوقا وقد يكون كذوبا وهكذا أيضا رب مستمع مكذب بالصدق ، ورب مستمع مصدق بالكذب . فأما علمه بما سيكون أو غائب عنه بالمكان فقد يكون بعضا بالقياس ، والقياس قد يكون صحيحا وقد يكون سقيما

وهكذا المستعمل للقياس قد يكون جاهلا باستعماله كما بينا في قياس الصبيان والجهال والعوام وكثير من الخواص . وهذا أيضا أحد أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب

ثم اعلم أنك اذا اعتبرت ودققت النظر تبين أن أكثر علم الانسان انما هو بطريق القياس ، والقياسات مختلفة الانواع كثيرة الفنون كل ذلك بحسب أصول الصنائع والعلوم وقوانينها

مثال ذلك أن قياسات الفقهاء لا تشبه قياسات الاطباء ولا قياس المنجمين يشبه قياس النحويين ولا المتكلمين ، ولا قياسات المتفلسفين تشبه قياسات الجدليين وهكذا قياسات المنطقيين في الرياضات لا تشبه قياسات الجدليين ولا تشبه قياساتهم في الطبيعيات ولا في القياسات والالهيات

وهكذا الحكم في سائر الصنائع والعلوم . وسنذكر طرفا من ذلك في موضعه ولكن نقول أول ما القياس ؟ وذلك أن القياس هو الحكم على الامور الكليات الغائبات بصفات قد أدركت جميعها في بعض جزئياتها

مثال ذلك : لما أدرك الانسان ان النيران الجزئية حارة حكم بأن كل نار حارة أيضا الغائبة قياسا على ما ادرك حسا وهكذا حكم على رطوبة الماء من جزئياتها على كلياتها بالحس جزئية والعقل كليا

واعلم ان هذا الحكم وهذا القياس لا يطرد فى كل شىء ولا فى كل مكان وذلك ان يكون فى كثير من البلدان اناس عقلاء لا يجدون من الماء الا عذبا ، فاذا حكموا بما ادركوا على ان كل ماء فى الارض عذب فقد اخطأوا وهم لا يشعرون وعلى هذا المثال يكون الخطأ والصواب فى القياس الذي يطرد فى كل شيء

واذا تأملت يا اخي وجدت ا كثر اختلاف العلماء وخطئهم انما في استعمال القياس من هذا الفن ، يكون ويخفى وهم لا يشعرون . وان علموا ايضا لا يحسنون كيف يميزون من الاشياء التى يطرد فيها

والقدماء الحكماء قد تعبوا فى استخراج هذا حتى عرفوه ووضعوه فى كتبهم بخطب طويل لا يصبر على طلب معرفته كل احد من الناس الا المحبون للحكمة الطالبون للحقائق ، وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى رسائلنا المنطقية ، ولكن نذكر منها طرفا فى هذا الفصل مثالا واحداً

إعلم يا أخى ان القياس الذي يطرد الحكم فيه بالجزء على الكل انما هو فى الصفات الذاتية للشىء لا فى الصفات العرضية ، والصفات الذاتية هي التى اذا بطلت بطل الموصوف ، واذا ثبتت ثبت الموصوف : وهي الصورة المقومة ، والصفة العرضية هي التى اذا بطلت لم يبطل الموصوف

والمثال فى ذلك رطوبة الماء وعذوبته فان الرطوبة اذا بطلت لا يكون الماء موجودا

فأما العذوبة فليس من الضروري اذا بطلت بطل الماء فالرطوبة هي الصورة المقومة للماء والعذوبة هي الصورة المتممة له

فعلى هذا المثال ينبغي أن يعتبر الحكم فى القياس لا يصيب ولا يخطيء

واعلم ان الحكماء الاولين لما اثبتوا الذي ذكرنا وعلموا ان اكثر علمهم انما هو بطريق القياس وقد يدخل الخطأ والزلل في القياس — كما بينا — طلبوا لذلك حيلة يأمنون بها الخطأ والزلل في القياس وسموها البرهان وميزان العقل من أجل طلب الحقائق وإصابة الصواب وتجنب الزور والغرور بما لا حقيقة له . لكن منهم مصيب ومنهم مخطيء « والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »

ثم اعلم أن كثيراً من أهل الجدل يظنون ويحكمون بحكمهم وظنونهم أن الله سبحانه وتعالى كلف عباده طلب الحقائق واصابتها جميعاً ، وجعل لهم وعيداً إن أخطؤا ، او لم يصيبوا وليس الامر كما ظنوا لانه قال « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » والوسع دون الجهد والطاقة ، واصابة الحق ليس فى وسع الطاقة فكيف ؟! ولا فى وسعها وانما كلف الله العباد طلب الحقائق والجهد فى الطلب .

فأما اصابتها فالله يهدي من يشاء اليها — كما وعد جل جلاله — « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وانما شرط بقوله فينا لان من الناس من لا يكون جهده في الطلب لوجه الله ولكن لأسباب أخر يطول شرحها . فمن أجل ذلك لا يستحق الهداية ولا يستأهل الاصابة

ثم اعلم أن هذه المسألة من احدى مسائل أمهات الخلاف : وذلك أن كثيراً من الناس من يقول أو يظن انه مستغن عن العلوم فى طلب الحقائق بما رزقه الله تعالى من الفهم والتمييز والذكاء والاستطاعة ، فيتكل على حوله وقوته وينسى ربه والاستعانة به والسؤال له والتوفيق ، فيخذل ويحرم التوفيق كما قال الله تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم »

فصل

فى بيان أنواع القياسات

فنقول اعلم أن الموازين التى وضعها الحكماء ليعرف بها الخطأ والزلل في القياس مختلفة الفنون ، وذلك بحسب الصنائع والعلوم والقوانين كما هو موجود فى اختلاف موازين أهل البلدان النائية ومكاييلهم معروفة بينهم بحسب موازين أهل البلدان فى موضوعاتهم ، ولكن مع اختلافها كلها فالغرض المطلوب منها هو اصابة الحق اوالعدل والانصاف فيما يتعاملون بينهم في الاخذ والاعطاء ، فهكذا أيضاً غرض الحكماء فى استخراج البرهان الذي يسمى ميزان العقل ، وهو طلب الحقائق واصابة الصواب وتجنب الزور والخطأ باستعمال القياسات ، ولكن منهم من يصيب ومنهم

من يخطىء أيضا فى استعمال هذه الموازين ، وذلك من احدى ثلاث خصال : إما بجهله بحقيقة هذه الموازين وكيفية استعمال هذا الميزان ، أولغرض من الاغراض فى موازين الناس ومكاييلهم المعروفة بينهم والمستعملين لها كيف يدخل الخطأ والزلل عليهم واما بجهلهم بصحة الميزان وبكيفية استعمالهم له أو لغرض من الاغراض فأما واضعوها فما قصدوا فى وضعها إلا لطلب الحق والصواب والعدل والانصاف

واعلم أن الموازين التى وضعها الحكماء فى طلب حقائق الأشياء فى العلوم والصنائع كثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار ، ولكن كلها لا تخرج عن ثلاثة أنواع : إماأن يستعمل بالايدى أو باللسان أو بالضمير ، والتى تستعمل بالايدي كالقبان والشاهين والمكاييل والموازين والاذرع وماشا كلها . وبالجملة كل مقياس يستعمله الناس في معاملاتهم في الاخذ والاعطاء فى طلب العدل والانصاف بينهم .

ومنها ما يستعمله المنجمون وأصحاب الرصد وقسام المياه كالبركار والاصطرلاب وآلات الرصد ، كل ذلك في طلب معرفة أجزاء الزمان ومقادير الاوقات .

ومنها ما يستعمله المساح والقسام والمهندسون في طلب معرفة الأجرام والابعاد كالذراع والباب والأشل وذوات الشفتين وماشا كلها .

ومنها ما يستعمله الصناع في صنائعهم كالبركار والمسطرة والكونيا والشاقول والزاوية وماشا كلها ، كل ذلك لمعرفة الاستواء والاعوجاج .

ومنها ما يستعمله أهل كل صناعة على حدتها . فأما الذى يستعمله باللسان فمثل العروض التى يستعملها الشعراء والخطباء والنحويون والموسيقون ، فاما التى تستعمل بالضمير فهو مثل ما يستعمله الفقهاء الحكماء عند تفكرهم في المعلومات المحسوسات والمشاهدات واستخراجهم بها الخفيات المعقولات وصحة القياسات فى ادراك المبرهنات

ثم اعلم أن هذه المقاييس كلها طرقات الى المعلومات ، وهذه الموازين حكام

وعدول نصبها البارى تعالى بين خلقه ليتحاكموا اليها في طلب العدل والانصاف والحقائق والاستواء ويجتنبون الزور والخطأ والظلم والجور ويرفعون بها الخلاف والمنازعة من بينهم بحزر الظنون وتخمين الرأى

ثم اعلم أنه قد يقع الخلاف والمنازعة بين المستعملين للقياس والموازين أيضاً من جهات أربعة : إما بقصد من المستعملين لها دغلا وغشاً لاغراض لهم ، وإما بسهو منهم ، وإما بجهلهم بكيفية استعمال الميزان ، وإما أن يكون القياس والميزان معوجاً غير مستو ، أجل هذه الوجوه يقع الخلاف والمنازعة بين أهلها فهذه أيضاً أحد أسباب الخلاف بين العلماء فى آرائهم ومذاهبهم

ثم اعلم أن هذه الموازين والمقاييس التى تقدم ذكرها كلها دلالات ومثالات واشارات الى الموازين التى ذكرها الله تعالى بقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا »

ثم اعلم أن هذا الميزان هو آخر الموازين كلها فمن رجحت حسناته فى هذا الميزان فقد أفلح وربح سعادة أبدية وفاز فوزاً عظيما ، ومن خفت موازينه فقد خاب وخسر خسراناً مبيناً

فانظر لنفسك ياأخى وبادر واعمل عملا صالحاً وتزود فان خير زادك التقوى وحاسب اليوم نفسك قبل أن تحاسب فهو أيسر لحسابك ،وكن وصيها تأمن تفريط وصيك بعدك ، وزن اعمالك اليوم ولا تغفل قبل أن تحاسب بموازين الغد فهو أثقل لوزن حسناتك — ان كنت تحسن هذا الوزن وهذا الحساب كيف يكون وإن كنت لا تدري ولا تحسن فهلم الى مجلس اخوان لك نصحاء أصدقاء كرام فضلاء ليعرفوك كيفية محاسبة نفسك ووزن حسناتك فانهم أهل هذه الصناعة وقد قيل «استعينوا في كل صنعة باهلها»

وقد وضعنا هذا الحساب وهذا الميزان فى رسالة البعث والقيامة فاعرفها من هناك ، إذا وقفت على جبل الاعراف مع أهل المعارف الذين ذكرهم الله تعالى ووصفهم بقوله : « وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم . ونادوا أصحاب

الجنة سلام عليكم بما صبرتم » ثم وصفهم بقوله :« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »

فلا تغتر يا أخي بقول من يقول ويظن بان هذا يعرف بعد الموت هيهات هيهات أولئك ينادون من مكان بعيد كيف يعرف بعد الموت والله تعالى يقول: « ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا »

نبهك الله أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأحيا قلبك بنور المعارف وجعلك من الذين ذكرهم بقوله : « أفمن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» وظلمات الجهالات المتراكمات بعضها فوق بعض على قلوب الغافلين كما ذكر في كتب النبوات من المعارف الشريفة والاسرار المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون من ادناس الشهوات الطبيعية والغرور باللذات الجرمانية الذين ذمهم الله بقوله : « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » وقال : « يريدون عرض الدنيا »وقال : « رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها » وقال : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً » وآيات كثيرة في القرآن في ذم المريدين للدنيا ومدح المريدين للآخرة وفقك الله لافادة الدار الآخرة وجعلك من أهلها وجميع اخواننا

وإذ قد تبين بما ذكرنا طرفاً من مقاييس أهل الصنائع والعلوم وموازين الحكماء فيها نريد أن نذكر طرفاً من مذاهبهم وآرائهم وبخاصة ما كان في أمر الدين اذ كان هذا الفن من المباحث والمطالب ومن أشرف الصنائع البشرية والطف العلوم الانسانية وأعجب المعارف وأعرف الادراكات وأهلها أعقل الناس ومدركاتهم أكثر من المعلومات ، وذلك ان هذه الدرجة احق درجة يبلغ اليها العقلاء في طلبهم العلوم والمعارف وهذا البحر من العلم أوسع أقطاراً وقعره ولجه أعمق اغماراً وجواهره أنفس أقداراً وسالكوه أبعد مراما وربحهم أكثر تزايداً وأحزانهم أعظم مصيبة من سائر ماتقدم ذكره لان من أرشد في هذا الطريق فسيرته سيرة الملائكة ومن ضل عنه سلك به مسلك الشياطين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وسنبين صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا عند ذكرنا الآراء الحكمية والمذاهب البدعية الفرقية والديانات النبوية والمنهاجات السنية والسير الملكية والمقاصد الربانية .

فصل

في أجناس الآراء والمذاهب

فنقول : اعلم أن الاراء الفاسدة واختلاف العلماء فيها منها ماهو من أمر الدين والشريعة وسننها ومايتعلق بها من العلوم والأحكام

ومنها ماهو فى الآداب والرياضيات والعلوم والصنايع مما ليس له تعلق بامر الدين مثل الحساب والهندسة والنجوم والنحو والطب وماشاكلها.

فأما التى لها تعلق بأمر الدين فهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله ولكن مجمعها كلها نوعان : حكمية ونبوية ونريد أن نذكر أصول هذه الاراء والمذاهب وبعض فروعها مختصراً أوجز مما يمكن وإذ كان الشرح والاستقصاء يطول فنبدأ أولا في بيان الآراء الحكمية ومذاهبها إذ كنا قد بينا طرفاً من الآراء النبوية في رسالة النواميس الالهية والمذاهب الربانية ولكن نريد أن نذكر من ذلك مالا بد في هذا الفصل جملا قبل ذكرنا الآراء الحكمية والمذاهب البدعية ليكون الناظر فيها يحفظها ويعتقدها ويتعلق بقلبه قبل نظره فى الآراء الحكمية والمذاهب البدعية والبحث عنها والاحتجاجات عن اهلها المفسدة للعقول السليمة الغير المرتاضة .

فأما بيان ماهية الخصال المانعة للانسان عن الشرور حسبما نبين ههنا وذلك أن الناس مختلفون فى طباعهم وأخلاقهم وأعمالهم وعاداتهم وعلومهم وصنائعهم ذوو فنون شتى لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولكن منهم خير وشرير فنقول أشر الناس من لا دين له ولا يؤمن بيوم الحساب .

والعلة في ذلك ان الانسان لما خلق مستطيعاً لعمل الخير ممكنا به وهو بتلك

الاستطاعة بعينها يقدر أن يعمل الشر لاسباب شتى ويمنعه عنه علل عدة وقد بيناها في رسالة الاخلاق ولـكن أمنع الخصال للانسان عن الشر وأقمعها عنه الدين وتوابعه من الورع والتقى والحياة والمروءة والرحمة والخوف وماشاكلها من خصال الدين والايمان ، فمن لايؤمن بيوم الحساب ولا يرجو الثواب ولايخاف العقاب فهو لايمتنع عن الشر جهده وطاقته ، سيما إذا دعته اليه الاسباب وأمكنه تجنبها في الظاهر مخافة للناس فهو لايتجنبها في السر .

واعلم أن الدين هو شيئان اثنان أحدهما هو الأصل وملاك الأمر وهو الاعتقاد في الضمير والسر ، والآخر هو الفرع المبنى عليه القول والعمل في الجهر والاعلان . ونحتاج أن نشرحهما جميعاً حسب ما جرت عادة إخواننا الكرام الفضلاء فنبدأ أولا بذكر الاعتقادات اذ كانت هي الاصول والقوانين فيما هو غرضنا ومقصودنا في هذا المقام ، كما قيل «انما الاعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى »

﴿ فصل ﴾

في بيان ماهية أجود الآراء وخير الاعتقادات

فنقول اعلم أن اعتقادات النـاس كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعـالى ، ولـكن لا تخرج كلها من ثلاثة أنواع : فمنها ما يصلح للخاص دون العام ، ومنها ما للعام دون الخاص ، ومنها ما بين الخاص والعام

ونريد أن نذكر في هذا الفصل ما يصلح للخاص والعام جميعا أن يعتقدوه اذ كان القسمان الآخران كثيرى الانواع والفروع التى يطول شرحها فنقول :

اعلم أن من أجود الآراء وأنفع الاعتقادات وما يصلح لجميع النـاس من الخاص والعام ان يعتقدوها ويقروا بها هو القول بحدوث العالم ، وأنه مصنوع وأن له بارىء حكيم ، وصانع قديم ، وخالق رؤوف رحيم . وأنه قد أحكم أمر عالمه وأتقن أمر خلقه على أحسن النظام والترتيب ولم يترك فيه خللا واعوجاجاً البتة

فانه لا يجرى في عالمه أمر ولا يحدث حدث صغير ولا كبير دقيق ولا جليل الا هو يعلمه قبل كونه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة ، وان له ملائكة هم خالص عباده وصفوة بريته نصبهم لحفظ عالمه ووكلهم بتدبير خلائقه لا يعصونه طرفة عين مما نهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون . وان له خواصا من بنى آدم اصطفاهم وقربهم وجعلهم وسائط بين الملائكة وبين خلقـه من الجن والانس وسفراء له وأنه أمر عباده بأشياء إذا فعلوها فهو خير لهم وأنفع للجميع ، ونهاهم عن أشياء إن لم ينتهوا عنها صرفهم عن الانفع وفاتهم الأفضل وأنه لم يأمرهم شيئا لا يطيقونه ولا يفعلون شيئا مما هو لا يعلمـه ، وانهم قاصدون نحوه متوجهون اليه منذ يوم خلقهم ينقلهم حالا بعد حال من الانقص الى الأتم والأدون الى الأكمل ومن الأدنى الى الأفضل الى يوم يلقونه ويشاهدونه فيوفيهم حسابه

ثم اعلم أنه ليس الي معرفة هذا الرأي سبيل ، والى هذا الذى ذكرنا وحقيقة ما وصفنا طريق الا شيئان اثنان : احداهما الاستبصار والمشاهدة بعين البصيرة واليقين بالقلب الصافى من الشوائب للنفس الزكية النقية من الذنب بعد تأمل شديد للمحسوسات ودقة نظر في المعقولات ودراية بالرياضيات وبحث عن القياسات كما فعلت القدماء الحكماء الموحدون الربانيون ، واقرار باللسان وايمان بالقلب وتسليم بالقول كاقرار الملائكة بها الهاماً وتأييداً ، وكاقرار الانبياء للملائكة وحيا وانباء أو كاقرار المؤمنين للأنبياء إيمانا وتسليما ، وكاقرار العامة والأتباع للخواص والعلماء تقليداً وقولا ، أو كاقرار الصبيان للآباء والمعلمين تعليما وتلقينا . .

فهذا الذي ذكرناه هو أحد أركان الدين وهو الاعتقاد الصحيح . وأما الركن الآخر الذى هو الطاعة فهو الانقياد من المأمورين والمرؤوسين للآمرين الناهين

ثم اعلم أن الاوامر والنواهي تختلف بحسب مراتب الآمرين والمأمورين في أحوالهم . فمن ذلك طاعة الاولاد للاباء والامهات فيما يأمرونهم به مما فيه صلاحهم وينهونهم عنه مما فيه فسادهم وهلاكهم «فقل لهما قولا كريما وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ومنه طاعة الصبيان للمعلمين فى

قبول التأديب فيما هو صلاح لهم ، ومنها طاعة التلامذة للاستاذين في قبولهم تعليم الصنائع لهم ، ومنها طاعة الازواج لبعولتهن فيما يأمرونهن من لزوم المنزل والتصون الذى فيه صلاحهن

ومنها طاعة المرضى للاطباء في الحمية وشرب الادوية مما فيه صلاحهم وبرؤهم ومنها طاعة الجهال للعلماء فيما يأمرونهم بالتمسك بأمر الدين واجتناب المحارم بما هو صلاح لهم ، ومنها طاعة الرعية للسلطان العادل فيما يأمرهم به من المعروف وينهاهم عن المنكر ومنعهم من ظلم بعضهم بعضا مما فيه صلاحهم ، ومنها طاعة السلاطين والامراء والملوك لخلفاء الانبياء عليهم السلام فيما يولونهم من البلدان وجباية الخراج ومحاربة الخوارج والاعداء وحفظ الثغور وتحصين البيضة فيما فيه صلاح لهم وصلاح الرعية منهم

ومنها طاعة الخلفاء للانبياء عليهم السلام فيما رسموا لهم من حفظ الشريعة على الامة وإقامة السنة على أهل الملة

ومنها طاعة الانبياء عليهم السلام للملائكة فيما تلقى اليهم من الوحي والانباء في تدوين الكتب المنزلة ووضع الشريعة وايضاح السنة وجمع شمل الامة وتأليف قلوب الجماعة بابلاغ الوصية وباظهار الدعوة فيما فيه صلاح الكل ونفع الجميع ، ومنها طاعة الملائكة لرب العالمين فيما قضت من عبادته ووكلت به من تدبير بريته وحفظ خليقته ، مما فيه صلاح للجميع ونفع للعموم وبقاء للعالم ودوام الخليقة والبلوغ بها الى أقصى مدى غاياتها التى هي السعادة العظمى

فهذا هو الدين النبوي الحنيفي والمنهاج السنى والسيرة الملكية ، وهو أن يكون كل مرؤوس ينقاد لطاعة رئيسه ولا يعصيه فيما يأمره به وينهاه عنه فيما فيه صلاح للجميع

واذ قد تبين مما ذكرنا ما الدين الحنيفي والمذهب الرباني والاعتقاد الجيد والرأي الصواب والطريقة المختارة التى تصلح أن يتدين بها كل الناس ويعتقدها كل أحد من الخاص والعام جميعا نريد أن نذكر طرفا من المذاهب المختلفة

والآراء الذائعة وما الاسباب الداعية لأهلها اليها ومن أين انحرفوا عن الطريقة المستقيمة وضلوا عن الصواب ووقعوا في الأباطيل ونبدأ أولا بذكر الاراء الحكمية والمذاهب البدعية ثم نذكر علل اختلاف أهل الديانات والنواميس الالهية في فروعها من السنن والاحكام

فصل

في بيان الآراء الحكمية وهي نوعان دهرية أزلية ومحدثة معللة

فنقول اعلم أن من هذين تفرعت سائر الآراء الحكمية ومذاهبها فلنبدأ أولا بذكر الدهرية ، ثم نقول هؤلاء كانوا أقواماً قد كان لهم من الفهم والتمييز قدر أما فنظروا الى الموجودات الجزئية المدركة بالحواس وتأملوا واعتبروا لها أحوالها فوجدوا لكل مصنوع أربع علل : علة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة فاعلية، وعلة تمامية

فلما فكروا في حدوث العالم وصنعته طلبوا لها هذه الاربع العلل وبحثوا عنها وهى هذه ترى من عمله ؟ ومن أي شيء عمله ؟ وكيف عمله ؟ ولم عمله ؟ وأيضاً متى عمله ؟ فلم يبلغ فهمهم الى ذلك ولم يتصوروه لقصور نفوسهم عن فهم دقة معانيها لأن الباحث عنها يحتاج إلى نفس زكية فاضلة في العلم والعمل ، ويحتاج الى ذهن صاف خلو عن الغش أو الدغل ونظر دقيق وبحث شديد ليدرك هذه العلل ومعانيها وحقائقها — كما بينا في رسالة المعارف

ولما نظروا في هذه المباحث ولم يعرفوها دعاهم جهلهم وإعجابهم بآرائهم الى القول بقدم العالم وأزليته وأنكروا العلة الفاعلية لما جهلوا الثلاث الباقية ولم يعرفوها

ثم اعلم أن كل ناظر في مصنوع متأمل له يطلب بتأمله وفكره أربع علل : من عمل ؟ ومتى عمل ؟ وكيف عمل ؟ ولم عمل ؟ فانما يطلب هذه المباحث لأنه يرى ويعاين بأول نظارة في ذلك المصنوع أشياء ثلاثة ظاهرة جلية من أثر الصنعة لا تخفى على كل عاقل سليم العقل من الآفات العارضة للعقول ، وهي الثلاثة

المخصوصة والشكل والنقش والتصاوير والاصباغ وما شاكلها فلولا أن هؤلاء الذين زعموا وقالوا بقدم العالم قد رأوا هذه الأشياء بنظرهم الى هذا العالم وبتأملهم بنيته وشكله وما فيه من أنواع التصاوير والنقوش والأصباغ لما طلبوا الفاعل له ولا بحثوا عنه كيف عمل ؟ ومتى عمل ؟ ومن أى شيء عمل ؟ ولما عمل وأيضاً لو انهم حين لم يعرفوا هذه العلل ولم يفهموا رجعوا الى قول من هو أعلم منهم وأعرف بماهياتها وحقائقها وأقروا على أنفسهم بالعجز لما قالوا هذا القول ولا اعتقدوا هذا الاعتقاد ، ولكنهم لاعجابهم بأنفسهم واتكالهم على بحثهم ودقة نظرهم دعاهم الى القول بقدم العالم

وذلك أنهم تكلفوا مالم يطيقوا وتعاطوا ما لم يكن من صناعتهم فوقعوا فيها وتحيروا فيه ، وأصابوا ما أصاب القرد من النجار

فهذا الباب من اختلاف الناس ، وأعظمها بلية أن يتعاطى الصناعة من ليس من أهلها

فصل

في بيان مناقب العقلاء والآفات العارضة للعقول

فنقول اعلم أن هؤلاء القوم لم يرتابوا ولم يضلوا من قلة العقل ولا رداءة التمييز ولا من ترك النظر ولكن من الآفات العارضة للعقول ، وذلك أن العقل وان كانت له مناقب كثيرة فان له أيضاً آفات كثيرة تعرض لها ، وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الاخلاق ولكن لا بد أن نذكر في هذا الفصل طرفا منها فنقول: أولا ماالعقل الانسانى ؟ وذلك أن العقل الانسانى ليس هو شيء سوي النفس الناطقة إذا هو كبر وشاخ بعد أيام الصبا وذلك أن النفس يوم ربطت بالجسد أعنى الجنين في الرحم كانت ساذجة لا علم لها من العلوم ولا خلق من الأخلاق ولارأى ولا مذهب ولا تدبير ولا سياسة ولا رياضة في أدب كما ذكر الله تعالى «والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً» وانما كانت جوهرة روحانية حية بالذات علامة بالقوة فعالة بالطبع ، فاذا حصلت فيها رسوم المحسوسات التى

تسمى أنواعا وأجناسا مصورة بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها فميزتها وتأملتها ونظرت فيها وعرفت أعيانها ومنافعها ومضارها وجربتها واعتبرتها سميت عند ذلك عاقلة علامة بالفعل كما بينا فى رسالة الحاس والمحسوس .

فأما مناقب العقل وأفعاله فكثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار ، وقد ذكرنا طرفا في رسالة العقليات وشرحا ، ولكن نريد أن نشير اليها في هذا الفصل اشارة فنقول : إن جميع الافعال البشرية المحكمة وجميع الآراء والمذاهب المختلفة العقلية والوضعية من افعال العقل الانسانى ، لكن له مع هذه الفضائل والمناقب كلها آفات عارضة كثيرة ، فمن تلك الآفات الهوى الغالب نحو شيء ما والعجب المفرط من المرء برأي نفسه ، والكبر المانع عن قبول الحق والحسد الدائم للاقران وأبناء الجنس والحرص الشديد على طلب الشهوات ، والعجلة وقلة التثبت في الأمور والبغض والعداوة عند الحكومة والخصومات ، والميل والتعصب لمن يهوى والحمية الجاهلية عند الافتخار والانفة من الانقياد للطاعة وحب الرياسة من غير استحقاق وما شاكل هذه الآفات العارضة للعقلاء المضلة لهم عن سنن الهدى المانعة عن الانتفاع بفضائل العقل ومنافعه

ثم اعلم انه ليس من مرتبة في الدنيا أرفع ولا فضيلة أحسن من الرياسة في العقلاء لذوى السياسات والتدبير ، ولا نعمة ألذ ولا رتبة أحسن من انقياد العقلاء للرئيس وطاعتهم له، ولامحنة أعظم ولا بلية أشد من عصيان العقلاء للرئيس الفاضل وعدواتهم له ، وهذه الخصال من إحدى أمهات الخلاف والمعاصى وهي كبر ابليس وحرص آدم عليه السلام وعجلته حين بادر وحسد قابيل .

فأما الكبر فهي الخصلة التى سنها أبليس فرعون آدم كفراعنة الانبياء الذين هم جنوده يوم أمر بالسجود لآدم والطاعة والانقياد لأمره .

والخصلة الاخرى التى هي أيضاً احدى أمهات المعاصى حرص آدم وعجلته حين بادر وطلب ماليس له تناوله قبل حينه واستحقاقه ، فلما ذاقها بدت له عورته وسقطت مرتبته وانحطت درجته وانكشفت عورته وشمتت به أعداؤه !

فلولا انه كانت سبقت كلمة من ربه تفضلا منه عليه ورحمة منه لـكان لزاما له العقوبة وكل من عصى من ذريته كأن يتعاجل بالعقوبة من ساعته، ولـكن أمهل الى وقت ما، فلما تاب وندم استحق الغفران والعفو «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»

فاما ابليس فانه لما أنكر السجود والانقياد للطاعة واستكبر وتمرد ولم يندم ولم يرجع ايس من الرحمة، ولـكن أنظر أيضاً وأمهل وأخرت العقوبة والعذاب الى يوم الوقت المعلوم «قال رب فأنظرني الي يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين»

وهذه سنة الفراعنة وحالهم فى الدنيا والدين الذين هم جنود ابليس أجمعون الذين يأنفون من الدخول تحت أمر الانبياء والطاعة لهم ويؤخرون ويمهلون إلى يوم يموتون، فاذا ماتوا قامت قيامتهم وأخسئوا بالعذاب فلا يزال ذلك دأبهم الى يوم يبعثون، كما قال تعالى: «النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب».

فقد تبين بما ذكرنا أن القائلين بقدم العالم لم يرتابوا ولم يضلوا عن الصراط من قلة العقل والبلاهة أو ترك النظر والبحث ولـكن من الآفات العارضة والاخلاق الرديئة للنفوس والاسباب المختلفة والامور المشـكلة والقصور عن التمام وتركهم ما كان أخذه عليهم أوجب، وفعله بهم أولى، وتعاطيهم مالم يكن من صناعتهم وتكلفهم مالم يكن من قوة نفوسهم

فصل

وأما الآخر من الخطأ الذي يطرىء عليهم

وذلك أنهم ارادوا أن يعرفوا العلة الفاعلة قبل معرفتهم المعلول، وإنما يعرف الصانع المحتجب الغائب عن ادراك الحواس إذا عرف المصنوع المكشوف الظاهر وإنما يعرف المصنوع بالنظر الى الهيولى واعتبار أحوالها لان في معرفة حقيقة الهيولي ومعرفة أحوالها معرفة المصنوع، وفى معرفة المصنوع معرفة الصانع

وقد بينا فى رسالة سمع الـكيان ماهية الهيولى وحقيقتها وأحوالها، ولـكن نذكر هاهنا من أمرها مالا بد منه.

ثم اعلم أن الهيولى وحقيقتها هو جوهر ساذج لا كيفية له ولا النقش ولا الصورة ولا الاشكال ولا الاصباغ ولا الاعراض، بل هو متهيىء لقبولها ولا يقبلها إلا بقصد قاصد وجعل جاعل.

مثال ذلك الخشب فانه متهيىء لقبول صورة الألواح والسرير والـكرسى والباب وغيرها ولـكن بقصد من النجار وعناية منه

وهكذا قطعة من حـديد فانها لاتقبل الصورة إلا بعد قصد قاصد من الحداد، وكذلك سائر الهيواليات الموضوعة فى سائر الصنائع البشرية.

وهكذا أيضاً الهيولى الطبيعية التى هي الاركان الاربعة التى لاتجمع ولا يكون منها المعدن والنبات والحيوان إلا بقسر قاسر أو صنع صانع.

والعلة الفاعلة لها هي قوة من قوى النفس الـكلية الفلـكية باذن الله تعالى.

وهكذا الجسم المطلق الذي هو جوهر طويل عريض عميق حسب، لا يصبر على الأشكال كريات مدورات بعضها ببعض وبعضها كواكب صغار وكبار وبعضها أركان مختلفة الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وخفيف وثقيل ولطيف وغليظ، وبعضها متحرك وبعضها ساكن وبعضها أسرع حركة وبعضها أبطأ حركة وما شاكل هذه الحالات التى هي موجودة عليها إلا بقصد قاصد وجعل جاعل، وهو الله العزيز الغفار الواحد القهار تعالى وتقدس.

وكفى بهذا دليلا وبياناً وحجة للعقول الغريزية على أن العالم مصنوع والمصنوع يقتضى الصانع وهذه قضية موجبة فى أوائل العقول بينة ظاهرة جلية لاتخفي على كل عاقل متأمل سليم القلب والعقل من الآفات العارضة وان لم يعلم من عمله ومتى عمله وكيف عمله ولم عمله.

فأما النظر فى أمر الهيولى والدليل والحجة على حدوثه فيحتاج الى نظر أدق من هذا وبحث أشد وتأمل أجود وتمييز الطف، كما بينا في رسالة المبادىء العقلية

واذ قد تبين بما ذكرنا بطلان قول القائلين بقدم العالم نريد ان نذكرطرفاً من أقاويل القائلين بحدوثه وفنون مذاهبهم واختلاف طبقاتهم والاسباب المؤدية لهم اليها وفيماذا أصابوا وفيماذا أخطأوا

فصل

فى بيان العلة الداعية الى القول بحدوث العالم عن علة واحدة

فنقول اعلم أن القائلين بحدوث العالم طائفتان احداها تعتقد أن العالم محدث مصنوع وله علة واحدة مبدعة مخترعة وهو حي قادر حكيم ، وهذا رأي الانبياء عليهم السلام وأتباعهم وبعض القدماء الموحدين والحكماء منهم ، والاخرى ترى وتعتقد أن العالم محدث مصنوع ، ولكن ترى وتعتقد أن له علتين اثنتين قديمتين أزليتين ، وهـذا الخلاف من احدى أمهات الآراء والمذاهب المتفرعة بهـا ، ونحتاج أن نذكر الاعتبار والقياس الذي أداهم الى هذا الرأي والاعتقاد كيف كان فنقول :

اعـلم أن السبب فى ذلك هو نظرهم الى الشرور التى تجرى في عالم الـكون والفساد الذي هو دون فلك القمر ، وذلك أنهم رأوا من القبيح الشنيع أن يكون صانع العالم واحداً ثم يترك عالمه مملوءاً من الشرور والفساد ولا يمنع من ذلك ولا يغيره ، وان كان لا يقدر عليه فقد وجب علة أخرى لان الشرور أفعال ، والفعل لا يكون الا من فاعل ومنفعل .

هذا كان نظرهم والى هاهنا كان مبلغهم من العلم والى هذا أداهم اجتهادهم فى البحث والتمييز والقياس .

وهـذه المسألة أعنى طلب علة كون الشرور في العالم هو من احدى أمهات أسباب الخلاف من العلماء فى الآراء والمذاهب ، وذلك أنه منذ كان الناس فى الدنيا والعلمـاء مختلفون في علة كون الشرور في هـذا العالم لمن هو ؟ ومن الفاعل لها بالحقيقة ؟ ومن أين كان أصلها ؟ وسنذكر بعد هذا الفصل ماقالوه وتكلموا فيه

فصل

في بيان أسباب العلة الداعية للقائلين بالأصلين

فنقول اعلم وفقك الله أن القائلين بالاصلين طائفتان : احداهما ترى وتعتقد أن لهما فاعلان من احداهما نور خير ، والآخر ظلمة شرير . وهذا رأي زاردشت ومانى وأتباعهما وبعض الفلاسفة ، والطائفة الاخري ترى وتعتقد أن احدي العلتين فاعل والاخري منفعل ، يعنون به الهيولى . وهذا رأي بعض الحكماء اليونانية ، والذي دعاهم الي هذا الرأى هو نظرهم الى الشرور التى تجرى بين كل اثنين متنازعين من الناس والحيوان من القتل والحروب والخصومات والعداوات وما يحدث بينهما من الاسباب والاحوال ، فبهذا الاعتبار قالوا وبهـذا القياس حكموا بان حدوث العالم كان سببه من فاعلين اثنين متنازعين ، لـكن أحدهما خير والآخر شرير ، فهذا كان قياسهم والى هذا الموضع كان مبلغهم من العلم والى ههنا أداهم اجتهادهم ، ولهم أيضا في كيفية حدوث العالم كلام وأقاويل يطول شرحها الا أنها مذكورة فى كتبهم ، فلذلك تركناها اذ لا فائدة في بيان ذلك.

فأما القائلون بان أحد الاصلين فاعل والآخر منفعل فانما دعاهم الي هـذا الرأي ما رأوا أنه يلزم القائلين بالفاعلين من الشنعة والقبح وما يوجب لهما من العجز والنقص من فعالهما وتناقضهما ، وما يقتضى دون ذلك من قلة النظـام في تركيب العالم وخلق السموات ، وما يعرض من الفساد العام والبوار الـكلي .

وقد يوجد الامر بخلاف ما يلزم من هذه الحكومة . وذلك أنهم قد تبينوا نظام العالم وعرفوا اتقان خلق السموات مع سعتها وكبر أجزائها وكثرة خلائقها التى هنـاك وليس فيهـا شيء من الفساد والشرور البتة ، وأنها كلها على أحسن النظام وأجود الترتيب والهندام ، وأن الشرور لا توجد الا فى عالم الـكون والفساد التى تحت فلك القمر ، ولا توجد الشرور أيضا في عالم الـكون والفساد الا في النبات والحيوان دون سائر الموجودات ، ولا في كل وقت أيضا ، ولكن

فى وقت دون وقت وأسباب عارضة لا بالقصد الاول من الفاعل بل من جهة نقص الهيولى وعجز فيه عن قبول الخير في كل وقت أو على كل حال .

وقياسهم فى ذلك أعنى كون الشرور من قبل الهيولى واعتبارهم الموجودات فى الشاهد وذلك أنهم قالوا انا نجد في ود كل صانع أن تكون مصنوعاته على أتقن ما يمكن ولكن ربما لا يتأتى فى ذلك المادة والهيولى الموضوع فى صناعته الا على قدر ما فهو يفعل فيها بحسب ما يتأتى فيها ويعمل عليها ما يجيء عنها وليس العجز منه بل هو من الهيولى الناقص العسر القبول .

ومثال ذلك أن الحكيم منا في الشاهد في وده أن يعلم كل علم وكل حكمة يحسنها لاولاده وتلامذته وأن يجعلهم حكماء فضلاء مثله في أسرع ما يكون ، ولكنهم لا يقبلون ذلك الا على التدريج وفي ممر الايام والاوقات شيئا بعد شيء لنقص فيهم لا لعجز في الحكيم ، والنقص في الكمال يسمى شراً وليس الشر سوى عدم الخير والتمام والكمال ، فهذا كان مبلغ علمهم والى ههنا أدى اجتهادهم .

فأما القائلون بالعلة الواحدة وأنها واحدة قديمة فانهم نظروا أدق من نظر أولئك وبحثوا أجود من بحثهم وتأملوا غير تأملهم فرأوا من القبيح الشنيع أن يكون محدث العالم قديمين ، واعتبارهم وقياسهم كان في ذلك هكذا :

قالوا لا يخلوا الاصلان القديمان من أن يكونا متفقين فى كل شيء من المعانى ، أو مختلفين فى جميع المعانى ، أو متفقين فى شيء ومختلفين في شيء . فان كانا متفقين في جميع المعانى فواحد لا اثنين ، وان كانا مختلفين فى المعانى فأحدهما عدم وان كانا متفقين فى شيء ومختلفين في شيء فالشيء الثالث ، وقد بطلت المثنوية فيجب أن يكون أصل العالم ثلاثة ، والقائلون بالثلاثة أو أكثر لازمة لهم هذه الحكومة والشنيعة أيضاً . فأما العلة الواحدة فتتفق عليها بأن من يقول بالاثنين وأكثر فقد قال بالواحد ، ثم ادعى الى مادة الزيادة

فهرست الجزء الثالث

من رسائل اخوان الصفاء

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الرابع

عني بتصحيحه

خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م

الرسالة الاولى

فى الاراء والديانات

في العلوم الناموسية الالهية والشرعية

﴿ وهي الرسالة الثانية والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

وأما بيان البحث عن حدوث الهيولى

فنقول : أما المقرون بحدوث الهيولى من الحكماء القدماء فانهم لما أرادوا البحث عن ذلك ابتدأوا أولا بالنظر في العلوم الرياضية فاحكموها ، ثم بحثوا عن الامور الطبيعية فعرفوها معرفة صحيحة ، ثم تفكروا عند ذلك فى الامور الالهية وبحثوا عنها بحثاً شديداً بنفوس صافية وافهام زكية وعقول وافية فأدركوا ما طلبوا وتصوروا ما بحثوا عنها عن قوة معرفة صحيحة وسكنت صدورهم الى ذلك .

وقد بينا فى رسائلنا الالهية طرفاً من ذلك ولكن نذكر أيضاً فى هذا الفصل مثلا واحداً ليكون دليلا على صحة ماقلنا : وذلك أنهم لما أرادوا النظر فى حدوث العالم كيف كان بعد أن لم يكن وماذلك الصانع الذي صنعه : نظروا أولا إلى المصنوعات فتأملوها فوجدوها أربعة أنواع : فمنها مصنوعات بشرية نحو

مايعمله الصناع فى أسواق المدن ، ومنها مصنوعات طبيعية مكونة من الأركان الاربعة مثل أشخاص الحيوانات والنباتات والمعادن ، ومنها مصنوعات نفسانية كالافلاك والكواكب والأركان ، ومنها مصنوعات الهية كالعقل الفعال والنفس الكلية والهيولى الأولى والصورة المجردة .

ثم نظروا الى المصنوعات البشرية فوجدوا كل صانع من البشر محتاجاً في صناعته الى ستة أشياء ليتم بها صنعته : وهي الهيولى، والمكان، والزمان، والحركة والأدوات ، والآلة وكل صانع طبيعي محتاج إلى أربعة منها وهي الهيولى والمكان والزمان والحركة ، ووجدوا كل صانع نفساني محتاجاً الى اثنين منها وهي الهيولى والحركة فعند ذلك تبين لهم أن الباري تعالى غير محتاج الى شيء منها لان فعله وصنعته انما هي اختراع وابداع بلا حركة ولا زمان ولا مكان ولا أدوات : وذلك أن الله تعالى أول شخص اخترعه وأوجده — جوهراً شريفاً بسيطاً روحانياً — يسمى العقل الفعال ، ثم أبدع بتوسط هذا الجوهر جوهراً آخر دونه في الشرف يقال له النفس الكلية

ثم ابتدأ النفس الكلية بتوسط العقل الفعال فحركت الهيولى الأولى طولا وعرضا وعمقا، وكان منها الجسم المطلق ، ثم ركب من الجسم عالم الافلاك والكواكب والاركان الاربعة جميعاً ، ثم أدار الافلاك حول الاركان واختلطت بعضها ببعض ، وكان منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوانات ، فتبارك الله رب العالمين . فقد تبين بهذا الاعتبار وبهذا القياس العلة الفاعلة ، والعلة الهيولانية والعلة الصورية

فأما الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا فلا يتبين الا بعد معرفة النفس ذاته فانه أشرف جوهراً من الجسم — وقد بينا طرفا من ذلك فى رسائلنا الرياضيات والطبيعيات والالهيات بما فيه كفاية ولكن نذكر في هذا الفصل طرفا منها بعون الله

﴿ فصل ﴾

فنقول أولا أن الجسم جوهر طويل عريض عميق انجاب غيرحي ولا متحرك ولا حساس سلم هذا باجماع من العلماء

فأما النفس فانها جوهر ليست بجسم وهى حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع . والدليل على ذلك ما قدبان من تأثيراتها في الاجسام وذلك أنها هي الحركة للجسم المدبرة المكسبة له الحياة والقدرة وهى المصورة فيه الاشكال والنقوش المتحكمة عليه المتصرفة بحسب ما يتأتى فى شخص واحد من الاجسام الكليات والجزئيات أجمع ، وكفى بهذا دليلا على وجود النفس وشرف جوهرها

وأما الدليل على أن العقل أشرف من جوهر النفس فهو بين ظاهر لكل عاقل.

وذلك أن الانسان لما كان أفضل من سائر الحيوانات التى تحت فلك القمر وكان فضله إنما هو من قبل عقله لامن جهة النفس لأن سائر الحيوانات لها نفوس أيضاً فكفى بهذا دليلا على أن العقل أشرف من النفس .

ولما تبين أن العقل أشرف الموجودات وأفضلها ، بعد الباري تعالى ، وكان العقل هو المقر على نفسه وعلى مادونه من الموجودات بأن كلها مبدعات محدثات مكونات وأنه عبد لربه وأن ربه علة لها وهو الذي أبدع الهيولى واخترعها بعد ان لم تكن فوجب الرجوع الى حكم العقل وقضيته ! فان قال قائل ان الذين قالوا بقدم الهيولى وأزليته فبقضية العقل حكموا فلم لايجب النزول على قضيتهم والرضى بحكمهم · فنقول ان عقل الانسان نوعان غريزى ومكتسب فأما الغريزى فيحصل للانسان بعد تأمله للمحسوسات، وأما الغرض المكتسب فكل من كان أكثر تأملا للمحسوسات وأصفى نفسا وكان أعقل

وبهذا العقل يعلم أن العالم مصنوع مركب من هيولى وصورة اذا تأمل جزئياته من الافلاك والاركان والمولدات والمصنوعات ، وذلك أن في كل مصنوع آثار الصنعة باقية فيه يضطر العقل الغريزى الى الاقرار به ، وان لم يعلم متى عمل ؟ وكيف عمل ؟ ولم عمل ؟ ومن عمل ؟

وأما حدوث الهيولى فليس يعلم بهـذا العقل الغريزى ، ولـكن بالعقـل المـكتسب والعقلاء متفاوتو الدرجات في هذا العقل كتفاوتهم في العقل الغريزى «وفوق كل ذى علم عليم »

وذلك أن كل من كان أكثر تأملا وأكثر رياضات للمعقولات الغريزية المأخوذة أوائلها من المحسوسات وأصفى نفساً كان أعقل وأعلى درجة في المعارف

واذا تأملت يا أخي وجدت أكثر اختلاف العلماء في أحكام هـذا العقل المـكتسب : اما من أجل تفاوتهم في درجات عقولهم ، وأما من اجل اختلافات قياساتهم وفنون استعمالهم لها

وذلك أن منهم من يستعمل في البحث عن دقائق العلوم القياس الجدلى ، ومنهم من يستعمل القياس الخطابي أو البرهان الهندسى أو المنطقي أو العددى فتختلف نتائجها بحسب اختلافها وتختلف أحكام العقول بتفاوتها اختلافا كثيرا لا يحصي عددها إلا الله الواحد القهار . وقد ذكر في كتب المنطق طرف من ذلك بشرح طويل ، ولـكن نذكر لذلك مثـالا واحـدا ليكون دليـلا على ما وصفنا فنقول :

اعلم أن العقلاء انما وضعوا القياسات العقلية ليستخرجوا بها المجهولات بالمعلومات فيما اختلفوا فيه بتحرز العقول ـ كما وضعوا الموازين والمـكاييل والازرع ليستخرجوا بها مقادير الاشياء المجهولة بالأشياء المعلومة لما اختلفوا فيه بالحذر والتخمين فيما يتعاملون، كما أن هذه الموازين مختلفة بحسب بلدانهم وسنن شرائعهم ، كذلك قياسهم العقلى يختلف بحسب مراتبهم في درجات العقول المـكتسبة

والذين قالوا بقدم الهيولى أداهم الى هذا الحـكم طريق القياس الذى استعملوه وذلك أنهم نظروا في هذه الهيولى كنظرهم في هيولى الصناعة وهيولى الطبيعة وهيولى الـكل فقاسوا بها ، ومن هاهنا انحرفوا عن الصواب وأخطأوا القياس! وما مثلهم في ذلك الا كمثل أولئك الصبيان الاغبياء الذين ذكرناهم في رسالة المعارف ، وذلك أن هيولى الصناعة مصنوع الطبيعة فهي شيء موجود ، وهيولى

النفس هو مصنوع البارى تعالى مبدع مخترع لا من شيء آخر ، فلوا انهم سلكوا في البحث عن حدوث العالم مسلك الفلاسفة الربانيين لما اختلفوا وذلك أن هؤلاء الحكماء الربانيون لما أرادوا البحث عن حدوث العالم والهيولى الاولى ابتدأوا أولا بالفكر في الأمور الرياضية فأحكموها ثم بحثوا عن الامور الطبيعية فعرفوها معرفة صحيحة ، ثم تفكروا في الامور الالهية وبحثوا عن حدوث العالم وحدوث الهيولى كيف كان فادركوا ما طلبوا ، وفهموا ما أدركوا ، وتصوروا ما بحثوا عنـه ، وبحثوا عما تصور لهم وسكنت نفوسهم إلى ذلك .ونحن قد بينا طرفاً من ذلك في رسالة المبادىء العقلية

﴿ فصل ﴾

في بيان أقاويل العلماء في ماهية الهيولى

فنقول اعلم أن القائلين في ماهية الهيولى وحدوثها مختلفون في ماهيتها وكيفية حدوث الاجسام منها وهذا الخلاف هو من إحدى أمهات الآراء والمذاهب المفرعة عنها

وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أنها أجزاء صغار لا تتجزأ فان ألفت ضرباً من التأليف كانت منها الاجسام المختلفة الاشكال — كما ذكرنا في رسالة الهندسة الحسية ؛ فانها مختلفة الـكيفيات يعنون أن منها أجزاء نارية وأجزاء ترابيـة وأجزاء هوائية فاذا اختلطت ضروبا من الاختلاط كانت منها المولدات الكائنات من المعادن والنبات والحيوان وسائر الأفلاك والكواكب ، والذي أداهم الى هذا الرأى اعتقادهم للأمور وقياسهم هيولى الصناعة ، وذلك أن منهم لما رأوا هيولى الصنائع مختلفة الكيفيات ، فاذا ألفت كانت منها جزئيات من المصنوعات المختلفة كالسرير والباب المؤلف من الخشب

وهكذا حروف الكتابة ونغمات الألحان وأصوات الموسيقار وعقاقير الاطباء وأصباغ المصورين وحوائج الطباخين والحلاويين وما شاكلها فانها كلها مختلفة

الـكيفيات ، اذا اجتمعت وألفت وركبت كانت منها ضروب المصنوعات كما بينا فى رسالة نسب الموسيقى — فبهـذا الاعتبار والقيـاس حكموا على تلك الاجزاء التى زعموا انها لاتتجزأ بكيفيات مختلفة الصور ، والى هذا الموضع كان علمهم واليه أداهم اجتهادهم .

ومنهم من كان أدق نظراً من هؤلاء وأشـد تمييزاً وبحثاً فزعموا أن تلك الاجزاء كلها متماثلة فيسد بعضها مسد بعض وينوب منابه .

فاذا الفت ضروبا من التأليف وشكلت ضروبا من الاشكال واختلطت ضروبا من الاختلاط حدثت منها اعراض ثم كيفيات وهيئات وصفات وألوان وطعوم وروائـح وماشاكلها والذي أداهم الى هـذا الرأي والاعتقاد اعتبارهم هيولات الصنايع فانها متماثلة الاجزاء ، فاذا صورت ضروبا من الاشكال اختلفت أسماؤها وأفعالها كما بينا طرفا في رسالة الهيولى والصورة .

مثال ذلك قطعتان من حديد صورت احداهما بشكل تسمى سكيناً والاخرى منشاراً ، وفعل السكين خلاف فعل المنشار والحديد واحد ، لان الذي عمل من هذه كان جائزاً أن يعمل من تلك الاجزاء متماثلة والمؤلف المركب مختلف ، وإلى هذا الموضع كان مبلغ علمهم ودقة نظرهم .

ومنهم من كان أدق نظراً وأشد بحثاً وألطف — وقالوا ان الهيولى إنما هي جوهر بسيط روحاني معرى من جميع الـكيفيات قابل لها على النظام والترتيب الأول فالأول — كما بينا في رسالة المبادىء العقلية .

فقد تبين بما ذكرنا وشرحنا أن العالم مصنوع يعلم ذلك بالعقل الغريزي إذ اعتبر هذا الاعتبار ، ويعلم أن الهيولى مبدع مخترع بالعقل المكتسب اذا اعتبر هذا الاعتبار ، ويعلم أن الهيولى على ماذكرنا .

ولما تبين لهؤلاء الحـكماء ماالعلة الفاعلة ، وما العلة الهيولانيـة ، وما العلة الصورية ، بحثوا عن العلة التمامية التى هي الغرض الاقصى الذي من أجله يفعل

الفاعل فعله ، وهذه المسألة أيضاً من إحدى أمهات المباحث التى منها تتفرع سائر الآراء والمذاهب :

والذي أداهم الى هذا البحث هو نظرهم الى الصنائع البشرية وذلك انهم وجدوا لـكل صانع بشري فى فعله غرضاً والغرض هو الغاية التى يسبق اليها فهم الفاعل أولا وهو من أجله يفعل الفاعل فعله ، فاذا فعله وبلغ اليه قطع ذلك الفعل . وهما طائفتان : فمنهم من يرى ويعتقد أن الباري تعالى خلق العالم لعلة ما والاخرى تعتقد وترى أنه لا لعلة .

والذي أداهم الى الرأي هو نظرهم وبحثهم واعتبارهم على هذا الوجه الذي نقرره نحن : وهو انهم قالوا لاتخلو تلك العلة من أن تكون هى الله تعالى أوغيره فان كانت غيره وجب القول بالمثنوية ، وقد قام البرهان على فساد هذا الرأى ، وان كانت ليس غيره فهذا الذى قلنا والى هذا كان علمهم وإلى ههنا كان اجتهادهم

والذين قالوا بالعلة التمامية طائفتان : إحداهما ترى وتعتقد أن تلك العلة هى ارادة الباري تعالى ومشيئته ، ومنهم من يرى ويعتقد انها علمه السابق والقائلون بالارادة طائفتان فمنهم من يرى ويعتقد انها علمه السابق وأن إرادة الله صفة من صفاته ، ومنهم من يرى ويعتقد انه فعل من أفعاله ، والذين قالوا انه صفة من صفاته طائفتان ، فمنهم من يرى ويعتقـد أنها صفة ذاتية ، ومنهم من يرى أنها صفة عرضية ، والذين يرون انها صفة عرضية ، فمنهم من يرى انها قائمة به ، ومنهم من يرى أنها قائمة بغيره ، ومنهم من يرى أنها قائمة بنفسها .

وبين هؤلاء منازعات ومناقضات يطول شرحها مذكورة في كتب جدالهم وخصوماتهم .

والذين قالوا ان تلك العلة هي علمه السابق طائفتان : فمنهم من يرى ويحتج بأنه خلق العالم لأنه كان عالماً بأنه سيخلق ، فلو لم يخلق لـكان مخالفاً للعلم والمخالف للعلم جاهل ، وهو تعالى منزه عن امثال الخلق .

ومنهم من يرى انه سيخلق لأن خلقه للعالم حكمة وفعل الحـكمة عند الحـكيم

واجب ، فاذا لم يفعل الحكيم الحكمة يكون سفيهاً ، فلو لم يخلق اذاً العالم لكان تاركا للحكمة ، وتارك الحكمة سفيه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا أرجح الاقاويل وأحق الصواب .

فصل

في بيان قول القائلين إن أسباب الشرور فى العالم بالعرض لا بالقصد

وأما القائلون بان الشرور هي عارض فى العالم من قبل الهيولى الذي هو جوهر منفعل ناقص القبول للفضائل فطائفتان : أحداهما ترى وتعتقد قدمها فيما مضى دهراً طويلا وهي عادمة للصورة والاشكال والكيفيات أجمع .

ثم ان الباري تعالى قصد وصور فى تلك الهيولى عالم الاجسام ذا الثلاثة الابعاد وجعلها على أشكال كريات مستديرات محيطات بعضها ببعض كما ذكر فى كتاب المجسطى وكتاب بانياس الحكيم فى تركيب الافلاك وأطباق السموات وجعلها مسكناً لعبيده ومأوى لجنوده وهي النفوس السارية فى العالم من أعلى الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهى أجناس الملائكة وقبائل الجن واحزاب الشياطين وأرواح بنى آدم والحيوانات أجمع ، وهم سكان سمواته وقاطنو أرضه العامرون عالمه ، المديرون أفلاكه المسيرون كواكبه المعيشون حيوانات أرضه المربون نباتها والمكونون معادنها ، كل ذلك باذن الله تعالى وتقدس . « ولله جنود السموات والارض » « ولكن أكثرهم لا يعلمون »

ومن أجلهم خلق السموات ومن أجلهم بسط الارض وبهم تدبير العالم ، كل ذلك ليبلغهم أقصى درجات غاياتهم التى هي البعث والخلود فى النعيم أبد الآبدين ، وقالوا هذا كله حكمة وجود وفضل ونعم واحسان وخيرات ، والله تعالى خالقها وجاعلها وعلتها ومبقيها ومتممها .

فأما الشرور فهي عدم هذه الخيرات عن الهيولى ونقصانها عنه : وذلك أنها لو خليت بطبيعتها لرجعت الى حالتها الاولى وخلعت الصورة عن ذاتها وبطل نظام العالم واضمحل وجود الخلائق ، وكان من ذلك بوار الكل والفساد وهو الشر

المحض ، ولكن من حكمة الله لا يقتضى تركها لان تصوير الهيولى ايجاد وتركيب العالم منه حكمة والنشوء وجود منه وتفضل عليهم ورحمة لهم ، والعدم بعد الوجود شر ونقض الحكمة سفه واسترجاع الفضل لؤم وترك الرحمة قساوة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ثم اعلم يا أخي أن ليس مما حكي هؤلاء من أحوال الهيولى ووصفوا من أسباب الشرور ونسبوها الى الهيولى بمنكر عند خصمائهم ، غير قولهم بقدمها ! وان كانوا أرادو بقولهم قدم الهيولى الاولى أنها أقدم من الشيء الموضوع المصنوع منها ، فهذا قول صحيح . وان أرادوا أنها ليست مبدعة ولا مخترعة فالمنازعة في هذه الحكومة وقعت ـ فقد بينا فى رسالة المباديء حقيقتها وكيف هي مبدعة ومخترعة

ثم اعلم أن كثيراً من أهل العلم ومن تكلم فى حقائق الأشياء لا يعرفون الفرق بين الشيء المخلوق والمصنوع ، وبين المخترع المبدع . وهذا أحد أسباب الخلاف بين العلماء في آرائهم ومذاهبهم في قدم العالم وحدوثه

ثم اعلم أن الخلق هو تقدير كل شيء من شيء آخر ، والمصنوع ليس هو بشيء غير كون الصورة فى الهيولى

وأما الابداع والاختراع فهو ايجاد شيء لا من شيء ، وهذه المعرفة . وتصور هذه الحكومة يبعد عن كثير من المرتاضين بالرياضات الحكمية فكيف على غيرهم

ثم اعلم أن الذين قالوا بقدم الهيولى إنما دعاهم الى هذا النظر والرأى نظرهم الى الموجودات الجزئيات التى دون فلك القمر ، واعتبارهم هذه الكائنات الفاسدات من المعادن والنبات والحيوان ، وذلك أنهم وجدوا كل مصنوع بشري وطبيعي مركبا من هيولى ساذج لا شكل فيه قبل تصوير الصانع له بذلك الشكل ، واذا خلا ذلك المصنوع زماناً طويلا اندرس واضمحل وانخلعت الصورة عنها ورجعت الى حالتها الأولى ترابا .

مثال ذلك البنايات المتخذة في المدن والقرى : وذلك أنهم رأوا صناعها جمعوا التراب والخشب وبنوها ثم يحفظونها بالمرمات لتدوم زماناً ، فاذا خلت زماناً طويلا تهدمت واندرست واضمحلت وصارت ترابا وحجارة ، كما كانت بديا . وهكذا حكم النبات والحيوان والمعادن التي هي مصنوعات طبيعية فانها تصير كلها يوما ترابا وان طال الزمان .

فعلى هذا القياس والاعتبار حكموا على الهيولى الاولى وصنعة الباري فيها العالم وحفظه على ما هو عليه الآن من النقش والتصاوير والاشكال والهيئات المختصة بفلك فلك ، وكوكب كوكب ، وركن ركن ، وأجناس الحيوانات أجمع ، والنبات والمعادن واحداً واحداً .

وأما الهيولى التي لا كيفية فيها فليست هي محتاجة في وجودها الى صانع وفاعل — بزعمهم — فهذا كان اعتبارهم والى هذا الموضع كان مبلغ اجتهادهم فأما الذين قالوا بحدوث الهيولى فانهم نظروا أدق نظر من أولئك وتأملوا أجود من تأملهم وبحثوا أشد بحثاً منهم ـ كما بينا فيما تقدم ذكر ذلك فاطلبه من هناك

فصل

في بيان كمية أنواع الخيرات والشرور في هذا العالم

فنقول اعلم أن الخير والشر على أربعة أنواع : فمنها ماينسب الى سعود الفلك ونحوسه ، ومنها ماينسب الى الامور الطبيعية من الكون والفساد وما يلحق الحيوانات من الآلام والأوجاع ، ومنها ما ينسب الى ما في جبلة الحيوانات من التآلف والتنافر والمودة والتباغض وما في طباعها من التنازع والتغالب ، ومنها ماينسب الى مايلحق النفوس التي تحت الأمر والنهي في أحكام النفوس من السعادة والمنحسة في الدنيا والآخرة جميعاً .

ثم اعلم أن لهذه الأنواع من الخيرات والشرور التي ذكرناها أسبابا وعللا يطول شرحها — وقد ذكرنا طرفاً في رسالة العلل والمعلولات — ولكن نذكر

في هذا الفصل منها ما لا بد منه فنقول : إن الخيرات التي تنسب الى سعود الفلك هي بعناية من الله تعالى وقصد منه لاشك فيه ، وأما الشرور التي تنسب الى نحوس الفلك فهو عارض لا بالقصد .

مثال ذلك إشراق الشمس وطلوعها على بعض البقاع تارة وتسخينها الماء مدة ، ومغيبها عنها تارة أخرى كيما تبرد تلك البقاع مدة ما ، فهو بعناية من الله تعالى وواجب حكمته لما فيه من الصلاح والنفع للعموم كما قال تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » وقال : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . وانما ذكر الله تعالى إنعامه على عباده وإحسانه اليهم وأفضاله عليهم .

فأما التي تعرض لبعض الحيوانات ولبعض النبات من الحر المفرط والبرد المتلف في بعض الاوقات وفي بعض الاحايين وفي بعض البقاع فليس ذلك بالقصد الأول .

وهكذا أيضاً حكم الأمطار فانما يرسلها لكيما يحيي بها البلاد ويصلح بها شأن العباد ، فان عرض من ذلك أذية لبعض الحيوانات أو تلف النبات أو تحزنت به العجائز فليس ذلك بالقصد الأول

وعلى هذا القياس حكم جميع ما ينسب الى نحوس الفلك من الأمور العارضة للحيوان والنبات والمعادن ومواليد الناس ، وما يحكم في تحاويل من السنين وأحكام القرانات وما شاكل ذلك ، وما ينسب الى نحوس الفلك من الشرور والفساد جميعاً عارضاً بالقصد الأول

وأما الخيرات التي تنسب الى الامور الطبيعية فهي كون الحيوان والنبات والمعادن والأسباب المعينة لها على النشوء المبلغة الى أتم حالاتها وأكمل نهاياتها ، فهي كلها بقصد من الله تعالى وعناية من تفضله وإنعامه

وأما الشرور التي هي الفساد والبلى الذي يلحقها بعد الكون والفساد

والاسباب التى تعوقها عن البلوغ الى التمام والكمال فهي عارض لا بالقصد الاول ولكن بالقصد الثاني وذلك أن هذه الكائنات التى هي دون فلك القمر لما لم يكن أن تبقى أشخاصها في الهيولى دائماً في هذا العالم تلطفت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن يكون بقاؤها بصورها وان كانت الاشخاص في الذوبان والسيلان دائما

والمثال في ذلك صورة الانسانية التى هي خليفة الله في أرضه فانها باقية منذ خلق الله تعالى آدم أبا البشر الى يوم القيامة وان كانت الاشخاص فى الذهاب والمجيء فهكذا حكم سائر الحيوانات والنبات والمعادن وأنواعها باقية بصورها وان كانت الاشخاص في السيلان والذوبان .

وإنما كان ذلك بواجب الحكمة لأن في القوة فضائل وخيرات بلا نهاية لا يمكن خروجها من القوة الى الفعل والظهور دفعة واحدة في وقت واحد ، لأن الهيولى لا تتسع لقبولها الأشياء هيئاً بعد شيء على التدرج وممر الاوقات والزمان دائما أبداً

والمثال فى ذلك : أنه لو خلق الله بنى آدم كلهم — من مضى منهم ومن هو موجود الآن ومن يحيا من بعد الى يوم القيامة في وقت واحد لم تكن تسعهم الارض برحبها فكيف حيوانهم ونبات غذائهم وأمتعتهم وما يحتاجون اليه فى ايام حياتهم ، فمن أجل هذا خلقهم قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة لأن الارض لا تسعهم والهيولى لا تحملهم دفعة واحدة . فقد تبين مما ذكرنا أن النقصان ليس من قبل الله تعالى ، وعلة أخرى أيضا لأسباب الشرور

وذلك أنه لما كانت هذه الكائنات يبتدىء كونها من أنقص الوجود وأضعف القوى مترقية الى أتم الحالات وأكمل الغايات بأسباب معينة لها على النشوء والنمو ومبلغة الى أكمل غاياتها بعناية من الله تعالى سميت تلك الأمهات خيرات، وكذلك كل سبب عارض بلوغها عن ذلك يسمى شرا وهي عارضة لا بالقصد الاول . والمثال في ذلك ما تقدم ذكره من أمر الشمس والمطر

فصل

في بيان الفرق بين القصد الأول والقصد الثاني على قول الحكماء

فنقول أما الخيرات التى تنسب الى جبلة الحيوانات وما في طباعها واخلاقها وأفعالها بقصد منها وإرادة فهي بالقصد الثانى لا بالقصد الاول

ثم اعلم أن معنى قول الحكماء : القصد الأول والقصد الثانى أن الفرق بينهما هو أن ما كان من قبل الباري تعالى من الابداع والايجاد والاختراع والبقاء والتمام والكمال والبلوغ وما شاكل ذلك من الأوصاف يسمى القصد الاول ، والقصد الثانى هو كل ما كان من قبل نقص الهيولى إنه لم يجيء منها الا هذا ولم يقبل إلا هذا وما شاكل ذلك من الأوصاف

وأما بيان أنواع الشرور والمنسوب الى بعض الحيوانات والى الجبلة المركوزة فيها فنقول : ان الشرور التى تنسب الى جبلة الحيوانات وما في طباعها هي ثلاثة أنواع : فمنها الآلام التى تعرض لها دون سائر الموجودات — ومنها العداوة التى في جبلتها ، ومنها أفعالها التى بقصد منها وإرادة

فأما آلامها فتكون من ثلاثة أوجه أحدها ألم الجوع والعطش عند حاجة أجسادها إلى المادة والغذاء ، والثانى ألم الضرب والصدم والكسر المضر بأجسادها المتلف لهيا كلها ، والثالث ألم الأمراض والأسقام المفسدة لمزاج أجسادها وأخلاط أبدانها

فأما الآلام التى تعرض لنفوسها عند الجوع والعطش فان ذلك بالقصد الثانى. وذلك أنه لما كانت هذه الاشخاص كل واحد منها مركب من جسد جسماني ونفس روحاني ، وكانت الأجسام مركبة من الاخلاط المركبة المتضادة وهي دائمة في الذوبان والسيلان ومحتاجة في بقائها إلى المادة والغذاء جعلت لنفوسها آلاماً عند حاجتها الى الغذاء والمادة لتكون تلك الآلام باعثة لنفوسها لتنهض بأجسادها في طلب الغذاء ، فلو لم تكن تعرض لها تلك الآلام لتهاونت بها وتركتها بلا غذاء

وكانت تذوب وتضمحل كلها وتبطل لأقرب مدة وأهون سعي ، وكانت تبقى تلك النفوس إما بأجساد أو بلا أجساد ناقصة غير تامة ولا كاملة ، وكانت تعوقها المآرب التي هي مقصودة بها كما بينا في رسالة البعث والقيامة وجعل لها أيضا عند تناول الغذاء لذة وشهوة

أما الشهوة فلأن لا تتناول من الغذاء ما لا يصلح لها ، وأما اللذة فلأن تأكل وتشرب ما دامت الطبيعة محتاجة لها ، واذا اكتفت زالت اللذة ، فهذه كلها بقصد من الله الواحد القهار ، ومن أجل النقص الذي في الهيولى كيما تتم النفوس وتكمل ، وأما الضرب والكسر والصدم والجرح والحر والبرد والامراض والاسقام

وبالجملة كل أمر مضر بالجسد مفسد فانما جعل للنفوس ألماً لكيما تحثها تلك الآلام على حفظ أجسادها وصيانة هياكلها إذ كانت الأجساد لا حيلة لها في جر منفعة ولا دفع مضرة عنها

ومن الدليل على صحة ما قالوه ما تبين منها أنها كيف تنتبه من حال النوم ، وكيف تتيقظ من حالة الغفلة ، وكيف تحس وتشعر بالأشياء المؤذية المفسدة من الجسد ، وكيف تدفع تلك الاشياء عن جسدها إما بالفرار والانقباض عنها وإما بالقوة والجلادة والمجاهدة ، وإما بالحيلة والمداراة ، ولو لم تفعل ذلك لهلكت الاجساد في أقرب مدة وأهون سعي قبل التمام والكمال . فاذا جاءتها المقادير والوقت المعلوم والاسباب الغالبة القاهرة فانظر كيف تسلمها اليها ، وكيف تفارقها على غير اختيار منها

فأما ما دام له طمع في دفع تلك الآلام المواردة المؤذيات فهي في العلاج والجهاد رجاء للصلاح وحرصا على البقاء ومحبة على الوجود على أتم ما يمكن اذ كان هذا هو الخير وكراهية منها للفناء على هذا النقص إذ كان هو الشر لأن العدم المطلق ليس للأجسام ولا للنفوس ما دام العالم موجوداً فقد تبين من ذلك أن الآلام أيضا بقصد وعناية واقتضاء الحكمة

فصل

في بيان الشرور التي في جبلة الحيوانات المختلفة الصور والاشكال هي بالقصد الثاني

فنقول أما الخيرات التي في جبلة الحيوانات وأخلاقها التي هي الالف والمحبة والشرور التي هي العداوة والغلبة والقهر فهي أيضا بالقصد الثاني . وذلك أنه لما كانت الحيوانات مختلفة الصور والاشكال والطباع والعادات والاخلاق والافعال لاسباب يطول شرحها — وقد بينا طرفا في رسالة العلل والمعلولات — جعل بين بعضها وبعض الفة ومحبة ومودة لكيما يكون ذلك سببا لاجتماعها واتفاقها لما في ذلك من صلاح الكل والنفع على العموم ، وجعل أيضا بين بعضها وبين بعض نفوراً وعداوة ليكون سبباً لتباعدها وتفرقها لما في ذلك أيضا صلاح الكل والنفع على العموم

مثال ذلك الف بعض الحيوانات للانسان وانقيادها للطاعة كالبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والجمل والفرس لما في ذلك صلاح ونفع للناس المعروف المشهور — ولا حاجة الى تفصيل كيفية ذلك — ولما لها أيضا من النفع في مراعاة الناس بالعلف والسقي والسكن من الحر والبرد ومنع السباع عنها ومداواتها من الآفات العارضة وما شاكل ذلك، ومثال نفور بعض الحيوانات من الانسان وتباعدها عن طاعته مثل السباع والحيات وجملة الحيوانات القليلة النفع الكثيرة الضر لما فيه من صلاح الكل والنفع للعموم

وعلى هذا القياس حال سائر الحيوانات بعضها مع بعض فيما بينها من الالف والمحبة والبغض والعداوة لما فيها من النفع والصلاح

وأما الشرور التي تنسب الى بعض أفعال الحيوانات بالقصد منها والارادة فمنها أيضا عارضة من أجل الهيولى التي هي مادة لاجسادها وقوام هياكلها : وذلك أن المنافع لما كانت مشتركة بين الجميع وكان في جبلتها طلب المنافع ودفع المضار بالقصد الأول من الله تعالى ـ كما تقدم ذكره ـ وقعت بينها هذه المنازعة في طلب تلك المنافع ودفع تلك المضار بالعرض لا بالقصد

وأما علة كون الحيوانات بعضا آكلة وبعضها مأكولة فقد بينا طرفا منها في رسالة الحيوانات

فصل

في بيان أنواع الشرور التي تنسب الى الانفس الانسانية من جهة أحكام الناموس

فنقول اعلم أن الخيرات والشرور التي تنسب الى الانفس الانسانية الجزئية من جهة أحكام الناموس هي نوعان : فنها ماهي اعمالها واكتساب منها ومنها ماهي جزاء لاعمالها ومكافأة لها

فأما التي هي الاكتساب فهي خمسة أنواع : منها ماهي علوم ومعارف ، ومنها ماهي اخلاق وسجايا ، ومنها ماهي آراء واعتقادات ، ومنها ماهي كلام وأقاويل ومنها ماهي اعمال وحركات ،وهذه الخصال الخمس تسمى خيرات وشرور من وجهين : إما عقلية ، وإما وضعية ، والوضعية منها هو كل شيء أمر به الناموس أو حث عليه أو مدحه ، فيسمى ذلك خيراً وكل شيء نهى عنه أوزجر عنه يسمى ذلك شراً .

أما العقلية من هذه الخصال فهي كل شيء اذا فعل منه ماينبغي على الشرائط التي تنبغي في المكان الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي من أجل ماينبغي ، يسمى ذلك خيراً ومتى نقص من هذه الشرائط واحد يسمى ذلك الامر شراً ، ومعرفة هذه الشرائط ليس في وسع كل انسان في أول مرتبته إلا بعد ماتتهذب نفسه وتترقى في العلوم والآداب .

ومن أجل هذا يحتاج كل انسان الى معلم ومؤدب أو استاذ في تعلمه وتخلقه وأقاويله واعتقاده وأعماله وصنايعه .

ثم اعلم أن أصحاب الناموس هم المعلمون والمؤدبون والاستاذون للبشر كلهم ومعلمو أصحاب النواميس هم الملائكة ، ومعلم الملائكة هو النفس الكلية ومعلمها العقل الفعال ، والله تعالى معلم الكل

وإنما طولنا الخطاب في الكشف عن الخيرات والشرور لان هذه المسألة من احدى مسائل أمهات الخلاف بين العلماء المتشعبة منهم الآراء والمذاهب الكثيرة كل ذلك لقلة معرفة من يتكلم منها وهو لايدري ما الخير — على الحقيقة — وما الشر وما السبب العارض .

وإذ قد تبين مما ذكرنا علل اختلاف العلماء في الآراء والحكمة وحدوث العالم وقدمه نريد أن نذكر أيضاً طرفاً من عبادة الاصنام التي هي أقدم الديانات وأغلبها من الكل .

فصل

في بيان طباع الناس في الرغبة في الدنيا والآخرة

فنقول اعلم ياأخي أن الناس ، وان كان أكثرهم مطبوعين على الرغبة في الحياة الدنيا والحرص على طلب شهواتها والميل الى التمتع بلذاتها ، غافلون عن أمر الآخرة ونعيمها وسرور أهلها ودوام لذاتها ، وان كثيرا من الناس أيضاً كلهم مجبولون على التدين والورع والخير والزهد في الدنيا وترك شهواتها والرغبة في الآخرة وطلب نعيمها وكثرة التفكر في أمر المعاد بعد الموت والرغبة في معرفته وحقيقة الحال في المنقلب ، وهم في دائم الاوقات يسألون الله الرحمة والمغفرة ويطلبون منه حسن التوفيق وخير الآخرة ، ويتقربون اليه بالصلاة والصوم والتسبيح والقرآن والدعاء وفنون العبادات ، كل ذلك بحسب ما يمكنهم ويؤدي اليه اجتهادهم ويحسن في عقولهم ويتحقق في نفوسهم .

ثم اعلم أن الله تعالى مابعث الرسل والانبياء عليهم السلام الى الناس إلا بالتأكيد لما في نفوسهم من أمر الدين بطلب الآخرة إرشاداً لهم الى ماهو أصلح مما اختاروه بعقولهم وأقرب مسلكا وأفضل سيرة وأحسن طريقة فيما أداهم اليه اجتهادهم وتحقق في نفوسهم بآرائهم . والدليل على صحة ما قلنا قوله تعالى لنبيه عليه السلام : « قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » . وذلك أن القوم الذين بعث اليهم النبي عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان كانوا يتدينون

بعبادة الاصنام وكانوا يتقربون الى الله تعالى بالتعظيم لها والسجود والاستسلام والبخورات ، وكانوا يعتقدون أن ذلك يكون قربة لهم الى الله وزلفى ، والاصنام هي أجسام خرس لا نطق لها ولا تمييز ولا حس ولا صورة ولا حركة ! فأرسلهم الله ودلهم على ما هو أهدى وأقوم وأولى مما كانوا فيه : وذلك أن الانبياء عليهم السلام وان كانوا بشراً فهم أحياء ناطقون مميزون علماء مشا كلون للملائكة بنفوسهم الزكية ، يعرفون الله حق معرفته والتقرب الى الله تعالى بهم أولى وأهدى وأحق من التوسل بالاصنام الخرس التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنك شيئا

ثم اعلم أنا نبين ها هنا بدء عبادة الاصنام فنقول بأن بدء عبادة الامم للاصنام أولا كان عبادة الكواكب ، وبدء عبادة الكواكب كان عبادة الملائكة وسبب عبادة الملائكة كان التوسل بهم الى الله تعالى وطلب القربة اليه : وذلك أن الحكماء الاولين لما عرفوا بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم أن للعالم صانعاً حكيما ، وذلك لتأملهم عجائب مصنوعاته وتفكرهم فى غرائب مخلوقاته واعتبارهم تصاريف أحوال مخترعاته ، ولما تحققت فى نفوسهم هويته ، أقروا له عند ذلك بالوحدانية ووصفوه بالربوبية وعلموا أن له ملائكة هم صفوته من خلقه وخالص عباده من بريته — طلبوا عند ذلك الى الله القربة وتوسلوا اليه بهم وطلبوا الزلفى لديه بالتعظيم لهم كما يفعل أبناء الدنيا ويطلبون القربة الى ملوكهم بالتوسل اليهم باقرب المختصين بهم ، وكان من الناس من يتوسل الى الملك بأقاربه وندمائه ووزرائه وكتابه وخواصه وقواده وبمن يمكنه بحسب ما يتأتى له — الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى — كل ذلك طلبا للقربة اليه والزلفى لديه .

فهكذا وعلى هذا المثال فعلت الحكماء وأهل الديانات ومن عرف الله وآمن به وأقر به فانهم طلبوا القربة اليه والزلفى عنده : كل واحد بحسب ما أمكنه وتأتى له وأدى اليه اجتهاده وتحقق فى نفسه .

فلما مضى أولئك الحكماء والربانيون العارفون بالله حق معرفته وانقرضوا خلفهم قوم آخرون لم يكونوا مثلهم فى المعرفة والعلم ولم يعرفوا مغزاهم في دياناتهم ،

فأرادوا الاقتداء بهم فى سيرتهم واتخذوا أصناما على مثل صورتهم وصور واتماثيل على مثل مافعلت النصارى في بيعهم من التماثيل والصور مثل أشباه المسيح عليه السلام ومثل روح القدس وجبرائيل ومريم عليها السلام ، وكذلك أحوال المسيح فى متصرفاته ليكون ذلك تذكاراً لهم بأحواله كيفما يمحو تلك التصاوير والتماثيل

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن من الناس من يتقرب الي الله بأنبيائه ورسله وبأئمتهم وأوصيائهم أو بأولياء الله وعباده الصالحين أو بملائكة الله المقربين والتعظيم لهم ومساجدهم ومشاهدهم والاقتداء بهم وبأفعالهم والعمل بوصاياهم وسننهم ، على ذلك بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم ويتحقق في نفوسهم ويؤدي اليه اجتهادهم .

فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لا يتوسل اليه بأحد غيره ، وهذه مرتبة أهل المعارف الذين هم أولياء الله .

وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقته فليس له طريق الى الله تعالى الا بأنبيائه ومن قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق الى الله تعالى الا بالائمة من خلفائهم وأوصيائهم وعباده الصالحين ، فان قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق الا اتباع آثارهم والعمل بوصاياهم والتعلق بسننهم والذهاب الى مساجدهم ومشاهدهم والدعاء والصلاة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم وعند التماثيل المصورة على أشكالهم لتذكار آياتهم وتعرف أحوالهم من الاصنام والاوثان وما يشاكل ذلك طلباً للقربة الى الله والزلفى لديه .

ثم اعلم أنه على كل حال من يعبد شيئاً من الاشياء ويتقرب الى الله تعالى بأحد فهو أصلح حالا ممن لا يدين شيئاً ولا يتقرب الى الله البتة !! وذلك أن قوما قد رزقوا من الفهم والتمييز قدراً نخرجوا بذلك من جملة العامة ولم يحصلوا فى جملة الخاصة ، فهم لا يعرفون الله حق معرفته ولا يتحققونه بصفات وحدانيته ولا يعرفون الآخرة علماً واستبصارا ولا يرضون الدين تقليداً وايماناً فهم مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ! فاحذر أنت يا أخي أن تكون من جملتهم فانهم جنود

إبليس واخوان الشياطين « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » يعيبون الديانات ويزرون على أهلها ويهلكون أنفسهم ولا يشعرون

ثم اعلم أنهم أسوأ حالا من عابدى الاصنام على كل حال لان عابدي الاصنام يدينون بشيء ويتقربون الى الله ويخافونه ويرجونه . فأما هؤلاء فلا دين لهم ولا يعتقدون شيئا ولا يعبدون ولايخافون ولايرجون شيئاً .

ثم اعلم أن علة تركهم الدين أصلا من أجل أنهم لما تأملوا بعقولهم اختلاف أهل الديانات وجدوا دين كل قوم معيوباً عند قوم آخرين فلم يجدوا مذهباً ولا ديناً بلا عيب تركوا الدين جملة من أجل هذا ولم يتأملوا ولافكروا بأن كون العاقل بلادين أعيب وأقبح من كل عيب

ثم اعلم أن في ذكر أهل الديانات عيوب بعضهم بعضاً حكمة جلية قد بيناها في رسالة العلل والمعلولات ! وليس ذلك بأن الدين معيوب ، ولكن كانت مفروضات واضعي الشريعة وسننهم مختلفة لاغراض شتى ، والاغراض يطول شرحها وتكون تلك السنن عند قوم محمودة صالحة لسبب نشوئهم عليها ودربتهم في طول الزمان وجريان عاداتهم عليها ، ويكون الدين معيوباً ومنكراً عند قوم آخرين لانهم نشأوا على غيرها واعتادوا سواها وألفوا خلافها ، لا بان الدين معيوب وسنن الديانات قبيحة

ثم اعلم انه لما كانت طباع الناس مختلفة وأخلاقها متغايرة وارادتها مفننة ، والنفوس يعرض لها أمراض مختلفة بحسب الزمان والامكنة والطباع والأمزجة والعادات ، وكان واضعو النواميس هم أطباء النفوس ومنجموها كقول النبي ﷺ : « إن مثل أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وغرض كلهم اكتساب الصحة وحفظ السلامة عليها من الآفات العارضة .

فمن أجل هذا اختلفت مفروضاتهم وتغايرت سننهم حسب مايليق بأمة أمة وطائفة طائفة من الناس والامم من المداواة لنفوسهم والحمية لها من المحرمات

عليهم كما يفعل أطباء الاجسام فى العلاجات المختلفة بالبلدان المختلفة لاجل الامراض المختلفة في الازمان المختلفة ، من تغيير الاشربة وتبديل الادوية وتقليل الاوزان وتكثيرها بحسب اختلاف الازمنة والامكنة ، ولاسيما بحسب اختلاف أمزجة الانسان ومراعاة العادات : وذلك أن غرضهم حفظ الصحة الحاصلة واسترداد الصحة المفقودة

فهكذا أفعال الاطباء من النواميس واختلاف سننهم وترتيب أوضاعهم وأمرهم واجازتهم في شيء ونهيهم وتحريمهم عن شيء تشبه بعينها أفعال أطباء الأجسام ومداواتهم قطعاً .

ولايخفى عليك أيها الأخ مداواة المسيح لاقوام شتى واحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص حتى نجت نفوس قوم ضالين من امراض الجهالة المزمنة العسرة الزوال بشربات الاسرار والحكم ومعاجين التوحيد والتمجيد ومسهلات الحلم والاستغفار ، وحسن تحمية ترك الشهوات وبرحلة الشتاء والصيف من غليان نار الغضب وبرد البلادة .

وكذلك إبراء الأكمه بالمداواة اللائقة بالعين إذ العمى عمى القلب لاعمى العين ، كما ان الغنى غنى القلب لاغنى المال .

وكيف داوى الاكمه فياعجباً كل العجب إنه أبرأ الأكمه باكتحال الجواهر الروحانية وبتأليف الاسرار الربانية وبذر البذورات المفردات الهيولانية وبسائط الاركان الناموسية والمائعات التى أنزلت من السماء فسالت أودية بقدرها فلاجرم انه يحي الموتى ويبريء الأكمه والأبرص بهذه المدواة باذن الله وتوفيق الله !!!

فانتبه ياأخى من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ولاتظن بالله ظن السوء واطلب أولياء الله الكرام ومجالسة واضعي النواميس لتنجو بشفاعتهم وتنال بركاتهم سروراً ونعيما فى دار القرار.

﴿ فصل ﴾

في بيان علة الاختلافات التى بين أهل الديانات النبوية بعضها في الأصول وبعضها فى الفروع

وذلك لاسباب شتى نحتاج الى أن نذكرها ، ولكن من أجل أن كثيراً ممن ينظر في الآراء ويتكلم في المذاهب لايعرف الفرق بين ذلك لكنا نذكر ههنا طرفاً فنقول :

ان معنى الدين في لغة العرب هو الطاعة من جماعة لرئيس واحد ، ولما كانت الطاعه لا تتبين إلا بالأوامر والنواهى والامر والنهى لايعرفان الا بالأحكام والحدود والشرائط في المعلومات ، سميت هذه كلها شريعة الدين وسنن أحكامه.

فلما كان الانسان هو جملة مركبة من جسد جسماني ظاهر جلى ومن نفس روحانية باطنة خفية صارت أحكام الدين والاسلام وحدود الشريعة على وجهين ظاهر وباطن : والظاهر هو اعمال الجوارح والباطن هو اعتقادات الاسرار في الضمائر وهو الأصل كما قال عليه السلام الاعمال بالنيات ولكل امريء مانوى (١)

ثم اعلم أن الانبياء عليهم السلام لايختلفون فيما يعتقدون من الدين سراً وعلانية ولا في شيء منه البتة ، كما قال تعالى « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقد بينا أنها اثنتا عشرة خصلة يعتقدها الانبياء وأصحاب النواميس الالهية أجمعين لا يختلفون فيها — كما بينا في رسالة النواميس

وأما الشرائع التى هي أوامر ونواهي وأحكام وحدود وسنن ، فهم فيها مختلفون كما قال تعالى « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » . وقال « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه »

ثم اعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار إذ كان الدين واحداً لأن الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الآمر فيما يأمر وينهي المرؤوسين بحسب ما يليق بواحد

(١) المعروف أن الحديث يبدأ لفظه بقوله عليه الصلاة والسلام : (إنما الاعمال بالنيات) الخ راجع كتب الحديث كالاربعين النووية وغيرها

واحد ، وما يرى أنه يصلح له ويصلح فيه لأن أوامر أصحاب النواميس ونواهيهم مماثلة لامر الطبيب الرفيق الشفيق فيما أمر العليل من الحمية فى الصيف من تناول الاشياء الحارة بالطبع ، واجازته شرب المبردات فى البلدان الحارة وفيما يرى ويأمر له .

فمن أجل هذا اختلفت شرائع الانبياء عليهم السلام . وكذلك إن اختلفت سنن الدين وقواعد النواميس لأنهم أطباء النفوس ومنجموها : وذلك أن في الأدوار والقرانات والألوف قد تعرض للنفوس من أهل كل زمان أمراض واعلال مختلفة من الاخلاق الرديئة والعادات الجائرة والآراء الفاسدة من الجهالات المتراكمة ، كما يعرض للاجساد من الأمراض والأعلال من تغييرات الزمان والاهوية والاغذية ، فبحسب ذلك يجب أن يكون اختلاف علاجات الاطباء ومداواتهم .

فهكذا شرائع الانبياء واختلاف سننهم بحسب أهل كل زمان وما يليق بهم أمة أمة وقرنا قرنا مثل شريعة نوح عليه السلام في زمانه ، وشريعة ابراهيم عليه السلام بعده في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة موسى عليه السلام في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة المسيح بعده في زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة سيد الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان في زمان آخر وقوم آخرين ، كما قال تعالى : « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك » فهؤلاء كلهم دينهم واحد وان كانت شرائعهم مختلفة ، وانما ذكرنا في هذا الفصل من هذه الاشياء لان الذين أنكروا نسخ الشرائع من هذا الباب لم يعرفوا الفرق بين الدين والشريعة .

وأما الاختلافات التى وقعت بين شريعة واحدة بعضهم مع بعض كالذي بين طوائف اليهود فيما بينهم وبين طوائف النصارى ، وكما بين طوائف المسلمين كذلك فهي خمسة أنواع : منها اختلاف في ألفاظ التنزيل كالذي بين القراء ، ومنها اختلاف المعاني كالذى بين المفسرين ، ومنها اختلاف فى أسرار الدين وحقائق معانيه

الخفية كالذى بين المقلدين والمستبصرين ، ومنها اختـلاف فى الأئمة الذين هم خلفاء الانبياء كالذى بين الشيعة ، ومنها اختلاف فى أحكام الشريعة وسنن الدين كالذي بين الفقهاء .

فعلة اختـلاف القراء هي من أجل الالفـاظ المشتركة المعانى والمترادفة والمتباينة والمتواطئة والمشتقة — كما بينا معانى هـذه الخمسة الانواع فى رسالة المنطق — وانما يستعمل صاحب النواميس هذه الالفاظ فى تنزيله وخطبه لأن كلامه على العموم للناس الخاص والعام ، وفى المخاطبين نساء وصبيان ، وعلمـاء وجهال ، وعقلاء وأغبياء ، ما بين ذلك الا لكي يعقل ويكمل كل انسان منهم معانى ألفاظه بحسب فهمه وذكائه وصفاء جوهره فلا يخلو أحد منهم من فائدة إذا سمعوا قراءة التنزيل ، وهذا هو من أجل المعجزات فى كتب الانبياء وخاصة القرآن منها ، ومن أجل هذا قال النبى ﷺ وعلى آله وسلم : « نزل القرآن على سـبعة أحرف[1] كلها شاف كاف كل آية لها ظاهر وباطن » .

أما سبب اختلاف المفسرين المقرئين في معاني ألفاظ التنزيل فهو من جهتين احداها احتمال الالفاظ لتلك المعاني ، والاخرى من جهة مراتبهم في المعـارف وصفاء جوهر نفوسهم وذكاء أفهامهم فيسنح لـكل واحد شيء خلاف ما يسنح للآخر اذا نظر في معانى كتب الانبياء عليهم السلام بحسب اجتهاده وفهمه ودقة نظره ومبلغ علمه كما قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال : « وفوق كل ذي علم عليم » .

وهكذا حكم اختلاف العلماء والفقهاء الذين أصلوا الآراء والمذاهب في فقه الدين والأحكام والحدود : فمنها معان أخذوها من ظاهر ألفاظ التنزيل ، ومنها معان أخذوها من أقاويل المفسرين ، ومنها قياسات واجتهادات ، ومنها أخبار

(١) المعروف أن لفظ الحـديث هو : (نزل القرآن على سـبعة أحرف) وأما شاف كاف فزيادة لعلها وردت في رواية أخـرى . راجع الاتقـان في علوم القرآن للسيوطى فقـد ذكر ، أو بعبـارة أوضح روى ، لهـذا الحديث واحدا وأربعـين تفسيرا ليس من بينها ما ذهب اليـه اخوان الصفا

وروايات أخذوها من طريق السمع ، واجتهاد كل واحد منهم بحسب قوة نفسه وصفاء جوهره واجتهاده وبحثه ، سنح له شيء خلاف ما سنح لصاحبه ، فتعلقوا واجتهدوا واحتجوا على صحتها

وهذا الذى كلف عباده معنى الاجتهاد في الطلب كما قيل : لـكل مجتهد نصيب يعنى في اجتهاده . وكما قال : « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

وأما سبب اختلافهم في الأئمة الذين هم خلفاء الانبياء عليهم السلام في أممهم بعدهم ، فمن أجل أن صاحب الناموس يحتاج في وضعه للناموس وتتميمه وتكميله الى نيف واربعين خصلة من الفضائل البشرية والملـكية جميعاً — كما بينا في رسالة لنا _ فاذا أحكم صاحب الناموس أمر الشريعة وسنن الدين ومنهاجه وبين المنهاج وأوضح الطريق ومضى لسبيله ، بقيت الخصال وراثة في أصحابه وأنصاره الفضلاء من أمته ، ولـكن لا تكاد تجتمع كلها أجمع وراثة في واحد منهم ، ولا يخلو أحد من شيء منها

فاذا اجتمعت تلك الأمة بعد وفاة نبيها وتعاونت وتعاضدت وتناصرت مع ائتلاف القلوب كما أمرها صاحبها وأوصى بها بقوا هادين راشدين منصورين على أعدائهم سعداء في الدنيا والآخرة جميعا

ثم اذا مضى أولئك على منهاج الذين تقدموهم خلفهم من بعدهم قوم آخرون من ذرياتهم وتلامذتهم متمسكين بسننهم في أي بلد كانوا وأي منـازل نزلوا هادين راشدين ، كما قال عليه السلام « إن مثل أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

فاذا ما تنازعوا وتخاصموا وتقاطعوا وتركوا وصية نبيهم وتفرد كل واحد برأيه معجباً بنفسه شتت شمل الفتهم وتفرقت جماعتهم وضعفت قوتهم فأفسد عليهم أمر دينهم وشمت بهم حسادهم وظفر بهم عدوهم اذا تفرقوا فى البلدان النائيـة وشرع كل واحد لنفسه مذهباً واعتقد رأياً وتفرد به ، وربما دعى الناس اليه ، فبهذا السبب تصير الامة بعد نبيها فرقاً وأعداء وخوارج . ولـكن من أجل أن هذه المذاهب انما هي فروع على الدين تفرعها أصحاب الناموس على أصله تكون

تلك الملة واحدة بذلك السبب والمذاهب مختلفة ، والى هذا أشار تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله »

ثم اعلم أن فى اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب فوائد كثيرة تخفى على كثير من العقلاء ، فمن أجل ذلك تجد الى العقول بتفاوتها اختلافات كثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار . وقد ذكرنا ـ في كتب المنطق طرفاً من ذلك بشرح طويل ـ ولكن نذكر لذلك مثالا واحداً ليكون دليلا على ما وصفنا .

فنقول : اعلم أن العقلاء كما وضعوا القياسات الى كل من أحدث مذهبا واعتقد رأيا من الآراء فان ذلك يصير داعيا الى طلب الحجة عندخصمائه وعذراً عند العقلاء ، ويكون سببا لغوص النفوس في طلب المعانى الدقيقة والنظر الى الاسرار الخفية ووضع القياسات واستخراج النتائج ، واتساعاً في المعارف . وتكون سبباً ليقظة النفوس من نوم الجهالة وانتباها لها من السهو والغفلة وخصلة أخرى من الفوائد في اختلاف العلماء

وذلك أنه لما كان الانسان لا يخلو من محاسن وفضائل ولا ينفك عن مساوىء ورذائل أيضا في أخلاقه وسيرته ومذهبه وافعاله ، وكان أكثر الناس تجدهم يتزينون بمحاسنهم ويفتخرون بفضائلهم ويغفلون عن رذائلهم وينسون عيوبهم ومساوئهم صار يدعوهم اختلافهم في الآراء والمذاهب الى كشف عيوب بعضهم وذكر مساوىء بعضهم لبعض ويكون ذلك تنبيها للجميع على ترك الرذائل وحثا لهم على اكتساب الفضائل ، ويكون فى ذلك صلاح الكل اذا فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما يعابون عليه

ومن أجل هذا قيل : اختلاف العلماء رحمة . وخصلة أخرى من فوائد العلماء فى الاختلاف فى أحكام الدين وشرائعها وفنون المذاهب وهو أن لا يكون أمر الدين ضيقا حرجا لا رخصة فيه ولا تأويل كما قال تعالى : « ما جعل عليكم في الدين

من حرج » وقال عليه السلام « ادرأوا الحدود بالشبهات » . فبهذا الوجه أيضا اختلاف العلماء رحمة واختلاف أهل الديانات فى أمر الدين وسنن أحكامه حكمة جلية لا يعرفها الا المحققون المستبصرون

فصل

في بيان أنه لا يمكن وصول الانفس الجزئية الى الآخرة الا بعد الورود الى الدنيا

فنقول : اعلم أيدك الله أن الله تعالي لما خلق الانسان وجعل أقصى غرضه بلوغه الى دار الآخرة وكان لا يمكن أن يصل الى هناك الا بعد أن يمكث في الدنيا زمانا كما لا يمكن أن يمكث فى الدنيا على أتم الحالات الا بعد أن يمكث فى الرحم زمانا .

ولما كان الغرض من المكث فى الرحم هو تتميم بنية الجسد وتكميل الصورة حتى اذا خرج الى الدنيا من الرحم كاملا تاما انتفع فى الحياة الدنيا والتمتع بلذاتها ونعيمها فلهذا كان الغرض من الكون فى الدنيا والمكث فيها زمانا ما هو لتتميم صورة النفس وتكميل فضائلها ، ولم تكن تتم فضائلها الا بهذا الجسد المملوء من آثار حكمة الله ـ كما بينا فى رسالة تركيب الجسد ورسالة الانسان عالم صغير

ثم اعلم ان النفس ان لم تتم صورتها مادامت مع الجسد ولم تكمل فضائلها مع الجسد مادامت فى الدنيا لم تنتفع فى الدار الآخرة بعد الموت على التمام والكمال ، كما انه إن لم تتم بنية الجسد فى الرحم ولم تكمل هناك صورته ، لم ينتفع الانسان في الحياة الدنيا .

واعلم أن الله تعالى جعل الدين طريقاً من الدنيا الى الآخرة ، وجعل فى قوام الدين صلاحاً للدنياً والآخرة جميعاً : وذلك ان الدين له ظاهر وباطن ، وقوامه بهما جميعاً . فمن الناس من لا يريد بتمسكه بالدين إلا صلاح الدنيا ومنافعها فيحرص فى احكام الدين وشريعته من الصلاة والصوم وما شا كلها ويرائي الناس

وبذلك يطلب منافع الدنيا فيكون في حفظه ظاهر أحكام الدين قوام له! كما قيل: « ان الله ينصر هذا الدين باقوام لاخلاق لهم » ! ومن الناس من يريد الدنيا لطلب الآخرة وصلاح المعاد فهم يزهدون في الدنيا ويتركون الشرور ويؤدون الامانات سراً واعلاناً ويعاملون الناس بالصدق والورع من غير غش ولادغل ، وفي ذلك صلاح أمر الدنيا والآخرة جميعاً .

ثم اعلم أن كل من أحدث في شريعة أصحاب النواميس حدثاً من تغيير في أحكامها وتبديل في حدودها وطلب بذلك عرض الدنيا فان صاحب الناموس هو خصمه يوم القيامة ، ومن فعل شيئاً من ذلك وأراد به صلاح ذات البين — ولكن دخلت عليه شبهة من غير عناد وتقي أو طلب في سبب عرض الدنيا — فان ذلك يغفر له ولا يؤاخذ به .

﴿ فصل ﴾

في بيان سبب العلماء في اختلاف الأمامة

فنقول اعلم أن مسألة الامامة هي أيضاً من إحدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء قد تاه فيها الخائضون الى حجاج شتى وأكثروا فيها القيل والقال وبدت بين الخائضين فيها العداوة والبغضاء وجرت بين طالبيها الحروب والقتال وأبيحت بسببها الاموال والدماء وهي باقية الى يومنا هذا لم تنفصل بل كل يوم يزداد الخائضون المختلفون فيها خلافاً على خلاف وتتشعب فيها ومنها آراء ومذاهب حتى لايكاد يحصى عددها الا الله ، فنحتاج أن نذكر أولا ما الاصل المتفق عليه بين أهلها — ثم نذكر أسباب الخلاف في فروعها فنقول :

اعلم أن الامة كلها تقول إنه لا بد من امام يكون خليفة لنبيها في أمته بعد وفاته : وذلك لاسباب شتى وخصال عدة أحدها هو أن يحفظ الامام الشريعة على الامة ويحيي السنة في الملة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكون الامة تصدر عن رأيه .

وقوم آخرون يكونون خلفاءه في سائر البلدان للمسلمين بالنيابة عنه في جباية الخراج وأخذ الاعشار والجزية وتفريقها على الجند والحاشية ليحفظ بهم ثغور المسلمين ويحصن بهم البيضة ويقهر الاعداء ويحفظ الطرقات من اللصوص والقطاع فيمنع الظالم ويردع القوي عن الضعيف المظلوم وينصف ويعدل بين الناس فيما يتعاملون به وما شاكل هذه الخصال التي لا بد للمسلمين من قيم بها في ظاهر أمور دنياهم ، وخصلة أخرى هي أن يرجع فقهاء المسلمين وعلماؤهم عند مشكلاتهم في أمر الدين اليه وعند مسائل الخلاف فيحكم هو بينهم فيما هم فيه يختلفون من الحكومة في الفقه والاحكام والحدود والقصاص والصلوات والجمعات والأعياد والحج والغزو وتولية القضاة والعدول وفتوى الفقهاء ويصدرون كلهم عن رأيه وتدبيره وأمره ونهيه فهذا هو الأصل المتفق بينهم في حاجتهم الى الإمام

وأما من ينبغي أن يكون الامام ومن هو فهم فيه مختلفون على رأيين ومذهبين فمنهم من يرى ويعتقد انه لاينبغي إلا أن يكون أفضلهم كلهم بعد نبيها وأقربهم اليه نسبة ويكون قد نص عليه ، ومنهم من يرى بخلاف ذلك .

ولهم في هذين الرأيين منازعات وخصومات يطول شرحها مذكورة في كتبهم ولكن نحتاج الى أن نذكر علة اختلافاتهم من أين كان بدؤها ومن أين أشكل الأمر عليهم فيه .

واعلم أن الامامة إنما هي خلافة ، والخلافة نوعان : خلافة النبوة ، وخلافة الملك والكلام في خصال الامامة وتعديد شرائطها قبل معرفة خصال النبوة وتحصيل شرائطها وقبل معرفة خصال الملك وشرائطه والفرق بينهما ، كلام على غير أصله . وكل كلام على غير أصل هذيان لاتحقيق له !! ونحتاج الى أن نذكر أولا خصال النبوة قبل خصال الملك فنقول :

أن أول خصال النبوة الوحي والانباء من الملائكة ، ثم اظهار الدعوة في الامة ، ثم تدوين الكتاب المنزل بالالفاظ الوجيزة وتبيين قراءته في الفصاحة، ثم ايضاح تفسير معانيه وبلوغ تأويله ، ثم وضع السنن المركبة ومداواة النفوس

المريضة من المذاهب الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الرديئة والاعمال السيئة والافعال القبيحة .

ثم نقلها من تلك العادات وتلك الاراء ومحوها عن ضمائرها بذكر عيوبها ومداواتها من أسقام تلك العادات بالحمية لها من العود اليها واشفائها بالرأي الرصين والعادات الجميلة والاعمال الزكية والاخلاق الحميدة بالمدح والترغيب فى جزيل الثواب ليوم المآب .

وأيضا من خصال النبوة معرفة كيفية سياسة النفوس الشريرة عن قصد سبيل الرشاد وردها عن سلوكها في وعور طريقة البغى بالتمادي ومعرفة كيفية سياسة النفوس الساهية والارواح اللاهية من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد بالتذكار لها يوم المعاد ، لئلا يقولوا : ماجاءنا من بشير ولا نذير ولا كتاب

ومن خصال النبوة أيضا اجراء السنة فى الشريعة وايضاح المنهاج فى الملة وتبيين الحلال والحرام وتفصيل الحدود والاحكام فى أمور الدنيا جميعا ، ثم التزهيد فى الدنيا وذم الراغبين فيها وتفصيل أحكام الخاص والعام وما بينهما من سائر طبقات الناس وما شاكل هذه الخصال المعروفة بين أهل العلم الموجود وضعها فى الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والقرآن وصحف الانبياء عليهم السلام

فأما خصال الملك فأولها أخذ البيعة على الاتباع المستجيبين ، وترتيب الخاص والعام مراتبهم ، وجباية الخراج والعشر والجزية من الملة ، وتفريق الارزاق على الجند والحاشية ، وحفظ الثغور وتحصين البيضة وقبول الصلح والمهادنة من الملوك والرؤساء من الامور المستحبة والهدايا لتأليف القلوب وشمل الالفة وما شاكل هذه الخصال المعروفة بين الرؤساء والملوك

ثم اعلم أنه ربما تجتمع هذه الخصال فى شخص واحد من البشر فى وقت من الزمان ، فيكون هو النبي المبعوث وهو الملك ، وربما تكون فى شخصين اثنين : أحدهما النبي المبعوث الى تلك الامة والآخر المسلط عليهم

واعلم أنه لا قوام لأحدهم الا بالآخر كما قال ملك الفرس ازدشير فى

وصيته ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لأحدهما الا بالآخر ، وذلك أن الدين أس الملك والملك حارسه ، فما لا أس له مهدوم ، وما لا حافظ له ضائع ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس

ثم اعلم ان الله تعالى قد جمع لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام والتحية خصال الملك والنبوة جميعا ، كما جمعها لداود وسليمان عليهما السلام ، وكذلك جمع ليوسف الصديق عليه السلام . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة فى أول مبعثه نحواً من اثنتى عشرة سنة يدعو الناس ويعلمهم معالم الدين حتى استوفي خصال النبوة وأحكمها ، ثم هاجر بعد ذلك الى المدينة وأقام بها نحواً من عشر سنين فى ترتيب أمر الامة وتحذير الاعداء وجباية الخراج والعشر ومصالحة الاعداء والمهادنة وقبول الهدايا وحملها والتزويج منهم واليهم حتى أحكم أمر الملك

ثم اعلم ان الله تعالى لما أضاف الى نبوته الملك لم يضفها لرغبته فى الدنيا وحرصه عليها ولكن اراد الله تعالي أن يجمع لامته الدين والدنيا جميعا ، وكان القصد الاول هو الدين ، والملك عارض لأسباب شتى : احدها انه لو كان الملك فى غير أمته لم يكن يؤمن ان يردهم عن دينهم او يسومهم سوء العذاب من كان مسلطا عليهم مثل ما كان يفعل فرعون ببنى اسرائيل

والخصلة الاخرى ما قال ازدشير ان « الملك والدين اخوان توأمان » . وخصلة اخرى هي ان الناس فى طباعهم وجبلتهم لا يرغبوا إلا فى دين الملوك ولا يرهبوا إلا منهم ، وبهذه الخصال وخصال أخرى يطول شرحها جمع الله الملك والنبوة لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان . ولما أشكلت هذه المسألة على اليهود والنصارى ارتدوا وشكوا فى نبوته لما رأوا ان الملك والنبوة لمحمد عليه السلام . فلما انزل الله عز وجل قصة داوود وسليمان ليحاج بها اليهود والنصارى اذ كانوا مقرين بنبوتهما وقد جمع الله لهما من الملك والنبوة ولم يكن الملك قادحا فى نبوتهما ، فهكذا كان حكم محمد عليه السلام فان الملك لم يكن قادحا فى نبوته

واعلم يا أخي أن الله تعالى قد جمع لمحمد عليه السلام الملك والنبوة وأيده بروح منه حتى إنه قام بواجب حقهما لما خصه الله به من الجبلة القوية والقوة المتينة ، كما قال تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » . وقل من يكون كذلك ، لأن النبوة تتم بنيف وأربعين خصلة من فضائل البشرية والملك يحتاج الى شرائط أخر غيرها

﴿ فصل ﴾

فاعلم أن في بعض أخلاق الملوك مضادة لخصال النبوة ، وذلك ان الملك أمر دنيوي والنبوة أمر أخروي والدنيا والآخرة كأنهما ضدان ، وا كثر الملوك يكونون راغبين في الدنيا حريصين عليها تاركين لذكر الآخرة ناسين لها والانبياء عليهم السلام من خصالهم التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة يأمرون بها ويحثون عليها ، فعلى هذه الدرجة يكون بعض حال الملوك مضاداً لحال النبوة ، ولكن الانبياء عليهم السلام الذين جمع الله لهم الملك والنبوة لم يكونوا شديدي الرغبة في الدنيا ولا حريصين على شهواتها كما حكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام حين قال : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث » الآية فهذا يدل على أنه كان من الزاهدين في الدنيا . فهكذا كان داود عليه السلام وسليمان عليه السلام

ولقد ذكر الله تعالى في قصة داود عليه السلام أنه كان أوابا حليما ، وفي قصة سليمان ، هذا من فضل ربي ليبلوني ، « أأشكر أم أكفر » وهكذا كان النبي عليه السلام زاهداً في الدنيا راغبا في الآخرة . وقد روي في الخبر أن جبريل عليه السلام عرض عليه مفاتيح خزائن الارض فقال خذها ولا ينقصك ما عند الله شيئاً فقال عليه السلام : «لاحاجة لي في شيء من ذلك حلالها حساب وحرامها عذاب » . وانما جعل ذلك اشفاقا على أمته لئلا يرغبوا فيها ويحتجوا اليها بقول الله تعالى « يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » . وقوله : « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى » . وقال . « والآخرة خير لك من الاولى»

﴿ فصل ﴾

في مسئلة الجبر

فنقول اعلم أن مسئلة الجبر هي أيضا من احدى مسائل الخلاف بين الناس المنبثة منها الآراء والمذاهب : وذلك أنه منذ كان العلماء وأهل الجدل هم فيها مختلفون فيما مضى من الازمان والدهور وهم طائفتان : الجبرية والقدرية ، فأما الجبرية فان الذي أداهم الى ما يعتقدون في هذه المسألة هو نظرهم واعتبارهم عواقب الامور وخواتيمها ، وذلك أنهم لما تبين لهم أن الامور كلها التي تخرج الى الكون والفساد والوجود والعدم فعلى مافي مقدور الله وسابق علمه لايكون خلاف ذلك شيء وزعموا عند ذلك وظنوا أنهم لايقدرون على شيء من الافعال التي تظهر على أيديهم ولا يستطيعون الامتناع عن شيء من ذلك ولا الترك لها بالحقيقة ونسبوها كلها الى القضاء والقدر .

وأما خصماؤهم ومخالفوهم فكان نظرهم واعتبارهم في هذه المسألة الاوامر والنواهي والمدح والذم والوعد والوعيد المتوجهة على الانسان العاقل المستطيع ورأوا أنه محجوج بها مزاح العلة فيها ، وليس له أن يحتج على أحد لا عند الله ولا عند الناس بالقضاء والقدر ! وعلم الله السابق في الكائنات لانه لايدري أحد في مبدأ أمره وأول أفعاله قضاء الله وقدره وعلمه السابق ، وانما تبين له ذلك بعد فراغه مما قد فعل أو ترك ما أمر الله به ، وهذا النظر نظر أولئك واعتبارهم فلا جرم أن المسألة قائمة بحالها والخلاف باق والحكومة لم تنفصل الى يومنا هذا ، بل كلما ازدادوا فيها نظراً واعتباراً وبحثاً وجدالا ازدادوا اخلافاً على خلاف الى يوم القيامة . « والله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »

ثم اعلم أن ليس أحد من المخلوقين بقادر على شيء من الاشياء ولا عمل من الاعمال الا ما أقدره الله تعالى عليه وقواه ويسره له .

واعلم أن إقدار الله القادرين وتقويته الاقوياء وتيسير الامور ليس بمجبر لاحد منهم على فعل من الافعال ولا عمل من الاعمال ولا تركه .

واعلم أن كل قدرة في أحـد من القادرين أو قوة في أحد من الاقوياء على فعل من الافعال وعمل من الاعمال فهو بتلك القدرة وتلك القوة بعينها التى يقدر بها على الفعل ويقدر أيضاً على ترك الفعل بعينه

مثـال ذلك القوة التى جعلت في لسان المتكلم على الـكلام فهو بتلك القوة بعينها يقدر على السكوت ، وبالقوة التى فى الرجلين كذلك ، وفي العينين على فتحهما كذلك ، فانه بتركه ذلك الفعل أيضاً قادر

وعلى هذا القياس حكم سائر القوى التى يقدر على الافعال بها ، ولـكن رب فعل تركه أسهل من أخذه ، ورب فعل أخذه أسهل من تركه . ويوجد ذلك بحسب الاسباب الداعية الى الامور المسيرة بها

مثال ذلك اللص وسرقته بالليل فان النوم على الفراش الوطيئة على كل حال أسهل من الذهاب في ظلم الليالى الى المواضع البعيدة الشاقة ونقب الدور وتسلق الحيطان العالية مع الخوف والوجل ولـكن الحرص والرغبة وشدة الحاجة وطول الامل وشهوات النفوس وترك النظر في العواقب والغرور بالاماني ووساوس الشيطان وماشا كل هذه من الاسباب تدعوهم الى فعل ماهو أصعب وعمل ماهو أشق وترك ماهو أيسر وأسهل !

وعلى هذا المثال حكم سائر الاعمال الصعبة والافعال الشاقة التى يفعلها الفاعلون فان تركها أسهل من أخذها ، ولـكن قيل : « كل ميسر لما خلق له » فمن الناس من تيسر له أخذ الفعل ومنهم من تيسر له تركه .

فلا تظن ياأخي أنه قد يقع من أحد فعل ولا ييسر له عمل ولا ترك شيء مما هو مندوب اليه الا ماقد سبق له في علم الله الذي يسمي القضاء المبرم والقدر المحتوم اللذان هما موجبات أحكام النجوم وتأثيرات الاشكال الفلـكي — كما بينا فى رسالة الايمان فليعرف من هناك

فصل

ثم اعلم أن أحكام النجوم هي أيضاً من احدى أمهات الخلاف بين الناس مذ كانوا

والعلماء في حكمها على ثلاثة أقاويل : فمنهم من يرى ويعتقد أن الاشخاص الفلكية دلالة على الكائنات قبل كونها في هـذه الاشخاص السفلية ولها أيضاً فيها أفعال وتأثيرات ، ومنهم من يرى ويعتقد أن لها دلالات ولـكن ليس لها فعل ولا تأثيرات ومنهم من يرى ويعتقد أنه لا تأثير لها ولا دلالة البتة ولـكن حكمها حكم الجمادات والاحجار المطروحة في البراري والقفار . وانما قالوا هذا وأنكروا دلالتها وأفعالها لتركهم النظر في علم أحكام النجوم واغفالهم عن تعليمها وإعراضهم عن البحث عنها .

وأما الذين قالوا بان لها دلالات فانما عرفوا ذلك وتبين لهم صحتـه لطول التجارب وكثرة الاعتبار فى مرور الايام والشهور والسنين الـكثيرة أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن — كما تبين ذلك فى كتب الاحكام

وأما الذين قالوا ان لها دلالات وأفعال وتأثيرات وأنهم أحياء ناطقون وهم ملائـكة الله وملوك أفلاكه وسكان سمواته ، فان ذلك عرفوه بعد النظر في العلوم الالهية وأحكامها ، والعلوم الالهية عرفوها بعد النظر في العلوم الطبيعية وأحكامها والعلوم الطبيعية عرفوها بعد النظر فى علوم الرياضة وأحكامها ، وعلوم الرياضة عرفوها بعد التعلم لها والتدرب بطول الزمان من الدهور والايام ، فسموا المؤثرات روحانيات الـكواكب في الـكائنات .

ثم اعلم أن العلماء لا يشكون في علم وأدب قد تعلموه وفكروه بقول المنكرين له والجاهلين به ، وهكذا العقلاء مجبولون على أن لا يترك أحـدهم دينا ومذهباً قد نشأ عليه وأنس به وقد اعتاد التعبد بطول الزمان على سنته وأخذه عن آبائه وشيوخه وأستاذيه من غير أن يتبين له بطلانه وينكشف له عوار ، وهكذا لا يرغب أحـد منهم فى الدخول في دين أو مذهب لم تتبين له صحته ولم تصح له حقيقته ولا قامت عنده حجته فلا تلم الناس على تمسكهم بدين آبائهم ومذاهب أسلافهم

فاعلم أن الحق في كل دين موجود وعلى كل لسان جار، وأن الشبهة دخولها على كل انسان جائز ممكن ! فاجتهد ياأخي أن تبين الحق لـكل صاحب دين ومذهب مما هو في يده أو مما هو متمسك به وتكشف عنه الشبهة التى دخلت عليه إن كنت تحسن هذه الصناعة والا فلا تتعاطاها ولا تدعها إن كنت لا تحسنها ولا تمسك

بما أنت عليه من دينك ومذهبك واطلب خيرا منه فان وجدت فلا يسعك الوقوف على الأدون ، ولكن واجب عليك الاخذ بالاخير الافضل والانتقال اليه ، ولا تشتغلن بذكر عيوب مذاهب الناس ولكن انظر هل لك مذهب بلاعيب .

واعلم أن الانسان العاقل قد تخفى عليه عيوب مذهبه كما تخفى عليه مساويء أخلاقه وقبائح أفعاله وسيئات أعماله وتسنح له عيوب غيره ومساويء أخلاقه وقبيح أفعاله كما قيل في المثل : «يا ابن آدم لك محلان : أحدهما فيه عيوب نفسك وفي الآخر عيوب غيرك وأنت قد جعلت التي فيها عيوب غيرك قدام وجهك ولا تزال تطلع عليها ، والتي فيها عيوب نفسك تجعلها خلف ظهرك فلا تلتفت اليها» قال حكيم اليونانيين : «الانسان يعمى ويصم عن عيوب نفسه لان نفسه أحب الاشياء وحب الشيء يعمي ويصم»

ثم اعلم أن العلوم أجناس كثيرة ولكل جنس أنواع متفننة وكل نوع منها بحرز آخر ، وأهل كل علم متفاوتو الدرجات فيها مبتدء متعلم وعالم راسخ وما بينهما من الطبقات ولاهل كل علم ومذهب أدلة قد نصبها لهم الباري تعالى فهم يصيبون ويخطئون في أحكامهم والاستدلال بها ، فقل ومكثر .

كل ذلك بحسب قوى نفوسهم وطول دربتهم ودقة نظرهم فيها ، ولا يظن أن الصناعة تبطل أو تكون الادلة غير صحيحة من أجل خطاياهم وزلتهم في الاستدلالات ! فعلم النجوم وأدلتها صحيحة وحق وهي الأشخاص الفلكية التي نصبها الباري تعالى وأجراها مجاريها وان كان المنجمون يخطئون في بعض استدلالاتهم أو في أكثرها فلا تبطل صناعة علم النجوم من أجل ذلك وهو علم جعله الله تعالى معجزة لادريس النبي ـ آمن به ملك زمانه وله قصة يطول شرحها ـ كذلك الطب صناعة فان دلالته صحيحة وقد يصيب الاطباء ويخطئون في قضاياهم باستدلالاتهم التي نصبوها في أكثرها فلا تبطل صناعة الطب من أجل ذلك والادلة التي نصبها الباري سبحانه وتعالى هي اختلاف حركات النبض وأصباغ البول وتغير أحوال المريض للعلل ، وهكذا أيضاً الفقهاء والحكام والمفتون في أحكام الدين من الحلال والحرام قد يصيبون ويخطئون في قضاياهم واستدلالاتهم

التي نصبها لهم الباري من آيات كتبه المنزلة وسنن أحكام الشريعة ومفروضات النواميس الالهية فخطؤهم وزللهم لا يبطل العلم والصناعة والأدلة المنصوبة ، ولكن التقصير والعجز موكولان بالانسان لنقصه عن التمام

ثم اعلم أن مسئلة الوعيد هي أيضاً احدى أمهات مسائل الخلاف بين العلماء وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أنه واجب في حكم الله وعدله أن يفي بوعيده كما وفى بوعده ، لأنه إن لم يفعل كان كاذباً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومنهم من يرى ويعتقد أنه لا يكون كاذباً لأن الكذب هو الخبر بأنه قد فعل ولم يكن فعل . أو يقول مافعلت وقد كان فعل ، فأما إذا قال سأفعل ثم لم يفعل فيكون مخالفاً والمخالف في الوعد يكون مذموماً غير وفي ، فأما في الوعيد فربما كان الخلاف عفواً وصفحاً ورحمة وتحنناً وإشفاقاً وكرماً وسماحة وإنعاماً ، وكذلك هذه الخصال ممدوحة محمودة تليق بفضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه . ومنه قول بعض العرب :

وإني إذا أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فان اخلاف الوعيد مكرمة افتخر بها ، وذلك أن وعيد الله تعالى لعبيده مماثل لوعيد الأب الشفيق الطيب العالم للولد الجاهل العليل يقول : لا تأكل ولا تشرب كيت وكيت وافعل كيت وكيت ، فانك ان لم تفعل ولم تقبل نصيحتي ضربتك وحبستك وعاقبتك ، فان لم يفعل الولد ولم يقبل نصيحة والده ولم يأتمر له ولم ينته عما نهاه عنه وأكل وشرب مانهاه عنه وترك ما كان مأموراً به بقي عليلا سقيما وفاتته الصحة والأنفع والأصلح وبقي متألماً وجيعاً فان الأب الشفيق يشفق عليه أن يفي بوعيده فيضربه ويزيده ألماً وعذاباً . فهكذا حكم عذاب الله ووعيده لعباده وهذا أليق به وبرحمته وجوده وكرمه وإحسانه

وأما وقت وفاء الوعد لثواب المحسنين متى يكون وكيف يكون ؟؟ فان هذه المسائل هي من غوامض العلوم ودقائق الأسرار ، وقد أكثر العلماء فيها القال والقيل وتحيرت فيها عقول كثير من الناس أولى الألباب

فمنهم من يرى ويعتقد أنها في الدنيا قبل الممات ، ومنهم من يرى أنها تكون في الآخرة بعد الممات ، وأما كثير من الناس فينكرون أمر الآخرة فلا يعرفونها ولا يقرون بها ، وأما المقرون بها فمختلفون أيضاً فيها وفي ماهيتها وكيفيتها وأبنيتها على مذاهب شتى : فمنهم من يرى ويعتقد أن الآخرة ودار الجزاء إنما تكون بعد خراب السماء وفناء الخلق أجمعين ، ثم إن الله تعالى يعيدهم مرة ثانية خلقاً جديداً فيثيبهم ويجازيهم ما كانوا يعملون في الدنيا من خير أوشر أوعرف أو نكر ، وهذا جيد للعامة ولمن لايعرف من الأمور شيئاً ويرضى الدين تقليداً وأيماناً ، وأما الخاص ومن قد نظر في بعض العلوم الرياضية والطبيعية ، فان هذا الرأي لا يصلح لهم ! وذلك أن كثيراً من العقلاء الحكماء ينكرون خراب السموات ويأبون ذلك إباء شديداً والجيد لهم إذن أن يعتقدوا أمر الآخرة أن لها وجوداً متأخراً عن الكون في الدنيا ، كما كان في الدنيا موجوداً متأخراً عن الكون في الرحم وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب وأيام العقل والتمييز والحكمة والكمال كانت متأخرة عن أحوال الجهل ، وهى أحوال تطرأ على النفس بعد مفارقتها الجسد إذا هى انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا واستيقظت من رقدة جهالتها قبل الممات ونظرت الى الدنيا واعتبرت أحوالها وتصاريف أمورها ليكون ذلك دلالة على معرفة الآخرة ، فاذا لم تفعل وماتت ميتة جاهلية بعمائها فتكون بعد بأمر الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وقد بينا في رسالة الآلام واللذات طرفاً في كيفية ثواب المحسنين وجزاء المسيئين بعد الممات وطرفا أخر منهـا بيناها في رسالة البعث والقيامة ، ونريد أن نذكرها هنا طرفا أخر

فصل في جزاء المحسنين

فنقول : اعلم يا أخى أن جزاء المحسنين يتفاضل فى الآخرة بحسب درجاتهم فى المعارف واجتهادهم فى الاعمال الصالحة ، والناس متفاوتو الدرجات فى أعمالهم كل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة الصوم والصدقة والصلاة

والقراءة والتسبيح وماشاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسنونة فى الشرائع المشغلة لهم عن فضول وبطالة ومالا ينبغى لهم كيلا يقعوا فى الآفات .

وأفضل أعمال الخواص التفكر والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات وبخاصة مايتعلق بالدين . وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهى التفكر . قال الله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا »

ثم اعلم أن الانسان إذا عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان : إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه الى الغي والضلال . وذلك أن أمور العالم نوعان : كليات وجزئيات لاغير ، فاذا أخذ الانسان يفكر في كلياتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبحث عن الحكمة فيها بانت له وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليهـا ، فكلما تقدم فيه زاد هداية ويقينـاً ونوراً واستبصاراً وتحققاً وازداد من الله قرباً وكرامة

وإذا أخذ يتفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عللهـا خفيت وانغلقت مناحيها وكلما ازداد تفكراً ازداد تحيراً وشكوكا ومن الله بعداً وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم .

مثال ذلك أنه اذا ابتدأ الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهيناً ثم كيف صار نطفة في قرار مكين ، ثم كيف صار مضغة ، ثم كيف كسا العظام لحماً ثم كيف صار جنيناً بعد أطوار متعاقبة ، ثم كيف قبلت فتيلة جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهي ، ثم كيف أخرج من الرحم الذي هو عالم كونه إلى الدنيا التى هي عالم آخرته ، ثم كيف صار طفلا حساساً ، ثم كيف تربى وهو طفل صبى جاهل ، ثم كيف نشأ وصار شاباً عالماً أوجاهلا ، ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكيما مدبراً متملكا على ماملك ، ثم كيف صار زاهداً عابداً ، ثم إن طال عمره كيف يرجع كما

كان بديا ضعيفا ذاهب القوة ، ثم كيف ظهر بمدالشبابة والقوة والضعف والشيبة « الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء »

فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التى ينقل فيها من أدونها إلى أتمها ومن أفضلها الى أكملها فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله أن له صانعا حكيما هو الذي اخترعه وأنشأه وأنماه ، فاذا تحقق عنده ماوصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعلم علما يقينا أنه قد فعل بهم مثل مافعل به . وهكذا سائر الحيوانات وكلما ازداد تفكراً في هذا الباب ازداد بربه يقينا وبأوصافه معرفة

واعلم أن الله تعالى حي عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر فى التشريح أو في كتاب منافع الاعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أو كتاب تركيب الأفلاك وماشا كلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته وعجائب مخترعاته ، فانه كلما ازداد فيها نظراً ازداد بالله علما وبأوصافه اللائقة به معرفة واستبصاراً وإليه قربة والى لقاء الله اشتياقا ، فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدي سالكه الى الله تعالى والى نعيم جنانه

وأما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدي إلى الشكوك والحيرة والضلالة والعمى فهو أن يبتدىء الانسان قبل النظر في العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشكلة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنباء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير ؟ وعمرو العاجز غنى ؟ ولم جعفر الغبى أمير ؟ وعبد الله الحكيم حقير ؟ ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوي صحيح ؟ ولم هذه الدودة صغيرة وهذا الجمل كبير ؟ ولم الفيل مع كبر جثته له أربع قوائم والبق مع صغر جثته

له ست أرجل وجناحان ؟ ولماذا يصلح البق والذباب والقردان والبراغيث وأي فائدة في خلق الخنازير والوزغ ؟ وأي حكمة في خلق العقارب والحيات وماشاكل ذلك من المسائل التى لايحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عللها . فأما الانسان فانه لايعرف الحكمة في عللها إلا بعد النظر في العلوم الالهية ، وهو لايعرف إلا بعد النظر والتفكر فى الأمور الطبيعية ، وهو لايعرف إلا بعد النظر فى الامور المعقولة ، وهو لايعرف الا بعد النظر والتفكر فى الأمور المحسوسة . فمن لم يكن مرتاضا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولاصافى النفس ولاصالح الاخلاق فيبتدىء أولا بطلب الأمور المشكلة التى تقدم ذكرها فلايدركها ولا يعقلها فيرجع عند ذلك خاسراً متفكراً متحيراً غافلا بنفسه وسواسا فى قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات باتفاق لا بعناية حكيم ولاصنع صانع عليم أو نظر الى أن رب العالمين غافل عن أمر عالمه حتى يجري فيه ما لايليق بالحكمة أو يظن أنه لايعلم مايجرى فيه أو أنه لايفكر فى هذه الأمور الجزئية ولايهمه أو يظن انه قاس قليل الرحمة والنظر لضعفاء الخلق أو انه جائر في قضائه وأحكامه متعب لخلقه مفرط في تقديره غير عدل ولاحكيم في كثير من أفعاله لايرحم الضعيف وماشا كل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قد تاهت في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولامعرفة بحقائق الاسرار المعروفة . وقيل ان حكيم الفرس بزرجمهر لما تفكر في هذه الأمور المشكلة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه اذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل : « إن مصائب العباد إذا لعلل لايعرفها » إقراراً على نفسه بالعجز عن معرفة هذه الأمور المشكلة .

ويقال إن نبياً اجتاز مرة عيناً من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى جبل ليصلي فبينما هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه، ثم ركب فمضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ، ثم جاء

من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فأخذه ومضى ، ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها فحط هناك حزمته واستلقى يستريح مما به من شدة الضعف والتعب والريق والانبهار : ففكر النبي وقال في نفسه : لو أن هذا الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي ! فما كان الا قليلا حتى إن الفارس قد رجع الى مكانه الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال : ما عندي خبر هذا فضربه وعذبه حتى قتله ومضى الفارس

فقال عند ذلك : يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل؟ فأوحى الله تعالى اليه أن أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي بمقدار ما في الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل

وكذلك يحكى أن نبياً من أنبياء الله تعالى اجتاز نهراً فيه صبيان يلعبون وبينهم صبي مكفوف وهم يغوصونه في الماء ويولعون به وهو يطالبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويساوي بينه وبين الصبيان ، فلما رد الله بصره فتح عينيه فقرب الى واحد من اولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله ، وطلب آخر كذلك وهرب الباقون ، فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفيهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال : إني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمي وتعرضت في تدبيري لخلقي فتبين للنبي أن كلما يجري في العالم من أمثال هذه الأمور فلله تعالى فيه سر وتدبير وحكمة لا يعلمها إلا هو

وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهي وحدود ورسوم وأحكام ، والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكتمان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبراً ، وانما ذكرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لأن أكثر

الآراء والمذاهب تتشعب في هذه الامور المشكلة التي فكر فيها العلماء وطلبوا عللها ، فلما لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك إلا من عصمه الله وهدى قلبه وعرفه . كما قال : «ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء» وقالت الملائكة : «لا علم لنا الا ما علمتنا» وقوله : «ربنا وسعت كل كل شيء رحمة وعلما»

فصل

ثم اعلم أن الأمور المشكلة كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ولكن يجمعها كلها ثلاثة أنواع ، فنها ما هي أمور جسمانية طبيعية محسوسة ، ومنها ما هي أمور روحانية معقولة ، ومنها ما هي أمور رياضية متوسطة بين الجسمانية والروحانية فأما الأمور الجسمانية فثلاثة أنواع : منها ما هي ظاهرة جلية ، ومنها ما هي لطيفة دقيقة ، ومنها ما هي بين ذلك ـ وقد ذكرنا طرفاً من هذه الامور في رسائلنا الطبيعية وتكلمنا عليها في كل رسالة حسب ما يليق به ويقتصر غرضها

وأما الأمور الروحانية فهي تنقسم ثلاثة أنواع : فنها ما هي قريبة من الاوهام ومنها ما هي بعيدة لا يمكن الأفكار تصورها والأوهام تخيلها ، ومنها ما بين ذلك . وقد ذكرنا طرفاً من الامور الرياضية والالهية في رسائلنا العقليات

وهكذا حكم الامور الرياضية فانها ثلاثة أنواع : فنها ما هي قريبة من الأوهام يكفي أدنى تأمل فيها ، ومنها ما هي بعيدة جداً تحتاج الى تأمل شديد وبحث دقيق في تصورها ، ومنها ما هي بين ذلك . وقد ذكرنا طرفاً منها في رسائلنا الرياضيات

فهذه تسعة أنواع لا يخرج عنها شيء من الامور المشكلة المختلفة فيما بين العلماء . فأما فروعها فكثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى

ثم اعلم أن الله تعالى خلق لكل نوع من هذه العلوم والآداب أمة من الناس وجعل في جبلة نفوسهم محبة معرفتها ومكنهم من طلبها وتعلمها والبحث عنها والنظر فيها لتكون العلوم والاداب محفوظة عليهم لا تنقرض ، كما خلق لكل

صناعة وتجارة أمة من الناس وجعلها سبب معاشهم طول حياتهم في دنياهم لتكون كلها محفوظة باقية لحاجة الانسان اليها فى الدين والدنيا جميعاً

ثم اعلم أن العلوم والآداب تتفاضل كما أن الصنائع والتجارات والأعمال تتفاضل ، وأن أهلها يتفاضلون فيها . وأفضل كل أهل علم هم الراسخون فى العلم العارفون بأصوله وفروعه كما أن أفضل أهل الصناعة والتجارة هم الحذاق بها الاستاذون فيها

ثم اعلم أنه ليس كل علم وأدب يليق بكل إنسان أن يتعلمه ويتعاطاه ، ولكن أولى العلوم بكل انسان أن يتعلمه ما لا يسعه جهله وواجب عليه طلبه

فانظر ياأخي أولا بعقلك وميز ببصرك واختر من العلوم والآداب مالابد لك منه ، كما تختار من الاعمال والصنائع والتجارات مالابد لك منها

ثم اعلم أن الناس على طبقات كثيرة فى أحوالهم من الصنائع والاعمال والاخلاق والآراء والمذاهب والعلوم والمعارف لا يحصى عددها ولكن يحصرهم كلهم ثلاث طبقات : فمنهم العامة من النساء والصبيان والجهال ، ومنهم الخاصة من العلماء والحكماء البالغين فيها الراسخين ، ومنهم متوسطون بين ذلك .

ولكل طائفة من هؤلاء علم هو أولى بهم واليق : فالتي تصلح للخاصة لا تصلح للعامة والتي تصلح للعامة لا تصلح للخاصة ، ولكن الذى يصلح للخاص والعام وما بينهما من سائر الطبقات جميعاً من العلوم والمعارف والآداب هو علم الدين وآدابه وما يتعلق به من الاعمال .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أيدك الله أن علم الدين وآدابه وما يتعلق به نوعان : فمنها ظاهر جلى ومنها ماهو باطن خفى ، ومنها ماهو بين ذلك .

وأولى مايصلح للعامة من حكم الدين وآدابه ما كان ظاهراً جلياً مكشوفاً مثل علم الصلاة والصوم والزكاة والصدقات والقراءة والتسبيح والتهليل وعلم

العبادات ، ومثل علم الاخبار والروايات والقصص وماشا كلها تعليما وتسليما وإيمانا

وأولى علوم الدين بالمتوسطين بين الخاصة والعامة هو التفقه في احكامها والبحث عن السيرة العادلة والنظر في معاني الالفاظ مثل التفسير والتنزيل والتأويل والنظر في المحكمات والمتشابهات وطلب الحجة والبرهان وأن لا يرضى من الدين تقليداً إذا كان يمكنه الاجتهاد ودقة النظر .

والذي يصلح للخواص البالغين فى الحكمة الراسخين في العلوم من علم الدين أن يطلبوه ويليق بهم أن ينظروا فيه ويبحثوا عنه هو النظر في أسرار الدين وبواطن الامور الخفية وأسرارها المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون من ادناس الشهوات وارجاس الكبر والرياء وهي البحث عن مرامى أصحاب النواميس في رموزهم وإشاراتهم اللطيفة المأخوذة معانيها عن الملائكة وما تأويلها وحقيقة معانيها الموجودة في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف الانبياء عليهم السلام من الاخبار عن بدء كون العالم وخلق السموات والارض في ستة أيام، ثم استوى على العرش وخلق آدم الاول الترابى و أخذ الميثاق عليه وعلى ذريته ، وعتاب الملائكة لربها ومراجعتها اياه في الخطاب وسجودهم لآدم عليه السلام وعصيان أبليس واستكباره عن السجود ، وماشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى وما شا كل هذه الاشارات والمرامى عن أمور قد مضت مع الزمان وانقضت مع الايام ، وما ينتظر فى المستقبل كالمكث في البرزخ والبعث والقيامة والحشر والنشر والميزان والوقوف على الاعراف والجواز على الصراط ودخول الجنة وما نعيمها وكيفية لذاتها وماهية دركات النيران وعذاب أهلها وماشا كل هذه الامور المذكورة في كتب الانبياء عليهم السلام.

وأما حقائق معانيها فقد بينا طرفا من هذه العلوم والمعارف في رسائلنا الناموسية الالهية.

ثم أعلم أن رجال هذه الطبقات الثلاث المقدم ذكرها متفاوتو الدرجات في علومهم ومعارفهم ، فان استوى أن تكون في أعلى المراتب وأعلى الدرجات فلا ترضى

لنفسك بالدون واجتهد في الطلب فان الذين هم فوقك قد كانوا وليست هذه مراتبهم ، ثم اجتهدوا في الطلب وبلغهم الله كما وعد فقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »

فصل

ثم اعلم أن أشرف العلوم وأجل المعارف هي معرفة الله وصفاته اللائقة به وأن العلماء قد تكلموا في ماهية ذاته وأكثروا القيل والقال في حقيقته وصفاته وتاه أكثرهم في العجاج عن المنهاج ، والفلح والعلة في ذلك هو من أجل أن هذا المطلب من أبعد المرامي إشارة وهو أقرب المذاهب وجداناً كما قال تعالى ، وضرب لهذه المعاني مثلا فقال : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية .

ثم اعلم أنه لم يفت من فاته وجدانه من أجل خفاء ذاته ودقة صفاته وكتمانها ولكن من شدة ظهوره وجلالة نوره وإنما ذهب على من ذهب معرفة ذاته وحقيقة صفاته من أجل أنهم طلبوه كطلبهم سائر الاشياء الجزئية المحسوسة وبحثوا كبحثهم عن سائر الموجودات الكليات المبدعات المخترعات المصنوعات الكائنات من الجواهر والاعراض والصفات الموصوفات المحتوية عليها الاماكن والازمان والأكوان من الاشخاص والانواع والأجناس .

وذلك أن كل واحد من هذه الموجودات يطلب فيه ويبحث عنه بتسعة مباحث : وهي هل هو ؟ وماهو ؟ وكم هو ؟ وكيف هو ؟ وأي هو ؟ وأين هو ؟ ومتى هو ؟ ولم هو ؟ ومن هو ؟

ثم اعلم أن مبدع الهويات وممهي الماهيات وموجد الكميات ومكيف الكيفيات ومميز الأينيات ومرتب الانينات وعلة اللميات لا يقال له ماهو ولا يسأل عنه كيف هو ؟ وكم هو ؟ وأي هو ؟ وأين هو ؟ ومتى هو ؟ ولم كان ؟ وانما يجوز ويسوغ فيه وعنه من هذه المباحث وسؤالات اثنان حسب وهما : هل هو ؟ ومن هو ؟ كما يقال هو الذي فعل كيت وكيت ، هو الذي وضع كيت وكيت ،

ومن أجل هذا أجاب موسى عليه السلام فرعون إذ سأله مارب العالمين فلم يجبه موسى عن جواب (ما) بل أجاب عن جواب (من) الذي يليق به وبربوبيته فقال « رب السموات والارض ومابينهما » فلم يرض فرعون الجواب فقال لمن حوله من الناس المتكلمين : « ألا تستمعون ؟ » أسأله (ماهو ؟) ويجيبني (من هو ؟) وكذا سأل مشركو قريش ومجادلوهم النبي عليه السلام فقالوا نعبد أصنامنا وآلهتنا ونحن نراها ونشاهدها ونعرفها فأخبرنا عن إلهك الذي تعبده ماهو ؟! فأنزل الله تعالى قوله : « قل هو الله أحد » فقالوا : لايفهم ولايعرف! يريدون ماهية ذاته أجوهر هو أم عرض ؟ أنور هو أم ظلمة ؟ أجسم هو أم روح ؟ أداخل هو أم خارج ؟ أقائم هو أم قاعد ؟ أفارغ هو أم مشغول ؟ وماشاكل هذه المباحث والمطالب التي لاتليق بربوبيته ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فصل

ثم اعلم أن مسئلة الخلاف للذات والصفات هي أيضاً من إحدى المسائل الخلافية بين العلماء في الآراء والمذاهب ، وذلك أن كثرة الظنون والتخيلات العارضة للأفهام إذا تفكرت النفوس في ماهية الله وكيفية صفاته اللائقة فلا تهتدي الظنون ولا تقر الافهام عن الجولان ولا تسكن النفوس اليه ولا تطمئن القلوب له حتى يعتقد الانسان رأياً من الآراء وتسكن نفسه اليه ويطمئن قلبه به

فمن الناس من يرى ويعتقد أن الله تعالى شخص من الاشخاص الفاضلة ذو صفات كثيرة ممدوحة وأفعال كثيرة متغايرة لايشبه أحداً من خلقه ولايماثله سواه من بريته ، وهو منفرد من جميع خلقه في مكان دون مكان . وهذا رأي الجمهور من العامة وكثير من الخواص

ومنهم من يرى ويعتقد أنه في السماء فوق رءوس الخلائق جميعاً

ومنهم من يرى أنه فوق العرش في السموات وهو مطلع على أهل السموات

والارض وينظر اليهم ويسمع كلامهم ويعلم مافي ضمائرهم لايخفى عليه خافية من أمرهم

واعلم أن هذا الرأي والاعتقاد جيدللعامة من النساءوالصبيانوالجهال ومن لايعلم شيئاً من العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والالهية ، لانهم اذا اعتقدوا فيه هذا الرأى تيقنوا عند ذلك وجوده وتحققوا وعلموا وصاياه التى جاءت بها الانبياء عليهم السلام من الاوامر والنواهي وعلموا علمها وعملوابها خوفاً ورجاء من الوعد والوعيد وتجنبوا الزوروالشرور وعملوا الخير والمعروف وكان فيذلك صلاح لهم ولمن يعاملهم ويعاشرهم من الخاص والعام وليس يضر الله شيئاً مما اعتقدوه .

ومن الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء فى العلوم والمعارف ترى بأن هذا الرأى باطل ولاينبغى أن يعتقدوا فى الله تعالى أنه شخص يحويه مكان بل هو صورة روحانية سارية في جميع الموجودات حيث ما كان لايحويه مكانولازمان ولايناله حس ولاتغيير ولاحدثان ، وهو لايخفى عليه من أمر خلقه ذرة في الارضين والسموات يعلمها ويراها ويشاهدها في حال وجودها وكان يعلمها قبل كونها وبعد فنائها .

ومن الناس طائفة أخرى فوقهؤلاء فىالعلوموالمعارفوالعقل ترى وتعتقد أنه ليس بذى صورة لان الصورة لاتقوم الا فى الهيولى بل ترى أنه نور بسيط من الانوار الروحانية « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار »

ومن الناس ممن فوق هؤلاء فىالعلوموالمعارفوالنظروالمشاهد يرى ويعتقد أنه ليس بشخص ولاصورة بل هوية وحدانية ذو قوة واحدة وأفعال كثيرة وصنائع عجيبة لايعلم أحد من خلقه ماهو ، وأينهو ، وكيفهو ، وهوالفائض منه وجود الموجودات وهو المظهر صور الكائنات في الهيولى المبدع جميع الكيفيات بلازمان ولامكان ، بل قال : كن فكان ، وهو موجود في كل شيء

من غير المخالطة ، ومع كل شيء من غير الممازجة ، كوجود الواحد في كل عدد . كما وصفنا في رسالة المبادىء

ثم اعلم أن الله تعالى جعل بواجب حكمته في جبلة النفوس معرفة هويته طبعاً من غير تعلم ولا اكتساب لتكون تلك المعرفة داعية لها ومؤدية إلى طلب ماهيته ومعرفة آنيته ، وليكون طلبها في هذه المعارف داعية لها ومؤدية إلى أحكام جميع العلوم والمعارف الالهية والطبيعية والرياضية والعقلية والحسية حتى إذا أحكمت هذه العلوم والمعارف عرفه عند ذلك حق معرفته وسكنت إليه واطمأنت وثبتت معه ونالت السعادة القصوى التى هى سعادة الآخرة

ثم اعلم أن السعادة نوعان : دنيوية ، وأخروية والسعادة الدنيوية هى أن يبقي كل شخص في هذا العالم أطول مايمكن على أحسن حالاته وأكمل غاياته ، والسعادة الاخروية أن تبقي كل نفس بعد مفارقتها الجسد إلي أبد الآبدين على أتم حالاتها وأكمل غاياتها

ثم اعلم أن أحسن حالات النفوس أن تكون عالمة بالامور الالهية عارفة بالمعارف الربانية ملتذة بها مسرورة فرحانة منعمة أبد الآبدين خالدة سرمدية كما قال الله تعالى « فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » وقال عليه السلام « فيها مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر »

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن مسئلة الصفات هى أيضاً من احدى مسائل الخلاف بين العلماء ولكن من المسائل ماهى فروع مبنية على أصل : فمن ذلك قول القائلين بخلق القرآن فان هذا الحكم مبنى على أن الكلام إنما هو حروف وأصوات يحدثها المتكلم فى الهواء فعلى هذا الاصل يجب أن يكون القرآن مخلوقاً ، وأما على أصل من يرى أن الحروف والاصوات إنما هى سمات وآلات والكلام انما هو تلك المعانى التى في أفكار النفوس ، فعلى هذا الاصل يجب أن لايكون القرآن مخلوقاً

لان الله تعالى لم يزل عالما بتلك المعاني التي هي في علمه ، وتلك المعـاني لم تزل معلومة له . ومنهم من يرى أن كلام كل متكلم فهو إفهامه غيره معنى من المعاني بأي لغة وأي عبارة وأي إشارة كانت ، فكلام الله لجبريل عليه السلام هو إفهامه تلك المعاني ، وكذلك جبريل عليه السلام لمحمد ، وكذلك محمد لأمته ، وأمته بعضهم لبعض وكلها مخلوقة

فاما افهام الله لجبريل عليه السلام فليس بمخلوق لان افهام الله ابداع منه ، والابداع غير المبدع ، كما أن العلم غير العالم وغير المعلم . وكثير من هؤلاء المجادلة لا يعرفون الفرق بين المخلوق وبين المبدع ولا بين الخالق والابداع

ثم اعلم أن الخلق هو إيجاد الشيء من شيء آخر كما قال الله تعالى « خلقكم من تراب »

وأما الابداع فهو ايجاد الشيء من لاشيء ، وكلام الله هو إبداع أبدع به المبـدعات كما قال : « انما قولنا لشيء إذا أردناه أي أبدعناه — أن نقول له كن فيكون »

والمكونات انما تتكون بقوله ، كن ، فكن بأي شيء يتكون ان كان مخلوقا على زعم هؤلاء المخالفين

ثم اعلم ان اختلاف العلماء في معلومات الله لم تزل أيضاً من احـدى أمهات المسائل للخلاف .

وذلك أن منهم من يرى ويعتقد أن معلومات الله لم تزل هي أشياء في القدم جواهر أو أعراض ، لان الشيء عندهم هو الذي يخبر عنه ويعلم : فقد علم الله الاشياء قبل أن أخرجها من العدم الى الوجود واخترعها . وهـذا رأي بعض القدماء وبعض متكلمي أهل هذا الزمان

ومن العلماء من يرى ان الله لم يزل عالماً بانه لاشيء سواه وكان عالما بانه سيخلق الاشياء ويجعلها جواهر أو أعراضاً ، ويؤلفها على ماهي عليه الآن ثم فعل كما علم. وأما مسألة المشيئة والارادة فهي أيضاً من إحدى مسائل الخلاف وأمهاتها

بين العلماء : وذلك أن منهم من يرى أن في علم الله تعالى أشياء لايريدها هو ولا يشاؤها البتة وهي الشرور والعصيان والمنكر .

ومنهم من يرى ويعتقد بانه لايجوز أن يكون في علم الباري أشياء لايريدها هو مع قدرته على تغييرها وعلمه بكونها شراً كان أوخيراً .

ومنهم من يرى أن الله تعالى لايوصف بالارادة والمشيئة الا على سبيل المجاز وانما يوصف الباري تعالى بالعلم ، وماعلمه بأنه سيكون فلابد من كونه ، كونه هو أو كونه غيره .

وماعلم بانه لايكون فلا يكونه هو وعباده ، فالارادة لايحتاج اليها ولا معنى لها لان الارادة يوصف بها من لايدري هل يكون الشيء أم لا ، فان اختار أراد أن يكون ، وإن لم يختر فلا يريد أن يكون .

فعلى هذا الأصل كانا الطائفتين الخائضتين في إرادة الله ومشيئته على غير تحقيق ، بل على سبيل المجاز .

وأما احتجاج من يزعم ويقول : اذا كان لايقع من العباد ماأمروا به ونهوا عنه إلا بما قد سبق العلم به أن يكون أو لايكون فالامر والنهي والوعد والوعيد والمدح والذم لماذا ؟ وما وجه الحكمة فيها فليعلم قائل هذا القول بأن اللوم والذم ليس يلزم العبد من أجل وقوع المعلوم منه بل من أجل تركه الاجتهاد بما أمر به أو نهي عنه .

فاذا اجتهد العبد ووقع المعلوم منه فهو ممدوح مستوجب للوعد والثناء عليه واذا اجتهد العبد ولم يقم المأمور به أو وقع المنهي عنه فهو معـذور يستحق العفو والغفران من اجل اجتهاده

ثم اعلم أن الله تعالى أمر أيضاً بالتوبة والندامة والاستغفار ، وهي أيضاً طاعة الله والدين . ويستحق العبد الثواب والجزاء . والتوبة والندم والاستغفار لايكون إلا بعد الذنب .

وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : « لولا أن بنى آدم إذا أذنبوا تابوا فيغفر لهم الله لخلق الله تعالى خلقاً جديداً أذنبوا وتابوا فيغفر لهم»

ثم اعلم أن الله تعالى انما يمن ويتفضل على عبيده بالعفو والمغفرة إذا أذنبوا كما من عليهم بالعصمة والتوفيق واللطف فى الطاعة كما قال تعالى : « قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » تعالى وقال : انه لاييأس من روح الله (١) » وقال : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ».

ثم اعلم أن من أفقه الفقهاء وأحكم الحكماء من كان يحسن أن يعظ الناس ويدعوهم الى الله ويهديهم اليه ويزهدهم فى الدنيا ويرغبهم في الآخرة ويخوفهم سخط الله فلا يؤيسهم من روحه ويحذرهم الله ولايقنطهم من رحمة الله ويحسن أن يصف لهم فضل الله واحسانه ورحمته ولا يرخص لهم معصيته ولا ترك طاعته لأن ذلك يكون استجراء على الله لااتكالا على رحمته ، بل يقيمهم بين الرجاء والخوف وبين الرغبة والرهبة الي يوم يلقونه فيفعل بهم مايشاء ويحكم فيهم مايريد لاراد لحكمه ولامعقب لقضائه، فعال لما يريد.

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن من الآراء والمذاهب والاعتقادات ماهى مؤلمة لنفوس معتقديها معذبة لقلوبهم وهي الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة ، ومنها ماهى ملذة لنفوس معتقديها مفرحة لقلوبهم وهي الآراء الصالحة والاعتقادات الجيدة

ثم اعلم أن الآراء الفاسدة كثيرة لايحصى عددها — ولكن نذكر منها طرفاً ليعرف القياس بها ويحذر منها ومن أمثالها .

فمن ذلك رأى من رأى واعتقد أن العالم قديم لا صانع ولا مدبر له وأن هذا الرأي مؤلم لنفوس معتقديه معذب لقلوبهم ، وذلك انه لايخلو من أن يكون صاحب هذا الرأي سعيد أهل الدنيا أو من أشقيائهم، فان كان من سعدائهم فانه

(١) تتمة الآية : الا القوم الكافرون

لايدري من أين له هذا وما هو فيه ولا يدرى من أعطاه ذلك ليشكر له ويطلب منه المزيد ويرجو منه خيراً مما أعطى اما من الدنيا واما في الآخرة ؛

وقد علم يقينا أن الذى هو فيه من النعمة ورغد العيش لايدوم له وانه مفارقه على رغمه مع شدة محبته للبقاء فيما هو فيه من النعمة ورغد العيش ومع شدة شهواته لدوام تلك النعمة عليه ، كلما ذكر الموت والفناء نغص عليه شهواته ويمر الموت عليه لذاته فيعيش طول عمره خائفاً من الموت وجلا من الفناء مشفقاً من الهلاك ، ثم يموت على رغم وحسرة وندامة لايرجو بعد الموت خيراً ، ولا يؤمل بعد الفراق معاداً ولا ثواب عمل ولا جزاء احسان

فهذه حاله فى الدنيا فأمافى الآخرة فالحسرة والندامة والويل الطويل والخسران المبين وتمنى الرجعة وقد حيل بينه وبين مايشتهي .

وان كان من أشقيائهم فهو أسوأ حالا وأمر عيشاً وأشر سيرة من غيره ، وذلك أنه يفنى عمره كله بجهل وعناء وتعب وشقاء فى طلب مالم يقدر له وهو لايدري أن طلبه لايزيد فى رزقه شيئا أولا يدرى أن الذى أعطاه ماأعطاه ومنعه مامنعه من هو ! فيطلب منه فيسأله ويرجوه ويؤمل منه خيراً عوضاً عما فاته فى وقت آخر ! فهو بجهله بربه يعيش طول عمره مغتما حزيناً ضجراً لما رأى أنه فاته ماوجد غيره ، ثم يموت بحسرة وغصة وندامة لايرجو بعد الموت خيراً ولا بعد الفراق ثواب عمل ولا جزاء احسان « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »

ومن الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها المعذبة لهم رأى من رأى واعتقد أن للعالم صانعين : أحدهما خير فاضل ، والآخر شرير رذل ، وهما متجاوران مختلطان أو متباينان متنازعان كل واحد مخالف للآخر فى شيء أو أشياء . طول الدهر كل واحد فى جهد وعناء وبلاء من صاحبه يريد غلبته والخلاص منه ، فمن يعتقد مثل هذا الرأى فهو لا يدرى أين ذلك الخير الفاضل فيطلبه ويأوى اليه ويصيره فى خيره ؟ وأين ذلك الشرير فيعرفه ويهرب

من عذابه ويتخاص من شره وينجو من جوره ؟ فهو يعيش طول عمره حيران متبلبلا مؤتلمة نفسه معذبا قلبه وجلا خائفا لا يدرى كيف وجه الخلاص مما هو فيه ولا كيف وجه النجاة من المنقلب .

ومن الآراء الفاسدة الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها رأى من يرى ويعتقد أن العالم محدث مصنوع وله صانع واحد حكيم ، ولكن لايرى البعث والنشور والقيامة ولا الحشر والحساب ولا لقاء ربه ! فمن يعتقد هذا الشأن فهو يرجو الوصول الى الآخرة ولا يؤمل ثواب العمل ولا جزاء الاحسان ، فيكون حال من يعتقد هذا الرأى وحكم نفسه فى آلامها وعذابها وعذاب قلبه كحكم من يعتقد بان العالم قديم ولا صانع له — كما تقدم ذكره ، واليه أشار بقوله تعالى: « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » رداً عليهم قولهم .

ثم اعلم أن أسوأ الناس حالا ورأيا وأشرهم اعتقاداً من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو الآخرة ولا يخاف العاقبة ، وذلك أنه يفنى عمره كله فى طلب الدنيا واصلاح أمر المعاش لجر منفعة الى جسده أو دفع مضرة عنه أو نيل شهوته أو الوصول الى لذة متمنيا للخلود فى الدنيا مع علمه ويقينه أنه لايدرك فيها ولايبقى هو له وأنه لا بد من الموت ثم لايرجع ولايرجو بعدالموت ثواب عمل ولاجزاء احسان بل يموت بحسرة وندامة آيساً ممايرجوه المؤمنون قنوطا ممايؤمله العارفون من الخيرات والنعيم واللذات .

ثم اعلم أن الله تعالى ، بواجب حكمته ، جعل في طبع النفوس محبة الوجود والبقاء أبداً سرمداً وجعل فى جبلتها كراهية العدم وبغض الفناء ، ثم منعها ذلك فى الدنيا لكي تركن اليها وتسكن فيها وتطمئن بها لا لكون النفوس فى هذه الدنيا حال نقص دون التمام ، وكونها فى الآخرة حال تمام وكمل ، والبقاء على حال التمام والكمال أفضل وألذ وأشرف ، كما أن حال الأجساد فى الأرحام حال نقص من التمام ، وحالها بعد الولادة حال تمام وكمل ، لا يخفى هذا على العقلاء .

ثم اعلم أنه لا يمكن الوصول الى حال التمام والكمال فى الدنيا الا بعد تقدم

حال النقص فى الرحم والجواز عليه ، فهكذا حال النفوس فى الدنيا يشبه حال الأجساد فى الأرحام وحال النفوس بعد مفارقتها الاجساد يشبه حال الاجساد بعد مفارقتها الأرحام ، لان الموت ليس شىء سوى مفارقة النفس الجسد ، كما أن الولادة ليس شىء سوى مفارقة الجسد الرحم — كما بينا فى رسالة حكمة الموت

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن العلماء إذا قالت قولا على حكومة ما فهي مقدمة لها نتيجة فقولهم إن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا يعنون بهذا القول أنه ليس شىء من الأشياء الموجودة فى العالم إلا بحكمة ما عرفت أو لم تعرف ، فشهوة النفوس البقاء أبداً وكراهيتها الفناء ليست إلا بحكمة ما ، فلو لم يكن للنفوس بقاء بعد مفارقة الاجساد لكان وجود هذه الشهوة فى جبلتها وكراهية الفناء فى طباعها باطلا لأن البقاء في الدنيا أبداً ليس بموجود لشخص من الاشخاص الحيوانية البتة — فاذاً البقاء بعد الفناء .

ثم اعلم أن ذكرنا هذه الحكومة فى هذا الفصل هو من أجل أنه ليس من علم بعد معرفة الباري تعالى أشرف وأجل وأنفع للنفوس من معرفة حقيقة أمر المعاد والنشأة الآخرة ، فليس للنفوس طريق أفضل وأجود الى معرفة أمر المعاد من معرفتها ذاتها وعلمها بجوهرها وصفاتها اللائقة بها : وهو أن تعلم كل نفس بانها جوهرة روحانية حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع وأنها باقية بعد مفارقة الجسد إما ملتذة مسرورة فرحانة وإما مغتمة خاسرة — كما بينا فى رسائلنا وكما ذكر الله تعالى في نحو من تسع مائة آية في القرآن

﴿ فصل ﴾

وأيضاً من الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها رأي من يرى أن بارئه وإلهه روح القدس الذي قتلته اليهود وصلبت ناسوته وذهب لاهوته لما رأى ما نزل بناسوته من العذاب فتركه مخذولا

ثم اعلم أن هذا الرأي والاعتقاد يكسب صاحبه غيظاً على القاتل وحنقاً وعلى المقتول حزناً وغماً ثم يبقى طول عمره متألمة نفسه معذباً قلبه مشتهيا للانتقام من عدوه ثم لا يظفر بشهوته ويموت بحسرته وغصته . وهكذا أيضاً حكم من يرى ويعتقد أن الامام الفاضل المنتظر الهادي مختف لا يظهر من خوف المخالفين .

واعلم أن صاحب هذا الرأي يبقى طول عمره منتظراً لخروج إمامه متمنيا لمجيئه مستعجلا لظهوره ثم يفنى عمره ويموت بحسرة وغصة لا يرى إمامه ولا يعرف شخصه من هو كما ذكر الشاعر :

ألم تراني مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات

ثم اعلم أن أمثال هذه الآراء الفاسدة والمذاهب والاعتقادات كثيرة لا يحصى عددها الا الله ، وانما ذكرنا منها طرفا ليعلم أنها كلها مؤلمة لنفوس معتقديها وهو جزاءها وعقوبة لاشتغالهم بغير الله وتركهم لذكر الله ، كما قال تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . يعني تركوا ذكر الله وتركوا طاعته واشتغلوا بذكر غيره وطاعة من سواه فتركهم معهم معذبة قلوبهم ومؤلمة نفوسهم كما ذكر الله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

ثم اعلم ان هذه الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة في الله تعالى وصفاته وأحكامه وآدابه نيران ملتهبة في نفوس معتقديها وحرقات مشتعلة في قلوبهم مؤلمة لها الى وقت معلوم ومعذبة لها الى أجل معدود ، كما قال : « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة » .

ثم اعلم أنه لا يصل الى معرفة الله تعالى أحد من الناس الا بعد جوازه على الآراء الفاسدة إما في أيام صباه أو بعد ذلك ثم الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم من نفي الشرك وينجيه منها كما وعد فقال « وان منكم الا واردها » .

واعلم أن أهل الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة طائفتان : أحداهما شياطين الانس ، فشياطين الانس هم أهل الآراء الفاسدة الظاهرة التي ألفوها وأنسوا بها ، وشياطين الجن هم أهل الآراء الفاسدة الباطنة التي أسروها واستجنوا

بها واخوانهم وأتباعهم وتلامذتهم وشيعتهم الذين يقتفون آراءهم ويسلكون مناهجهم .

واعلم أنه كلما مضت طائفة منها وانقرضت وبليت أجسادهم ألحقت نفوسها بنفوس من مضى قبلها من رؤسائها ومعلميها وأستاذيهم من القرون الماضية ، ثم خلفتها أخرى على سننها ومنهاجها . وهكذا دأبهم الى يوم القيامة كما قال تعالى « حتى اذا جاءهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » يسألهم ملك الموت وأعوانه « قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس» واخسئوا بالعذاب وعلموا أنهم كانوا ظالمين

فعند ذلك قالت أخراهم لأولاهم يعني أتباعهم وتلامذتهم المتأخرين لأولاهم يعني لرؤسائهم المتقدمين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وآيات كثيرة في حق هؤلاء وخطاب بعضهم بعضا كيف يكون في جهنم وهي طبقات النيران ودركاتهم

ثم اعلم أن في النفوس لمعتقدي الآراء الفاسدة وعذاب قلوبهم حكمة جليلة وخصال عدة فمنها أن تكون تلك الآلام والعذاب كفارة لذنوبهم وتمحيصا لسيئاتهم ، وأخرى أن تكون رياضة لنفوسهم وترقية لها من الحالات الادون الى الأتم والأكمل ، لأن الدنيا دار رياضة وبلوى ومحنة وتجربة واعتبار ، والأخرى أن يتبين لهم فضل الله ونعمته ورحمته واحسانه اذ نجاهم منها وهداهم الى صراط مستقيم ، كما فرض على أهل الدين دين الاسلام في كل يوم وليلة سبع عشر مرة أن يقولوا : « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخره — وكما حكي عنهم قولهم لما اهتدوا « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله»

ثم انظر وتأمل كيف نسبواهم الهداية اليه ونسب هو الخير والثواب والجزاء الى أعمالهم

فصل

واعلم ان الله جعل فى جبلة الانسان وطبيعته ألا يأتمر أحد من العقلاء لغيره ولا يطيعه الا رغبة أو رهبة

واعلم أن المرغوب والمرهوب نوعان عاجل وحاضر ، وآجل غائب ، والعاجل الحاضر هو ما تشاهده الحواس ، والآجل الغائب هو الذي لا تشاهده الحواس. ولكن قد تصوره الأوهام بالوصف والنعت

واعلم ان الغائب الآجل لا تقع الرغبة والرهبة اليه ومنه إلا بالوعد والوعيد الصادق من العالم القادر ، وكلما كان المرغوب أشد عند الراغب وأقرب تحقيقاً كانت الرغبة اليه أوكد وأشد ! وهكذا حكم المرهوب منه . وقد رغب الله تعالى خلقه من الجن والانس فى نعيم الجنان وجعل الوعد للمؤمنين ، ورهبهم أيضاً من عذاب النيران ، وجعل الوعيد أيضا للكافرين والاشرار وجعل ميعادهم يوم يلقونه . إما في الدنيا قبل الممات وإما فى الآخرة بعد الممات والفراق وبعث اليهم الرسل والشهداء والانبياء الصادقين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وذكر فيه الوعد والوعيد وضمن وأقسم وحلف كما قال الله تعالى « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » وقال « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات » ثم أقسم تعالى وحلف على تحقيق وعده فقال « فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ثم قرب فقال « وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب»

ولكن من أجل أن موعده غائب عن ادراك الحواس صار أكثر الناس له منكرين وفيه شاكين وفى ماهيته وآنيته ومتى وقته متحيرين ، كما أخبر عنهم بقوله : «هيهات هيهات لما توعدون» «لقد وعدنا نحن وآباءنا من قبل ».

وأما المؤمنون فهم مقرون بمواعيده منتظرون لها ولكن من الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة ربما ترد على قلوب المقرين شكوك وحيرة وانكار ! من

ذلك من يرى ويعتقد أنه لا يجازى ولا يكافأ على احسانه وسيئاته الا في الآخرة بعد الموت ، أو يرى ويعتقد أنه لا تكون الآخرة الا بعد خراب الأرضين والسموات .

وهذا الرأى والاعتقاد يبعد عن صاحبه طريق الآخرة ويقلل رغبته فى ثواب أعماله وجزاء احسانه ويقلل رهبته وخوفه من عقوبات سيئاته — واليه أشار بقوله : « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » . وبقوله : « أولئك ينادون من مكان بعيد » . وهكذا رأى من يعتقد أن الجنة التى وعد المتقون ليست بموجودة ، وكذلك النار التى حذر الله عباده منها ليست بموجودة ، ومثل هذه الآراء والاعتقادات وأمثالها تشكك معتقديها فى الوعد وتقلل رغبتهم فيه ، وهكذا حكمهم في الوعيد والرهبة منه ، وهكذا أيضا رأى من يرى ويعتقد أن أولياءه وأمناءه ورسله وأهل جنته لا يرونه ولا يدرون رتبته ، وماهو أن هذا الرأى يؤيس من روح الله ، وهكذا رأى من يعتقد أن الله لا يغفر الذنوب ولا يعفو عن السيئات والخطأ ، وهذا يقنط من رحمة الله تعالى ، وهذا أيضاً وما شاكل هذه الآراء المقللة للرغبة والرهبة في نعم الجنان وعذاب النيران .

ومن الآراء الفاسدة أيضاً رأى من يعتقد الترخيص في الشبهات والاباحة فى المحظورات المحرمات فان صاحب هذا الرأى يكسبه اعتقاده جرأة على الله وتعديا لحدوده وارتكاباً لمحارمه ويكون صاحبه فى السر مخالفاً لابناء جنسه ومنافقاً مرائياً لا يصدق في معاملته ولا يفى بعهده ولا ينصح في أمانته ، وفي مثل هذه الخصال فساد الدين والدنيا جميعاً.

ومن الآراء الفاسدة أيضاً رأى من يرى ويعتقد من يعتقد أن الله الرحيم الرؤوف الحنان يعذب الكفار والعصاة في خندق في النار غيظا عليهم وحنقا ، وكلما احترقت أجسادهم وصارت فحما ورماداً عادت فيها الرطوبة والدم لتحرق مرة ثانية .

واعلم يا أخي أن هذا الرأى يسيء ظن صاحبه بربه ويعتقد فيه قلة الرحمة وشدة القساوة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الآراء الفاسدة أيضاً أنه يرى بأن أهل الجنة أجسادهم لحمية وأجسامهم طبيعية مثل أجساد أبناء الدنيا قابلة للتغيير والاستحالة متعرضة للآفات . فاذا تأمل ماوصف الله تعالى في صفات أهل الجنة لايمسهم فيها نصب ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وانهم خالدون وما شاكل هذه الأوصاف المذكورة في القرآن التى لاتليق بالاجساد اللحمية والاجسام الطبيعية

واعلم أنه لا يليق بالعقلاء أن يعتقدوها فضلا عن عقول الحكماء بل النساء والجهال والصبيان جيدلهم ، فان هذا الرأى يليق بأفهامهم ويصلح لهم ويقرب من عقولهم ماوعدوا به ويوعدون من نعيم الجنان ، ورهبتهم من عذاب النيران ويزيدهم خوفا من سوء أفعالهم فيتركونها ويقوى رجاؤهم لثواب أعمالهم . وعليكم بدين العجائز لائق في هذا المقام لا في مقام آخر .

وأما من رزقه الله قليلا من التمييز والعقل والفهم ونظر في علوم الحكمة فان هذا الرأى لا يصلح له ولا يليق به لأنه اذا عرضه على عقله أنكره عليه فيقع عند ذلك في شك وحيرة وسوء ظن وتخيلات فاسدة .

ثم اعلم أن أسوأ الناس مذهبا وأشنعهم رأيا من يعتقد أمراً ويكون عقله منكرا عليه ونفسه مرتابة وظنه سيئا بربه كما قال : « ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » الآية .

ومن الآراء الفاسدة من يعتقد أن الله خلق خلقا ورباه وأنماه وأنشأه وسلطه وقواه على عباده متمكنا في بلاده ، ثم ناصبه بالعداوة والبغضاء وهو إبليس وجنوده من الشياطين وهم يفعلون مايريدون على رغم منه ! وهو الجاعل لهم المشيئة والارادة والعداوة والاستطاعة وطول العمر والمهلة وسعة الرزق والنعمة .

فان صاحب هذا الرأى اذا فكر في أمر ابليس وجنوده وما نسب اليه من

السرور وما يعتقده من مخالفتهم لله وعداوتهم ، فانه امتلأ منهم غيظاً وحقداً عليهم وناصبهم العداوة والبغضاء حتى إنه لو أمكنه قتلهم كلهم أو قدر على قطع أرزاقهم فعل من شدة غيظه عليهم ، وإذا لم يقدر على ذلك بقي طول عمره مغتاظاً مغتما متألماً نفسه معذباً قلبه حتى إنه ربما فكر في خلق الله لهم وتربيته إياهم وسعة رزقه عليهم وتمكينه لهم فيما يفعلون وإمهاله لهم ، عاتب ربه في الضمير وخاصمه في السر ويقول : لم خلقهم ولم رباهم ورزقهم ولم مكنهم وسلطهم ولماذا ولم وكيف؟ وماشاكل هذه الوساوس والظنون الموبقة المؤلمة لنفوس المعترضين على الله في تدبير خلقه وانفاذ مشيئته وإجرائه المعلوم على ما كان في سابق علمه

فصل

واعلم أن ذكرنا لهذه الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة المؤلمة لنفوس معتقديها لتعرف وتكون دليلا على أن هاهنا رأيا ملذاً لنفوس معتقديه مفرحا لقلوبهم مبشرا لارواحهم وهو رأي أولياء الله واعتقاد الخواص من عباد الله الصالحين ومذهب الربانيين الذين أسلموا لربهم ولم يشركوا معه غيره لاسرا ولا علانية وهم الذين صفت قلوبهم عن درن الشهوات الجسمانية وطهرت أخلاقهم من العادات الرديئة واضمحلت عن ضمائرهم الآراء الفاسدة وصانوا جوارحهم عن الاعمال السيئة وألسنتهم عن الفحشاء والمنكر وأخلصوا سرائرهم مع الله ولم يعترضوا عليه في شيء من تدبير خلقه سرا وعلانية فأصلح الله قلوبهم وزكى نفوسهم وطهر أخلاقهم فهم لا يضمرون لاحد من خلق الله سوءا ولا يرون لهم على أحد فضلا ، صالحوا الخلق سرا وجهرا كما وصفهم الله تعالى بقوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » الآية فهم يمشون على الارض بأجسادهم ونفوسهم متعلقة بالمحل الاعلى

ذلك أنهم لما عرفوه تركوا كل شيء سواه واشتغلوا به وبذكره ، وأحسنوا إن الله لمع المحسنين « وما على المحسنين من سبيل » وسئل النبي عليه السلام ما

هذا الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » كيف لا يراه أولياء الله ولا يشاهده أصفياؤه وهم معتقدون متحققون بقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم » الآية وبقوله « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » وقوله : « واصبر لحكم ربك فأنك بأعيننا » وقوله « انني معكما أسمع وأرى » وقوله « وهو معكم أينما كنتم »

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أنه ليس من لذة النفوس ولا سرور الارواح ولا فرح القلوب ألذ وأروح من روح نور ترد اليقين في قلوب أولياء الله بما وعدهم من يوم يلقونه من نعيم الجنان وما يرجونه من نيل الثواب وجزيل العطاء من الآخرة وما يجدونه في نفوسهم من شدة الشوق الى رؤيته لشدة محبتهم اياه وكثرة ذكرهم احسانه كما قيل جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها . وقال « والذين آمنوا أشد حبا لله » . وقد وبخ الله من يحب غيره وذمهم بقوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله »

ثم اعلم أن هذه اللذة التي وصفنا أن قلوب أولياء الله تجدها في دار الدنيا إنما هي ثمرة بعض سعيهم ومقدمة بعض ثواب أعمالهم عجلت لهم في الدنيا لانهم لما عرفوه حق معرفته تركوا كل شيء سواه واشتغلوا به وبذكره سراً وإعلاناً « لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » فعند ذلك اضمحلت الآراء الفاسدة عن ضمائرهم وانحلت الاعتقادات الرديئة عن أفكار نفوسهم فوجدوا روحاً وراحة وريحاناً ولذة يقصر الوصف عنه

وإذ قد تبين في المباحث الحكمية أن بعض اللذات إنما هو خروج من الآلام فاعلم أن الله تعالى جعل هذه اللذة والسرور بشرى لأوليائه في الحياة الدنيا : فأما التي في الآخرة فهي عند الله خير وأبقى ، كما قال تعالى : « قل من حرم

زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » الآية لا يشاركهم فيها غيرهم

واعلم أن علة انحلال الآراء الفاسدة واضمحلالها عن قلوب أولياء الله عند معرفتهم بربهم هو من أجل أنهم اعتقدوها في طلب معرفته ، فلما تبين لهم الحق وعرفوا الله حق معرفته انحلت واضمحل ما كان منها فاسداً أو زوراً أو بهتاناً كما حكي عن ابراهيم عليه السلام في أول مبدئه في طلب معرفة الله تعالى « فلما جن عليه الليل » الى قوله « وما أنا من المشركين » . وهكذا كان بدء معرفة الانبياء عليهم السلام بربهم في أول نظرهم وعلومهم بصفاته اللائقة من الأولين والآخرين من ذرية آدم ونوح وابراهيم وممن هداه الله واجتباه كما قال تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » وقال « وعلمتم مالم تعلموا » وقال لنبيه عليه السلام ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال له : « قل ربي زدني علماً » وقال : « أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي » الآية وقال : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » الآية وقال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » الآية وقال : « هم درجات عند ربهم » يعنى العلماء وقال : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وآيات كثيرة في مدح العلماء وحسن الثناء عليهم وذم الجهال

ثم اعلم أن نفوس الجهال كلها موتى بالقياس الى نفوس العلماء وذلك أن قلوب العلماء مفتوحة وصدورهم منشرحة متسعة ممتلئة من نور الهدى وروح المعارف وزهرة العلوم ، وقلوب الجهال حرجة منغلقة وصدورهم من الوسواس والخيالات ضيقة مظلمة وأوهامهم هائمة وأفكارهم تائهة في ظلمات الجهالات المتراكمة ونفوسهم ممتلئة من الوساوس والخيالات كما قال الله تعالى في عدة آيات من القرآن مثل قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » الى قوله الذين لا يؤمنون . ومثل قوله : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الى آخر الآية أو

كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»

واعلم ان حياة النفوس ويقظتها هى المعارف والعلوم كما ان حياة الاجساد ويقظتها بالحس والحركة ، وأن لكل جنس من الحيوانات ضروبا من المأكولات هي غذاء لاجسادها من نبات الارض وثمار الشجر وأوراقها تشتهيها بطباعها وتلتذ بها بنفوسها ، كل ذلك بحسب امتزاجها وتركيب اجسادها وعاداتها في تناولها .

وهكذا أيضاً حكم شهوات النفوس ولذاتها في مأكولاتها ومشروباتها واختلاف ألوانها وفنون طعومها تشتهى هذا وتلتذ هذا بما لايلتذ به هذا ، وتشتهى وتلتذ فى وقت ولا تشتهى في وقت آخر بل تكرهه وينفر طبعها منه ويتأذى .

وهكذا حكم لذاتها وشهواتها فى المعارف والعلوم والصنائع والتجارات والاعمال والحرف وتصاريفهم فى الامور : وذلك أن من الناس من تكون نفسه مطبوعة على محبة الصنائع والحرف في تعليمها مشتهياً لها مستلذاً بها .

ومنهم من يكون مطبوعا على محبة التجارات والبيع والشراء مشتهياً لذلك ملتذة به نفسه ، ومنهم من تكون شهواته وعشقه في جمع المال والأثاث والامتعة والادخار لها ومنهم من تكون شهوته ولذته في انفاق المال واتخاذ المنازل وانشاء العقار وبنائه وعمارته الأرض والحرث والنسل وربط الدواب وتربيتها والاستكثار منها

ومنهم من تكون شهوته ولذته فى الاكل والشرب وعشق النساء والغلمان واللهو واللعب والغناء ولعب النرد والقمار والافتخار بها والمباهاة والعصبية والخصومات وما شاكل ذلك من المبارزة في الحرب والقتال والغارات والنهب والفتن والشرور والعداوة .

ومنهم من تكون محبته للصوم والصلاة والصدقات والقراءة والتسبيح والخشوع والبر والتقوى والعبادة وماشاكل هذه من أعمال الخيرات وتكون نفسه مشتهية لها ملتذة بها .

ومنهم من تكون محبته فى لقاء أهل العلم واستماع كلام العلماء وطلب العلوم والأدب ومعرفة الاخبار والروايات والآثار .

ومنهم من تشتهى نفسه علم النحو والشعر والخطب والفصاحة والأقاويل والكلام وما شاكل هذه ويلتذ بها

ومنهم من يشتهى علم الحساب والهندسة والنجوم والطب والمنطق والرياضيات الحكمية وماشاكلها ويكذبها، ومنهم من تشتهى نفسه علم العزائم والرقى والسحر والكيمياء والحيل وماشاكلها وتلتذ بها .

ومنهم من يشتهى النظر في علوم الطبيعيات والالهيات والبحث عنها وعن حقائق الموجودات الكائنات الفاسدات والباقيات المخلدات كل ذلك على ماتوجبه أحكام النجوم فى أصول مواليدهم وعاداتهم عند نشوئهم على سنن آبائهم واستاذيهم ومعلميهم ومن يصحبونه فى الطلب طول أعمارهم من اخوانهم وأصدقائهم

فانظر ياأخى بعقلك وميز ببصيرتك واختر لنفسك من هذه المشتهيات مايليق بها وترضى لها به

واعلم أن من الامور ماهى جبلة مركوزة فى النفس ومنها ماهو عادة جارية والفة معتادة إذا دام عليها الانسان صارت جبلة وطبيعة ثانية.

فصل

واعلم يا أخي أن حسن الخلق والسيرة العادلة هما من أخلاق الملائكة ، ولكن بعضها في جبلة النفوس مركوزة فيها وبعضها عادة جارية معتادة ، وهكذا أيضاً حكم الخلق السوء والسيرة الجائرة هما من أخلاق الشياطين بعضها جبلة مركوزة في النفس وبعضها عادة جارية وهي التى نشأ عليها الصبيان من الصغر يتربون من الصبى عليها أو يأخذها الناس ممن يصحبه ويتربى معه من الآباء والأمهات والاخوة والاخوات والجيران والمعلمين والاستاذين

واعلم أنه ربما لا يتفق للانسان هذه الأمور المحمودة من الصغر على حسب ما ينبغي ، ولكن يجب على العاقل أن يتفقد أحواله وأخلاقه وسيرته وعاداته واعتقاداته ويستبصر فيترك ما كان فاسداً رديئاً ولا يتكل على العادات الجارية ولا يحتج بالطبع المركوز بل يجتهد وينظر ويميز ويبحث فان الله تعالى ما بعث الحكماء والرسل والأنبياء إلا لاصلاح الامور الفاسدة النابتة مع الطبائع الرديئة والعادة الجارية

وقد ذكر العلماء والحكماء في كتب السياسات أنه ينبغي لكل انسان أولا أن يبتديء باصلاح أخلاق نفسه وعاداته ، فاذا عدلها واستوت فعند ذلك رام أن يصلح غيره . وقال عليه السلام : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم »

ثم اعلم أن أكثر الناس قد تركوا وصية ربهم ونصيحة نبيهم فيما أمرهم به من اصلاح ذات بينهم وما فيه نجاة نفوسهم من العذاب الأليم بما رسمه لهم من التعاون والتعاضد والتناصر والتحاب والتودد والألفة فيما بينهم ، واشتغلوا بما نهوا عنه من ذكر عيوب بعضهم بعضاً وشنعة بعضهم على بعض وصاروا فرقاً ومذاهب وشيعاً وتوقدت بينهم نيران العداوة والبغضاء الى يوم القيامة . وذلك أنهم يعيب بعضهم بعضاً بحرقة قلوبهم وألم نفوسهم وهم في العذاب مشتركون ، أولهم مع آخرهم كما ذكر تعالى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » التى خالفتها . وقالوا : لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ، وقالوا : ربنا هؤلاء أضلونا ، يعنى من كان موافقاً لهم ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تكسبون لما تركتم وصية ربكم ونصيحة نبيكم !! وقال « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » فكانوا هم الظالمين بتركهم الوصية .

فصل

واعلم أن الآراء الفاسدة كثيرة وفيما حكينا كفاية للمعتبر المتفكر وأن أهلها جم غفير لا يعرفون ولا يطاقون ولا يؤمن من غوائلهم وهم جنود ابليس أجمعون ،

وهم الأشرار والكفار والفساق والمنافقون وأهل البدع والضلالات ، ولكن أشرهم على أهل الدين والورع وأضرهم على العلماء وأشدهم على عداوة الحكماء هذه الطائفة الظالمة المجادلة المخاصمة الكفرة الفجرة الذين يخوضون في المعقولات وهم لا يعلمون في المحسوسات ويتعاطون البراهين والقياسات وهم لا يحسنون الرياضيات ، ويتكلمون في الالهيات وهم يجهلون في الطبيعيات ، ويتصدرون في المجالس ويتجادلون في أشياء لا تفيد فى الدين علما ولا تنتج فى الحكمة فائدة مثل كلامهم في التعديل والتجويز والجزء الذى لا يتجزأ وماشاكلها من المسائل المموهة المزخرفة التى لا حقيقة لها ولا وجود الا في الاوهام الكاذبة ولا يصح للمدعي فيها حجة ولا السائل عنها برهان ،وهم خائضون فيها في مجالسهم مضيعون فيها أوقاتهم بالخصومات والجدالات والمعارضات والمناقضات ، واذا سئلوا عن أشياء هي موجودة مقدرة بين الناس ومعروفة مشهورة عند الحكماء لا يحسنون أن يجيبوا عليها

فاذا استعصى عليهم بالسؤال والبحث أنكروها وجحدوها ويأنفون أن يقولوا لا ندرى . أو يقولوا : الله ورسوله أعلم ، بل يخوضون فى طغيانهم وجهالاتهم ويدعون فيها المحالات وربما يضعون فى ابطالها المقالات المزخرفة ويعارضون بها الحكماء والعلماء ويشنعون بها عليهم مثل قولهم : إن علم الطب والنجوم باطل ، وان الكواكب جمادات وان الافلاك لا وجود لها ، وان علم الطب لا منفعة فيه ، وان علم الهندسة لا حقيقة له . وان علم المنطق والطبيعيات كفر وزندقة ، وان أهلها ملحدون ، ويدعون عليهم المحالات ويحكون عنهم الخرافات ويقولون هذا كلامهم ومذهبهم ورأيهم واعتقادهم ، ولعل القوم لا يقولون قليلا ولا كثيراً ولا يعتقدونها وان كان الاعتقاد لهم ورأيهم فلا يسمع منهم أحد ذلك ، ويموتون مع اعتقاداتهم واندراس مذاهبهم فلا يعلم ولا يحس به أحد أولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأما هؤلاء المجادلة فيظهرون بها فى أهل المجادل ويوردون تلك الاعتقادات

الفاسدة والمذاهب الرديئة بفصيح العبارات ويبينون عنها بأوضح الاحتجاجات ويكتبونها بأصح الخطوط وأجود ورق ، ينسبونهـا الى أقوام قد عرفوا بالعلم والحكمة وجودة الرأى وصحة التمييز على سبيل الشنعة عليهم والوقيعـة بهم بسخيف الرأى ويسمونها الاحداث ويصورونها فى قلوبهم ويمكنون فى نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والمذاهب الرديئة . ويحيرونهم ويشتتونهم فى الحقائق

فلو أن أهل تلك الآراء والمذاهب اجتهدوا بجهدهم وأنفقوا الاموال فى اظهار مذاهبهم والاحتجاج على آرائهم والايضاح عن اعتقاداتهم لما بلغوا عشر العشر مما قد بلغ هؤلاء المجادلة فى تملكها فى أكثر النفوس

ومع هذه البليـة كلها يدعون أنهم بهذا الفعل ينصرون الاسلام ويقرون الدين ! والى يومنا هذا ما روى أن يهودياً تاب على يد واحد منهم ، ولا نصرانيا أسلم ولا مجوسياً آمن بآرائهم (١) متمسكين باعتقاداتهم محتفظين ، بل يزدادون باعتقادهم ومذاهبهم احتفاظا اذا نظروا الى هؤلاء المجادلة فرأوا خصوماتهم فى أحكام الدين وكثرة خلافهم ومنازعاتهم بعضهم لبعض ، وعداوة بعضهم مع بعض ، ويلعن بعضهم بعضا فاعتبروا أن مثل هؤلاء المجادلة فيما هم فيه ومن يدخل فى مذاهبهم الا كما ذكر الله تعالى « كلما دخلت أمة لعنت اختها » « وقالوا لا مرحباً بهم » فهذا حكم المجادلة فيما هم فيه من الخصومات والعداوات فى الدين

ثم اعلم أنك اذا تأملت طبقات الناس وجماعاتهم فى أحوالهم من الدين والمذاهب والعلوم والصنائع والتجارات والحرف لم تجد بينهم من العداوة والبغضاء والطعن واللعن عشر العشر مما تجد بين أهل هذه الطبقة المجادلة

وذلك أنك تراهم يكفر بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، ويرى كل واحد منهم حل أخذ مال مخالفيه ويشهد عليهم بالكفر والزندقة والخلود فى

(١) يلاحظ أن فى السياق اضطرابا منشؤه أن الجار والمجرور فى قوله (بآرائهم) متعلق بقوله (آمن) وعليه وجب أن يقال بعد هذا (بل نراهم) حتى يستقيم اعراب ما بعده على صيغة المفعول .

النار أبد الآبدين ، فلا جرم قد بغضوا العلماء الى الناس وزهدوهم عن تعلم العلم والادب وطلب المعارف

وذلك أن الناس اذا نظروا اليهم وهم بهـذه الاوصاف فلا هم يتعلمون ولا يتركون غيرهم يتعلم ، وما مثالهم فى ذلك الا مثل الكلب ينام فى المعلف وهو لا يأكل ولا يدع الخيل تأكل حتى يموت هو وهي ضراً وهزالا

يحكى عن الحسين بن علي عليه السلام أنه كان يقول : ياعلماء السوء جلستم على باب الجنة فلا أنتم تعملون فتستوجبون الجنة ولا تركتم غيركم يجوزكم فيدخل الجنة !! وذلك أنهم إذا نظروا اليهم وما هم فيه من هذه الأوصاف التى ذكرنا ـ فاحذرهم فانهم أعداء أهل العلم ومخالفون لأهل الورع مضادون لاخوان الصفا ، لأن أحوالهم وأخلاقهم أخلاق الشياطين ، وقوتهم قوة الدجالين : ذلقو اللسان عميان القلوب ، فصحاء الألفاظ جاهلون بالمعاني ، قد نصبوا أنفسهم للمجادلة مع العلماء ومناقضة الحكماء ومماراة السفهاء ، لا الحكمة يعرفون ولا أحكام الشريعة يتحققون ، ويحاجون بآيات كتب إلهية وهم فيها شاكون ! يتبعون المتشابهات ويتركون العلم بالمحكمات كما وصفهم الله تعـالى بقوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » الآية .

ثم اعلم أن الله تعالى يتلطف ويتكرم مع أوليائه ، وانظر الى حكم الله لخاصته من أوليائه وتلقينه لهم وحكاياتهم وأقاويلهم ودعائهم واقتدائهم ، فان أردت أن تكون هادياً مهدياً مؤيداً رشيداً بالدين الحنيفي والمنهاج السلفي فاعمل بأحكام الشريعة والوصايا النبوية وإشارات الحكماء واترك الخصومات والأخلاق الرديئة والأعمال السيئة والأفعال القبيحة ، واجتنب الآراء الفاسدة ، وتعلم العلم : أى علم كان حكمياً أو شرعياً رياضياً أو طبيعياً أو الهياً فانها كلها غذاء للنفس وحياة لها فى الدنيا والآخرة جميعاً ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون ، وهم الذين وصفهم الله بقوله : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم » الى آخر الآية

وقد عملنا في هذه العلوم والآداب إحدى وخمسين رسالة كل واحدة منها في فن من العلوم ونوع من الآداب فاطلبها واقرأها تجدها سهلة من غير تعب وكد. وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا الى طريق السداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد إنه رؤوف رحيم بالعباد والصلاة والسلام على النبي محمد وآله أجمعين

(تمت رسالة الآراء والديانات ويليها رسالة في ماهية الطريق الى الله عز وجل)

الرسالة الثانية

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الطريق الى الله عز وجل

﴿ وهي الرسالة الثالثة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. آلله خير أما يشركون

اعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق وسواه ودبر الأمور وأجراها ثم استوى على العرش وعلاه، فكان من فضل رحمته وكمال جوده وتمام إحسانه أن اختار طائفة من عباده واصطفاهم وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون علمه وأسرار غيبه، ثم بعثهم الى عباده ليدعوهم اليه والى جواره ويخبروهم عن مكنون أسراره لكيما ينتهوا عن نوم الجهالة ويستيقظوا من رقدة الغفلة ويحيوا حياة العلماء ويعيشوا عيش السعداء ويبلغوا الى كمال الوجود في دار الخلود، كما ذكر في كتبه ووصف على ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم فقال: « خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش » ثم قال: « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ثم قال: « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب » ثم قال: « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ».

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه أنه لا يمكن الوصول الى هناك الا بخلتين: احداهما صفاء النفس، والاخرى استقامة الطريقة. فأما صفاء

النفس فلأنها لب جوهر الانسان ، فان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والبدن . فأما البدن فهو هذا الجسد المرئى المؤلف من اللحم والدم والعظام والعروق والعصب والجلد وماشاكله ، وهذه كلها أجسام أرضية مظلمة ثقيلة متغيرة فاسدة . وأما النفس فانها جوهرة سماوية روحانية حية نورانية خفيفة متحركة غير فاسدة علامة دراكة لصور الأشياء ، وان مثلها فى ادراكها صور الموجودات من المحسوسات والمعقولات كمثل المرآة فان المرآة اذا كانت مستوية الشكل مجلوة الوجه تتراءى فيها صور الاشياء الجسمانية على حقيقتها وإذا كانت المرآة معوجة الشكل أرت صور الأشياء الجسمانية على غير حقيقتها ، وأيضاً إن كانت المرآة صدئة الوجه فانه لايتراءى فيها شيء ألبتة .

فهكذا أيضا حال النفس، فانها اذا كانت عالمة ولم تتراكم عليها الجهالات ، طاهرة الجوهر لم تتدنس بالاعمال السيئة ، صافية الذات لم تتصدأ بالاخلاق الرديئة وكانت صحيحة الهمة لم تعوج بالآراء الفاسدة فانها تتراءى في ذاتها صور الاشياء الروحانية التى في عالمها فتدركها النفس بحقائقها وتشاهد الامور الغائبة عن حواسها بعقلها وصفاء جوهرها كما تشاهد الاشياء الجسمانية بحواسها اذا كانت حواسها صحيحة سليمة .

وأما اذا كانت النفس جاهلة غير صافية الجوهر ، وقد تدنست بالاعمال السيئة أو صدئت بالاخلاق الرديئة أو اعوجت بالآراء الفاسدة واستمرت على تلك الحال بقيت محجوبة عن ادراك حقائق الاشياء الروحانية وعاجزة عن الوصول الى الله تعالى ، ويفوتها نعيم الآخرة كما قال الله تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منه أن حجابها عن ربها إنما هو جهالتها بجوهرها وعالمها ومبدئها ومعادها ، وأن جهالتها إنما هي من الصدإ الذى تركب على ذاتها من سوء أعمالها وقبح أفعالها — كما قال تبارك وتعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وأما اعوجاجها فهو من أجل آرائها الفاسدة وأخلاقها الرديئة كما قال الله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفس مادامت على هذه الصفات فانها لاتبصر ذاتها ولا يتراءى فى ذاتها تلك الاشياء الحسنة الشريفة اللذيذة الشهية التى فى عالمها — كما وصف الله فقال : «فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » وقال : « لاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفوس مالم تشاهد تلك الاشياء لاترغب فيها ولا تطلبها ولا تشتاق اليها وتبقى كأنها عمياء — كما قال الله تعالى : « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله بروح منه أن النفس اذا عميت عن أمر عالمها وتوهمت أنه لاوجود لها إلا على هذه الحال التى هى عليها الآن فى دار الدنيا ، فتحرص عند ذلك على البقاء فى الدنيا وتتمنى الخلود فيها وترضى بها وتطمئن اليها وتيأس من الآخرة وتنسى أمر المعاد — كما ذكر الله تعالى : «ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها» . وقال : «يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور»

ثم أنها اذا ذكرت بوصية الله التى جاءت على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لاتذكر شيئاً كما قال الله تعالى : «واذا ذكروا لا يذكرون» . ثم إنها تبقى في عميانها وجهالتها وطغيانها الى الممات مصرة مستكبرة كأن لم تسمعها . فاذا جاءت سكرة الموت التى هي مفارقة النفس الجسد وترك استعمال الجسم ، وفارقته على كره منها وبقيت عند ذلك فارغة من استعمال البدن وادراك المحسوسات ، تراجعت الى ذاتها لتنهض فلا يمكنها النهوض من ثقل أوزارها ومن أعمالها السيئة وعادتها الرديئة كما قال الله تعالى : «يحملون أوزارهم على ظهورهم» . فعند ذلك يتبين لها أنها قد فاتتها اللذات المحسوسات التى كانت لها بتوسط البدن ولم تحصل لها اللذات

المعقولات التى فى عالمها . فعند ذلك تبين لها أنها قد خسرت الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين . وقد انقضى

﴿ الفصل الاول ﴾

في الحث على تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

وأما الخلة الاخرى التى هي استقامة الطريق فان كل قاصد نحو مطلوب من أمور الدنيا فانه يتحرى في مقصده نحو مطلوبه أقرب الطرقات وأسهلها مسلكا لانه قد علم أنه إن لم يكن له طريق قريب فانه يبطىء فى وصوله الى مطلوبه ، وأيضاً فانه إن لم يكن الطريق سهل المسلك فربما يعوق البلوغ اليه أو يتعب في سلوكه . وان أقرب الطرقات ما كان على خط مستقيم وأسهلها مسلكا هو الذى لاعوائق فيه ، فهكذا ينبغي أيضاً للقاصدين الى الله تعالى بعد تصفية نفوسهم والراغبين في نعيم الآخرة في دار السلام ، والذين يريدون الصعود الى ملكوت السماء والدخول فى جملة الملائكة بان يتحروا فى مقاصدهم أقرب الطرقات اليه كما قال الله تعالى : «أولئك تحروا رشداً» . وقال سبحانه : «إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به» . وقال تعالى : «قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم» . ونحن نريد أن نبين ما الطريق المستقيم الذى وصانا به وأمرنا باتباعه على ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم ، ونصف أيضا كيف ينبغي أن نسلكه حتى نصل الى ما وعدنا ربنا — كما قال الله تعالى: «انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم» . ولكن لايمكننا بيان ذلك بالحقيقة الا بكلام موزوز وقياس صحيح ودلائل واضحة على مثل بيان الله تعالى وسنة أنبيائه صلوات الله عليهم بالوصف البليغ لسائر آيات الله فى الآفاق وفى أنفسنا حتى يتبين لهم أنه الحق — كما قال الله تعالى : «وفى الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» . واذا فعلنا ذلك تفتحت أبواب العلوم المخزونة والاسرار المكنونة التى لايمسها الا المطهرون .

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله تعالى وأيانا بروح منه أنه لا ينبغي أن يتكلم

أحد في ذات الباري تعالى ولا فى صفاته بالحزر والتخمين ، بل ينبغي له ألا يجادل فيه إلا بعد تصفية النفس ، فان ذلك يؤدى الى الشكوك والحيرة والضلال - كما قال الله تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ونحن نبتديء أولا قبل كل شيء فنبين كيف ينبغى أن نصفى النفس من الاخلاق الرديئة التى اعتدنا عليها من الصبا ، ونجعل لوصفنا ذلك فى رسائلنا الرياضية أبوابا شتى ، ونذكر فى كل باب ضروبا من الامثال لكيما يكون أوضح للبيان وأقرب للفهم وأبلغ فى الموعظة ، ثم بعد ذلك نصف فى هذه الرسائل ابوابا أخر يتبين فيها ما الطريق المستقيم الى الله عز وجل ، وكيف ينبغى ان تتبع بكلام(١) موزون ودلائل واضحة ليكون منهاجاً للقاصدين وارشادا للمريدين، ثم نبتدىء بعد هذين الجهتين بالكشف عن الامور الالهية الحية والاسرار المخزونة مما قد عرفناه بالهام الله تعالى ، أو مما قد استنبطنا من تفاسير كتب أوليائه وتنزيلات أنبيائه عليهم السلام ، ومما قد جرى على السنة الحكماء فى اشاراتهم ورموزاتهم ومن سبب بدء كون العالم بعد أن لم يكن ، ووقوع النفس وغرورها وخلق آدم الاول وسبب عصيانه ، وحديث الملائكة وسجودهم لآدم ، وقصة إبليس والجان واستكباره عن السجود ، وشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وسبب أخذ الميثاق إلى ذرية آدم وأخبار القيامة والنفخ فى الصور والبعث والنشور والحساب ، وفصل القضاء ، والجواز على الصراط ، والنجاة من النار والدخول الى الجنة ، وزيارة الرب تبارك وتعالى ، وماشا كل هذا من الاخبار المذكورة في كتب الانبياء صلوات الله عليهم وماحقائق معانيها لان في الناس أقواماً عقلاء مميزين متفلسفين اذا فكروا في هذه الاشياء وقاسوها بعقولهم لاتتصور لهم معانيها الحقيقية ، واذا حملوها على مايدل عليه ظاهر الفاظ التنزيل لا تقبله عقولهم فيقعون عند ذلك في الشكوك والحيرة ، وإذا طالت تلك الحيرة بهم أنكروها بقلوبهم — وان كانوا لا يظهرون ذلك باللسان مخافة السيف

(١) تتبع ماتقدم ، أو تتبع بياننا وأبحاثنا او ما شئت فقدر مفعول (تتبع) ليتم الكلام

وفي الناس أقوام دونهم فى العلم والتمييز يؤمنون ويعلمون أنها الحق وأقوام آخرون يأخذونها تقليداً ولا يتفكرون فيها ، وفي الناس طائفة اذا سمعوا مثل هذه المسائل نفرت نفوسهم منهـا واشمأزوا عن ذكرها وينسبون المتكلم أو السائل عنها الى الكفر والزندقة والتكلف لما لا ينبغي

فأولئك أقوام قد استغرقت نفوسهم فى نوم الجهالة فينبغي للمذكر لهم أن يكون طبيبا رفيقا يحسن أن يداويهم بأرفق مايقدر عليه من التذكار لهم بآيات الكتب الالهية ومافي أيديهم من أخبار أنبيائهم ، ومافى أحكام شرائعهم من الحدود والرسوم والامثلة ، فان ذلك كله اشارات للنفس بتذكيرها ماقد غفلت عنه من أمر معادها ومبدئها مثل مقادير الفروض على أعداد مخصوصة ، ومثل احكام النبيين على شرائط معلومة ، ومثل تأديتها فى أوقات معروفة ، ومثل التوجه الى جهات مختلفة ، ومثل التعبد على فنون متباينة ان كان هؤلاء من أهل التوراة أو من أهل الانجيل أو من أهل القرآن ، فان تعلقهم بظاهر أحكام شرائعهم وحرصهم وعنايتهم بقراءة كتب أنبيائهم واقرارهم بصواب مافيها من الاحكام للدين والدنيا حجة للمذكرين لهم بعدما جهلوه من أمر عالمهم وماقد نسوه من أمر معادهم ومبدئهم وشاهد عليهم بما قد جحدوه من معانى هذه المسائل التى ذكرناها ، وان كان هؤلاء القوم المنكرون لمعانى هذه المسائل من عبدة الاوثان والاصنام والنيران والشمس والكواكب وماشاكلها فان فى كتب نواميسهم وصورهيا كلهم وأحكام سننهم أمثلة أيضا لذلك واشارات اليها مثل مافى الشرائع والاديان النبوية . لكن يحتاج أن يكون المذكرون لهم عارفين بها

وان فى الناس طائفة اذا سمعوا مثل هذه المسائل تطلعت همم نفوسهم الى أجوبتها ورغبت فى معرفة معانيها . فاذا سمعوا الجواب عنها قبلتها بلا حجة ولا برهان . ولكن على التقليد .

أولئك قوم نفوسهم سليمة بعد لم تعوج بالآراء الفاسدة ولم تستغرق بعد فى نوم الجهالة فيحتاج المذكر الى أن يسلك بهم طريقة التعليم الى التدريج ـ

كما وصفنا فى الرسالتين الاولين اللتين وضعناهما للمتعلمين والمريدين ، فاذا تهذبت نفوسهم وصفت أذهانهم وقويت أفكارهم أطلقت لهم أجوبة من هذه المسائل ببراهينها ـ كما بينا فى الرسائل الخمس التى صورناها على صورة الانسان وأوضحنا دلائلها بالمثالات التى في صورة الانسان ـ وفى الناس طائفة من أهل العلم قد نظروا في بعض العلوم وأقروا بعض كتب الحكماء أو سمعوا من المتكلمين فى مناظراتهم ومن المتفلسفين والشرعيين جميعا قد تكلموا فى مثل هذه المسائل وأجابوا عنها بجوابات مختلفة ، ولم يتفقوا على شيء واحد ولا صح لهم فيها رأى واحد ، بل وقعت بينهم فى ذلك منازعات ومناقضات !! كل ذلك لانهم لم يكن لهم أصل واحد صحيح ولا قياس واحد مستو يمكن أن يجاب به عن هذه المسائل كلها من ذلك او على ذلك القياس ولكن كانت أصولهم مختلفة وقياساتهم متفاوتة غير مستوية

واعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وايانا بروح منـه أن الجواب على أصول مختلفة والحكم بقياسات متفاوتة تكون متناقضة غير صحيحة ، ونحن قد أجبنا عن هذه المسائل كلها وأكثر منها مما يشاكلها من المسائل على أصل واحد وقياس واحد ، وهو صورة الانسان ، لان صورة الانسان أكبر حجة لله على خلقه ولانها أقربها اليهم ودلائلها أوضح وبراهينها أصح ، وهي الكتاب الذى كتبه بيده وهى الهيكل الذى بناه بحكمته ، وهى الميزان الذى وضعه بين خلقه ، وهي المكيال الذى يكيل لهم به يوم الدين ما يستحقونه من الثواب والجزاء ، وهي المجموع فيها صور العالمين جميعا ، وهي المختصر من العلوم التى في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كل جاحد ، وهى الطريق الى كل خير ، وهى الصراط الممـدود بين الجنة والنار .

وينبغي لمن يدعي الرياسة في العلوم الحقيقية ويقول إنه يحسن أن يجيب عن هـذه المسائل التى تقدم ذكرها أن يطلب منه الجواب على أصل واحد وقياس واحد ، فانه لايمكنه إلا أن يجعـل أصله صورة الانسان من بين صور جميع

الموجودات من الافلاك والكواكب والاركان والحيوان والنبات وغير ذلك وان جعل أصله أشياء غير صورة الانسان فلا يمكنه أن يقيس بها سائر الموجودات ويجيب عن هذه المسائل الا بمثل ماقسنا عليه نحن وأجبنا عنه ، واذا فعل ذلك اتفق الجميع على رأى واحد ودين واحد ومذهب واحد وارتفع الخلاف واتضح الحق للجميع ويكون ذلك سببا لنجاة الكل .

ونحن لانرخص لاحد بالنظر فى مثل هذه الاشياء ولا السؤال عنها الا بعد تهذيب نفسه بمثل ماقلناه ووصفناه فى هذين الكتابين — اقتداء بسنة الله تبارك وتعالى كما أخبر وقال : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » وذلك أن موسى عليه السلام قام لياليها وصام نهارها حتى صفت نفسه فناجاه الله تعالى عند ذلك وكلمه .

ويروي عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من أخلص العبادة لله اربعين يوما فتح الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً » .

فمن أجل هذا وجب على الحكماء اذا أرادوا فتح باب الحكمة للمعلمين وكشف الاسرار للمريدين أن يروضوهم أولا ويهذبوا نفوسهم بالتأديب كيما تصفوا نفوسهم وتطهر اخلاقهم لأن الحكمة كالعروس تريد لها مجلساً خالياً فانها من كنوز الآخرة ، وان الحكيم اذا لم يفعل ماهو واجب فى الحكمة من رياضة المتعلمين قبل أن يكشف لهم أسرار الحكمة فيكون مثله في ذلك كمثل حاجب ملك أذن لقوم بله بالدخول على الملك من غير تأديب ولا ترتيب ، فانه يستحق العقوبة عليه إن فعل ذلك ، فاذا هو فعل ماقد يجب من تأديبهم ثم لم يفعلوا هم ولاقبلوا منه فقد برىء الحكيم من اللوم ولزمهم الذنب لانك اذا قدمت الطعام والشراب الى الجائع فقد أشبعته ، فاذا هو لم يأكل حتى مات جوعا فهو المأخوذ بدمه « ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه »

وفقك الله أيها الاخ البار الرحيم وإيانا للرشاد وسددك وإيانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه رؤف بالعباد

﴿ تمت رسالة ماهية الطريق الى الله عز وجل وكيفية الوصول اليه ويليها رسالة في بيان اعتقاد اخوان الصفاء ﴾

الرسالة الثالثة

من العلوم الناموسية والشرعية

في بيان اعتقاد اخوان الصفا ومذهب الربانيين

﴿ وهي الرسالة الرابعة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من بيان ماهية الطريق الى الله تعالي وكيفية الوصول إلى معرفته وهي الغاية القصوى ، فنريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة بيان اعتقاد إخوان الصفا ومذهب الربانيين ، وبيان أن النفس تبقى بعد مفارقتها الجسد التي عبر عنها بالموت الطبيعي بطريق مقنع لا بطريق البرهان فنقول :

اعلم أنه في الزمان السالف ذكروا أنه كان رجل من الحكماء رفيقاً بالطب دخل إلى مدينة من المدن فرآي عامة أهلها بهم مرض خفى لا يشعرون بعلتهم ولا يحسون بدائهم الذى بهم ، ففكر ذلك الحكيم في أمرهم كيف يداويهم ليبرئهم من دائهم ويشفيهم من علتهم التى استمرت بهم ، وعلم أنه إن اخبرهم بما هم فيه لا يستمعون قوله ولا يقبلون نصيحته ، بل ربما ناصبوه بالعداوة واستعجزوا رأيه واستنقصوا آدابه واسترذلوا علمه ، فاحتال عليهم في ذلك لشدة شفقته على أبناء جنسه ، ورحمته لهم وتحننه عليهم وحرصه على مداواتهم طلباً لمرضاة الله عز وجل بأن طلب من أهل تلك المدينة رجلا من فضلائهم الذين كان بهم ذلك المرض

فأعطاه شربة من شربات كانت معه قد أعدها لمداواتهم وسعطه بدخنة كانت معه لمعالجتهم ، فعطس ذلك الرجل من ساعته ووجد خفة في بدنه وراحة في حواسه وصحة في جسمه وقوة في نفسه

فشكر له وجزاه خيراً وقال له : هل لك من حاجة أقضيها لك مكافأة لما اصطنعت إلي من الاحسان في مداواتك لي ؟ فقال : نعم، تعينني على مداواة أخ من اخوانك ، قال : سمعاً وطاعة لك . فتوافقا على ذلك ودخلا على رجل آخر ممن رأوا أنه أقرب إلى الصلاح فخلوا به من رفقائه وداوياه بذلك الدواء فبرأ من ساعته . فلما أفاق من دائه جزاهما خيراً وبارك فيهما وقال لهما : هل لكما حاجة أقضيها لكما مكافأة لما صنعتما إلى من الاحسان والمعروف ؟ فقالا : تعيننا على مداواة أخ من إخوانك ، فقال : سمعاً وطاعة لكما . فتوافقوا على ذلك ولقوا رجلا آخر فعالجوه وداووه بمثل الاول فبرىء وقال لهم مثل قول الأولين وقالوا له مثل ماقال الأول

ثم تفرقوا في المدينة يداوون الناس واحداً بعد آخر في السر حتى أبرؤوا أناساً كثيراً وكثر أنصارهم واخوانهم ومعارفهم ، ثم ظهروا للناس وكاشفوهم بالمعالجة وكابروهم بالمداوات قهراً وكانوا يلقون واحداً واحداً من الناس فيأخذ منهم جماعة بيديه وجماعة برجليه ويسعطه الآخرون كرهاً ويسقونه جبراً حتى أبرؤوا أهل المدينة كلهم

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن هذا مثل الانبياء صلوات الله عليهم في بدء دعوتهم الناس من اذكارهم ماقد نسوه من أمر الآخرة والمعاد وتنبيههم من نوم الجهالة ورقدة الغفلة التى هي مرض النفوس ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أول مبعثه ودعوته ابتدأ أولا بزوجته خديجة عليها السلام ، ثم بابن عمه علي عليه السلام ، ثم بصديقه أبي بكر ، ثم مالك ، وأبي ذر ، وصهيب ، وبلال ، وسلمان ، وجبير ، وبشار ، وغيرهم حتى التأموا

تسعة وثلاثين رجلا وامرأة ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعز الله عز وجل الاسلام بأحد رجلين : اما بأبي جهـل أو بعمر بن الخطاب ، فاستجيبت دعوته في عمر وأسلم والتأموا أربعين رجلا وأظهروا الدعوة والقصة طويلة معروف كيف كانت

وهكذا فعل موسى عليه السلام لما دخل في أول مبعثه مصر فابتدأ أولا بأخيه هارون وغيره من علماء بني اسرائيل أولاد يعقوب حتى التـأموا معه سبعون رجلا سراً ، ثم ظهروا وقصدوا دعوة فرعون — وقصته تطول — وقد بينا بعضها في رسائلنا . وكذلك فعل المسيح عليه السلام في بيت المقدس في أول مبعثه

واعلم يا أخي أن العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان ، فالأنبياء عليهم السلام أطباء النفوس وأولياؤهم وخلفاؤهم ، فهذا مذهب اخواننا الكرام واليه ندعو اخواننا الباقين ، فكن أيها الأخ البار الرحيم معيناً لاخوانك ومساعداً لهم توفق ان شاء الله

واعلم أن أكثر الناس المقرين بالمعاد شاكون فيـه متحيرون لا يدرون حقيقته ولا يعرفون طريقته ، ولـكن تقليداً يروي الآخر عن الأول ، ويحكي التابع عن المتبوع . ومامثلهم في ذلك الا كجماعة عميان يضع أحدهم يده على كتف الآخر ويصيرون كقطار الجمـال ويمشون ، فان لم يكن لهم قائد بصير تاهوا كلهم !! وأعيذك أيها الأخ أن تـكون منهم ، بل لتكن قائداً بصيراً تهدي الضلال وطبيباً رفيقاً تبرىء الاكمه والابرص ، ولاتكن عليلا سقيما محتاجاً الى مداو . واعلم ان الاطباء اذا اجتمع رأيهم على مداواة عليل واتفقت كلمتهم على دواء واحد ـ وكانوا مستبصرين بتلك العلة وتعاونوا على علاجه مشفقين ناصحين غير متنازعين ـ أبرأ الله ذلك العليـل على أيديهم في أقرب مدة وشفاه بأسهل سعي . فأما اذا اختلفوا وتنازعوا وناقض بعضهم بعضاً خذل العليـل من بينهم وهلك ولا يشفيه الله لهم ولا ينتفعون هم بعلمهم

فكن أيها الاخ مساعداً لاخوانك وموافقاً ومناصحاً ينفع الله بك العبـاد ويصلح بك شأنهم ، كما وعد الله فقال : « ابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » . وقد سمعت في الخبر أن الحكمين يوم صفين لم يريدا إصلاحا ، بل خدع كل واحد صاحبه ومكر وأضمر الحيلة والغل فلم يوفقوا في الصلح الى طريق الرشاد فرجع أمير المؤمنين غير راض بذلك الحكم

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنا نحن جماعة اخوان الصفا أصفياء وأصدقاء كرام كنا نياماً في كهف أبينا آدم مدة من الزمان تتقلب بنا تصاريف الزمان ونوائب الحدثان ، حتى جاء وقت الميعاد بعد تفرق في البلاد في مملـكة صاحب الناموس الأكبر وشاهدنا مدينتنا الروحانية المرتفعة في الهواء التي ذكرناها في الرسالة الثانية ، وهي التي أخرج منها أبونا آدم وزوجته وذريتهما لما خدعهما عدوهما اللعين وهو إبليس وقال : « هل أدلـكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ » . واغترا بقوله وحملهما الحرص والعجلة فبادرا وطلبا ماليس لهما أن يتناولاه قبـل استحقاقه في أوانه فسقطت مرتبتهما وانحطت درجتهما وانكشفت عورتهما وأخرجاهما وذريتهما جميعاً بعضهم لبعض عدو !! وقيل لهم اهبطوا منها ولـكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يوم البعث إذا انتبهتم من نوم الجهالة واستيقظتم من رقدة الغفلة اذا نفخ فيكم بالصور فتنشق عنكم القبور وتخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون .

فهل لك ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن تبادر وتركب معنا في سفينة النجاة التي بناها أبونا نوح عليه السلام فتنجو من طوفان الطبيعة قبل أن تأتي السماء بدخان مبين ، وتسلم من أمواج بحر الهيولى ولا تكون من المغرقين ؟!
أو هل لك ياأخي أن تنظر معنا حتى ترى ملكوت السموات التي رآها أبونا ابراهيم لما جن عليه الليل حتى تـكون من الموقنين ؟!

أو هل لك ياأخي أن تتم الميعاد وتجيء الى الميقات عند الجانب الأيمن حيث قيل يا موسى فيقضى اليك الامر فتكون من الشاهدين ؟

أو هل لك ياأخي أن تصنع ما عمل فيه القوم كي ينفخ فيك الروح فيذهب عنك اللوم حتى ترى الأيسوع عن ميمنة عرش الرب قد قرب مثواه كما يقرب ابن الأب أو ترى من حوله من الناظرين ؟

أو هل لك أن تخرج من ظلمة اهرمن حتى ترى اليزدان قد أشرق منه النور في فسحة أفريحون ؟

أو هل لك أن تدخل الى هيكل عاديمون حتى ترى الأفلاك التي يحكيها أفلاطون وانما هي أفلاك روحانية لا مايشير اليه المنجمون ؟ وذلك أن علم الله تعالى محيط بما يحوي العقل من المعقولات ، والعقل محيط بما تحوي النفس من الصور ، والنفس محيطة بما تحوي الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيطة بما تحوي الهيولى من المصنوعات ، فاذا هي أفلاك روحانية محيطات بعضها لبعض ؟

أو هل لك أن لا ترقد من أول ليلة القدر حتى ترى المعراج في حين طلوع الفجر حيث أحمد المبعوث في مقامه المحمود فتسأل حاجتك المقضية لا ممنوعا ولا مفقوداً وتكون من المقربين ؟ وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم وجميع اخواننا لفهم هذه الاشارات والرموز وفتح قلبك وشرح صدرك وطهر نفسك ونور عقلك لتشاهد بعين البصيرة حقائق هذه الاسرار فلاتفزع من موت الجسد اذا فارقته وفيه حياة النفس فتكون من أولياء الله الذين تمنوا الموت لا من توهم أنه منهم فقال : « ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » .

واعلم أيها الأخ أنه لا يصدقنك في المودة ولايخلص لك النصيحة من لا يرى أنه يجازى على مودتك ويكافىء على محبتك بعد مفارقة الجسد ، فلا تغتر بمن لا يريد في معاونته لك إلا جر المنفعة لجسده أو دفع المضرة عنه .

واعلم أن كل متعاونين في طلب منفعة مما يكون فيه خوف التلف على جسد

أحدهما وسلامة الآخر ، فانه يود كل واحد منهما أن يسلم جسده وإن تلف جسم صاحبه ليفوز هو بتلك المنفعة ويكون هو المغبوط وصاحبه المغبون الهالك .

واعلم ياأخي أنه ليس هكذا رأى اخواننا ولا اعتقادهم في معاونة بعضهم بعضاً في طلب صلاح الدين والدنيا ، بل بالعكس من ذلك : وذلك أن من كرم أخلاقهم وحسن اعتقادهم ما يروى عن الرجل الحكيم الذي كان وزير الخيشوان ملك الهياطلة — على مايحكى عنه في التواريخ — أنه لما قصده فيروز ملك الفرس لقتاله بجموعه وبلغه الخبر وعلم أنه لايطيق مقاومته جمع وزراءه واستشارهم في ذلك فنهم من أشار عليه بالقتال ومنهم من أشار عليه بالهرب ، ومنهم من أشار عليه بالحيلة .

فقال واحد ممن أشار عليه بالحيلة — وكان رجلا حكيما أيها الملك عندي حيلة لطيفة إن قبلتها وعملت عليها نجوت أنت وجيشك ورعيتك وسلمت بلادك وهلك عدوك ، فقال الملك : هلم أشر علي برأيك وحكمتك ! فقال الحكيم : اخل لي المجلس ففعل ، فقال : الرأي عندي أن تجمع خزائنك وتتوجه الى موضع كذا فانه موضع حريز وتقوم أنت وجيشك وتمر الى موضع كذا وتتركني في مكاني هذا بعد أن تقطع يدي ورجلي وتسمل عيني وتظهر الغضب علي وتقول لمن حولك ولمن ببابك : قد ظهرت مني عليك خيانة وقلة نصيحة وهذا عقوبة ذلك ، ثم ترحل اذا علمت أنه قرب منك ملك الفرس وتتركني بمكاني وتنتظر الى أن تتم حيلتي . فقال الملك : تالله مارأيت ولا ظننت أن أحداً من الناس يسمح بما سمحت به نفسك ! ! قال الحكيم : قد سمح قبلي بمثل ذلك الرجل الخب العاقل ، قال الملك : حدثني كيف كان حديثه ، قال الحكيم : ذكروا أنه كان قوم من الغواصين ذهبوا الى جزيرة يستخرجون اللؤلؤ فصحبهم رجل خب ليحتال عليهم فيفوز ببعض مايستخرجون ، فلما بلغوا ماأرادوا وانصرفوا راجعين لم يظفر الرجل بشيء مما أراد غير ماوهبوا له من صغار اللؤلؤ لخدمته لهم ، ثم انه خرج عليهم القطاع

فى طريقهم فلما رآهم الغواصون بلع كل واحد منهم ما كان معه من ذلك الجوهر الثمين شفقة من أخذه ولم يكن مع الخب شيء يشفق من أخذه فلم يبلع هو شيئا ، فلما أخذهم القطاع فتشوهم فلم يجدوا معهم شيئا غير صغار اللؤلؤ فقالوا لهم : أين خبأتم الكبار ؟ فقالوا لم نجد غير هذا ، فقالوا : بل بلعتموها فلنشقن أجوافكم فحبسوهم تلك الليلة وعزموا على شق أجوافهم ! فجعل الغواصون يفكرون طول الليلة : ففكر الرجل الخب فى نفسه — وكان رجلا عاقلا نخلا بهم — وقال لهم : اني أخبركم بأنى ماصحبتكم الا لكذا وكذا فلم أظفر بشيء مما أردت ، وقد علمت بانه مامن أحد منكم الا وقد بلع شيئا غيرى ، ولئن شق جوف واحد فوجد فيه شيء لنهلكن بأجمعنا ! وقد رأيت من الرأى أن أفديكم بنفسى فلعلكم تسلمون ، وهو أن أقول لهم ، ان كان ولا بد فشقوا جوف واحد فان وجدتم شيئا فرأيكم بالباقين ، وإن لم تجدوا شيئا فاعلموا أنا صادقون ، ولكن أمهلونا لنقترع بيننا : فمن خرجت قرعته فدونكم ماتريدون ! فان أجابوا الى ذلك احتلت أنا حتى تخرج قرعتى ، وان تلفت نفسى وسلمتم فأسألكم أن تحسنوا الى ذريتى وتواسوهم مما معكم اذا سلمتم ان شاء الله تعالى ، ففعل به ذلك فلم يوجد في جوفه شيء وسلم القوم . فأنا أيها الملك أعلم أنه ان ظفر بنا عدونا فأنا هالك لا محالة ، وأنا أرجو إن تمت حيلتى أن يسلم الملك وحاشيته ورعيته ومن معهم ويهلك عدونا وان تلف جسدي ، ومع هذا أرى أن ذلك الرجل كان أسمح منى لانه كان رجلا شابا يرجو الحياة وأنا رجل شيخ قد سئمت الحياة ، ومع هذا اعلم أن الملك اذا سلم يحسن الى ذريتى أكثر مما كان يأمل ذلك الرجل منهم ، ويكون من حسن الاحدوثة بعدى مثل مالذلك الرجل ، ومع هذا فان الذين أفديهم بنفسى أكثر عدداً من الذين فداهم هو ثم ان الملك أمر فصنع به ما أشار لما قرب فيروز ملك الفرس منه ورحل وترك مكانه . فلما رآه أصحاب فيروز على تلك الحال سألوه عن خبره ومن فعل به ماهو فيه ؟ ! فزعم أنه كان أحد وزراء خيشوان ملك الهياطلة وأنه لما استشاره في مقاتلة فيروز أشار عليه بالصلح

وأداء الخراج فكره ذلك منه وفعل به ماترون فرفع خبره الى فيروز وأحضر وسئل فاجاب بمثل ذلك فصدقه فيروز وقال أصبت فيما أشرت عليه ! فقال ياأيها الملك فلتدركنى رأفتك وتحملنى معك لا يفترسنى السباع فانى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تسلكه وأخفى فقبل نصيحته وقال تزودوا اليومين وسلك بهم مفازة بعيدة ، فلما ساروا يومين فنى الزاد فقالوا كم بقى : قال قليل سيروا سيراً عنيفاً فساروا يومهم ، فلما كان من الغد قالوا : له كم بقى ؟ قال لا أدرى انى سلكت هذا الطريق وأنا بصير والآن ترون حالى اطلبوا لأنفسكم النجاة فتفرقوا فى تلك البرية وهلك أكثرهم ونجا فيروز مع نفر يسير من خاصته ورجع الى بلاده وصالحه خيشوان ورجع الى بلاده سالما هو وحاشيته وصارت دية ذلك الشيخ من أعز من في المملكة وأغناهم وبقى حسن الاحدوثة عن الشيخ في اخوانه وأصدقائه وأبناء جنسه ! ! فهكذا رأى اخواننا الفضلاء الكرام في معاونة بعضهم بعضا لنصرة الدين وطلب المعاش اذا علموا أن في تلف أجسادهم صلاحا لاخوانهم في أمر الدين والدنيا سمحت أنفسهم بتلف أجسادهم لانهم يؤملون مثل ماأمل ذلك الشيخ الحكيم وذلك الشاب الفاضل العاقل وزيادة عليهما . وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ونصرة الدين وصلاح الاخوان فان نفسه — بعد مفارقة جسدها — تصعد الى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة وتحيا بروح القدس وتسبح فى فضاء الافلاك فى فسحة السموات فرحة مسرورة منعمة ملتذة مكرمة مغتبطة ، وذلك قول الله عزوجل « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعنى به روح المؤمن .

وقال أيضاً « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الى آخر الآية »

وقد علم كل عالم أن تلك الاجساد قد بليت في التراب وتمزقت وأن هذه الكرامة انما هي لتلك النفوس التى سمحت بتلف أجسادها في نصرة الدين وصلاح الاخوان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما هاجر من مكة

الى المدينة كتب الى المؤمنين كتابا وأمرهم فيه بالهجرة اليه : فمنهم من بادر بالهجرة ومنهم من توقف يؤدي في ذلك الاسباب المانعة له إما شفقة على تضييع أولاد له صغار أو والد كبير أو أخ له أو صديق أو زوجة موافقة أو مسكن مألوف أو مال مجموع يخاف تضييعه أو تجارة يخشى كسادها ، فانزل الله تعالى هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعث بها رسول الله ﷺ « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين » .

فلما قرأوها بادروا بالهجرة الى رسول الله ﷺ وبقي قوم ضعفاء لم يمكنهم الخروج لقلة الزاد وبعد الطريق فبقوا كالخاسرين ، وجعل المشركون من أهل مكة يتعرضون لهم بالاذية شتما وحبسا وضربا وقتلا فشكوا الى الله عز وجل ودعوه أن يكشف مابهم ، وكتبوا الى رسول الله ﷺ يخبرونه بما يلقون من أذية المشركين فانزل الله تعالى هذه الآية وأذن لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قتال المشركين من أهل مكة ليخلص المؤمنين من أيديهم فقال : « ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » فخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى غزو بدر لقتال المشركين من أهل مكة .

فلما التقى الجمعان وبادروا الى البراز بادر الانصار فنادى المشركون : ابعث الينا أكفاءنا يا محمد : فقال رسول الله ﷺ « قد وجبت عليكم يابني هاشم نصرة نبيكم » فقام حمزة عمه وعلي وأبو عبيدة وبارزوا واشتبكت الحرب وكانت الدائرة على المشركين ، وكان مع رسول الله ﷺ نحو سبعين رجلا من المهاجرين ولم يكن منهم رجل إلا وكان له في عسكر المشركين ابن أو أب أو أخ أو صديق أو قرابة أو عشيرة فلم يحاوبوهم وحاربوهم بالسيف ولم يشفقوا عليهم ولا على أنفسهم من

التلف لانهم قد علموا أن في ذلك نصرة للدين وصلاحا لاخوانهم المؤمنين وطاعة لرسول الله ﷺ ورضوانا للرب عز وجل.

وهكذا يوم أحد لما أشتد الأمر وانهزم الناس وبقي ﷺ في نفر يسير معه فقال النبي : ﷺ من ينصرني اليوم ويفديني بنفسه فله الجنة .

فقام اليه ثلاثة نفر من الانصار فقاموا في وجه كل واحد من رماة المشركين فحجزوا عنه بأجسادهم وجعلوها وقاية لسلامة رسول الله ﷺ حتى استشهدوا جميعاً لانهم قد علموا أن في بقائه نصرة الدين وصلاحا لاخوانهم، وأن رسول الله ﷺ لم يستفدهم مخافة من الموت ولاحرصا على الحياة في الدنيا ولكن من أجل أن الدين بعد لم يتم والشريعة لم تكمل : فلما نزلت هذه الآية «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» نعى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الموت ونزلت « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا» فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله نعيت الى نفسي ، فقال يارسول الله لوسألت الله أن يبقيك في أمتك الى يوم القيامة ينتفعون بك فقال :«إنا لله وإنا اليه راجعون» أبى الله أن يجعل لاوليائه الخلود في الدنيا ثم قال : واشوقاه الى اخواني الأنبياء ثم مامكث الا قليلا حتى توفي ومضى إلى الله عز وجل وأكرم مثواه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى سائر الانبياء .

فصل

واعلم أن الانبياء وأتباعهم وخلفاءهم ومن يرى مثل رأيهم من الفلاسفة الحكماء يتهاونون بأمر الأجساد اذا تبعث الأنفس لانهم يرون أن هذه الاجساد حبس للنفوس أو حجاب لها أو صراط أو برزخ أو أعراف ، وقد فسرنا هذه المعاني في رسائلنا ، وانما تشفق النفس على الجسد مالم تنبعث فاذا انبعثت هانت عليها مفارقة الجسد . ومما يدل على صحة ما قلنا احراق البراهمة أجسادهم وهم حكماء الهند . وأما من يفعلون ذلك من جهالتهم وشطارتهم فليس كلامنا ، وانما نريد

أن نذكر المستبصرين منهم الحكماء . وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن هـذه الاجساد لهذه النفوس الجزئية بمنزلة البيض للفرخ أو المشيمة للجنين ، وأن الطبيعة حضنتها وهى تشفق عليها مالم تستتم الخلقة أو تستكمل الصورة فاذا تمت الخلقة وكملت الصورة تهاونت ولا تبالي إن انشقت البيضة أو انخرقت المشيمة إذا سلم الفرخ أو الطفل :

فهكذا حال النفس مع الجسد انما تشفق على الجسد وتصونه وتحن عليه مالم تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد ، وان ذلك الوجود خير وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء الذي مع الجسد ، فاذا استتمت الأنفس الجزئية وكملت صورتها ومعارفها وانتبهت النفس من هذا النوم واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بغربتها في هذا العالم الجسماني وأنها في أسر الطبيعة فى بحر الهيولى تائهة فى قعر الأجسام مبتلاة بخدمة الأجساد مغرورة بزينة المحسوسات وبان لها حقيقة ذاتها وعرفت فضيلة جوهرها ونظرت الى عالمها وشاهدت تلك الصورة الروحانية المفارقة للهيولى وأبصرت تلك الألوان والأصباغ والملاذ العقلية وعاينت تلك الأنوار والبهجة والسرور والروح والريحان ، هانت عليها مفارقة الجسد وسمحت باتلافه في رضى الله عزوجل ونصرة الدين وصلاح الاخوان ومما يدل على ذلك أن الانبياء صلوات الله عليهم يرون ويعتقدون بقاء النفوس وصلاح حالها بعد تلف الأجساد ـ ما فعل موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام .

وذلك أن موسى عليه السلام قال لاصحابه ولاخوانه : « توبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » . يعنى هذه الأجساد بالسيف لأن جوهر النفس لايناله الحديد ، وذلك أن القوم افتتنوا بعبادة العجل في غيبة موسى الى الجبل ، فلما رجع اليهم وبان لهم انهم قد ضلوا ندموا وتابوا ، ولما عرف موسى ان الذين تنزهوا عن عبادة العجل من الذين ثبتوا على سنته بعد مبعثه والذين عبدوا العجل الذين نشأوا على سنة الجاهلية قبل مبعثه ، وعلم انهم

ان بقوا بعد موته لم يأمن أن يحدثوا فى دينه وسنته وشريعته شيئاً آخر فرأى من الصواب أن ينفيهم من محلة بنى اسرائيل وأذن الله تعالى له في ذلك لما فيه من الصلاح للجمهور والنفع للعام ، ثم قال لهم موسى : ان أردتم أن يقبل الله تعالى توبتكم فردوا المظالم واكتبوا الوصايا والبسوا الأكفان واخرجوا الى المصلى وادعوا الله لعله أن يرحمكم أو يتوب عليكم أو يمضى فيكم حكمه ففعلوا ذلك طوعاً وكرها . فأما الطائع فهو الذى علم أن فى تلف جسده صلاحاً لنفسه وخيرة لها ، وأما الكاره فهو الذى جهل ذلك وعميت عليه الانباء .

ثم ان موسى أمر أولئك الذين تجنبوا عبادة العجل أن يأخذوا السيوف ويضربوا أعناق أولئك عبدة العجل ولا يرحموا منهم أحداً ولاتأخذهم فى أحد منهم رأفة فى دين الله ، ففعل القوم ماأمروا وصبروا إذ علموا أن فى ذلك حياة لنفوسهم وماكان منهم من أحد الا كان له فى أولئك القتلى أخ أو ابن أو قرابة أو صديق ، فلم يمنعهم ذلك عن قتلهم اذ علموا بأن فى تلف أجسادهم صلاحاً لنفوسهم ونصرة للدين وصلاحا لاخوانهم الباقين وطاعة لموسى ورضى للرب .

وكذلك رضيت نفوس تلك السحرة بتلف أجسادهم قتلا أو صلباً اذ قال لهم فرعون « آمنتم له قبل أن آذن لكم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ماأنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر» فصلبهم كلهم ، ولم يهابوه وسمحت نفوسهم بتلف أجسادهم لما علمت أن ذلك حياة لها وفوزاً ونجاة ونصرة للدين وصلاح الاخوان وطاعة لموسى ورضا للرب .

ثم إن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد أن يمر الى الجبل لمناجاة ربه فقال له هارون : احملنى معك فانى لست آمن أن يحدث بنو إسرائيل بعدك حدثاً آخر فتغضب علي مرة أخرى فحمله معه . فلما كانا فى بعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبراً فوقفا عليهما وقالا : لمن تحفران هذا القبر ؟ قالا لأشبه الناس بهذا الرجل وأشارا الى هارون ، ثم قالا له بحق إلهك إلا نزلت وأبصرت هل هو

واسع ؟ فنزع هارون ثيابه ودفعها الى موسى ونزل ونام فيه وقبض ملك الموت روحه من ساعته وانضم القبر وانصرف موسى باكيا حزيناً على مفارقته ، ورجع الى بني اسرائيل ومعه ثياب هارون فاتهموه وقالوا : حسدته فقتلته فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها . وبقي موسى بعد وفاة هارون قليلا حتى كتب لهم التوراة ووصاهم بما احتاجوا اليه وسلم الي يوشع وودعه وصعد الى الجبل والناس يبكون حتى غاب عن أعينهم وسلم نفسه الى ربه .

ثم توفي ومضيا الي ربهما فأكرم مثواهما صلوات الله عليهما . وبقي بنو اسرائيل بعد وفاة موسى أربعين سنة تائهين عن الهدى حتى بعث فيهم يوشع ابن نون ولد نون ولد يوسف النبي عليه السلام وهو أحد الرجلين الذين أنعم الله عليهما حين قال موسى لبني اسرائيل : ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم .

فصل

ومما يدل على أن الانبياء عليهم السلام يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاحها بعد مفارقة الجسد ، فعل المسيح عليه السلام بناسوته ووصيته للحواريين بمثل ذلك : وذلك أن المسيح لما بعث في بني اسرائيل فرآهم منتحلين دين موسى مستمسكين بظاهر شريعته يقرأون التوراة وكتب الانبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها فلا يعرفون أسرارها بل يستعملونها على العبادة ويجرونها على التقليد ولا يعرفون الآخرة ولا يرغبون فيها ولا يفهمون أمر المعاد ولا يدرون مافيها غير الدنيا وغرورها وأمانيها، ولا يدرون مما يستعملون من أمر الشريعة وسنة الدين إلا طلب الدنيا ، وليس غرض الانبياء في دعوتهم الامم ووضع الشرائع والسنن واصلاح الدنيا فحسب ، بل غرضهم من ذلك كله نجاة النفوس الغريقة من بحر الهيولى والعتق لها من أسر الطبيعة وإخراجها من ظلمات الاجسام الى أنوار عالم الارواح والتنبيه لها من نوم الجهالة والتيقظ لها من رقدة الغفلة وتخليصها من ألم نيران الشهوات الجسمانية المحرقة للافئدة والتبصير لها من الغرور باللذات

الجرمانية المهولة ، وشفاءها من الامراض النفسانية ومن عذاب الحر والبرد والجوع والعطش ، وألم الامراض والاسقام وخوف الفقر والتلف والاحزان والأسف واحداث الزمان وغيظ الاعداء والغم على الاصدقاء وحرقة الاشفاق على الاحباء والاقرباء ومعاداة الاضداد ومكايدة الاقران وحسد الجيران ووساوس الشيطان ونوائب الحدثان حالا بعد حال.

فلما رآهم المسيح على تلك الحالة لافرق بينهم وبين من لا يقر بالمعاد ولا يعرف الدين والنبوة ، ولا الكتاب ولا السنة ، ولا المنهاج ولا الشريعة ، ولا الزهد في الدنيا ولا الرغبة في الآخرة ، غمه ذلك منهم ورق لهم وتحنن على أبناء جنسه وتفكر في أمرهم كيف يداويهم من دائهم الذى استقر بهم وعلم أنه ان وبخهم بالتعنيف والوعيد والزجر والتهديد لا ينفعهم ذلك ، لان هذه كلها موجودة في التوراة وما في أيديهم من كتب الانبياء عليهم السلام ، فرأى أن يظهر لهم بزى الطبيب المداوى ! وجعل يطوف في محال بني اسرائيل يلقى واحداً يعظه ويذكره ويضرب له الامثال وينبهه من الجهالة ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ونعيمها حتى مر بقوم من القصارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم : أرأيتم هذه الثياب اذا غسلتموها ونظفتموها وبيضتموها هل تجوزون أن يلبسها أصحابها وأجسادهم ملوثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات قالوا لا ! ومن فعل ذلك كان سفيها . قال : فعلتموها أنتم ! قالوا كيف قال : لأنكم نظفتم أجسادكم وبيضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوثة بالجيف مملوءة قاذورات من الجهالة والعماء والبكم وسوء الاخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغش والحرص والبخل والقبح وسوء الظن وطلب الشهوات الرديئة وأنتم في ذل العبودية أشقياء لاراحة لكم الا الموت والقبر ! فقالوا : كيف نعمل ؟ هل لنا بد من طلب المعاش ؟ قال : فهل لكم أن ترغبوا في ملكوت السماء حيث لاموت ولاهرم ولا وجع ولا سقم ولاجوع ولاعطش ولاخوف ولاحزن ولا فقر ولاحاجة ولاتعب ولاعناء ولاغم ولاحسد بين أهلها ولابغض ولا تفاخر ولا خيلاء ، بل اخوان على سرر متقابلين فرحين

مسرورين ، في روح وريحان ، ونعمة ورضوان وبهجة ونزهة ، يسيحون في فضاء الافلاك وسعة السموات ويشاهدون ملكوت رب العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافين يسبحون بحمد ربهم بنغمات وألحان لم يسمع بمثلها إنس ولا جان وتكونون أنتم معهم خالدون لا تهرمون ولا تموتون ولا تجوعون ولا تعطشون ولا تمرضون ولا تخافون ولا تحزنون ؟ وأكثر النصح فيهم وعمل كلامه في نفوسهم وأراد الله عزوجل بهم خيراً فأسمعهم وهداهم وشرح صدورهم وفتح قلوبهم ونور أبصارهم فشاهدوا ماوصف المسيح عليه السلام مما يشاهده هو بعين البصيرة ونور اليقين وصدق الايمان ، فرغبوا فيها وزهدوا في الدنيا وغرورها وأمانيها وخرجوا مما كانوا فيه من عبودية طلب شهوات الدنيا ولبسوا المرقعات وساحوا مع المسيح حيث مر من البلاد .

وكان من سنة المسيح التنقل كل يوم من قرية الى قرية من قرى فلسطين ، ومن مدينة الى مدينة من ديار بنى اسرائيل يداوي الناس ويعظهم ويذكرهم ويدعوهم الى ملكوت السماء ويرغبهم فيها ويزهدهم فى الدنيا ويبين لهم غرورها وأمانيها — وهو مطلوب من ملك بنى اسرائيل وغوغائهم — وبينا هو فى محفل من الناس هجم عليه ليؤخذ فتجنب من بين الناس فلا يقدر عليه ولا يعرف له خبر حتى يسمع بخبره من قرية أخرى فيطلب هناك ! وذلك دأبه ودأبهم ثلاثين شهراً . فلما أراد الله تعالى أن يتوفاه ويرفعه اليه اجتمع معه حواريوه في بيت المقدس فى غرفة واحدة مع أصحابه وقال : إني ذاهب الى أبى وأبيكم وأنا أوصيكم بوصية قبل مفارقة لاهوتى وآخذ عليكم عهداً وميثاقا فمن قبل وصيتى وأوفي بعهدي كان معى غداً ، ومن لم يقبل وصيتى فلست منه فى شيء ولا هو منى في شيء ! فقالوا له : ماهى ؟ قال : اذهبوا الى ملوك الأطراف وبلغوهم منى ماالقيت اليكم وأدعوهم إلى مادعوتكم اليه ولا تخافوهم ولا تهابوهم فانى اذا فارقت ناسوتي فاني واقف في الهواء عن يمنة عرش أبى وأبيكم ، وأنا معكم حيث ماذهبتم ومؤيدكم بالنصر والتأييد باذن أبى ! اذهبوا اليهم وادعوهم بالرفق

وداووهم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر مالم تقتلوا أو تصلبوا أو تنفوا من الارض ، فقالوا : ماتصديق ماتأمرنا ؟ قال أنا أول من يفعل ذلك .

وخرج من الغد وظهر للناس وجعل يدعوهم ويعظهم حتى أخذ وحمل الى ملك بنى اسرائيل فامر بصلبه فصلب ناسوته وسمرت يداه على خشبتى الصليب وبقى مصلوبا من ضحوة النهار الى العصر ، وطلب الماء فسقى الخل وطعن بالحربة ثم دفن مكان الخشبة ووكل بالقبر أربعون نفرا ، وهذا كله بحضرة أصحابه وحواريه ، فلما رأوا ذلك منه أيقنوا وعلموا أنه لم يأمرهم بشيء يخالفهم فيه ، ثم اجتمعوا بعد ذلك بثلاثة أيام فى الموضع الذى وعدهم أنه يتراأى لهم فيه فرأوا تلك العلامة التى كانت بينه وبينهم ، وفشا الخبر فى بنى اسرائيل أن المسيح لم يقتل فنبش القبر فلم يوجد الناسوت !! فاختلف الاحزاب من بينهم وكثر القيل والقال — وقصته تطول — ثم ان أولئك الحواريين الذين قبلوا وصيته تفرقوا في البلاد وذهب كل واحد منهم حيث وجه : فواحد ذهب الي بلاد المغرب ، وآخر الى بلاد الحبشة واثنان الى بلاد رومية ، واثنان الى ملك انطاكية ، وواحد الى بلاد الفرس ، وواحد الى بلاد الهند ، واثناز قاما فى دير بنى اسرائيل يدعون الى رأي المسيح حتى قتل أكثرهم وظهرت دعوة المسيح في شرق الارض وغربها بافعال الحواريين بعدهم . فتهاونهم بأمر أجسادهم يدل على أنهم كانوا يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الأجساد . ومن ذلك أفعال الرهبان والذين هم خيار أصحابه وأتباعه ، أن أحدهم يحبس جسده فى صومعته سنين كثيرة ويمتنع عن الطعام والشراب واللذات واللباس الناعم وملاذ الدنيا وشهواتها ، كل ذلك لشدة يقينهم ببقاء النفس وصلاح حالها بعد تلف الاجساد

فصل

ومما يدل على أن ابراهيم خليل الرحمن كان يرى هذا الرأى قوله « ربى الذى خلقنى فهو يهدينى والذى هو يطعمنى ويسقينى واذا مرضت فهو يشفينى والذى

يميتني ثم يحييني والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين · رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين » .

وهكذا قول يوسف الصديق : « رب قدآتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

أترى أنهما أرادا اللحوق بالصالحين بجسديهما أو نفسيهما ؟ وهل ألحق جسداهما الا بتراب الارض التى منها خلقا وانما أرادا نفسيهما الزكيتين الشريفتين الروحانيتين والسماويتين النورانيتين لا جسديهما المؤلفين من اللحم والدم والعظم والعروق والعصب وماشا كلها من الأخلاط الأربعة

فصل

ومايدل على أن أهل بيت نبينا عليهم السلام كانوا يرون هذا الرأى تسليمهم أجسادهم الى القتل يوم كربلا ولم يرضوا أن يتولوا على حكم يزيد وزياد ، وصبروا على العطش والطعن والضرب حتى فارقت نفوسهم أجسادهم ورفعت الى ملكوت السماء ولقوا آباءهم الطاهرين محمداً وعلياً والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم في ساعة العسرة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ولو لم يكن القوم مستيقنين ببقاء نفوسهم بعد مفارقة أجسادهم لما تعجلوا اهلاك أجسادهم وتسليمها الى القتل والضرب والطعن وفراق لذيذ عيش الدنيا ، ولكن القوم قد علموا وتيقنوا مادعوا اليه من الحياة فى الآخرة والنعيم والخلود فيها والفوز والنجاة من غرور الدنيا وبلائها فبادر القوم الى ماتصوروا وتحققوا وتسارعوا فى الخيرات ، وكانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً وكانوا من خشيته مشفقين .

فهل لك يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن تقتدي بهم وبسنتهم وتسلك مسلكهم وتقصد مقصدهم وتبادر قبل الفوات فى فكاك نفسك من أسر الطبيعة وتنجيها من بحر الهيولى وتخرجها من قعر الاجسام وظلمة الاجساد ونيرانه

الشهوات المحرقة والغرور باللذات الجرمانية فى جوار الشيطان ، وتعمل كما يعمل الناس النجباء بأن تصحب اخواناً لك نصحاء وأصدقاء كرماء محبين لك وادين مواظبين على نجاتك ونجاة نفوسهم ، وأن ترغب فى صحبتهم وتسمع أقاويلهم وتفهم كلامهم بحضورك فى مجالسهم وتنظر فى كتبهم لتعرف اعتقادهم وتتخلق بأخلاقهم وتتعلم علومهم وتسير بسيرتهم العادلة وتعمل بسنتهم الزكية وتتفقه في شريعتهم العقلية لتحيا كحياتهم الملكية وتعيش عيش السعداء مخلدا أبدا وتتجنب صحبة اخوان الشياطين الذين لا يريدونك الا لصلاح أمور دنياهم وحياة أجسادهم ودفع المضرة عنها وهم يهلكون نفوسهم وهم لا يشعرون

فصل

ومما يدل على ان الفلاسفة الحكماء المتألهين كانوا يرون هذا الرأي ويعتقدونه تسليم سقراط جسده للتلف وتناوله شربة السم اختياراً منه :

وذلك ان هذا الرجل كان حكيما من حكماء بلاد يونان وفلاسفتها ، وكان قد أظهر الزهد فى الدنيا ونعيمها ولذاتها ورغب فى سرور عالم الأرواح وروحها وريحانها ودعا الناس اليها ورغبهم فيها وزهدهم فى المقام في عالم الكون والفساد فاجابه الى ذلك جماعة من أولاد الملوك وكبار الناس واجتمع حوله الاحداث وأولاد النعم يسمعون حكمته وغرائب نوادر كلامه ، فحسده جماعة من مخالفيه ومن يريد الدنيا وزينتها واتهموه بمحبة الصبيان وقالوا انه يتهاون بعبادة الاصنام ويأمرهم به ! وسعوا به الى الملك وشهد عليه بالزور أحد عشر رجلا بانه واجب قتله ، فحبس أشهراً يرون فى قتله .

فاجتمع عنده فى الحبس نحو من سبعين فيلسوفا مخالفاً وموافقاً يناظرون في رأيه ومايعتقدونه في أمر النفس وبقائها بعد مفارقة الجسد وصلاح حالها فحاججهم وصحح رأيه في بقاء النفس وصلاح حالها بعد فراق الجسد — ولهذا قصة يطول شرحها فى كتاب — فما قيل له ان كنت مظلوما فهل لك أن تخلص من القتل بفدية من مال أو بهرب ؟

فقال : أخاف أن يقول لى الناموس غداً لم فررت من حكمي ياسقراط!

فقالوا له تقول لانى كنت مظلوما ، فقال أرأيتم ان قال لى الناموس أرأيت أن ظلمك بالقضاة والعـدول الاحد عشر الذين شـهدوا عليك بالزور فـكان من الواجب أن تظلمنى أنت وتفر من حكمى !! فما أقول ؟ فحاجهم بهذا .

وذلك أن القوم كان في حكم شريعتهم إذا شهد العدول على واحد من الناس بحكم ما ، كان واجباً عليه أن ينقاد وان كان مظلوما فمن لم ينقد كان ظالماً لحكم الناموس : يعنى الشريعة.

وانقاد سقراط للقتل من أجل هذا ، ثم قال : من تهاون بالناموس قتـله الناموس ! ولما تناول شربة السم ليشربها بكى من حوله من الحـكماء والفلاسفة حزناً عليه ، فقال لهم : لاتبكوا فانى وان كنت مفارقا لـكم إخوانا حكماء فضلاء فانى أذهب الى اخوان لنا حكماء فضلاء كرماء ، وقد تقدمنا فلان وفلان ــ وعد جماعة من الفلاسفة الحـكماء الذين كانوا قد ماتوا قبله ــ فقالوا : إنما نبكى على أنفسنا حين نفقد أباً حكيما مثلك

فصل

ومما يدل على أن افلاطون حكيم اليونانيين كان يرى هذا الرأي ويعتقده ، يعنى بقاء النفوس وصلاح حالها بعد مفارقة الجسد ، قوله فى بعض حكمته : لولم يكن لنا معاد نرجو فيه الخير لـكانت الدنيا فرصة الاشرار.

وقال أيضا : نحن ههنا غرباء في أسر الطبيعة وجوار الشياطين ،أخرجنا من عالمنا بجناية كانت من أبينا آدم ! وكلام نحو هذا :

ومما يدل على أن ارسطاطاليس صاحب المنطق يرى هـذا الرأي ويعتقده كلامه في الرسالة المعروفة بالتفاحة وماتـكلم به حين حضرته الوفاة ومااحتج به من فضل الفلسفة ، لان الفيلسوف يجازى بفلسفته بعد مفارقة النفس الجسد.

ومما يدل على أن فيثاغورث صاحب العدد ، وهو من الفضلاء الحـكماء،كان يرى هذا الرأى ويعتقده كلامه في الرسالة الذهبية ووصيته لديوجانس وقوله في

آخرها : فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن حتى تصير بخلى فى الجو تكون حينئذ سابحا سالما ساكنا غير عائد الى الانسية ولا قابلا للموت

فصل

وانما استشهدنا على هذا الرأي بأقاويل الفلاسفة ووصاياهم ،وأفعال الانبياء وسنن شرائعهم لان في الناموس أقواما متفلسفين لايعرفون من الفلسفة إلا اسمها وأقواما من الشرعيين لايعرفون من اسرار الشريعة إلا رسـومها يتصـدرون ويتكلمون فيها بمالايحسنون ويتناظرون فيما لايدرون فيناقضون تارة الفلاسـفة بالشريعة ، وتارة الشريعة بالفلسفة ،فيقعون في الحيرة والشكوك فيضلون ويضلون

ومما يدل على بقاء النفوس بعد مفارقتها أجسادها أن كل عاقل يتفكر في بكاء الناس وأحزانهم على موتاهم وقت مفارقة نفوسهم أجسادها ، فلو كان بكاؤهم على أجسامهم فالهم والبكاء والاجساد بحضرتهم برمتها وهم يشاهدونها لم ينقص منها شيء ، ولو أرادوا أن يحفظوها بأدوية تطـلى عليهـا لاتتغير زمانا طويلا كان يمكنهم ذلك ، بل يستوحشون منها ويدفنونها كراهة لمنظرها وعاراً من فضيحتها إذا فارقتها نفوسها وإن كان بكاؤهم انما هو حزن على فقـدان ما كان يظهر من تلك الاجساد مـن الحركات والافعال والحكم والفضائل فما لهم لايبكون على فقدانها في وقت منامهم فانها كلها تعدم الا النبض والتنفس ! !

ألا ترى يا أخى أن هذه الألفة والأنس والمحبـة والتودد ، إنما هي لتلك النفوس الشريفـة والجواهر النفيسة فان هـذا البكاء والأحزان والتأسـف والاستيحاش على فقدان تلك النفوس التى كانت تظهر من أجسادها تلك الحركات والـكلام والافعال والفضائل والصنائع والحـكم

ومما يدل على بقاء النفس وصلاح حالها بعدمفارقتها أجسادها ذهاب الناس الى قبور الصالحين والاولياء والأخيار لطلب الغفران واستجابة الدعاء والتوسل بهم الى الله عز وجل ومايرجون من شفاعتهم عند ربهم ومايطلبون أيضا من قضاء حوائجهم من أمور الدنيا بالدعاء عند قبورهم ، أفترى أن أهل الديانات كلها

اتفقوا على شيء لاحقيقة له ؟ كلا ! بل هذا علم غامض وأسرار خفية لا يعقلها إلا العالمون ـ كما ذكرهم الله عز وجل ومدحهم بما علموا مما خفي على غيرهم حيث يقول: « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ».

فصل

ينبغي أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفاء وكيف تكون معاونة بعضهم بعضاً في طلب معيشة الدنيا ، وماذا كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه ، وكيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه . ذكر أن مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رخية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الاشجار لذيذة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات — على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها — وكان أهلها إخوة وبني عم : بعضهم لبعض من نسل رجل واحد ، وكان عيشهم أهنأ عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغي والعداوة وأنواع الشر ، كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع ، المتنافرة القوى المتشتتة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الاخلاق . ثم أن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسر بهم المركب ورمى بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعر ، فيه أشجار عالية وعليها ثمار نذرة ، فيها عيون غائرة ومياهها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية وإذا عامة أهل تلك الجزيرة قردة ، وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة قد سلط عليها في كل يوم وليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة ، ثم أن هؤلاء النفر الذين نجوا من الغرق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الاشجار ويأوون بالليل الى

تلك المغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد ، فأنست بهم تلك القرود وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شبهاً لصورة الناس فولعت بهم إناث القردة وولع بها من كان به شبق لخبثه منهم وتوالدت وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بدياً ، ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بنياناً ويتخذون منها منازل ويحرصون في جمع تلك الثمار ويدخرها من كان منهم شرهاً وصاروا يتنافسون على إناث تلك القرود ويغبطون من كان منهم أكثر حظاً من تلك الحالات وتمنوا الخلود هنا وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب : ثم إن رجلا منهم رأى فيما يري النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذي خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فرأوه قد غيره السفر والغربة فكرهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال ، وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافيره وألبسوه الجدد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم ، وأجلسوه في صدر المجلس في المدينة واجتمعوا حواليه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الغرق ومن صحبته تلك القرود وتلك العيشة النكدة ، وهو يظن أن ذلك كله يراه في اليقظة فلما انتبه إذا هو في ذلك المكان بين أولئك القرود فأصبح حزيناً منكسر البال زاهداً في ذلك المكان مغتماً متفكراً راغباً في الرجوع الى بلده ! ! فقص رؤياه على أخ له فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانا فيه فتشاوروا فيما بينهم وأجالوا الرأي وقالوا : كيف السبيل إلى الرجوع وكيف النجاة من هنا ؟ ! فوقع في فكرهما وجه الحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة ويبنيان مركبا في البحر ويرجعان إلى بلدهما فتعاقدا على

ذلك بينهما عهداً وميثاقاً أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا بل يجتهدا اجتهاد رجل واحد فيما عزما عليه ، ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك ، وكلما زاد عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم فجعلوا يذكرون إخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم في الرجوع ويزهدونهم فى السكون هناك حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة يركبوا فيها ويرجعوا إلى بلدهم فبينا هم فى ذلك دائبون : فى قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك الطير الذى كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلا وطار به فى الهواء ليأكله ، فلما أمعن فى طيرانه تأمله فاذا هو ليس من القرود التى اعتاد أكلها فمر به طائراً حتى مر به على رأس مدينته التى خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه ، فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو فى بلده ومنزله وأهله وأقربائه ، فجعل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر فى كل يوم ويختطف منهم واحداً ويلقيه إلى بلده كما فعل به . وأما أولئك القوم بعد مااختطفه الطير من بينهم جعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه لانهم لايدرون مافعل الطير به ولو انهم علموا بحاله وماصار اليه لتمنوا ماتمنى لهم أخوهم

فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد اخوان الصفاء فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ، ومثل الموت كمثل ذلك الطير . ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التى خرجوا منها . فهذا اعتقاد اخواننا الكرام فى معاونتهم فى الدنيا ومايعتقدون فيمن سبقته المنية قبل إخوانه

فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الدنيا دار غرور ومحن ، ولا يرغب العاقل الخلود فى دار الحزن والبلاء ، وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا الى السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد

﴿ تمت رسالة في بيان اعتقاد اخوان الصفاء ومذهب الربانيين ، ويليها رسالة فى كيفية عشرة اخوان الصفاء وتعاون بعضهم مع بعض ﴾

الرسالة الرابعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية معاشرة اخوان الصفاء وتعاون بعضهم مع بعض وصدق الشفقة والمودة فى الدين والدنيا جميعاً

﴿ وهي الرسالة الخامسة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه انه ينبغى لاخواننا أيدهم الله حيث كانوا من البلاد أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لايداخلهم فيه غيرهم ، يتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم . وينبغى أن تكون مذاكرتهم أكثرها في علم النفس ، والحس والمحسوس ، والعقل والمعقول ، والنظر والبحث عن أسرار الكتب الالهية والتنزيلات النبوية ومعانى ماتضمنها موضوعات الشريعة . وينبغى أيضاً أن يتذاكروا العلوم الرياضيات الاربعة أعنى العدد والهندسة والتنجيم والتأليف . وأما أكثر عنايتهم وقصدهم فينبغى أن يكون البحث عن العلوم الالهية التى هى الغرض الأقصى

وبالجملة ينبغى لاخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم جميعها : وذلك أنه هو النظر فى جميع

الموجودات بأسرها الحسية والعقلية من أولها الى آخرها ، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها ، بعين الحقيقة من حيث هى كلها من مبدإ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها المفننة وجزئياتها المتغايرة .

وقد ذكرنا فى الرسالة الثانية أن علومنا مأخوذة من أربع كتب : أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعيات والآخر الكتب المنزلة التى جاءت بها الانبياء صلوات الله عليهم مثل التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء المأخوذة معانيها بالوحى من الملائكة ، ومافيها من الاسرار الخفية ، والثالث الكتب الطبيعية وهي صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الافلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب ومقادير أجرامها وتصاريف الزمان واستحالة الاركان وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات وأصناف المصنوعات على أيدى البشر . كل هذه صور وكنايات دالات على معاني لطيفة وأسرار دقيقة يرى الناس ظاهرها ولا يعرفون معانى بواطنها من لطيف صفة البارى جل ثناؤه .

والنوع الرابع الكتب الالهية التى لا يمسها الا المطهرون : الملائكة التى هى بأيدى سفرة كرام بررة ، وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها وتصاريفها للأجسام وتحريكها لها وتدبيرها اياها وتحكمها عليها واظهار أفعالها بها ومنها حالا بعد حال ، في ممر الزمان وأوقات القرانات والادوار وانحطاط بعضها تارة الى قعر الاجسام وارتفاع بعضها تارة من ظلمات الجثمان وانبعاثها من نوم الغفلة والنسيان وحشرها الى الحساب والميزان وجوازها على الصراط ووصولها الى الجنان أو حبسها فى دركات الهاوية والنيران ، أومكثها في البرزخ أو وقوفها على الاعراف — كما ذكر الله تعالى في قوله : « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » وفي قوله تبارك وتعالى : « وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » وهم الرجال الذين فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه لاتلهيهم

تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وهذا حال اخواننا الفضلاء الكرام ، فاقتدوا بهم أيها الاخوان تكونوا مثلهم — وقد بينا فى رسائلنا كل مايحتاج اليه اخواننا من أهل هذه العلوم

فصل

وينبغى لاخواننا أيدهم الله حيث كانوا فى البلاد اذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً مجدداً أو أخاً مستأنفاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا ، لأن فى الناس أقواماً طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة جائرة : فمنهم خير وشرير ، وكفور وشكور ، وذوأمانة وغدار ، وحليم وسفيه ، وسخي وبخيل ، وشجاع وجبان ، وحسود وودود ، وفاجر وعفيف ، وجزوع وصبور ، وشره وقنوع ، وسلس وشرس ، وفظ غليظ ،ولطيف رقيق ، وعاقل وأحمق ، وعالم وجاهل ، ومحب ومبغض، وموافق ومخالف ، ومنافق ومخلص، وناصح وغاش، ومتكبر ومتواضع، وعدو وصديق ، ومؤمن وزنديق ، وعارف ومنكر ، ومقبل ومدبر ، وماشاكل هذه الاخلاق المحمودة والمذمومة ، مضادات بعضها لبعض .

واعلم أن شر هذه الطوائف كلها من لا يؤمن بيوم الحساب ، وشر الاخلاق كبر ابليس ، وحرص آدم ، وحسد قابيل ، وهى أمهات المعاصى

واعلم أن الناس مطبوعون على أخلاقهم بحسب اختلاف تركيب مزاج أجسادهم وبحسب اختلاف أشكال الفلك في أصل مواليدهم . وقد بينا في رسالة الاخلاق هذا بشرحه .

واعلم أن من النـاس من هو مطبوع على خلق واحد أو عدة من أخلاق محمودة ومذمومة ، وأن العادات الرديئة تقوى الاخلاق الرديئة والعادات الجميلة تقوى الاخلاق المحمودة ، وهكذا حكم الآراء والاعتقادات ، فان من الناس من

يرى ويعتقد في دينه ومذهبه انه حلال له سفك دم كل مخالف له في مذهبه مثل اليهود والخوارج وكل من يكفر بالرب.

ومن الناس من يرى ويعتقد فى دينه ومذهبه الرحمة والشفقة للناس كلهم ويرثى للمذنبين ويستغفر لهم ويتحنن على كل ذى روح من الحيوان ويريد الصلاح للكل ، وهذا مذهب الابرار والزهاد والصالحين من المؤمنين ،وهكذا مذاهب اخواننا الكرام .

فصل

فينبغى لك إذا أردت أن تتخذ صديقاً أو أخا أن تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير ، والأرضين الطيبة التربة للزرع والغرس ، وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشرى المماليك والامتعة التى يشترونها .

وأعلم أن الخطب في اتخاذ الاخوان أجل وأعظم خطراً من هذه كلها ، لان إخوان الصدق هم الاعوان على أمور الدين والدنيا جميعا ، وهم أعز من الكبريت الاحمر !! واذا وجدت منهم واحداً فتمسك به فانه قرة العين ونعيم الدنيا وسعادة الآخرة ، لان اخوان الصدق نصرة على دفع الاعداء وزين عند الاخلاء وأركان يعتمد عليهم عند الشدائد والبلوى ، وظهر يستند اليهم عند المكاره فى السراء والضراء وكنز مذخور ليوم الحاجة وجناح خافض عند المهمات ، وسلم للصعود الى المعالى ، ووسيلة الى القلوب عند طلب الشفاعات ، وحصن حصين يلتجأ اليه يوم الروع والفزعات ، فان غبت حفظوك ، وان تضعضعت عضدوك ،وإن رأوا عدواً لك قمعوه . والواحد منهم كالشجرة المباركة تدلت أغصانها اليك بثمرها واظلتك أوراقها بطيب رائحتها وسترتك بجميل فيئها : فان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك ،يأمرك بالبر ويسابقك اليه ، ويرغبك فى الخير ويبادرك اليه ، ويدلك عليه ويبذل ماله ونفسه دونك .

فاذا أسعدك الله يا أخى بمن هذه صفته فابذل له نفسك ومالك وق عرضه

بعرضك وأفرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره فى أمرك وداو برؤيته عينك واجعل أنسك إذا غاب عنك ذكره والفكر في أمره ، وان هفا هفوة فاغفرله ، وإن زل زلة فصغرها عنده ولا توحشه فيخاف من حقدك ، واذكر من سالف إحسانه عند اسائته ليأنس بك ويأمن غائلتك ، فان ذلك أسلم لوده وأدوم لاخائه

فصل

واعلم يا أخي أن من الناس من لا يصلح للصداقة والأخوة والمقاربة أصلا البتة . فانظر من تصحب وتعاشر ولا تغتر بظاهر الامور من غير معرفة بواطنها ولا بحلاوة العاجل من قبل النظر فى مرارة عاقبتها ، فاذا أردت اتخاذ أخ أو صديق فاعتبر أولا أحواله واختبر أخلاقه وسله عن مذهبه واعتقاده وانظر في عاداته وسجيته وشمائله وحركاته فانه لا يخفى على المتفرس بواطن الامور اذا نظر الى ظواهرها

واعلم بان من الناس من يتشكل بشكل الصديق ويدلس عليك بشبه الموافق ويظهر لك المحبة ،وخلافها فيصدره وضميره فلا تغتر أو تتيقن .

واعلم أن أعمال الناس في ظاهر أمورهم تكون بحسب أخلاقهم التى طبعوا عليها وبحسب عاداتهم التى نشأوا عليها أو بحسب آرائهم التى اعتقدوها . فاذا رأيت الرجل معجبا صلفاً أو نكدا لجوجا أوفظاً غليظاً أو مماحكا ممارياً أوحسوداً حقوداً أو منافقاً مرائياً أو بخيلا شحيحاً أوجباناً مهيناً أومكاراً غدراً أومتكبراً جباراً أو حريصاً شرهاً أوكان محباً للمدح والثناء أكثر مما يستحق أوكان مزرياً لنظرائه أوكان مستحقراً لأقرانه والناس ذاماً لهم أو متكلا على حوله وقوته ، فاعلم أنه لا يصلح للصداقة وصفوة الاخوة ، لان هذه الاخلاق والآراء والعادات مفسدة لاعتقاده لاخوانه : وذلك أن من يختر المطالبة بما لا يجب له لا تسمح نفسه ببذل ما يجب عليه ، وهكذا الحسود واللجوج والغضوب تمنعه هذه الاخلاق عن الاذعان للحق ، وهكذا اللجاج والتكبر يمنعان عن قطع الجدال

والخلاف ، وكذلك الفظاظة والغلظة يمنعان من العـذوبة والسهولة والشراسـة والغضب يهيجان على المـكابرة .

وبالجملة كل هـذه الاخلاق ،فسدة للمودة ومخالفة لصفوة الاخوة مستثقلة للنفوس وموحشة للأنس والراحة ومنفـرة لألف الطبـاع ومنغصة للعيش ومبغضة للحياة

واعلم أن الصداقة لاتتم بين مختلفين بالطبع لان الضدين لا يجتمعان . مثال ذلك السخي والبخيل فانهما متضادان في الطبع فلا تتم بينهما الصداقة ولا تصفو لهما المودة ولا يهنيهما العيش ، لانه اذا فعل السخي شيئاً مما يوجبه سخاؤه من بذل المال أو المعروف رآه البخيل بصورة المضيع قد فعل ما لا ينبغي ولا يجوز وإذا فعل البخيل بطبعه شيئاً من امساك المال ممايوجبه بخله رآه السخي بصورة من قد أتى منـكراً لا يحسن فعله ، فيصير ذلك سبباً لعيب كل واحد منهما على صاحبه حتى يعتقد البخيل في السخي سخف الرأى وتضييع المال وترك النظر فى العواقب ، ويعتقد السخي فى البخيل النذالة والدناءة وصغر النفس وقصور الهمة فاذا وقع بينهما ودام صارت وحشة وتواترت حتى تصير عداوة وتصير العداوة الى الصرامة .

وهذا القياس في كل خلقين مختلفين متضادين فانهما يوجبان المنازعة والمنازعة توجب المغالبة والمغـالبة تنتج المغايظة والمغايظة توجب المباغضة والمباغضـة ضد الصداقة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن مثل اتخاذ الاصدقاء والاخوان كمثل اكتساب المال والذخائر وذلك أن من الناس من يفني عمره في طلب صديق موافق فلا يجده فمثله كمثل الذي يفني عمره في طلب جمع المال فلا يقدر عليه ، ومنهم من يكون مرزوقا من كثرة المال ، ومنهم من يحسن أن يكتسب المال ولكن لا يحسن أن يحفظه

فهكذا حكم اتخاذ الاخوان والاصدقاء، ومنهم من لا يحسن حفظهم ومراعاة أمورهم فيصيرون الى العداوة بعد الصداقة والى المباغضة بعد المودة .

فينبغي لك أن يكون أكثر كدك وعنايتك — بعد اتخاذ الصديق — حفظه ومراعاة أمره وأداء حقوقه حتى لا تصير الصداقة عداوة بعد طول الصحبة بملالة أو ضجر أو شكوك أو ظنون أو شبهة تدخل في المودة أو نميمة ووشاية من مخالف له يسعى بينكما للفساد . فتفقد ياأخي هذا الباب ولا تغفل عنه

واعلم يا أخي أن الانسان كثير التلون قليل الثبات على حال واحد وذلك أنه قل من الناس من تحـدث له حال من أحوال الدنيا أو أمر من أمورها من غنى الى فقر أومن فقر الى غنى أو من حضر الى سفر أو من عذوبة الى تزويج أو من ذل الى عز أو من عطلة الى شغل أو من بؤس الى نعمة أو من رفعة الى ضعة أو من ضعة الى رفعة أو من صناعة الى تجارة أو من صحبة قوم الى صحبة آخرين أو من رأى مذهب الى مذهب أو من شباب الى شيخوخة أو من صحة الى مرض الا ويحدث له خلق جديد وسجية أخرى ويتغير خلقـه مع اخوانه ويتلون مع أصدقائه الا اخوان الصفا الذين ليست صداقتهم خارجة من ذاتهم ، وذلك أن كل صداقة تكون لسبب ما ، فاذا انقطع ذلك السبب بطلت تلك الصـداقة إلا صداقة إخوان الصفاء فان صداقتهم قرابة رحم ورحمهم أن يعيش بعضهم لبعض ويرث بعضهم بعضا ، وذلك انهم يرون ويعتقدون أنهم نفس واحدة فى أجساد متفرقة فكيف ماتغيرت حال الاجساد بحقيقتها فالنفس لا تتغير ولا تتبـدل كما قال القائل :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو ان ما في الوجه منه حراب
لها ظفر ان كل ظفر اعده وناب اذا لم يبق في الفم ناب
يغير مني الدهر ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العمر وهي كعاب

وخصلة أخرى أنما أحدهم إذا أحسن إلى أخيه احسانا فلا يمن عليه به لأنه يرى ويعتقد أن احسانه إلى نفسه وإن أساء إليه إخوه لم يتوجه

منه لأنه يرى أن ذلك كان منه اليه ، فمن اعتقد في أخيه مثل هـذا واعتقد أخوه فيه مثل ذلك فقد أمن كل واحد من أخيه غائلته أن يتغير عليه في يوم من الأيام بسبب من الأسباب أو بوجه من الوجوه

﴿ فصل ﴾

فينبغي إذا ظفرت بواحد منهم أن تختاره على جميع أصدقائك وأقربائك وعشيرتك وجيرانك الذين نشأت معهم فانه خير لك من ولدك الذي من ظهرك ، وأخيك من صلب أبيك ، ومن زوجتك التى جعلت كل كسبك لها وجميع سعيك من أجلها ، فاعرف حقه كما تعرف حقوقهم ، بل ينبغي أن تؤثره عليهم كلهم لأن هؤلاء يحبونك من أجل منفعة تصل منك إليهم ويريدونك من أجل مضرة تدفعها عنهم ، فاذا استغنوا عنك زهدوا فيك ورغبوا في غيرك وخذلوك أحوج ماتكون اليهم ، فأما هذا الأخ فليس يريدك من أجل شيء خارج عن ذلك بل من أجل أنه يرى ويعتقد انك إياه وهو إياك نفس واحدة في جسدين متقابلين ، يسره مايسرك ويغمه مايغمك ، يريد لك منه مثل الذي تريد له منك واعلم أن قلوب الاخيار صافية لأن نفوسهم طاهرة ولا تخفى عليهم خفيات الأمور لأنها تترأى فيها كما تترائى فى أعين البصراء ظواهر كليات الأمور . فلا تضمرن لاخوانك الأصفياء خلاف ما تظهر لهم فان ذلك لا يخفى عليهم ولا ينكتم عليهم منك

﴿ فصل ﴾

واعلم بأن خير شيء يرزقه الانسان السعادة وان السعادات نوعان : داخل وخارج فالذي هو داخل نوعان : أحدهما في الجسد والآخر في النفس ، فالذي في الجسد كالصحة والجمال والذي في النفس كالذكاء وحسن الخلق ، والذى من خارج نوعان : أحدهما ملك اليد كالمال ومتاع الدنيا ، والآخر الأقران من أبناء الجنس كالزوجة والصديق والولد والأخ والأستاذ والمعلم والصاحب والسلطان وا

فمن أسعد السعادات أن يتفق لك ياأخي معلم رشيد عالم عارف بحقائق الأشياء والأمور مؤمن بيوم الحساب عالم بأحكام الدين بصـير بأمور الآخرة خبير بأحوال المعاد مرشد لك اليها ومن أنحس المناحس أن يكون لك ضد ذلك

واعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها ، كما أن والدك أب لجسدك وكان سبباً لوجوده ، وذلك أن والدك أعطاك صورة جسدانية ومعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذى نفسك بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق النعيم واللذة والسرور والأبدية والراحة السرمدية ، كما أن أباك كان سبباً لكون جسدك فى دار الدنيا ومربيك ومرشدك الى طلب المعاش فيها التى هى دار الفناء والتغيير والسيلان ساعة بساعة ، فسل ياأخي ربك أن يوفق لك معلماً رشيداً هادياً سديداً واشكر الله على نعمائه السابغة

فصل

واعلم أن فى الناموس أقواماً يتشبهون بأهل العلم ويتدلسون بأهل الدين ، لاالفلسفة يعرفونها ولاالشريعة يحققونها ويدعون مع هذا معرفة حقائق الاشياء ويتعاطون النظر فى خفيات الأمور الغامضة البعيدة وهم لايعرفون أنفسهم التى هى أقرب الأشياء اليهم ولايميزون الأمور الجلية ولايتفكرون فى الموجودات الظاهرة المدركة بالحواس المشهورة في العقول ، ثم ينظرون فى الطفرة والقلقـة والجزء الذى لايتجزأ وماشاكلها من المسائل فى الأمور المتوهمة التى لاحقيقة لها فى الهيولى وهم شاكون فى الأشياء الظاهرة الجليـة ويدعون فيها المحالات بالمكابرة فى الكلام والحجاج فى الجدل ، مثل دعواهم أن قطر المربع مساو لاحد أضلاعه ، وأن النار لاتحرق ، وأن شعاع البصر جسم يبلغ فى طرفة العـين الى فلك الكواكب ، وأن علم النجوم باطل وما شاكل ذلك من الزور والبهتان . فاحذرهم ياأخي فانهم الدجالون الذلقو الالسن العميان القلوب الشاكون فى الحقائق الضالون عن الصواب

واعلم أنهم محنة على العلماء كذابون على الانبياء عليهم السلام ينتحلون ولا يتحققون ويدعون مالا يعرفون ، ويتكلمون فيما لايحسنون ، وما هم الا كما وصفهم رب العالمين جل اسمه : (بل أنتم قوم خصمون) يهيمون في أودية مايتوهمون ويقولون مالايفعلون ولا يعلمون .

أعاذنا الله واياك أيها الأخ ممن فيه هذه الصفات الذميمة ومن شرهم فانهم أعداء فاحذرهم.

﴿ فصل ﴾

وأعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضاً أن يتفق لك معلم ذكى جيد الطبع حسن الخلق صافي الذهن محب للعلم طالب للحق غير متعصب لرأى من المذاهب .

واعلم أن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل ورق أبيض نقى لم يكتب فيه شيء ، فاذا كتب فيه شيء حقاً كان أم باطلا فقد شغل المكان ومنع أن يكتب فيه شيء آخر ويصعب حكه ومحوه

فهكذا حكم أفكار النفوس اذا سبق اليها علم من العلوم واعتقاد من الآراء أو عادة من العادات تمكن فيها حقاً كان أو باطلا ويصعب قلعها ومحوها كما قال القائل :—

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبى فارغا فتمكنا

فاذا كان الامر كما وصفت فينبغي لك أيها الأخ أن لاتشغل باصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة فانهم يتعبونك ثم لاينصلحون ، وان صلحوا قليلا قليلا فلا يفلحون

ولكن عليك بالشباب السالمي الصدور ، الراغبين فى الآداب المبتدئين بالنظر في العلوم المريدين طريق الحق والدار الآخرة والمؤمنين بيوم الحساب المستعملين شرائع الانبياء عليهم السلام الباحثين عن اسرار كتبهم التاركين الهوى والجدل غير متعصبين على المذاهب

واعلم ان الله تعالى مابعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب ، كما ذكرهم ومدحهم فقال عز اسمه (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال تعالى « إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » وقال أيضاً عزوجل : (وقال موسى لفتاه) .

واعلم أن كل نبى بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه المتعاطون الفلسفة والنظر والجدل ، كما وصفهم تعالى فقال : (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا ءألهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

﴿ فصل ﴾

واعلم أن مواهب الله جل اسمه كثيرة لايحصى عددها ، ولكن يجمعها جنسان : تحت كل جنس أنواع كثيرة ، أحدهما قنية جسدانية والآخر قنية نفسانية

فمن القنية الجسدانية أحدها المال ، ومن القنية النفسانية أحدها العلم. والناس فى هاتين النعمتين العظيمتين على منازل أربع : فمنهم من قد رزق الحظ من المال والعلم جميعاً ، ومنهم من قد حرمهما جميعاً ، ومنهم من رزق المال ولم يرزق العلم ومنهم من رزق العلم ولم يرزق المال

فينبغي لاخواننا — ممن قد رزق المال والعلم جميعاً — أن يؤدى شكر ما أنعم لله جل وعز به عليه بان يضم اليه أخا من اخوانه ممن قد حرمهما جميعاً ويواسيه من فضل ما أتاه الله تعالى من المال ليقيم به حياة جسده في دار الدنيا ويرقده ويعلمه من علمه لتحيا به نفسه للبقاء في دار الآخرة فان ذلك من أقرب القربات إلى الله وأبلغ لطلب مرضاته .

ولا ينبغي له أن يمن عليه بما ينفق عليه من المال ولا يستحقره ويعلم أن الذي حرم أخاه هو الذى أعطاه ، وكما انه لايمن على أبن له جسدانى فيما يربيه وينفقه عليه من ماله ويورثه ماجمعه من المال بعد وفاته ، كذلك لايجب أن يمن على ابنه

النفساني لانه ان كان ذلك ابنه الجسداني فهذا ابنه النفساني كما روي أن النبي
ﷺ قال لعلى عليه السلام : (أنا وأنت أبو هذه الامة) وقال ﷺ : (المؤمن
أخو المؤمن من أبيه وأمه)وقال ابراهيم عليه السلام : (فمن تبعني فانه مني) وقال
عز وجل لنوح عليه السلام حيث قال :(ان ابني من اهلي «قال» انه ليس من أهلك
انه عمل غير صالح) وقال تعالى : (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون) فبين أن النسب الجسداني لا ينفع في الآخرة.

ولهذا المعنى قال المسيح عليه السلام للحواريين (جئت من عند أبي وأبيكم)
وقال الله تعالى : (ملة أبيكم ابراهيم) فهذه الأبوة نفسانية لا ينقطع نسبها كما
قال النبي عليه السلام (كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبي) وقال : (يابني
هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة باعمالهم وتأتوني بانسابكم فاني لا أغني عنكم من
الله شيئاً) . انما أراد النسبة الجسدانية لانها تنقطع اذا اضمحلت الاجسام وبقيت
النسبة النفسانية ، لان جواهر النفوس باقية بعد فراق الاجساد وان كان يظن أن
ابنه الجسداني يحيي ذكره بعد موته) فهذا أيضاً ان عاش أحيا ذكره في مجلس
العلماء ومحاضر أهل الخير اذا نشر علمه ويتوجه اليه ويترحم عليه كلما ذكره، كما
نذكر نحن معلمينا وأستاذينا أكثر مما نذكر أباءنا الجسدانيين ونترحم على آباءنا
وان كان يظن أن ذلك الابن الجسداني ربما ينفعه اذا كبر ويعينه على أمور الدنيا
فهذا ربما بلغ في العلم والحكمة والخير والمرتبة عند الله تعالى أن يشفع بعلمه
لمعلمه فينجو بشفاعته وهو لا يدري كما ذكر الله تعالى بقوله : (آباؤكم وأبناؤكم
لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله)

وأما من رزق المال ولم يرزق من العلم من إخواننا فينبغي له أن يطلب أخاً
ممن قد رزق العلم ويضمه اليه ويواسيه هذا من ماله ، ويرفده هذا من علمه
ويتعاونان جميعاً على إصلاح أمر الدين والدنيا • وينبغي للأخ ذي المال أن
لا يمن على الأخ ذي العلم بما يواسيه من ماله ولا يحتقره لفقره لأن المال قنية
جسدانية تقام بها حياة الجسد في دار الدنيا ، والعلم قنية نفسانية تقام بها حياة

النفس في دار الآخرة وجوهر النفس خير من جوهر الجسد وحياة النفس خير
من حياة الجسد لان حياة الجسد الى مدة ما ثم تنقطع وتضمحل وحياة النفس
في الدار الآخرة تبقى مؤبداً كما ذكر الله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت إلا
الموتة الاولى » • وينبغي للاخ ذي العلم والحكم أن لا يحسد أخاً ذا مال له ،
ولا يستحقره لجهله ، ولا يفتخر عليه بعلمه ، ولا يطلب منه عوضاً فيما يعلمه لان
مثلهما في صحبتهما وتعاونهما : هذا لهذا بماله ، وهذا لهذا بعلمه ، كمثل اليد
والرجل في اتصالهما بالجسد وخدمتهما وتعاونهما في اصلاح الجملة • وذلك لان
اليدين لا تطلبان من الرجلين اذا احتذت لهما نعلا أو أخرجت منهما شوكة جزاء
ولا شكوراً ، وكذلك الرجلان لا تطلبان من اليدين اذا بلغتاهما الى الموضع الذى
شاءتا وتسترتا وهربتا به من خوف القطع جزاء ولا عوضاً لانهما آلات جسد
واحد ، وقوام إحداهما بالاخرى ، وهكذا أيضاً السمع لا يمن على البصر إذا أسمعه
النداء ، ولا البصر يمن على السمع اذا أراه المنادى، لانهما قوتان لنفس واحدة كل
منهما صلاح للاخرى في تعاونهما في خدمة النفس وطاعتها في إدراكها المحسوسات

فهكذا ينبغي أن يكون تعاون اخوان الصفاء في طلب صلاح الدين والدنيا ،
وذلك أن معاونة الاخ ذي المال للاخ ذي العلم بماله ومعاونة الاخ ذي العلم للاخ
ذي المال بعلمه في صلاح الدين كمثل رجلين اصطحبا في الطريق في مفازة أحدهما
بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لا يطيق حمله ، والآخر أعمى قوي البدن ليس
معه زاد فأخذ البصير بيد الاعمى يقوده خلفه وأخذ الاعمى ثقل البصير فحمله
على كتفه وتواسيا بذلك الزاد وقطعا الطريق ونجوا جميعاً فليس لاحدهما أن يمن
على الآخر في انجائه له من الهلكة في معاونته ، لانهما نجوا جميعاً بمعاونة كل
واحد منهما صاحبه والمعاونة لا تكون الا بين اثنين أو أكثر والاخ الجاهل
كالاعمى والاخ الفقير كالضعيف ، والاخ الغني كالقوي ، والاخ العالم كالبصير
والطريق هي صحبة النفس مع الجسد ، والمفازة هي الحياة الدنيا والنجاة هي
حياة الآخرة .

فهكذا مثل اخواننا المتعاونين فى صلاح الدنيا والدين ٠

وأما من رزق العلم ولم يرزق المال ولايجد من يواسيه بالمال من إخواننا فينبغي له أن يصبر وينتظر الفرج فانه لابد أن يؤيده الله عز وجل بأمر أو بأخ يخفف عنه مايحتمله من ثقل الفقر ، كما وعد لأوليائه فقال عز من قائل : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب» . وقال تعالى : «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » ٠

وينبغي له أن يعلم أن الذى رزق من العلم خير من الذي حرم من المال ، لان العلم سبب لحياة النفس في دار الدنيا والآخرة جميعاً والمال سبب لاقامة حياة الجسد فى دار الدنيا فقط وفضل مابين النفس والجسد وشرف جوهرها وفضل حياتها وفضل ذاتها ، فقد تقدم ذكره وينبغي له أن يتفكر فى الذى حرم من المال والعلم جميعا ليعرف نعمة الله عليه ويشكره على كل حال ليستوجب المزيد كما وعد الله تعالى فقال : «لئن شكرتم لأزيدنكم».

وأما من ليس بذي مال ولا علم من اخواننا فهو الذى له نفس زكية جميلة الاخلاق سليم القلب من الآراء الفاسدة محب للخير وأهله صابر راض بما قسم الله له من ذلك، فينبغي أن يعلم أن الذي أعطى من حسن الاخلاق وسلامة القلب ومحبة الخير والرضا بما قسم له خير من الذي منع من المال والعلم ، لأنا نجد في الناس من أعطى العلم والمال أو أحدهما ولم يرزق من هذه الخصال التى ذكرناها شيئًا ، وذلك أنا نجد أقواما علماء متفلسفين يصنفون الكتب في تحسين الاخلاق ويأمرون الناس بها وهم أسوأ الناس خلقا ، ونجد أقواماً ليس لهم علم كثير وهم مهذبو الاخلاق كما وصفنا . فقد تبين أن حسن الخلق من مواهب الله تعالى كما قيل فى الخبر : «قد فرغ الله من الخلق والخلق والرزق والاجل» . ومدح الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بحسن الخلق حين قال : « وانك لعلى خلق عظيم » ٠ وقال تعالى : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» ٠ وقد قيل في الخبر : «إن الانسان بحسن الخلق يدرك في الجنة درجة الصائم» ٠ لأن حسن

الخلق من أخلاق الملائكة وشيمة أهل الجنة ، كما ذكر في القرآن قلن «حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » ٠

وسوء الخلق من أخلاق الشياطين وأهل النار الذين يحسد بعضهم بعضا ويتباغضون ويلعن بعضهم بعضاً كما ذكر الله تعالى في القرآن : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ٠ وقالوا لامرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم وهم في العذاب مشتركون

فصل

واعلم أن قوة نفوس اخواننا في هذا الامر الذي نشير اليه ونحث عليه على أربع مراتب : أولها صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور، وهى مرتبة أرباب ذوي الصنايع فى مدينتها التى ذكرناها في الرسالة الثانية وهي القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد ، والى هذا أشار بقوله تعالى : « اذا بلغ الاطفال منكم الحلم » وهم الذين نسميهم في مخاطبتنا ورسائلنا اخواننا الابرار والرحماء ٠

وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسات وهي مراعاة الاخوان وسخاء النفس واعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنن على الاخوان وهي القوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد ، واليه أشار جل ذكره بقوله : « فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلماً » . وهم الذين نسميهم فى رسائلنا اخواننا الاخيار والفضلاء .

والرتبة الثالثة فوق هذه وهي مرتبة الملوك ذوى السلطان والامر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الامر بالرفق واللطف والمداراة فى اصلاحه ، وهي القوة الناموسية الواردة بعد مولد الجسد بأربعين سنة ، واليها أشار بقوله : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علي » . وهم الذين نسميهم اخواننا الفضلاء الكرام .

والرابعة فوق هـذه وهي التي ندعو اليها اخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهي قوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد ، وهي الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولى وعليها تنزل قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام ، والى هـذه الرتبة أشار بقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » واليها أشار ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى : « واجعلني من ورثة جنة النعيم » واليها أشار يوسف عليه السلام بقوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » . واليها أشار المسيح عليه السلام بقوله للحواريين : « اني اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمين العرش بين يدي أبي وأبيكم أتشفع لكم فاذهبوا الى الملوك في الاطراف وادعوهم الى الله تعالى ولا تهابوهم فاني معكم حيث ماذهبتم بالنصر والتأييد » . وأشار اليها نبينا محمد ﷺ : « انكم تردون على الحوض غداً » . وأحاديث مروية ، كل هذه مشهورة عند أصحاب الحديث واليها أشار سقراط بقوله يوم سقي السم : « اني وان كنت أفارقكم اخوانا فضلاء فاني ذاهب الى اخوان كرام قد تقدمونا » في كلام طويل . واليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية في آخرها : « انك اذا فعلت ماأوصيك عنـد مفارقة الجسد تبقى في الهواء غير عائد الى الانسية ولا قابل للموت » . واليها أشار بلوهر ليوزاسف حين قال الملك لوزيره وكان من أهل هذه المقالة : « قل لي من أنت ؟ فقال من الذين يعرفون ملكوت السماء » — في حديث طويل . واليها ندعو نحن اخواننا جميعا ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . واليها أشار بقوله تعالى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » — وآيات كثيرة في القرآن في هـذا المعنى وهي كل آية فيها صفة الجنان وأهلها ونعيمها

﴿ فصل ﴾

واعلم أن المطلوب من المدعوين الى هذا الامر أربعة أحوال : أولها الاقرار بحقيقة هذا الأمر ، والثاني التصور لهذا الأمر بضروب الأمثال للوضوح والبيان والثالث التصديق له بالضمير والاعتقاد ، والرابع التحقيق له بالاجتهاد في الاعمال المشاكلة لهذا الأمر . واعلم أن المقر باللسان غير متصور له يكون مقلداً والمتصور له غير مصدق به يكون شاكاً متحيراً ، والمصدق به غير المتحقق له بالاجتهاد بالعمل المشاكل لهذا الأمر يكون مقصراً مفرطاً ، والمكذب باللسـان لهذا الامر المنكر له بقلبه يكون جاحداً كافراً ، كما قال الله تعالى : « الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » « لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون » . واعلم أن المقر لهذا الامر بلسانه المتصور له بقلبه على حقيقته يجد من نفسه أربعة خصال لم يعرفها قبل ذلك أحدها قوة النفس والنهوض من الجسد ، والثاني النشاط في طلب الخلاص من الهيولى الذي هو جهنم النفوس ، والثالث الرجاء والامل بالفوز والنجاة عند مفارقة النفس الجسـد ، والرابع الثقة بالله واليقين بتمام الأمر وكماله

﴿ فصل ﴾

واعلم أن كل مقر بهذا القرآن وبكتب الانبياء عليهم السلام واخبارها عن الغيب فهم في ذلك على منازل اربع : إما مقر بلسانه غير مصدق بقلبه ، أو مقر بلسانه ومصدق بقلبه غير عارف لمعانيه وبيانه ، أو مقر ومصـدق ومتبين ولـكن غير قائم بواجب حقه . فالمقر بلسانه غير المصدق بقلبه هو الذي رزق من الفهم والتمييز قليلا ، فاذا فكر بعقله وميز ببصيرته مايدل عليه ظاهر ألفاظ الكتب النبوية لايقبله عقله لأنه لايتصور معانيها اللطيفة وإشاراتها الخفية فينكره بقلبه ويشك فيه ، وأما من أقر بلسانه وصدق بقلبه — وهو الذي يتفكر ويعلم أن مثل هذا الامر الجليل الذي قد اتفقت على تحقيقه الانبياء والائمة المهديون والخلفاء

الراشـدون وصالحو المؤمنين وأقربه فضلاء الناس والمميزون المستبصرون — لايجوز أن يكون ليس له حقيقة[1] ولكن فهمه وتمييزه وعقله يقصرعن ادراكه وتصوره لها بحقائقها ، وأما من قد عرف بيانه ولكن قصر في القيام بواجبه فهو الذي وفقه الله وأرشده واهتدى بحقائق هذه الاسرار المذكورة فى كتب الانبياء عليهم السلام ولكن لايجد المعين له على القيام بنصرتها وواجب حقها لانه وحيد وليس كل أمر يتم بالوحدة ، بل ربما يحتاج فيه الى الجم العظيم وخاصة أمر الناموس ، فأقل مايحتاج فيه الى اربعين خصلة تجتمع في واحد من الاشخاص أو فى اربعين شخصاً مؤتلفة القلوب

تمت رسالة كيفية عشرة إخوان الصفا ويليها رسالة فى ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين

(١) كذا في الاصل ومفاده أن مجيئه على لسان الانبياء وغيرهم من الحكماء يجعله أمراً مقطوعا به أو يجعله أقرب ما يكون الى الحقيقة ومن غير الجائز أن يكون كذبا — وفي الاصل ما فيه من تشويش

الرسالة الخامسة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين

﴿وهي الرسالة السادسة والار بعون من رسائل اخوان الصفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن الله جل ثناؤه قد أكثر ذكر المؤمنين فى القرآن والمدح والثناء الجميل عليهم ووعدهم الثواب الجزيل فى الدنيا والآخرة جميعا ، وهكذا أيضا قد اكثر ذكر الكافرين وسوء الثناء عليهم والزجر والتهديد والوعيد فى الدنيا والآخرة جميعا . فنريد أن نبين من المؤمن حقا ومن الكافر حقا اذكان هذا أمر قد التبس على كثير من أهل العلم حتى صار يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضا بغيرعلم ولا بيان ، ولكن من أجل أن كثيراً من أهل العلم لايعرفون الفرق بين العلم والايمان احتجنا أن نبين أولا ما الفرق بينهما . وذلك أن كثيرا من المتكلمين يسمون الايمان علما ، ويقولون هو علم من طريق السمع . وما يعلم بالقياس هو علم من طريق العقل . فنريد أن نبين أيما هو علم بالحقيقة فنقول :

ان الحكماء قالوا ان العلم هو تصور النفس رسوم المعلومات فى ذاتها ، فاذا كان العلم هو هـذا فليس كلما يرد الخبر به من طريق السمع تتصوره النفس بحقيقته ، فاذاً لايكون ذلك علماً بل ايماناً واقراراً وتصديقاً ، ومن أجل هذا دعت

الانبياء أممها الى الاقرار أولا ، ثم طالبوهم بالتصديق بعد البيان ، ثم حثوهم على طلب المعارف الحقيقية . والدليل على صحة ماقلنا قول الله عز وجل: «الذين يؤمنون بالغيب » ، ولم يقل يعلمون بالغيب . ثم حثهم على طلب العلم بقوله : « فاعتبروا يا أولي الألباب » ويا أولي الابصار . ثم مدح فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال : « الذين أوتوا العلم والايمان » فكفى بهذا فرقاً بين العلم والايمان . فنريد أن نبين شرائط الايمان وصفات المؤمن ليعلم كل انسان هل هو مؤمن حقاً أو شاك مرتاب ، لأن المؤمنين هم ورثة الانبياء وتلامذتهم ، وأن الانبياء لم يورثوا دراهم ودنانير بل انما ورثوا علما وعبادة ، فمن أخذ بهما فقد وفر حظا جزيلا كما ذكر الله جل ثناؤه : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » وقال الله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله أن نعم الله كثيرة على الخلق لا يحصى عددها ، ولكن نذكر طرفا مما يخص الانسان وهو نوعان : أحدهما من خارج الجسد كالمال والقرين والولد ومتاع الدنيا أجمع، والآخر داخل فهو نوعان : أحدهما في الجسد كالصحة وحسن الصورة وكمال البنية والقوة والجلد وما شاكلها ، والآخر في النفس وهو نوعان : أحدهما حسن الخلق والآخر ذكاء النفس وصفاء جوهرها وهي الاصل في جميع المعارف . واعلم يا أخي أن الناس كلهم في المعارف على أربع منازل : فمنهم من قد رزق العلم ولم يرزق الايمان ، ومنهم من رزق الايمان ولم يرزق العلم ومنهم قد وفر حظه منهما جميعا ، ومنهم من قد حرمهما جميعا ، واليهم أشار بقوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » فخبر بهذا عن أشرفهم في المعارف إذ كان علم البعث والقيامة من أشرف العلوم .

وأما الذين أوتوا الايمان ولم يرزقوا العلم فهم طائفة من الناس المقرين بما في كتب الانبياء عليهم السلام من أخبار البعث وأمر المبدأ والمعاد وأحوال الملائكة ومقاماتهم وحديث البعث والقيامة والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط وجزاء الاعمال في النشأة الآخرة ونعيم الجنان وماشاكلها من الامور الغائبة عن الحواس البعيدة عن تصور الاوهام وهم مع قلة علمهم ساكنة نفوسهم بما أخبرت به الانبياء وما أشارت اليه الحكماء من الثواب في المعاد ونعيم الجنان ومصدقون لهم في السر والاعلان راغبون فيها طالبون لها عاملون من أجلها ، ولكنهم تاركون البحث عنها والكشف لها والنظر في حقائقها : كيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ ولم ؟ واليهم أشار بقوله : (فسلام لك من أصحاب اليمين) لهم الامن واليمن والامان والايمان

وأما الذين رزقوا حظاً من العلم ولم يرزقوا الايمان فهم طائفة من الناس نظروا في كتب الفلاسفة والحكماء وبحثوا عنها وارتاضوا بما فيها من الآداب مثل الهندسة والتنجيم والطب والمنطق والجدل والطبيعيات وماشاكلها فأعجبوا بها وتركوا النظر في كتب النواميس والتنزيلات النبوية والبحث عن أسرار الموضوعات الشرعية والكشف عن خفيات الرموزات الناموسية فعميت عليهم الانباء فهم شاكون في حقائقها متحيرون في معرفة معانيها جاهلون بلطيف أسرارها غافلون عن عظيم شأنها ، واليهم أشار بقوله: «فرحوا بما عندهم من العلم»

وأما الذين حرموا العلم والايمان جميعاً فهم طائفة من الذين أترفوا في هذه الحياة الدنيا فهم مشغولون الليل والنهار في طلب شهواتها ، مغرورون بعاجل حلاوات لذات نعيمها ، تاركون لطلب الآداب معرضون عن العلم وأهله ، غافلون عن أمر الديانات وأحكام الشرائع ومفروضات السنن التي الغرض منها نجاة النفس وطلب الآخرة واليهم أشار بقوله: «وأترفناهم في الحياة الدنيا» وقال «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » وقال : « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم» .

فأما الذين أوتوا من العلم والايمان حظاً جزيلا فهم اخواننا الفضلاء الكرام الاخيار الذين أشار اليهم بقوله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» . وقد أخبرنا عن مذهبهم وعرفنا كم أخلاقهم وبينا آراءهم وأوضحنا أسرارهم فى احدى وخمسين رسالة عملناها في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم .

فانظروا فيها أيها الاخوان الأبرار الرحماء فلعلكم توفقون لفهم معانيها بتأييدالله لكم وبروح منه فتحيون حياة العلماء وتعيشون عيش السعداء وتهتدون الى طريق ملكوت السماء وتنظرون الى الملأ الأعلى وتساقون الى الجنة زمراً .

واعلم ياأخي أن المؤمنين درجاتهم متفاوتة الايمان ، كما أن العلماء متفاوتون في درجات العلوم ، وذلك أن الانسان لايبلغ درجة فى العلم الا ويلوح له فوقها درجات لم يبلغها بعد ، كما ذكر الله بقوله : «وفوق كل ذي علم عليم» . فهو من أجل هذا يحتاج الي الاقرار به والتصديق بقول من هو أعرف وأعلم منه .

واذ قد بان من فضيلة العالم والمؤمن ، وماالعلم وماالايمان بما تقدم ، فنريد أن نذكر ماهية كل واحد منهما ونبين كميتهما وكيفيتهما فنقول :

ان العلم هو صورة المعلوم في نفس العالم ، والايمان هو التصديق لمن هو أعلم منك بما لايخبرك عما لاتعلمه

واعلم أنه رب صورة فى نفس العالم ليس لها وجود في الهيولى فنحتاج أن تنظر في هذا الباب نظراً شافياً فان أكثر مايدخل الشبهة على العلماء من هذا الباب

وأما الايمان فهو التصديق للمخبر فيما قال وأخبر عنه ، ولكن رب مخبر بخلاف مافي نفسه فيكون كذاباً إن كان قاصداً لذلك ، ورب مصدق أيضاً لكذاب وهذا أيضاً يحتاج الى نظر شاف لان الشبهة تدخل على القائلين والمستمعين من هذا الباب . وقد بينا طرفا من هذه المعاني فى رسائلنا المنطقيات .

فصل

واعلم ياأخى ان الايمان يورث العلم لانه متقدم الوجود على العلم ، ومن أجل هذا دعت الانبياء عليهم السلام الامم الى الاقرار أولا بما خبرتهم والتصديق

بما كان غائبا عنهم عن ادراك حواسهم وتصور أوهامهم ، فاذا أقروا بألسنتهم سموهم عند ذلك المؤمنين ، ثم طالبوهم بتصديق القلب كما ذكر الله : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فاذا وقع التصديق بالقلب سموهم الصديقين ، كما قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون).

واعلم أن أول مايبدأ بالايمان — الذي هو التصديق من الانبياء للملائكة بما يخبرونهم عما ليس فى طاقة البشر — تصورها قبل اخبار الملائكة لهم كما قال الله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون » الى آخر الآية . واعلم يا أخي أن الملائكة هم محتاجون الى الايمان فهم متفاوتون فى درجات العلوم ، كما أخبر عنهم فقال ، « وما منا إلا له مقام معلوم » وان من أشرف الملائكة حملة العرش الذين هم في أعلى المقامات فى العلوم وهم أيضا محتاجون الى الايمان كما أخبر عنهم فقال جل ثناؤه «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » .

واعلم انك أيضا محتاج الى الايمان والتصديق لقول المخبر لك الذي هو فوقك فى العلم وأعلى منك فى المعارف ، لانك ان لم تؤمن بما يخبرك به حرمت أشرف العلوم وأجل المعارف . وتعلم أنه ليس لك طريق الى تصديق المخبر لك فى أول الامر الا حسن الظن بصدقه ، ثم على ممر الاوقات تتبين لك حقيقة ذلك فلا تطلبه بالبرهان فى أول الامر ، ولكن اجتهد فى أن تتصور فى فكرك ما تسمع بأذنك ثم اطلب السبيل والبرهان بعد ذلك ولا ترض بالتقليد اذا توسطت فى العلم ، ولاتطلب البرهان فى أوله ولكن هلم بنا يا أخي الى مجلس اخوان لك فضلاء وأصدقاء لك علماء وأوداء لك نصحاء لتسمع أقاويلهم وترى شمائلهم وتقف على أسرارهم ، وتتصور بصفاء جوهر نفسك ماتصوروا بصفاء جوهر نفوسهم ، وتنظر بعين قلبك كما نظروا بعيون قلوبهم ، وترى بنور عقلك مارأوا بنور عقولهم . فلعلك أن تنتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح العلوم وتعيش عيش السعداء وتوفق للصعود الى ملكوت السماء لتنظر الى الملأ

الأعلى وتكون هناك بنفسك الزكية الطاهرة النقية الشفافة مسروراً فرحا منعما ملتذاً أبداً لا بجسدك الثقيل المظلم المستحيل الفاسد . وفقك الله أيها الأخ للصواب وهداك الى الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

﴿ فصل ﴾

فى ماهية الايمان

اعلم يا أخي أن الله جل ثناؤه انما اكثر مدح المؤمنين فى القرآن وجعل وعدهم فى الآخرة وثوابهم الجنة لان الايمان خصلة تجمع الخيرات البشرية كلها وفضائل الملائكة وأيضاً أكثر ذم الكافرين وجعل وعيدهم جهنم لان الكفر خصلة تجمع الشرور البشرية كلها ورذائل الشيطانية جميعاً ، وقد بينا ماهية الكفر ومن الكافر بالحقيقة في رسالة الناموس ، ونريد أن نذكر من شرائط الايمان وخصال المؤمنين طرفا ليعلم ما الايمان ويعرف من المؤمن بالحقيقة .

اعلم يا أخى أن الايمان يقال على نوعين : ظاهر وباطن ، فالايمان الظاهر هو الاقرار باللسان بخمسة أشياء أحدها هو الاقرار بأن للعالم صانعاً واحداً حياً قادراً حكيما وهو خالق الخلق كلهم ومدبرهم لاشريك له في ذلك أحد ، والثانى هو الاقرار بأن له ملائكة (هم) صفوة الله من خلقه نصبهم لعبادته وخدمته وجعلهم حفظة لعالمه ووكل كل طائفة منها بضرب من تدبير خلائقه بما في السموات والارض لا يعصون ما نهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون ، والثالث الاقرار بأنه قد اصطفى طائفة من بنى آدم وجعلهم واسطة بينهم وبينه الملائكة ليتلقى الملائكة عن ربهم ويلقون الى بنى آدم مايتلقونه من الملائكة من الوحى والأنباء والرابع الاقرار بان هذه الاشياء التى جاءت بها الانبياء عليهم السلام من الوحى والانباء باللغات المختلفة مأخوذة معانيها من الملائكة إلهاما ووحياً ، والخامس الاقرار بأن القيامة لامحالة كائنة وهي النشأة الأخرى وأن الخلق كلهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويثابون بما عملوا من خير ومعروف ويجازون بما عملوا من

شر ومنكر ، وذلك قول الله تعالى : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » وقال : « واليوم الآخر » .

فهذا هو الايمان الظاهر التى دعت الانبياء عليهم السلام الأمم المنكرة لهذه الاشياء الى الاقرار به وهو يؤخذ تلقينا كما يتلقن الصغار من الكبار والجهال من العلماء الاقرار به.

وأما الايمان الذي هو باطن فهو اضمار القلوب باليقين على تحقيق هذه الاشياء المقر بها باللسان ، فهذا هو حقيقة الايمان.

وأما المؤمن في ظاهر هذا الأمر فهو المقر بهذه الاشياء بلسانه المتميز من اليهود ومن النصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا ، وبهذا الاقرار تجري عليه أحكام المسلمين من الصلاة والزكاة والحج والصوم وماشاكلها من مفروضات شريعة الاسلام وسنة المؤمنين

وأما الذين مدحهم في كتبه ووعدهم الجنة فهم الذين يتيقنون بضمائر قلوبهم حقائق هذه الاشياء المقر بها .

وأما الطريق اليه فهو بالتفكير والاعتبار والقيام بشرائطها وواجب حقها ، كما قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) الآية .

﴿ فصل ﴾

في ماهية التوكل

فاعلم أن إحدى شرائط هذا الايمان وخصال المؤمنين هو التوكل على الله كما قال : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) .

وقال لنبيه عليه السلام : (توكل على الحي الذي لايموت) ونريد أن نبين ما التوكل ومن المتوكل على الله بالحقيقة.

أعلم ياأخي أن التوكل هو الاعتماد على الغير عند الحاجة بان ينوب عنك فيها واعلم أنه اذا كان المتوكل عليه ثقة يكون قلب المتوكل عليه ساكناً ونفسه مطمئنة ، وإذا كان غير ثقة يكون قلب المتوكل غير ساكن ونفسه غير مطمئنة

واعلم يا أخي أن الناس كلهم متوكلون ، ولكن أكثر توكلهم على غير الله تعالى !! من ذلك توكل الصبيان على آبائهم فيما يحتاجون اليه من الطعام والشراب واللباس وغيرها من الحاجات ، فهم طول النهار مشغولون باللعب لا يفكرون في أمر المعاش ولا يهمهم طلبه لاتكالهم على آبائهم وقلوبهم ساكنة ونفوسهم هادئة ليقينهم بآبائهم

وهكذا العبيد مشغولون بخدمة مواليهم لايفكرون في طلب المعاش اتكالا على مواليهم فيما يحتاجون اليه .

وهكذا جنود السلطان وخدمه لايفكرون في طلب المعاش اتكالا على السلطان في أرزاقهم المفروضة لهم فهم مشغولون في خدمة سلطانهم.

وأما غير هؤلاء من الناس فهم طائفتان : الاغنياء والفقراء ، فاما الاغنياء فاتكالهم على ذخائرهم وأموالهم وقلوبهم ساكنة ونفوسهم هادئة ولكن الحرص والرغبة في الزيادة يحثانهم على الطلب ، وهم في الطلب متوكلون على رأس أموالهم وصرفهم وحذقهم بالبيع والشراء في طلب الربح .

وأما الفقراء فهم الصناع والذين يعملون بابدانهم واتكالهم على صناعاتهم وقوة أبدانهم

وأما المكديون (١) فاتكالهم على الناس في مواساتهم من فضل مافي أيديهم فبهذا الاعتبار لاتجد أحداً متوكلا على الله حق التوكل إلا الانبياء وصالح المؤمنين : وذلك أن الانبياء قبل أن يوحى اليهم يكونون كأحد أبناء الدنيا في طلب المعيشة ، حتى اذا جاءهم الوحي والنبوة تركوا طلب المعاش واشتغلوا بتبليغ الرسالة وتوكلوا على الله فيما يحتاجون اليه من عرض هذه الدنيا وتيقنوا به عز وجل واطمأنت نفوسهم ، لانهم يعلمون ويتيقنون بأن مرسلهم يكفيهم

(١) المكديون من مكد مكودا ومكداً ، أقام بالمكان لايبرحه لعجز أو لغيره . وأما أن يكون من كد بمعنى طلب الرزق واسم الجمع منه أكداد وأكاديد (ولا واحد لهما) والمعنى مهزومون ومغلوبون ولعل هذا أقرب الى مانحن بصدده

مايحتاجون اليه في طاعتهم إذا اشتغلوا بخدمته كما أن الملوك يكفون جنودهم مايحتاجون اليه فى طاعتهم لهم ، وكما أن الموالى يكفون عبيدهم ما يحتاجون اليه في طاعتهم لهم .

وهكذا المؤمنون المحققون الذين هم ورثة الانبياء يقتدون بهم ويسلكون مسلكهم فيما دلهم الله عليهم فقال : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) فالتوكل إذاً أحد هذه الخصال التى يبين بها من المؤمن المحق .

﴿ فصل ﴾

في ماهية الاخلاص

ومن شرائط الايمان أيضاً وخصال المؤمنين الاخلاص في العمل والدعاء كما أمر الله تعالى : (ادعوا الله مخلصين له الدين) وقال : (واعبدوا الله مخلصين) . فالاخلاص في العمل هو أن لايطلب بما يعمل جزاء ولا شكوراً من أحد من خلق الله مثل اخلاص الوالدين في تربيتهما الاولاد فانهما لايطلبان جزاء ولا شكوراً لانهما قد علما بانها واجبة فى الجبلة ، ومثل اخلاص العبيد الصالحين الذين يخدمون مواليهم من غير خوف من الضرب ولاطلباً للعوض لانهم قدعلموا بأن خدمتهم هي شيء تقتضيه الحكمة والسياسة — كما بينا فى رسالة السياسيات.

واعلم ياأخي أن العبد الذى يخدم مولاه خوفاً من الضرب أو طلباً للعوض عبد سوء ، وهكذا من لايطيع ربه إلا خوفاً من النار أو رغبة في الأكل والشرب والجماع في الجنة ، فهو أيضاً عبد سوء والعبد السوء لايكون مخلصاً في الدعاء ولا في العمل .

وأما الاخلاص فى الدعاء فلا يكون إلا عند انقطاع الحيلة والتبري من الحول والقوة . والمثال فى ذلك ركاب البحر : وذلك انهم يدعون الله ويسألونه السلامة عند دخولهم السفينة ، ولكن غير مخلصين لاتكالهم على الربان والملاحين في حفظها ومراعاتها ، ونفوسهم ساكنة هادئة بحضور الربان والملاحين حتى إذا توسطوا البحر وهاجت الأمواج واضطربت المراكب ودهش الربان وفزع الملاحون وأشرفوا على الهلاك ، فعند ذلك يدعون الله مخلصين له الدين لأنهم

قد علموا أنه لايقدر أحد من خلق الله على معاونتهم ولا قوة لأحد على دفع ماورد عليهم إلا الله عز وجل ، ولا تتعلق قلوبهم بسبب من الأسباب إلا أن يكون فيها انسان يعرف أحكام النجوم .

وقد عرف ماالعلة الموجبة لما هم فيه من مناحس الفلك ويعلم أن النحس دافع تدبيره إلى سعد من السعود ويكون قلبه متعلقاً به فانه وان كان يدعو ربه لايكون دعاؤه مخلصاً حتى يتبين أن النحس مستمر أو دافع التدبير الى نحس أشر منه ، فعند ذلك يقطع رجاءه من النجوم فيكون دعاؤه بالاخلاص

واعلم يا أخي أن مثل هذه الاحوال التى ترد على بنى آدم وفزع العقلاء الى الله تعالى ودعاء العارف لهم بالكشف عنهم ماورد عليهم ، يكون فيها تلقين للجاهلين بالله وهداية للنفوس الى معرفته فيعلمون عند ذلك ، بنظرهم الى العقلاء في دعائهم وتضرعهم الى الله بالكشف عنهم ما هم فيه ، أن لهم إلها جباراً عالما قادراً يسمع دعاءهم ويعلم ماهم فيه وهو قادر على نجاتهم يراهم وان كانوا لايرونه ولا يدرون أين هو .

وعلى هذا القياس كلما يصيب الناس من الجهد والبلاء فيضطرهم ذلك الى الدعاء والتضرع الي الله عز وجل مثل الغلاء والوباء وآلام الأطفال ومصائب الأخيار وما شاكلها من الأمور السماوية التى لاسبيل لاحد فى دفعها عنه الا الله تعالى ، فيكون ذلك دلالة لهم على الله عز وجل وهداية اليه ، كما قال : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » .

فصل

في ماهية الصبر

ومن احدى شرائط الايمان وخصال المؤمنين الصبر كما قيل : الصبر رأس الايمان . وقال الله تعالى : « اصبر وما صبرك إلا بالله » . وقال للمؤمنين : «إصبروا وصابروا» . الآية

واعلم يا أخي أن الصبر هو الثبات فى حال الشدائد بلا جزع لما يرجى من محمود العاقبة والصبر مشتق من مرارة الصبر .

واعلم يا أخي أن الناس أكثرهم يصبرون في الشدائد ولكن لايكون صبرهم بالله ولا لله ! ! لانهم يجزعون ويضطربون ويشكون ويظنون بالله ظن السوء كما قال الله جل ثناؤه في قصة المنافقين : «وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً» . وذلك أن منهم من ظن أن تلك الشدائد التى أصابتهم جور منه اذا قضاها عليهم ومنهم من ظن أنه ليس من قضائه وحكمه ، ومنهم من ظن أنه ليس يعلم ما هم عليه من الجهد والبلوى ! ومنهم من يعلم أنه يعلمه ولكنه يظن أنه لايفكر فيهم ولا يهمه أمرهم ، ومنهم من يظن أنه قاسى القلب قليل الرحمة وما شاكلها من ظنون السوء .

فأما الأنبياء المؤمنون فانهم يصبرون في الشدائد والبلوى ويكون صبرهم بالله ولله ، وذلك أنهم يرون ويعتقدون أن الشدائد التى تصيب الخلق فيها ضروب من المصلحة لهم وان كان يخفي على كثير من العقلاء ماتلك المصلحة والحكمة ، كما بينا فى باب الدعاء والاخلاص عند الشدائد ، وكما بينا في رسالة اللذات ما الحكمة في ألم نفوس الحيوان دون سائر النفوس التى في العالم ، وان الحكمة فيها هى حث نفوسها على حفظ أجسادها من التلف والفساد .

واعلم يا أخى أن اعتقاد الانبياء والمؤمنين فى الشدائد التى تصيبهم مصلحة لهم نتجت من المقدمة التى أقروا بها هى قولهم : إن للعالم صانعاً واحداً حياً قادراً حكيما وأنه قد رتب أمر العالم على أحسن النظام والترتيب في اتقان الحكمة حتى لايجرى أمر من الامور صغارها وكبارها الا وفيها ضروب من الحكمة وصنوف من الصلاح لا يعلمه إلا هو

فصل

في ماهية القضاء والقدر والرضاء بالقضاء

ومن شرائط الايمان وخصال المؤمنين الرضاء بالقضاء والقدر وهو طيب النفس بما يجري عليها من المقادير ، وجريان المقادير هو موجبات أحكام النجوم ،

والقضاء هو علم الله السابق بما توجبه أحكام النجوم. ويقال إن الرضاء بالقضاء هو أقل أعمال بني آدم التي تصعد الى السماء ، وهو أشرف شرائط الايمان وأفضل خصال المؤمنين .

وقد قال الله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين) . وقال : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) .

ثم اعلم يا أخي أنه لا يوجد أحد طيب النفس بما يجري عليه من المقادير المرة الصابرة إلا العارفون بحرمة الناموس ، ولا يعرف أحد حرمة الناموس كما يجب إلا الانبياء والمؤمنون . وقد بينا حق الناموس وكيفية حرمته في رسالة النواميس فمن علامة الرضاء بالقضاء وبما تجري به المقادير أن ينقاد لحكم الناموس طيب النفس مثل انقياد سقراط حكيم اليونانيين : وذلك أن هذا الحكيم أوجب عليه القاضي القتل بشهادة العدول وأنه واجب عليه القتل بشبهة دخلت على القوم فانقاد سقراط للقتل طيبة به نفسه ! فقيل له : إنك تقتل مظلوماً ، فهل لك أن نفديك بفدية أو نهرب بك ؟! قال سقراط أخاف أن يقول الناموس غداً لي لم فررت من حكمي ؟! فقالوا تقول له لأني كنت مظلوما ، قال لهم : إن قال لي الناموس إن ظلمك الشهود الذين شهدوا عليك بالزور والبهتان فكان من الواجب أن لا تظلمني أنت وتفر من حكمي ، فماذا أقول ؟! فخصمهم بهذه الحجة وانقاد للقتل طيبة به نفسه راضيا بحكم الناموس .

ثم قال من تهاون بالناموس قتله الناموس . وكان قد انقاد قبل سقراط للمقادير أحد بني آدم إذ قال له أخوه قابيل : لأقتلنك ! قال له هابيل : (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله) الى قوله : (ان تبوء باثمي وإثمك). فرضي بقضاء الله الذي هو علمه السابق بالكائنات قبل كونها فانقاد للمقادير التي هي موجبات أحكام النجوم طيبة بها نفسه . ومثل ذلك أن رضي المسيح بقضاء الله وانقاد للمقادير وسلم ناسوته الى اليهود طيبة به نفسه راضيا بحكم الله الذي هو علمه السابق بالكائنات قبل كونها إذ لا يكون شيء بخلاف ما علم .

ومثل ما رضيت به السحرة بقضاء الله لما هددهم فرعون بالصلب فقالوا له :

(اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) . وذلك أن القوم قد علموا بأنه ليس له سلطان على نفوسهم انما سلطانه على أجسادهم فقالوا : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) . فانقاد القوم للمقادير وسلموا أجسادهم الى حكم فرعون طيبة بها أنفسهم

ومثل ما رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لما قتل خيار أنصاره وفضلاء المهاجرين وكسرت رايته وجرى عليه من المقادير الفلكية ما جرى !! قيل يا رسول الله : لو دعوت الله على المشركين بالهلاك لما فعلوا بك ؟ فقال رحم الله أخي نوحاً فان غوغاء قومه ضربوه وكان يقول : اللهم لا تؤاخذ قومي فانهم لا يعلمون !! وأنا أقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون . ولما بلغ الخبر الى المدينة ذلك اليوم بما جرى عليه وعلى أصحابه خرج أهل المدينة يتعرفون أخبار اخوانهم فخرجت امرأة من الانصار تسأل عن زوجها فقيل لها انه استشهد ، فسألت عن أبيها فقيل لها مثل ذلك ، فسألت عن أخيها فقيل لها مثل ذلك ، فقالت : أليس قد سلم رسول الله ؟ قالوا نعم ، فقالت في بقائه عوض عن الكل . ومثل رضاء عثمان بن عفان لما دخلوا عليه ليقتلوه فقام عبيده وسلوا سيوفهم وقالوا نقتل دونك ؟ فرجع وكره وذكر قول أنس لما قال رسول الله ﷺ : افتح له الباب وبشره بأنه ولي هذه الأمة بعد عمر ، ووعده ببلوى تصيبه بهراقة دمه ، فقال لعبيده : من رد سيفه الى غمده فهو حر لوجه الله تعالى ، وقعد في مجلسه وأخذ المصحف في حجره فقرأ :« فسيكفيكهم الله ». ورضي بقضاء الله وعلم أنه مقتول وانقاد للمقادير طيبة بها نفسه . ومثل رضاء الحسين رضي الله عنه يوم كربلاء لما اشتد به العطش وطلب الماء فقالوا له : تنزل على حكم ابن زياد حتى نخلي سبيلك ؟ فقال : لا ! ولكن على حكم الله . وعلم أنه مقتول ، فقاتل حتى قتل راضياً بقضاء الله وبما جرت به المقادير طيبة بها نفسه .

واعلم يا أخي أن هذه النفوس التي تقدم وصفها إنما صارت راضية بقضاء

الله الذى هو علمه السابق فى خلقه وصبرت بما جرت عليها المقادير المرة التى هى موجبات النجوم لما ترجو من الخيرات فى المنقلب وما تنال من السعادة والروح والراحة بعد المفارقة ، وما يقصر الوصف عنه . واليها أشار بقوله : «فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون» . وقال تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » الآية وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

فصل

ومن علامة المؤمنين المحققين أن لا يخافوا ولا يرجوا الا الله تعالى كما أن الاولاد لا يخافون ولا يرجون الا الآباء والأمهات ، وهكذا الصبيان لا يخافون الا من المؤدب والتلامذة لا يخافون الا من الاستاذين، وهكذا الجند لا يخافون الا من صاحب الجيش، والناس كلهم لا يخافون الا من سلطانهم القادر على نفعهم وضرهم . وكما حكي عن الملائكة فقال : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون » . فالملائكة لا يخافون الا من ربهم وهكذا العلماء قال الله تعالى : «انما يخشى الله من عباده العلماء» الذين يشاهدونه ويرونه كما قال : « والشهداء عند ربهم » وكما قال رسول الله ﷺ حين سأله الاعرابى ما الاحسان ؟ فقال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . فهذه الرؤية والمشاهدة بعين الحقيقة وهي أن لا ترى فى الدارين أحداً غيره كما قاله المحقق شعراً

ماشرب صفو صبابة أشجانها   حرق تأجج فى الهوى نيرانها
وسألت عن صفو الوداد فقيل لى   إيثار حبك قلت جر عنانها
كل له وبه ومنه فأين لى   شيء فأوثره ، فطاح لسانها

فصل

اعلم يا أخي أن أول عمد الايمان وأقوى أركانها هو الاتباع لاصحاب النواميس الالهية فيما يأمرون به من الطاعات وينهون عنه من المعاصى ، وهو

السمع منهم والطاعة لهم وذلك أن أشرف أعمال البشرية وألذ أفعال الانسانية وأعلى رتبة ينالها العقلاء مما يلي رتبة الملائكة هي وضع النواميس الالهية . واعلم يا أخي أن لواضعي النواميس وأتباعهم خصالا كثيرة وشرائط عدة قد ذكرنا طرفاً منها فى رسالة النواميس وطرفاً فى رسالة اعتقاد اخوان الصفا وطرفاً في رسالة عشرة الاخوان بعضهم لبعض

واعلم أن مثل واضعي الناموس مع أتباعهم وما يسمعون منهم من العلوم وما يأتمرون به في سنن النواميس كمثل السماء وأمطارها والارض ونباتها وذلك أن كلام اصحاب النواميس وأقاويلهم كالأمطار ، واستماع اتباعهم كالارض وما ينتج بينهما من فوائد العلوم من الآراء والاعمال كالنبات والحيوان والمعادن . والى هذه المعانى أشار بقوله : « أنزل من السماء ماء » يعنى القرآن « فسالت أودية بقدرها » يعني حفظتها القلوب بمقاديرها من القلة والكثرة « فاحتمل السيل زبداً رابياً» يعنى ما تحمل ألفاظه وظاهره معانى متشابهات حفظتها قلوب المنافقين الزائغة الشاكين المتحيرين « ومما توقدون عليه في النار » مثل آخر يعنى الجواهر المعدنية لها زبد عند السبك كزبد السيل ثم قال : « كذلك يضرب الله الحق والباطل » يعنى أمثال الحقائق والاباطيل « فأما الزبد فيذهب جفاء » يعنى الاباطيل والشبهات تذهب فلا ينتفع بها وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » يعنى ألفاظ التنزيل تثبت في قلوب المؤمنين المصدقين وتثمر الحكمة كما ذكر فقال عز وجل : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء »

واعلم يا أخي أن الناموس لا يتم إلا بالأوامر والنواهي ، والأمر والنهي لا ينفذان إلا بالوعد والوعيد ، والوعد والوعيد لا يتمكنان إلا بالترغيب والترهيب والترغيب والترهيب لا ينجعان إلا فيمن يخاف ويرجو ، والخوف والرجاء لا يظهران ولا يعرفان إلا عند اتباع الأمر والنهي . فمن لا يخاف شيئاً ولا يرجو أملا فهو لا يرغب ولا يرهب ، ومن لا يرغب ولا يرهب فلا ينجع فيه الوعد

والوعيد ولا ينجم فيه الأمر والنهي ،ومن لا يأتمر لواضعي النواميس ولا ينتهي عن نواهيهم فلا يكون له نصيب في الناموس الالهي ألبتة

واعلم يا أخي أن الأمور التي يخاف منها في العاقبة ويرجى اليها الوصول في استعمال النواميس نوعان اثنان : أحدهما دنيوي والآخر أخروي . فأما الدنيوي مثل الرياسة وحسن الثناء والعز والمال ومتاع الدنيا مادامت النفس مقرونة مع الجسد ومايبقى منها من الذرية والاعقاب بعد الممات . والاخروي هي نجاة النفس من بحر الهيولى وأسر الطبيعة والخروج من هاوية الاجسام — عالم الكون والفساد التي تحت فلك القمر — والفوز بالصعود إلى ملكوت السماء والدخول في زمر الملائكة والسيحان في فضاء الافلاك وسعة السموات والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن الذي يقصر الوصف عنها إلا مختصراً كما قال الله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » الى آخر الآية

فصل

اعلم أن بغية كل طالب في استعمال أحكام الناموس هي البلوغ الى الحق وحكم الصواب وعمل الخير وتجنب الزور والبهتان

واعلم أن الحق هو غاية ليست وراءها نهاية ولكن دونها أمور متشابهة مشكلة . واعلم أن الالفاظ محتملة للمعاني والاوهام تذهب في طلبها كل مذهب فينبغي لك إذا سمعت لفظة محتملة للمعاني ألا تحكم عليها حكماً دون أن تبين بعقلك كل المعاني التي تحتملها تلك اللفظة لعلك تفهم الغرض الاقصى الذي هو الصواب وتبلغ الغاية القصوى التي هي الحق

واعلم أن غرض واضعي النواميس الالهية بعيد الغور جداً في أحكام النواميس لا يتصور لك في أول وهلة ولكن بعد النظر الشافي والبحث الشديد . ونريد أن نضرب لذلك مثلا ليكون قياساً على ماقلنا ووصفنا :

ذكر في المثال أنه كان رجلان اصطحبا في طريق على سفر ، فلما انتهيا إلى

شاطىء نهر قعدا للغداء فأخرج كل واحد زاده فكان مع أحدهما رغيفان ومع الآخر ثلاثة أرغفة فكسراها في موضع واحد ليأكلاها ، إذ مر بهما مجتاز فدعوه الى طعامهما فأجاب وجلس وأكل معهما ، فلما فرغوا قام ورمى بين يديهما خمسة دراهم وقال : إقسموها بينكما بالسوية ، ومضى هو لسبيله . فقال صاحب الرغيفين لصاحبه : لك النصف ولي النصف الباقي لأنه قال بالسوية ، وقال صاحب الثلاثة الأرغفة : بل العدل أن يكون لي ثلاثة دراهم ولك درهمان لأنه قال بالسوية بحسب الرغفان ، فتنازعا وتخاصما وتحاكما الى قاض من حكام الناموس فحكم بينهما أن لصاحب الرغيفين درهم واحد ، ولصاحب الثلاثة أربعة ، وكان هذا الحكم هو الحق وغاية الصواب

فتفكر يا أخي فيه فان فهمت معناه وتوجه لك الصواب فأنت فقيه بأحكام الناموس ، وان ذهب عليك فيه وجه الصواب وغاية الحقيقة فاذهب الى حاكم الناموس ليعرفك وجه الصواب وحقيقة المعنى

واعلم يا أخي أن كثيراً من العقلاء الذين يتعاطون الفلسفة والنظر في المعقولات اذا فكروا بعقولهم في أحكام الناموس وقاسوها بآرائهم وتمييزهم وفهمهم يؤديهم اجتهادهم وقياساتهم الى أن يروا ويعتقدوا في كثير من أحكام الناموس أن العدل والحق والصواب في خلافه ! ! كل ذلك لقصور فهمهم وقلة تمييزهم وعجز معرفتهم عن كنه أسرار أحكام الناموس .

مثال ذلك أنهم اذا فكروا في حكم المواريث : أن للذكر مثل حظ الأنثيين فيرون أن الصواب كان أن يكون للأنثى حظ الذكرين ، لأن النساء ضعفاء قلائل الحيلة في اكتساب المال ولا يدرون ولا يبصرون أن هذا الحكم الذي حكم به الناموس سيئول الامر به الى ما أشاروا اليه وأرادوه ، وذلك أن الناموس لما حكم للذكر مثل حظ الانثيين حكم أيضاً أن المهر في التزويج على الرجال للنساء فهذا الحكم يؤول الامر به الى أن يحصل للأنثى من المال مثل حظ الذكرين .

مثال ذلك لو أنك ورثت من والدك الف درهم وورثت أختك خمسمائة درهم

فاذا تزوجت أخذت مهرها خمسمائة درهم أخرى فيصير معها ألف درهم ، وأنت اذا تزوجت وأمهرت خمسمائة درهم بقي معك من المال نصف ما مع أختك ، فعلى هذا القياس قد آل الامر في حكم الناموس الى ما أرادوا وأشاروا اليه . فهكذا ينبغي أن يكون نظرك في أحكام الناموس حتى يتبين لك وجه الصواب فيها وغاية الحق .

واعلم أن نظر واضعي الناموس في موجبات أحكامه ليس بنظر جزئي يريد صلاح بعض دون بعض ولاعاجل دون آجل ، بل نظره كلي يريد الصلاح للكل والخير للعاجل والآجل جميعاً بالنظر في العواقب ومايؤول الامر اليه في المنقلب كما بينا في رسالة الناموس .

فصل

اعلم يا أخي أن الانسان لايخلو من حالتي الشدة والرخاء ، والمؤمن في كلتي حالتيه لايعرض عن طاعة الله ، وذلك أنه اذا كان صحيح الجسم قوي البدن غني المال عريض الجاه متفضل الآداب قادراً على مايشاء ممكناً لما يريد ، فهو مع هذه الحالات كلها يكون متكلا على الله مستنداً اليه مستعيناً به متبرئاً من حوله وقوته الا بالله ، كما قال سليمان عليه السلام : « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر » وأما الكافر فهو في هذه الحالات كلها يكون راجعاً الى نفسه وحوله وقوته ومشيئته وارادته واجتهاده وحيلته متكلا على أسبابه معرضاً عن ربه ناسياً ذكره ، كما قال قارون : (انما أوتيته على علم عندي) .

وأما حال الشدة والبلوي فالمؤمن يكون فيها صابراً ؛ بقضاء الله راضياً مقبلا اليه بحكم الله حامداً له حسن الظن به راجياً لرحمته سائلا عفوه مستسلماً لأحكامه كما ذكر الله تعالى بقوله : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون) . وأما الكافر فانه يكون سيء الظن بالله ضجور النفس جزعاً من الشدائد ساخطا على المقادير ذاما لاسبابه آيساً من روح الله قنوطا من رحمته ، كما ذكر الله : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به) . الى آخر الآية

فصل

في الزهد في الدنيا والرغبة

ومن شرائط الايمان وخصال المؤمنين الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة كما رغب الله تعالى نبيه ﷺ فقال : (وللآخرة خير لك من الاولى) . وقال : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) . وآيات كثيرة في القرآن في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة .

واعلم يا أخي أن الانسان مطبوع على أن لايترك النفع الحاضر العاجل ويزهد فيه ويطلب الغائب الآجل ويرغب فيه إلا بعد ما يتبين له فضل الآجل على العاجل .

واعلم أن المؤمنين والحكماء والانبياء انما زهدوا في الدنيا وتركوا عاجل شهواتها ورغبوا في الآخرة وطلبوا آجل نعيمها لما تبين لهم حقيقة الآخرة وعرفوا فضل نعيمها على نعيم الدنيا وشاهدوها بعيون قلوبهم ونور عقولهم كما شاهد أبناء الدنيا أمورها بحواسهم .

واعلم يا أخي أن الطريق الى معرفة حقيقة الآخرة ومشاهدة أحوالها بالاعتبار والتفكر في أمور الدنيا والمقايسة بينها وبين أمور الآخرة بالعقول السليمة من الآراء الفاسدة والنفوس الصافية من الاخلاق الرديئة ونتائج المقدمات الصحيحة الضرورية .

بيان ذلك أن العاقل اللبيب اذا فكر في قول الجمهور من الناس وتسميتهم هذه الدار التي نشاوا فيها باسم الدنيا وذمهم نعيمها يدل على الدار الآخرة وشرفها لأن لفظة الدنيا تدل على الاخرى ، كما أن لفظة الاخرى تدل على الاولى لانهما من جنس المضاف

ومن وجه آخر اذا اعتبرت أحوال الناس في الدنيا وجدتهم كلهم طائفتين : أخياراً أو أشراراً . فأما الاخيار فهم الذين يعملون من أعمال ما رسم لهم في النواميس الالهية ، ويفعلون ما أوجبته العقول السليمة ولا يطلبون على ذلك عوضاً

من جر منفعة الى أجسادهم أو دفع مضرة عنها ، فعند ذلك يقال لهم أخيـار على الاطلاق ، وأنهم من أبناء الآخرة . وأما الذين يطلبون العوض فيما يعملون من الخير والشر من جر المنفعة الى أنفسهم أو دفع المضرة عنها ولا يفكرون في المعاد ولا يرجون في الآخرة الخير ولا يخافون العقاب ولا يهمهم أمر النفس ولا النظر في حالها بعد الموت فيقال عند ذلك انهم أشرار وانهم من ابناء الدنيا

ووجه آخر اذا اعتبرت أحوال هؤلاء الاخيار الذين تقدم ذكرهم وأنهم قد أفنوا أعمارهم كلها فيما وصفنا من أعمال الخير ثم ماتوا ولم يحصل لهم عوض على ماعملوه قبل الموت ، تعلم العقول وتقضى بالحق أن ذلك لا يضيع عند الله شيء فيصبح بهذا الاعتبار أن بعد الممات — الذي هو مفارقة النفس الجسد — حالة اخرى يجازى فيها الاخيـار وهي التى تسمى الدار الآخرة . وهكذا اذا اعتبر حال الاشرار الذين سعوا في الارض بالفساد طول اعمارهم ثم ماتوا ولم يعاقبوا على مافعلوا فتعلم العقول وتقضى ان هؤلاء لم يفوزوا وان حالهم بعد الممات ليس كحال اولئك الاخيار ، وذلك قوله تعـالى : « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون »

هذا واذ قد ذكرنا طرفاً من خصال المؤمنين وشرائط الايمان وخصـال الكافرين وماهية الكفر فنريد أن نذكر طرفاً من علم المؤمنين الراسـخين وخصال العارفين المستبصرين الذين هم ورثة النبيين وانصار المرسلين واخوان الصديقين المتألهين الربانيين الذين هم في أعلا رتبة الانسانية مما يلى رتبة الملائكة أعلى عليين ، ونذكر أيضا طرفاً من صفة اخوان الشياطين الضالين المضلين الذين هم فى أدون رتبة الانسانية مما يلى رتبة البهيمية أسفل السافلين

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أن العلوم كلها شريفة فيها عز ، ولكن أشرفها وأجلها هي معرفة الانسان حقيقة جوهره وما تتصرف به الامور حالا بعد حال الى أن يبلغ الى

أقصى مدى غايته الذى هو قاصد نحوه وهو أن يلقى ربه إما في الدنيا قبل فراقها وإما فى الآخرة بعد الفراق

واعلم يا أخى أن هذا الباب من العلم هو لب ذوى الالباب وجذر العـلوم وعنصر الحكمة ، فاجتهد في طلبه فانك به تنال شرف الدنيا وسعادة الآخرة . وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسائلنا الطبيعية ووصفنا فيها كيفية ما يتصرف به الانسان من الأمور حالا بعد حال من يوم مسـقط النطفة الى يوم يموت وتفارق روحه جسده ، وقد بينا أيضاً طرفاً في رسائلنا العقلية مما تصير اليه الأنفس الجزئية بعد مفارقة أجسادها ، ووصفنا كيفية ما تتصرف بها الاحوال الى يوم يبعثون . ونريد أن نذكر في هـذه الرسالة أشرف الامور التى تنال الانسان في الدنيا وأعلى رتبة يبلغ اليها قبل الموت ، ماهي ؟ ولكن قبل ذلك نحتاج أن نبين أولا ما الانسـان اذ كان هو من أعجب الموجودات التى تحت فلك القمر وأشرفها تركيباً وأحسنها صورة ، ثم نخبر بعد ذلك عن الأمور التى ينالها ويبلغ اليها فنقول :

ان الانسان انما هو جملة مجموعة من جسد جسماني في أحسن الصور ، ومن نفس روحانية من أفضل النفوس . واعلم يا أخي أن لكل واحد من جزأيه غاية اليها ينتهى ، ونهاية اليها يرتقى . فأعلى رتبة ينالها الانسان بجسده وأشرف رتبة يبلغها ببدنه هي سرير الملك والعز والسلطان على أجساد أبناء جنسه ، والقهر والغلبة بالقوة الغضبية . وأما أعلى رتبة ينالها الانسان من جهة نفسـه وأشرف درجة يبلغها بصفاء جوهرها فهي قبول الوحى الذى به يعلو الانسان على سائر أبناء جنسه وبه يغلبهم بما يدرك من المعارف الحقيقة بالقوة الناطقة . ولما تبين أن النفس أشرف جوهراً من الجسد صارت الرتبة التى ينالها الانسان بنفسه أشرف وأعلى من التى ينالها بجسده ، لان هذه جسمانية دنيوية وتلك روحانية أخروية . ولما قد تبين أن الوحى هو اشرف موهبة قد يجدها الانسان في الدنيا أردنا أن نبين ما الوحى وكيف قبول النفس له فنقول :

ان الوحي هو أنباء عن أمور غائبة عن الحواس يقدح في نفس الانسان من غير قصد منه ولا تكلف .

وأما قبول النفس الوحي فعلى ثلاثة أوجه : منها مايكون فى المنام عند ترك النفس استعمال الحواس ، ومنها مايكون في اليقظة عند سكون الجوارح وهدوء الحواس ، وهما نوعان : إما استماع صوت من غير رؤية شخص باشارات دائما

وأما استماع كلام من غير رؤية شخص كما قال الله تعالى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه .

وسنوضح كيفية كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة ونبدأ أولا بوصف قبول النفس الوحي في المنام كيف يكون إذكان هو أعم وأكثر ، ثم نذكر الذي يكون في اليقظة إذكان هو أخص وأقل فنقول :

أولا ماالنوم وماالرؤيا ؟ أما النوم فهو ترك النفس استعمال الحواس ، والرؤيا هي تصور النفس رسوم المحسوسات في ذاتها وتخيلها الامور الكائنة قبل كونها بقوتها الفكرية في حال النوم وسكون الحواس . وسنوضح هذا في فصل آخر، ولكن من أجل أن قوماً من أهل الجدل ينكرون أمر النفس انها جوهرة ويجحدون وجودها احتجنا ان نبين ما النفس وما حقيقة جوهرها وما الدليل على صحة وجودها فنقول : اولا ان النفس هي جوهرة روحانية حية علامة فعالة . فأما الدليل على صحة ماذكرنا فهو اكثر من ان يحصى.

وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى رسالة تركيب الجسد وطرفا فى رسالة الحاس والمحسوس وطرفا في رسالة أن الانسان عالم صغير ، ولكن نريد أن نذكر من ذلك طرفا في هذا الفصل فنقول :

إن من الدليل الواضح على أن مع جثث الحيوانات جوهراً آخر غير جسماني هو مايظهر من أجسادها من الحس والحركة والاصوات والأفعال في حال الحياة مالاخفاء به ، وفقدانها كلها في حال الموت دليل على مفارقة تلك الجواهر من أجسادها .

ومن الدليل أيضاً على وجود النفس مع الجسد وفراقها بعد الموت بكاء الناس

على موتاهم وحزنهم على فراق تلك النفوس ، ولو كان هذا الحزن والبكاء على الاجساد فالهم والبكاء ، والأجساد عندهم برمتها ، ولو أرادوا أن يحفظوها من التغيير والفساد لكان يمكن بأدوية تطلى عليها مثل الصبر والكافور والعسل وماشاكلها ، ولكن لاينفعهم ذلك من البكاء والحزن إذا فارقتها تلك الجواهر الشريفة . ومن الدليل البين على أن النفس جوهر هو أفعالها الصادرة عنها من غير استعمالها آلات الحواس وحركات الجوارح ، وذلك أن الانسان إذا أراد أن ينظر في علم غامض ويبحث عن معنى دقيق حتى يفهمه يحتاج إلى أن يسكن حركات جوارحه ويترك تأمل محسوساته ويغوص في فكرته حتى يمكنه أن يتصور ذلك الشيء ويفهم ذلك المعنى ، فاذا فعل ماوصفنا فربما يجتاز به من يسلم عليه أو يكون بحضرته من يكلمه فلايسمع ولايحس إذا كان غائصاً في فكره ـ يعرف حقيقة ماقلنا كل عاقل قد ارتاض في علم من العلوم .

فان قال قائل إن النفس وإن كانت قد تركت استعمال الحواس وتحريك الجوارح في مثل هذه الحال فانها لم تترك استعمال البدن كله لأن الفكر لايكون إلا بوسط الدماغ ، كما أن النظر لايكون إلا بالعين والسمع لايكون إلا بالأذن وكذلك سائر الحواس

ولعمري إن القول كما قال ، ولكن إنما نحن أردنا أن نبين بهذا المثل أن النفس جوهرة عاقلة وهي المستعملة للدماغ والقلب وسائر الحواس والجوارح ، وهي آلات لها وأدوات يظهر بها بعض أفعالها ، ولكن لها أفعال أخر لاتحتاج فيها إلى أدوات جسدانية ولا آلات جسمانية وهي رؤيتها المنامات وعجائب تصاريفها فيما يرى أكثر الناس من الرجال والنساء والصبيان والجهال والعلماء والأخيار والأشرار جميعاً مالايرون في حال اليقظة مثلها

فصل

من ذلك ماذكر أن ابن ملك وقع فى أيدي عدو له فاستعبده وكلفه الخدمة الشديدة والأعمال الشاقة مع قلة المطعم والمشرب والعرى والضرب والشتم

والاستخدام حتى ذهبت قوته وهرم شبابه ونحل جسمه وضعف سمعه وكل بصره واسترخت مفاصله وعقل لسانه ، ثم حبسه في مطمورة ضيقة وطال حبسه واشتد جوعه وعطشه وغمه وحزنه حتى غشي عليه من الجهد والبلوى والضر الذي هو فيه

فبينما هو ذات ليلة مفكر فيما هو فيه من العناء والشقاء والجهدوالبلوى فنام ورأى فيما يرى النائم كانه في دار مملكته على سرير عزه وقد رجعت اليه أيام شبابه وقوة بدنه وطراوةجسمه وصحةحواسهو نشوةشهواته وإذا هو في بستان من البساتين التي كانت له كثيرةالاشجار تحتها الانهار تجري وعلى حافاتها رياحين وزهر ونور يفوح منها مثل نسيم الجنان ، واذ هو بفتيان شبان أتراب إخوان كانوا له من أولاد الملوك عليهم لباس الجمال وهم قعود على كراسي موضوعة على تلك الانهار وبأيديهم التحف يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، فلما رآهم ورأوه عرفهم وعرفوه واستبشروا به لطول غيبته عنهم وفرح بهم لبعد غربتهمنهم ، فرفع في صدر المجلس وأقبلوا عليه بالتحية والسلام وداخله من الفرح والسرور واللذة مالا يوصف ولا يقال .

فماذا ترى يا أخي ؟ أيهما خير لذلك الرجل وأحب اليه أن يبقى طول الدهر نائماً ملتذاً مسروراً فرحاً بماتراه نفسه من ذلك المنام أو ينتبه فيحس بما فيه جسده من تلك الآلام ؟؟ وماذا ترى وتقول لمن يزعم أن الانسان إنما هوالجسد وأن النفس لاحقيقة لها وأن تلك الآلام واللذات والفرح والغم والسرور والحزن كلها ينالها الجسد ؟ فلم لاينال الجسد في حال النوم تلك الآلام والغم والحزن والذي به من الجهد والبلوى وهو موجود برمته وتلك الاحوال باقية عليه عند رؤية نفسه مثل هذا المنام ونيلها ذلك الفرح والسرور

﴿ فصل ﴾

وذكروا أيضاً أن رجلا بالعراق أصلح مجلساً للشرب ودعا إخواناً له فلما فرغوا من الاكل وقعدوا للشرب وارتفعت أصوات العيدان والمزامير ودار

الشراب فيهم وطرب القوم نام رجل منهم عند ذلك مما هم فيه من اللذةوالسرور فرأى داراً حسنة وستوراً وفرشاً وأواني ورياحين وفواكه وشموعاً تزهر ومجامر تبخر ،وقد امتلأ حول الايوان من الضياء والروائح والنعيم ، ورأى فتياناً عليهم زين الجمال ومحاسن الكمال فبقي متفكراً متعجباً بمايرى ويسمع ويشم من محاسن المحسوسات وماتلتذ منه الحواس وتفرح الارواح وتسر النفوس ونعس وغاص في نومه حتى لم يحس بشيء مما كان في المجلس من تلك المحسوسات .

ثم رأى فيما يرى النائم كأنه في بلاد الروم في كنيسة من كنائس النصارى وهي مشتعلة بالقناديل منقوشة بالتصاوير مملوءة من الصلبان ، واذا هو بين قوم من القسيسين والرهبان عليهم ثياب المسوح وعلى أوساطهم مناطق من السيور وبأيديهم مجامر معلقة وهم يطرحونها ويبخرون فيها القسط (١) والكندر ، وهم يقرأون كلمات لهم شبيهة بالتسبيح ويلحنونها ويكررونها حتى حفظها الرجل من تكرارهم لها وهي هذه : كسنى وسحرة قليلا وأبان * محمد حين بنسا الى بما ومعناها بالعربية : ان الاخيار يسبحون الله تعالى بالليل فهم أحياء عنده وان كانوا قد ماتوا ، وأما الاشرار الظلمة فهم موتى عند الله وان كانوا في الدنيا أحياء. ورأى قوماً من الاساقفة بأيديهم أقداح مملوءة خمراً وفي مناديل لهم أقراص برسان يفرقونها على القوم ويحسونهم من ذلك الخمر ، فتناول ذلك الرجل من تلك الاقراص واحدة بحرص ورغبة وتحسى من ذلك الشرب من شدة الجوع والعطش وهو لم يستمرىء بعد ماقد تمشى بالعراق ، ثم مازالت تلك حاله وهو متعجب ومتفكر كيف وقع بالروم وحصل في تلك الكنيسة وكيف الرجوع الى العراق — مع طول المسافة ، ثم تذكر اخوانه في مجلسهم وماتركهم فيه من اللذة والسرور فاشتد شوقه اليهم وضجره بمكانه ومايرى من الاشياء المخالفة

(١) القسط بضم القاف : هو عود ذورائحة طيبة يتداوي به ويستعمل بخوراً. والكندر بضم الكاف جمع شجرة شائكة كالاس - والكندر أيضاالشديد يقال في الجمع: فتيان كنادمة اشداء

للسنة والشريعة التى هو فيها ، المضادة لطبيعته وعادته فضاق صدره واضطرب في منامه من ضجره فانتبه فاذا هو بالعراق في مجلسه ومكانه بين اخوانه وتلك الشموع وتلك الاصوات وتلك الروائح التى تأملها قبل نومه بحالها لم يتغير شىء منها فقل يا أخي لمن يزعم أن النفس لاحقيقة لها وأن الحساس الدارك الذى يعلم الاشياء ويفكر فيها هو هذا الجسد حسب لاشيء آخر معه ! وقل من الذي ذهب الى الروم ورأى تلك الامور فى الكنيسة وأكل وشرب وحفظ تلك الكلمات؟ الجسد أو النفس؟ وقل من الذي كان حاضرا بالعراق بالمجلس النفس أو الجسد ؟ وقل لم لم يكن الجسد يحس فى حال النوم تلك المحسوسات التى كانت معه فى ذلك المجلس من الأصوات والضياء والروائح وهي موجودة هناك برمتها بعينين وأذنين ومنخرين ؟! فان زعم أن المنامات لا حقيقة لها فماذا تقول فى قول الله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» . وقول يوسف الصديق : «هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا» . وقول ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل : «انى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟» : «قال ياأبت افعل ماتؤمر» فلو لم يكن ابراهيم عليه السلام يعلم بان المنامات لها حقيقة وأن الرؤيا صحيحة لما كان يعزم على ذبح ابنه برؤيا رآها في منامه ؟؟ وكذلك اسماعيل لو لم يعلم صحة ذلك لما قال افعل ماتؤمر ولما كان يستسلم للذبح .

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة» وقال : «قد ارتفع الوحى وبقيت الرؤيا الصادقة ». فلو علم من يزعم أن المنامات لا حقيقة لها ان أكثر الانبياء عليهم السلام كانوا يقبلون الوحي في المنام عند ترك النفس استعمال الحواس لما قال هذا القول ولما أنكر وجود النفس .

هيهات قد جهل أشرف العلوم وخفي عليه أصل المعارف وبعد من الصواب وحرم أفضل المواهب من يزعم أن المنامات لا حقيقة لها وأن النفس لا وجود لها ، ولكن نسأل الله أن يهديهم ويفتح قلوبهم ويشرح صدورهم ليفهموا دقائق

العلوم ولطائف الاسرار فانه من لم يهده الله فلا هادى له «ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور» .

فصل

وذكر أيضاً أن رجلا من المترفين وأرباب النعم ممن قد بسط له في دنياه ومكن له فيها جعل أكثر جهده وكده طول عمره ليلا ونهارا فى تنعم بدنه ورفاهة جسمه ولذة عيشه واصلاح شهواته حتى لم يكن له طول نهاره شغل الا دخول الحمام وحلق رأسه وتمريخ بدنه أوتغيير لباسه أو تبخير ثيابه وبدنه واستنشاق طيبه أو تنقلا من مجلس الى مجلس فى تجديد لذاته واصلاح شهواته ، حتى لم يكن يأكل ولا يشرب الا أطيب الطعام وألذ الشراب ولا يلبس الا أنعم اللباس ولا يقعد الا على أوطأ المراكب وألين الفرش ، وكان لم يكن ينام الا على سرير معلق في الهواء في وسط قبة له ، مخافة دبيب يعرض له أو غبار يصيبه ! فعاش بذلك زمانا طويلا حتى شهر في الناس بطيب عيشه ولذيذ شهواته ، وجعل الراغبون في شهوات الدنيا يتمنون حاله ويغبطونه على ماهو فيه ويتشبه به المترفون من أهل زمانه وأرباب النعم : كل واحد بحسب امكانه واتساع حاله حتى صار قدوة لطالبى اللذات فى اتباع الشهوات .

وكان مع هذه الحال كلها لم يكن يعرف شيئا من اصلاح نفسه ولا تحسين أخلاقه ولا تفقها فى الدين ولا تزودا لآخرته ولاتفكراً فى أمر معاده ولا رغبة فى علم ولا طلباً لأدب ولا فكرة فى زوال الدنيا ولا ذكراً للموت بل كان مقبلا على طلب شهواته محتقراً لأمور الناس مزريا من دونه معرضا عن الفقراء هاجراً لأهل العلم متهاونا بامر الدين .

ثم أراد الله تعالى أن ينبهه من نوم غفلته ورقدة جهالته ويري للعباد قدرته ويجعله عبرة لغيره وعظة لمن سواه : فبينما هو ليلة نائم على فراشه فوق سريره معانقا لحبيبته وأبواب داره مغلقة وستوره مسبلة ، وحول سريره شموع تزهر وعلى أبواب داره خدمه وغلمانه مستيقظين ، إذ رأى فيما يرى النائم كأنه فى برية

ففرة وحده وهو عريان جائع عطشان وبدنه مسود وشعره طويل وجسده ملوث برجيع مافى جوفه ، وعلى ظهره ثقل ثقيل واذا هو بأسودين منكرين خلقتهما طويل قامتهما وعيونهما تبرق ومن مناخرهما يخرج الدخان ومن شدقيهما تلتهب النيران وبأيديهما حراب حداد وهما يقربان نحوه ليأخذاه ، فلما رآهما ولى هاربا من بين أيديهما وهما يتبعانه حتى اذا أمعن فى هربه اذا هو بجبل شاهق فيه طريق ضيق وعر مسلكه فسلكه بمشقة شديدة وعناء طويل ، حتى اذا انتهى الى قمته هوى من الجانب الآخر فى واد منكساً على رأسه حتى وقع فى بئر يخرج منها دخان معتكر يأخذبالانفاس ولهب يشوي الوجوه ، والاسودان فى أثره لايفارقانه فمن هول مارأى وعظم ما عاين وشدة مالقى صرخ فى منامه صرخة واضطرب اضطرابا شديداً ووقع من سريره الى الأرض وانتبه كل من كان فى داره ومن حوله من جيرانه من شدة زعقته وطاش عقله وشخصت عيناه وارتعدت مفاصله وعقل لسانه واجتمع حوله كل من كان فى داره من خدمه وغلمانه وأقربائه يسألون ماالذى أصابه ؟ فلم يطق جوابا بقية ليلته حتى أصبحوا وجمع له المعزمون والراقون وظنوا أنه أصابه لمم من الجن أو سحر من الاعداء ووسواس من الشيطان .

فقال لهم : ليس بى ماتظنون ! ولكن رأيت رؤيا هالتنى وأفزعتنى وأدهشتنى فجمع له المعبرون وقصت عليهم رؤياه ، فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم : هذا من خلط سوداوى ومزاج غليظ ، وقال آخر : لا بل فكر رديء وتخيل فاسد ، وقال آخر : لا بل هو من الجن !

وجعلوا يرجون الظنون حتى جنهم الليل فجمع خدمه وغلمانه وأقرباءه في مجلس واحد حول سريره ونام هو بينهم فوق فراشه وجعلوا يقرأون الرقى والعزائم والعوذ ويبخرون الدخن حتى كان ذلك الوقت من الليل فاذا هو برؤياه تلك بعينها بل ماهو أعظم وأهول وأصرخ ففزع من فراشه وأفزع كل من كان حوله ، ثم أدركوه وجعلوا يسألون عنه وهو مرتعد مرعوب لاينام ولا ينامون توجعاً له الى الصباح .

وتسامع الناس بخبره وجمعت له الاطباء فوصفت له الحمية والاستفراغ والشربة ، وظنوا أنه نافع من هذا العارض ففعل ومانفع شيء .

فلما كان من الاسبوع الداخل فى مثل ذلك الوقت من الليل فاذا هو برؤياه بعينها بل ماهو أعظم وأهول فانتبه مرعوبا مرتعداً الى الصباح ما نام

فلما كان من الغد جمع له المنجمون والمعزمون والعرافون وسئلوا عن موجبات أحكام النجوم فذكروا أن مثل هذا العرض انما يعرض للانسان من أجل أنه يكون في أصل مولده من استيلاء النحوس على درجة طالعه أو أحد الاوتاد في تحويل السنين والشهور ، فقيل لهم فما الدواء النافع فيه والمنجي له ؟ فقالوا نختار له يوماً يكون القمر متصلا بالسعود وطالعاً جيداً يكون السعد في الاوتاد والنحوس سواقط عنها ، ويتحول من ذلك الوقت من بلد إلى بلد أو من محلة إلى محلة أو من دار الى دار.

ففعل ذلك وما نفع الدواء له !! وشاع حديثه في الناس وتسامعت به الاخبار في البلاد وصار موضع رحمة بعد أن كان بحال غبطة وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس خائفين أن يصيبهم مثل ما أصابه من البلوى والمحن ، وجعل أهل المدينة ليس لهم حديث في مجالسهم ومحافلهم إلا حديثه ولاعظة إلا ماأصابه

فبينما يوماً جماعة من جيرانه قعود على الطريق في حديثه إذ مر بهم رجل يعرف بالناسك — وكان من أهل العلم والدين والسر قد رزق العلم والايمان — فقيل له كيف غمك على فلان جارك ؟ قال كغم أب مشفق طبيب على ولد عليل .

فقيل له وكيف ذلك ؟ قال لأن عندي تأويل رؤياه ودواء دائه .

فقيل له لم لاتقصده وتعرفه ماعندك؟ قال لانه لايسمع قولى ولايقبل نصيحتى

فقالوا له ولم ذاك ؟ قال لأن أزهد الناس في علم الرجل جيرانه ، ولكن أخبركم أنا وعرفوه أنتم ولا تذكروني عنده فانى خائف ألا يقبل استصغاراً لما أقول أو يعمل من غير يقين فلاينفعه ،قالوا له عرفنا نسمع ماتقول ؟ فقال : أما رؤياه البرية القفرة فهو براءته من الدنيا وبراءتها منه يوم يموت.

وأما فقره فهو فقره بعد الموت وشدة الحاجة في الآخرة الى الزاد .

وأما عريه فهو عرى من الاعمال الصالحة التى لها ثواب الآخرة. وأما جوعه وعطشه فهو رغبته وحرصه في طلب شهوات الدنيا .

وأما سواد بدنه فهو سواد وجهه عند الله لسوء أعماله . وأما طول شعره فهو شعور حزن طويل في الآخرة .

وأما تلويث بدنه برجيع مافى جوفه فهو خوف وا كتئاب يناله في الآخرة ويتمنى الرجعة الى الدنيا ولاسبيل له الى ذلك .

وأما الثقل الذي رأى على ظهره فهو ثقل أوزاره وسوء أعماله.

وأما الشخصان المنكران فهو منكر أفعاله ونكير أخلاقه وسوء عاداته لايفارقان نفسه وحيثما ذهبت يتبعانها .

وأما الجبل الشاهق فهو جبلته وعادته التى هو عليها مشقة والشاهق شقاء يناله بعد الموت إلا أن يتوب ويرجع إلى الله عن اثمه.

وأما المسلك الوعر فهو طريق الآخرة التى لابد من سلوكها بنصب وعناء

وأما الوادي فهو وادي جهنم والبئر المهوي هى الهاوية التى اليها تصير نفوس الاشرار وأرواح الفجار .

فقولوا له إن هو بادر وتدارك وتلافى قبل الموت وإلا فسيكون مصير نفسه إلى هناك بعد الموت ، فان الله تعالى أراد بهذه الرؤيا أن يعظه ويذكره وليتوب ويرجع عما هو فيه من الغفلة فى أمر الآخرة والحرص على الدنيا .

فقالوا له فما دواؤه قال ينوى نية صادقة ويعزم عزماً صحيحاً ويرجع الى الله ويتوب مما قد سلف ويتصدق بشطر من فضول ماله على الفقراء والمساكين ويلبس من خشن الثياب مايواري العورة ويصوم فى كل أسبوع يومين ويمشى الى المساجد خاضعاً ويتفقه فى الدين ويستعمل القرابين ويصلي فى ظلمة الليل ويستغفر فى الاسحار ويسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأنه تعالى يفعل ذلك ان شاء

فقام القوم من ساعتهم ودخلوا عليه وعرفوه بما أصابه وبما هو خائف مترقب

له ثم أخبروه بما قال الناسك ، فقال لهم . من أين لكم هذا التأويل ومن وصف لكم هذه الرؤيا ؟ فقالوا أخبرنا العالم فى الدين الناصح الذي لا نشك فيما قاله ، فقبل قولهم وجمع جماعة من العلماء والفقهاء وأهل الدين فاخبرهم بما قيل له ، فقالوا حقاً ماقيل وصوابا ماوصف .

فسألهم عند ذلك عن التوبة النصوح كيف تكون وعن فقه الدين وطريق الآخرة وأمر المعاد وصفة الجنان وثواب الاخيار وأين يكون منقلب الاشرار فوصفوا له ما هو مذكور في كتب الأنبياء عليهم السلام فقبل ما قالوه وفعل ما أمروه بين شك ويقين وخوف ورجاء . فلما كان في الاسبوع الآخر مثل ذلك اليوم صام نهاره وتصدق عند افطاره وأكل يسيراً من الطعام وقام يصلى ليلته ، فلما كان من ذلك الوقت وهو ساجد إذ غلبه النوم فرأى في منامه كأنه في تلك البرية بعينها وقد أخضرت من العشب والكلأ وقد تفتحت أزهار الرياحين وفاح نسيمها ، فاذا هو على رأس قمة عليها عين من الماء الزلال وكأنه قد اغتسل من مائها فتناثر عن بدنه ذلك الشعر والدرن ، وقد ألبس ثياباً جدداً تفوح منها رائحة الطيب، واذا هو بشخصين قائمين أمامه كأنهما صورتان من النور تشف أبدانهما ، عليهما زى الجمال ومحاسن الكمال ورونق الشباب وهيبة الوقار وهما مبتسمان فى وجهه كالمستبشرين له يشيران اليه بالنظر الى قدام . فلما تأمل فاذا هو بفضاء فسيح يقصر دونه الطرف واذا هو بأنوار قد ملأت الآفاق من الضياء واذا في ذلك الفضاء رياض خضر كأن بينها نسج الديباج من الزهر والنور والزعفران ، واذا في وسطها أنهار تجرى على أرض بيضاء كأن حصاها الدر والياقوت والمرجان وعلى حافات تلك الانهار أشجار كان أوراقها الحرير والسندس والارجوان ، واذا هب نسيم تخشخشت أوراقها كأنها أصوات نغمات أوتار العيدان ، وبين تلك الاوراق ألوان الثمار متفننة الاشكال والطعوم والألوان ، وإذا بين ذلك قصور شاهقة كأنها جبال من رخام أبوابها مفتحة وصحون واسعة وايوانات متقابلة فيها سرر موضوعة عليها فرش مرفوعة ونمارق مصفوفة وبينها سادة

كرام متكئون متقابلون عليهم زين الجمال ومحاسن الكمال وهيبة الوقار ، بأيديهم التحف يسعى بينهم ولدان وغلمان وجوارى حسان أتراب مبرقات بالمحاسن والجمال . فلما رأى تلك المحاسن قال لصاحبيه : ما هـذه ؟ قالا هي الجنة دار السلام ومعدن الارواح ومسكن نفوس الاخيار ومستقر الابرار ، فان أنت دمت على ما أنت عليه الى الموت فسيكون مصيرك الى هناك بعد مفارقتها جسدها فتجد لذة العيش وسرور النعيم صافياً بلا تنغيص ما بقى الدهر ، فمن فرح ما سمع وسرور ما بشر ، استفزه ذلك فانتبه داهشا متفكراً يتمنى عسى أن ينام فيرى تلك الرؤيا ثانياً بعد أن كان كارهاً للنوم مخافة أن يرى رؤياه الأولى ، فلما أصبح تصدق بجميع ماله وأعتق كل عبد له ولبس المسوح وكان طول نهاره صائما وسهر ليله قائما مجانبا للناس لا يكلم أحداً بل يصلى نهاره باكيا حزينا زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حتى فشا خبره في الناس وتسامعت به المدينة والبلاد فقصده الناس من الآفاق يسألونه رؤياه ويسمعون تأويله ويتعظون به . ثم صار بعد ذلك يتكلم على الناس في المجالس بالحكمة والموعظة ويضرب لهم الامثال ويدلهم على طريق الآخرة ويرغبهم في ثواب الجنة ويزهدهم في غرورها وأمانيها ويحذرهم الاغترار بها . فقيل له من أين لك هـذه الحكمة والموعظة وأنت لم تكتب الحديث ولم تسمع الاخبار ولم تقرأ الكتب ؟ قال أجد قلبي كالمرآة تتراءى فيه حقائق الاشياء وأجد لساني يجرى على الصواب من غير تكلف منى وأجد نفسى كالترجمان تسمع من وراء الحجاب وتعبر وتؤدى الى أبناء جنسى مما تسمع بلا تصنع منى ، فعلم عند ذلك أنه مؤيد بملك من الملائكة يلهمه باذن الله جل ثناؤه ، ثم صار ذلك الرجل قدوة فى الدين لاهل زمانه . فبينما هو يوما في محفل والناس حوله يسألونه عن أمر الدين وهو يفتيهم والناس ما بين مستمع مصدق وشاك ومتعجب منه كيف كان بالامس أرغب الناس في الدنيا قدوة لطالبى الشهوات، وكيف هو اليوم في أمر الدين إمام لطالبى الآخرة إذ وقف فى المجلس رجل من أولئك الجيران الذين دخلوا عليه يعوذونه فرأى ذلك الناسك في مجلسه يسائله

عن مسائل من أمر الدين ويستوصف منه طريق الآخرة ، فدنا منـه وقال له : شبه المتعجب — هذا صاحبك الذي فسرت منامه ووصفت دواءه وأنت اليوم تسائله عن أمر الدين وطريق الآخرة ؟ ! قال نعم ولـكن قد جاءه من العلم مالم يأتنى وقد قبل نصيحتى أمس فنفعته اليوم وأنا أقبل منه اليوم ماعسى أن ينفعنى غداً وكانت وصفتى له أمس تعليما بشريا ووصفته اليوم تعليم ملكي . ثم أن ذلك الرجل التائب بقى مدة من الزمان مجتهداً في عبادة الله على عادته حتى قرب أجله ووقت مفارقته فرأى في منامه كأن روحه قد خرجت من جسده واذا هى على صورة مثل شكل الجسد وهيئته سواء ، غير أن هذا الشكل جسماني وتلك صورة روحانية شفافة لا ينالها لمس ولا حس ، واذا هى قد ثبتت في الهواء حيث شاءت وكيف شاءت بلا كلفة ولا عناء وهى تجد من ذاتها خفة وراحة وسروراً وروحا ولذة وفرحا لا توصف بمثلها حال الاجسام ، ولما نظرت الى جسـدها فاذا هو مطروح لا حراك به فحنت اليـه لطول الصحبة وإلف العادة ، فلما دنت منه وتأملته فاذا هو كأنه قد أتى ثلاثة أيام بعـد الموت وهو منتفخ منتن الرائحة يسيل منه الدم والقيح والصديد وتجري بين لحمه ودمه الديدان ويخرج من فيه ومنخريه وأذنيه الديدان والقمل . فلما رأت ذلك المنظر الهائل اشمأزت منه وتأخرت عنه وأنفت من الدنو اليه وجعلت تغبط حالها حين فارقته وخرجت منه ونجت من وسخه ودرنه ووحشته وعاره ووباله ثم التفتت فاذا هى أبواب السماء قد فتحت والمعراج قد امتد من السماء الى الارض والملائكة نزلت وامتلأت الآفاق من النور والضياء ، وسمع مناديا ينادى « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى » فانتبه من نومه ذلك ثم اخبر بما رأى وأوصى وصيته وما مكث الا أياما حتى توفي ومضى لسبيله

﴿ فصل ﴾

تفكر يا أخي في هذه الحكايات التى تقدم ذكرها واعتبر حال المنامات وتصاريفها وعجائبها اذ قد كان يبلغ من أمرها وقوتها أن تنقلب بالاعيان وتتغير

بها العادات وتصاريف أمر الناس من الغم والحزن في طلبها الى الزهد فيها والترك لها والرغبة فى الآخرة والاجتهاد في طلبها بعد الاعراض عنها . وتصديق جمهور الناس بأحكام المنامات وصحة الرؤيا هو مشهور بين العقلاء . ومن ينكر هذا البيان وحقيقة الرؤيا ويجحد صحة المنامات فما هو الا معاند عدو لما يجهل منكر لما لا يفهم ، وقد جعل فكرة المعارضة للحكماء والمجادلة للعلماء ويفتخر بقوة لسانه وحسن بيانه بغير علم ولا ايمان .

وقد روى في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « ان أخوف ما أخاف على أمتي رجل عليم اللسان جاهل القلب » . نعوذ بالله من ذلك

﴿ فصل ﴾

اعلم أنه ليست من طائفة أضر على الانبياء وأشق على المؤمنين من هذه الطائفة سواء يكونون في أزمان مبعث الانبياء من جملة أعدائهم المنافقين ، أو يكونون من بعد مبعثهم فى أمتهم ، وذلك أنهم ان كانوا فى أزمان مبعث الانبياء عليهم السلام فهم الذين يطالبون الانبياء بالمعجزات ويعارضونهم بالخصومات ويجادلون المؤمنين بالشبهات مثل ما قالوا لنوح عليه السلام : «ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» . واستصغاراً للمؤمنين واستنقاصا لقولهم .

وهكذا قالوا لموسى النبي عليه السلام : « أتعلمون أنه مرسل من ربه ؟ » . أرادوا جدالهم فترك المؤمنون جدالهم وقالوا : « إنا بما أرسل به مؤمنون » . وقالوا لمحمد ﷺ : «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب » الى قوله « حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه» وهم : الذين كانوا من الذين آمنوا يضحكون : واذا مروا بالمؤمنين كانوا يتغامزون : واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وآيات كثيرة فى القرآن فى ذم هذه الطائفة المجادلة . فهذه حالهم وحكمهم اذا كانوا فى مبعث أزمان الأنبياء عليهم السلام وأما اذا كانوا من بعد ذلك فهم الذين يقرأون شرائع الانبياء وأحكام سننهم سواء يكونون من أعدائهم المخالفين أو من أتباعهم المنافقين ، وذلك أنهم اذا كانوا

من أعدائهم فهم الذين يأتون بالشبهات ويجادلون بها المؤمنين وان كانوا من أتباعهم فهم الذين ينكرون من أحكام شرائعهم وآيات كتبهم ما لا يفهمون ويجحدون ما يقصر علمهم عن تصور مرموزاتهم ودقائق أسرارهم ، ثم يعتقدون فيها آراء فاسدة ومذاهب مختلفة ويضعون لها قياسات متفاوتة بعقولهم الناقصة ويجادلون بها المؤمنين ويناقضونهم ويحتجون بآيات من كتب الانبياء عليهم السلام بغير علم ، ويفسرون معانيها على ما يوافق مذاهبهم وآراءهم وقياساتهم ! حتى ربما يقولون ان فى حجج العقول كفاية عما جاءت به الانبياء من الوصايا ثم يستمر بهم ذلك حتى أنهم ربما ينبذون أحكام كتب الأنبياء وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . «واتبعوا ما تتلو الشياطين» فى أوهامهم من الوساوس والخيالات وهم مع ذلك يتعاطون المعقولات وهم لا يعرفون حقائق المحسوسات ويتكلمون في العلوم الالهيات وهم لا يدرون ما الرياضيات ولا علم الفلسفة يعرفونها ولا احكام الشريعة يحققونها : «مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء» لا بالفلسفة يتهذبون ولا بالشريعة يهتدون .

فلو أنهم علموا بان الله عز وجل انما جعل العقل مقدمة أمام الرسالة والوحي وجعل الوحي والرسالة أيضا مقدمة أمام البعث والقيامة ، وجعل البعث والقيامة أيضا مقدمة للغاية ، لما قالوا بأن في موجبات العقل كفاية للانسان عن الوصايا التي جاءت فى الرسالة على ألسنة الانبياء من الامر والنهي والاحكام والحدود أترى بأى عقل كان يمكن أن يعلم بأن الانسان يبعث بعد الموت ويلقى ربه فيحاسبه ويجازيه لولم يخبر فى الرسالة أو بأى عقل كان يمكن أن يعلم حديث آدم وقصة ابليس وخطاب الملائكة وما هو مذكور فى القرآن فى نحو من سبع وخمسين آية في عدة سور

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الله جل ثناؤه لما خلق الانسان فى أحسن تقويم وفضله على سائر الحيوان وملكه عليها وسخرها له وجعله خليفة فى أرضه يتحكم على جميع ما فيها

من المعادن والنبات والحيوان يتصرف فيها كيف يشاء ويحكم عليها بما يريد ، كل ذلك بتمييز عقله وتمكنه بكمال هيئته ، لم يجز في حكمة الباري تعالى أن يتركه بلا وصية يبين له فيها ماينبغي له أن يفعل ومالاينبغي أن يفعل.

ولما أوصاه وأمره ونهاه لم يجز في حكمته أن يتركه دائما ولا يدعوه الى حضرته ويسأله عما فعل ، كما ذكر جل ثناؤه فقال : « ووصينا الانسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم » الآية وقال : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟ » الآية وقال : « فمن كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت » ، وقال :« والذين كفروا بآيات الله ولقائه». وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى ، ولكن هذه الطائفة المجادلة زعموا بأن معنى لقاء الله والرجعة اليه هو لقاء ثوابه وإنما أنكروا رؤية الله لأنهم يظنون ويزعمون ألا يرى إلا الأجسام وأعراضها حسب ، والله تعالى ليس بجسم بالاجماع . فمن هذا الوجه والقياس أنكروا لقاء الله ورؤيته ، وليس الأمر كما ظنوا أن لا يرى إلا الأجسام وأعراضها حسب ، بل الأجسام غير مرئية بالحقيقة لولاالالوان والألوان أيضاً غيرمرئية لولاالنور والنور ليس بجسم ولاعرض لأنه لو كان النور جسما لما كان يسري في الاجسام الصلبة الشفافةمثل الزجاج والبلور وغيرهما لان الجسم لايدخل في جسم آخر بالاجماع ، لانه لو كان جسم يدخل في جسم آخر لدخلت الاجسام كلها في جسم واحد ، وأيضاً فان النور ليس بعرض من الأعراض الحالة فى الاجسام ، فانا قد بينا أن النفس أيضاً ليست بجسم وإن كان لايرى أن يظهر أفعالها إلا من الاجسام وكذلك الملائكة والشياطين والجن والارواح والانفس والعقل الفعال فهذه كلها ليست بجسم ولاأعراض وان كان لايظهر أفعالها إلامن الاجسام ، وكذلك النور ليس بجسم وان كنا لانرى أن يظهر لابصارنا الا من جسم

ولو لم يجز أن يوصف الباري جل ثناؤه بالرؤية لما قال : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » . وأنه تجلى للجبل ، فان التجلي والحجاب لايقال ولا

يوصف بهما الاشياء التي لايجوز عليها الرؤية . والله تعالى أعلم بصفات نفسه ومايجوز أن يوصف به من عقول هؤلاء المجادلة

فصل

ومن احتجاجات هؤلاء الطائفة المجادلة على بطلان الرؤيا وصحة المنامات يقولون إنه اذا رأى الانسان في منامه كأن رأسه مباين لبدنه أفترى بأي عين يبصر رأسه ؟ ولايدرون بأن النفس جوهر لاينالها الحديد لو قطع الجسد إرباً اربا ً.

ومثل هذه الرؤيا من أدل الدليل على وجود النفس وشرف جوهرها إذا كانت تتأتى لها رؤية الجسد بسوء الحال مقطوع الاعضاء ناقص البنية معوج الصورة وهي سليمة صحيحة من الآفات مثل أنفس المقطوعي الأيدي والارجل والزمنى المفلوجين نصف أبدانهم .

وذلك انك ترى كثيراً منهم يكون أعقل وأذكى وأعلم وأفهم ممن هو صحيح الجسم سمين البدن عظيم الجثة .

فلو كان الانسان هو هذا الجسد حسب بلا نفس معه لكان يجب أن يكون كل من كان أصح جسما وأكبر جثة وأسمن بدنا يكون أكثر إنسانية وأعقل وأفهم وأذكى وأعلم ممن كان أصغر جثة أو كان ناقصاً بعض الاعضاء أو كان مهزولا .

وقد يوجد الامر بخلاف ذلك فى كثير من الناس وفى كثير من الحيوانات أيضاً : فانك تجد القرد أذكى من الخنزير، والثعلب أخبث من الذئب ، والببغاء أفصح من الكركي والقطا أهدى من النعامة ، وماهو موصوف فى كتاب الحيوان من هذا المعنى .

وقد تبين بان الحيوانات لها نفوس أيضاً وتلك النفوس تتفاضل لابكبر الجثة وعظم الخلقة وحسن الصورة حسب ، بل من قبل أفعالها وجواهر نفوسها وأخلاقها وخواصها ومتصرفاتها مما هو مذكور فى كتاب الحيوان وكتاب الخواص.

كل ذلك دليل على أن مع هذه الحيوانات جواهر أخرى هي الفاعلة المحركة لاجسامها ، إذ كان الجسم لافعل له بمجرده ولا للعرض أيضاً له بالاجماع.

فصل

ويقال لمن يزعم أن الانسان ليس هو بشيء سوى هذه الجملة المشار اليهـا ، يعنى هذا الجسم وما يحله من الاعراض مثل الحياة والحس والحركة ، وأن النفس لاوجود لها : لم لا يسمى هذه الحيوانات إنساناً ؟ فان كل واحد منها هو أيضاً جسد فيه الحياة والحس والحركة ؟ فان قال أعنى بالانسان بنية مخصوصة أو قال مزاجا معلوماً أو قال تأليفاً ما فيقال له أخبرنا أي بنية تعنى وأي مزاج ؟ بين لنا وإنا قد نرى بنية بدن الزنجى مخالفة لبنيـة بدن التركي ، ومزاج الطفل مخالفاً لمزاج الشيخ ، وتأليف بنية المفلوج الزمنى مخالفاً لبنية السليم الصحيح وطبع العليل مخالفاً لطبع الصحيح ، وكلهم إنسان لايختلفون فى الانسانية مع اختلاف هذه الاحوال .

فبين لنا ماذلك المعنى الذي كلهم فيه بالسوية إن لم يكن للنفس حقيقة ولا وجود ؟ فان قال الروح فهو الذى نسميه نفساً وإنما الاختـلاف هو في العبارة ولاضير إذ قد اتفقنا في المعنى

فان قال إن الجسم يفعل هذه الافعال بكون الروح فيه ولـكن الروح عرض من الاعراض فقد ناقض وادعى بأن مالا فعل له يجتمع مع ماله فعل فيكون فاعلا فهو المطالب بالدليل على دعواه ! ولم يصح للقائلين بهذه الدعوى دليل برهانى يقينى الى يومنا هذا الا شبهات ودعاوى . والمنازعة قائمة بذاتها . فان قال بأنه إذا دخل في الجسم عرض من الاعراض فان الله تعالى يحدث عند ذلك فعلا فقد ناقض مذهبه وأقر بخلق الافعال بعد ماكان منكراً لها إن كان من أهل الاجتهاد ، وان كان ممن يقول بطريق السمع فالأمر سهل لأنه قد وردت أخبار كثيرة في تصحيح وجود النفس والروح وآيات كثيرة في القرآن تنطق بها وان كان كلامنا مع من يرد دلائل العقل وحجج الجدل

فصل

واذ قد ثبت بما ذكرنا وجود النفس وحقيقة المنامات وصحة الرؤيا بما فيه كفاية لـكل منصف عقله ، فنريد أن نذكر كمية أنواع المنامات وفنون تصاريفها.

واعلم يا أخي أن رؤية المنامات على ستة أنواع : فمنها ماهو أضغاث أحلام وأحاديث النفس ، ومنها مايكون من جهة غلبة أخلاط الجسـد ، ومنها مايكون من جهة موجبات أحكام النجوم ، ومنها ماهو وساوس من الشيطان ، ومنها ماهو الهام من الملائكة ، ومنها ماهو وحى من الله وتأييده . تفسيرها : أما اضغاث الاحلام فمثل مايرى كل انسان مايكون منصرفاً فيه نهاره ومفكراً فيه ليله من الاعمال والصنائع والتجارات والاقاويل والفكر والهموم وما شاكلها من أحاديث النفس كالذي يرى الحراث من الزرع والحصاد والشجر والنبات والعوامل من الحيوان وما هو منصرف فيه نهاره ومفكر فيه ليله ، وعلى هـذا القياس سـائر طبقات الناس مما يرون من أحوالهم ومتصرفاتهم يسمى أضغاث أحلام وأحاديث النفس .

وأما الذى يكون من غلبة اخلاط الجسد فهو مثل الذي يرى من غلبت عليه مرة السوداء من السواد والدخان والقاذورات والأحزان وما شاكلها ، وكالذي يرى البلغمى المرطوب من الأنداء والأمطار والآجام والأنهار والوحل وماشاكلها ، وكالذي يرى الدموي من الفرح والضحك واللعب والسرور وماشاكلها ، وكالذى يرى الصفراوى من الحريق والبروق والنيران والالوان الحمر وما شاكلها

وأما الذى يكون من أحكام موجبات النجوم فهو الأصل وسائرها فروع : وذلك أن بنى الانسان يختلفون فى رؤيتهم المنامات على فنون شتى : فمنهم من يكون كثير المنامات صحيح تأويلها ، ومنهم من هو بالضد ، ومن الناس من تكون عجيبة رؤياه غريب تأويلها — كما ذكر ذلك في كتب تأويل المنـامات بشرح طويل

فصل

ثم اعلم يا أخي أن تأويل المنامات وإن كانت مختلفة كثيرة الفنون فليست تخرج كلها من ثلاثة أنواع : منها مايكون مثلا بمثل سواء ، كالذي يرى كأنه سافر الى بلد فيتفق له السفر الى ذلك البلد ، أو كالذي يرى انه ولي ولاية فيلي ذلك العمل ، أو يرى إنساناً في منامه فيراه في اليقظة . وعلى هذا القياس تكون رؤيا كثير من الناس .

ومنها مايكون تأويلها بالضد مما رآى كالذي يرى كأنه يبكي فيناله فرح ، أو يرى كأنه يضحك فيغتم وأشباه ذلك .

ومنها ماله تفسير كالذي يرى أنه طار فسافر أو كأنه أكل لحم إنسان فاغتابه أو أكل طعاماً حاراً فوقع في خصومة وماشاكل هذا مما هو مذكور في كتاب تأويل الرؤيا . وكل ذلك إنما هو بحسب موجبات أحكام النجوم في أصل مولد الانسان في تحاويل سنه وشهورها — كما ذكر ذلك في كتاب أحكام النجوم بشرح طويل ، ولكن نذكر منها مثالا في هذا الفصل ليكون دليلا وقياساً على سائر ماذكرنا لمن يعرف من أحكام النجوم شيئاً .

مثال ذلك متى كان في أصل مولد الانسان بين رب الطالع والمستولى على الطالع ، وبين رب التاسع والثالث والمستولى عليهما اتصال أو نظر جيماً ، أودفع التدابير أو حال من الأحوال الخمسة والعشرين المذكورة في كتاب المدخل الى أحكام النجوم — فان ذلك الانسان كثير المنامات

فأما تصاريف قوتها واختلاف تأويلاتها فبحسب البروج وطبايعها والبيوت وأوتادها واستيلاء السعود عليها أوالنحوس ، وشرحها طويل ، ولكن نذكر مثالا واحداً ليكون قياساً على الباقية : وذلك أنه متى كان الاتصال برب الطالع ورب التاسع من السابع وللزهرة هناك حظ من الحظوظ المعروفة المذكورة في المدخل فان أكثر رؤيا ذلك الانسان وتأويلها يكون في أمر التزويج والنكاح

والمواصلات وماشاكلها ، وان كان الحظ للمشتري يكون ذلك في تأويل المعاملات والتجارات والأخذ والاعطاء وماشاكلها وإن كان الحظ للمريخ فان ذلك يكون في باب الحروب والخصومات والمنازعات وماشاكلها ، وإن كان الحظ لعطارد فان ذلك يكون في باب المحاسبات والمحاورات والخصومات وماشاكلها ، وان كان الحظ للشمس فان ذلك يكون بحضرة الملوك والسلاطين ، وإن كان الحظ لزحل فبحضرة المشايخ والاكابر من الناس ، وإن كان الحظ للقمر فان ذلك بحضرة من العوام وجمهور الناس .

مثال آخر : فان كان الاتصال من البرج التاسع والمستولي عليه زحل فان أكثر رؤياه أسفار بعيدة وأمور قديمة وما شاكلها ، وان كانت الشمس فالهياكل وبيوت العبادات والاعياد والجماعات وماشاكلها ، وان كان عطارد فعن البحث عن العلوم الدقيقة والاسرار الخفية ، وان كان القمر فعن الاحاديث والاخبار والروايات ، وان كان المشترى فعن العبادات والصوم والصلاة وما شاكلها ، وان يكن الزهرة فعن الوحي والزجر والكهانة ، وان يكن المريخ فعن الذهاب في المطالب وطلب البشارات وماشاكلها .

وعلى هذه القياسات وسائر الاتصالات في سائر البروج والبيوت تمتزج دلائل طباع الكواكب بدلائل طبائع البروج — كما ذكر ذلك في كتب الاحكام بشرح طويل — وهذه الفنون والتصاريف أيضاً تكون رؤيتها وتأويلها بشارات وانذارات .

فصل

وأما المنامات التي تكون رؤيتها إلهاما من الملائكة أو وسواساً من الشيطان فان الباب فيهما واحد وان كان الطريقان مختلفين فنحتاج أن نبين أولا ما الملائكة والشيطان وما الالهام وما الوسوسة إذ كان هذا الباب علماً غامضاً وسراً خفياً وان كان أكثر المجادلة ينكرونها بقلوبهم ، وان كانوا لايظهرون إنكارها بالسنتهم مخافة السيف والشنعة

ونبدأ أولا بوصف نفوس شياطين الانس، ثم نذكر نفوس شياطين الجن ثم نصف نفوس المؤمنين الذين هم ملائكة بالقوة

واعلم يا أخي أن الانسان هو الذي يجب عليه الامر والنهي إما بموجب العقل أو بطريق السمع ، فمتى قام بواجب حكمة أحدهما فابتدأ أولا يتعلم فقه الدين ليخرج به من ظلمة الجهالة ، ثم ابتدأ بتهذيب الاخلاق التي تخلق بها من الصبا فأصلح منها ما كان فاسداً ، وكذلك نظر في عاداته التي اعتادها من الصبا في أيام الشباب فغير منها ما كان مذموماً من اتباع الشهوات المذمومة وطلب اللذات المكروهة ، وكذلك نظر في اعتقاداته المذمومة وآرائه الفاسدة التي اعتقدها من غير علم ولا بصيرة ولا بحث عن حقائقها فخلها عن ضميره وأبدلها بما هو خير منها ، ثم عمل بما رسم له في الشريعة العقلية أو السمعية من الاعمال الصالحة وسار في أمور معيشته بسيرة عادلة ، ثم فكر في أمور الدنيا واعتبار أحوالها وما تتصرف به الأمور حالا بعد حال حتى تنتبه نفسه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فيبصر عيوب الدنيا ويعرف غرورها ويزهد فيها ، ثم يبحث عن أمور الآخرة ويفكر في المعاد حتى يعرفها حق معرفتها ، ثم يرغب فيها ويطلبها حق الطلب ويدوم على ذلك الى الممات ، فاذا فعل فان نفسه إذا فارقت جسدها عند الموت استقلت بذاتها واستغنت عن التعلق بالاجسام بعد ذلك وتخلصت من وسخ الأبدان ونجت من بحر الهيولى واعتقت من أسر الطبيعة وفازت بالخروج من عالم الكون والفساد وارتقت الى عالم الافلاك وسعت في سعة فضاء السموات فرحانة مسرورة ملتذة مطلقة حيث شاءت ذهبت ، فعند ذلك تكون ملكا من الملائكة .

ومن الدليل على ذلك ماذكر الله جل اسمه من كرامات أهل الجنة وقال : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب »

واعلم يا أخي أن الملائكة لاتسلم إلا على أبناء جنسها ولا تخاطب إلا من شاكلها ، كما ان الانسان لايسلم على الجماد والحيوانات بل على أبناء جنسه من

الناس ولايخاطب إلا أمثالهم منهم، وانما ذكرالله تعالى سلام الملائكة على أهل الجنة على سبيل الكرامة لاهل الجنة لانهم هم القادمون عليهم والملائكة هم المقيمون هناك.

ومثال ذلك ماجرت به سنة الشريعة أن الحاج اذا رجعوا الى منازلهم فان المقيمين هم الذين يقصدونهم ويدخلون عليهم فيهنئونهم بالسلام.

فعلى هذا المثال يكون حكم نفوس المؤمنين العارفين الأخيار الفضلاء الاتقياء الأبرار الذين هم في الدنيا زاهدون والى دار الآخرة راغبون وإلى نعيمها مشتاقون وفي أقوالهم واخلاقهم وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم بالملائكة متشبهون ، فنفوسهم ملائكة بالقوة ، فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى : الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم الى آخر الآية .

واعلم ياأخي أنه ليس كل انسان يمكنه أن يتصور هذا الامر على حقيقة ماقلنا ووصفنا الا بعد رياضة كثيرة في العلوم والمعارف وبعد بحث دقيق عن علم النفوس والمعرفة بحقيقة جوهرها وبعدمايكون قدهذب أخلاقه وصحح اعتقاده وحسن مذهبه وزكى عمله ، ثم نظر في هذا العلم وبحث عن هذا السر الجليل الدقيق وطلب هذا الامر الشريف الجليل ، فان وقع له التصور لهذا الامر الذي قلنا ووصفنا ، والا فليس له طريق الا الايمان بما هو مذكور في كتب الانبياء من هذه المعاني التي وصفناها والتصديق بما يخبره به من هو أعلم منه بهذا الأمر وأعرف منه بهذه الاسرار .

﴿ فصل ﴾

وكما قلنا في أمر الملائكة ونفوس الاخيار فهكذا نقول في أمر الشياطين ونفوس الاشرار مثل ماقلناه في أمر الملائكة ونفوس الاخيار

واعلم يا أخي أن الانسان اذا بلغ أشده وعقل الخطاب وجاءته الوصية من الله وسمع الامر والنهي وفهم الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والزجر والتهديد

ثم لم يأتمر ولم ينته ولم يتعظ ولم ينزجر وأهمل أمر الدين وأعرض عن طلب الآخرة ونسى ذكر المعاد واشتغل بطلب الدنيا وحرص على جمع حطامها واشتدت رغبته فيها وأهمل أمر نفسه والنظر فى مصالحها وجعل فكره اتباع الشهوات وطلب اللذات من الاكل والشرب واللباس والمركب والمسكن المزخرف والتفاخر والتكاثر ، ومع هذه كلها تكون أعماله سيئة وأخلاقه رديئة وأفعاله فاسدة وسيرته جائرة وجهالته متراكمة فان نفسه تكون شيطانة بالقوة ، واذا فارقت جسدها عند الموت على هذه الحالة كانت شيطانة بالفعل ، وذلك أنها اذا فارقت جسدها بقيت مسلوبة آلات الحواس الخمس التى كانت تتناول بها الملاذ الجسمانية وكانت تتمكن بها من الشهوات الجرمانية وصارت بعد ذلك ممنوعة عنها بعد ما اعتادتها بطول التدرب فيها فى سالف الأيام وماضى عمرها وانطبعت في همتها تلك الشهوات وصارت جبلة لها ثم : «حيل بينهم وبين ما يشتهون» . فعند ذلك يكون مثلها كمثل من سملت عيناه وصمت أذناه وسد منخراه وأخرس لسانه وشلت يداه وقطعت رجلاه وعمى قلبه وهجره أحباؤه واشتد شوقه وشهوته الى لذته ، فهكذا يكون حكم نفوس الكفار والأشرار والفساق والفجار اذا فارقت أجسادها وسلبت عنها آلات الحواس وحيل بينها وبين شهواتها ومحبوباتها ، فعند ذلك تتمنى العود كما قال تعالى : «ياليتنا نرد ولا نكذب» ولا سبيل لها الى ذلك ولا هي أيضاً تهتدي للطريق الى ملكوت السماء فتعرج الى هناك كما قال الله تعالى : «لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة» . الآية فعند ذلك تبقى هذه النفوس مجردة بذواتها بلا جسد وتكون هائمة فى الجو دون فلك القمر وتطرح بها أمواج الطبيعة فى بحر الهيولى الى كل فج عميق وهى مشتعلة فيها بنيران شهواتها وتكون معذبة بذاتها من وزر سيئاتها وسوء عاداتها الى يوم القيامة كما ذكر الله تعالى : «النار يعرضون عليها غدوا وعشياً» . الى آخر الآية

فصل

ثم اعلم يا أخي أن هذه النفوس التى تفارق أجسادها على هذه الأوصاف

فانها تحن الى أبناء جنسها من النفوس المتجسدة الشريرة التى على سننها وسيرتها في شهواتها كما يحن الأعمى البصير الى أبناء جنسه اذا سمع أصواتهم وتستروح هذه النفوس أيضاً الى وسوسة أبناء جنسها وحثالتهم على فعل تلك العادات التى كانت فيها مما تقدم من الشرور وطلب الشهوات لما تجد من ألم شهواتها المركوزة فى ذاتها من سوء عاداتها القديمة فيما يستروح كمن قد عدمت شهوته للطعام والشراب وضعفت حرارة معدته فهو يشتهي ما لا يستمرىء وبه شبق وآلته لا تواتيها ، فهو عند ذلك يستروح بالنظر الى الآكلين والشاربين والفاعلين من ألم ما يجد فى نفسه من الشهوات المركوزة وعاداته الجارية والى هذه النفوس ووسواسها أشار بقوله : «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» فشياطين الجن هي النفوس المفارقة الشريرة التى قد استجنت عن ادراك الحواس ، وشياطين الانس هي النفوس المتجسدة المستأنسة بالاجساد .

واعلم يا أخى أن هذه النفوس المتجسدة الشريرة اخوان لتلك النفوس المفارقة. فاذا فارقت أجسادها بعد الموت لحقت بتلك النفوس المتقدمة التى قد خلت فى القرون الماضية وحصلت فى العذاب معها كما ذكر سبحانه : «أدخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار» . الى آخر الآية. وفى هذا المعنى آيات كثيرة فى القرآن لمن يتدبرها ويتفكر فيها .

واذ قد تبين ما الشياطين ووسواسها وكيف تنال النفوس من الآلام والأحزان بمجردها ممن وصفناه فيما تقدم .

فكذلك أيضاً أن تلك النفوس الملكية الناجية التى تقدم ذكرها هى أيضا اذا فارقت أجسادها وحصلت لها تلك الكرامة التى وصفنا حنت هي عند ذلك الى مخلفيها من الاولاد وقراباتها وتلامذتها وأهل دينها ومذهبها الصالحين منهم وعطفت عليها وتمنت لها هى ماوجدت من الكرامات والراحة والسرور حتى إنها ربما نزلت لهم فى منامهم ووعظتهم وأذكرتهم المعاد أو وصفت لهم ماصارت اليه وأمرتهم بلزوم طريق التقوي وعمل الخير وطلب النجاة وبشرتهم فاستبشرت

بمن يقدم عليها بعدها كما ذكر الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء » الى آخر الآية . وقال أيضاً « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء » ولما تبين لاهل البصائر والمعارف أن تلك النفوس هذه حالها من الكرامات فقالوا من أجل هذا أمر ، ورخص واضعو النواميس وأصحاب الشرائع في سنن الديانات الذهاب الى قبور الانبياء والائمة المهديين والصالحين من عباد الله بالصدقات والقرابين والصوم والصلاة والدعاء عند قبورهم والسؤال بشفاعتهم . فكم يا أخي من مسجد ومشهد بني في الارض بسبب رؤية تمثال نبي في المنام أو شهيد أو عبد صالح فان لم تكن تلك النفوس موجودة باقية عند الله ويشعر من يستشفع بها الى الله ويقتدي بها في سنن الدين لما كانت لهذه السنن فائدة واثبات لان الباطل لاثبات له ولا دوام

فصل

واذ قد تبين بما وصفنا ما الملائكة وما الشياطين فنريد أن نبين كيف تعرف الرؤيا التي تكون من إلهام الملائكة أو من وسواس الشياطين أو غيرها من سائر أنواع المنامات فنقول ان كل رؤيا تكون فيها موعظة أو في تأويلها دلالة على التقوى أو حث على عمل الخير أو تزهيد في الدنيا أو ترغيب في الآخرة أو ذكر المعاد أو ما شاكل هذه المعاني فهي إلهام من الملائكة مثل ما هي في تلك الكلمات التي حفظها العراقي بالروم في تلك الكنيسة من أولئك الرهبان والقسيسين من العظة والتذكير ، وإنما وعظته الملائكة بتلك الكلمات السريانية في بلد غير بلده وفي شريعة غير شريعته وبلغة غير لغته ، ليكون أبلغ في الموعظة وأعجب للتذكار لأن الحكماء إذا أرادوا تبليغ الموعظة جعلوها بضرب من الامثال على ألسنة الحيوانات ومالانطق له ليكون أعجب وأغرب وأبلغ في الاوهام مثل ماهو موجود في كتاب كليلة ودمنة وأمثاله من الكتب . فأما الموعظة والتذكار في رؤيا ابن الملك فهو مافيها من الدلالة على أن أنفس الاشقياء

في الدنيا من الفقراء والمساكين والضعفاء والمرضى والزمنى وأهل البلوى إذا فارقت اجسادها وقعت في راحة وسرور ولذة مثل ما رأت نفس ابن الملك في منامه من اللذة والفرح والسرور مع ما كان جسده فيه من البلوى وسوء الحال ، إذ قد تبين أن اللذة ليست شيئاً سوى الخروج من الآلام ــ كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس . وأما رؤيا ذلك الرجل المترف التائب فما لا شك فيه أنها كانت إلهاماً من الملائكة باذن الله تعالى لما كان فيها من الموعظة والدلالة على طريق الآخرة والرشد في الدين لما صار اليه هو من التوبة والصلاح والخير واتعاظ الناس حتى صار قدوة لاهل الدين وطلاب الآخرة في زمانه . وأما الرؤيا التي تكون من وسواس الشياطين فهي مثل ما يرى الراغبون في حطام الدنيا من محاسن مرغوباتهم ومشتهياتهم فيزدادون رغبة فيها وشهوة ، ومثل مايرى الحساد من محاسن محسودهم فيزدادون حسداً ومثل مايرى المتعادون من أسباب العداوات فيزدادون عداوة ، ومثل مايرى أصحاب الشهوات مشتهياتهم فيزدادون في الدنيا حسداً وحرصاً وعداوة وشرها وما شاكل هذا ، فهو وسواس الشياطين الغائصين في طلب اللذات

فصل

وذكروا أن رجلا من المنهمكين في الشهوات وطلب اللذات كان أكولا شريباً شبقاً ، فمن كثرة ما كان يأكل ويشرب ويجامع حرقت معدته وضعفت قوته الهاضمة واسترخت آلته من كثرة الجماع وكان ممكناً من شهواته ، ولكن آلات الجسد وأدوات الفعل لم تكن تواتيه ولا قوة النفس الشهوانية تطاوعه في ترك الطلب لان الشهوات صارت عادة لها لكثرة الدربة فيه وجبلة مركوزة فيها فجعل ذلك الرجل يطلب الحيلة والدواء مما يقوي القوة الهاضمة في معدته وينعظ آلته للباه لشدة شهوته ، وكان مما يداوي ويحتال في انعاظ آلته أن أمر حتى صور له في بيت الخلوة على الحيطان والسقوف صور الجامع للباه وكتب بين تلك

الصور أخبار المرأة الألفية وأوصافها فى حالات الجماع ، ثم كان يدخل ذلك البيت مع غلمانه وجواريه يخلو ويشرب ويلعب ويلهو وينظر الى تلك الصور ليستنهض بها آلته ، فلما أعيته ولم تجبه دعا عند ذلك غلمانه إلى نفسه ليأتوه من خلفه وصار ذلك دأبه وعادته حتى إنه ربما كان يهيج ويصيح كالسنانير وينهق كالحمير ، ثم امتنع عنه غلمانه لبشاعته وخرقه وقبح منظره وهجروه وهلك هو على تلك العادة وفشا حديثه في الناس وسوء الثناء عليه وربما كان يرى بعض غلمانه في منامه على تلك الحال التى كان يدعوهم إلى نفسه فيصيح وينهق .

وأمثال هذه النفوس التى ذكرناها هى شياطين بالقوة ، فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فاعتبر يا أخى بخبر الرجل الذي قال الله تعالى فيه : «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها » الى قوله « وأنفسهم كانوا يظلمون » فيقال ان هذا كان رجلا من خيار أصحاب موسى عليه السلام بعثه فى سرية فابتلى بعشق امرأة وخاف من أصحاب موسى فارتدوا اتبع هواه . وله قصة طويلة مذكورة فى كتاب التاريخ

واعلم يا أخي أنك اذا تأملت وجدت فى القرآن نحو ثلاثمائة وستين مثلا ضرب الله بعضها فى صفات المؤمن وأهل الخير وأمر الآخرة وثواب الاخيار وبعضها فى صفات الكفار وأنفس الاشرار وسوء منقلبها ومبالغة فى ذمهم وتوبيخهم وسوء الثناء عليهم ، فلا تجد مثلا أشد توبيخاً من هذا فانه شبهه بالكلب فى اتباع الشهوات فقال : « ساء مثلا القوم الذين كذبو بآيات الله » يعنى من كان مثلهم في اتباع شهواته ولا تجد أيضا أشد اختصاراً في ترغيب نعيم الجنان من قوله : « ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى »

﴿ فصل ﴾

واذ قد تبين بما وصفنا ما الملائكة والشياطين وما الالهام والوسوسة وما الوحي وما الرؤيا الصادقة فيما تقدم ذكره فنريد أن نبين كيفية قبول الوحي فى اليقظة ورؤية الملائكة واستماع كلامهم .

فاعلم يا أخي أنه لما كانت رتبة الانسانية متوسطة بين الموجودات — كما بينا في رسالة المعارف — وكان أقرب الموجودات الى الانسانية نسبة مما هي فوقها رتبة الملائكة وأقربها إليها مما هو دون رتبة البهيمة وكان بعض الحيوانات إلى الانسانية أقرب نسبة إما من جهة صورة بنيته وشكل جسده ، وإما من جهة ذكاء النفس وصفاء جوهرها : وذلك أن منها مايفهم الخطاب ويقبل الامر والنهى كالفيل ، ومنها مايحاكيه في كلامه وأصواته كالببغاء والهزار ، ومنها مايحاكيه في أخلاقه وسيرته كالحمام والفرس والجواد ، ومنها ماينقاد لطاعته وخدمته كالبقر والغنم والحمير والجمال وغيرها ، ومنها مايقبل تعليمه وتأديبه كالدب والقرد ومنها مايبعد من الانسان وينفر منه كالوحش

ولما كان من هذه الاصناف المستانسة بالانسان المسخرة له من الحيوانات كلما ما كان منها أزكى نفساً وأجود جوهراً كان تعليم الانسان له أمكن وقبول التأديب أسهل .

فعلى هذا القياس نقول فى قبول الانسان الهام الملائكة والوحى : وذلك أن كل انسان تكون نفسه أصفى جوهراً وأذكى فهما — كما بينا فى رسالة كيفية الطريق الى الله تعالى — فكانت أخلاقه وسجاياه لأخلاق الكرام أقرب وأشبه — كما بينا فى رسالة الاخلاق — وكان مذهبه واعتقاده باعتقاد الانبياء ومذهب الحكماء أشد تحققاً — كما بينا في رسالة الناموس — وكانت أعماله وسيرته بافعال الملائكة وسيرتها أشد تشبها — كما بينا في رسائل اخوان الصفا — فأقول ان قبول نفسه الهام الملائكة والوحى والانباء أمكن ، وفهمه لمعانيها أسهل مثل نفوس الانبياء ، ثم بعدهم نفوس الصديقين ، ثم بعدهم نفوس المؤمنين المصدقين الاخيار الفضلاء الابرار ، ثم الأمثل فالأمثل والأقرب فالأقرب .

والدليل على صحة ماقلنا وصايا الانبياء والحكماء بهذا الامر : وذلك أن موسى عليه السلام أوصى أولاد هارون أن يلزموا بعد قيامهم بشريعة التوراة خدمة الهيكل المسمى الزمان ويتعبدوا فيها ويتركوا لذات نعيم الدنيا واتباع شهوات

النفوس ويقتصروا على ما لابد منه من القوت ومايستر العورة من اللباس ويتركوا ماسوى ذلك من الفضول .

كل ذلك كيما تصفوا نفوسهم وتتهذب أخلاقهم وتصير نفوسهم متهيئة لقبول الوحي والالهام ، وقال لهم من تعبد منكم على مارسمت له في هذا الهيكل أربعين سنة مخلصاً جاءه الوحي من الله عز وجل ونزلت عليه الملائكة بالروح .

وقال رسول الله ﷺ : «من أخلص العبادة لله أربعين صباحا نور الله قلبه وشرح صدره وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجمياً غلفاً» .

وقال موسى في مناجاته بعد خطاب طويل : «رب إني أجد في التوراة نعت أمة كادوا أن يكونوا أنبياء من دقة التمييز من هم أجعلهم من أمتي» . قال الله تعالى : «ياموسى تلك أمة أحمد» . فقال موسى : «يارب جعلت الخير كله في أمة أحمد فاجعلني منهم» . فقال له ربه : «أنت منهم وهم منك أنت على دين الاسلام وهم على دين الاسلام» .

وكان مما يقوله المسيح للحواريين : «إنما جئتكم من عند أبي وأبيكم لاحييكم من موت الجهالة وأداويكم من مرض المعاصي وأبرئكم من مرض الآراء الفاسدة والاخلاق الرديئة والاعمال السيئة كيما تتهذب نفوسكم وتحيا بروح المعارف وتصعدوا الى ملكوت السماء عند أبي وأبيكم فتعيشوا هناك عيش السعداء وتتخلصوا من سجن الدنيا وآلام عالم الكون والبلى» : التي هي دار الاشقياء وجور الشياطين وسلطان إبليس

فصل

واعلم ياأخي أنك اذا تأملت سير الانبياء ووصاياهم وسنن واضعي النواميس ومراميهم لوجدت أن غرضهم كلهم مما شرعوه هو تأديب النفوس الانسانية ونقلها من مرتبة البشرية الى رتبة الملائكة وتخليصها من عالم الكون والفساد الى عالم البقاء والدوام ، كما قيل : انما خلقتم للأبد وانما من دار الى دار تنقلون : من

الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ اما الى الجنة واما الى النار . كما قال الله تعالى : «فأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض»

فانظر يا أخي في هذا الامر الخطير وتفكر في هذا الخطب العظيم وانتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وبادر وتزود فان خير الزاد التقوى ، وقد أعذر من أنذر . وقال : «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»

فصل

وكما قلنا في كيفية قبول نفوس الاخيار الهام الملائكة فهكذا نقول في قبول نفوس الاشرار وسواس الشياطين — كما بينا طرفاً منه قبل ذلك : ان كل انسان يكون في أفعاله القبيحة وأخلاقه الرديئة وجهالاته المتراكمة بالبهائم أشد شبهاً ، فأقول ان نفسه لوسواس الشياطين أسرع قبولا ولطاعة الهوى أسهل انقياداً ، كما ذكر الله تعالى : «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا» . الآية

فان قيل كيف يجد الانسان نفسه في حال إلهام الملائكة والوحي ؟ فقل كما حكي ذلك الرجل التائب عن نفسه حين قيل له من أين لك هذه الحكمة ؟ فان قيل : كيف يرى الانسان أشخاص الملائكة وليست بأجسام ؟ فقل كما يرى رسوم الأشياء في المرايا وصورها وليست تلك الصور باجسام . فان قيل : كيف يسمع كلامهم وليسوا بحيوان ذي رئة ولا آلات جسدانية ؟ فقل كما نسمع الصدى وانما اختصر بالجواب عن كيفية رؤية الملائكة واستماع كلامهم بجواب مثالي من غير شرح لان معرفة حقيقتها مما يحتاج الانسان فيه الى بحث شديد ونظر دقيق — كما ذكرنا في رؤية الاشخاص الجرمانية والاصوات الجسمانية في رسالة الحاس والمحسوس — ولعل كثيراً من العقلاء يدق عليهم فهمها بحقيقتها فكيف بهذه الامور الروحانية . والدليل على أن معرفة رؤية الاشخاص الجرمانية

والاصوات الجسمانية عسير فهمها اختلاف العلماء فى ذلك لان العلماء لا يختلفون فى أمور محسوسة إلا لدقتها فكيف بالامور المعقولة

﴿ فصل ﴾

ومثل آخر في كيفية قبول الأنسان إلهام الملائكة فنقول: إن العلماء ذكروا أن العلوم ثلاث مراتب: أولها الرياضيات و بعدها الطبيعيات و بعدها الالهيات ، فمن ابتدأ أولا بتعلم الرياضيات وأحكمها كما ينبغى سهل عليه تعليم الطبيعيات ، ومن أحكم الطبيعيات كما ينبغى سهل عليه تعلم الالهيات . فهكذا نقول من يريد أن يهذب نفسه ويهيئها لقبول إلهام الملائكة إذ ابتدأ أولا فأصلح أخلاقه الرديئة التى نشأ عليها منذ الصبا ثم سار سيرة عادلة في متصرفاته كما رسم له فى الشريعة ثم نظر فى العلوم الحسية فأحكمها كما يجب — مثل ما ذكرنا في رسالة الحاس والمحسوس — ثم نظر في الامور العقلية فأحكمها كما يجب ليحل بها عن ضميره والآراء الفاسدة التى اعتقدها قبل البحث عن حقائق الاشياء — كما بينا في رسالة العقل والمعقول — فأقول : إن نفسه عند ذلك متهيئة لقبول إلهام الملائكة ، وكلما زاد فى المعارف استبصاراً صارت نفسه لقبول الهام الملائكة أسهل طبعا ولطاعة العقل أشد تشبها والى السمائية أقرب قربة ، وانما يمنعها عن الصعود الى ملكوت السماء نوازع طبيعة الجسد مادامت تتعلق به

فاذا فارقته عند الممات كانت هناك في طرفة عين مع أبناء جنسها ممن مضى على سنن الهدى كما قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » الآية ، وكما قلنا في النفوس الانسانية إنها تنتقل الى رتبة الملائكة فهكذا نقول أيضا في نفوس الملائكة إنها تترقى في درجات الجنان ومقاماتها في المعارف كما ذكر الله تعالى : « ومامنا إلا لهمقام معلوم وانا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وقال تعالى « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته » وكما قلنا في تنقل نفوس الانسانية الى الملائكة كذلك نقول في النفوس

الحيوانية انها ستنتقل الى رتبة الانسانية على ممر الدهور والازمان — كما بينا في رسالة الاودار والاكوار

ثم اعلم أن أحق النفوس الحيوانية أن تنتقل الى رتبة الانسانية هي الشقية في أيدى البشر المسخرة للانسان المتعبة فى خدمته المنقادة لطاعته ، كما أن أحق النفوس الانسانية أن تنتقل الى رتبة الملائكة هى النفوس المتعوبة فى التعبد المنقادة لاحكام الشريعة الخادمة فى الهيا كل والمساجد والبيع والصلوات والصوم والقرابين والدعاء والتأله ، كما ذكر الله تعالى بقوله : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر »

واعلم أن من الموجودات ماهو أجسام بلا أرواح لامعارف لها ولا شعور كالحجارة والخشب وغيرهما ، ومنها ماهو أرواح لا أجساد لها وهى علامة كالملائكة ، ومنها ماهى مركبة مؤلفة منهما جميعا كالحيوان

واعلم أن الحيوانات متفاوتة فى شعورها ومعارفها : وذلك أن منها ماله حاسة واحدة ، ومنها ماله حاستان ، ومنها ماله ثلاث حواس ، ومنها ماله أربع حواس، ومنها ماله خمس حواس — كما بينا فى رسالة الحيوانات — وهكذا أيضا الناس متفاوتون فى معارفهم وعلومهم : وذلك أن من الناس عقلاء وبلها ومن العقلاء علماء وجهلاء والعلماء متفاوتون في درجات العلوم : وذلك أن منهم من يحسن عدة علوم ومنهم من هو اكثر منه ، ومنهم دون ذلك ، وان المفيدين فى العلوم يتفاوتون فى درجاتهم : وذلك أن منهم من تكون معلوماته كلها جسمانية ، ومنهم من تكون معلوماته روحانية

واعلم أن كل عالم تكون أكثر معلوماته روحانية فهو الى الملائكة أقرب نسبة . ومن أجل هذا جعل الله تعالى طائفة من بنى آدم واسطة بين الناس وبين الملائكة لأن الواسطة هى التى تناسب أحد الطرفين من جهة والطرف الآخر من جهة : وذلك أن الانبياء عليهم السلام كانوا يناسبون الملائكة بنفوسهم وصفاء جوهرها ، ومن جهة أخرى كانوا يناسبون الناس بغلظ أجسامهم

واعلم ياأخي أن كلام الملائكة انما هو اشارات ، وايماء وكلام الناس عبارات والفاظ.

وأما المعانى فهي مشتركة بين الجميع ، وكانت الانبياء تأخذ الوحي والانباء عن الملائكة ايماء واشارات ، وذلك بلطافة ذكاء نفوسهم وصفاء جوهرها ، وكانت تعبر عن تلك المعانى للناس باللسان الذي هو عضو من الجسد لكل أمة بلغتها وبالالفاظ المعروفة بينها.

واعلم ياأخي أن الانبياء يستعملون في خطابهم الناس الفاظاً مشتركة المعاني لكيما يفهم كل انسان بحسب مايحتمل عقله ، لان المستمعين لالفاظهم وقراء تنزيلات كتبهم متفاوتون في درجات عقولهم : فمنهم خاص ومنهم عام، ومنهم بين ذلك ، فالعامة يفهمون من تلك الالفاظ معانى ،والخاصة يفهمون معانى أخرى أدق والطف ، وفي ذلك صلاح للجميع ، لانه قد قيل فى الحكمة : « كلموا الناس على قدر عقولهم » وقال المسيح عليه السلام للحواريين : « لاتضيعوا الحكمة فتضعوها عند غير أهلها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »

فاجتهد ياأخي في طلب المعارف والعلوم واسلك مسلك الربانيين والأخيار الذين اسلموا فلعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتصفو من كدر أوساخ الطبيعة وتنفتح لها عين البصيرة فتفهم أسرار كتب النبوة ومرموزات النواميس الالهية ، فعند ذلك يتهيأ لها قبول الهام الملائكة

واعلم ياأخي أن نفسك ملك بالقوة ويمكن أن تصير ملكا بالفعل ان أنت سلكت مسلك الانبياء وأصحاب النواميس الالهية وعملت بوصاياهم المذكورة فى كتبهم المفروضة في سنن شرائعهم ، وان نفسك أيضاً شيطان بالقوة يمكن أن تصير يوما شيطاناً بالفعل ان أنت سلكت مسلك الاشرار والكفار.

فانظر الآن ياأخي ماذا تختار لها وترضى لنفسك ، فقد اعذر من أنذر : « ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وأن لاتقولوا يوم القيامة ماجاءنا من رسول ولا كتاب .

واعلم ياأخى أن الملائكة هم سكان الجنان وسعة السموات وفضاء الافلاك وهي ثمان جنان المذكورة في القرآن : جنة الفردوس ،وجنة النعيم ،وجنة الخلد وجنة المأوى ، ودار السلام ، ودار المتقين ، ودار المقامة ،ودار القرار ، ومن ورائها كلها عرش الرحمن ذي الجلال والا كرام .

واعلم ياأخي أن الشياطين هم سكان النيران وهى سبع طبقات :جهنم ،وجحيم ، وسقر ولظى ، وحطمة ، وسعير ، وهاوية ، وجملة درجات الجنان ودركات النيران خمس عشرة رتبة — وقد بينا في رسالة أخرى تفصيلها .

وأعلم ياأخي أن الرتبة الانسانية هى آخر طبقة من جهنم وهى أول درجات أبواب الجنان ، فان أنت بادرت وخرجت من عالم الكون والفساد قبل الفوت رجوت الصعود الى عالم الافلاك وفسحة السموات والدخول فى زمر الملائكة الذين هم سكان الجنان ، وسقيت هناك من ماء الحيوان شراباطهوراًوعشت عيش السعداء وأمنت من الموت الا الموتة الاولى ، وان أنت أبيت ذلك وتوانيت وأخلدت الى الدنيا حق عليك أن ترد الى أسفل السافلين وبقيت فى البرزخ الى يوم يبعثون .

وفقك الله أيها الأخ للسداد وهداك الى الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد بمنه وجوده .

(تمت رسالة ماهية الايمان وخصال المؤمنين ويليها رسالة فى ماهية الناموس الالهي) .

الرسالة السادسة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية الناموس الالهي وشرائط النبوة وكمية خصالهم
ومذاهب الربانيين والالهيين

﴿ وهي الرسالة السابعة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن الحيوانات زينة الأرض كما أن الكواكب زينة السماء، وأن أتم الحيوانات هيئة وأكملها صورة واشرفها تركيباً هو الانسان، وأفضل الانسان هم العقلاء وأخيار العقلاء هم العلماء، وأعلى العلماء درجة وأرفعهم منزلة هم الأنبياء عليهم السلام، ثم بعدهم في الرتبة الفلاسفة الحكماء. والفريقان قد اجتمعا على أن الاشياء كلها معلولة وأن البارى عز وجل وتقدس هو علتها ومتقنها ومبدعها ومتممها ومكملها، كما أن الواحد من العدد هو علة العدد وأولها ومبدؤها واتفقا أيضا — أعني الأنبياء والفلاسفة — على ذم الدنيا والاقرار بالمعاد وجزاء الاعمال فيه إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشراً، وكلا الفريقين شاهد لنا على مانقول ونعتقد في أمر الدين والدنيا، فمن لم يرض بحكمهما فليطلب له حاكما غيرهما هو خير منهما ان كان من الصادقين

واعلم أيها الأخ أن النبوة هى أعلى درجة وأرفع رتبة ينتهي اليها حال

البشر مما يلى رتبة الملائكة، وأن تمامها في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية الاولى هى الرؤيا الصادقة وهي جزء من اجزاء النبوة كما قال النبى ﷺ «الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من اجزاء النبوة» ونحن قد فصلنا الخمس والاربعين الخصلة الباقية وشرحناها فى رسالة لنا بعد هذه تجدها ان شاء الله.

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ انه اذا اجتمعت هذه الخصال فى واحد من البشر، فى دور من ادوار القرانات فى وقت من الزمان، فان ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والامام للناس مادام حياً، فاذا بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة ودون التنزيل ولوح التأويل وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج وأقام السنة وألف شمل الامة ثم توفي ومضى الى سبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه، وان اجتمعت تلك الخصال فى واحد من أمته أو جلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفته فى أمته بعد وفاته، فان لم يتفق أن تجتمع تلك الخصال فى واحد لكن تكون متفرقة فى جماعتهم اجتمعت تلك الجماعة على رأي واحد وائتلفت قلوبهم على محبة بعضهم بعضاً وتعاضدت على نصرة الدين وحفظ الشريعة واقامة السنة وحمل الامة على منهاج الدين، دامت لهم الدولة فى دنياهم ووجبت العقبى لهم فى أخراهم، وان تفرقت تلك الامة بعد وفاة نبيها واختلفت في منهاج الدين تشتتت شمل الفتهم وفسد عليهم أمر آخرتهم وزالت عنهم دولتهم.

فان كنت عازماً على طلب اصلاح الدين والدنيا فهلم بنا نجتمع مع جماعة اخوان فضلاء ونقتدي بسنة الشريعة في صدق المعاملة ومحض النصيحة وصفوة الاخوة.

﴿ فصل ﴾

واعلم انه ليس من جماعة يجتمعون على المعاونة فى أمر من أمور الدين والدنيا أشد نصيحة بعضهم لبعض ولا أحسن من معاملة اخوان الصفاء: وذلك أن كل

واحدمنهم يرى ويعتقد أنه لا يتم له مايريده من اعلاء الدين الا بمعاونة أخيه ، وكل واحد منهم يريد ويحب لاخيه مايحب ويريد لنفسه ، وكذلك يكره له مايكره لنفسه

وقد بينا فى رسالة لنا قبل هذه كيف تكون صفوة الاخوة وماشرائطها فتأملها أيها الاخ وأعرضها على اخوانك وأصدقائك ممن ترجو منه الصلاح والنصيحة والمودة توفق ان شاء الله.

﴿ فصل ﴾

واعلم ان هذا الامر الذي قد ندبنا اليه اخواننا وحثثنا عليه أصدقاءنا ليس هو برأي مستحدث ولامذهب محدث ، بل هو رأى قديم قد سبق اليه الحكماء والفلاسفة والفضلاء ، وهو طريق سلكه الانبياء عليهم السلام ، ومذهب مضى عليه خلفاء الانبياء والائمة المهديون ، وبه كان يحكم النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وهي ملة أبينا ابراهيم وبه سمانا المسلمين من قبل .

وفى هذا القرآن وهو الاجتماع على رأي واحد بترك الاختلاف وموافقة النفوس وتأليف القلوب والخطاب بصدق الاقاويل والتصديق فى الضمائر ، وأن لايكذب بعضها بعضاً ، ولايخدع ولاينخدع ، وينصح ولايخون ، ويثق ولايتهم ويتودد ولا يتحاسد ، ويتحاب ولايتباغض ، ويوافق ولا يخالف ، ويتفق ولا يختلف ، ويتعاضد ولا يتخاذل ، ويتناصر ولا يتقاعد ، ويتعاون على صلاح الدين ، ويكونوا كرجل واحد ونفس واحدة اقتداء بسنة الشريعة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : «المؤمنون كرجل واحد ونفس واحدة تتكافأ دماؤهم وأموالهم وهم يد على من سواهم » وكما أوصانا الله تعالى وقال . تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وقال : « ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال : «فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

﴿ فصل ﴾

واعلم أنه ما من جماعة تجتمع على أمر من أمور الدين والدنيا وتريد أن يجري أمرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد الا ولابد لها من رئيس يرأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام أمرها ويراعي تصرف أحوالها ويرم (١) على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها ، وذلك ان الرئيس أيضاً لا بد له من أصل عليها يبنى عليه امره ويحكم به بينهم.

وعلى ذلك الامر يحفظ نظامهم — ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الامر والنهي ، ورضينا بموجبات قضاياه على الشرائط التى ذكرناها فى رسائلنا وأوصينا بها اخواننا ، فمن لم يرض بشرائط العقل وموجبات قضاياه ولم يقبل تلك الشرائط التى أوصينا بها اخواننا أو خرج عنها بعد الدخول فيها فعقوبته في ذلك ان نخرج من صداقته ونتبرأ من ولايته ولا نستعين به في امورنا ولا نعاشره فى معاملاتنا ولا نكامه في علومنا ونطوى دونه اسرارنا ونوصي بمجانبته اخواننا اقتداء بسنة الشريعة كما ندبنا اليه ربنا جل وعز فقال : « لقد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله » وقال عز وجل: « ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله » الآية .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ايها الأخ ان الرياسة نوعان : جسمانى وروحانى ، فالرياسة الجسمانية مثل رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان الا على الاجسام والاجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم ، ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهراً فى اصلاح امور الدنيا وشهواتها والغرور بلذاتها وامانيها .

(١) يرم : من رم الشيء أصلحه وعالجه حتى سواه ، والرم بضم الراء الجماعة — يقال : إعطاه الشيء برمته يعنى كله أو جميعه .

واما الرياسة الروحانية فمثل رياسة اصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والارواح بالعدل والاحسان ويستخدمونها في الملل والشرائع لحفظ الشرائع واقامة السنن والتعبد بالاخلاص والتأله برقة القلوب واليقين بنيل الثواب والفوز والنجاة والسعادة في المعاد .

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي انه ليس من علم ولاعمل ولاصناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا اسنى درجة ولا في الآخرة أكثر ثوابا ولا بافعال الملائكة أشد تشبهاً ولا الى الله أقرب قربة ولالرضاه ابلغ طلباً من وضع الشرائع الالهية.

﴿ فصل ﴾

واعلم ان الشريعة الالهية هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقليـة تفيض عليها من النفس الكلية باذن الله تعالى في دور من الادوار والقرانات وفي وقت من الاوقات ، لتجذب بها النفوس الجزئية وتخلصها من اجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة : «وليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم » وقوله : وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم » الآية .

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخى بانه من تمام فضيلة واضع الشريعة ان تكون فيه اثنتاعشر خصلة قد فطر عليها ، احداها ان يكون تام الاعضاء قوية قوائمه على الأعمال التى من شأنها ان تكون بها ومنها ، ومتى هم ان يقضى عملا أتى عليه بسهولة .

والثاني ان يكون جيد الفهم سريع التصور لكل مايقال له ويلقاه لفهمه على مايقصد القائل به على حسب الامر في نفسه .

والثالث ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره ، وبالجملة لايكاد ينسى شيئاً منها .

والرابع ان يكون فطناً ذكياً ذا رأي يكفيه لتبين ادنى دليل حتى اذا رأى على شيء أدنى الدليل فطن له على الجهة التى يدل عليها الدليل

والخامس أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على مافي قلبه وضميره بأوجز الالفاظ .

والسادس أن يكون محباً للعلم والاستفاده منقاداً له سهل القبول لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه .

والسابع أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لاهله .

والثامن أن يكون غير شره فى الأكل والشرب والنكاح ، متجنباً للعيب مبغضاً للذات الكائنة عن هذه

والتاسع أن يكون كبير النفس عالى الهمة محباً للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل مايشين من الأمور ويشنع ، وتسمو همة نفسه الى أرفع الامور رتبة وأعلاها درجة .

والعاشر أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده زاهداً فيها

والحادي عشر أن يكون محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم وأهله يعطى النصفة لاهلها ، ويرثي لمن حل به الجور ويكون مواتياً لكل مايرى حسناً جميلا ، عدلا غير صعب القياد ولاجموح ، وان دعى الى الجور والقبيح لا يجيب .

والثانى عشر أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل جسورا مقداماً غير خائف ولاضعيف النفس .

﴿ فصل ﴾

وأعلم أن اول قاعدة يضعها واضع الشريعة ثم يبنى عليها سائر مايعمل في تتميم الشريعة من القول والعمل وتكميلها من الأقاويل والأوامر والنواهي ومعانى تأويلها ومفروضات شرائعه وسنن احكامه وتدبير أمته وسياسة أهل مملكته فى أمر الدين والدنيا هو أن يرى ويعتقد في نفسه علماً يقينياً أن للعالم بارئاً قديماً

حياً عالما حكيما قادراً قاهراً مريداً هو علة جميع الموجودات ومالكها ومصرفها بحسب مايليق بواحد واحد منها.

والثاني أن يرى ويتصور موجودات عقلية مجردة من الهيولى كل واحد منها قائم بنفسه متوجه نحو مانصب له من أمره ، وهم ملائكة الله تعالى وخالص عباده بهم تقع المراسلة والوحي والانباء ، ومن جهتهم يحصل التأييد.

والثالث أن يرى ويعتقد وجودات نفسانية مجردة من الابدان تارة ومستعملة لها تارة ومتعلقة بها تارة ، وانها نازلة من جثث الحيوانات بحسب مايليق بواحد واحد منها من ادراك مأربها وتمكنها به .

والرابع أن يرى أن بمفارقتها الجثث لاتبطل ذاتها ، وخروجها من الأجساد والحس لايخرجها من قدرة الباري سبحانه .

والخامس أن يرى أن كل واحدة من الموجودات منفردة بذاتها لايصلحها ولايفسدها الا مايتعلق بها من سوء اعمالها أو فساد آرائها أو رداءة أخلاقها أو تراكم جهالاتها .

والسادس أن يرى أن الباري تعالى إذا أمر الناس أمراً مكنهم منه وأزاح عللهم فيه ، فمنهم طائع لامره ومنهم راكب نهيه

والسابع أن جعل لكل صنف من أصناف الطاعات والمعاصي جزاء من الثواب والعقاب ، ويعلم المأمورين والمنهيين عنه انه اذا ماأتوه على بصيرة أوجب الأجر وقطع العذر : «ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة » .

والثامن أن يرى أن لهم معاداً فيه مجازون بما أسلفوا من خير وشر وعرف ونكر ، وانه قد جعل إلى كل واحد تمهيد مثواه واصلاح مأواه ، فان أحسن فلنفسه وان أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد .

والتاسع أن يرى أن الدعاء الى الله تعالى أولى الاعمال بالثواب وأرفعها درجة عند المآب .

والعاشر أن يرى أن الدعاة الى الله تعالى هم أعلى الناس درجة وأرفعهم منزلة

وأشدهم في الدعاء إلى الله تعالى حرصاً وأكثرهم فيه دربا وأوسعهم علما وأكثرهم أمة وأعظمهم على الناس نعمة وأنطقهم بالصدق وألزمهم لمنهاج الحق .

فاذا تحققت هذه الآراء في نفس واضع الشريعة وتصورها في فكره كأنه يشاهد يقينا لاشك فيه دعا عند ذلك اليها أهل دعوته الذين أرسل اليهم ويجتهد في انبائهم ماقد اعتقده بالتصريح عنها للخواص من أهل دعوته في السر والاعلان غير مرموز ولامكتوم ، ثم يشير اليها ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور وتقبلها نفوسهم .

فمن فهم تلك المعاني وتصور حقائق تلك الامور التي أشار اليها واضع الشريعة وتيقن بها ودام بعد نصرتها مجتهداً في معاونته محتملا للضيم صابراً في السر أو الضر ، طلبا لمرضاة الله تعالى سماهم واضع الشريعة الصديقين والشهداء والصالحين وأبلغ الله تعالى في المدح والثناء عليهم فقال : عز وجل «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»

وانما سماهم الشهداء لمشاهدتهم تلك الامور الروحانية المفارقة للهيولي يعني به جنة الحياة ونعيمها وسماهم الصديقين لتصديقهم لها بالطلب والاجتهاد من أنفسهم في نصرة واضع الشريعة ومعاونته.

فاما من قصر فهمه عن معرفة تلك المعاني وعن تصور تلك الامور بحقائقها فاقر بما أخبره واضع الشريعة وصدقه على ماقال وقام معه بنصرته مجتهداً في معاونته صابراً تحت أمره ونهيه ، سماهم واضع الشريعة المؤمنين ومدحهم الله تعالى وأثنى عليهم من جهة ايمانهم بما أخبرهم وتصديقهم له واجتهادهم معه في نصرته ومعاونته فقال : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات » الآية.

وأما من أقر بلسانه وشك فيما قال بقلبه سماهم المسلمين ، وذمهم الله تعالى فقال: « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »وقال : «يمنون عليك أن أسلموا » .

وأما من آمن بلسانه وخانه في السر ونافق وأضمر له بقلبه تكذيباً خلاف

ما أظهر بلسانه وخدعه ومكر به ، سماهم واضع الشريعة المنافقين وأكثر الله لهم الوعيد والذم والزجر فقال انكاراً لما لم ينتهوا عما هم عليه ووعيداً لهم من النفاق «إن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار» .

وأما من أنكر دعوته فى الظاهر وكذب فى السر والاعلان وعاداه جهراً سماهم واضع الشريعة الكفار وناصبهم الحرب والقتال وأكثر لهم الوعد والذم والزجر والتهديد

فصل

واعلم أن من أحد خصال واضع الشريعة ومراعاته لاهل دعوته أن يتعرف خبر كل واحد من أهل دعوته من الصغير والكبير والذكر والانثى والحر والعبد والشريف والدنيء والعالم والجاهل والغنى والفقير والقوي والضعيف والقريب والبعيد حتى يعرف كل واحد منهم ما اسمه ونسبه وصناعته وعمله وتصرفه في حالاته ، وماهو بسبيله في أمر معاشه وماهو الغالب عليه من الطبع الجيد والردىء والخلق الحسن أو السيء والعادات العادلة أو الجائرة حتى يثق بهم علماً ويتبين منازلهم ويستعين بكل واحد منهم فى العمل المشاكل له ويستخدمه فى الأمر اللائق به

فصل

واعلم أن أول سنة يسنها لهم ويطالبهم باقامتها هي الامور التي أولها موالاة بعضهم بعضاً بسبب حرمة الشريعة لتأكيد المودة بينهم وتأليف قلوبهم ليجتمع بذلك شملهم وتتفق كلمتهم ويأمرهم بمخالفة من يخالفهم فى سنة الشريعة ومجانبتهم والبراءة منهم وان كانوا ذوى القرابة والاحباء ، كما قال الله عز وجل : «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» . وقال تعالى: «لا تتولوا قوما غضب الله عليهم» .

فاذا قاموا بواجب هذه السنه وتثبتوا عليها واستحكمت تلك فى نفوسهم وتعاضدوا

على ذلك وتناصروا عليه ، صار كلهم عند ذلك كرجل واحد وجسد واحد ونفس واحدة وصار واضع الشريعة لهم بمنزلة الرأس من الجسد وهم له كسائر الاعضاء ، وتصير قوة نفس واضع الشريعة متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة فى سائر القوى الحساسة فيصدرون عند ذلك عن رأى واحد وقصد واحد وغرض واحد بقوة واحدة فيغلبون كل من رام غلبتهم ويقهرون كل من خالفهم وعاداهم وضادهم .

فصل

فهلم بنا أيها الاخ ان كنت عازما على طلب صلاح الدين والدنيا أن نقتدي بسنة الشريعة ونجتمع مع اخوان لك فضلاء وأصدقاء كرام ، ونتعاون على ذلك بمحض النصيحة فى الضمير وصدق المعاملة في السر والاعلان وإلف المحبة في القلوب توفق ان شاء الله تعالى

فصل

واعلم أن من أحد الخصال التى يعتقدها واضع الشريعة يقيناً لا شك فيه أن من أقرب القربات الى الله تعالى وأبلغ طلب لمرضاته بذل المال والنفس والاهل فى اقامة الشريعة وتقويتها واظهارها ، وان كل نفس من أنصاره وأتباعه أنفق ماله أو فارق أحباءه أو بذل دمه وجعل جسده قرباناً فى نصرة الشريعة ، فان تلك النفس بعد مفارقة جسدها تبقى مجردة من الهيولى وتعلو رتبتها على سائر النفوس التى هي أبناء جنسها وترتفع درجتها وتشرف هى على النفوس المتجسدة المستعملة لتلك الشريعة فتصير موقوفة عليها شاهدة أحوالها ، وتكون الشريعة لها مدينة روحانية ويكون تصرفها وتحكمها في النفوس المستعملة لتلك الشريعة كتصرف رؤساء أهل المدينة في أملاكهم وغلمانهم وأتباعهم ، وانها تنال بتلك اللذة والسرور والفرح مثل ما ينال الرؤساء ذوو السياسة من انقياد المرؤوسين لطاعتهم وحسن خدمتهم ، وكلما كثر عدد التابعين في الشريعة ازدادت فرحاً وسروراً ولذة وغبطة دائماً أبداً .

واعلم أن من احدى خصال واضع الشريعة أن يسن لأهل دعوته أولا سنة حسنة يقيمونها بشرائطها وسيرة عادلة يتعاملون بموجبها فيما بينهم ، ويكون في استعمالهم صلاح الجمهور والنفع العام ، ولا يبالي أن يكون عليه أو على بعضهم من استعمالها مشقة أو ضرر لان غرض واضع الشريعة ليس اصلاح أمر نفسه ولا اصلاح أنصاره وأتباعه الموجودين في الوقت الحاضر في زمانه أو النفع العاجل له ولهم ، بل غرضه اصلاحهم واصلاح من يجيء بعدهم من التابعين ومن يجيء بعد أولئك الى يوم القيامة

واعلم بأن نسبة تلك الاشخاص الموجودة في زمانه بالنسبة الى من يجيء بعدهم من الكثرة ماهو الا كنسبة الآحاد الى العشرات والعشرات الى المئات والمئات الى الألوف والالوف الى عشرات الالوف والعشرات الألوف الى المئات الالوف والمئات الالوف الى ألوف الالوف الى مالا نهاية

واعلم أن مثل واضع الشريعة مع اخوانه وأنصاره وأتباعه الذين يجيئون بعدهم الى يوم القيامة في حكم الشريعة كمثل شجرة هو وأصحابه وأنصاره أغصانها وقضبانها ومن يجيء بعدهم من التابعين لهم كالفروع ومن يجيء بعدهم كالورق والنور والزهر والثمر ، وهذه الشجرة روحانية تنبت من فوق الى أسفل لأن عروقها في السماء مما يلي رتبة الملائكة ، لان مادتها من هناك تنزل — يعني بتأييد واضع الشريعة من الملائكة — وعنهم يأخذ الوحي والالهام والانباء يؤديها الى البشر الذين هم في الارض ليجتذبهم بها إلى رتبة الملائكة ، وهذه الشجرة التي رمز عنها يقال انها شجرة طوبى نبتت من تحت العرش وتدلت أغصانها في منازل أهل الجنة وهم يجتنون ثمرها في دائم الاوقات

﴿ فصل ﴾

واعلم أن من احدى الخصال التي يضعها صاحب الشريعة أن لاينسب إلى رأيه واجتهاده وقوته شيئا مما يقول ويفعل ويأمر وينهى في وضع الشريعة ،

لكنه ينسبها الى الواسطة التي بينه وبين ربه من الملائكة التي توحي اليه في أوقات غير معلومة . وأما الحكماء والفلاسفة إذا استخرجوا علماً من العلوم وألفوا كتاباً أو استخرجوا صنعة من الصنائع أو بنوا هيكلا أو دبروا سياسة نسبوا ذلك الى قوة أنفسهم واجتهادهم وجودة رأيهم وفحصهم وبحثهم ، وهذا خلاف ما يفعله واضع الشريعة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن تمام الدين والدنيا لتابعي الشريعة في أربع خصال ، أحدها أن يكون لكل واحد منهم عقل يعرف به القبيح وينزجر عنه ويعرف الجميل ويأمر به ، والثاني أن يكون لهم بواضع الشريعة قدوة في أفعاله وأقاويله وآدابه ومتصرفاته . والثالث أن يكون مع كل واحد منهم وصية من واضع الشريعة يدرسونها في أوقات معلومة . والرابع أن يكون على كل جماعة منهم رئيس من فضلائهم عارف بسنة الشريعة يأمرهم باقامتها ويحثهم على حفظها وينهاهم ويزجرهم متى أرادوا تغيير سيرة الشريعة

﴿ فصل ﴾

واعلم أن العقلاء الاخيار اذا انضاف الى عقولهم القوة بواضع الشريعة فليس يحتاجون الى رئيس يرأسهم ويأمرهم وينهاهم ويزجرهم ويحكم عليهم ، لان العقل والقدرة لواضع الناموس يقومان مقام الرئيس الامام ، فهلم بنا أيها الأخ أن نقتدي بسنة الشريعة ونجعلها إماماً لنا فيما عزمنا عليه ، والله يوفقك إنه جواد كريم

﴿ فصل ﴾

واعلم أن طائفة من المرتاضين بالعلوم الفلسفية والمتأدبين بالآداب الرياضية إذا كانت نفوسهم جاهلة بظاهر أحكام الشريعة عمياء عن معرفة أسرار موضوعاتها توانوا في استعمال سنة الشريعة الالهية والسير بسيرته وعابوا موضوعاته وأنفوا

من الدخول تحت أحكامه واستكبروا عن الانقياد لحدوده ، فمن أجل هـذا سماهم صاحب الشريعة شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً فيما ينكرون على الشريعة من أحكامه ومايعيبون عليه من موضوعاته — يعنى يتغامزون على أهل الشريعة المستعملين لها كما قال الله تعالى : « وإذا مروا بهم يتغامزون » . كل ذلك جهلا منهم بأسرار الشريعة وعمى عن أحكامها كما وصفهم الله تعالى : « صم بكم عمى فهم لايعقلون »

فصل

واعلم أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهي الالفاظ المقروءة المسموعة ولها تأويلات خفية باطنة وهي المعانى المفهومة المعقولة ، وهكذا لواضعى الشريعة موضوعات عليها وضعوا الشريعة ولها أحكام ظاهرة جلية وأسرار باطنة خفية ، وفى استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعملين فى دنياهم وفى معرفتهم أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم وآخرتهم ، فمن وفق لفهم معانى الكتب الالهية وأرشد الى معرفة أسرار موضوعات الشريعة واجتهد فى العمل بالسنة الحسنة والسير بسيرته العادلة ، فان تلك النفوس هى التى اذا فارقت الجسد ارتفعت الى رتبة الملائكة التى هى جنات لها ، وهي ثمان مراتب . وفازت ونجت من الهيولى ذى الثلاث الشعب التى هى الطول والعرض والعمق ، وارتفعت فى درجات الجنان والمراتب الثمان التى سعة كل واحدة منها كعرض السماء والارض . ومن لم يرشد لفهم تلك المعانى ولامعرفة تلك الاسرار ولكن وفق للعمل بسنته العادلة وأحكامه الظاهرة فان تلك النفوس عند مفارقتها الجسد تبقى محفوظة على صورة الانسانية التى هى الصراط المستقيم الى أن يتفق لها الجواز على الصراط المستقيم ، والى هذا أشار بقوله تعالى فقال : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » الآية . وهذا هو الغرض الاقصى فى وضع الشريعة الالهية . ومن لم يرشد لفهم تلك المعانى ولا اجتهد فى العمل بسنة الشريعة ولا الدخول تحت أحكامها ولا الانقياد لحدودها فان تلك النفوس إذا فارقت الجسد انحطت الى

البهيمية التى هى دركات لها وهاوية تهوى فيها ، كما قال الله تعالى : « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » . والى هذا أشار بقوله : « فاما ان كان من المقربين فروح وريحان » . الى قوله وتصلية جحيم . وفى معرفة أسرار هذه النكت الالهية قيلت هـذه القصيدة والى أسرار موضـوعاتها أشير بها وهى هذه :

اقتربت الساعة وانشق القمر وانكشفت عنه أفانين العبر
وان يروا آية حق يعرضوا عنها وقالوا هو سحر مستمر
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل شىء فعلوه في الزبر
من بعد ماقد جاءهم من عجب الا نباء مافيـه لعات مزدجر
في حكمة بالغـة محكمة ينـ ـمى بها العذر فما تغنى النـذر
حتى اذا حق الهلاك مسرعاً أشياعهم فيه فهل من مدكر
أحياه بعـد موته الله وقد قال ارجعونى بعد ما كان قبر
فرده الله لقطع عذره فكان أطغى في الرجوع وأشر
مثل الذين فارقوا ديارهم من حذر الموت فماأغنى الحذر
فقال منشيهم لهم موتوا معاً ثمة أحياهم برزق وعمر
أو كالذي مر بظهر قرية خاوية على العروش منقعر
فقـال هل يحيى الاله هذه بعد الممات فأميت ونشر
فـكان فيه ثم في حماره وفي الطعام والشراب معتبر
يا أيها الناس اتقوا فانما أعمالـكم أعمالـكم كما ذكر
ألها كم الشيطان عن مقعد صد ق ومقام لمليك مقتدر
من قبل أن نطمس منكم أوجهاً وطمسها رد لها على الدبر
أو يلعن العادون في حدهم لعنة اهل السبت فى سيف البحر
اذ جعلوا فيه قروداً وخنا زيروأنواعاً من الخلق الأخر
بدل تبديلا لهم أمثالهم مستويات الجنح موشى الصور

منكسين لايرد طرفهم … اليهم للذكر كلا لاوزر
لايستطيعون السجود اذدعوا … وطالما عافوا السجود في القدر
من بين مغلول اليدين طافياً … وبين صال في الجحيم المستعر
يظها وللماء عليه لجة … في بعضها يعنى بورد وصدر
وبين مسلوك له سلسلة … مقدارها سبعون ذراعا في القدر
قد أوجب النقمة منه نفسه … فصار موكولا الى أم سقر
وآخر غطى التراب رأسه … وظم منكوساً كما قام الشجر
لايثنى عنه صائب الحتف ولا … يجتذب النفع ولاينفي الضرر
مستسلماً للواردات حسرة … ناراً تلظى وهو ماء منهمر
هذا وكأين من وقود أضرمت … حراً وبرداً في حديد أو حجر
فى الدرك الاسفل لايبعدهم … الا الذي في أول العمر فطر
وكلهم اذ ظلموا أنفسهم … مشتركون فى عذاب مستعر
يبدلون بالجلود كلما … أنضجها ذوق العذاب في سقر
أعوذ بالله من الجهل الذي … يصم ذا السمع ويعمى ذا البصر
ومن خيالات النفوس شأنها … أن تعبد الله على حرف الغرر
ومن أثيم مستطيل كلما … أمهله الله تمادى وأشر
أتته آيات الاله ربه … فانسلخ المحروم منها وانتشر
فكان من جملة غاوين رأوا … رفعتهم أفضت بهم الى الحفر
وجاهل يخلط فى إيمانه … كفرا فان نبهته تاه وفر
وسنان لايعلم الا ظاهراً … من الحياة غافلا عن الأثر
وهو على الاعراض عن آخرة … فيها لمن أدركها خير وشر
يستعجل الساعة والساعة فى … مماتة الجاهل أدهى وأمر
من معشر عذبهم جهلهمو … إذ ضرب السور عليهم فانحصر
تميز للخلق فى ظاهره … من العذاب شاغل عن العبر

ضنك على المرء وفى باطنه … من رحمة الله غمام منتشر
تبارك الله العليم ربنا … وعالموه فهم الحزب الاغر
وكل من والا وعادى فيه لو … آوي دعاة المؤمنين او نصر
وكل من هاجر في الله ومن … جاهد أو حج اليه واعتمر
الى بيوت حية ناطقة … مشتركات فى اللباس المنتشر
قد أذن الله لها فى رفعها … وأن يكون لاسمه فيها ذكر
من معشر موحدين دينهم … كدين عبدالله مولانا «الخضر»
يرون فى عين النفوس ما يرى … غيرهم في حسنها في المنتظر
فى كل عصر منهم ذو دعوة … يجر من سفن البحار ما عبر
لايقفون عند شخص واحد … تمضى دهور وهو وعد ينتظر
بل فيهم ومنهم طوالع … تجرى على ترتيب نظم مستطر
دونكموها يا بنى الحق ولا … تشغلكم عنها أباطيل الفكر
فكم لها من سامع منتفع … يعلم ما يأتى لها وما يذر
وغافل عن الرموز جاهل … يقول :من يقول ذا فقد كفر :
فمن يكن يعلم ما يقوله … وكان يجرى رأيه على النظر
بما يبين صدقه بشاهد … من العقول لا برجم من حذر
بما يكون قربه مشتركا … ويستوي فيه دعاوي من يقر
فليأت بالحكمة في أخباره … بالعدد المخصوص فى أى السور
مثل مقادير الفروض كلها … من الصلاة والزكاة والطهر
وكم أولو العزم وأصحاب الرضا … طالوت ذى البسط وحيد المنتظر
وكيف أسماء الاله ربنا … تسع وتسعون هى الحسنى الكبر
وكيف في تفريقه أمته … على ثلاث بعد سبعين اختصر
وكيف أجزاء النبى ستة وأر … بعون وهو أمر ذو خطر
لم جعل الرؤيا الصحيح واحدا … من جملة الاجزاء فيه ،فافتكر

وحاملو العرش وفي عدتهم   عدة أبواب الجنان في القدر
واختصت النيران فى أبوابها   بسبعة ممن أتاها وابتدر
منطلق فيها الى ظلاله   فيها ثلاث شعب ترمي الشرر
فقال فى الذكر عليها تسعة   يملك ما فيها جميعا وعشر
كأنهم قد جعلت عدتهم   لفتنة الكافر أو ذكر الخبر
وكل من يسلك فيها وله   سلسلة مقدار سبعين قدر
هذا وما «طه» وما «حم» او   «طس» أوأشباههذامن سور
وما أمور أخفيت انباؤها   عن ظاهر بين رعاع كالحمر
من قصة الجان الذين أفسدوا   واستحوذوا منها بماء قد غمر
وماهي «الحية» « والطاووس » اذ   كانا معينين لابليس الخسر
وما هى الحنطة اذ حذرها   آدم من بين النبات والخضر
وكيف لما ذاقها بدت له   سوآته وكان قبل مستتر
وكيف تعليم «الغراب» أولا   «قابيل» دفنالأخيه اذ حضر
وما هى النار التى كانت على   الخليل ابراهيم بردا اذ شكر
وما هى «الطير» التى أنشرها   له الاله بعد موت اذ صبر
وما هو«الطوفان»اذ عم وما   سفينة الالواح فيه والدسر
وما قميص يوسف وذئبه   والدم اذ جيء بافك مشتهر
و«الجب» اذ ألقى فى غيبته   والحبس اذ قد خص بما منه بهر
وكيف باعوه على مبتاعه   بالثمن البخس وبالشيء النذر
وما هو البرهان اذ أبصر قال   عندها : السجن مرادي فصبر
وشاهد منه قد استشهده   على قميص كان قد من دبر
وكيف كان بعد ذا قميصه   فيه شفاء لا بيه مدخر
وما هو العجل الذى خار وما   الصفراء ازجيت قتيلافي البقر

وما دم فاض فصار شرقا   لمن عليه لا على الماء اقتصر
وكيف تاهت أمة عظيمة   دهراً وأرض التيه كالدر صغر
و«الجبل» المرفوع فيهم ظله   يشهده من غاب منهم وحضر
وخر ذى الملك سليمان وما   «خاتمه»وما «العصا» ساعةخر
وما هى الطير وما منطقها   والريح اذ تجرى به وتنسخر
وما هو الكرسى في إلقائه   له عليه جسداً لما اختبر
والعرش اذ احضره عالمه   قبل ارتداد طرفه كما ذكر
ويونس اذ قد بلعه حوته   فشاهد الانجم فيها واعتبر
وماالمسيح الروح والمهدالذى   كلم فيه الناس فى وقت صغر
وصلبهاروت وماروت وما   يعلمان الناس ممن قد سحر
ونوم أهل الكهف والبعثلهم   وكلبهم سابعهم حسب الخبر
وسد يأجوج ومأجوج ومن   يلحسه من زمر بعدزمر
وكيف سواه حجابا موثقا   نفخ المعينين وافراغ القطر
وكيف اذ يقترب الوعد لهم   تشخص أبصارهم اذا انقعر
وما طلوع الشمس من مغربها   ما بين قرني مارد لا ينزجر
وكيف بعد نورها تكويرها   والانجم الزهر عليها تنكدر
وما هو«الدجال»اذ حذر منـ   ـه كل خلق وهوشخص ذو عور
وكيف يجرى عن جنابي جيشه   من الجبال شامخات فى الكبر
فالجبل البصري فيه جنة   مثمرة ذات رياض وزهر
والاصفهاني عليه أبدا   نار تلظى ودخان منعكر
وذاك لا يعلمه الا الذى   اشهد خلق نفسه فيما عبر
وكان في خلق السموات العلى والا
رض قد عوضد أو كان خبر
فالحمد لله الذى أشهدنا   ما لم نكن نعلم إلا بالخبر

واعلم ياأخي أن هذه الابيات وما فيها من المسائل انما هى ارشاد للمتأدبين باصلاح الأخلاق وتنبيه للمرتاضين بعلم النفس على الأسرار النبويات وما فى موضوعات الشرائع من الرمز ولا ينبغي لاحد من اخواننا أن يجيب أحداً اذا سئل عن هذه المسائل الا لمن قد هذب نفسه وأصلح أخلاقه لأن صدأ النفس ورداءة أخلاقها ممتنع من فهم معاني هذه .

وقد بينا في الرسالة السابعة التى تتلو هذه كيفية ذلك فافهم ان شاء الله وحده

(تمت رسالة ماهية الناموس الالهي وشرائط النبوة ويليها رسالة في كيفية الدعوة الى الله)

الرسالة السابعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية الدعوة الى الله

﴿ وهي الرسالة الثامنة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

واعلم أيدك الله وإيانا بروح منه أن شيعتنا وإخواننا المتفرقين في البلاد وسائر من ينسب الينا فهم في أحوالهم ومراتبهم على منازل ثلاث : فطائفة منهم خواص وعقلاء متدينون أخيار فضلاء ، وطائفة منهم أغبياء أشرار أردياء ، وطائفة بين ذلك متوسطون . ولكل طائفة منهم آراء ومذاهب هم فيها مختلفون وأقاويل مفننة هم بها مشغوفون وأخلاق وسجايا هم بها متغايرون . ولهم مع ذلك أفعال وأعمال هم لها معتادون ، فنريد أن نذكر كل طائفة منهم بأوصافهم وندل عليهم بعلاماتهم ، حتى إذا دخلت مدينة أو بلداً من البلدان ولقيت منهم أحداً تبينتهم بعلاماتهم وعرفتهم بسيماهم ، فلقيتهم بالتحية والسلام وداخلت كل طائفة منهم بألطف ماتقتدر عليه من الرفق والمداراة ، وذاكرتهم من علمنا بحسب ماتقبله قلوبهم ، وألقيت اليهم من أسرارنا حسبما تحتمله عقولهم وتتسع له نفوسهم ، وتبلغ اليه هممهم وتتصوره أفهامهم ، وتكون في كل ذلك كمثل الطبيب الحكيم الرفيق الذي قد ذكرت قصته في أول الرسالة لاخوان الصفاء

فصل

إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمور الديانات العارفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية ، واذا لقيت أحداً منهم وأنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الأعلام .

واعلم أن من اخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون ، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا ، وطائفة أخرى موقنون ببقائنا لكنهم غافلون عن أمرنا غير عارفين بأسرارنا وكلهم منتظرون لظهور أمرنا مستعجلون لمجيء أيامنا مشتهون نصرة أمرنا ، فاذا لقيت منهم أحداً فبشره بما يسره وقر عينه بما يظنه بعيداً مما يؤمله وعرفه أن ما يرجوه غير بعيد ، وذكر من وثقت بهم من اخواننا بما ألقينا اليك من علمنا وأطلعه على ما أطلعناك عليه من أسرارنا كيما تطمئن نفوسهم فيما يعتقدون فينا ويتبين لهم صدق ما هم مقرون به من أمرنا وأخرج اليهم من رسائلنا ماترغب نفوسهم فيه وترتاح اليه ، وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بينا لك . فلعلهم اذا استمعوا لقراءتها وفهموا معانيها انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وحييت بروح المعارف كما ذكر الله جل ذكره : « أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

واعلم يا أخي بأن في الناس طائفة من أهل ملتنا مقرون بفضلنا وفضل أهل بيتنا ولكنهم جاهلون بعلومنا غافلون عن أسرارنا وحكمتنا ، فمن ذلك أنهم يجحدون وجودنا وينكرون بقاءنا ومع هذا فانهم يزرون بشيعتنا المقرين بوجودنا المنتظرين ظهور أمرنا ومعاندون لهم متعصبون عليهم مبغضون لهم .

واعلم بان أحد الاسباب في ذلك هو أن قوماً من أشرار الناس جعلوا

التشييع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف والناهين لهم عن المنكر فيما يفعلون وذلك انهم يركبون كل محظور ويتركون كل مأمور به ، واذا نهوا عن المنكر فعلوه بارزوا باظهار التشيع واستعاذوا بالعلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم عن منكر فعلوه ولبئس ما كانوا يعملون . ومن الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون أنفسهم العلوية وما هم من العلويين ولكنهم من أسفل السافلين ، لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الاجساد ولا من القرآن إلا أسمه ولا من الاسلام إلا رسمه ، لا علماً يتعلمون ولا فقهاً يدرون ولا صلاة يقيمون ولا زكاة يؤدون ولا البيت يحجون ولا جهاداً يعرفون ولا حراماً يجتنبون ولا عن منكر ينتهون وكل قبيح يركبون ولا يتوبون ولا هم يذكرون ، ومع هذا كله على الناس يستطيلون وإليهم يتبغضون ومن شيعتنا ينفرون ، فهم أبعد الناس من أهل ملتنا وأعدى الناس لشيعتنا وأجهل الخلق بعلومنا وأغفل الناس عن حقيقة أمرنا وأسرار حكمتنا ، الا الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً واليهم أشار رسول الله ﷺ بقوله : « يابني هاشم لا يأتي الناس يوم القيامة بأعمالهم وتجيئون بأنسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيئا » ومن الناس طائفة قد جعلت التشييع مكسباً لها مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشييع إلا التبري والشتم والطعن واللعنة والبكاء مع النائحة وحب المتدينين بالتشييع وترك طلب العلم وتعلم القرآن والتفقه في الدين ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان أجسادنا وهم بالبكاء على نفوسهم أولى .

ومن الشيعة من يقول إن الائمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء ولا يدرون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدونه ، ومنهم من يقول إن الامام المنتظر مختفي من خوف المخالفين ، كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون كما قيل :

يعرفه الباحث من جنسه   وسائر الناس له منكر

وكلهم يقرون بأن الانبياء عليهم السلام خزان علم الله وأن الخلفاء هم والائمة

المهديون وارثون علم النبوات ولكنهم لايدرون حقيقة مايقرون ولا تصديق ما يعتقدون ! ! فأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن تكون منهم بل كن هادياً مهدياً رشيداً طبيبا رفيقاً لاخوانك وأصدقائك وجيرانك : ترشد الضال وتبريء الاكمه والأبرص وتحيى الموتى باذن الله

﴿ فصل ﴾

ذكروا أن ملكا من ملوك الهند كان عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة حسن السيرة فى رعيته محباً للعدل والانصاف ولكن كان متديناً بعبادة الاصنام معظما لها مقرباً لاهلها ولم يكن يعرف شيئا من أخبار الانبياء ولا ما جاءت به من حديث ملكوت السماء وأمر الوحي والتنزيل والسنن والتأويل وأمر المبدإ والمعاد والبعث والقيامة والحشر والحساب والميزان والصراط والنجاة من النار ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام. ثم أن ذلك الملك رزق على رأس الكبر ابناً سعيد المولد فأمر المنجمين بالحساب والحكم على موجبات أحكام النجوم في مولده فحكموا بأنه يتربى ويعيش ويطول عمره وينال ملكا وسلطاناً لا يشبه ملك الارضين ولا سلطان الجسمانيين ، بل ملك السماويين وسلطان الروحانيين . فلما تربى ذلك الغلام ونشأ أفرد له أبوه منزلا وبنى له قصراً فأسكنه فيه ووكل به الحفظة وشحنه بالخدم والطبرة والخصيان ومنع أن يصل اليه أحد من العامة ، فلما نشأ الغلام وترعرع رزق من الفهم والذكاء ما لم يرزق أحد غيره من أهل بلده ، ثم علم آداب أبناء الملوك من القراءة والكتابة والشعر والفصاحة والنحو واللغة والحساب والنجوم والهندسة وما يليق بأولاد الملوك من العلوم والآداب ، وكان صافى النفس حى القلب كثير التفكر في ملكوت السماء وأمر الصانع وكيفية المبدإ وأمر المعاد وأحوال القرون الذين مضوا وانقرضوا ترى إلى ماذا صاروا وإلى أين ذهبوا حتى منعته الفكرة عن الأكل والنوم والتمتع بلذات النعيم فى الدنيا وشهواتها فأسهر ليله وأطال نهاره وتمنى أن يجد أحداً يسأله عما فى نفسه ويذاكره بما فى قلبه فلم يجد

أحداً حتى فشا حديثه في الناس وكثر الثناء الجميل عليه وانتشر ذكره في الآفاق فسمع خبره حكيم من حكماء بلاد سرنديب فطمع فى رشده ورجا أن يكون هادياً رشيداً وفيلسوفاً حكيما فقصد نحو بلاده وحمل معه كتاباً من كتب الحكمة وأسرار النبوة ملفوفاً في ثوب في جوف سفط مختوم(١) ثم انه أتى تلك المدينة فطاف فيها فلم يجد فيها أحداً من أهلها يصلح أن يسمع حكمته غير ذلك الغلام فطاف ببابه فرأى الوصول اليه صعباً والامر ممتنعاً من كثرة الحراس والحفظة حول القصر ، وأقام زماناً يفكر كيف يكون الوصول اليه والدخول الى عنده حتى عرف الداخلين والخارجين من عنده واليه ، فوقع اختياره على أحد الخدم المختصين به فرصده يوماً حتى وجده خالياً وأخذ بيده الى جانب الطريق وقال له : اسمع ما أقول واكتم على سرى

واعلم بان عندي نصيحة لابن الملك وقد وقع اختياري عليك لما توسمت فيك من الخيرية .

قال له الخادم ماهذه الحاجة وماهذه النصيحة أسمعنيها حتى أعرفها .

قال له : أنا رجل من تجار البحر وقد وقع بيدي جواهر مثمنة نفيسة لاتصلح الا للملوك وأبناء الملوك وقد قصدت هذا الفتى لاعرضها عليه فان كانت تصلح له واختارها فهى مبذولة له ، وإن لم يكن يريدها ردت الى سراً ولم يعلم بها أحد من الناس فاني لست آمن من أن يشعر بها بعض اللصوص أو الطرارين(٢) فيحتال على في أخذها .

فقال له الخادم : أرني جواهرك أنظر اليها فان كانت تصلح له حملتها اليه .

فقال الحكيم ان لجواهري شعاعا وبريقاً شديداً لاتستطيع النظر اليها الان في عينيك ضعفاً أشفق عليك ضرراً

(١) السفط وعاء كالقفة ، والتابوت الصغير سفط أيضا والقشر الذي على جلد السمك سفط والجمع أسفاط والاول هو المراد هنا فتنبه

(٢) الطرار : من يشق الجيوب ليسرق

وأما ابن الملك فشاب حدث جيد النظر حار البصر لا أخاف عليه منه ضرراً فقال له الخادم . ان هذا الامر الذي تصف لامر عظيم وما أرى بكلامك بأساً وأنا شاك فيما تقول فكيف أصنع ؟!

فقال الحكيم : لا يسعك أن تحرم ابن الملك هذه النصيحة إذا بذلتها له واعلم بانك إن لم توصلني اليه مع سفطي هذا توسلت بغيرك اليه ، فذهب الخادم وعرف الفتى .

فلما سمع ابن الملك ذلك الحديث تهلل وجهه وداخله من الفرح والسرور ما لم يمالك نفسه أن قام من مجلسه ومشى في الدار وعلم أنه قد ظفر بحاجته ووجد طلبته وقال للخادم نعم ما رأيت حين عرفتني هذا الحديث فالآن أوصله إلي ونكن بالليل في سر وكتمان

فلما وصل الحكيم الى الفتى ورأى شخصه تفرس فيه النجابة والفلاح وقام الغلام من مجلسه وسلم عليه ورحب به وأقعده وقعد بين يديه ، وقال للخادم: تنح الآن عنا لاسأله عما في نفسي .

ثم ابتدأ فسأله عن حاله ومجيئه وقصده وأخذ في حديث طويل — وقد بينا في فصل بعد هذا أشياء مما جرى بينهم من الخطاب .

فهكذا ينبغي لاخواننا الفضلاء الاخيار أيدهم الله وايانا بروح منه أن يقتدوا بذلك الحكيم في اختيارهم لحكمتهم الاحداث الفتيان الاخيار النجباء المتأدبين المتهذبين الفهماء الاذكياء لاذكار علومنا وأسرار حكمتنا اقتداء بسنة الله تعالى . وذلك انه لم يبعث نبياً إلا وهو شاب ولا أعطى الحكمة لعبد من عباده إلا وهو حدث من الفتيان ، كما ذكرهم الله تعالى وأثنى عليهم فقال: «انهم فتية آمنوا بربهم» الآية وقال في قصة خليله ابراهيم : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » وقال موسى لفتاه : « آتنا غداءنا » .

وهكذا ينبغي لاخواننا اذا وجدوا صديقاً بهذا الوصف ينبغي لهم أن يغتنموا ذلك ويعرفوا اخوانهم الباقين ويستبشروا بالنصر والتأييد من الله عز وجل، كما وعد جل ثناؤه بقوله : «إن تنصروا الله ينصركم » وقال : «والله ولى المؤمنين»

﴿ فصل ﴾

فكان مما يجري بين الفتى والحكيم ان قال له اخبرني لم يذم الحكماء أمور الدنيا ويزهدون فى نعيمها وهي دارهم التى نشأوا فيها ومسكن آبائهم الذين ربوهم ؟ فاجاب لانها تصغر في أعينهم إذا شاهدوا أمر ملكوت السماء ويستقلون نعيمها في جنب مايعرفون من نعيم أهل الآخرة كما صغر حال ذلك المسكين فى أعين الملك ووزيره .

قال الفتى كيف كان ذلك ؟ قال الحكيم ذكروا انه كان ملك من ملوك الهند عظيم الشأن عزيز السلطان واسع المملكة حسن التدبير والسياسة عادل السيرة في الرعية صادق الحجة في الحكومة بصيراً بامور الدنيا راغباً فيها متمنياً للخلود ولم يكن يعرف أمر الآخرة ولا المبدأ ولا المعاد ولا البعث ولا القيامة ولا الوحي ولا النبوة ، وكان مع ذلك يعبد الاصنام تقليداً : يقرب لها القربان ويعظم شأنها ويحسن الى أهلها على عادة جارية قد اعتادها من الحداثة والصبا من غير فكر وروية في شأنها وكان له وزير خير عارف بصير قد عرف ملكوت السماء ونبأ الملأ الأعلى وأمر المعاد والمبدأ وكيفية الوحى للانبياء عليهم السلام وعلل سنن الديانات ومرامي مرموزات النواميس وأسباب أحكام الشرائع وما الغرض الاقصى منها وما حقيقة معانيها وخفيات أسرارها ودقائق اشاراتها وما قصد واضعيها وما النفع العاجل منها وما المطلب والمغزى في الاصل منها

فكان كلما رأى ذلك الوزير الملك يسجد لتلك الاصنام ويستلمها ويعظم شأنها من غير معرفة بحقيقة أمرها ولا بصيرة لشأنها وما المغزى من ذلك امتعض قلبه لما عليه لغفلته وسهوه فيما يفعله تقليداً ويعمله جهالة ، وكان يرثي له سراً وجهراً رحمة وشفقة عليه لطول الصحبة معه وحسن المعاشرة له ، وكان نهايته أن ينهاه عن ذلك أو ينبهه من غفلته وأن لا يسمع لقوله لشدة سكرته وغفلته ولا يقبل نصيحته لتمكنها في نفسه واستمراره عليها طول الزمان ، فشكى ذلك الى صديق له فقال :

قد طالت صحبتي لهـذا الملك ومارأيت منه الا خيراً وله الي احسان كثير وانعام وافضال لاأقدر أن أؤدى شكرها ولست أنكر من أمره الا ماهو فيه من الغفلة في أمر الدين والمعاد وقلة الرغبة في الآخرة وترك النظر في المنقلب بعد الموت ، ولاأدري ان ذكرته كيف يقع منه

فقال له صاحبه : أنت أخبر بصاحبك وأعرف بأخلاقه وأعلم بعاداته فكن طبيباً رفيقاً لاتضع الدواء الا عنـد الداء حتى ينفع ، واطلب الفرصة فان رأيت للكلام موضعاً وللخطاب موقعاً فاغتنم ذلك ، وان لم تر فلاتضيع الحزم .واعلم بأن الملوك لهم سكرات وغفلات من عدة وجوه فمنها سكرات السلطان والأمر والنهي ومحبة الرياسة والعز والأنفة والكبر والاستطالة ، ومنها سكر الشباب والنشاط والنجدة والتفاخر والخيلاء والشجاعة والشطارة ومحبة الغلبة والرياسة والسمعة ، ومنها حب الشهوات المركوزة في الجبلة والتمكن منها والميل الى الالذات المعتادة والرفاهية والراحة والزلفة واستمرار على العادات المعتـادة من الصبا ومنها الجهالات المتراكمة من أول الامر والاخلاق المنشأة مع الطبع والخلقة . وكل هذه سكرات تمنع من استماع الحكمة والنظر في العاقبة والفكر والروية في المعاد والمنقلب في الآخرة بعد الموت .

ثم ان ذلك الوزير مكث دهراً طويلا يطلب الفرصة لخطابه الى أن اتفق أن قال له الملك ذات ليلة ـ بعدما فرغا من النظر في أمر الرعية وكتب النوبة وتدبير السياسة: هل لك أن نخرج الليلة متنكرين لنعرف حال المدينة ونتجسس أحوال الرعية وننظر الى آثار المطر وكيفية ذي البلاد ومصالح العباد ؟؟ وكان من سنة ملوك تلك البلاد أن لا يركب الملك الا في كل سنة مرة ولايظهر للرعية الا يوماً واحداً كل ذلك تعظيما لأمر الملك وسياسة لأمر الرعية فخرجا يطوفان حول المدينة متنكرين ، فبينما هما كذلك إذ هما بضوء من بعيد فامتدا نحوه حتى دنوا منه فاذا هما بمزبلة شبه رابية عظيمة عليها جيف مرميـة وسماد طرية منتنة الرائحة وإذا في أسفله ثقبة شبه المغارة واذا في أقصى داخلها رجل قاعد مشوه الخلقـة على دكة قد

أصلحها من بين سماد ورماد تلك المزبلة وقد فرش تحته من خرق تلك المزبلة شبه بساط وعليه مدرعة قد خاطها شبه مرقعة ، وفي رجليه تبان (١) وعلى رأسه شملة مثل ذلك ، واذا بحذائه امرأة تشبهه في الخلقة والتشوه عليها كسوات شبه درع وخمار ومقنعة مثل ماعليه من خرق تلك المزبلة واذا بين يديهما سراج من خرق فوق آجرة شبه منارة ، وبجنبه جرة مكسورة فيها دردي كالخل وقد مزجه بيسير من ماء والى جانبه سلة خوص فيها طاقات كرفس وكراث ، وبيد كل واحد منهما مشربة مكسورة يغترفان من تلك الجرة ويشربانها واذا على فخذه قصبة قد مد عليها خيطاً شبه قوس النداف وهو ينقر عليها بقضيب في يده ويغنى بأبيات غير موزونة خارجة من الايقاع ، واذا به يذكر في تلك الأبيات حسن تلك المرأة ويصف جمالها وشدة عشقه لها وافراط محبته اياها ، واذا بيدها خشبة غربال مكسورة وقد مدت عليها قطعة جلد غير مدبوغ جافة منتنة الرائحة شبه الدف وهي تنقر اذا غنى هو وترقص وتثنى يديه ، واذا شرب كل واحد منهما سار صاحبه وحياه بطاقة من ذلك الكرفس والكراث وهي تثنى عليه بالحسن والجمال كأنه يوسف الصديق وتسميه شاهنشاه : ملك الملوك ، وهو يسميها كديانوية : سيدة النساء ويشرب ويسار اليها ويثني عليها ويصفها بالحسن والجمال مما يقصر وصف الحور العين في جنب ذلك ، واذا شربا سألا الله ألا يعدمهما ماهما فيه ولايغير مابهما من نعمة وأن يبقيهما على تلك الحال أبداً مابقي الدهر .

فلما أبصر الملك والوزير ماهما فيه من اللذة والسرور والفرح طال وقوفهما متعجبين من حال تينك المسكينين . ثم قال عند ذلك الملك للوزير : ما أظن أني في طول حياتي وعز سلطاني ونعيم ملكي وأيام شبابي ومجالس لهوي مع تمكني من شهواتي ، بلغ مني الفرح واللذة والسرور مايصفان هذان المسكينان الحقيران الوضران من حالهما ، ومع هذا كله أظن أنه لاتفوتهما هذه الحال كل ليلة ان

(١) التبان بتشديد التاء المضمومة سراويل صغير يصنع بمقدار شبر يستر العورة المغلظة يكون للملاحين والمصارعين ، والجمع تبابين والاسم فارسي معرب

أرادا لأنه لايعرض لهما شيء من العوائق التي تعرض لنا من الاشغال المانعةعن فراغ مجلس اللذة واللهو مثل خروج الخوارج في أطراف المملكة واضطراب النواحي وشغب الجند وطلبهم الارزاق ، ومثل النظر في تظلم الرعية وهيج العامة والنظر فى محاسبة الكتاب وتولية العمال ، ومثل النظر في التعازي والتهاني والنظر في امر الخاصة واصلاح أمر العامة ، ومثل النظر فى القصص والتوقيعات وحفظ الخزان وتفقد الرسل الواردين من من الاطراف واكرامهم والتجمل لهم ، ومثل النظر في الكتب الواردة من أصحاب الاخبار وكتب أجوبتها وماشاكل هذه من الاشغال المنغصة للعيش المنقصة للذات المورثة للغموم والهموم والاحزان ثم قال الملك : ولكن أظن انه لوكان هذان المسكينان دخلا منازلنا والبسا ثيابنا وأبصرا مجالسنا وذاقا من طعامنا وعاينا أحوال ملكنا وشاهداعز سلطاننا وعرفا لذة نعيمنا مرة واحدة مقدار ساعة ثم ردا الى حالهما لما تهنيا بالعيش بعد ذلك ولا وجدا لهذه الحال النكرة التى هما فيها لذة أبداً وصغر في أعينهما ماهما فيه من اللذة والفرح والسرور.

فلما فرغ الملك من هذا الخطاب وسمع الوزير قول الملك تذكر ما قال له صاحبه لما شكا اليه : أطلب الفرصة وضع الدواء حيث الداء ، فان لكل مقام مقال.

فقال الوزير للملك : أخاف أيها الملك أن نكون فيما نحن فيه من عزسلطاننا ونعيم ملكنا ولذيذ شهواتنا وسرورنا باحوالنا وفرحنا بما حولنا مغرورين كغرورهذين المسكنين بما هما فيه ونحن محقرين وجميع احوالنا في أعين قوم آخرين كاحتقار هذين المسكينين عن أحوالنا

فلما سمع الملك قول الوزير استكبره واستعظمه وقال له : وهل تعلم في الارض اليوم مملكة أوسع من مملكتنا أو سلطاناً أعز من سلطاننا أو بلداً أكثر نعما من بلدنا أو مروة (١) أحسن من مروتنا ؟ قال له الوزير لا !

(١) المروة : حجر صلب براق يورى النار ويكنى به عن القوة والثراء ـ والمرو أيضا اسم جنس لانواع الرياحين فتنبه

قال الملك : فمن هؤلاء القوم الذين زعمت انه يصغر حالنا في أعينهم ويستحقرون أمرنا ؟ قال قوم يقال لهم النساك ، فقال الملك : أين بلدهم ومن أي ناس هم ؟ قال هم من قبائل شتى متفرقين في المدن وفي الآفاق والبلاد يجمعهم دين واحد ومذهب واحد ورأي واحد .

قال : صف لى مذهبهم وحالهم ؟ قال هم أمناء الله في خلقه وخلفاء أنبيائه وأئمة لعباده وليس فى الناس منهم الا نفر يسير لانهم في الأنام كالملح في الطعام، بسؤالهم ينزل الله القطر من السماء والبركات فى الارض ،وبدعائهم يرفع الله عن العباد القحط والغلاء والوباء ومنهم حفاظ كتب الله وعلماء تأويلها

فقال الملك : ومن انبياء الله ؟ فقال الوزير : هم طائفة من بنى آدم اصطفاهم من عباده وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون إسرار غيبه ، وجعلهم أمناء وحيه وسفراء بينه وبين خلقه ، أرسلهم من عالم الارواح الذي فى ملكوت السماء الى عالم الكون والفساد في الارض وأنزل معهم الكتاب ليدعوا عباده إلى جواره في الجنة التي كان أبوهم آدم فيها تربى .

فقال الملك : وماذا يصفون من أحوال عالم الارواح وملكوت السموات؟ قال يقولون ان هنالك فضاء فسيحاً وأفلاكا دوارة وكواكب سيارة وأنواراً ساطعة وبهجة ونسيما وروحا وريحاناً ونعيم الجنان والرضوان وجوار حور حسان وولدان وغلمان ومردان وطيب ونسيم لايخالطها هجير الصيف وزمهرير الشتاء ولا ظلمة الاجسام ولا فيء الاجرام ولا مزاحمة في المكان وملك دائم وعز سرمد وأهلها أحياء لايموتون وشبان لايهرمون وأصحاء لايمرضون وأغنياء لايفتقرون وجيران لايتحاسدون وأصدقاء لايختلفون ونعيمهم لا يكدره بؤس ولذاتهم لاتخالطها آلام وسرورهم لاتشوبه أحزان وفرحهم لاتدخله غموم ولاهموم ولا نوائب ولاحدثان ولاتغيير الزمان .

فقال الملك : وماذا يقولون ؟ هل الى هناك وصول ؟ قال الوزير:لايشكون أن من طلبها كما يجب وصل اليها .

قال الملك : فكيف وجه الطلب وكيف المسلك وكيف الوصول ؟ فوصف له الوزير ماذكرنا طرفا منه في رسائلنا الناموسيات وما أخبرت به الانبياء عليهم السلام في كتبهم وما أشار اليه الفلاسفة الحكماء في مرموزاتهم .

فصل

فقال الملك للوزير مذ متى عرفت هذه القصة واعتقدت هذا الرأي وعلمت هذا المذهب ؟ . فقال من زمان . قال : فما الذى منعك أن تذاكرني بهذا الامر الجليل العظيم الخطير في طول صحبتك معي ؟ قال الوزير : اني لم أترك مذاكرة الملك بهذا الامر الجليل لأني بخلت عليك به أولم أرك أهلا لذلك ، ولكني تركته انتظاراً وطلباً لفرصة توجب الخطاب وموضعاً للكلام ، لأن النظر في هذا العلم والبحث عن تحقيق هذا الامر والتصور له بكنه المعرفة يحتاج الى قلب فارغ من أشغال الدنيا ونفس صافية من العوارض المكدرة والآراء الفاسدة والعادات الرديئة وهمة عالية في طلب الأمور الشريفة والزهد في الشهوات الجسمانية المذمومة وترك اللذات المحسوسة الجرمانية الفانية حتى يتصورها بحقها وصدقها كى لايكون المقر بهذا الأمر مقلداً كالعوام الذين لايعلمون من القول إلا زوراً ولا من العمل الا ظاهراً ولا من العلوم الا قشورا ولا من الدين الا تعصباً ، وان الملوك أكثر الناس أشغالا في أمور الدنيا واطولهم آمالا وأرغبهم فى الخلود فى الدنيا وأكثرهم تمنياً للبقاء فيها لشدة تمكنهم من التمتع بنعيمها واستغراقهم فى شهوات لذاتها ، ولا يصلح للمذاكرة بهذا العلم الا فتيان أذكياء لهم نفوس صافية وقلوب واعية بريئون من الآراء الفاسدة غير معتادين للعادات الرديئة ، أو مشايخ مهذبين في العلوم الرياضية مجربين فى الأمور السياسية محبين للعلوم الالهية غير متعصبين فى المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة ، أو نفوس ملكية لها همم عالية فى طلب مراتب الملائكة والامور السماوية والمعقولات الروحانية والوجود المحض والبقاء الدائم والدوام السرمد .

فقال الملك : مايسعنا بعد هذا اليوم الا أن نجعل أكثر عنايتنا فى الكشف عن حقيقة هذا الأمر على صحة وبيان من غير تقليد ولا تكذيب ، فان بان أنه حق طلبناه حق الطلب وتركنا ما نحن فيه من عبادة اصنام وأمور هذه الدنيا التى كلها الى زوال وفناء ، كما فنيت أعمار الذين كانوا من قبلنا فزال ملكهم ونعيمهم . ثم قال له : أخبرنى بماذا يصفون الحكماء من أصناف الخلائق هناك ؟ قال : يقولون لايعلم عددهم إلا الله كما لا يحصى عدد الخلائق الذين هم فى الارض من أجناس الحيوان من الانعام والسباع والوحوش والطيور والهوام والحشرات والدواب وحيوان الماء والبحار أجمع وأصناف بنى آدم من أجناس الأمم من الترك والحبش والزنج والنوبة والعرب والعجم والفرس والروم والهند والسند والصين والنبط والزط (1) والاكراد ويأجوج ومأجوج والسيسان وأمم أخر غير معروفة عند كثير من الناس . وكل هؤلاء مختلفى الألسن والألوان والاخلاق والطباع والعادات والاعمال والافعال والصنائع والآراء والمذاهب من أهل المدن والقرى والسوادات والسواحل والجزائر والبرارى نحو من سبعة عشر الف مدينة تملكها نحو من الف ملك : هذا في الربع المسكون من الارض ، وعلى أن الارض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبراري والانهار والعمران والخراب ماهي — في فسحة سعة الهواء — الا كحلقة ملقاة في برية صحراء ، وفضل سعة كل واحد من الافلاك التسعة على الهواء كفضل البرية على تلك الحلقة . أفترى أيها الملك أن الخالق تعالى ترك تلك الفسحة الواسعة من الفضاء مع شرف جوهرها وشرف جوهر تلك الاجرام وطيب نسيم تلك الاماكن فارغة خالية لم يجعل فيها أهلا وسكاناً وخلائق تليق بها وهكذا لم يترك البحار الاجاج الامواه حتى خلق فى قرارها الزاخرة أجناساً من الحيوانات وأنواعاً من الاسماك

(1) الزط : جيل من الناس يظن أن أصلهم من بلاد الهند ، وهم المعروفون في بلاد الشام بالنور بفتح الواو وقبلها نون مشددة مفتوحة وفي أوربا بالبوهيميين والواحد زطى بزاي مضمومة وطاء وياء مشددتين

والحيتان . وهكذا جوهر الهواء الرقيق لم يتركه فارغا بل خلق فيه أجناساً من الطيور تسبح كما يسبح السمك فى الماء . وكذلك هذه البراري اليابسة الجافة لم يتركها خاوية حتى جعل فيها أجناسا من الوحوش والسباع والانعام ، وكذلك فى الآجام والآكام ورءوس الجبال وبطون الأودية وشطوط الأنهار حتى خلق في لب النبات وفى ثمر الشجر فى جوف الحب حيوانات مختلفة الصور والاشكال

واعلم أن صور هذه الحيوانات مع اختلاف أشكالها وسائر هيئاتها مثالات وأشباح لتلك الصور التى في عالم الافلاك غير أن هذه في هيولى جسمانية وتلك في جواهر روحانية ، ومانسبة هذه الخلائق التى في عالم الكون والفساد وأحوالها بالاضافة الى تلك الخلائق التى فى عالم الافلاك وأحوالها ، إلا كنسبة الصور المنقوشة على وجوه الحيطان وأبواب الحمامات بالاصباغ المختلفة ، وكما أن تلك الصور مثل وأشباح للدواب المتحركة والحيوان الحساس وأن تلك الصورة ميتة وهذه حية ، كذلك تلك الخلائق روحانية وهذه جسمانية ، وتلك شفافة وهذه مظلمة ، وتلك باقية وهذه فانية ، وتلك صافية وهذه كدرة ، وتلك نورانية وهذه ظلمانية ، وتلك حافظة وهذه فاسدة . قال الملك : لم أخرج آدم وزوجته وذريته من الجنة هناك واهبطوا إلى الارض ؟ قال الجناية كانت منهما ! قال فحدثني كيف كانت القصة ؟ قال هي سر خفي لا يجوز كشفها ولكن أضرب لك مثلا تفهمه ؟ ألا ترى أيها الملك إلى عبدك الفلاني الذى ربيته صغيراً ثم لما نشأ ونما أدبته وعلمته كثيراً فلما كبر اصطفيته وفضلته وشرفته ثم وليته بعض مملكتك وجعلته خليفة فى بعض بلادك وأمرت بطاعته أكثر عبيدك ورعيتك ومنحته اكثر نعمك ونهيته عن معصيتك تخالفك وترك وصيتك وارتكب نهيك كيف حططت من مرتبته وكيف تكشفت عورته وكيف حبسته فى حبسك هو ومن ساعده على ذلك ؟ ؟ ثم انظر كيف رضيت عنه لما ندم وتاب ورجع هو ومن معه وكيف رددته إلى حالته الاولى وكيف صددت من لم يعرف ولم يرجع ؟ ؟ فهكذا قياس آدم وأبليس وذريتهما . فقال الملك : أكل ذرية آدم جنوا وعصوا ؟

قال لا ولكن كنا ذرية من بعدهم ، فلما جاءت الانبياء بالرسالة قامت الحجة علينا أن تقول يوم القيامة : « إنا كنا عن هذا غافلين » قال الملك للوزير ما يقول هؤلاء الرسل إذا بلغوا والانبياء إذا أخبروا فى أول دعوتهم للناس وتذكارهم لهم ماقد نسوه وإعلامهم إياهم ماقد جهلوه ؟؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفاً منه فى رسالة النواميس الالهية قال وما يفعلونه فوصف له ما قد ذكرنا طرفا منه في اعتقاد اخوان الصفاء قال : كيف عشرتهم مع أهل دعوتهم وعشرة أهل دعوتهم بعضهم مع بعض ؟؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفا منه في رسالة عشرة إخوان الصفاء بعضهم مع بعض . فقال في ماذا يتميز أهل دعوتهم من غيرهم ؟ ؟ فوصف له ماقد ذكرنا طرفا منه فى رسالة خصال المؤمنين وشرائط الايمان

فقال اخبرنى عن كتب الانبياء باى لغة تكون ؟ قال : بلغة القوم الذين نشأوا فيها وبألفاظ الذين بعثوا اليهم . فقال : فعرفنى معانى الفاظها ؟ قال : يكون منها أخبار القرون الماضية وأحاديث الأمم السالفة وبدء خلق السموات والأرض وكيفية أطباقها ووصف أصناف الخلائق فيها وأخبار ما يأتى فى الزمان المستقبل من حديث الايام وتغييرات الدهور والازمان وفناء عالم الاجسام وكيفية نشء الآخرة والحشر والحساب والميزان والقصاص والجواز على الصراط والنجاة وماشاكلها من الأمر المنتظر فى الزمان المستقبل ، ويكون فيها الاوامر والنواهي والتعليم والتأديب وبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام والفرائض والسنن من الصوم والصلاة والزكاة والقربان وفنون التعبد بالترغيب الى نعيم الجنان والمدح والثناء على أهل الخير والزجر والنهى عن المساوىء والسرقة والجور في الاحكام والوعيد بعذاب النيران بضروب الامثال والاشارات والرموز ، ويكون فيها آيات بينات محكمات للقلوب وأمور متشابهات محيية للعقول . قال : فأخبرني أكل أوامرهم ونواهيهم وتحريمهم وتحليلهم وفرائضهم وسننهم تكون متساوية ؟ قال : لا ! بل مختلفة . قال : لم ذاك ومرسلهم واحد ؟ قال : لانهم أطباء النفوس ومنجموها فمحرماتهم هي حمية النفوس ومحللاتهم أدوية وشربات ، وفنون التعبد

هي المعالجات ، والمداواة كل ذلك بحسبما يعرض للنفوس من الامراض التى هى الآراء الفاسدة والاخلاق الرديئة والعادات الجائرة والجهالات المتراكمة، وكل ذلك بحسب اختلاف طبائع الامم وأهوية البلدان وتغييرات الازمان وموجبات أحكام النجوم ودلائل القرانات — كما بينا في رسالة الأكوار والأدوار .

فصل

وكان مما سأل الفتى ذلك الحكيم أيضاً أن قال له : أخبرني ماذا يرى الحكماء فى حال النفوس بعد مفارقتها الجسد على الشرائط التى ذكرت وصعودها الى ملكوت السماء هل تشتاق هذا الجسد أو تتمنى العود اليه ؟؟ قال الحكيم : ذكروا ان ملكا من الملوك كان له ابن كريم عليه فزوجه بابنة ملك وزفها اليه على أحسن مايكون من الكرامات كما تزف بنات الملوك ، وأصلح للحاشية دعوة سبعة أيام لايعرفون غير الأكل والشرب والغناء والفرح والسرور ، وكان ابن الملك يقعد فى صدر المجلس على سرير له وينظر الى الناس وما هم فيه من الفرح والسرور . فلما مضى من الليل قطعة ونام أكثر الناس قام من مجلسه ليدخل الحجرة للخلوة عند العروس .

فاتفق ليلة أن نام أهل المجلس كلهم من السكر وقام الفتى يمشى فى الدار حتى خرج من باب الدار وجعل فى الشارع ومشى حتى خرج من المدينة فوقع فى الصحراء ولم يدر أين هو !

ثم انه رأى ضوءاً من بعيد فذهب نحوه حتى قرب منه فاذا هو بباب مردود والضوء من داخله ، فدفع الباب فاذا هو بقوم نيام مطروحين يمنة ويسرة وكل واحد ملفوف فى إزار ، فظن أنها حجرة العروس ، وان أولئك النيام جواريها وخدمها فجعل يناديهم فلم يجبه أحد منهم فظن أن ذلك من شدة سكرهم فجعل يلتمس العروس من بينهم حتى وقعت يده على واحدة هى أطراهن ثيابا وأطيبهن ريحاً فظن أنها عروسه فاضطجع معها وعانقها وجعل طول الليل يبوسها ويمتص من ريقها ويتلذذ ولا يرى أن تكون لذة أطيب مما هو فيه !

فلما أصبح وزال سكره نادى بالخادم فلم يجبه أحد وجعل يحرك العروس فلا تجيبه ولا تنتبه .

فلما طال ذلك عليه فتح عينيه فاذا هو في ناووس خرب واذا أولئك النيام كلهم جيف الموتى ، واذا هو بجنب امرأة عجوز قد ماتت منذ قريب وعليها أكفان جدد وحنوط طري واذا الدم والصديد قد سال منها وتلوثت ثيابه وبدنه ووجهه من تلك الدماء والصديد والقاذورات !

فلما رآى ذلك الحال هال وورد عليه أمر مهول فقام مرعوبا وطلب الباب وخرج هاربا متنكراً مخافة أن يراه أحد على تلك الصورة والحال ذاهباً في طلب الماء ليغسل مابه حتى اذا ورد الى نهر نزع ثيابه ليغسلها من ذلك الدم والصديد من القاذورات وهو متفكر في أمر كيف كان خروجه من مجلسه ومنزله ولا يدري أين هو من البلد وما خبر اهله من بعده ؟!!

فما زال كذلك حتى مر به مجتاز في الطريق فلما رآه لم يعرفه ، فقال له ماقصتك ولم انت قاعد في الماء ؟ فاستحى منه ان يعرفه خبره ! فقال زلقت في مزبلة وتلوثت ثيابي وأنا قاعد ههنا منتظر الى أن يتوجه الى أهلى بثياب البسها ، فقال له المجتاز إن الناس فى شغل عنك ! ! فقال : ما الذى أصابهم ؟ قال يقولون إن ابن الملك قد اختطفه الجن البارحة وهم محزونون عليه متوحشون لفقده . فقال له : عندي خبر ابن الملك فهل لك أن تعيرنى ثيابك ودابتك حتى أمر وأبشرهم به والبشارة بينى وبينك نصفان ؟ فدفع الرجل اليه بعض ثيابه وأركبه دابته وأوصله الى دار الملك فدخل الغلام متنكراً من باب الحجرة فلما رأوه فرحوا به وسألوه عن خبره ؟ فقال القصة طويلة أخبركم بها وقتاً آخر عودوا الى ما كنتم عليه فعاد القوم الى السرور والفرح أضعاف ما كانوا عليه . ثم قال الحكيم للفتى : ما تقول وماترى هل ذلك الغلام يريد بعد مانجاه الله تعالى من مبيته تلك الليلة فى الناووس العود اليه ويشتاق الى معانقتها يعنى تلك العجوز الميتة ليلة أخرى ؟ قال الفتى : لا ! قال الحكيم : فهكذا يرى الحكماء حال النفوس بعد مفارقتها

للاجساد وصعودها الى ملكوت السماء أنها لا تشتاق الى هذا الجسد ولا تريد العود اليه بل تأنف من الفكر فيه وتشمئز من فعله وذكره كما اشمأزت نفس الغلام من ذكر مبيته في الناووس تلك الليلة وما عليه من العار عند أبناء الملوك إنعرفوا حديثه

فصل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب ومنهم طائفة من أولاد الاشراف والدهاقين[1] والتجار والتناء[2] ومنهم طائفة من أولاد العلماء والادباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة. من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس . وقد ندبنا لكل طائفة منها أحداً من اخواننا ممن ارتضيناه فى بصيرته ومعارفه لينوب عنا فى خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم وليكون عوناً لاخوانه بالدعاء لهم الى الله سبحانه والى ماجاءت به انبياؤه وما أشارت اليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لاصلاح أمر الدين والدنيا جميعاً . وقداخترناك أيها الأخ الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه لمعاونتهم وارتضيناك لمشاركتهم بما أتاك الله من فضله من العقل والفهم والتمييز وجرية النفس[3] وصفاء جوهرها لتكون مساعداً لهم ومعاضداً لاخوانك لان جوهرك من جوهرهم ونفسك من نفوسهم ، فانظر بعقلك وميز ببصيرتك من ترى من اخوانك وأصدقائك من الكتاب والعمال وأهل العلم والفضل وحملة الدين والأديان ومن تبعهم من حاشيتهم وغلمانهم ممن يمكنك الوصول اليهم بأرفق ما تقدر عليه من اللطف والمداراة

(١) الدهاقين : جمع دهقان بكسر الدال وضمها ، والدهقان حاكم الاقليم المتصرف وحده والكلمة فارسية معربة وقيل الدهقان الداهية الكيس

(٢) التناء جمع تانئ من تنأ تنوءا بالمكان أقام به تانئ والجمع التناء أوالمرابطون

(٣) جريه النفس سهولتها والماء سيلانه وفيضه

بأن نذكر لهم ما ألقيناه اليك من حكمتنا وأسرار علمنا لتنبههم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحييهم بروح الحياة باذن الله تعالى فان الله يؤيدك بنصره ويعينك بقدرته اذا رأى منك الجد والاجتهاد كما وعد أولياءه فقال عز من قائل : « ولينصرن الله من ينصره » وقال تعالى : «فان حزب الله هم الغالبون » . فاذا عرفت منهم أحداً وآنست منهم رشداً عرفنا حاله وما هو بسبيله من أمر دنياه وطلب معاشه وتصرفه في حالاته لكى نعرف ذلك ونعاونه على ما يليق به من المعاونة فان كان ممن يخدم السلاطين ويتصرف في أعمالهم أوصينا اخواننا ممن يكون بحضرة السلاطين والملوك بالنيابة عنه والنصيحة له وحسن الرأي فيه لدى الملوك والسلاطين والوزراء ، وان كان من أبناء التناء والدهاقين والاشراف وأرباب الضياع أوصينا اخواننا ممن يتولى عمل السلطان بصيانته وحسن معاونته في ملته وكف الأذية عنه وقبض أيدي الظالمين عن البسط اليه وان كان من أبناء أصحاب النعم وأرباب الاموال عاوناه بحسب ذلك ، وان كان من الفقراء المحتاجين واسيناه مما أتانا الله من فضله ، وان كان ممن يرغب في العلم والحكمة والادب وأمر الدين وطلب الآخرة علمناه مما علمنا الله عز وجل وألقينا اليه من حكمتنا وأطلعناه على أسرارنا بحسب ما يحتمل عقله ويتسع له نفسه وتتوق اليه همته ان شاء الله عز وجل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أنا لا نكتم أسرارنا عن الناس. خوفاً من سطوة الملوك ذوي السلطنة الارضية ولا حذراً من شغب جمهور العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا كما أوصى المسيح (ع م) فقال : « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »

واعلم أيها الأخ أنا لانحسد ملوك الارضين ولا نتنافس فى مراتب أبناء الدنيا لكن نطلب الملك السماوي ومراتب الملائكة الذين هم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، لان جوهرنا جوهر سماوي وعالمنا عالم علوى ونحن هاهنا أسرى غرباء فى أسر الطبيعة غرقى فى بحر الهيولى بجناية كانت من أبينا آدم الاول حين خدعه

عدوه اللعين اذ قال : «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى» «فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما» وقيل لهم «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» يعني أنتما وذريتكما «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» وقال : «فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون»

واعلم أيها الاخ أنه كما أن المعاونة تكون بقوة الاجسام على أمور الدنيا من أبلغ مايكون لابناء الدنيا فيما يريدون وأسهلها عليهم فيما يقصدون ، وهكذا نرى أن المعاونة بين اخواننا بالعلوم والمعارف على أمر الدين وطلب الآخرة من أبلغ ما يقصدون وأسهلها عليهم فيما يريدون .

واعلم أننا لانستعين بأحد من إخواننا على أمر الدين قبل أن نبذل له من المعاونة على أمر الدنيا فان كان مستغنياً عن معاونتنا فذلك الذي نريده وإن كان محتاجاً إلينا فذلك الذي نريدمنه ، حتى إذا كفيناه مايهمه من أمور دنياه وأفرغ لنا قلبه وأجمع لنا رأيه واستغنى عن ذلك بقوة نفسه وتمييز عقله وصفاء جوهره فان كان عنده علم ليس عندنا تعلمنا منه تعلم صبيان الكتاب واستمعنامنه استماع المنصتين لخطبة الخطيب يوم الجمعة ، فان كان حقاً مايقول اتبعناه اتباع المأموم الامام وإن كان يرغب فيما لدينا من العلم علمناه بحسب رغبته وطلبته

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ أنا لانعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب ولانهجر كتاباً من كتب الحكماء والفلاسفة مما وضعوه وألفوه في فنون العلم وماااستخرجوه بعقولهم وتفحصهم من لطيف المعاني

وأما معتمدنا ومعولنا وبناء أمرنا فعلى كتب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وماجاؤا به من التنزيل وما ألقت إليهم الملائكة من الأنباء والالهام والوحي

واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا كتباً نقرؤها مما شاهدها الناس ولايحسنون قراءتها وهي صورة أشكال الموجودات بماهي عليه الآن من تركيب الأفلاك وأقسام البروج وحركات الكواكب وأمهات الاركان واختلاف

جواهر المعادن وفنون أشكال النبات وعجائب هياكل الحيوانات ولنا كتاب آخر لايشاركنا فيه غيرنا ولايفهمه سوانا : وهو معرفة جواهر النفوس ومراتب مقاماتها واستيلاء بعضها على بعض وافتنان قواها وتأثيرات أفعالها في الاجسام من الأفلاك والكواكب والأركان والمعادن والنبات والحيوانات وطبقات الناس من الانبياء والحكماء والملوك وأتباعهم والسوقة وأعوانهم ، فان نشطت أيها الأخ البار الرحيم الى قراءة هذه الكتب أنت واخوانك لتعلم مافيها وتفهم معانيها وتعرف أسرارها فهلم الى حضور مجلس إخوان لك فضلاء وأصدقاء لك كرام تسمع أقاويلهم وترى شمائلهم وتعرف سيرتهم لعلك تتخلق بأخلاقهم وتتهذب بآدابهم فتنتبه نفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وينشرح صدرك ويصفو ذهنك وتفتح عين البصيرة من قلبك فترى ماقدأبصروه بعيون قلوبهم وتشاهد ماقد عاينوه بصفاء جواهر نفوسهم وتنظر الى مانظروا اليه بنور عقولهم وتفهم معاني هذه الكتب الاربعة كما فهموها وتؤيد بروح الحياة وتعيش عيش العلماء وتحيا حياة الشهداء وتوفق للصعود الى ملكوت السماء وتنظر الى الملأ الاعلى الـ «حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» .

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لايحسن بنا أن ندعي معرفة حقائق هذه الاشياء ونحن لانعرف أنفسنا لأن مثل من يدعي معرفة حقائق الاشياء ولايعرف نفسه كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمن يكسو غيره وهو عريان وكمن يداوي الناس وهو عليل وكمن يهدي الناس الى الطريق وهو لايعرف طريق بيته ، فقد علم أن الانسان في مثل هذه الأشياء ينبغي له أن يبتدىء أولا بنفسه ثم بغيره

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن كل واحد منا هو مركب ومؤلف من جوهرين متباينين متضادين : أحدهما هو هذا الجسد

الغليظ المحسوس المؤلف من اللحم والدم والعظم والجلد والعصب والعروق وما يشاكل ذلك ، وهذه كلها أجسام أرضية ميتة مظلمة فاسدة . وأما الجوهر الآخر فهو هذا الروح اللطيف أعنى النفس فهى جوهرة سمائية روحانية نورانية علامة دراكة صور الأشياء .

واعلم أن هذا الجسد لهذه النفس في المثال بمنزلة دار تسكن أو دابة تركب أو آلة تستعمل ومادامت هذه النفس مع هذا الجسد مربوطة به الى الوقت المعلوم فلابد لنا من النظر فيما تصلح به معيشة الحياة الدنيا وماتنال به النجاة والفوز في الآخرة

واعلم أن هذين الأمرين لايجتمعان ولايتمان الا بالمعاونة والمعاونة لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر من ذلك ، وليس شيء أبلغ على المعاونة من أن تجتمع قوى الاجساد المتفرقة وتصير قوة واحدة وتتفق تدابير النفوس المؤتلفة وتصير تدبيراً واحداً حتى تكون كلها كأنها جسد واحد ونفس واحدة ، فعند ذلك تغلب كل من رام غلبتها وتقهر كل من خالفها وضادها .

فهلم بنا يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه لنجتمع ونتعاون على ذلك .

وينبغى أن تعلم أيها الأخ أنه لايجتمع اثنان على أمر من الأمور الا ولاجتماعهما علة تجمعهما وسبب يحفظهما على تلك الحال فما دامت تلك العلة باقية وذلك السبب ثابتاً دامت لهما تلك الحال ، وان بطلت تلك العلة وانقطع ذلك السبب تفرقا بعد اجتماعهما وتنافرا بعد إلفهما .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه ليس من جماعة يجتمعون على تعاون في أمر من أمور الدنيا والآخرة أشد نصيحة بعضهم لبعض من تعاون اخوان الصفاء ! وينبغى أن تعلم أن العلة التى تجمع بين اخوان الصفاء هى أن يرى ويعلم كل واحد منهم أنه لايتم له مايريد من صلاح معيشة الدنيا ونيل الفوز والنجاة فى الآخرة الا بمعاونة كل واحد منهم لصاحبه . وأما

السبب الذي يحفظهم على تلك الحال فهو المحبة والرحمة والشفقة والرفق من كل واحد منهم والمساواة فيما يريد ويحب ويبغض ويكره لنفسه

واعلم أن هذه الشرائط تتم وتدوم اذا علم كل واحد منهم بان أنفسهم نفس واحدة وان كانت اجسادهم متفرقة .

واعلم أيها الأخ أن أكثر الناس يريدون ويتمنون أن تكون بينهم صلة وصداقة وأخوة لا تكدرها تصاريف الزمان ولكنهم لا يعرفون ما العلة المانعة لهم عن ذلك وما السبب الموجب لكونها .

فينبغي أن تعلم أيها الاخ أن المانع للناس أن يكونوا أصدقاء والمانع للاصدقاء أن يكونوا اخوانا أصفياء على ما يقتضيه العقل هو إما علة غير موجودة ، وإما سبب غير مفقود .

فان كانت علة غير موجودة فما هى لنطلبها ؟ وان كان سبباً غير مفقود فما هو لنقطعه ونزيله ؟

وينبغي أن تعلم أيها الاخ أن المانع من ذلك هو أسباب موجودة نحتاج أن نقلع عن تلك الاسباب حسب لاغير . وهي أربعة أجناس : أحدها سوء أعمالهم والثاني فساد آرائهم ، والثالث رداءة أخلاقهم ؛ والرابع تراكم جهالاتهم .

واعلم أن سوء أعمالهم يكون بحسب آرائهم الفاسدة التى اعتقدوها قبل بحثهم حقائق الاشياء ، وأن آراءهم الفاسدة استحكمت فى ضمائرهم بحسب أخلاقهم الرديئة التى اعتادوها منذ الصبا ، وأن أخلاقهم انطبعت في نفوسهم بحسب جهالتهم المتراكمة التى غشيتهم في أول الامر .

فينبغي لنا أيها الاخ أن نعلم أنه اذا أردنا أن نكون اخواناً أصفياء أن نبتدىء أولا بالكشف عن الجهالات المتراكمة التى غشيتنا من أول الامر اذ هي الاصل فى الشرور .

واعلم أن الجهالات التي غشيتنا المانعة لنا من الصداقة وصفوة الاخوة هى أربع جهالات : احداها أنهم لايعرفون ماالفرق بين النفس والجسد ، والثانية

أنهم لا يدركون كيف رباط النفس بالجسد ، والثالثة أنهم لا يدرون لم ربطت بالجسد ، والرابع أنهم لا يدرون كيف تنبعث النفس من الجسد ! فلا جرم أن النفس مالم تنبعث من الجسد فلا تعرف الفوز والنجاة والخلود فى النعيم مخلدة فى الجحيم في عذاب أليم .

وينبغى لنا أيها الاخ بعد اجتماعنا على الشرائط التى تقدمت من صفوة الاخوان أن نتعاون ونجمع قوة أجسادنا ونجعلها قوة واحدة ونرتب تدبير نفوسنا تدبيراً واحداً ونبنى مدينة فاضلة روحانية ، ويكون بناء هذه المدينة في مملكة صاحب الناموس الأكبر الذى يملك النفوس والأجساد ، لأن من ملك النفوس ملك الأجساد ومن لم يملك النفوس لم يملك الأجساد .

وينبغي أن يكون أهل هذه المدينة قوما أخياراً حكماء فضلاء مستبصرين بأمور النفوس وحالاتها وما يتبع ذلك من أمور الاجساد وحالاتها .

وينبغي أن يكون لأهل المدينة سيرة جميلة كريمة حسنة يتعاملون بها فيما بينهم ، وأن يكون لهم سيرة أخرى يعاملون بها أهل المدن الجائرة ، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة في الأرض حيث تكون أخلاق أهل سائر المدن الجائرة . ولا ينبغي أيضاً ان يكون بناؤها على وجه الماء لانه يصيبها من الأمواج والاضطراب ما يصيب أهل المدن التى على السواحل من البحار ، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة فى الهواء مرتفعاً لكيلا يصعد اليها دخان المدن الجائرة فتكدر أهويتها ، وينبغي أن تكون مشرفة على سائر المدن ليكون أهلها يشاهدون حالات أهل سائر المدن فى دائم الاوقات ، وينبغي أن يكون أساس هذه المدينة على تقوى الله كيلا ينهار بناؤها ، وأن يشيد بناؤها على الصدق فى الاقاويل والتصديق في الضمائر ، وتتم أركانها على الوفاء والامانة كيما يدوم ويكون كمالها على الغرض في الغاية القصوى التى هي الخلود في النعيم .

فاذا فرغنا من بنائها بنينا المركب الذي هو سفينة النجاة حتى تكون السفينة مستقلة بثقل الاجساد وتكون المدينة مأوى الارواح .

وينبغي أن يكون تعاون أهل المدينة مرتباً أربع مراتب : احداها مرتبة أرباب الاركان الاربعة ذوى الصنائع ، والثانية مرتبة ذوى الرياسات ، والثالثة مرتبة الملوك ذوي الامر والنهي ، والرابعة مرتبة الالهيين ذوى المشيئة والارادة.

وينبغي أن يكون تدبير ذوي الصنائع يجرى في المرؤوسين كسريان الضوء في الهواء وكسريان القوة النامية فى الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، ويكوز سريان سياسة ذوى الرياسات يسرى في أرباب ذوي الصنائع(١) كسريان الالوان في الضياء أو كسريان القوة الحيوانية في القوة النامية ، ويكون نفاذ أمر الملوك ذوى السلطان يسري في الرؤساء ذوي السياسة كسريان القوة الباصرة فى ادراك الالوان ، وكسريان القوة الناطقة فى القوة الحيوانية ، ويكون سريان مشيئة الالهيين ذوى الارادة يسرى في الملوك ذوى السلطان كسريان العقل في المعقولات ، أو كسريان القوة الملكية فى القوة الناطقة .

فاذا انتظم أمر المدينة على هذه الشرائط فهي السيرة الكريمة الحسنة التى يتعامل بها أهل المدينة فيما بينهم .

فصل

واعلم أيها الأخ علماً يقيناً أن هذه المدينة مفروغ من بنائها على هذا الوصف ولكن لا يمكن أحد أن يدخل مدينتنا هذه متى لم يكن علمه مساويا لعلمنا ، لان حولها أربعة أسوار مبنية من جهالات الناس ، مابين كل سورين خندق من سوء أعمالهم وفساد آرائهم ورداءة أخلاقهم — وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم، فمن عزم على دخولها فعليه بعلم النفس ومعرفة جوهرها فانه أولى بأن يستفتح من مدينتنا.

وقد بينا كل مايحتاج اخواننا أيدهم الله اليه من هذا العلم في احدى وخمسين رسالة فانظر فيها أيها الأخ إن لم يكن يستوي لك الحضور في مجلسنا، واعرضها

(١) كذا في الاصل

على اخوانك الذين ترتضيهم وتأنس منهم الرشد والسداد فلعلكم توفقون لفهم معاني ماذكرنا فيها من معاني فنون العلم وغرائب الحكم وترشدون الى العمل بما يقربكم إلى الله زلفى وينجيكم من نار جهنم : عالم الكون والفساد، وتهتدون للصعود الى ملكوت السماء عالم الافلاك والدخول في زمرة الملائكة الذين يحملون العرش ويسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآيات إلى قوله وذلك الفوز العظيم .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أن قوة نفوس اخواننا في هذا الامر الذي نشير اليه ونحث عليه على أربع مراتب : أولها صفاء جواهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور وهي مرتبة أرباب ذوي (١) الصنائع في مدينتنا التي ذكرناها في الرسالة الثانية وهي القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد ، وإلى هذا أشار بقوله : « فاذا بلغ الاطفال منكم الحلم » وهم الذين نسميهم في رسائلنا اخواننا الابرار الرحماء .

وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسة وهي مراعاة الاخوان وسخاء النفس واعطاء الفيض بالشفقة والرحمة والتحنن على الاخوان ، وهي القوة الحكمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد . واليه أشار بقوله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وهم الذين نسميهم في رسائلنا إخواننا الاخيار الفضلاء .

والمرتبة الثالثة فوق هذه وهي مرتبة الملوك ذوي السلطان والامر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الامر بالرفق واللطف والمداراة في اصلاحه ، وهي القوة الناموسية الواردة على النفس بعد مولد الجسد باربعين سنة ، واليها أشار بقوله تعالى : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن

(١) كذا في الاصل ويلاحظ أن ارباب الصنايع وذوى الصنايع تكرار سخيف لامعنى له

أعمل صالحاً ترضاه » الآية ، وهم الذين نسميهم في رسائلنا اخواننا الفضلاء الكرام .

والرابعة فوق هذه وهي التي ندعو اليها اخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً وهي القوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد وهي الممهدة للمعاد والمقربة بمفارقة الهيولى وعليها ترد قوة المعراج وبها تصعد الى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والحشر والنشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام .

والى هذه المرتبة أشار بقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية » الآية .

واليها أشار ابراهيم عليه السلام « واجعلني من ورثة جنة النعيم »

واليها أشار بقوله يوسف عليه السلام « رب قد آتيتني من الملك » الآية .

واليها أشار بقوله المسيح عليه السلام للحواريين : « اني اذا فارقت جسدي وهو هذا الهيكل فأنا واقف في الهواء عن يمين العرش بين يدي الحق أبي وأبيكم استشفع لكم فاذهبوا الى الملوك في الاطراف وادعوهم الى الله عزوجل ولا تهابوهم فاني معكم حيث ماذهبتم بالنصر والتأييد لكم » .

واليها أشار محمد ﷺ « انكم تردون غداً » . واحاديث مروية كلها مشهورة عند أصحاب الحديث .

واليها أشار سقراط بقوله يوم سقي السم : اني وان كنت أفارقكم اخواناً فضلاء فاني ذاهب الى اخوان كرام قد تقدمونا في حديث طويل .

واليها أشار فيثاغورث في الرسالة الذهبية في آخرها : « انك ان فعلت ماأوصيك فانك عند مفارقة الجسد تبقى في الهواء » .

واليها أشار بلوهر حين قال : « ان الملك قال لوزيره : ومن أهل هذه المقالة؟ قال : هم الذين يعرفون ملكوت السماء » في حديث طويل .

واليها ندعو اخواننا جميعاً والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وآيات كثيرة في هذا المعنى وهى كل آية فيها صفة الجنان وأهلها ونعيمها

فصل

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن المطلوب من المدعوين الى هذا الامر أربعة أحوال : أولها الاقرار باللسان ، والثاني التصور لهذا الامر بضروب الامثال للوضوح والبيان ، والثالث التصديق له بالضمير والاعتقاد ، والرابع التحقيق له بالاجتهاد فى الاعمال المشاكلة لهذا الامر.

وأعلم أن المقر باللسان غير متصور له يكون مقلداً ، والمتصور له غير المصدق به يكون شاكا متحيراً ، والمصدق به غير المحقق له بالاجتهاد في العمل المشاكل لهذا الامر يكون مقصراً ومفرطاً ، والمكذب باللسان لهذا الامر المنكر له بقلبه يكون جاحداً كافراً ، كما قال الله تعالى : « الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون »

واعلم أن المقر بهذا الامر بلسانه المتصور له بقلبه على حقيقة يجد من نفسه أربع خصال لم يكن يعرفها قبل : إحداها قوة النفس بالنهوض من الجسد ، والثانية النشاط في طلب الخلاص من الهيولى التى هى جهنم النفس ، والثالثة الرجاء والامل للفوز والنجاة عند مفارقة النفس الجسد ، والرابعة الثقة بالله واليقين بتمام هذا الامر وكماله

فصل

واعلم أن كل مقر بهذا القرآن وبكتب الانبياء عليهم السلام وأخبارهم عن الغيب فانهم فى ذلك على أربع منازل : إما مقر بلسانه غير مصدق بقلبه ، أو مقر بلسانه ومصدق بقلبه غير عارف بمعانيه وبيانه ، أو مصدق ومقر ومتيقن عارف ولكن غير قائم بواجب حقه .

فالمقر بلسانه غير المصدق بقلبه هو الذي قد رزق من الفهم والتمييز قليلا ،

فاذا فكر بقلبه وميز ببصيرته مايدل عليه ظاهر ألفاظ الكتب النبوية لا يقبله عقله أنه لا يتصور معانيها اللطيفة واشاراتها الخفية فينكرها بقلبه ويشك فيها .

وأما من أقر بلسانه وصدق بقلبه فهو الذى يتفكر ويعلم أن مثل هذا الامر الجليل الذي قد اتفقت على حقيقته الانبياء والأئمة المهديون والخلفاء الراشدون وصالحو المؤمنين ، وأقر به فضلاء الناس والمميزون والمستبصرون لا يجوز أن يكون لا حقيقة له ، ولكن فهمه وتمييزه وعقله يقصر عن ادراكه وتصوره لها بحقائقها .

وأما من عرف بيانه ولكن قصر عن القيام بواجبه وهو الذى وفقه الله وأرشده وهداه فاهتدى لحقائق هذه الاسرار المذكورة في كتب الانبياء صلوات الله عليهم ولكنه لا يجد المعين له على القيام بنصرتها وواجب حقها ، لانه واحد وليس كل أمر يتم بواحد من الناس ، بل ربما يحتاج فيها الى الجم العظيم ، وخاصة أمر الناموس ، وأقل مايحتاج فيه الى أربعين خصلة تجتمع في أحد من الاشخاص أو أربعين شخصاً مؤتلفي القلوب

فصل

في خطاب المتفلسفين الشاكين في أمر الشريعة الغافلين عن أسرار الكتب النبوية

قد فهمنا أيها الاخ الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ماذكرته مما جرى بينك وبين أخ من اخواننا من المذاكرة والبحث عن مبادىء الموجودات وعلل الكائنات وما شكوت من صعوبة انقياده اليه من صفوة الاخوة والمعاونة على نصرة الاديان النبوية وما وصفت من شدة استغراقه في الآراء الفلسفية واعراضه عن معرفة أسرار الكتب الالهية وتفاسير التنزيلات النبوية ومعاني موضوعات الشرائع الناموسية وما تتضمنه من المنافع الجليلة والأغراض البعيدة للنفوس المستبصرة من الدلالة لها على الارتقاء الى المراتب العالية والخلاص من نيران

الهاوية ، وما ذكرت من اعتماده في البصائر والمعارف على مايدركه عقله وتمييزه وبصيرته ويؤدي اليه اجتهاده ، وما قلت من تعلقه بأقاويل الفلاسفة في آرائهم المختلفة وقياساتهم المتناقضة على أصول لهم متغايرة .

فاصبر عليه أيها الاخ وداره بالرفق وذاكره بهـذه الرسالة فلعله يتقرر في نفسه ماتدعوه اليه ويتصور في عقله ما تشير اليه من الاسرار المصونة المكونة التي لا يمسها الا المطهرون : فقل له اخبرنا أيها الاخ أمقر أنت بما جاءت به الانبياء عليهم السلام في تنزيلاتهم من أخبار الملائكة وقصة ابليس والجان وحـديث آدم وبدء خلقه وسجود الملائكة له وأخذ الميثاق على ذريته وما شاكل ذلك من حديث القيامة والبعث والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النار والثواب والفوز والجنة ونعيمها وأشباهها مما هو مذكور في التوراة والانجيل والفرقان وغيرها من صحف الانبياء عليهم السلام أم جاحد بها ؟

فان كنت مقراً بها أو ببعضها فأخبرنا أمصدق متيقن بحقائقها أم شاك متحير في معانيها ؟

فان كنت مصدقا متيقناً فأخبرنا أعالم أنت عارف بها أو غافل ساه عنها ؟ فان كنت عارفا عالماً بها فأخبرنا عن الجنة والنار وهل هما موجودان في وقتنا هذا أم غير موجودين ؟ فان كانا موجودين فقل لنا أين هما وصف لنا كيفيتهما ؟ وان قلت انهما غير موجودين فما معنى قوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » ؟ وما معنى قوله : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » ؟ وما معنى قول النبي « إن أرواح الشهداء في الجنة » وما معنى المعراج ورؤية النبي ﷺ لرضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران ؟ وما معنى قول النبي ﷺ « حرام على كل نفس أن تموت أو ترى مقعدها في الجنة أو النار » ؟ وما معنى قوله من مات فقـد قامت قيامته ؟ وما معنى قوله تعالى : « وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » ؟ الآية . وما معنى قوله : « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ؟ وما معنى قوله « وأما الذين سـعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض » ؟ الآية وما معنى قوله : « قال

الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث » الآية ، وقوله : انما لبثتم إلا قليلا . وماشاكل هـذه المسائل لو سألناك لطال عليك الخطاب

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أن لكل مذهب وأهله رأيا ينفردون به عن غيرهم وعلماء وفقهاء يتدارسونه فيما بينهم ، وأن من رأى اخواننا أيدهم الله أن هذه الأشياء كلها موجودة منذ خلق الله السموات والارض ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهم ينتظرون كونها في الزمان المستقبل وهم أهل التقليد الذين هم من أمر الدين على العمى .

وأما أهل البصيرة الذين هم من أمر الدين على بيان ويقين ومعرفة فهم ينتظرون بها انتظار الكشف والبيان كما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة المعراج.

وقد بينا في رسائلنا هذه المعاني فان كنت تعرف منها أيها الأخ فبين لنا علم هذا على أصل تعرفه على قياس واحد لا يجب أن تعدل عنه اذا سألناك ولا تقلد أقاويل الفلاسفة المختلفي الآراء المتناقضي الأقاويل .

فقد روي انه ذكر في مجلس النبي ﷺ أرسطاطاليس فقال النبي عليه السلام « لو عاش حتى يعرف ماجئت به لاتبعني على ديني »

فينبغي لمن هو متزي بزي المسلمين ومعتصم بعروة الاسلام منسوب الى أمة محمد ﷺ مقر بما جاء به من التنزيل وما في تنزيله من أخبار أمور قد مضت مع الزمان الماضي : مثل بدء كون العالم وخلق السموات والارض وحديث آدم وقصة ابليس وعصيانه وسجود الملائكة وطاعتهم وأخذ الميثاق على ذرية آدم وماشاكل ذلك من نظائره مما هو موجود في التوراة والانجيل وصحف الانبياء الأولين وإنذارهم أممهم بامر القيامة وأخبار البعث والنشور والحشر والحساب والميزان

والقصاص والجواز على الصراط والنجاة من النار والفوز بالجنة ونعيم أهلها والنار وأليم عذابها وما شاكل ذلك من الامور المنتظرة في الزمان المستقبل — وقد دعينا الى الاقرار بها والاستعداد لها فمن أعرض عنها كلها حتى لا يعرف من حقائقها حرفا واحداً غير الاقرار باللسان مع حيرة فى نفسه وشكوك فى ، قلبه ومع هذه كلها يدعي معرفة أسرار الكتب الفلسفية ، ورموزات الفلاسفة وتدقيق المعانى التى فيها مع كثرة اختلافاتهم ومناقضات بعضهم لبعض مع حيرة أتباعهم فيها ، ولا ينظرو ولا يتفكر أن الانبياء كلهم ، مع تباعد الازمان فيما بينهم ومع اختلافات لغاتهم وموضوعات شرائعهم وافتنان سننهم ، كيف هم متفقون على رأى واحد ودين واحد ومقصد واحد فيما يشيرون اليه في دعوتهم الأمم الى أمر الآخرة وأحوال القيامة وجزاء الاعمال فيها ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً

وقد بينا في الرسالة الثالثة الرأى الذي يتفقون عليه : أعنى الأنبياء كلهم وهى اثنتا عشرة خصلة هي العمدة والاصل فيما يدعون اليه من الدين وان اختلفت شرائعهم وسننهم ، كما ذكر الله تعالى فقال : « وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقال : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله » الآية .

فدين الانبياء دين واحد ومسلكهم جميعاً مسلك واحد ومقصدهم مقصد واحد وغرض واحد وان اختلفت شرائعهم صلوات الله عليهم.

وأما الفلاسفة فليست شريعتهم واحدة ولا دينهم واحد فكيف يرضى العاقل عن أسرار كتب الفلاسفة مع اختلافهم ويعرض عن البحث وعن معرفة أسرار كتب الانبياء عليهم السلام مع اتفاقها ؟

واعلم أيها الاخ انه انما ذهب على أكثر المتفلسفين والباحثين عن حقائق الاشياء معرفة كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتركهم البحث عنها واعراضهم عن النظر فيها ولقصور فهمهم عن تصورها لانها مأخوذة عن الملائكة الذين هم في الملأ الاعلى وأهل السموات وسكان الافلاك .

فصل

في خطاب الشاكين فى أمر النفس المتحيرين في اختلاف أقاويل العلماء فيها

وقد علمنا أيها الأخ ما ذكرت مما جرى بينك وبين شيخ من مشايخنا من المذاكرة في أمر النفس وماهية جوهرها وكيفية وجودها وأين مكانها من الجسد؟ وما علة رباطها معه وكيف تكون مفارقتها للجسد ، والذي أنكره من معرفة جوهرها بقوله : هذا علم لا يمكن أن يعلم !! واحتج بقول جالينوس إذ يقول : « إني لا أدري ما جوهر النفس » وقوله : « إذ لست أعلم من جالينوس ؟ » والذي نسألك أيها الاخ أن تتفضل وتتلقاه وتقرأ عليه السلام وتعرف شدة شوقنا اليه ومطالعتنا وتشوقنا الى معرفة أخباره أطالها الله ورغبتنا في مشاهدته ومجاورته وتبلغه عنا ما ألقينا اليك من الجواب فيما سألناك ، وهو أن تقول له : هل يتفضل سيدنا الشيخ ويعيننا بجودة رأيه وقوة نفسه وصفاء جوهره ويفرغ لنا قلبه ساعة ويجمع لنا همته ولا يشغل أفكارنا بالشبهة التي يوردها علينا من اقاويل الفلاسفة واختلاف آرائهم وروايات العلماء وأسانيدهم وتشبيهات الشعراء وترتيباتهم وأحاديث العوام وتشغيباتهم ، وينصفنا في القول ويناصحنا في الضمير ويجعل الحاكم بيننا وبينه العقل الذى قد رضينا بحكمه وموجبات قضاياه ؟ ؟ فانا اذا سألناه أو سأل هو واحداً منا فقال له : ما أنت وما حقيقتك؟ ومن هذا الذى هو يكلمني ويسمع مني ويفهمني ويستفهم مني ؟ أفترى ترضى منا الجواب بأن نقول :

انه هو الجسد الذي ترى المحسوس المؤلف من اللحم والدم والعظام والعصب وما شاكلها ، المبنى كأنه منارة رهبان اذا وقع لا يمكنه أن يقوم وان ترك فلا يمكنه أن يتحرك ، واذا نام لا يحسب أنه موجود ، وان انتبه فلا يدري أين كان فجائز في العقل أن من هذا حاله يستحق أن يسأل عن خفيات الامور مع

المحسوسات والمعقولات وماغاب عن الحواس بالمكان وما مضى كونه مع الزمان ومايكون في المستقبل من الكائنات أو يستاهل أن يسمع منه قوله اذا أخبرعن تركيب الافلاك ونظامها واقسام البروج وأوصافهاوحركات الكواكب ومجاريها وعن أركان الامهات وطبائعها واختلاف جواهر المعادن وخواصها وفنون أشكال النبات ومنافعها وعجائب هيا كل الحيوانات واختلاف أخلاقها وأصواتها ؟! فياعجباً ممن يظن أن هذه الاشياء كلها يعلمها هذا الجسد الجاهل المؤلف ؟! أو يرى ان هذا المخبر عن هذه الاشياء هذا الجسم الطويل العريض العميق الاعمى الاصم الاخرس الذي لايحس ذاته ولايشعر بوجود نفسه ؟! فكيف يجوز أن يعلم هذه الاشياء العجيبة النائية عن ذاته الغائبة عن حواسه وهو لايعلم ذاته ولايحس بوجود نفسه ؟! هيهات بعد الصواب من ظن أن هذه العلوم يعلمها هذا الجسد المؤلف من اللحم المستحيل الفاسد

واعلم أيها الأخ أن الانسان الباحث عن أمر النفس الطالب معرفة جوهرها لو أنه أنصف عقله ورجع الى حكمه وقبل قضاياه وفكر في نفسه وتأمل بتمييزه وتصفح حالات جسده من القيام والقعود والحركة والسكون والنوم واليقظة والحياة والممات لاستبان له أن مع هذا الجسد جوهراً آخر هو أشرف منه ، وأن هذا الجسد بالنسبة اليه ماهو الا كدار مبنية فيها ساكن أو كدكان فيه صانع أو كسفينة فيها ملاح أو كدابة عليها راكب أو كقميص ملبوس أو كلوح في يد صبي في المكتب أو كمدينة فيها ملك

وبالجملة ينبغي لمن أراد أن يعرف النفس قبل معرفتها أن يبحث عن أمرها ويطلب علمها بسبعة مباحث : — أحدها يبحث هل النفس شيء من الاشياء الموجودات أو هذه تسمية فارغة لامعنى تحتها ؟ وقد بينا في رسالة البرهان وجودها . والثاني يبحث هل هي عرض كما بينا في رسالة لنا . والثالث يبحث كم هي أجناس النفوس الموجودات في العالم كما بينا في رسالة قول الحكماء : الانسان عالم كبير . والرابع يبحث كيف يكون رباط النفس مع الجسد كما بينا في رسالة

تركيب الجسد ، والخامس يبحث أين كانت النفس قبل رباطها بالاجساد ـ كما بينا في رسالة مسقط النطفة ، والسادس يبحث عنها اذا فارقت أجسادها أين تكون كما بينا في رسالة البعث والقيامة ، والسابع يبحث ما الغرض في كونها مع الاجساد تارة ومفارقتها تارة ـ كما بينا في رسالة أن الانسان عالم صغير فان رأى الشيخ أن يتأمل وينظر فيها ويتأمل معانيها فعل

فصل

في مهنة النفوس وعشقها للاجسام

واعلم ايها الاخ ان مثل هذه النفس الجزئية مع شرف جوهرها وماهي عليه من غربتها في هذا العالم الجسماني وماقد ابتليت به من آفات هذا الجسد وفساد هيولاه كمثل رجل حكيم في بلد الغربة قد ابتلي بعشق امرأة رعناء فاجرة جاهلة سيئة الاخلاق رديئة الطبع وهي في دائم الاوقات تطالبه بالمأكولات الطيبة والمشروبات اللذيذة والملبوسات الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المردية ، وان ذلك الحكيم من شدة محبته لها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته الى اصلاح امرها واكثر عنايته بتدبير شأنها حتى قد نسي امر نفسه واصلاح شأنه وبلدته التي خرج منها وأقربائه الذين نشأ معهم اولا ونعمته التي كان فيها بدياً

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أن جوهر النفس جوهرة سماوية وعالمها عالم روحاني وهي حية بذاتها غير محتاجة الى الأكل والشرب واللباس والمسكن وما شاكل ذلك مما يحتاج اليه الجسد في قوام وجوده ومادة بقائه ، وأن كل مايحتاج اليه الانسان من أعراض هذه الدنيا انما هو من أجل هذا الجسد المستحيل الفاسد ولاصلاحه وقوامه وجر المنفعة اليه ودفع المضرة عنه الذي لا يثبت على حال واحدة طرفة عين ، وأن النفس ما دامت مع الجسد الى الوقت المعلوم متعوبة بكثرة همومها لاصلاح أمر هذا الجسد وشغلها بشدة عنايتها به فيما تتكلف من الاعمال الشاقة والصنايع المتعبة من اكتساب المال والمتاع والاثاث وما يحتاج

اليه الانسان في طول الحياة الدنيا ، وأن النفس لا راحة لها دون مفارقتها لهذا الجسـد ، كما أن ذلك الرجل الحكيم المبتلى بعشق تلك المرأة الفاجرة الرعناء لا راحة له ممن قد ابتلى بها الا بمفارقتها والتسلي عنها وعن حبها وعشقها

﴿ فصل ﴾

في مهنة النفوس واخراجها من عالم الارواح لجناية كانت منها

اعلم أيها الأخ أن النفس الجزئية لما أهبطت من عالمها الروحاني وأسقطت من مرتبتها العاليـة للجناية ، وغرقت في بحر الهيولى وغاصت في قعر أمواج الاجسام وقيل لها : «انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب» فغرقت في هياكل الاجسام وتفرقت بعد وصلتها وتشتت شمل الفتها — كما ذكر الله عز وجل اسمه بقوله : « اهبطوا منها جميعاً » الآية الى قوله : « ومنها تخرجون » عرض لها عند ذلك من الدهشة والاهوال والمصائب مثل ماعرض لقوم من ركاب البحر لما اشتدت بهم الريح واضطرب بهم البحر وهاجت بهم الامواج وكسر بهم المركب وغرقوا في قعر البحار وغاصـوا في ظلمات الماء وتفرقوا في كل فج عميق من الجزائر والسواحل وبطون الحيتان .

فـكما أن أولئك القوم في الوقت الذي انكسر بهم المركب تراهم بين غائص في الماء أو طاف أو متعلق بخشبة أو بحبل أو يركب بعضهم كتف بعض !! يقول كل واحد : نفسي نفسي ، من شدة الاهوال ، لا يفكر لغيره ولا يريد النجاة الا لنفسه ولايهمه سواها ولا يذكر شيئاً مما كان فيه قبلا فهكذا حال النفوس في هذه الدنيا وكونها مع هذه الاجساد وما ابتليت به من ظلمات هذه الاجساد من هموم المعاش وخوف الجوع وألم العطش وأوجاع الامراض والاسقام وأذية الحر والبرد وفضيحة العري وأحزان النوائب وجل المخاوف وعوارض التلف والحسرات والأسف .

فمن أجل هذه الشدائد والمصائب صارت النفس لا تذكر شيئا مما كانت فيه

من أمر عالمها ومبدئها ومعادها كما قال الله جل ذكره بقوله : « واذا ذكروا لا يذكرون »

واعلم أيها الأخ أن النفس اذا انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وابصرت ذاتها وعرفت جوهرها وأحست بغربتها في عالم الاجسام ومحنتها وغرقها في بحر الهيولى وأسرها بالشهوات الطبيعية وعاينت عالمها واستبان لها فضل نعيمها على اللذات الجسمانية وتنسمت بروح عالمها وريحانها ، اشتاقت إلى هناك ومالت الى السكون في ذلك العالم ومقتت السكون مع الاجساد وزهدت في نعيم الدنيا وتمنت الموت الذي هو مفارقة الجسد والخروج من ظلمة الأجسام فيكون مثلها عند ذلك كمثل قوم خرجوا من الحبس والمطامير مع ضوء الصبح فشاهدوا هذا العالم بما فيه دفعة واحدة .

وأما النفوس غير المستبصرة فمثلها كمثل العميان سواء عندهم ضوء النهار وظلمة الليل .

واعلم ان النفس اذا لم تستبصر ذاتها ولم تعرف جوهرها ومبدأها ومعادها ولم تحس بغربتها وما هي عليه في هذه الدنيا من المحنة والبلوى ما دام يمكنها البحث والاجتهاد في التعلم ولها تمييز وعقل وحواس صحيحة ، ويمكنها الاعتبار والفحص والبيان فلم تجتهد حتى بقيت عمياء الى الممات ، فهي بعد الممات أعمى وأضل سبيلا — كما ذكر الله تعالى : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » أعاذنا الله وإياك أيها الاخ وجميع اخواننا من هذه الصفة إنه ودود رؤوف رحيم

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أنا قد عملنا إحدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحـكم : كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والانموذج ، لـكيما اذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها

وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي ﷺ لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات ، وتبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة فى الآفاق بما في أنفسهم من الآيات لقوم يوقنون ويعلمون أنه الحق من ربهم ولكيما لايحتاجون الى تفسير المخالفين لكتب الانبياء عليهم السلام . وينبغي لاخواننا اذا حضروا المجلس ومعهم أخ مستجيب مستحدث أن يقرأ عليهم هذه الخطبة

اعلموا أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه وهداكم للحق وجعلكم من أتباعه وسهل لكم سبيل الخير وأرشدكم الى معرفة أهله وعصمكم من الشر وجنبكم صحبة أهله وحرسكم من غرور الشيطان ووقاكم جور السلطان ونكبات الزمان ونوائب الحدثان ووفقكم لقبول نصيحة الاخوان انه ودود منان

واعلموا أن كل دولة لها وقت منه تبتديء ولها غاية اليها ترتقي وحد اليه تنتهي واذا بلغت الى أقصى مدي غاياتها ومنتهى نهاياتها أخذت في الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشوم والخذلان واستأنف في الاخرى القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوي هذا ويزيد ويضعف ذلك وينقص، الى أن يضمحل الاول المتقدم ويتمكن الحادث المتأخر . والمثال في ذلك مجاري أحكام الزمان : وذلك أن الزمان كله نصفه نهار مضيء ونصفه ليل مظلم ، وأيضاً نصفه صيف حار ونصفه شتاء بارد وهما يتداولان فى مجيئهما وذهابهما كلما ذهب هذا رجع هذا وتارة يزيد هذا وينقص هذا ، وكلما نقص ذلك من أحدهما زاد في الآخر حتى اذا تناهيا الى غايتهما ابتدأ النقص في الذي تناهى في الزيادة وابتداء الزيادة الذي تناهى فى النقصان . فلا يزالان هكذا وهذا دأبهما الى أن يتساويا في مقداريهما ثم يتجاوزان على حالتيهما الى ان يتناهيا الى غايتيهما من الزيادة والنقصان ، وكلما تناهي أحدهما في الزيادة ظهرت قوته وكثرت افعاله في العالم وخفيت قوة ضده وقلت افعاله .

فهكذا حكم اهل الزمان في دولة الخير ودولة الشر : فتارة تكون القوة

والدولة وظهور الافعال في العالم لاهل الخير ، وتارة تكون القوة والدولة وظهور الأفعال لأهل الشر — كما ذكر الله جل ثناؤه : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » الآية .

وقد ترون أيها الاخوان أيدكم الله وإيانا بروح منه انه قد تناهت قوة اهل الشر وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي فى الزيادة إلا الانحطاط والنقصان .

واعلم ان الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من أمة الى أمة ومن أهل بيت إلى أهل بيت ومن أهل بلد إلى بلد :

واعلموا أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون في بلد ويتفقون على رأى واحد ودين واحد ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقا بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدابيرهم وفيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة ، لايعتقدون سوى رحمة الله ورضوانه عوضاً .

فابشروا أيها الاخوان بما اخبرناكم وثقوا بالله في نصرته لكم إذا بذلتم مجهودكم — كما وعد الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا » «ولينصرن الله من ينصره » « ألا ان حزب الله هم الغالبون . »

فصل

في مخاطبة العمال والكتاب

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أن لنا اخوانا واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين فى البلاد : فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والعمال ، ومنهم طائفة من أولاد الاشراف والدهاقين والتناء والتجار ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والادباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس.

وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخا من اخواننا ممن ارتضينا في بصيرته ومعارفه لينوب عنا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم وليكون عوناً لاخوانه بالدعاء لهم الى الله والى ماجاءت به أنبياؤه عليهم السلام، وإلى ما أشارت اليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لاصلاح أمر الدين والدنيا أجمعين

وقد اخترناك أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه لمعاونتهم وارتضيناك لمشاركتهم لما آتاك الله من فضله من العقل والفهم والتمييز وحرية النفس وصفاء جوهرها لتكون مساعداً لاخوانك ومعاضداً لهم لان جوهرك من جوهرهم ونفسك من نفوسهم وصلاحهم صلاحك،

فامض على بركات الله وحسن توفيقه إلى أخ من اخواننا وتوصل اليه بالرفق على خلوة وفراغ من مجلسه وطيبة من نفسه فاقرأ عليه منا التحية والسلام وبشره بما يسره من نصيحة الاخوان وعرفه شدة شوقنا إلى اخائه ومودته وولايته والله يوفقه وإيانا للسداد ويهديه وإيانا للرشاد ولجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد ٠

ثم اقرأ عليه هذه الخطبة وعرفه معانيها وفهمه مغزاها ومقصدها ،ثم عرفنا مايكون منه من الجواب والله يوفقكما وجميع اخواننا للصواب ، وقل له أخبرنا أيها الأخ عن صاحبك هذا الذى أنت متعلق بخدمته ومجتهد فى طاعته ومعتصم بعز سلطانه : هل تعلم أنه كان فى هذا الامر الذي هو فيه الآن غيره قبله فزال عنه عزه وسلطانه وتفرقت عنه جموعه وأعوانه ؟ وهل تعلم أن هذا الامر الذي هو فيه باق عليه ؟ أو لابد أن يزول عنه يوما ويصير الى غيره كما صار اليه بعد الذي كان قبله ، أو هل تعلم أن من يجيء بعده ويصير مكانه كيف يكون حالك معه ؟

وقد علمت أن هذه الدنيا وأمورها دول ونوب تدور بين أهلها واحداً بعد آخر .

﴿ فصل ﴾

في مخاطبة الملوك والسلاطين

قد اخترناك أيها الأخ لامر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين ونصيحة للاخوان فكن واثقاً بما اخترناك مغتبطاً به وسر على بركة الله وحسن توفيقه متوكلا عليه فى نصرته وتأييده إلى أخ من اخواننا الفضلاء الكرام ، من كرام الناس ، وتلطف في الوصول اليه فى رفق ومداراة حتى تلقاه على خلوة من مجلسه وفراغ من قلبه وطيبة من نفسه وتقرأ عليه التحية والسلام من اخوان له فضلاء وأصدقاء له نصحاء من أولاد العلماء وحملة الدين والفقهاء وأولاد التجار وأرباب الاموال المستبصرين بالعلوم الفلسفية والاحكام الشرعية والآداب الرياضية مثل الهندسة والنجوم والطب والفراسة والتدبير والسياسة ، وتبشره بما القيناه اليك من الاسرار فى شأنه وما يتحقق من المأمول فى أمره من نصرة الدين وفتح البلاد ومايكون على يده من صلاح العباد مما خبرت به دلائل القران ولوحت به شواهد الامتحان ، وتعرض عليه هذه التذكرة ليتأملها ويتفكر فيها وتعرفه أن اخوانه الذين وجهوك اليه من ذلك البلد لما هم عليه من العقل وكرم الاخلاق وحسن الاداب والألفة والاتفاق وما يعتقدون في أمر الدين من جميل الرأى وما يتعاملون في أمر الدنيا من حسن المعاملة . لهم مجلس يجتمعون فيه في الخلوات ويتذاكرون العلوم ويتحاورون فى الاسرار ويبحثون عن خفيات الأمور ، فتذكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الايام وتغييرات الزمان والخطوب والحدثان وماتدل عليه دلائل القران من تغييرات شرائع الدين والملل وتنقل الملك والدول من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت ، فاجتمع رأيهم واتفقت كلمتهم على أنه لابد من كائن في العالم قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا وهو تجديد ملك في المملكة وانتقال الدولة من أمة الى أمة وأن لذلك دلائل بينة وعلامات واضحة ، وقالوا قد عرفناها بفراغ عقولنا وتجارب الأمور واعتبار تصاريف الزمان فيما مضى من الحدثان وما يعرف منها بالزجر والفال والكهانة

والفراسة ، وبدلائل المتحركات من النجوم والمنامات مما تدل عليه من الكائنات قبل أن تكون ، وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التى ذكرناها وأشرنا اليها حتى عرفنا صاحب الأمر بصفاته ، والسنة والشهر الذي يكون فيه الحادث فى شأنه ، وما نرجو من ذلك من صلاح الدين والدنيا : « والله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وانما أردنا بهذه التذكرة أن تكون لنا بها قربة إلى الله تعالى ونصرة للدين وحرمة للاخوان ونصيحة لصاحب الأمر وقدم صدق فى الاولين ولسان صدق فى الآخرين .

فان وقعت هذه التذكرة منه مكانها من القبول وسمت نفسه الى ما أشرنا اليه فذلك هو الذى نريده ، وان توقف وقال : ماعلامة ما يقولون وما تصديق ما يزعمون من الرأي والحديث ؟ فنقول : عندنا دلائل واضحة وبراهين بينة وعلامات وشواهد يعلمها من كان ينظر فى العلوم كنظرنا ويعتبر الأمور كاعتبارنا ، وكان فى المعارف بصيراً مثلنا .

فان أراد أخونا الفاضل الكريم فليبعث الينا ثقة من ثقاته وأميناً من أمنائه ومن أبناء جنسنا ومن يشا كلنا فى العلوم والمعارف ومن يحاجنا على ما نقول ويناظرنا على ما نشير اليه ليتضح له حقيقة ما قلنا ويتبين له التصديق بما أمرنا والله الموفق للصواب

فصل

في مخاطبة أهل العلم الغافلين عن أمر النفس

والمعرضين عن معرفة جوهرها

أخبرنا أيها الاخ هل أنت عالم ومتيقن بأن مع هذا الجسد الطويل العريض العميق أعنى الجسد المركب من اللحم والعظم والعصب والعروق ، المؤلف من الاخلاط الاربعة التى هي الدم والبلغم والمرتان[1] التى كلها أجسام أرضية مظلمة

(١) المرت من الارض : القفر ، ومن الانسان مالا شعر له والمرتان والمروت جمعه والاول المراد لان الطين الصرف هو رابع الاخلاط

غليظة منتنة متغيرة فاسدة جوهراً آخر هو أشرف منه وهو النفس التى هى جوهرة روحانية بسيطة حية سماوية شفافة ، وهى المحركة لهذا الجسم المديرة له المظهرة به ومنه أفعالها وأقوالها وعلومها ، أو تقول انه ليس هاهنا شىء آخر غير هذا الجسد المرئي المحسوس المتغير الفاسد المستحيل الهالك الذي ان أصابه حر ذاب أو ان أصابه برد جمد ، وان نام بطلت حواسه وان انتبه لا يشعر بوجوده وان نقل لا يدرى أين كان وان ترك لا يتحرك وان حرك لا يحس بذاته ، جاهل لا يعلم شيئا وان لم يسق جف عطشاً وان لم يطعم ذبل ، وان طعم امتلأ من الدم والصديد والبول والغائط كأنه ربع مجصص ظاهره ، مملؤ من القاذورات باطنه إن مات نتن ، وان لم يدفن افتضح ، وان عاش فهو فى العذاب والشقاء .

أترى أن الفاعل لهذه الافعال المحكمة والصنائع المتفننة التى تظهر على أيدى البشر هو هذا الجسد وحده والناطق بهذه اللغات المتباينة والمتكلم بهذه الاقاويل المختلفة والمخبر عن الامور المنقضية مع الازمان الماضية والعالم بالاشياء الموجودة فى الاماكن الغائبة والمنبىء عن الحوادث الكائنة فى الازمان المستقبلة والمستنبط غرائب العلوم من خواص جواهر العدد وأشكال الهندسة وتأليف اللحون وتشريح الاجساد وتركيب الافلاك وحساب حركات الكواكب وصفات البروج وطبائع الاركان واختلاف جواهر المعادن ومنافع النبات واختلاف الحيوان ، هل هو هذا الجسد وحده أو تنسب هذه العلوم والاقاويل والفضائل الى مزاج الجسد — كما زعم من لا خبرة له بحقائق الموجودات — وكيف تظهر هذه من مزاج الجسد والمزاج عرض من الاعراض وهو أحد هذه الاشياء التى ذكرناها ؟ فقد بعد من الصواب من قال هذا القول وعمي عن معرفة حقائق الاشياء من اعتقد هذا الرأى ، وأول غفلة دخلت عليه جهالته بجوهر نفسه وتركه طلب معرفة ذاته وأعظم بلية مع هذ أنه يدعي الرياسة فى العلوم ومعرفة حقائق الاشياء وصواب أقاويل أهل الاديان ومعرفة صفات الباري جل ثناؤه الذى هو أشرف المعارف وأدق العلوم وألطف الأسرار وهو يجهل مع هذا كله ذاته ولا يعرف حقيقة

نفسه فكيف يوثق برأيه وكيف يصدق قوله فيما يدعيه من العلوم ويخبر عن الامور الغائبة عن حواسه وعقله ؟

وان كنت مقراً أيها الاخ البار الرحيم بان مع هـذا الجسد جوهر آخر هو أشرف منه وأن هذه الأفعال والأقاويل والعلوم والفضائل اليه تنسب ومنـه تبدو وهو المظهر من هذا الجسد هـذه الاشياء فقد قلت صوابا وأقررت بالحق وأنصفت فى الجواب فخبرنا عن هذا الجوهر الشريف

هل يمكن أن يعرف ماهو وكيف كونه مع هذا الجسد باختيار منه أومضطر أن يكون معه ، أو هل تعرف أين كان قبل أن يقرن بهذا الجسد ، وأين يذهب إذا فارقه ، أو تقول إنى لا أدرى ، وهل ترضى من نفسك الجهل بهذا المقدار من العلم أن تقول إن هذا العلم ليس في طاقة الانسان أن يعلمه ، وكيف يسوغ لك هذا القول والعلماء مقرون أجمع وأنت معهم بان معرفة الله واجبة على كل عاقل ، وكيف يستوي للعبد اذاً معرفة ربه وهو لايعرف نفسه .

وقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال : « من عرف نفسه فقد عرف ربه أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » وكيف يستوي لك أن تقول إنك تعرف ربك ولا تعرف نفسك وقال الله عز وجل : « بل الانسان على نفسه بصيرة » وقال : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » وقال : « وفى انفسكم أفلا تبصرون » وقال: « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » وقال : « إن النفس لامارة بالسوء إلا مارحم ربى » وقال « يوم تأتي كل نفس تجـادل عن نفسها » وقال : « ياأيتهـا النفس المطمئنـة ارجعى » الآية.

وأنت تعلم أيها الأخ أن نفس الانسان أقرب اليـه من كل قريب فكيف يستوي لك أن تقول لايمكن أن يعلم الانسان نفسه ويعـلم غيرها من الأشياء البعيدة الغائبة عن حواسه وعقله

واعلم أيها الاخ أنه انما ذهب على أكثر الناس معرفة أنفسهم لتركهم النظر

في علم النفس والبحث عنها والسؤال للعلماء العارفين بعلمها وقلة اهتمامهم بأمر أنفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الاجساد والنجاة من أسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجساد ، ولشدة ميلهم الى الخلود فى الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانية والغرور باللذات الجرمانية والانس بالمحسوسات الطبيعيـة ، ولغفلتهم عما وصـف في الكتب النبوية من نعيم الجنان وفي عالم الأفلاك من الروح والريحان وقلة رغبتهم فيها لقلة تصديقهم بما خبرت به الانبياء صلوات الله عليهم وما أشارت اليه الفلاسفة الحكماء بما يقصر الوصف عنه من لطيف المعاني ودقائق الاسرار فانصرفت همم نفوسهم كلها إلى أمر هـذا الجسد المستحيل وجعلوا سعيهم كله لصلاح معيشة الدنيا من جمع الاموال والمآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح ، فصيروا نفوسهم عبيداً لاجسادهم وأجسادهم مالكة لنفوسهم ، وسلطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة على النور والشياطين على الملائكة وصاروا من حزب أبليس وأعداء الرحمن.

فهل لك أيها الأخ أن تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفك أسرها وتخلصها من الغرق فى الهيولى وأسر الطبيعة وظلمة الاجساد وتخفف عنها أوزارها ، وهي الاسباب المانعة لها من الترقي الى السماء والدخول فى زمرة الملائكة والسيحان في فسحة عالم الافلاك الروحانية والارتفاع في درجات الجنان والتنفس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن بأن ترغب في صحبة اصدقاء لك نصحاء واخوان لك فضلاء وادين لك كرماء حريصين على طلب خلاصك ونجاتك مع أنفسهم قد خلعوا أنفسهم من طاعة أبناء الدنيا وجعلوا كدهم طلب نعيم دار الاخرى بان تسلك مسلكهم ومقصدهم وتتخلص بسيرك معهم وتتخلق باخلاقهم بأن تسمع أقاويلهم وتعرف اعتقادهم وتنظر فى علومهم وتفهم أسرارهم وما يخبرونك به من العلوم النفسية والمعارف الزكية الحقيقية والمعقولات الروحانية والمحسوسات النفسانية؟

إذا دخلت مدينتنا الروحانية وسرت بسيرتنا الملكية وعملت بسنتنا الزكية

وتفقهت في شريعتنا العقلية لتنظر الى الملأ الاعلى وتعيش عيش السعداء فرحاناً مسروراً ملتذاً مخلداً أبداً بنفسك الباقية الشريفة النيرة الخفية الشفافة لا بجثتك الدنية المظلمة الثقيلة المتغيرة المستحيلة الفاسدة الهالكة وفقك الله وجميع إخواننا للرشاد وأوصلك وإيانا الى دار السلام برحمته ومنه انه على ما يشاء قدير

﴿ فصل ﴾

في مخاطبة المتشيعين

قد جمع الله بيننا وبينك أيها الأخ البار الرحيم في أسباب شتى وخصال عدة مما يؤكد المودة بين الاخوان ويجمع شمل الاصدقاء في جميع صلاح الدين والدنيا أيدك الله ، أولا من تأملها وعرف حق عظيم ما أنعم الله تعالى لديك وفضل منته عليك لما خصك الله به من العقل والفهم والتمييز فمن احدى تلك الخصال والاسباب التي تؤكد المودة بين الاصدقاء ملة الاسلام التي هي آكد الاسباب لأنه خير دين دان به المتألهون وأفضل طريق يسلكه إلى الله القاصدون وهو القدوة بدين نبينا محمد ﷺ وبعلم كتابه الذي جاء به مهيمنا على كتب الأولين ، وسنة الشريعة التي هي أعدل سنة سنها المرسلون.

ومما يجمعنا واياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيت نبيه الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين ومما يجمعنا واياك حرمة الادب والخروج من جملة العوام ، وهو المهاد لما نحن بسبيله ونشير اليه .

ومما جمعنا واياك من الاخلاق الجميلة والافعال الحميدة وحرية النفس وصفاء جوهرها وهي التي تدعونا الى مكاتبتك ومراسلتك ومانرجو منه النفع لك فيما يستقبل من الأمر والله يؤيدك وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد ، وقد أنفذنا اليك أخاً من اخواننا ممن قد ارتضيناه في بصيرته وحمدنا طريقته في دينه وأخلاقه ، وأنت أيدك الله تعرف حقه وما يجب من حرمته وتوصله اليك على خلوة من مجلسك وفراغ من قلبك وتصغي اليه فيما يقول وتسمع منه ما ألقينا

اليك من أسرارنا وما نشير اليه من علمنا ليتبين لك مذهبنا وتفهم اعتقادنا في أمر الدين والدنيا جميعاً . فاذا سمعت أقاويلنا وفهمت معانيها ووقفت على حقائقنا وتأملتها بعقلك وميزتها برؤيتك ، أجبتنا عن رأيك فيما أشرنا اليه وما نسألك عنه في اعتقادك بصدق القول لا محتشما ولا مهيباً ولا محابياً مما يقتضيه الحكم ويوجبه الحق . والله يوفقك للصواب ويؤيدك بروح منه وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أيدك الله أنه انما ذهب على أكثر الناس المتفلسفين والباحثين عن حقائق الاشياء أسرار كتب الأنبياء عليهم السلام لتركهم البحث عنها واعراضهم عن النظر فيها لقصور افهامهم عن تصورها لانها مأخوذة معانيها من الملائكة الذين هم الملأ الأعلى أهل السموات وسكان الافلاك . وأعيذك أيها الأخ الفاضل أن تكون من الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون الذين ذمهم الله عز وجل في كتابه فقال : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وقال : « صم بكم عمى فهم لا يبصرون » أفترى أنهم لم يكونوا يسمعون الاصوات أو لم يكونوا يبصرون الألوان أو لم يكونوا يعقلون أمر المعاش ؟! بل انما ذمهم لانهم لم يكونوا يفهمون هذه المعاني المذكورة في الكتب النبوية التي اليها نشير في رسائلنا واليها ندعو اخواننا أعزهم الله حيث كانوا في البلاد ، وهو دين النبيين ومذهب الربانيين والاحبار الذين استحفظوا في كتاب الله من الاسرار المكنونة التي لا يمسها الا المطهرون وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . وفقك الله أيها الأخ للصواب واعتقاد الحق والعمل الصالح والمعارف الربانية وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد لطيف بالعباد

﴿ تمت رسالة الدعوة الى الله تعالى ويليها رسالة في كيفية أحوال الروحانيين ﴾

الرسالة الثامنة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية أحوال الروحانيين

﴿ وهي الرسالة التاسعة والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن أفعال الروحانيين لا يتهيأ لاحد من العالم الجسماني الوقوف عليها والمعرفة بها الا بعد معرفته بجوهر نفسه وكيفية فعلها في جسمه واذا عرف كيفية ذلك ووقف عليه تهيأ له بعد ذلك الوقوف على أحوال الروحانيين في العالم جميعاً : العلوي بمافيه والسفلي وما يحويه ، وقاده ذلك الي معرفة خالقه وتنزيه مبدعه ، وفعله الذى فعله بذاته وما أبدعه من موجوداته ، وبمعرفة ذلك يكون كمال الانسان ، وبذلك يتهيأ له التصور بالصورة الروحانية الملكية فتكون أفعاله أفعال الملائكة وما يظهر عنهم ويبدو منهم من الافعال والاعمال في العالم الجسماني والخلق الانساني ، ويعرف أيضا أفعال الجن والشياطين ومن يتولى عقابهم اذا استرقوا السمع من الملائكة المسبحين وما يتبعهم من الصواعق المحرقة والشهب الثاقبة دحوراً تأخذهم من كل جانب : « فلهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب »

وما في العالم من الكرام الكاتبين والحفظة الحاسبين الموكلين بانشاء ما يكون من الاجساد وعمارة عالم الكون والفساد

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أيدك الله أن دائرة العقل مرتبة من أمر الله تعالى لا يدركها خاطر نفساني ، وأن الانوار المضيئة مرتبة في أفق العقل الكلي بحيث لا يدركها حس ولا يتناولها لمس .

فالدائرة الاولى هي البعيدة عنها أوهام المخلوقين من العالمين الروحاني والجسماني اللطيف والكثيف ، وهي موصوفة بالفعل الخاص بها الصادر عنها وهو العقل الذى عقل مادونه من مجاوريه فرجعت الاوهام قبل بلوغها غايته ذاهلة عن بلوغ بعض مافي دائرته وسعة احاطته ، وهو من الاقرار بالهية خالقه وتنزيه مبدعه وخشوعه له ، موصوف بذلك كصفة مايبدو من أحد ما بدا عنه ، وتكون منه بمنزلة النفس المشتاقة اليه الخاضعة بين يديه المرتبة في أفقه المطمئنة به المتكلة عليه الراجعة اليه .

واعلم أن دائرة العقل مشرقة بهية فهو يترآى فيها بشدة صفائها وإشراقها ما يتلألأ من الانوار الالهية البادية بالامر الممجد عن الوحدة المحضة التى لا تتكثر ولا تزداد بل هي منفردة بالوجود والايجاد ، وانما يتكثر من ينضاف اليه ما يشا كله ويجانسه ويزداد من يحتاج الى الزيادة ، واذا احتاج الي الزيادة لزمه النقصان والوحدة المتنزهة عن الصفات البادية بالالفاظ المنطقية والتخيلات النفسانية والتمثيلات الهيولانية لاتتكثر كتكثر واحد الاعداد التى هى الوحدة المتكثرة بما يكون ويبدو عنها اذا كانت هى أصل الكثرة ومبدأ وجود الخلقة وهي الدائرة الاولى الحاوية لجميع ماكان منها ولذلك قيل له السابق

وكذلك دائرة النفس كالثاني التالى للسابق لما بعده ، وهى تالية الأول . ثم الثالثة وهى كالهيولى والرابعة وهى كالطبيعة ، وكذلك الدوائر الكائنة عن هذه الاصول حتى تكون آخرها دائرة الارض . ولكل واحد من هذه الحدود الروحانية

فعل يختص به فاعله لايتعداه بما جعله البارى سبحانه فيها وأودعه اياها . ونريد أن نبين من ذلك طرفا يكون دليلا على ما قلناه وبرهانا على ماوصفناه

واعلم أيها الأخ البار ان البارى سبحانه أوجد الزوجين الأولين الذين هما أبوا الموجودات كلها بأسرها ، وهما الدائرتان المحيطتان بما فى عالم العلو والسفل أحداهما حائطة والاخرى محوطة .

فالدائرة الأولى موصوفة بالفعل الصادر عنها وهو التمام والكمال والفضل والفيض والرحمة والرأفة ، وماينحط من دائرتها على مادونها من الخيرات والبركات مما يستمده ويتلقاه ويفاض عليه ويلقى اليه وهي الفيضان الفاعلة فيه بما ينطبع فى جوهريته المحضة المعراة من الشوائب المتغيرة ، فلذلك صار لا يتبدل ما عنده ولا يتغير لدوام ملاحظته لتلك الامور الالهية التى لاتبديل لها ولا تغيير كما قال الله تعالى : «لا تبديل لكلمات الله» . فهى باقية على حال الانفراد بالبقاء والكون تحت القدرة العظمى وباشراقها على دائرته ، أضاءت ذاته فصارت مشرقة بأنوار الجبروت الممجدة بالصفة المتخصص بها المباين بما فى ذاته منها عما يوجد فيمادونه وبها يصل الى تمجيد مبدعه وتنزيه خالقه بالتبرى عما يشاهده فى ذاته ويلاحظه فى موجوداته ، وأن يكون ذلك بحوله وقوته وان كان هو المحيط بها والخاص لها احاطة الاحصاء والعد ، لان الفعل منه انما هو بحسب ما يفعل فيه ويجود به عليه من الجود الذى به صار فى حد الوجود ، وبجوده صار مبدأ وجود كل موجود . ولذلك سمي عقلا لأنه عقل صور الموجودات بأسرها وجاد عليها بخصائصها وترتيبه لها فى مواضعها وتكوينه اياها فى أماكنها فهو بالاشراق المشرق عليها وبما فاض عليها يتدلى اليها ، وبتحننه عليها ورأفته بها يكون القرب من علة الممنون عليه ، وهو لا ينفد ما عنده اذ كانت المادة متصلة غير منفصلة ، ولو كانت فيضاً لتأدى منه الى من دونه من ذاته غير مكتسب لها ولا محتاج اليها. بل هو واجد لها من ذاته على الدوام ولو كانت هذه لكمال ما فى ذاته لكان لافرق بينه وبين علته الموجد له ولكان غير محتاج اليها بل غنياً عنها بما فى ذاته

ولم يتغيب عنه كلية المعرفة بها ، تعالى الله عن احاطة مخلوقاته بكنه فيضه . وانما هو جل ذكره مفيض مايشاء من قدرته وأمره على ابداعه الذى ارتضاه لخالص عبوديته والاقرار بلاهوتيته وبدوام استمداده ودوام تسبيحه وتقديسه وتمجيده، فهو بذلك يدرك بغيته وينال لذاته التى هى غاية أنسه وروح قدسه وروحه وريحانه فهو بحسب كرامة الله له مرتبة فى أفق المحيط به وهو الامر ، وهو لا يبلغ الادراك بكلية الامر وانما يدرك من ذلك ماجعل فيه من صور الموجودات التى هو محيط بها ومخرج لها من القوة الى الفعل .

ولما كان العقل كذلك كانت النفس غير حائطة بكلية مافي العقل بلا واسطة له بكمال صفاته الموجودة الا ما أمدها به وأفاضها عليه الشىء بعد الشىء ، ولوكانت قابلة لجميع ما فيه دفعة واحدة لكانت لا فرق بينها وبينه ولا فضل له عليها ، لاتساعها لما وسعه وإحاطتها بما بلغه . وانما هى حائطة بما دونها كاحاطة العقل بها فدائرة النفس محيطة بما هو موجود فيها عند بدء كونها من علتها وهى ذاتها وما بدا عنها من موجوداتها وفيها قبول مايلقى اليها ويفاض عليها وفعلها الخاص بها ماانبعث منها وصدر عنها من القوة الطبيعية بما جعلت فيها من الصور المنطبعة بالنفس في الهيولى وغير محيطة بكلية ما في العقل من الصور المعراة والجواهر المبرأة من الهيولى الا بما يلقيه اليها ويمدها به .

ولما كان ذلك كذلك صارت الطبيعة في كل لحظة وفي كل وقت من الاوقات ومع كل حركة من الحركات الزمانية الطبيعية تظهر شكلا ونوعا ولونا فغرائبها لا تحصى وعجائبها لا تفنى ، وهي تبديها الشيء بعد الشيء بحسب ما يلقى اليها ويفاض عليها من النفس الكلية وبما يسري فيها من القوى الفلكية وبما ينزل مع الملائكة الموكلين بالنشأة الارضية والخلقة الجسمانية ، فهم المودعو تلك الصور في جواهر الامهات المظهرون لها بطبائع الاسطقساط ومتممون مايبدو منها من الحيوان والنبات ، فهم بها موكلون ولاعمالهم متممون ولكل منهم جزء مقسوم ونصيب معلوم كما قال الله تعالى حكاية عن ملائكته الكرام وجنوده العظام :

«وما منا الا له مقام معلوم» . وقال تعالى حكاية عنهم : « وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون» .

وكذلك قيل فى الخبر : « إن مع كل قطرة من قطرات الامطار ومع كل نقطة من مياه البحار ومع كل ورقة من اوراق الاشجار ومع كل ساعة من ساعات الليل والنهار ومع كل انسان وحيوان ومع كل جان وشيطان ملائكة يسبحون الليل والنهار لايفترون ويفعلون مايؤمرون وكل منهم في مقام معلوم ولهم افعال تختص بكل واحد منهم مما هو موكل به ».

فلذلك صارت الطبيعة تظهر على ممر الزمان وتغاير الايام ومع كل لحظة من لحظات العيان وفى كل مكان لوناً جديداً وصارت اعمالها لاتفنى ولاتبيد وان مامنها باد بالفساد يكون مكانه مثله بالسواد معاد ، فهى قوة صادرة باعثة لما تقدم منها فى الوجود كقوة حركة الدولاب التى تبدو أولا عن حركة اولى وهي الحركة البهيمية المستعملة في آلة الدولاب وإيصالها من آلة الى آلة اخرى حتى تكون مرة حاطة لأواني الدولاب الى قعر البئر فتملأ ثم ترفعها الى علو فيعود منها ما كان ممتلئاً فارغا ثم ممتلئاً فلاتزال كذلك مادامت الحركة متصلة.

فاذا بلغ المحرك المستخدم لتلك الدابة المحركة لتلك الآلة ماأراد من الاملاء والتفريغ أمسك الحركة فوقف الدولاب عن الرفع والحط ، كذلك فعل الطبيعة إنما هي حركة متصلة بها عن آلة فلكية محركة دورية مربوطة بها النفس الكلية بقوة عقلية تبدو عن مشيئة الهية وعناية ربانية بأمر من هو لايعلمه الاهو وارادة اختيارية قاصدة الى أمر غير مدرك ادراك الحس فيكون داخلا فى جملة المحسوسات وانما يدرك من العلم انه به معرى عن الصفات والنهايات التى تنتهى اليها المخلوقات وتقف عندها الموجودات من افعال الجزئيات لكنه امر يقال عليه قول يطرد لا الى تعطيل ولا تبطيل اذ كان يقول : «ماخلق الله ذلك الا بالحق » وقوله : « انما امرنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون»

وبالامر كانت المكونات ، والارادة سابقة للكون ، والابداع الأول موضع الكون ، وبه كانت الاشياء أشياء خارجة من العدم الى الوجود ، وبكونها فى المكان تحيزت وتميزت موجودة بذواتها عن موجدها الملقى لها الى ما دونه كالقاء الذكر ما يكون فيه بالقوة من النطفة الى الأنثى لتظهر بالفعل صورة موجودة بوجوده محتاجة الى التمام والكمال ، يتهيأ لقبول ذلك فيتحد به من قوة النفس وما يتصل بواسطة الشمس فيشرق عليه من أثر العقل ما تكون به حياة نفسه وكمال جسمه عند استكمال الآلة ، وكونه على أفضل حالاته .

فلذلك قلنا ان الدائرة الالهية والصور العقلية العلوية هي كتاب تلوح سطوره المكتوبة بقلم الارادة ولوح المشيئة المحفوظة فيه بحيث تكون حافظة له ، وبها يكون انبعاث قواها فيما دونه حتى تصير أشياء منها روحانية بسيطة نورانية بادية عنها بكونها فى دائرة النفس الكلية فيستقر كل منها في مقام لايعدوه كالحروف المرتبة فى سطورها المنظومة وخطوطها المرسومة مرتبة فى أقسامها مستوية في نظامها لا يعدو بعضها بعضاً .

فالعقل منزل كل تلك الأمور على النفس والممد لها بها وهى المستفتحة لها منه وهو المان بها عليها ، وهو ملتق لها من فيض باريه .

فلذلك قيل إن تشبه العقل من باريه أقرب من تشبه النفس لانه يتلقى جود باريه من أمره المتصل والنفس متلقية منه ما يمدها ونسبتها منه أقرب من نسبته ما دونها .

ثم كذلك الأفعال البادية عن كل قوة من القوي المتصلة بكل واحد من الموجودات وما يتعلق به وينسب اليه من أفعاله .

فأولها الأصول التى هى أمهات الفروع فهى الجواهر الثانية عن الجواهر الاولى المحضة المبرأة عن التراكيب المؤلفة والجواهر الاولى المخصوصة بهذه الصفة عالم العقل والنفس والجواهر الثانية هى القوى الطبيعية والهيولانية المخصوصة بعالم الافلاك العالية القائمة بحركاتها الملائكة الموكلون بها ، والفروع البادية منها

الامهات السفليات والاسطقساط الجزئيات والطبايع الجسمانية ومايبدو منها ويتكون عنها من الحيوان والنبات وخليفة الله فيها وأمينه عليها هو النفس الجزئية التي هي نفس صاحب شرع كل دور وهي المدبرة لها في العالم السفلي وهي المتحدة بالجسم المبنى بالحكمة الموجودة باتقان الصنعة وهي المتمم لها أمور الطبيعة من أعمالها فهي ترتب كل شيء من ذلك في مرتبته وتستخرج من منفعته وتوصله الى غايته فهو في العالم السفلي والمركز الارضي خليفة الله وملكه الموكل بتدبير ما يكون في الارض من معادنها ونباتها وحيوانها ، وهي الدائرة الثانية وفلكها ذو حركة دورية مربوطة بها نفس جزئية متصلة بالنفس الكلية ، وفيه كواكب طالعة وأنوار لامعة وملائكة بالقوة يفعلون فيه مايؤمرون روحانيون بذواتهم الشريفة جسمانيون بأجسامهم الكثيفة ، ولكل ملك منهم جنود وأعوان .

واعلم أيها الأخ أن في هذه الدائرة الانسانية يتراءى ما يكون في الدائرة النفسانية والطبيعية اذ كان الانسان المبدع لما يكون من ذلك والمبين له بالقول والعمل ، فالقول كالقول بحوادث الجو الفلكي وأحكام النجوم وصفة النفس وكيفية رباطها بالفلك المحيط ومادونه ومعرفة العقل بأنه أول الموجودات وأشرف الذوات وهو الناطق بتوحيد الله عز وجل وتنزيهه والوسيلة بينه وبين ما دونه من خلقه .

فأما العمل فمثل ماذكرناه في رسالة الصنائع العملية ونريد أن نذكر في هذه الرسالة صفة الدوائر الروحانية النفسانية وسكان كل دائرة من الملائكة وكيف يكون أفعالهم وتفاضلهم كما قلنا بالقرب من الله تعالى بالاعمال المقربة اليه المزلفة لديه . واذا فرغنا من ذكر الدوائر المستقيمة ذوات الانوار المضيئة والاشخاص البهية ذكرنا الدوائر الظلمانية المعكوسة وذوات الصور الشيطانية المنكوسة وبمعرفة ذلك تكون معرفة الانسان بحقيقة الجنة والنار وأفعال أهلها يخص كل شكل منها .

فاذا وقفت الى هذه الحكمة الشريفة وترقيت الى هذه الدرجة المنيفة تخص

بها اخوانك البالغين وأحبائك المصطفين الذين تهذبوا بالاخلاق الحكمية وعرفوا المنازل العالية

واعلم أن رسائلنا الناموسية الالهية هي جواهر ما بسطناه وذخائر ما ألفناه . وهذا الكتاب الذى ألقيناه اليك وخصصناك به جعلناه وديعة عند اخواننا أيدهم الله وايانا بروح منه

فصل

في فعل الله تعالى الذى فعله بذاته ومايليق به من صفاته

اعلم أيها الأخ أن نسبة العقل من مبدعه أقرب من نسبة مادونه ونسبة مادونه لمن ينسب أولا منه أقرب ، وكذلك الافعال البادية عن كل قوة من القوى المتصلة بكل واحد من الأصول البادية وما يتعلق به من الصفات والتراكيب المؤلفة

ولما كان العقل هو أقرب الاشياء من باريه جل اسمه وأنه الفاعل لما دونه بامره وجب أن يكون هو فعل الباري تعالى الذي فعله بذاته وكتابه الذي كتبه بيده ، وهو الملك الذي ليس له فيه شريك يناوئه ولاضد ينافيه بل هو خالص صاف لايقع عليه التغيير ولايجوز عليه التبديل ، مشرقة أنواره ظاهرة آثاره حاو لما بدا عنه ، محيط مايكون منه .

فهذا هو فعل الله الخاص به المنسوب اليه الذي لاتفاوت فيه .

ولما كان الفاعل يعطى فعله الخاص به صورته ومثاله ويؤيده بالقدرة التي تتكون لها بها القوة على مايبديه من أعماله صار العقل موضعاً لامر الله عز وجل ومكانا لقدرته .

وقد جاء في بعض الكتب المنزلة أن الله خلق آدم على صورته ومثاله،وقوله عز وجل : « وله المثل الاعلى في السموات والارض »

وكذلك قال الحكماء ان في المعلول توجد آثار العلة . وكذلك صارت الافعال

الحـكمة والصنائع المتقنة تدل على حكمة صانعها وتنسب اليه ويكون موصوفاً بها . فلنذكر ما يليق بها من الصفة مثل ما لاق به من الفعل

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أن صفات الباري جل جلاله بالتقريب من أفهام المخلوقين المنسوبة من أفعال الجسمانيين روحانية لا من حيث كونها في الروحانيات المخلوقات محدثات مبدعات فاعلات أفعالا تليق بها منسوبة اليها يكون بعضها من بعض مثل العلم والقدرة والاحاطة والحياة وما شاكل ذلك من الصفات ، وان ذلك متعلق بالعقل وما دونه حتى تكون متصلة بالانسان وبالحيوان ، ولكل منها بحسب ما يليق مما جعله الله فيه . ولذلك قال سبحانه : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . ولما كانت هذه الصفات مشتركة فيها جميع الموجودات علمنا أن للباري سبحانه من جهة النزهة عنه صفات تختص به كفعله المخصوص به فطلبناها بالحرص والاجتهاد واستقراء كتب الحكماء وسؤال العلماء ومن عنده علم الكتاب من أهل الذكر كما قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فوفقنا من ذلك على ما من الله سبحانه به علينا وهدانا اليه .

ونحن نذكر من ذلك ما يليق ذكره بهذا المكان وفيه كفاية لذوي الالباب ومن وفقه الله تعالى للصواب

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أن صفات الله تعالى التي لا يشركه فيها أحد من خلقه ومعرفته التي لا يعرف بها إلا هو انه مبدع مخترع خالق مكون قادر عليم حي موجود مبدع قديم فاعل .

وانه المعطي من جوده الوجود هذه الصفات وما ينبغي له ويليق فافاض على العقل من ذلك انه مبديء محدث حي قادر مخترع عالم فاعل موجود ، فالعقل مبديء لما بدا منه ، وفاعل بمعنى مفعول ومحدث بمعنى انه محدث معلول ومعطى الحياة لمن دونه كما أعطى وموجود بوجود أفعاله الصادرة عنه .

وكذلك ما يكون من صفات الروحانيين والجسمانيين واشتراكهم فيها وهي صفات جزئية يقال بها عليهم مقالة مجازية وهي مقرونة معهم باضدادهم كاقتران الوجود بالعدم والعلم والجهل والحياة بالموت والقدرة بالعجز والحركة بالسكون والنور بالظلمة .

فكل هذه الموجودات بالصفة في الموصوفين بها مقارنة لاضدادها لا يوصف بها الباري سبحانه ، بل انه خالق الوجود والعدم فصار مخصوصاً بالخلقة، جاعل الموت والحياة فصار مخصوصاً بالبقاء موجد العلم والجهل فاختص بالعلم.

كذلك ما يوجد من أفعال المخلوقين من الروحانيين والجسمانيين والأعمال فبحسب الودائع التي فيهم والآثار المفاضة عليهم باستفادة بعضهم من بعض حتى يكون سبحانه موجدهم كلهم ومعطيهم الحياة ثم لا يكون موصوفاً بصفاتهم في المعنى ولا يستحقونها بالشركة له فيها وهم ذوو درجات ومنازل ولكل واحد منهم صفة تزيد على ما دونه بها ويتخصص بفضلها ، وذلك موجود لا يخفى على من تأمله كوجود القدرة في الحيوان كله من الحساس الى الانسان ، فان لكل شخص من أشخاصه قدرة يتميز بها من غيره حتى يكون نهايته منها قدرة الانسان عليها كلها اما بقوة جسمانية واما بجبلة نفسانية ثم العلم المخصوص به الانسان المتميز به عن الحيوان هم فيه مشتركون لا شركة المساواة بل شركة تنزيه واتصال واستعلاء في الطبقات وترافع في الدرجات حتى تكون نهايتهم فيه المعرفة لهم به : النبي في زمانه والحكيم في وقته المفاض عليه ذلك من القوة المتصلة به من العالم الاعلى المخصوص بالعلم الذي صلح له به أن يكون معلماً لمن دونه .

واعلم أن الانسان المعرف لهم أغنى الناس بما يحتاجون اليه هو خليفة الله سبحانه فيهم وأمينه عليهم ثم الحياة أيضا مشتركة بين الحيوان كله موصوف بالحركة الانتقالية وكل حيوان ذو حركة وحياة وليسوا هم متساويين لأنهم غير موجودين في حالة واحدة ، وهم ذوو أعمار قصار وطوال وبين ذلك حتى يكون المخصوص بالحياة الدائمة من انتقل من صورة الانسانية الى صورة الملائكة ومادون فلك القمر الى مافوق .

ثم كذلك صفة الروحانيين والملائكة وهم أيضاً مشتركون فى هذه الصفات متباينون فى الدرجات ولكل منهم جزء مقسوم وحد معلوم ، ثم يكون كذلك حتى يكون العقل نهايتهم فيها والسابق لهم اليها والمان عليهم بها ، ثم هو من الخضوع والخشوع والاعتراف بالعجز والتقصير عن الاحاطة بباريه وبلوغ كنه ماعنده والمعرفة ببدايته ونهايته على غاية لا يبلغها الا هو ولا ينفرد بها سواه ولا يشركه فيها غيره ، ولذلك صار هو المعطى للنفس الخضوع والخشوع والحيرة فى أمر المبدع سبحانه ولم يفض عليها من ذلك الا بما فتح عليه وألقى اليها بحسب ما ألقي اليه وهو الابداع الاول المفاض عليه صورة التمام والكمال . فاذاً أفعال الروحانيين من عالم العقل والنفس انما يعطونها بما أمر الله تعالى وهم بالقرب منه بحيث لا يصل اليهم من دونهم . ولذلك صارت الملائكة الذين لهم من القرب منهم ماليس لغيرهم حتى يتصل ذلك بآخرهم وهم الملائكة الساكنون فى فلك القمر ولهم من الافعال والاعمال ما يليق بهم مما ألقي اليهم ويفاض عليهم من المواد النفسانية والقياسات العقلية بالودائع التى فيهم من المشيئة الالهية ما يكون لهم به مواد النفس الجزئية والجواهر الجسمانية والقوى الطبيعية والاشخاص الارضية ليكون للحركة الاولى سابقة للمتحركة بها الى تمام المشيئة وبلوغ القضية الحتمية الموجبة الحركة الاولى وهذه الحركة حول قطب الدائرة النارية لوصول الموجودات ، فهي أبداً ينحط منها ما ينبث فى حيز الوجود متحركا ليكون شيئاً معلوماً ، ويقول بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتقديس والتنزيه : ان الباري جل اسمه لا موصوف بصفات الروحانيين من حيث هم محدثون فاعلون ومنفعلون ، ولا بصفة الجسمانيين المدركين بالحواس وانما صفته من حيث أفهامنا أنه قديم أزلي معلل العلل فاعل غير منفعل موجد مبدع مجوهر يبدي ما يشاء ويفعل مايريد ، كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن ، وليس هذا اليوم من أيام العالم وانما هو يوم من أيام الدائرة الالهية المرتبة في أفقها : الدائرة العقلية ، منشىء النشأة الاولى مبدع النشأة الآخرة لا اله الا هو رب الآخرة والاولى رافع من وحده

الى جنة المأوى ومحط من جحده الى قعر جهنم السفلى وفعله الخاص ما كان بالأمر عنه .

فهذا هو الفعل الخاص به المنفعل عنه ذوات الخواص المثبتة أسماؤها في السطور المكتوبة في الرق المنشور المدرجة في البيت المعمور الذي لا يدخله الا المطهرون ولا يسكنه الا المحبورون بسعادات أنوار الطاعة الخاصة من المعاصى البعيدة بالقرب من أهل الطغيان الفاعلة مايرد منها ويصدر عنها الى من دونها صورة بالقوة لتكون مستقرة في اللوح .

ثم يبرز مثالها حتى يحصل فى الدائرة الطبيعية صورة نفسانية متحركة بلا زمان في مكان خارجة بذاتها عن الزمان منفعلة اليها في زمان فهي بذاتها الاول غير داخلة تحت حركة الزمان فسبحان خالق الزمان وموجود المكان ومكون الكيان وله الاسماء الحسنى والامثال العليا قال الله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعو فله الاسماء الحسنى ».

فهذه الصفات المحيرة لذوي الالباب والعقول فى معرفة الباري منها سبحانه بأنه لا يشركه فيها أحد سواه وفعله الذي فعله بذاته وأوجده بكلماته موجودة فى موجوداته مسطورة فى أرضه وسمواته وهي آياته المكتوبة في الآفاق والانفس يتأمل الناظر فيها الواقف عليها الحق المبين ويعاين الصراط المستقيم .

فهذه معرفة صفات الله عز وجل وفعله المخصوص بها بما أوجبه الكلام النطقي والتعبير اللفظي بالآلة الجسمانية والصورة الانسانية والملائكة المقربين تقديساً وتسبيحاً وتمجيداً وتحميداً الا هو غير هذا ، وانما لكل أهل دائرة من العباد مايصلح لها ويليق بها كما أن معرفة الانسان بباريه هى أرفع وأعظم من معرفة الحيوان ، وحس الحيوان بذلك أقوى من حس النبات وللنبات من الحس بذلك أكثر مما للمعادن .

فأما حركة الجواهر المعدنية للعبادة والاقرار بالمبدع سبحانه فهو قبولها للنقش والصورة فهذه عبادتها وطاعتها وخضوعها وخشوعها ، وان منها ما يلتذ

ويشتاق الى الطاعة ومنها ماهو أسرع للقبول وأحسن في الصورة وأجل في القدر وأعظم في ذلك ودون ذلك ومنها ماهو في غفلة من ذلك لا يقبل الصورة ولا يذوب بالنار ولا له اشراق ولا صفاء ولا ينتفع به كالصم الصلاب والصرة والحجارة والأرضين السباخ .

وأما عبادة النبات فهي ما يظهر منه من الحركات وذهابه مع الهواء اذا ذهب يمينا وشمالا فهو راكع وساجد ومسبح ومقدس باصطكاك اوراقه وحركات قضبانه وما يبديه من أنواره وأزهاره وتسليمه ثمرته الى الحيوان ، ومنها ما لا ينتفع به ولا يصلح الا للنار .

وأما عبادة الحيوان فهى خدمته الانسان وذهابه معه حيثما ذهب ومايكون من صبره على مايعمل به ومنه عاص منكر جاحد لطاعة الانسان عدو له كالسباع وأنواع الوحوش .

وأما عبادة الانسان فهى ما أوجبه الله تعالى عليه وهداه اليه وهو أجل العبادات الارضية وأعظم المعارف الحيوانية ، وله فضيلة النطق وشرف القدرة على ما دونه وكمال الخلقة واستواء القامة مجمع من العالمين ، فهو كالحد المتاخم للحدين وكالواسطة بين الطرفين — فاحرص أيها الاخ بالعبادة والطاعة حتى تصل الي حيث يكون تسبيحك وتقديسك غاية أنسك وأعظم لذة تجدها نفسك ، فعند ذلك تأنف من الغذاء الجسماني ولا تحرص عليه ولا تشتاق اليه وتصير في روضة الملكوت بحيث تكون حياً لا تموت

فصل

واعلم أيها الأخ أن الانسان الغافل عن العبادة المنهمك في المعصية هو أخس من الحيوان وأخس من النبات وأخس من المعادن مردود الى أسفل السافلين لأن الجواهر المعدنية قبلت الصورة وهو لم يقبلها ، والشجرة ساجدة وراكعة لربها وهو لا يسجد ، والحيوان طائع للانسان وهو لا يطيع ربه ولا عرفه ولا وجده ونعوذ بالله من هذه الغفلة وهذا النسيان ونسأله التوبة والاقالة انه ولى الاحسان

فصل

في معرفة أفعال العقل

اعلم أيها الأخ أن العقل الفعال هو الابداع الاول والخلق الأكمل وأنه فعل الله الذي فعله بذاته وأوجده بكلمته وقدرته الذي قدر فيه وجوده الذى جاد به ويحقق هذا البرهان ان الراد علينا فيما ذكرنا لا يمكنه جحود ما أوردناه ولا خلاف عنده فيما وصفناه والا كان رداً للعيان .

ونعود فنقول ان للعقل فعلا يختص به ولا ينفرد عنه ولا ينفصل منه قريب بحيث هو .

ولما كان العقل لا يعدم جود باريه بل واجد له يجب أن يكون بحيث القرب منه تعالى مرتباً في قبضته واحاطته واتصال أمره به كذلك يجب أن يكون الابداع الثاني المنبعث عنه البادى منه المتوجه بالشوق اليه منه بدأ واليه يعود ، فهو بالقرب منه بحيث التوجه بالشوق اليه والاستفادة منه والاخذ عنه ما يكون له صورة القيام وهى النفس الكلية المرتبة فى قبضته وهو المفيض عليها الفضائل الموجودة فى جوهرها ، ولما تتلقى منه يكون تمامها وسعادتها وبما تلاحظ فى ذاتها العالية عليها المحيطة بها وبتأملها بدقة تأمل الاستقراء والشوق اليها والرغبة فيها يتهيأ لها بذلك انتساج ملاحظته فيها في دائرتها وحصولها فى ذاتها فاذا تأملت بملاحظتها واستمدادها عادت متمثلة لما رأت في دائرتها أشكالا كما يفعل التلميذ اذا امتلأ من تعليم مفيده عاد الى تمثيل ماتعلم بالتشبه والمحاكاة ، كما يوجد ذلك في الصبيان من محاكاة صنائع آبائهم والتشبه بهم في أفعالهم .

وانما جعل ذلك في جبلتهم وغريزة عقولهم ليكون قائداً لهم الى معرفة الصنائع والاعمال لما في ذلك لهم من النفع التام والصلاح العام لعمارة دار الدنيا .

فاذا صارت تلك النقوش والاشكال في دائرة النفس ورتبتها في افاقها وبنيها في دائرتها ابتدأت بالقائها الى من دونها وتولت اثباتها فيه كثبوتها فيها وكونها

عنها ، فابتدأت القوى الطبيعية التى تحيط بالاجساد الهيولانية فتركب منها نقوش صورية وأصباغ نورانية موجودة في أجسام نورانية ، موجودة فى أجسام ظلمانية وأجساد هيولانية لتشرق عليها أنوار نفسانية وتتحد بها قوى روحانية ، وصارت الحكم الملقاة عليها بقوة ملكية وارادة فلكية وبقوة عقلية ومشيئة الهية وظهرت الخلقة الآدمية والصور الانسانية قائمة بالحق ناطقة بالصدق مقرة بتوحيد الخالق سبحانه وتعالى ومقرة بحدوث خلقها واتقان صنعها وكمال بنيتها بوجود باريها ما أوجده فيها وقدمه عليها .

فهي صورة مماثلة لصورة العالم الكبير فلذلك سميت عالماً صغيراً ثم مادونها من صور الحيوانات وعجائب تراكيبها وبدائع تآليفها .

وصورة الانسان لنفسه كتاب مبين وصراط مستقيم في العالم الكبير وهو مافيه انسان واحد للنفس الكلية تدبر أفلاكه وتحرك كواكبه باذن الله تعالى ومشيئته وسابق ارادته كما يحرك نفس الانسان الذى هو عالم صغير جميع مفاصل جسده وأعضاء بدنه .

واعلم أيها الأخ أن لتلك الحركات النفسانية قوى متصلة بفلك القمر وما دونها من الاركان ومولداتها وأفعال تظهر فيها ومنها لا يحصى عددها الا الله سبحانه وتعالى ، كما أن لنفس الانسان في جميع بدنه ومفاصل جسده أفعالا كثيرة كما بينا فى رسالة تركيب الجسد وفي رسالة الانسان عالم صغير

واعلم أن جسم العالم كله مركب من احدى عشرة كرة — كما بينا في رسالة السماء والعالم وأن الفلك مقسوم نصفين وفي الفلك اثنا عشر برجا لمسير كواكبه ، وينحط من كل برج ما يسرى فيه من قوة كل كوكب ما يكون به ظهور فعل يختص به هو فاعل له وقائم بعمله ، كما أن الدائرة الاولى دائرة الفلك المحيط به والمحرك له النفس الكلية وفعله الخاص به تدوير مادونه معه والفعل الصادر عنه كون الدوائر على الاستواء في النظام وهو محيط بها وهى مرتبة في أفقه . وهكذا الى المراكز : بعضها في جوف بعض . وتنبعث من هذه الكواكب

الثابتة تأثيرات وقوى تتصل بمادونها فتودع فيهم الافعال التى تبدو عنهم وتظهر منهم فى الاوقات التى ينبغي فيها اظهار ذلك بمشيئة الله وقدرته

واعلم أيها الأخ أن دائرة الشمس في العالم العلوي دائرة شريفة عظيمة القدر والمنزلة عند الله تعالى وهى بمنزلة القلب فى الجسد والفلك المحيط كالرأس ، وبه يدوم دوام الحكمة ومن الشمس سريان القوة ، وذلك أنه يتصل بها من النفس الكلية قوة تختص بها وهي المعطية قوة الحياة لجميع الاجسام وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه . وذلك أنه تنبث منها قوة روحانية يكون بها استواء النظام وقوام الاشياء على أحسن قوام فيتلألأ العالم ويزهر وهي قنديل النور الذي لا يطفى وسراج القدرة الذي لا يخبو ، وهى بمنزلة المثل الأعلى في السموات لانها أشرف الموجودات السماوية والاشخاص الفلكية وقوتها كمثل الحرارة المنبثة من القلب في جميع أعضاء الجسد واختصاص أفعال الحرارة في كل عضو ويظهر فيه عنها، ويتكون فيه منها، ما يكون به نموه وبقاؤه واختلاف ماخرج منه ورجوع ما بدا عنه ، كذلك أفعال الروحانية الطبيعية ترد عوضاً عما باد واندرس من العالم فيعود مثله الى مكانه وهى مستولية على الاجسام الوضعية والاكوان المرتبة وروحانيات النفس المنحطة من الطرف الأعلى مما يلي العقل تختص شرايف روحانيتها وكرام ملائكتها بمواليد الملوك وأصحاب التيجان وأولى العز والرفعة والسلطان

واعلم أيها الاخ أن النفس ذات طرفين تنحط منها قوتان : قوة مما يلي الطبيعة وهى المتحدة بها من الافعال الطبيعية ، وقوة تنحط من الطرف القريب من العقل فتتصل بالصورة الانسانية وتتشكل بالاشكال الفلكية . فعندذلك يشرق العقل عليها ويصرفها بهاتين القوتين وينحط من النفس بواسطتهما من العالم الأعلى ، فالطرف الاعلى ينحط من دائرة الشمس فيختص من الحيوان بالانسان ، ومن النبات بما طابت رائحته وزكت ثمرته وحسنت صورته ، ومن المعادن بالذهب ، ومن الجواهر بالياقوت . ولها من الافعال التمام والكمال ومن الصفات الاشراق

والضياء ومكانها من الارض مواضع الملوك والرؤساء وفعلها فيها الطهارة والنقاء والطرف الادنى ينحط بوساطة القمر المرتب في السماء الدنيا الموصوف بالزيادة والنقصان والاخذ والاعطاء والتفريغ والاملاء — ونحن نذكر من أفعاله مايختص به في موضعه ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أنه ينحط من دائرة الشمس الى عالم الارض دائرة لموضع ملائكة تسميها الحكماء روحانيات ، ولهم صفات في الاسرار الناموسية والعلوم الشرعيـة تليق بهم وأفعال تنسب اليهم فهم بها معروفون وبما يظهر عنهم فيها موصوفون ، وأفعالهم ما يظهر من الملوك وما يختص بهم — كما قدمنا ذكره في كل الجهات — وما فيها من النبات والمعادن وجميع الموجودات كل ما قد علا وارتفع قدره وعظم ذكره ، وأفعالها المخصوصة بها وصفاتها المضافة اليها الحياة والحرارة التي تنبث من القلب في الجسد والاعتدال والكمال والتمام والصلاح والحسن والبهاء والنور والضياء والعظمة والجلالة ، فهذه افعال روحانيات الشمس في المعاملات ومقامات الملائكة المنبثين في العالم منها المنحطين من دائرتها لموضع الملوك والسلاطين الذين لبسهم الديباج الاصفر وحليهم الذهب الاحمر وتيجانهم مكللة بالجوهر ودوابهم خيل شقر وبراذين(1) صفر يقدمهم ملك كريم وشخص عظيم بيده راية صفراء مكتوب عليها بالنور : لا إله الا الله الحي القيوم معطي الحياة لكل حي جاعل الشمس والقمر آية للناظرين المتفكرين في خلق السموات والارض وما خلق ذلك الا بالحق سبحان ربك رب العزة عما يصفون «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الملك انك على كل شيء قدير » .

وهؤلاء الملائكة الموصوفون بهذه الصفات المنسوبون الى هذه الدرجات

(1) البراذين : جمع برذون وهو الاتان الصغير من البغال والحمير ، راجع فقه اللغة للثعالبي

يطلعون بطلوعها ويغربون بغروبها ، وهم الملائكة الموكلون بدائرتها السائرون في فلكها المتصلون بعالم الارض بوساطتها ومنهم تشرق القوة النفسانية وبهم تضيء القوة العقلية فهم اذن أشخاصهم نفسانية وأرواحهم عقلية وموادهم الهية فهم لايضيق بهم المكان ولا يغيرهم طول الزمان عن أفعالهم والمكان عن كيانهم .

فهذه المنزلة أجل منازل الروحانيين الفاضلين وهم الملائكة المقربون ومن دونهم اللاحقون بهم ، من تحتهم ومن فوقهم ملائكة موصوفون بصفات غير هذه كذلك حتى يكون فوقهم من هو أعلى وأشرف اذ كان هؤلاء روحانيون بذواتهم متصلون بالجسمانية بما يظهر فيهم من أفعالهم والذين فوقهم ملائكة عالون ، وهؤلاء المقربون من العالين وصفات الملائكة العالين تختص بهم من حيث ذواتهم وأفعالهم أنفس ناطقة وروحانياتهم كائنة منها نفسانيون وهم اللاحقون بالكرسي الذي وسع السموات والارض ، ومنهم الحافون من حول العرش ومنهم حملة العرش وكل في مقام كريم ومحل عظيم يسبحون بحمد ربهم

فاذا تأملت ياأخي ماوصفنا وتحقق لك ماذكرنا فقد تهيأ لك أن تصير بالصورة الملكية فتكون قد حزت الفضيلة والانسانية وتبرأت عن الصورة الحيوانيـة والصفة البهيمية وتصير من سكان السماء بروحك الزكية ونفسك المضيئة وتصير صورتك ذاتية نفسانية وروحك قدسية عقلية ومادتك إلهية وتستحق حينئذ مرافقة الملائكة المقربين والانبياء المرسلين والشهداء الصالحين وتدخل الجنان وتحل في دار الحيوان فيكون طوبى لك وحسن مآب .

واعلم أيها الاخ انه لايتهيأ لك ذلك بالمعرفة دون العمل ، ولا بالقول دون الفعل ، كما أنه لايمكنك أن تكون في الدنيا بمجرد نفسك ولطيف روحك دون جسمك والوسائط التي بين الموجودات وبينك

واعلم أن العمل هو سلم المعراج والمعرفة هي النور يسعى بين يديك فبالسلم ترتقي وبالنور تهتدي وفقك الله وايانا للعلم والعمل برحمته

﴿ فصل ﴾

دائرة زحل تنبث منها روحانيات تسري في جميع العالم من الافلاك والامهات والمواليد وبها يكون تماسك الصورة في الهيولى وهي تعطي الاشياء الثقل والرزانة والوقوف والابطاء ، وموضعها من جسد الانسان الطحال وماينبث منه في الجسد من المرة السوداء وبذلك تكون أجزاء البدن من العظام والعصب والجلود وجمود الرطوبات ومن أفعاله البرودة واليبوسة ولها من الحيوان مااسود لونه وقبحت صورته ، ومن النبات مثل ذلك ، ومن المعادن الرصاص الاسود والقير وكل مااسود لونه ونتنت رائحته ، ومن الارض والجبال السود والأودية المظلمة والطرق الوعرة والوحوش الذعرة الكريهة المنظر ، ومن عالم الانسان مايكون بهذه الصفة .

ومن أفعال هذه الروحانيات الموت وسكون الحركة والملائكة المنبثة منه في العالم موصوفون بما يبدو عنهم ويظهر منهم من أفعالهم وأعمالهم ليكون بذلك الفعل عذاب النفوس العالية والأرواح الساهية ، وهي كتب مطموسة وصور معكوسة .

وأفعال روحانيته في العالم البرودة واليبوسة والملائكة النازلون لقبض الارواح وموت الاجساد روحانيات موكلون بساعات الليل وهي اعداد لايحصيها الا الله وهم ركاب على دواب دهم يقدمها ملك بيده راية سوداء مكتوب عليها: لا إله إلا الله مقدر الليل والنهار وجاعل الظلمات والنور ، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيداً : « مااتخذ الله من ولد وما كان معه من إله »

ويختص من بقاع الارض بالمواضع الدراسة والاماكن المنقطعة والجبال الشامخة والطرقات الوعرة وهي عمار ماخرب من الارض وبهم يكون تماسك البحار في أماكنها وثبات أوتاد الارض وتماسكها ولولا ذلك لسالت أجزاؤها واختلطت بالماء وساحت في البحار .

فهذه الملائكة الموكلة بها تمسكها باذن الله عز وجل والفلاسفة تسمي هذه الملائكة روحانيات زحل ، والناموس يسميها ملائكة الغضب وجنوداً وأعواناً وهم الموكلون بقبض الارواح وملك الموت منهم

﴿ فصل ﴾

دائرة المشتري تنحط منها قوى روحانيات تسري في جميع العالم يكون بها اعتدال الطبائع وتأليف القوى المتنافرات وهي سبب المتولدات الكائنات وحفظ النظام على الموجودات وأفعال روحانياتها في العالم الكبير ماينبث من الكبد في جسد الانسان الذي هو عالم صغير الذي به يكون صلاح المزاج واعتدال الاخلاط وجريان الدم في الاعضاء وبه ينمو الجسد ويستوي البدن وتطيب الحياة ويلذ العيش وتأنس الارواح ، وروحانيته مستولية على مواليد الانبياء صلوات الله عليهم وأصحاب النواميس ومواضع الملائكة المنبثة من دائرته النازلين من فلكه الخارجين من بابه مواضع الصلوات وبيوت العبادات .

ومن الحيوانات الصور الحسنة المذبوحة في القرابين المفرقة لحومها في الصدقات والزكوات .

ومن النبات ما كان في غاية الاعتدال ونهاية النفع وله من الطيب الكافور ومن البخور ما كان معتدلا بين البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة ، ومن الثياب البيض والعمايم الكبار والطيالس ويختص بمواليد الحكماء والقضاة ومن يخدم في نواميس الانبياء ومقامات الحكماء ، والملائكة المنبثة منه سكان الفضاء ومدبرو الهواء وهم عدة لا يحصيهم إلا الله عز وجل ، وركاب على خيول بيض وشهب وبلق وثيابهم بيض وخضر يقدمهم ملك كريم وشخص عظيم بيده راية مكتوب عليها : لا إله إلا الله وحده لا شريك له [(جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء) (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) وهو على كل شيء قدير .

وتختص هذه القوى من المعادن بالأجساد البيض اللينة ، ومن الجواهر

اللؤلؤ والمرجان والبلور والزجاج ، ومن المياه ما كان حلواً لذيذاً يكون فيها الحيوان الحي وغير الحيوان وهو مختص بها وبه يكون منبعها ومع روحانيته يكون معراج الانبياء إلى ما أعد الله لهم من حسن المآب وجزيل الثواب ورضوان خازن الجنان منهم .

فصل

دائرة المريخ تنبث منها قوى روحانية تسري في العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها يكون النزوع والنهوض والسرعة في الاعمال والصنائع والترقي في معالي الدرجات وطلب الغايات والوصول الى التمام والبلوغ الى الكمال بالقهر والغلبة والعز والسلطنة.

وتختص أفعال روحانيتها وأعمال ملائكتها من المعادن بالحديد وما يتخذ منه من السلاح وما يصلح لوقود النار في النبات والاشجار مايكون منه من الحرارة المنضجة لثمارها التي تمتص الرطوبات المائية والمواد الندية وبهذه الحرارة الغريزية يكون جذبها للبرودة الموجودة فيها ، ولولا هذه الحرارة لتلفت أصول النبات وغلبت عليها البرودة فتلفت واضمحلت وما بقيت وعدمت .

وفعلها المختص بالحيوان ما يظهر فيه من الغضب والتعدي والشر ، وكذلك في عالم الانسان ما يكون من الحروب والفتن ومن بقاع الارض مواضع النيران وعمل الحديد ومذابح الحيوان ، ومن جسم الانسان المرة الصفراء وماينبث منها من الافعال في البدن من اللهيب والحرارة ولولا ذلك لغلبت القوة الباردة اليابسة على الجسد فتالف واضمحل .

وبالحروب والفتن يميز الله الخبيث من الطيب ويكون سعادة لقوم ونحساً للآخرين : (وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة) وهذه الروحانيات أيضاً ملائكة غلاظ شداد لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل يقدمهم ملك راكب فرسا أحمر بيده راية حمراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله مقدر الموت والحياة (وله مافي السموات ومافي الارض وماسكن في الليل والنهار يامعشر الجن والانس

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) الآية . (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) .

وهذه الروحانيات تختص بمواليد السلاطين وأصحاب السيوف وولاة الحروب وأصحاب الشجاعة والاقدام والنجدة والجراءة ، وهي تفعل من ذلك بضد ماتفعل روحانيات زحل إذ فعل روحانيات زحل القرار والهدوء وأعمال الحيلة وابطاء الحركة وطلب الفرصة .

فصل

دائرة الزهرة تنبث منها قوى روحانية تسرى فى جميع جسم العالم وأجزائه وبها يكون زينة العالم وحسن نظامه وبهاء أنواره ورونق أزهاره وزخرف الكائنات وحسن الموجودات واعتدال النبات والشوق الى الزينة ومحبة الجمال وطلب الكمال كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ إلى جميع مجاري الحواس التى تستلذ المأكولات والمشروبات وروحانياتها تستولى على مواليد النساء والخدم ومن يجرى مجراهم ، وأفعال روحانياتها في العالم العشق والمحبة والتزين بالزينة الحسنة وتختص من المعادن بما يصلح للنساء من الآلات والا كاليل والحلى والخواتم ، ومن الجواهر بالدر ومن النبات بكل ماطاب طعمه ورائحته وحسن منظره من جميع أزهار الاشجار وروائحها وأدهانها وحسن منظرها وطيب ثمرها ومن الحيوان بمثل ذلك ومواضعها في الارض أمكنة اللذات ومواضع الخلوات ، وروحانياتها ملائكة لايحصى عددهم إلا الله عز وجل ركاب حيوانات ملونة موشحة بالزينة يقدمهم ملك بيده راية مكتوب عليها :لا إله الا الله وحده لاشريك له (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) . الآية وهى ذات النقش والتصوير وبهذه القوة ثبات النفس فى الهيولى

فصل

دائرة عطارد تنبث منها قوى روحانيات تسرى في جميع جسم العالم وأجزائه وبها تكون المعارف والعلوم والخواطر والالهام والرؤيا والوحي والنبوة ، كما

تنبث من الدماغ القوة الوهمية وما يتبعها من الذهن والتخيل والفكر والروية والتمييز والفراسة والخواطر والالهام والشعور والاحساس،وتستولى روحانياتها وتختص افعال ملائكتها الهابطة من المعادن الطبيعية بالزوابيق والارواح الصاعدة ومن جواهر ما كان ذا لونين مثل الجزع والبادزهر ومن الحيوان الزرافات وبقر الوحش وكل ماخف مشيه وأسرع في ذهابه ، ومن النبات مثل الادوية الفاضلة وتختص من عالم الانسان بمواليد الكتاب والوزراء والعمال وجباة الاموال . ويؤثر في العالم الصنايع والحرف ، ومن الكلام الشعر والخط والنظم وغير ذلك ، وملائكته النازلة من دائرته كرام كاتبون وحفظة حاسبون ذوو مناظر حسنة وصور بهية أرواحهم خفيفة وأشخاصهم لطيفة يقدمهم ملك بيده راية مكتوب عليها : لا إله الا الله وحده لا شريك له : « كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة »

فصل

دائرة القمر تنبث منها قوى روحانية تسري في جميع العالم وأجزائه ، فيها تنفس الموجودات في العالم جميعاً تارة من عالم الافلاك نحو عالم الكون من أول الشهر ، وتارة من عالم الكون نحو عالم الافلاك في آخر الشهر وهي القوة المتوسطة بين عالم الافلاك ومعدن البقاء والتمام وبين عالم الاركان معدن الكون والفساد والهبوط والاتحاد كما تنبث من جرم الرئة القوة التي بها يكون التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج الجسد لحفظ الحرارة الغريزية على الجسد . وتارة تكون بارساله الى خارج لترويحه . فعند استنشاق الهواء تربو الرئة وتعظم ، وعند ارساله تهزل وتصغر ، كذلك القمر باستمداده مما فوقه تتسع دائرته وتهبط ملائكته بالمواد العلوية والخيرات السماوية فيفعل في العالم الزيادة والنماء والربى ، فعند ذلك تكثر مياه الانهار وتربو وتسمن الاجسام فلا يزال كذلك الى النصف من الشهر ويتكون في هذه المدة بعض المعادن ويتكون بعض الجواهر

وروحانياتها تفعل في المعادن الفضة والاجساد البيض مثل الملح والثلج وله من الجبال البيض ومواضع الثلوج وله من الحيوان ما يتكون من المياه ويكون غذاؤه منها وتستولى روحانياته وتختص أفعاله وجنوده بمواليد أصحاب العمارة مثل الوكلاء والدهاقين وأصحاب الجم ومن يفعل في المياه .

وقد ذكرنا أيها الاخ ما يكون من أفعال روحانيات منازل القمر التي تسير فيها وتمر عليها وما يهبط منه ومنها الى العالم الارضى والمركز السفلي ومايكون منها ومايجب للعامل اذا أراد أن يعمل ما يعمله من معرفتها في رسالة السحر والعزائم ، وهذه القوة هي المخصوصة بتدبير عالم الكون والفساد ، وفلك القمر هو سماء الدنيا وملائكتها هى الموكلة بعالم الارض وهم عدة لا يحصيهم الا الله تعالى يقدمهم ملك بيده راية بيضاء مكتوب عليها بسواد : لا إله الا الله وحده لا شريك له « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون »

فصل

وهكذا ينبث من جرم كل كوكب من الكواكب الثابتة قوة روحانية تسرى في جميع جسم العالم من أعلى الفلك الثامن الذي هو الكرسي الواسع الى منتهى مركز الارض وبهذه القوة ومع هذه الملائكة يكون النور الذي تشرق به السموات وتضيء الافلاك ويتصل بالشمس فتكون هي القنديل المضيء والكوكب الدري والنور الزاهر والسراج الأنور المتوقد « من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية » وينبث من نور الشمس في الهواء الاجسام الشفافة المجموع فيها النور والاشراق والضياء والحسن والبهاء ، وبهذه القوة تنحط صور الموجودات فتصير في دائرة الطبيعة محفوظة فى الهيولى وبها صلاح العالم وقوامه وكونه على ماهو موجود باذن باريه تعالى ، ونهايات سكان السموات وهم الملائكة العالون وهم جنود الله الذين لا يعلمهم الا هو كما قال تعالى : « وما يعلم جنود

ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر » وقال حكاية عنهم : « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وهم سكان الكرسي الواسع ، وحملة العرش المحيط من فوقهم يمدونهم بالفيوضات الكاملة والنعم الشاملة وهم المرتبون في جوارب العالمين المستمعون لكلامه الفاعلون بأمره ونهيه ، وهم حملة الوحى والتأييد الى من دونهم المبلغون رسالات ربهم الى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

فصل

واذ قد ذكرنا صفة الدوائر الفلكية والملائكة السماوية والروحانيات الهابطة من الملأ الأعلى من لدن العرش الى منتهى المركز أسفل السافلين وبين ذلك دائرة ودائرة مافيها من السكان وما يظهر من أفعالهم فى الزمان بموجبات أحكام القران . فأول الدوائر التى دون فلك القمر دائرة الاثير وهي دائرة كرية نارية حادثة من تحريك فلك القمر وما يتصل به من أفلاك الكواكب ونيران حرارات دوران الافلاك واصطكاكاتها وتموجها وشعاعاتها وتجتمع كلها تحت فلك القمر وكيفية هذه الدائرة وردية متموجة متحركة مستديرة ينحط منها الى العالم قوى نارية والنار التى فى العالم منها ، ويكون وصولها الى العالم بوصول نور الشمس وهى الحرارة التى تنحل بنور الشمس مما دون فلك القمر ، تقوى فى الصيف وتضعف فى الشتاء لقرب الشمس منها ، اذا قاربت في بروجها من دائرة الارض يكون الصيف ، واذا بعدت في أوجها وعلى دائرة فلكها ضعفت هذه الدائرة ، وبضعفها يقوى فعل الدائرة المرتبة تحتها وهي دائرة الزمهرير ، ومن فعل دائرة الاثير في العالم يكون التسخين والنضج واصلاح الغذاء وهى النار المستضاء بها من ظلمات الليل وهى نار جزئية من النار الكلية

فصل

ومن تحتها دائرة الزمهرير وكيفيتها كريه لونها أزرق وتحمر وحدوثها من الهواء والبخارات الصاعدة من الارض، فاذا وصلت الى سطح كرة الاثير تعذر عليها

نفوذها فوقفت مرتبة تحتها ، منها ينبث الى العالم ما يحدث في الشتاء من البرد والامطار والثلوج وما شاكل ذلك اذا بعدت الشمس وضعف فعل دائرة الاثير واستولت على الكواكب النارية فى اليبس ، وفعلها البرد والرطوبة ووصول قوتها يكون بوصول القمر ويزيد بزيادته وينقص بنقصانه

فصل

ومن تحت دائرة الهواء وكيفيتها مستديرة ممتزجة ولونها اسمانجوني وهو لون السماء وتبيض باشراق الشمس والقمر والكواكب عليه تضيء بالنهار وتظلم بالليل وهى مهيأة لقبول الانوار وتضيء بحسب قواها فيها ووصولها اليها واشراقها عليها وفعل هذه الدائرة في العالم تغذية الاجسام وحفظها على استواء النظام وترويح الحرارة الغريزية والنفس وحفظ القوة والحركة وطيبة العيش ولذة الحياة وهى معتدلة تميل مع ما يقوى عليها ويتصل بها تبرد في الشتاء بما يتصل بها من قوة الزمهرير ، وتحمى في الصيف بما يتصل بها من قوة حر الاثير وما يكون من فعل الشمس والقمر وبقية الكواكب ذلك تقدير العزيز العليم

فصل

ودون دائرة الهواء دائرة الماء وهي مستديرة حائطة بالارض والهواء حائط بها فما ينشفه الهواء ويصعد به ويعرج معه بالبخارات الصاعدة مع لطائف الأمهات حتى يتصل بدائرة الزمهرير ويسخن بحرارة الأثير وتشرق الشمس عليه مع شعاعات الكواكب فيصير مطراً وغيثاً يغاث به أهل الارض ويصير حلواً طيباً سائغاً لذة للشاربين .

ومنه مايكون قبل صعوده ملحاً أجاجا كالبحار المالحة والمياه النابعة من السباخ — فانظر أيها الاخ هذه الحكمة وتأمل هذه الصنعة وانظر كيف يكسب الماء بطلوعه الى دائرة الزمهرير وبعده من دائرة الارض ويتصل به وتشرق عليه هذه الطبيعة واللذة والصفاء واللطافة والمنفعة ويصير مادة للاجسام وغذاء

للابدان وحياة للنبات والحيوان ! ولو بقي على الحالة الدنيئة والرتبة الناقصة لكان غير منتفع به .

وكذلك النفس اذا بقيت مع جسمها البالى ومكانها الدنيء لاتنال الفضائل التى بها تكون سعادتها وارتقاؤها في رفيع درجاتها وما تناله من اللذة والطيب في دار المعاد بعد مفارقة الاجساد وعند النقلة عن عالم الكون والفساد

﴿ فصل ﴾

وبعد دائرة الماء دائرة الارض وهى التراب وكيفيتها مستديرة ولونها أسود كثيفة جامدة ، وعلى بسيطها مستقر الجثمانيين وعلى ظهرها أشراق أنوار الروحانيين ، وفى البقاع الطاهرة فيها مسكن النبيين والصالحين وهى مهبط الوحى والملائكة المقربين وفي باطنها سكون المعادن وفي البقاع الطيبة يستقر الماء المعين الذى هو لذة للشاربين سطحها مما يلى الافلاك هو وجهها وهو مقر العالم الجسماني والخلق الانساني وهو دوائر عليها وخطوط فيها ، ولكل دائرة فعل يختص بها وعمل يظهر منها بحسب مايتصل بها من فوقها والذى دون فلك القمر مأوى الصم البكم الذين لا يعقلون في أسفل السافلين .

وإذ قد ذكرنا الدوائر التى هى دون فلك القمر الى منتهى مركز الارض فلنذكر الدوائر التى على سطح الارض الكائنة فيها الصاعدة عنها المستقرة عليها

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ أنه أول مابدأ في باطن الارض وتحرك بالكون، المعادن وهى دائرة كانت ذات قوة كامنة كثيفة وثقيلة منها صلبة ورخوة ذات ألوان وأصباغ وزيادة ونقصان ، ومنها مايقبل الصورة وينساق للفعل ولكل شكل منها فعل يختص به وقوة توجد فيه — قد ذكرناها في رسالة المعادن — ثم الدائرة التى فوقها التالية لها دائرة النبات ، وهى مرتفعة عن الارض بعد كونها مرتفعة نحو المحيط قابلة لما ينزل عليها ،وفعلها الغذاء للحيوان وهى الواسطة بينه وبين الارض

بما يتناوله من ثمارها وحبوبها وبما ينتفع به منها فيما يصدر اليه عنها وقد ذكرنا مايختص بكل نوع منها فى رسالة النبات

﴿ فصل ﴾

والدائرة التى من فوقها دائرة الحيوان وأفعالها وما يظهر منها وهى حائطة بدائرة النبات قاهرة لما يكون فيها تأكل منها وتتغذى بها ، ولكل جنس منها عمل وهو عامل له وفعل يختص به وفيها للانسان منافع — قد ذكرناها في رسالة الحيوانات — والدائرة المرتبة فوق هذه الدوائر ، التى هى لها كالفلك المحيط بالافلاك ، دائرة عالم الانسان اذ كان المتحكم فيها كلها فاول هذه الدائرة آدم وآخرها صاحب الدور الجديد في القران المستأنف .

وهذه النفوس الحيوانية المرتبة تحت الانسان بالطاعة له والانقياد لامره ونهيه هم الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام وأقروا بالطاعة وهم صور وأشباح للملائكة الذين هم سكان السموات وعالم الأفلاك والحيوانات العاصية للانسان المعادية له وهى مثل ابليس وجنوده وحزبه ، والشيطان وأتباعه . فقد بان بما وصفنا وتحقق بما ذكرنا معرفة مافي العالم الصغير والكبير ، وما يكون من فعل الانسان ويبدو منه ويظهر عنه من الافعال المتضادة والاعمال المتباينة وأنه صورة قد قهرت الصور ودائرة قد أحاطت بالدوائر التى دونها وفيها مثالات لما فوقها — وقد ذكرنا طرفا منه فى رسالة : (الانسان الصغير) — ونريد أن نذكر في هذه الرسالة ما يتفرع من كل دائرة من هذه الدوائر المجسمة والخطوط المركبة ونبتدىء بدائرة الانسان ومايوجد فيها من الاقسام المحيط بعضها ببعض حتى يكون آخرها فلك القمر وينتهي الى مركز الارض الذى هو مستقر الكثائف ووجود فعل اللطائف بالتمثيل واقامة الدليل

﴿ فصل ﴾

دائرة الناموس الالهي وأشخاصها القائمون بأمور النواميس وما أنزل اليهم من ربهم ، ومثلها في عالم الانسان مثل الفلك المحيط وكواكبه وما ينحط اليه

من السعادات في الدين والدنيا مثل مايتصل بالعالم كله من فيضان الكواكب الثابتة من الحيوان والسعادات واشراق النور والضياء ، وهـذه الدائرة فى عالم الانسان بمنزلة دائرة الشمس فى عالم السموات ، ويقترن بها دائرة الملك والعز والسلطان وهى حاوية لجميع ما دونها من الدوائر في عالم الانسان محيطة بمادونها من العوالم ، وبهم يتصل منها العلم والحكمة والاخبار بما كان ويكون

﴿ فصل ﴾

الدائرة التى تليها دائرة أصحاب الحكم الفلسفية العقلية المرتبة فى أفق الدائرة الاولى وتنبث منها فى العالم الصنايع المحكمة والأفعال المتقنة مما يصلح للرؤساء والملوك ومايليق بهم.

ثم مادون ذلك دائرة تحت أخرى حتى يكون آخرهم أدنى الصنايع وأخس الاعمال كما قال تعالى : ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (١) وأحوج بعضهم الى بعض وجعل بعضهم لبعض سخريا .

فقد بان بهذا القول أن عالم الانسان درجات وطبقات ودوائر محيطة بعضها ببعض بادية بعضها عن بعض ، ويختص بكل دائرة منها من قوى الشمس وافعالها مثل مايختص بكل كرة وفلك من فعل النفس الكلية ومايسري فيها من قواها وروحانياتها في العالم وتهيأ قواها وروحانياتها في جهاته وتوكيلها ملائكته بموجوداتهم واقامتهم اياهم فى مواضعهم اللائقة بواحد واحد منهم ، وبمعرفة الانسان بنية جسده وكيفية فعل نفسه فى جسمه تكون معرفته بما فى العالم الكبير باسره وبتوحيد خالقه وتنزيه مبدعه ومعرفة آياته المكتوبة فى أرضه وسمائه وما أبداه واخترعه من مخلوقاته .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ أن الله عز وجل جعل جسم الانسان مركبا من تسعة جواهر

(١) لعله يقصد ايراد فحوى الاية لانصها

مبنياً على تسع دوائر مركبة بعضها في جوف بعض ليكون جسم الانسان بموجود بنيته وكمال هيئته مشاكلا للافلاك بالكيفية والكمية جميعاً ، لان الافلاك تسع طبقات مركبة بعضها في جوف بعض والفلك المحيط حائط بها كلها ، كما قال الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فكذلك جسم الانسان خلق من تسعة جواهر بعضها فوق بعض وآخر ملبد عليها محيط بها : تفصيل ذلك وهى العظام والمخ فيها والعصب والعروق وفيها الدم واللحم والجلد والشعر والظفر .

فالمخ فى جوف العظام وفعله تركيب العظام وحفظ القوة وتليين اليبس ، وفعل العظام مسك اللحم وثباته عليها ، وفعل العصب ضبط المفاصل ورباطاتها كيلا تنفصل ، وفعل اللحم سد خلل ذلك الجسم ووقاية للعظام لئلا تنصدع وتنكسر وفعل العروق جمع الدم فيها وجريانه الى أطراف الجسد وتحريكه بالنبض ، وفعل الدم مسك الحرارة وضبط الحياة واعتدال المزاج والحركة ، وفعل الجلد الاحاطة بجميع الجسم ومافيه وهو كالسور عليه ، وفعل الظفر ضبط الأطراف ومسكها وزمها لئلا تنكسر وتنتشر

﴿ فصل ﴾

ولما كان الفلك معموراً باثنى عشر برجاً كذلك وجد فى بنية الجسد اثنى عشر ثقباً مماثلة لها ، وكما أن في النفس الفلكية فى كل برج من أبراج الفلك قوى موكلة بها ، كذلك لنفس الانسان فى كل حاسة من جسمه قوى موكلة بها تصدر عنها وترجع اليها .

ولما كانت الابراج ستة منها جنوبية وستة شمالية كذلك وجد للانسان ست ثقوب فى الجانب الأيمن وست في الجانب الأيسر مماثلة لها بالكمية والكيفية جميعاً .

ولما كان في الفلك سبعة كواكب سيارة بها تجري أحكام الفلك في الكائنات وبها يكون نظام الموجودات ، كذلك يوجد فى الجسد سبع قوى فعالة منبثة من النفس الانسانية متصلة بالقوة الطبيعية بما يكون به صلاح الجسد ، ولما كانت

هذه الكواكب ذوات نفوس وأجسام وأفعال روحانية تفعل بما يظهر من فعلها في الموجودات من الحيوان والنبات ، كذلك يوجد فى جسم الانسان سبع قوى جسمانية تفعل في الجسم ما يكون به بقاؤه ونموه وصلاحه بمواد سبع قوى وهي : الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغاذية ، والنامية ، والمصورة : وسبع قوى روحانية مماثلة لقوى روحانيات الكواكب السبعة وهي القوى الحساسة وبها كمال الانسان وتمام أفعاله ، كما أن بالسبعة الكواكب زينة الفلك وقوامه واستواء العالم الأعلى ونظامه ، وهى القوة الباصرة ، والشامة ، والذائقة ، والسامعة ، واللامسة ، والناطقة ، والعاقلة .

والقوى الخمس تشبه الكواكب الخمسة وهاتان القوتان أعنى الناطقة والعاقلة مشابهتان للشمس والقمر ، وذلك أن القمر من الشمس يأخذ نوره بجريانه فى منازله الثماني والعشرين ، كذلك الناطقة من القوة العاقلة تأخذ معاني الموجودات وحقائق المرئيات فتخبر عنها بثمانية وعشرين حرفاً من حروف المعجم

ولما كان في الفلك عقدتان وهما الرأس والذنب وهما خفيتا الذات ظاهرتا الافعال ، كذلك وجد في جسد الانسان شيئان للمزاج صلاح وفساد : فاذا صلح المزاج استقام أمر الجسد واذا فسد المزاج اضطرب الكل ، وكذلك النفس إذا مالت الى العقل صحت أفعالها وتخلصت من كدر الطبيعة وأشرق العقل عليها واهتدت اليه وأنست به ، واذا مالت الى الطبيعة اضطربت أفعالها وقبحت أعمالها وبعدت عن علتها وغرقت في بحار جهالتها وانكسفت كما يكون انكساف الشمس والقمر بعقدة الذنب وما يحدث فى الارض ويكون فى ذلك من الامور الصعبة . كذلك المزاج بصلاحه يكون صلاح القوة الناطقة والقوة العاقلة اذا سلمت بنية الجسد وجرت على الامر الطبيعي صفت النفس ، واذا صفت النفس أشرق العقل عليها وأضاء فيها ، والعينان فى الجسد مشاكلتان للشمس والقمر إذ هما سراجا الجسد وبهما تدرك النفوس صور الموجودات والالوان المرئيات بمادة اشراق ضوء الشمس والقمر ، وكذلك بقية سائر الحواس وكما أن في دوائر

الفلك وبروجه حدوداً ووجوها ودرجات ، كذلك يوجد في مفاصل الجسد وأعضاء البدن مفاصل وعروق مختلفة الاوصاف ، وكما أنه ينبث من قوى النفس الكلية في الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر روحانيات لها أفعال تختص بكل كوكب وكل برج وأنها تنحط الى العالم مع كل لحظة ودقيقة وساعة وحركة من حركات الزمان ، كذلك لنفس الانسان في جسمه ومفاصله أفعال وأعمال تظهر منها وتبدو عنها مع كل حركة من حركاته ولحظة من لحظاته ونفس من أنفاسه ، وكما أن نفس الانسان متصلة متحدة محركة بحركة الجسم مادام موجوداً بذاته ، قائما بادواته الى وقت مفارقتها اياه وخروجها عنه الى ما سواه ، كذلك النفس الكلية متحدة بالحركة الفلكية باذن باريها وكونها على ذلك الى المدة المقدرة والحكمة المدبرة

﴿ فصل ﴾

في مشاكلة جسم الانسان للدوائر التى دون فلك القمر

رأسه يشبه دائرة الاثير وهي النار من جهة شعاعات بصره وحركة حواسه وحرارة أنفاسه ، ومن فيه الى أصل عنقه مشاكل لدائرة الزمهرير لمرور الماء البارد عليها وجريانه فيها كما ينزل الماء من دائرة الزمهرير الى الارض ، كذلك من فم الانسان يكون وصول الماء الى جوفه وما يظهر فيه من البصاق وما يبدو من كلامه وأصواته وزجراته ونهراته مثل الرعد والصواعق والثلوج المنحطة من دائرة الزمهرير ومثل ما ينفخ في فمه من الهواء البارد إذا أراد تبريد الحرارة ، وصدره مشاكل لدائرة الهواء وما يتصل من أنفاسه وما يسكن من رئته وما يكون من ترويح الحرارة الغريزية التى في قلبه ، وجوفه مشاكل لدائرة الماء لاستقرار الماء فيه والرطوبات التى لا تفارقه ، والنداوة اللازمة له ، ومن سرته الى قدمه مشاكل لدائرة الارض لاستقراره عليه وكونه ملازماً للارض بسعيه فيها والذهاب والمجيء ، ومن جهة أخرى ، رأسه كالفلك المحيط والقوى فيه كالملائكة الموكلة بالفلك المحيط

وكما ينحط من الروحانيات الى العالم ما يكون به صلاحه فكذلك تنحط من القوة العاقلة من الرأس الى الجسم ما يكون به صلاحها ، ومثل نبات شعر رأسه مثل فلك زحل وما ينبث من روحانياته وما يبدو عنه ويكون منه ثم كذلك الى ما دونه الى أن ينتهي الى فلك القمر موجود كل ذلك في بنية جسد الانسان — وقد ذكرنا هذا الفصل بتمامه فى رسالة (الانسان عالم صغير) وقوى نفسه الخاصة بها اذا اعتدلت وعدلت عن الطبيعة الى جهة العقل كانت كالملائكة وصارت أفعالها مشاكلة لافعالهم فاذا فارقت الجسم صارت اليهم وقدمت عليهم وان عدلت عن العقل الى الطبيعة صارت مثل الشياطين ومن حزب ابليس اللعين وصارت أفعالها تشبه أفعالهم وان فارقت الجسم وهي على ذلك صارت معهم فمستقبل الانسان بالجنة أشبه وهو ذات اليمين ، ومؤخره بالنار أشبه وهو ذات الشمال ، والقفا يشبه عالم الكون والفساد اذ كان ظلمة كله وهو الظهر وما يبدو منه ويكون عنه من خروج الغائط ، والوجه عامر بالحواس والانفاس والانوار وهو عامر مأنوس كعمارة الافلاك ونور السموات . كما قال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ولا صورة أحسن من الانسان المليح الوجه التام الخلقة الكامل البنية اذا اقبل ، ولا شيء أوحش من الانسان اذا أدبر ، وكذلك يوجد الانسان بين حالتين في معيشة دنياه وما يكون به صلاح جسده وقوام نفسه وهما الفقر والغنى ، فالغنى يسمى اقبالا والفقر ادباراً .

فبالغنى النعيم واللذة وبلوغ الغرض والشهوة ، وكذلك أهل الجنة لهم فيها مايشتهون ، مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، وبالفقر يكون عدم المحبوبات وكثرة الهموم والاحزان والحسرة والندامة على مايفوتهم ممايناله غيرهم من أهل اليسار .

وكذلك أهل النار لاندامة كندامتهم على مايفوتهم من خيرات الجنة وما يناله أهلها .

وعلى هذا المثال اذا اعتبرت بنية الانسان وتأملتها وجدتها جميع الموجودات وفيها مثالات مافيها بأسرها فلذلك يسميها الحكماء عالماً صغيراً إذ كانت مشاكلة بجميع ما فيها لجميع ما في العالم الكبير

فصل

واذ قد وجدنا من وجود هذه الدوائر في جسم الانسان بما وصفناه من دائرته وثباته من تركيب بنيته ، فلنذكر مايوجد من ذلك في دائرة الحيوان التي هي تحت دائرة الانسان :

واعلم أيها الأخ أن الحيوان منه ماهو حسن الصورة مليح الأفعال حسن الاعمال ، ثم مادون ذلك حتى ينتهي الى أقبحه فى المنظر وشره في المخبر ، وهو دوائر بعضها جوف بعض ودرجات ومنازل ، والانفس التي فيها تعمل أعمالا مثل ماتعمل الروحانيات فى عالم الافلاك وسكان السموات، فماحسنت صورته وأطاعت روحه وخدمت الأنفس الانسانية وكان ساجداً لها فهو يجوز أن يلحق بها فى تفضيلها ومنزلته من دائرته كمنزلة الملائكة من عالم الافلاك والسموات الساجدة لربها وكمنزلة الملوك والرؤساء من عالم الانسان ، وماقبحت صورته وعصى على الانفس الانسانية كان مثل ابليس العاصي المعتدي المستكبر على النبي فى زمانه والحكيم فى أوانه مثل فرعون وهامان وقارون وكل من ظلم وتعدى وأخذ ماليس له بحق وارتكب النهي وخالف الامر وأصر ولم يتب .

وكذلك النبات أيضاً يوجد فيه مثل ذلك ، منه ماهو مليح زهره طيب ريحه وثمرته ، باسق فرعه زكي أصله ونفعه ظاهر ، ومنه ماهو بالعكس من ذلك .

وكذلك المعادن أيضاً منها الرفيع فى قدره الحسن فى منظره مثل الذهب والفضة ومادون ذلك حتى ينتهي الى ماينتفع به كمنفعة غيره مما تقدم ذكره .

واذا كان ذلك كذلك فقد صح أن الخلقة باجمعها والفطرة باسرها أفلاك حائطة ودوائر جامعة محيطة بعضها ببعض مربوطة بعضها ببعض . وان العالم كله كجسم حيوان واحد وجميع القوى السارية فيه نفس واحدة ، والله سبحانه

محيط به احاطة ابداع واختراع وخلقة وتكوين أوجده بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً .

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار أيدك الله وايانا بروح منه انك اذا تأملت هذه الآيات ونظرت الى افعال هذه الروحانيات وتفكرت فى خلق السموات والارض وما بينهما من الرفع والخفض . ثم نظرت الى هذا الهيكل المبنى بالحكمة وتأملت هذه الكتب المملوءة من العلوم ونظرت الى هذا الصراط الممدود بين الجنة والنار رجوت لك أن توفق للجواز عليه لعلك أن تنتبه من نوم الغفلة وتنجو من ظلمات بحر الهيولى وتنفك من أسر الطبيعة وترقى الى المحل الفاخر والمكان الطاهر بحيث لايلحقك الفساد ولاتحن الي محل الاجساد .

واعلم أيها الاخ ان الانسان مادام في الدنيا فلابدله من اعمال يعملها وأفعال يفعلها . وجميع مايبديه من اعماله ويصنعه من أفعاله فانما يظهر من قوى نفسه الشريفة وروحه اللطيفة فيصنع صنائع عجيبة ويفعل أفعالا وينظم الفاظاً منطقية وخطباً لغوية .

وهذه أيضاً أفعال روحانية تظهر بادوات جسمانية والمبدية لها قوة نفسانية منبعثة عن النفس الكلية . فما كان منها موضوعاً فى موضعه قائماً في حقه فهو مشابه لافعال الملائكة وما كان بالعكس من ذلك مثل فعل الخطايا والشرور وقول الزور والغضب والتعدي والظلم والزنا واللواطة وماشابه هذه فمشابه لفعل أبليس والشياطين .

وقد ذكرنا فى الرسالة الجامعة معرفة هذه الرتب والمنازل المحمودة والمذمومة فى مواضعها وأشخاصها مثل الارض والمعادن والنبات والحيوان والانسان فان آخر المعادن مربوط بأول النبات وآخر النبات مربوط بأول الحيوان وآخر الحيوان مربوط بأول البشر (١) وآخر البشر مربوط بأول مرتبة الملائكة وذلك

(١) لعل انصار مذهب دارون يرون في هذا ما يؤيد رأيهم وان كانوا لم يجتمعوا مع اخوان الصفاء في صعيد واحد

اذا صفا (١) وأن هذه الدوائر فيها رتب متباينة مقسومة على طبقات ومنازل وانها تبتديء كالنقطة وتتسع حتى تسير حائطة بعضها ببعض. وأن البارى سبحانه وتعالى جعل الموجودات كلها مشاكلة بعضها لبعض ، وجعل قصد العالم كله كقصد الفلك الذى يحويه والدائرة التى تؤويه ، كما قال تعالى : (وكل فى فلك يسبحون)

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن الباري سبحانه جعل شكل الفلك كريا لان هذا الشكل أفضل الاشكال الجسيمة من المثلثات والمربعات والمخروطات وغير ذلك ، ولكل شكل من هذه الأشكال ومثل من هذه الامثال أفعال تصدر عنها وأعمال تكمل منها .

فاما ما تختص بالشكل الفلكى والمثل الدوري فهى أعظم الاشكال مساحة وأسرعها حركة وأبعدها من الآفات والأقطار المتساوية في الوسط ويمكنه أن يتحرك مستديراً ومستقيما ولايمكن أن يوجد ذلك في شيء غيره ، ولهذا اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن جعل شكل العالم مستديراً كريا والأفلاك والكواكب كذلك لما تبين من فضل هذا الشكل على الاشكال كلها ، وكل فلك يظهر فيه من أفعاله فيما دونه بحسب سعة دائرته وضيق ما دونها عن الاحاطة ، فعند ذلك تظهر فيه أفعال المرتب فوقه ، وفي هذا الفعل سر يدل على حكمة المبدع سبحانه ومعرفته اذ هو محيط بما خلق فاعل فيما اخترع لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن فعل الشكل المستدير يظهر فيما دونه أكثر وأظهر من كونه فيما فوقه وما هو أوسع منه ، كما أن فعل المياه الحلوة اذا انصبت الى البحار

(١) وليس السوبرمان أو الانسان الجديد الا هذا الذي اسماه اخوان الصفاء انسانا ملكيا مع الفارق الكبير .

المالحة فانها لاتؤثر فيها لقلتها وكثرة ماء البحار واتساعها ، وكذلك ضوء الشمعة اذا وردت الى بيت فيه سراج فانه لا يتميز الضوء السراجي من الضوء الشمعي لغلبته عليه ، وكذلك ماهو أقوى وأبين من ضوء الشمعة اذا ورد عليها .

وعلى هذا القياس يكون فعل الشيء أبين وأقوى فيما دونه وما هو مرتب تحته ، ولما كان ذلك كذلك صارت النفس غير فاعلة فى العقل فعلا يغطي على فعله ولا يظهر عليه ، وصار العقل يفعل في النفس بالقوة والفعل جميعاً لأنه يعطيها صورة التمام والكمال ففعله اياها بالقوة كونها هيولانية موجودة في أول وجوده وابدائه اياها بالفعل الى حيث تكون ذات الموجودات ، فلذلك صارت أفعاله ظاهرة فيها ودائرته محيطة بدائرتها . وكذلك فعل النفس في الطبيعة بين ظاهر اذا كانت هى المتممة لافعال الطبيعة والمعطية لها الحسن والبهاء فالعقل اذن من فعل الله فهو المحيط به وبما دونه الباهر بنوره أنوار مخلوقاته كلها فهى منحصرة عن ادراكه انحصار الوقوف عن الاحاطة به بحيث أوقفها لا نفاذ لها من أمره ولاخروج عن حكمه ، كما قال جل اسمه : «وهو القاهر فوق عباده» . وهو المرتب لها مراتبها ومعطيها صور البقاء والكمال والتمام سبحانه لا إله إلا هو رب العرش العظيم والكرسى الذي وسع السموات والارض

﴿ فصل ﴾

والفلك المحيط دائرته أوسع الدوائر الفلكية والافلاك مما دونه كلها مستديرة مركبة بعضها في جوف بعض ، والفلك المحيط يدور حول الأرض فى كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة من المشرق الي المغرب فوق الارض ، ومن المغرب الى المشرق تحت الارض مثل الدولاب وفعله ظاهر بين فيما دونه من الافلاك كلها وهو المحرك لها ومعطيها ماهو موجود فيها ونازل عليها وواصل اليها وما يكون منها ويصدر عنها من الاعمال والافعال والنفس الكلية هى الفاعلة فيه مايفعله والممثلة له مايعمله ، وهى المحركة له ودائرتها مربوطة بدائرته حائطة به فهى تدور بالشوق

اليها وطلب القرب منها (١) إذ هى علته والفاعلة فيه بأمر الله عز وجل ما يشاء

﴿ فصل ﴾

واعلم أن كل كوكب من هذه السبعة يدور في فلك صغير مدور يسمى فلك التدوير ، وتلك الافلاك أيضاً تدور فى أفلاك خارجة عن المراكز وكلها مرتبة في سطح فلك البروج المحيط بسائر الافلاك وهو الدولاب ، ولو لم يكن الفلك والارض كريات مستديرات لما استوى هذا الدوران ولا استمرت حركات كواكبه وجرت أفعاله على ما ذكرنا وبينا بهذا الوصف .

واعلم أيها الاخ أن العالم بأسره من الجزئيات والكليات والفروع والامهات والانواع الكائنات من المعادن والنبات والحيوان والانسان وجميع ما على الارض من البحار والجبال والبراري والأنهار والخراب والعمران كرة واحدة والهواء محيط بها من جميع جهاتها والزمهرير والاثير وحوادث الجو وما حوى فلك القمر حائط بها كلها .

وأن شكل الجبال على بسيط الارض كل واحد قطعة قوس من محيط الدائرة ، وأما الفعل المختص بالجبال مما ينحط عليها وينزل اليها من روحانيات زحل كما قدمنا ذكره من الثقل والرسوب والامساك والاحالة بين مياه البحار وبين بسيط الارض لئلا يظهر عليها الماء فيغرقها ، وأما ارتفاعها فى الهواء في وسط الارض وهى كالحيطان والربدات (٢) والشاذرونات لسوق الرياح والسحاب ما بينها الى المواضع المفتقرة اليها لطفاً من الله بخلقه ورأفة بعباده ، وكالاسوار التى تحصن ما دونها من العدو اذا أراد ما وراءها : وذلك أن البحار تريد أن

(١) لعل دورانها بالشوق هو ما يعبر عنه حديثنا بالجاذبية التي يزعمون أن أنشتين هو أول من اكتشفها وان كان اخوان الصفا لم تقع لهم على أنشتين ولا على أحد من قارة أنشتين نظرة أو ما يقرب من نظرة

(٢) الربدات : جمع ربدة والربدة مكان وراء البيوت ينتفع به ، والمربد : محبس الابل والغنم وقيل محل الاقامة للخفارة والرباط والحراسة

تغرق وجه الارض لشدة حركات أمواجها وأنها محصورة في أما كنها والجبال حاجزة بينها وبين الاتساع على بقاع الارض لطفاً من الله بخلقه وبطول الجبال نحو فلك القمر ودائرة الزمهرير يكون صعود البخارات التى تترا كم الغيوم والسحاب والضباب منها ثم يثقل وتعصرها كرة الاثير بحركاتها فترد هابطة فيكون منها المطر والثلج . فاذا نزل لقيته رؤوس الجبال واستقر فيها فأودعته كهوفها وحفائرها وخللها أيام الشتاء فاذا جاء الصيف وحميت الشمس عصرت تلك المياه فى الجبال وطلبت النفوذ منها والبعد عنها فتبرز العيون وتمد الانهار وتسقى القرى والمدن والسوادات والاراضى القحلة من شمس الصيف لتحيى وتنبت العشب للحيوان ويكون ذلك حياة العالم وذلك لطف من الله للجمهور

وأما البحار فالفعل المختص بها والحكمة فى كونها مالحة فذلك لتمتزج ملوحتها بالهواء فتدفعه وتمزق الرطوبات وتقطع الأخلاط الغليظة ويتصل ريحها بالعالم فتزيل عنه الوخم لئلا يفسد الهواء فيؤدي الى هلاك حيوان الأرض أجمع ، فاذا جرت اليها الأنهار وتتابعت عليها الامطار لاتلبث فيها لانها لاتزيدها ولكنها تعيدها اذا شربتها ومصتها بخاراً وتنشأ منها غيوم وينشأ منها بخار كبخار القدر والحمامات ويتصاعد الماء منها الى الجو وتنشأ منها غيوم وتتصاعد الى أن تبلغ الى دائرة الزمهرير وتمضى الى الجبال والعمران — كما قلنا — وتثقل هناك وتنحدر من هناك الى بطون الأودية والأنهار والى البحار ثانيا ، كما كان فى العام الاول الماضى كدولاب يدور ذلك تقدير العزيز العليم

فهكذا فعل الحيوان والنبات كل يفعل منها بحسب ما جعل فيه مبدعه ويسره له خالقه ، وكلها تكون من هذه الاركان وتنم وتكمل وتكون وتبقى ماشاء الله تعالى ثم تفسد وتتلاشي وتصير ترابا كما كانت بديا ثم الله ينشيء النشأة الأخرى كما قال تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنافاعلين » أعاذك الله أيها الأخ من الجهل والعمى .

وأما نحن فقد بذلنا مجهودنا فى هداية الضالين وإرشاد التائهين وتنبيه الغافلين وخاطبنا كل قوم وصنف منهم بما هو أصلح أن نخاطبهم به في رسائلنا

ولاسيما في هذه الرسالة التى بينا لهم فيها أفعال الروحانيين ونبهناهم على وجود الطبيعة وظهور أفعالها في كثير من رسائلنا بما فى بعضها كفاية لمن أنصف ولاسيما بما في رسالة السياسات وبما خاطبنا به المتفلسفين الشاكين ، وبما قد قلنا فيما يظهر من أفعال الكواكب في هذا العالم وماقد بينافي عدة مذاهبهم الى هؤلاء منهم خصوصاً نقول :

أتراكم أصلحكم الله لم تقرؤ القرآن المنزل على لسان محمد صلى الله عليه وعلى آله أو لم تسمعوا ممن يقرأوه في كل وقت إن لم تكونوا أنتم قرأتموه من تكرار ذكر النفس فى المواضع الكثيرة منها قول الله عز وجل : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادي وادخلى جنتى) هذا الخطاب الى من يتوجه أيها الجاحدون لوجود النفس جملة المنكرون لأفعالها أترونه مخاطبة لمعدوم غير موجود أو هو خطاب لموجود ؟؟ وقال عزوجل أيضا: (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال : (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت) . وقال عز وجل : (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى) وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) وآيات كثيرة في القرآن في ذكر النفس وخطابها بالتأنيث ليعلم كل عاقل أنها هي شيء غير الجسد لأن الجسد مذكر لايخاطب بالتأنيث وكفى بهذا فرقاً وبياناً بين النفس والجسد ، وكيف يزعم هؤلاء القوم أصلحهم الله أن الانسان هو هذا الجسد المحسوس المشاهد الموصوف بالطول والعرض والعمق فقط لاشيء غيره ولاموجود معه سواه ، وقد يعلم كل عاقل إذا فكر وتأمل أمر الجسد أنه جسم مؤلف من اللحم والدم والعروق والعصب والعظام وغير ذلك من الاعضاء المذكورة في كتب التشريح وماشا كلها وأصله نطفة ودم الطمث ثم اللبن والغذاء ، ثم اذا حضره الموت عند مفارقة النفس إياه بلي جسده إذا شاء الله كما وعد جل ثناؤه

فأما النفس فهي جوهر سماوي نورانية حية علامة فعالة حساسة دراكة لا تموت بل تبقى مؤبدة إما ملتذة وإما متألمة فأنفس المؤمنين من أولياء الله وعباده الصالحين يعرج بها بعد الموت الى فسحة الأفلاك في روح وراحة الى يوم القيامة فاذا انشرت أجسادها ردت إليها لتحاسب وتجازى بها بالاحسان إحساناً وبالسيئات غفرانا ، وأما أنفس الكفار والفساق والفجار والأشرار فتبقى في عمائها وجهالتها معذبة متألمة حزينة خائفة الى يوم القيامة ثم ترد الى أجسادها التي أخرجت منها لتحاسب وتجازى بما عملت .

والدليل على صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا قول الله عز وجل (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . وقال عز وجل : (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) وقال تعالى : (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وقال (ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار) الآية وقال تعالى : (يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين) وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى تدل على بقاء النفس بعد الموت اما منعمة ملتذة واما متألمة معذبة

وفيما ذكرنا كفاية لمن اكتفى ونصح لنفسه واهتم لما بعد الموت وتفكر في أمر المعاد واستعد للرحلة وتزود للسفر وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة قبل فناء العمر وتقارب الأجل والفوت

وارجو أن يكون ماقلناه كفاية في التدليل على وجود الروحانيين وأصنافهم في هذه الرسالة وفي رسالة السحر والطلسمات : فقد ذكرنا أن بعض المتقدمين زعموا أن النفوس تنقسم قسمين : أحدهما لايسكن الجثة ولا يتعلق بالأجسام وهو ينقسم قسمين أحدهما خير بالذات وهم الملائكة والآخر شرير بالذات وهم الشياطين . ونفوس أخرى متعلقة بجثة الكواكب لا تفارقها ولا تصبر عنها الا بمقدار وهي متصرفة في العالم صنفين من التصرف أحدهما بطبايع أجسادها على ماهو مسطور في كتب أحكام النجوم والثاني بنفوسها.

ونفوس أخرى متعلقة بالاجساد لاتفارقها ولاتصبر عنها الابمقدار ماتفارق جثة لفسادها . ومن هذه الطبقة من النفوس نوع يسكن الجثة الانسانية ولا يفارقها الا كمفارقة النفس سائر أشخاص الحيوانات والنباتات ومصيرها الى بحر طوس لتعذب هناك الا أن تطلب الايقاف في الهبوط الى مادة تصلح لسكناها وتتمكن من درك نجاتها — على ماذكرنا بشرح طويل في رسالة علم النجوم والسحر والطلسمات —

وأما الجنس الآخر من الروحانيين المسمين في مواضع كثيرة بالشياطين والجن وسائر أجناس أرواح السوء فالقرآن مملوء بذكرهم أيضاً وكتب النصارى خاصة ومايتلوهم في بيعهم يتكرر فيه ذكر الشياطين وأفعالهم مع المسيح وفي الانجيل ذكرهم في عدة مواضع فاقرأ الانجيل أيها الأخ أيدك الله وكتاب رسائل (قولوا من) فانك ترى فيها من هذا الفن سبباً كثيراً لولا خوف الاطالة لذكرنا لك منها فنزيدك معرفة بصحة ماقلنا من وجود الروحانيين وأفعالهم في هذا العالم

وأما في القرآن من ذكر ذلك فكثير أيضاً ويطول ذكره كله ولكن نذكر منه الآن مايحضر ذكره في هذا الوقت لتعلم أيها الاخ أيدك الله بطلان مايقوله هؤلاء القوم في تكذيب القول بوجود الروحانيين وجحودهم لافعالهم الظاهرة فمن ذلك في سورة البقرة : (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)

فهذا القول الذي نطق به القرآن يدل على وجود ابليس الذي لانراه بابصارنا ولانرى قبيله وهو يرانا وهو لا تدركه حواسنا مع شهادة القرآن بوجوده .

وقال عز وجل أيضاً في هذه السورة (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) .

فكيف نكذب بمن هذا فعله ؟ وقال فيها : (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)

وقال عز ذكره (يا أيها الناس كلوا مما في الارض ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) وفيها (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) .

وفي سورة النساء : (ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطاناً مريداً) وفيها : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا) وفيها (ومايعدهم الشيطان الا غروراً)

وفي سورة الانعام : (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)وفيها : (كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران الخ) وفيها (وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون)وفيها (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم).

وفي سورة الاعراف(ولقدخلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن مع الساجدين) وفيها : (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

فأي ذكر أبين من هذا وأقوى شهادة على وجود الروحانيين وأفعالهم العظيمة القوية .

وفى هذه السورة أيضاً (فوسوس لهم الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما) وفيها : (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان) وأى شيء يكون من التحذير أكثر من هذا ؟ وفيها (قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها) وفيها (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) وفيها :(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون).

وفى سورة الانفال : (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم

من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لاترون اني اخاف الله والله شديد العقاب) .

وفي سورة يوسف (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخواتي) .

وفي سورة ابراهيم : (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي انى كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) .

وهذا من قول الشيطان عن نفسه ! ! وأما فعله بهم فما يجب أن يفكر فيه ويتأمله كل من يكذب به وبوجوده ويجحد أفعاله.

وفي سورة الحجر (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وفيها : (الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين)

وفيها قال : « يا أبليس ما منعك أن تسجد إذ أمرتك » . وفي سورة النحل « واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وفي سورة بنى اسرائيل « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاءكم جزاءاً موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا» .

وفيها « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفى سورة الكهف : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وفي سورة الحج « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » وهذا أيضاً من

فعله حتى بالانبياء عليهم السلام فتلافاهم الله بنسخ ما قد فعله الشيطان لهم . وفى سورة الفرقان : « وكان الشيطان للانسان خذولا » . وفي سورة النمل « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين » وفي سورة القصص : « هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » . وفى سورة سبأ : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه » « فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » . وفيها (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الافريقا من المؤمنين) وفى سورة الصافات (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وفيها (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وفى سورة ص (والشياطين كل بناء وغواص) (وآخرين مقرنين في الاصفاد) وفيها : (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ؟؟) وفي سورة حم السجدة (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) . وفي سورة الاحقاف : (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وفي سورة والذاريات : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وفي سورة الرحمن : (وخلق الجان من مارج من نار) . وفيها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان) . وفي سورة الملك (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعددنا لهم عذاب السعير) وفي سورة (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا

قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وفيها : (وإنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) وفيها : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) . وفي سورة الناس : (من الجنة والناس) . فهذه الاقاويل كلها على كثرة معانيها وفنون ورودها وعدد جهاتها التى حكيت عنها أتراها كلها اشارات الى معدوم وغير موجود فقد ذكرنا منها مافيه كفاية لمن اكتفى وترك المكابرة .

ثم قد استشهدنا بعدها ببعض من عشرين سورة مما يدل على صحة ما قلناه فيما تقدم بما يكفي ويقنع من كان منصفاً ، والآن قد وجب أن نقطع الكلام فى هذا لأنا قد بلغنا منه غرضنا الذى قضيناه به والحمد لله كثيراً ونسأله أن يوفقنا أيها الأخ للسداد ويهدينا واياك سبيل الرشاد وجميع اخواننا الكرام حيث كانوا في البلاد بمنه وكرمه وهو حسبنا وله الحمد دائما أبدا كما هو أهله ومستحقه

تمت رسالة في كيفية أحوال الروحانيين ويليها رسالة في كيفية أنواع السياسات وكميتها

الرسالة التاسعة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية أنواع السياسات وكميتها

﴿ وهي الرسالة الخمسون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منـه أنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فصلا جعلناه من لبها وخالصها إذا وفق له من فهمه وعمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة ، وقد لخصنا ما قد أوردناه في رسائلنا الاحدى والخمسين ، في رسالة مفردة عن الرسائل سميناها « الجامعة » وهى خارجة من جملة الرسائل ، أوردنا فيها بيان ماأخبرناه فى غيرها بأخص ما أمكننا منه فليس تكاد تجتمع رسائلنا كلها عند رجل واحد إلا من سهل الله تعالى له ذلك فعملنا تلك الرسالة لتنوب عن أخواتها ، غير أن الاصوب والاجود عندنا أن لا تقرأ الرسالة الجامعة إلا بعد قراءة رسائلنا الاحـدى والخمسين . فانه إذا قرأها بعد قراءة هذه كثر نفعه وانفتح عليـه ما انغلق من رسائلنا وإن وجدها وفاتته الرسائل أو بعضها لم يخل من فوائدها .

وأما هذه الرسالة فقد وسمناها بالسياسة والرياسة لتحمل نفسك على موجبها

وتقرأها على من يخصك من إخواننا الكرام — رحمهم الله — وتذاكرهم في أوقات نشاطك ونشاطهم فانك لا تخلو من فوائدها .

ونحن نأمرك أيها الاخ السعيد — بعد وقوفك على هذه الرسالة — أن تتبع ما أمرناك به فانك تنال السعادة العظمى ديناً ودنيا إن شاءالله تعالى ، وانما سميناه الفصل الجامع لانه جمع أصل سعادات المنافع إن شاء الله عز وجل

واعلم أن منفعة الانسان تكون من وجهتين لا ثالث لهما دنوية وأخـروية وجسمانية ونفسانية .

وإذا كملت للانسان هاتان السياستان استحق اسم الانسانية وتهيأت نفسه لقبول الصور الملـكية والانتقال الى الرتبة السماوية عنـد مفارقة الجسد بالحال التى تسمى الموت النازل عليه والاضمحلال الواصل اليه .

وانما جمعنا لك فى هذه الرسالة وصف السياستين ليحصل لك بها الكمال في المنزلتين فترقى بها الى منزل السعداء في الدارين ، فعليك بالاحتفاظ والصيانة له .

ونريد أن نصف لك صفة الذين يصلح أن تلقي اليهم وتمن بها عليهم ونختصر فى ذلك بأن نقول من كان صفته صفتك وطريقـه طريقك فلا تبخل عليـه فانه لا يحل أن تمنع الحكمة أهلها ، بل تلقيها اليه إذ كان فصلا جامعاً للخيرات وقولا تكمل به السعادات وينزل على العامل بعلمه البركات .

واعلم أيها الاخ أنه لما رأيناك متهيئاً لقبول الفوائد العقلية والصنائع العملية واسع النفس الناطقة لقبول الفوائد العقلية والذخائر العلمية الربانية زاهداً في الدنيا قليل الرغبة فيها متهاوناً بما لا يهمك من لذاتها ولمحبوباتها منصرفا عنها متنزهاً عن شهواتها مترفعاً عن ملاذها قانعاً باليسير من قوتها صارفا عنايتك بكليتها الى صلاح نفسك الزكية وروحك الطاهرة المضيئة ، تنتقل من بلد الى بلد ومن بقعة الي بقعة طالباً للعلم مشتملا برداء الحلم حسن العبادة كامل الزهد بأخلاق رضية وآداب ملـكية ونفس أبية وصورة جميلة وخلقة معتدلة وآلة كاملة وذهن صاف وخاطر مدرك وقلب خاشع وطرف دامع ، وتأملناك تأمل من حقق فيك ظنه وصدقته

عنك فراسته لما استجلاك بنور الله الذي أودعه فيك تنظر به الى مخلوقاته وتحسن به قراءة آياته كما قال الحكيم الصادق ﷺ وعلى آله : (المؤمن ينظر بنور الله) وقال تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم) . ونظرناك بهذا النور الموهوب لنا المجعول أولا في أبينا ابراهيم حتى رأى به ملكوت السموات والارض وكان به من الموقنين وصار وراثة تنتقل في ذريته الذين اتبعوه كما قال : (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) .

ولما رأيناك بهذه الرؤية الصادقة بعد اجتهادك وحرصك على الوصول الينا وشدة الطلب لنا وخلاصك من دياجى ظلمات زمان الجور وغلبة الشياطين وكثرة أعوان الظالمين وخمول الحق وانقطاع أهله بأنفسهم عن الجمهور والرعاع وتوعر طرقه وسبله ، فكنت من بين أهل زمانك كقادح زناد فى ليلة ظلماء ذات رياح عاصفة وظلمات متراكمة وأهوية باردة يريد الاستضاءة بنوره في طريق فقد أدلته واندرست معالمه وذهبت دلائله ولم يبق منه إلا مسلك وعر دائر العلامات يصعب السلوك فيه والقصد لديه ، إلا على أصحاب اقتفاء الآثار الخفية بمعرفة سبقت عندهم بها وعلامات وصفت لهم وخفيت على الذين يريدون اطفاء نور الله بذهابها وازالتها لئلا ترفع حجة الله من أرضه وتنمحى آثار حكمته .

فلما أورت لك الزناد بنوره ودلك الدليل بظهوره ، حتى وصلت الى بقعة من بقاع الجنة وروضة من رياض الارض التى بها تبدل الارض غير الارض يوم العرض ، فيها : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً) . الآية وهم على شاطيء البحر المحيط من وراء جبل قاف عند مجر خط الاستواء : وهي بقعة يجمع طرفاها ما بين شعاع الشمس عند طلوعها وغروبها يرى منها المنازل الثمانى والعشرين المهيأة لمسير القمر وهي بقعة عالية على متن جبل الاعراف ، فلما تخلصت من أسفل السافلين حتى وصلت الى أعلى عليين بوحدتك وانقطاعك وغربتك عن أهلك وأوطانك وأحبائك وجيرانك وأصدقائك وأخلائك وذهاب نعيم جسمك وفقد مالك وولدك وصبرك على الفتن والبلوى وركوبك مطية الصبر وسلوكك

فى طريق وعر وارتقائك على جبال يصعب على غيرك طلوعها وهبوطك فى أودية لا يسهل على غيرك الهبوط فيها ، فكنت ما بين جبل ترتقيه ووحش مهلك تتقيه ومهمه داثر شاسع تخشى أن تضل فيه ، فلم تزل بين شدائد متكاثفة وأهوال مترادفة كصاحب سفينة فى بحر مظلم فى ليل مغيم قد غاب قمره واستترت أنجمه وعصفت به الرياح من كل جانب وارتفعت حوله الامواج من كل مكان وهو صابر على ماحل به يدعو الى ربه الوسيلة الى الخلاص والنجاة مما هو فيه ، فهو بسكانه يدير سفينته ويتجنب بها موارد الهلكة بمعرفته وبما ألهمه الله سبحانه من العلم والعمل بما يكون به نجاته ، فلم تزل تلك حاله حتى وصل الى مكان بغيته ومقر طمأنينته .

فلما وصلت أيها الأخ السعيد الينا واطلعت علينا وامتحناك بحيث نراك كما يمتحن مثلك ممن يصل الينا ويرد علينا فرأيناك صابراً نعم العبد لله عز وجل .

ولما رأيناك بهذه الصفة وعرفناك بهذه المعرفة لم يحل لنا ولا وسعنا في ديننا أن نكتمك النصيحة ولا نؤدي اليك الامانة لئلا ترانا بعين الخيانة وليصح عندك قول نبيك الصادق الفاضل السيد الكامل (سافروا تغنموا) فتعود راجعاً بعد طول سفرك بلا غنيمة تغتنمها ولا حاجة تبلغها ، فرأيناك وكان بالله توفيقنا بما رأيناه بالهام منه لنا ووحي الينا فى رؤيا صادقة أراناها بمنه أن نجعلك داعياً الينا ودالا علينا ومبشراً بظهور أمرنا وانكشاف سرنا من رأيته من اخواننا وأهل ملتنا اذ كانوا لا يقدرون على ماقدرت عليه ولا يصلون الى ماوصلت اليه لتعذر الامور عليهم وصعوبة الزمان لديهم والاسباب المانعة والحوادث القاطعة وقد اخترناك لمقامك موضعاً تسكن فيه وتأوى اليه لا تصل فيه اليك أيدى الظالمين .

﴿ فصل ﴾

فاذا أنت وقفت على مانلقيه اليك فى هذا الفصل فاعتمد عليه واسكن اليه

فاذا صرت الى حيث كنت قبل وصولك الى حيث وصلت ، فابن لك داراً من القناعة وشيد بنيانها وارفع حيطانها واجعل بابها من الزهادة واجعل حاجبك عليها الفقر واجعل وطاءك وغطاءك ترك القنية الا ماتسد به الجوع وتستر به العورة .

واعلم أن هذه الدار اذا سكنتها أمنت من قطاع الطريق واللصوص ومصادرة السلطان وحسد الاخوان ، وقل جارك وبعد على الناس مزارك ، فاذا بنيت هذه الدار على هذه الاركان فليكن مقامك فيها على وجل وخوف من التواني عن شيء من اقامة السياسة النفسانية وأن تتغافل عن عمل الاعمال الناموسية وليكن مقعدك من هذه الدار في صدرها بعد احكامك جميع أمرها

❊ فصل ❊

في السياسة الجسمانية

فأما تدبيرك لجسمك فاذا اخترت العافية التي لا يصل الى جسمك معها الأذى من الغذاء فليكن غذاؤك من الموجود غير الممتنع عليك صنفين ثالثهما الماء اما ماينزل من السماء أو ماينبع من الارض — ماتيسر لك ، فانك مادمت على ذلك من قلة الأكل وترك الشبع وتعمد الجوع في الاوقات التي يصلح فيها استعماله كانت طبائعك على حالها لا يزيد فيها مايحتاج أن تنقص ، ولا ينقص منها ماتحتاج أن تزيده .

فان كانت العوارض النازلة بالجسم ليست من قبل الغذاء ولا من جهة التغافل عن اصلاحها ، نظرتها ان كانت من جهة اختلاف الاهوية المتصل بالجسم منها الأذى عدلتها بما يصلح لها مما علمته من السياسة الطبية ، وان كان ذلك بموجبات أحكام النجوم وماقدر فيها اطمأنت نفسك وحسن الصبر بك ولم تتهم نفسك أن الأذى دخل على جسمك من جهة تفريط في الغذاء ولا اكثار من الأكل والشرب .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم انك اذا لم تحمل على جسمك من المأكل والمشارب والباءة والحركة الا معتدلا لازمتك العافية وعدمت الاسقام ، ومع ذلك فاعلم أن الاسقام والآلام لا تدخل على الاجسام الا بموجب حركة نجومية ومقادير سماوية ، وكذلك زوالها ، وانما صار ذلك مقدراً على الاجسام من أجل أنها ليست هي الذات الباقية ولكنها ذات فانية . فلذلك وصل اليها التغيير والاضمحلال والتقلب والزوال . واكثر الناس اذا نزلت الآلام والاسقام اتهموا فيها نفوسهم من كثرة ما يستعملون من المآكل والمشارب فيكثر غمهم وتدوم حسرتهم حتى أنهم اتخذوا أنفسهم أعداء لهم يرجعون عليها باللوم والتأسف على مافرط منهم فيكون ذلك أدوم لحسرتهم وأطول لعلتها

واذا أنت تيقنت ذلك سكنت نفسك وطاب لها الصبر على الاسقام النازلة والاعلال الواصلة الى الجسم ، واجعل اكثر شوقك الى الخلاص من هذه الدار ومفارقة هذا السجن لأنك اذا خرجت منه قدمت على ربك

واعلم أيها الأخ أنك لا تقدم على ربك ولا تصل اليه وصولا يجازيك به مجازاة من يستحق الثواب وأنت على هذه الحال

فاذا تحقق عندك ذلك هان الموت عليك فتمنيته وطابت نفسك ، فاذا احدثت تلك العلل والعوارض المحللة لتركيب الجسد بموجب الأحكام المقدرة ولم تر لنفسك في ذلك أمراً وصل ذلك اليك من جهته فليس بموصلة اليك الا الحكم المراد به صلاحك وخلاصك ونجاتك فتفرح بذلك ولا تحزن كما يحزن الممتحنون في أنفسهم بأجسامهم وفي أجسامهم بأنفسهم اذا نزلت بهم الأعلال والأمراض فيكثر خوفهم ويدوم حزنهم فزعا من الموت وهم يعلمون أنه لا بد ملاقيهم ، فحسرتهم لاتنقضي وغمهم لايفنى !! قد اشتغلوا بصلاح أجسامهم وأمر دنياهم عن صلاح أنفسهم وآخرتهم فهم مستعجلون نعيما زائلا وسقما اليهم واصلا ، فهم لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا موت اليأس منها والانقطاع عنها .

فاذا علمت ذلك وتدبرته وفهمته جعلته أمامك في سياسة جسمك وتدبير

جسدك ، فهذه سياسة يختص بها جسمك الكثيف الذي ليس له مقر إلا في الدنيا ولا مكان الا فى الارض ولا صفة الا الطول والعرض والعمق وما يحويه وما يحيط به.

واعلم أنه محمول لا حامل — كما ظن كثير ممن لا علم عندهم ولا معرفة معهم أن الجسم حامل النفس وأنها زبدته وصفوة طبائعه وأنها تقوى بقوة الغذاء وتضعف بضعفه ، وليس الامر على ما ظنوا ولا القضية كما توهموا وانما النفس حاملة للجسم وأعراضه وهى الذاهبة به في الجهات التى يجب لها ، وهي معه تدبره في مجيئه وذهابه وبها يستقر على ما يجانسه ويشاكله من الكثائف ، اما فى جهة من الجهات الارضية من هبوط الى أسفل بحيث يكون له ثبات القدمين فى الهبوط واما طلوع الى فوق بحيث يمكنه مثل ذلك . واما استواء طيران فى الهواء وطلوع الى السماء فانها لا يمكنها بهذه الطينة الكثيفة ترقيها الى هناك ، بل يمكنها الصعود بمجردها اذا تخلصت منه وانفصلت عنه

وذلك أن السفينة في البحر المحكمة الآلة المتقنة الأداة تمر فيه بمن يرب أمرها ويصلح حالها ومع ذلك فانها لا تسير الا بهبوب الرياح القائدة لها الى الجهة التى يختار صاحبها ، واذا سكنت الريح وقفت السفينة عن ذلك الجريان ، كذلك جسد الانسان اذا فارقته النفس لا تتهيأ له تلك الحركة التى كان يتحرك بها مع النفس ولم يعدم من آلته شيئا ولا ذهب منه عضو من الأعضاء إلا ذهاب الروح منه فقط ! والبرهان أن الريح ليست من جوهر السفينة ولا السفينة حاملة بل الريح محرك لها .

فاذا صح أن الريح محركة للسفينة وليس من جوهر السفينة ولا تقدر السفينة ومن فيها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيلة يعملونها أو صنعة يصنعونها ، كذلك ليست من الروح من جوهر الجسم ولا الجسم حامل للروح ولا يقدر أحد من العالم على استرجاع النفس إذا فارقت الجسم .

فياليت شعرى كيف يفسد هذا البرهان إلا بمكابرة العيان ! فاذا تحققت ذلك وعلمت أن جسمك انما هو سفينة معدة لهبوب الرياح ونزولها عليها علمت أن هلاك السفينة — اذا هلكت — يكون من حالين : إما بفساد من جهة جرمها

وانحلال تركيبها فيدخل الماء ويكون ذلك سبب غرقها وهلاكها وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوها بالاصلاح والتفقد لها كهلاك الجسم من غلبة احدى الطبائع متى تهاون صاحبه وغفل عنه ، كذلك النفس لا تبقى مع الجسد اذا فسد مزاجه وتعطل نظامه وضعفت آلته كما لا يتهيأ للريح أن تعود للسفينة كما كانت تسوقها قبل غرقها ، والريح موجودة في هبوبها غير معدومة من الموضع الذي كانت السفينة فيه قبل هلاكها ، كذلك النفس باقية فى معادها كبقاء الريح فى أفقها بعد تلف الجسم وانما يكون الغرق للمركب بفساد آلته وهلاك الجسم بفساد مزاجه وغلبة طبائعه .

وأما القسم الثانى فهو أن يكون المركب هلاكه بقوة الريح العاصف الهابة الوارد منها على السفينة ما ليس فى وسع آلتها حمله ولا القدرة عليه فتضعف الآلة وتنكسر الاداة ، فان كان من فيها من أهلها عارفين موجب ذلك الامر من نزول ذلك العاصف وأنه بموجب المقدار اطمأنت نفوسهم وسلموا الى ربهم ووعظ بعضهم بعضاً وصبروا على ما نالهم ، فان زاد بهم الامر حتى يبطح السفينة ما يكسرها ويكون منهم ما قضى ، كانوا مطمئنى النفوس ولا يتهمونها ، انما أصابهم ذلك لتفريط وقع منهم ، كذلك الاحوال العارضة للجسم من جهة الاحكام الفلكية والحركات النفسانية المنبعثة أولا من النفس الكلية التى تذهب بالاجسام وتهدمها لا دواء للمعالج والطبيب ولا للمريض أيضاً :

فأما الصبر عليها وقلة الجزع منها الى أن تزول أو يكون بها الانتقال الى دار المعاد . فأحق ما صبر عليه وأولى ما استجيب له .

وبهذا الاعتقاد صح أن النفس هى جوهر غير الجسم وأنها هى الحاملة له المبتلاة به ، فاذا تصورت ذلك وصح عندك وتم لك العمل بهذه السياسة فقد استراحت نفسك من الهم والغم من أجله وبسببه .

فصل

في السياسة النفسانية

فيكون أخلاقك رضية وعاداتك جميلة وأفعالك مستقيمة تؤدى الامانة إلى

أهلها كائناً من كان من ولى وعدو ، وتأخذ نفسك بحفظها وترعى حق من استرعاك حقها وتحسن مجاورة جارك وتصفى مودة صديقك وتخلص المحبة لمحبك ، مع قلة الطمع وازالة الفزع فى مستعجل زائل وحادث نازل ،وتريد للغير ماتريد لنفسك . فقد جاء في كلام بعض الناس : (ان المؤمن لايكون مؤمناً حقاً حتى يرضى لأخيه مايرضى لنفسه (١) وليس هذا من جيد الكلام ! ! وانما قال الحكيم الفاضل (ع م) ان المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يرضى لغيره ما يرضى لنفسه(٢) وهذا من شريف الكلام .

وسبيلك أن تعود نفسك عمل الخير لأنه خير ، لا تريد بفعالك عوضا ، ولا يحملك على فعله خوف . فمتى فعلت لطلب المكافأة لم يكن خيراً وان لم تطلب المكافأة ، وانما أردت الذكر والاسم ، كنت أيضا منافقا ولم يكن خيراً والمنافق لايستأهل أن يكون في جوار الروحانيين

وأما سياسة الأهل من الاخوة والزوجة والاولاد والعبيد ومن يجري منك مجراها في النسبة الجسمانية فيجب عليك أن تسوسهم سياسة لا اختلاف فيها وتجريهم على عادة لاتعدل عنها إلا بموانع مانعة وأسباب قاطعة لئلا ترجع باللوم على نفسك اذا جنوا عليك وتغيروا عما كنت تعهده منهم وتعرفه فيهم بحسب تغير سياستك واختلاف عادتك فتنسب التفريط الى نفسك فيكثر غمك ويبدو همك . فاذا سستهم سياسة ألفتهم اياها ورتبتهم عليها استراحت نفسك مع أن الأحب الينا والآثر عندنا الانفراد والوحدة ، ولكن لايكاد يتهيأ ذلك لجميع اخواننا ولا نأمرهم به أيضا لئلا ينقطع الحرث والنسل

---

(١) مازعمه كلاما لبعض الناس هوحديث صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ونصه : « اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واحسن الى جارك تكن مسلما وحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا »

(٢) وهذا أيضا حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن صحة الرواية « لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وفي رواية للناس بدل أخيه وزيد في رواية أخرى « ويكره لهم مايكره لها »

واذا فعلت ذلك أحكمت سياسة الاهل وخصوصا النساء فأكثر تفقد أحوالهن في كل وقت فانهن سريعات التلون كثيرات التغير يتغيرن مع الساعات ويضطربن على الاوقات : فيكون صفحك اليهن كثيراً ومن غير شعار منهن أن تكون مراعيا أحوالهن ، ولا يغررك منهن صلاح تعرفه فيهن فقد أنبأناك أن تلونهن كثير ، وان استفسادهن سهل يسير الا من عصمها الله تعالى منهن ، وقليل ماهم .

وأما أولادك وغلمانك وحواشيك فاياك أن تظهر لهم فاقة بعد أن تقوم بواجبك المفروض عليك ، فانه متى ظهر لهم منك اختلال أو حاجة نقصت منزلتك وقصر موضعك ، فلم يقم لك وزن ولاقامت لك هيبة ولاحاجة بك الى أن تكشف فاقتك الى من لايزيد شكواك الاذلا ومهانة بل ضع عذرك عند كل واحد منهم على وجه لاتنسب معه الى فاقة ، وقف فهو أعود وأصلح

فصل

سياسة الاصحاب

اعلم أيها الأخ أن سياسة الاصحاب لاتكون الا بعد المعرفة بهم والاطلاع عليهم ومعرفة أحوالهم : أن لايخفى عليك من أمرهم صغيرة ولا كبيرة لتسوس كل واحد منهم السياسة التى تليق به دنيا ودينا

واعلم أنك متى كنت جاهلا بمعرفتهم لم تتم لك سياستهم ولم تبلغ رضاءهم ولا يكونوا لك أصحاباً ، أو ما علمت أن صاحب الناموس لا يصاحب الا من عرفهم وخبرهم فاطلع عليهم اطلاع الاحاطة بهم ؟ واحرص أن تباعد بين معرفتهم بك وبينهم لئلا يطلعوا عليك كما اطلعت عليهم فيأتوك من حيث أمنت لأنه ليس كل من صاحبك يحق لك أن تثق به ولا تطمئن اليه لأن كثيراً ممن يصحب الانبياء انما تكون صحبتهم لهم لوقوع الحيلة بهم ومرادهم منهم الاطلاع على أسرارهم ليكشفوها ويظهروها لمن لايعرفها وهم المنافقون .

فيجب أن تظهر لهم القرب بالبعد ، واللين بالغلظة ، والأنس بالوحشة ،

والكرم بالشح ، والانبساط بالانقباض ، والرحمة بالسخط ، والوعد على الجميل والوعيد على الذنب ، وقبول التوبة باللين ، والموعظة بالقاء العلم اليهم بمقدار ما يحتملونه وبحسب ما يستوجبونه . ولا يكون اعتقاد أهلك وذريتك وأزواجك وبنيك مخالفاً لما يظهر من اعتقادك لاصحابك واخوانك . فمتى لم يكن كذلك فلا أهل لك ولا أصحاب ولا دين ولا دنيا ولا علم ولا عمل ! !

وكيف يجوز للعاقل العالم أن يكون له أهل يتدينون بدين ويذهبون الى مذهب هو يأمر أصحابه بخلافه ، بل الواجب عليه أن يكون أهله وأصحابه بمنزلة واحدة عنده في التعليم ولا يخص أصحاب النسب الجسداني بما لا يبديه لاهل النسب الروحاني ، بل يجمعهم معاً في طريق واحد ويلقنهم التعاليم والمعارف والعبادات والفرائض : فيأخذ كل واحد منهم بحسب قوته واستطاعته ، فان عدل واحد من أهله وأقاربه الى الضد مما هو عليه وخالفه بعد تبرئه منه وأخرجه من جملته كما فعل رسول الله ﷺ بعمه أبي لهب وقال : « يا بني هاشم لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ، فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً الا بعمل صالح » وكما قال تعالى حكاية عن ابراهيم خليله ﷺ : (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) وقال الله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية ، ويكون يراعي أهل الذكاء والفطنة ومن يقصد الاغراض التي يريدها بكلامه ويومئ بها في اشارته ومخبآت جواهره في تقاطيع أمثاله ونوادره ، فاذا عرفهم ميزهم بنظره وألقى القول اليهم في الاعتماد عليهم في تهذيب من دونهم حتى يوصلوهم الى مثل ما وصلوا اليه .

فاذا أحكمت هذه السياسة في الاصحاب والاهل ، الاقرب فالأقرب ، والابعد فالابعد ، فاحكم أمر العبادة والقرابين المقربة الى الله سبحانه والاعمال المزدلفة لديه .

﴿ فصل ﴾

في القرابين

فنذكر الآن العبادة والقرابين وهي نوعان لا ثالث لهما ، قربانان مقبولان صادقان ودعاءان مستجابان ، وهاهنا قربان غير مقبول ودعاء غير مستجاب وهو ما أخبر الله عنه أن ولدي آدم قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودعاء الكافر الذي هو في تباب لا يقبل .

فأما العبادتان فاحداهما الشرعية الناموسية باتباع صاحب الناموس والانقياد الى أوامره ونواهيه والمسارعة الى ماجاء به وقضاه وحكم به على من استجاب اليه وتقرب الى الله سبحانه وتعالى بما ذكر أنه رضيه من القرابين والعبادات والطهارات والصلوات والصوم والزكاة والحج والجهاد والسعي الى البيوت العامرة والبقاع الطاهرة ، والاقرار بكتب الله ورسله وملائكته ووحيه وما شا كل ذلك في موجبات أحكام الشرائع واقامة النواميس والامتثال للاوامر والنواهي والنظر الى أفعال النبي ﷺ والاقتداء بأفعاله والتشبه به في جميع أفعاله ، كما قال الله : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . والتضرع الى الله سبحانه بالدعاء والابتهال في وقت الاجتماعات في الاعياد والجمعات وعند ظهور الآيات ، فهذا هو الدعاء المستجاب والقربان المتقبل .

وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الالهية وهي الاقرار بتوحيد الله عز وجل — وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة في شرح رسالة الارثماطيقي تقف عليه ان شاء الله .

وأما الدعاء والقربان المقبول المستجاب فاعلم يا أخي أنك متى كنت مقصراً في العبادة الشرعية فلا يجب لك أن تتعرض لشيء من العبادة الفلسفية والا هلكت وأهلكت وضللت وأضللت : وذلك أن العمل بالشريعة الناموسية والقيام بواجب العبادة فيها ولزوم الطاعة لصاحبها عليه السلام ، والعمل بالعبادة الفلسفية الالهية ايمان ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلماً والاسلام سابق على الايمان كما قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ مخاطباً الاعراب المنافقين من أهل الشريعة

الذين كانوا يظهرون الايمان ويكتمون النفاق : «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» وانما تخصص أصحاب الرسول عليه السلام بعده بالصبر الذي رأوه كان يستعمله في العبادة والطاعة لربه فرضاً على نفسه وتعليما لاصحابه فقام بالامرين وكمل المنزلتين وحاز الفضيلتين ، لانه كان عليه السلام مسلماً مؤمناً عارفا بالدعاء في وقت الاجابة ، ولذلك كان لا يرد له دعاء وكان اماماً للمسلمين والمؤمنين عارفا بالفلسفة الالهية .

ولما تمت الفضيلة لواحد من أهله وأصحابه قال مفتخراً « أنا أرسطاطاليس هذه الامة» .

واعلم يا أخي ان اقتران العبادة الشرعية بالعبادة الفلسفية صعب جداً لانه موت الجسد في أقرب الاوقات وحصر النفس عن الامور المحبوبة بأسرها . وترك الرخصة في كل شيء منها والوصول الى ادراك حقائق الموجودات بأسرها

ونريد أن نشرح لك طرفا منها فتحصل لك رتبة من الدرجة الأولى وهو شبه المدخل والمقدمة لك لعلك تقوم بشيء منها فيحصل لك رتبة من الدرجة من حد العبادة والدعاء في الاوقات المستجاب فيها من يدعو بذلك

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أن أفضل الدعاء في السنة الشرعية والديانة الاسلامية في ليلة القدر وبعدها عيد الفطر وعيد الاضحية يوم النحر وعند البيت الحرام وبين الركن والمقام وعند معاينة هلال الفطر وعند بذل الزكاة لمستحقها ودعاء من يأخذها في وقت أخذها وطلبه اياها فان هذا دعاء مستجاب وقربان متقبل .

وأما العبادة الفلسفية الالهية فان أول درجة منها وهي التي كانت الفلاسفة القدماء والاجلة العلماء يأخذون بها أولادهم وتلامذتهم بعد تعليمهم أحكام السياسات الجسمانية والنفسانية والعبادات الناموسية الشرعية أن يكون لهم في كل شهر من شهور السنة اليونانية ـ على عدد التاريخ المعروف الى حيث ينتهي من أراد الاقتداء بتلك السنة — ثلاثة أيام في كل شهر يوم في أوله ويوم في وسطه ويوم في آخره .

فأما اليوم الاول من الشهر فيجب له أن يتطهر أنظف طهور ويتبخر باطيب مايقدر عليه من البخور ولا يفرط في طهارته وصلواته المفروضة عليه في شريعة الناموس ، فاذا انقلب من محراب صلاة عشاء الآخرة جلس يسبح الله ويقدسه ويهلله ويكبره الى أن يمضي من الليل الثلث الاول ثم يقوم ويجدد الوضوء ويسبغ الطهارة ليكون طهور على طهور ونور على نور ، ويبرز من بيته الى أن يحصل تحت السماء بحذاء الجدي وهو النجم الذي يهتدى به قال الله تعالى «وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فيتأمل الكتاب المبين ويتدبر آياته ويرى الملكوت دائما وهو يسبح الله ويقدسه ولا يدع التكبير والتهليل ليكون من الذين قال الله تعالى فيهم (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) الآية ولا يزال كذلك حتى يذهب من الليل الثلثان فيكون الثلث الاول قياماً بعبادة الناموس ، والثلث الثاني قياماً في التفكر في الملكوت

فاذا زال أوان الثلث الاوسط هبط الى الارض ساجداً بتذلل وخضوع لباريه فلا يزال كذلك ماقدر عليه ثم يرفع رأسه ببكاء واستغفار وتوبة واستعبار فيعدد ذنوبه على نفسه وينوي التوجه بحسناته وصالح أعماله ويدعو بالدعاء الافلاطوني والتوسل الادريسي والمناجاة الارسطاطاليسية المذكورة في كتبهم ، فلا يزال كذلك حتى يبدو الفجر فيقوم فيسبغ الوضوء ويتطهر فيرجع الى محرابه فيصلي صلاة الفجر ويجلس في مكانه الى ان تطلع الشمس فاذا طلعت الشمس وأقبل أول النهار ذبح بيده ان كان ممن قد اعتاد ذلك ماقدر عليه من محال الحيوان ويأمر باصلاح ما كان من الطعام ويأذن لاهله واخوانه بالدخول عليه والوصول اليه ويحضر ذلك بين أيديهم ، فاذا فرغوا من طعامهم حمدوا الله جل وعز اسمه وشكروه وخروا له سجداً شكراً له بما من عليهم ، ثم يخرج اليهم من الحكمة بحسب ما يوجبه الزمان ويسعه المكان ، ولا يزالون كذلك بقية يومهم الى الوقت من عشاء الآخرة فيرجعون الى منازلهم ويتصرفون في معايشهم ويقومون بواجبات أحكام اديانهم الى اليوم الثاني : وهو يوم ليلة البدر اذا استكملت استدارته وتمت أنواره فيه في تلك الليلة وصبيحة ذلك اليوم كما فعل في اليوم الاول وأزيد قليلا ثم كذلك

الى وقت الانصراف بعد العشاء الآخرة من غد ليلة ثم فى آخر الشهر وهو اليوم الخامس والعشرون من شهره بينه وبين أول الشهر الجديد المستقبل خمسة ايام ويكون لمن اقتدى بهذه السنة في السنة ثلاثة أعياد

﴿ فصل ﴾

العيد الاول يوم نزول الشمس برج الحمل : وذلك أنه في هذا اليوم يستوى الليل والنهار فى الاقاليم ، ويعتدل الزمان ويطيب الهواء ويهب النسيم ويذوب الثلج وتسيل الاودية وتمد الانهار وتنبع العيون وترتفع الرطوبات الى اعلى فروع الاشجار وينبت العشب ويطول الزرع وينمو الحشيش ويتلألأ الزهر وتورق الاشجار وتكمل الانوار ويخضر وجه الارض وتتكون الحيوانات ويدب الدبيب وتنتج البهائم وتدر الضروع وتنتشر الحيوانات في البلاد ويطيب عيش أهل البر وتأخذ الارض زخرفها وتصير كأنها فتاة شابة طرية ، فيجب أن يكون ذلك اليوم عيدا يظهر فيه الفرح والسرور.

وكان الحكماء فى هذا اليوم يجتمعون ويجمعون أولادهم وشبان تلامذتهم باحسن زينة وأنظف طهور الى الهيا كل التى كانت لهم ويذبحون الذبائح الطيبة الطاهرة ويضعون الموائد ويكثرون البقول والالبان والحبوب مما تنبته الارض، فاذا أكلوا وفرحوا أخذوا في استعمال الموسيقى بالنقرات المحركة للانفس الى معالى الامور والنغمات اللذيذة بتلاوة الحكمة ونشر العلم فيكون بذلك راحة النفس وكمال الانس فلا يزالون كذلك بقية يومهم ثم ينصرفون الى اشغالهم

ولهذا اليوم اسم باللغة اليونانية معروف عندهم وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس رأس الحمل نوء الربيع

﴿ فصل ﴾

في العيد الثاني

فاذا نزلت الشمس أول السرطان فان ذلك اليوم العيد الثاني نوء الصيف وفيه يتناهى طول النهار وقصر الليل وانصراف الربيع ومجيء الصيف واشتداد الحر

وهبوب السمائم ونقصان المياه ويبس العشب واستحكام الحب وادراك الحصاد والثمار ، فيكون ذلك اليوم عيداً لاستقبال زمان جديد تابع للزمان الأول

وكانت الحكماء تجتمع فيه الى الهيا كل المبنية لذلك اليوم ، لانهم كان لهم لكل عيد هيكل لايدخلونه بذلك الزي الا في يوم مثله : فيدخلون الهيكل المبنى ويلبسون الذى يليق بطبيعة ذلك البرج ، وكذلك ما يكون يستعملونه من الطعام والشراب وما كان من الثمار الا فى بين التيبيس والترطيب في الطبقة الاولى فاذا قضوا ما يجب عليهم في ذلك اليوم انصرفوا فلا يجتمعون الى العيد الثالث وهو يوم نزول الشمس رأس الميزان .

﴿ فصل ﴾

فى العيد الثالث

فاذا نزلت أول دقيقة من برج الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى ودخل الخريف وطاب الهواء وهبت رياح الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الانهار وقل ماء العيون وجف النبات ، فيكون ذلك اليوم أيضاً يوم عيد فيدخلون الى الهيكل المبنى لذلك اليوم ويكون استعمالهم من الأكل مايوافق طبيعة ذلك اليوم والزمان ، ومن نشر العلم مالاق به ولا عيد لهم بعده الى أن تبلغ الشمس آخر القوس أول الجدى .

﴿ فصل ﴾

العيد : الرابع يتناهى طول الليل وقصر النهار ويأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة وينصرف الخريف ويدخل الشتاء ويشتد البرد ويسخن الهواء ويتساقط ورق الشجر ويموت أكثر النبات وتنحجر الحيوانات في أعماق الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد فاذا كثرت الأنداء ونشأت الغيوم وأظلم الهواء وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان ومنع الناس التصرف والاجتماع بعضهم من بعض ويمر عيش أكثر الحيوان . وكانت الحكماء تتخذ هذا اليوم يوم حزن وكآبة وندم واستغفار ، وكانوا يصومونه ولايفطرون فيه .

واذا تأملت أيها الأخ هذه الأيام الثلاثة في السنة الفلسفية التى اتخذوها أعياداً وأفراحاً وكان فرحهم الأكبر في الأول منها ودونه في الاوسط ودونه فيما يليه وفي الآخر يوم حزن وكآبة الى أن يستأنف الدور الآخر عندرجوع الشمس الى أول برج الحمل ، وإذا أنعمت النظر الى أعياد الشريعة الاسلامية وجدتها موافقة لها وذلك أن نبينا عليه السلام سن لأمته في شريعته ثلاثة أعياد : فالأول منها يوم عيد الفطر وهو أعظم فرح يكون بخروج الناس من شدة الصوم الى الفطر كفرح أهل الارض بقدوم الربيع والخصب بعد ذهاب الشتاء، ثم عيد الاضحى وهو يوم تعب ونصب لأنه يوم الحج فيكون الوفد الشرعي فيه شعثاً غبراً ويحتاج فيه الى اراقة دم ويكون فرحاً ممزوجاً بغم ونصب، فيكون الفرح دون الفرح الاول كفرح الفلاسفة بالعيد الثاني من سنتهم : اذ كانوا يستقبلون الهجير والرمضاء والسمائم وشدة الصيف .

واليوم الثالث في السنة الشرعية يوم وصيته عند انصرافه من حجة الوداع بغدير خم وفرحه ممزوج لانه خالط ذلك بنكث وغدر موافقاً للعيد الثالث الفلسفي المتقلب فيه الزمان من الصيف الى الخريف فتناهى حال الثمار وأخذها في النقصان والجفاف .

واليوم الرابع هو يوم الحزن والكآبة فهو يوم قبض فيه النبي ﷺ الى رضوان الله ومحل كرامته صلى الله عليه وآله وان كان عيداً له لما وعده ربه تعالى بقوله : « وللآخرة خير لك من الأولى » فهو بانتقاله الى جوار الله وكريم فنائه عيد له غير أنه مشوب بمصاب أمته وانقطاع الوحي وفقدهم شخصه الكريم

واعلم أيها الأخ أنا جماعة اخوان الصفاء أحق الناس بالعبادة الشرعية ومراعاة أوقاتها وأداء فروضها ومعرفة تحليلها وتحريمها لأنا أخص الناس بها وأولاهم بحملها وأقرب الناس الى من جاءت على يديه وأولاهم به وأحق الناس أيضاً بالعبادة الفلسفية الالهية والقيام بها والأخذ لها والتجديد لما دثر منها . فاذا أكملنا ذلك كانت لنا سنة ثالثة نتميز بها ونتخصص بعلمها ولنا ايضا ثلاثة أيام نتخذها أعياداً ونأمر اخواننا بالاجتماع فيها والسعي اليها .

واعلم أيها الأخ أن أعيادنا هذه ليست تشابه أعياد الفلسفة ولا الشريعة في الحقيقة لكن بالمثل ، لأن أعيادنا ذاتية قائمة بذواتها تظهر الافعال عنها ، وبها وفيها . وهي ثلاثة أيضا أول وأوسط وآخر والرابع أصعبها عملا وأشدها فعلا. وأمثال هذه الأيام الاربعة التى ذكرناها ووصفناها في الزمان بالحركات الفلكية وموجبات أحكام النجوم : الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وفي الشريعة المحمدية والملة الهاشمية عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الغدير ويوم المصيبة به صلوات الله عليه ، وفي الشريعة الفلسفية نزول الشمس الحمل والسرطان والميزان والجدي في الصورة الانسانية أيام الصبا وأيام الشباب وأيام الكهولة وأيام آخر العمر .. به ذهاب الشخص ومفارقة الجسم للنفس ولذلك يبكى عليه ويكون عند أهله الهم والحزن والاسف على فقده كما حزن أهل بيت النبوة لما فقدوا سيدهم وغاب عنهم واحدهم وتخطفوا من بعده وتفرق شملهم وطمع فيهم عدوهم واغتصبوا حقهم وتبددوا ثم ختم ذلك بيوم كربلا وقتل من قتل من الشهداء ما افتضح الاسلام به .

ومن قبله ما أنال أحق الناس بما قاسى أولاهم بالامر من بعده ثم من بعد غيبة صاحب الشريعة ﷺ قتل من بعده من أجلة أصحابه المساعدين له في اقامة الناموس معه مثل صديقه وفاروقه وذي النورين وما تواتر على أهله وأقاربه من المصائب فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطاع دولة خلان الوفاء الى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التى ينبغي لهم القيام فيها اذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم .

واليوم الرابع يكون فيه حزنهم لغيبة سيدهم كما غاب أبوهم صاحب الناموس وما كان من الحزن والكآبة الواقعة بهم من بعده .

فأعيادنا أيها الأخ هي أشخاص ناطقة وأنفس فعالة تفعل باذن باريها ما يوحيه اليها ويلهمها من الافعال والاعمال : فاليوم الاول من ايامنا والعيد الفاضل من أعيادنا هو يوم خروج أول القائمين منا ويكون اليوم

الموافق له لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا .

واليوم الثاني هو يوم قيام الثانى الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس أول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار اذ كان فيه تصرم دولة أهل الجور وانقضائها وهو فرح وسرور واستبشار .

واليوم الثالث هو يوم قيامة ثالثنا الموافق لنزول الشمس أول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهى مقاومة الباطل الحق وكون الامر على خلاف ما كان عليه .

ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار وكون الامر على ما قال صاحب الشريعة : «إن الاسلام ظهر غريباً وسيعود غريباً فياطوبى للغرباء» فيكون الأمر على مثل ما نحن عليه فى وقتنا الى وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل « ذلك تقدير العزيز العليم » « ومامنا إلا له مقام معلوم» «ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله»

واعلم يا أخى أن في هذه المدة يميز الله الخبيث من الطيب ويرفع أهل العلم درجات لم يكونوا لينالوها إلا بصبرهم واحتسابهم في جنب ما يصيبهم فلا تنكر أيها الاخ ما ذكرنا من أن الزمان لا يدوم بصفائه ، إن الصفاء إنما يعرف بالكدورة والعدل بالجور ، والصحة بالسقم ، وإنما صفاء اخوان الصفاء لما أخلصوا الصبر على البلوى في السراء والضراء واستسلموا لربهم وانقادوا اليه بنفوس طيبة ساكنة مطمئنة .

واعلم أيها الاخ أن القربان كما ذكرنا قربانان شرعي وفلسفي لا ثالث لهما .

فأما القربان الشرعى فهو المأمور به في الحج من ذبح الحيوانات المذكورة الموصوفة على شرائطها من أجناسها المحمودة السالمة فى المواضع التى يجب ذلك فيها وأجلها ما كان أكثر ثمنا وأحسن صورة وأجود غذاء لمن يأكلها ممن يفرق فيهم ويشبعهم ويكفيهم .

فاذا خرج ذلك من حله ودفع الى أهله بنفس طيبة ونية صادقة كان قرباناً مقبولا وكفارة نافعة ودعاء مستجاباً ، فهذا قربان شرعي .

وأما الفلسفي فهو مثل ذلك الا أن النهاية فيه التقرب بالأجساد الى الله سبحانه بتسليمها الى الموت وترك الخوف كما فعل سقراط لما شرب السم المذكور (قصته فى كتاب فاذن) وكاستبشار أرسطاطاليس لما نزل الموت به لما حزن عليه تلامذته وما كان من خطابه ووصيته المذكورة في رسالة (التفاحة) .

واعلم أيها الاخ أن أعظم القرابين هو ترك النفس محبة الدنيا والزهد فيها وقلة الخوف من الموت وتمنيه .

وأما قربان اخوان الصفاء فهو قربان يجمع هذه الخصال كلها بأسرها شرعيها وفلسفيها وهو التقرب بما تقرب به ابراهيم من الكبش الممنون به عليه فداء لولده الذى قد رعى فى أرض الجنة أربعين خروفاً ، فان تمكنت أن تتقرب بكبش رعى في أرض الجنة ولو شبراً فافعل ولا تقعد عنه واجتهد في ذلك لتكون قد بلغت المجهود وأقمت المثل وعمرت عالم الله تعالى ، وأرجو أن يوفقك الله لفهم ما تسمع ويجعلك من أهله .

ولما كان هذا الفصل جامعاً للفضائل النفسانية وعلمنا أنك متى امتثلت فيه الوصية كملت لك الصورة الملكية وكانت لك في معادك مهيأة لوصولك اليها ونزولك عليها ختمنا الرسالة بهذا الفصل وسميناه « الفصل الجامع للفوائد النافعة » وهو منها بمنزلة القلب من الجسد والرأس من البدن وهو نهاية الغرض بعد الوقوف على ما فيها والارتسام بجميع ما رسمنا والاعتماد على ما وصفنا .

واعلم أيها الاخ أن كلامنا هذا تشهد بصحته العقول السليمة وتسكن اليه النفوس الصافية المشتاقة الى ربها وتعضده الآيات المكتوبة في الآفاق والانفس وما في السموات والارض وما تدل عليه الكتب النبوية والتنزيلات السماوية وأفعال الانبياء واتفاقهم على هذه الاعمال التى ذكرناها والسياسات التى وصفناها وأفعال الحكماء من الفلاسفة القدماء وبنائهم الهيا كل في الارض على مثال ما هى مبنية فى السماء .

واعلم أيها الاخ أن الشاك فيما ذكرناه والراد فيما وصفناه معـذور في ذلك لانه جاهل لا علم له ولا معرفة عنده فهو لاه في سكرته وتائه في ضلالته !! فمن أراد أن يعرف صحة ما قلنا ويمتحن صدقنا من كذبنا فليفعل مافعلنا ويبـذل من نفسه مابذلنا ليحل له دخول الحرم والوقوف على المقام وزمزم ، فان رأى مايؤيد الشريعة المحمدية والملة الهاشمية ويقويها وينفي عنها شبه الملحدة وجحدة الانبياء فيقيم معنا بالرحب والسعة له مالنا وعليه ماعلينا ، وان رأى ما ينال في الشريعة فهو معذور في رفضه مثاب في تركه ، وليس على ماخرج منه ثواب يمنعه من العود اليه . وقد جاء في الخبر عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال (لايمين في معصية الله) بلغك الله ايها الاخ البار الرحيم منازل الابرار ونجاك وايانا من عذاب النار وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد والقفار انه جواد غفار

﴿ تمت الرسالة التاسعة في كيفية أنواع السياسات وكميتها ويليها رسالة في كيفية نضد العالم بأسره ﴾

الرسالة العاشرة

من العلوم الناموسية والشرعية

في كيفية نضد العالم بأسره

﴿ وهي الرسالة الحادية والخمسون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أن العالم الكبير بأسره كرة واحدة تنفصل احدى عشرة طبقة : تسع منها هي أفلاك كريات مجوفات مشـفات ، وكواكبها أيضاً كلها كريات مستديرات مضيئات وحركاتها كلها دوريات.

وذلك أن الفلك المحيط بجميع مايحوي من الافلاك والكواكب يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة، وكذلك كل كوكب يدور في فلك مختص به أو دائرة حركة دورية في زمان معلوم، وكلما دارت دورة استأنفت ثانية — كما وصفنا في رسالة مدخل النجوم ورسالة السماء والعالم ورسالة الأكوار والادوار — ودون فلك القمر كرتان احداهما النار والهواء والاخرى الماء والارض ، وكل واحد منهما كرى الشكل محيطات أواخرها متصلة بأوائلها بيان ذلك أن النار متصـل أولها بفلك القمر وآخرها بطبيعـة الزمهرير ، والزمهرير آخره متصـل محيط بالماء والارض — كما وصـفنا في رسالة الآثار العلوية —

وأما الارض بجميع بحارها وجبالها فكرة واحدة . واذا اعتبر بشكل الجبال والانهار على بسيط الارض وتأمل تبين أن كل واحد منها كانه قطعة قوس من محيط الدائرة .

وأما شكل البحار فكل واحد كأنه قطعة من سطح جسم كري

✱ فصل ✱

وهكذا أحوال الكائنات اذا اعتبرت وتأملت تبين أن أكثرها كريات الشكل أو مستديرات : من ذلك أن أكثر ثمار الاشجار وأوراقها وحب النبات ونور أزهارها كريات الاشكال أو مستديرات .

وهكذا أكثر مصنوعات البشر — كما بينا في رسالة الهندسة — وأما احوالها فدائرة أيضاً يعطف أوائلها على أواخرها مثل دوران الزمان من الشتاء الى الربيع ومن الربيع الى الصيف ومن الصيف الى الخريف ومن الخريف الى الشتاء

وهكذا دوران الليل والنهار حول كرة الارض — كما بينا في رسالة الهيولى.

وكذلك حكم دوران مياه الانهار والبحار والغيوم والامطار فانها كالدولاب الدائر وتلك الغيوم والسحاب تنشأ من البخار المتصاعد من البحار والأنهار وتسوقها الرياح الى القفار ورؤوس الجبال وتمطر هناك وتجتمع السيول في الاودية فتذهب راجعة نحو البحار ثم تصعد ثانية (ذلك تقدير العزيز العليم)

وكذلك حال النبات وتكوينه من التراب والماء والنار والهواء ورجوعه اليها في دورانها كالدولاب: وكذلك أن النبات يبدو وينشأ ويتم ويكمل حتى اذا بلغ الى أقصى غاياته ومنتهى نهاياته رجع عند البلى والفساد الى ماتكون منه

بيان ذلك أن النبات يمتص بعروقه لطائف الاركان ويصير ورقا وحبا وثمارا يتناولها الحيوان ليتغذى ثم يستحيل في أبدان بعضها لحماً ودماً وبعضها يخرج ثقلا وسماداً ويرد إلى أصول النبات ليتغذى منه ويصير حباً وثماراً ثانياً ويتناوله الحيوان . فاذا تأمل هذا من حاله وجد كأنه دولاب دائر.

وأما أجسام الحيوان فانها كلها تعود الى التراب وتبلى وتصير ترابا ويكون

منها نبات ، ومن النبات حيوان — كما بين قبل — فاذا تأمل ذلك وجد أيضاً كأنه دولاب يدور .

وأما أحوال البشر اذا اعتبرت فكلها دائرة كالدولاب : وذلك أن الانسان يبدو كونه من النطفة ثم ينشأ وينمو ويتم ويبلغ الى أن تتولد منه النطفة فيشتهي العود الى حيث خرج لقضاء شهوته ونتاج مثله ، وكذلك بدأ كونه ناقص القوة ضعيف البنية ثم يرتقي ويتزايد الى أن يبلغ الى الأشد ، ثم يبتدى في الانحطاط والنقص الى أن يرد الى ارذل العمر كما كان بدياً كما ذكر تعالى فقال:(لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون) وكما قال سبحانه : (خلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) وقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً)

✱ فصل ✱

واعلم أيها الأخ أن هذه الموجودات التي تحت فلك القمر نظاما وترتيبا أيضا في الوجود والبقاء وهي مرتبة بعضها تحت بعض متصل أواخرها بأوائلها كترتيب العدد وترتيب الافلاك

بيان ذلك انه لما كانت أجزاء العالم محيطات بعضها بعضا وهي احدى عشر كرة : تسع منها في عالم الافلاك أولها من لدن فلك المحيط وآخرها الى منتهى فلك القمر وآخرها متصل بأوائلها — كما بينا في رسالة السماء والعالم — وكان اثنتان منها دون فلك القمر وهي كرة النار والهواء وكرة الماء والأرض وهي مقسومة على اربع طبائع : أولها الأثير وهي نار ملتهبة دون فلك القمر ودونه الزمهرير الذي هو البرد المفرط ودونه الماء المفرط للرطوبة ودونه الارض المفرطة

اليبس . وهذه الاربعة محفوظة كلياتها فى مراكزها ومتصلة أواخرها بأوائلها ومستحيلة جزئياتها بعضها الى بعض — كما بينا فى رسالة الكون والفساد —

وأما الكائنات منها التى هى جزئياتها فهي المعادن والنبات والحيوان ولها نظام وترتيب متصل آواخرها بأوائلها كتركيب الافلاك والاركان : بيان ذلك أن المعادن متصل أولها بالتراب وآخرها بالنبات ، والنبات أيضاً متصل آخره بالحيوان والحيوان متصل آخره بالانسان ، والانسان متصل آخره بالملائكة والملائكة أيضاً لها مراتب ومقامات متصلة أواخرها بأوائلها — كما بينا فى رسالة الروحانيات — فنريد أن نذكر في هذا الفصل مراتب الكائنات من الاركان الاربعة التى هي المعادن والنبات والحيوان فنقول : أول المعادن هو الجص مما يلي التراب والملح مما يلى الماء وذلك أن الجص هو التراب الرملى يبتل من الامطار ثم ينعقد ويصير جصا .

وأما الملح فانه يمتزج بالتربة السبخة وينعقد فيصير ملحاً وأما آخر المعادن مما يلى النبات فهو الكمأة والقطن وما شاكلها يتكون في التراب كالمعدن ثم ينبت في المواضع الندية فى أيام الربيع من الامطار وصوت الرعد كما ينبت النبات ، ولكن من أجل أنه ليس له ثمرة ولا ورقة ويتكون فى التراب كما تتكون الجواهر المعدنية فصار من هذه الجهة يشبه المعدن ومن جهة أخرى يشبه النبات . فأما باقى أنواع الجواهر المعدنية ففيما بين هذين الحدين أعنى الجص والكمأة وقد بينا فى رسالة المعادن أنواعها وأجناسها وخواصها ومنافعها .

وأما النبات فنقول ان هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعادن وآخره متصل بالحيون بيان ذلك :

اعلم يا أخى أن أول مرتبة النبات وأدونها مما يلى التراب هي خضراء الدمن ، وآخرها وأشرفها مما يلى الحيوانية النخل . وذلك أن خضراء الدمن ليست بشىء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم يصيبها المطر فتصبح بالغداة خضراء كأنها نبت زرع وحشائش فاذا أصابها حر الشمس نصف النهار تجف ثم تصبح بالغد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم

ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن الا فى أيام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لأن هذا معدن نباتى وذلك نبات معدنى

فصل

وأما النخل فهو آخر المرتبة النباتية مما يلى الحيوانية . وذلك أن النخل نبات حيواني لأن بعض أحواله وأفعاله مباين لاحوال النبات ، وان كان جسمه نباتياً ، بيان ذلك أن القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة . والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة فيها مباينة لاشخاص الاناث ، ولفحولته فى أشخاصه لقاح فى إناثها — كما يكون في ذلك للحيوان — وأما سائر النبات فان القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشخص بل بالفعل حسب — كما بينا فى رسالة النبات — وأيضا فان النخل اذا قطعت رؤوس أشخاصه جفت وبطل نموه ونشوءه ، كما أن الحيوانات اذا ضربت أعناقها بطلت وماتت ، فبهذا الاعتبار بان ان النخل نبات بالجسم حيوان بالنفس اذ كان أفعال النفس الحيوانية أفعاله وشكل جسمه شكل النبات . وفي النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النفس الحيوانية وان كان جسمه جسما نباتيا وهو الاكثوث (١) وذلك أن هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت فى الارض كما يكون لسائر النبات ولا له ورق كاوراقها بل هو يلتف على الاشجار والزروع والبقول والحشائش ويمتص من رطوباتها ويغتذي كما يفعل الدود الدى يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات ويقرضها ويأكل منها ويغتذي بها ، وهذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان

فقد بان بما وصفنا ان آخر المرتبة النباتية متصل بأول الحيوانية واما سائر المراتب النباتية فهى ما بين هذين المرتبتين

فصل

واعلم يا اخى ان اول مرتبة الحيوانية ايضا متصل بآخر النباتية كما ان اول

(١) الاكثوث : نبات ملتف الفروع كثيفها يقوم على سوق غيره من النباتات والاشجار

النباتية متصل بآخر المعدنية واول المعدنية متصل بالتراب والماء — كما بينا قبل —

واعلم ان ادون الحيوان وانقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة وهو الحلزون : وهي دودة فى جوف انبوبة تنبت تلك الانبوبة على الصخور التى في بعض سواحل البحار وشطوط الانهار ، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الانبوبة وتنبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يغتذي بها جسمها فاذا احست برطوبة ولين انبسطت اليه وان احست بخشونة او صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الانبوبة حذراً من مؤذ لجسمها ومفسد لهيكلها ، وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق الا اللمس حسب .

وهكذا اكثر الديدان التى تكون في الطين في قعر البحر وعمق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم ، لان الحكمة الالهية لم تعط الحيوان عضواً لايحتاج اليه في جر المنفعة أو دفع المضرة ، لأنه لو اعطاها مالا تحتاج اليه لكان وبالا عليها في حفظها وبقائها

فهذا النوع حيواني نباتى لأنه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه قائما . ومن أجل أنه يتحرك بجسمه حركة اختيارية فهو حيوان ، ومن أجل أنه ليس له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوانات رتبة ، وتلك الحاسة أيضاً هي التى يشاركها النبات وذلك أن النباتات لها حس اللمس حسب

والدليل على أن للنبات حس اللمس هو إرساله عروقه نحو النهر والمواضع الندية وامتناعه عن إرسالها إلى ناحية الصخور واليبس ، وأيضاً أنه إذا اتفق منبته في مضيق مال وطلب الفسحة ، وان كان فوقه سقف يمنعه من الذهاب علواً وترك له ثقب من جانب مال النبات الى تلك الناحية حتى اذا طال أخرج من هناك رؤوسه . وهذه الأفعال تدل على أن له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة اليه

فأما حس الألم فليس للنبات ، وذلك لانه ليس يليق بالحكمة الالهية أن تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان ، وذلك أن الحيوان

لما جعل له أن يحس بالالم جعل له أيضاً حيلة الدفع اما بالفرار والهرب أو بالتحرز أو بالممانعة (١)

فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلى النبات فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلى الانسانية فنقول : ان رتبة الحيوانية مما يلى رتبة الانسانية هى ليست من وجه واحد ، ولكن من عدة وجوه ، وذلك أن رتبة الانسانية لما كانت معدن الفضائل وينبوع المناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ، ولكن عدة أنواع : فمنها ماقارب رتبة الانسانية بصورة الجسدانية مثل القرد ، ومنها بالأخلاق النفسانية مثل الفرس الكريم الاخلاق ، ومثل الطير الانسى الذي هو الحمام ومثل الفيل الذكى القلب ومثل الهزار والببغاء الكثيرة الاصوات والالحان والنغمات ومثل النحل اللطيف الصنايع وماشا كل هذه الاجناس : وذلك أنه مامن حيوان يستعمله الناس أو قد أنس بالانسان الا وله في نفسه شرف قرب من نفس الانسانية .

وأما القرد فلقرب شكل جسده من جسد الانسان صارت نفسه تحاكى أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس .

وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه أن صار جسده مركباً للملوك فانه ربما بلغ من حسن أدبه أن لايبول ولايروث مادام بحضرة الملك أو هو راكبه ، وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون للرجل الشجاع كما وصف الشاعر :

واذا شكا مهري إلي جراحة عنداختلاف الطعن قلت له اقدما
لما رآنى لست أقبل عذره عض الشكيم على اللجام وحمحما

وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي . كما يمتثل العاقل المأمور المنتهي

فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوانية مما يلى رتبة الانسانية لمايظهر منها من الفضائل الانسانية . وأما باقى أنواع الحيوانات فما بين هاتين المرتبتين

(١) الذى أثبته العلم أخيراً أن النبات يتألم ويحس ويفقد الحياة شيئاً فشيئا كما رأينا محاضرة العلامة بوز جاجاديس العالم الهندي ولقد كان ذلك بالمشاهدة العينية

واذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية فنريد أن نذكر أولا رتبة الانسانية مما يلي رتبة الحيوانية :

اعلم أن أدون رتبة الانسانية التي تلي الحيوانية هي رتبة الذين لايعلمون من الأمور إلا المحسوسات ولايعرفون من الخيرات إلا الجسمانيات ولايطلبون الا صلاح الاجساد ولا يرغبون الا في زينة الدنيا ولايتمنون الا الخلود فيها مع علمهم أنه لا سبيل لهم الى ذلك ، ولا يشتهون من اللذات الا الاكل والشرب مثل البهائم ، ولايتنافسون الا في الجماع والنكاح مثل الخنازير والحمير ، ولا يحرصون الا على جمع الذخائر من متاع الدنيا يجمعون مالايحتاجون اليه كالنمل ويحبون مالاينتفعون به كالعقاعق ، ولايعرفون من الزينة الاأصباغ اللباس مثل الطاووس ويتحاربون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف !! فهؤلاء وان كانت صورتهم الجسدانية صورة الانسان فان أفعال نفوسهم أفعال النفس الحيوانية والنباتية .

﴿ فصل ﴾

وأما الرتبة الانسانية التي تلي رتبة الملائكة فهي رتبة الذين انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وانتعشت بحياة العلوم والمعارف وانفتحت لها عين البصيرة فأبصرت بنور قلوبها ما كان غائباً عن حواسها من الأمور الروحانية والموجودات العقلية وشاهدت بصفاء جوهرها عالم الارواح ورأت بعين اليقين أصناف الخلائق الذين هم هناك ، وهي الصورة المجردة عن الهيولى الجسمانية وهي أجناس الملائكة وجنود ربك من الروحانيين والكروبيين وحملة العرش أجمعين وعرفت أحوالهم وتبين لها سرورهم وملاذهم ونعيمهم فتشوقت نحوها ورغبت فيها وحرصت على طلبها وزهدت في نعيم أبناء الدنيا والكون في عالم الأجساد وتركت طلب شهواتها الجسمانية وأعرضت عن تناول لذاتها الجرمانية وصارت بفكرتها هناك وان كانت بجسدها هاهنا ، فأسهر ليله مفكراً ونهاره طاويا في طلب المعارف والبحث عن حقائق الامور ورضي من متاع الدنيا بكسرة يقيم بها حياة

الجسد وخرقة يوارى بها العورة الى وقت معلوم وعاش في الدنيا مع أبناء جنسه من الآدميين بجسده وهو بنفسه من أجناس الملائكة .

فاجتهد يا أخي في طلب ما طلبوه وارغب في صحبتهم واقتد بسنتهم وسر بسيرتهم لعلك تحشر في زمرتهم الى الجنة دار القرار كما ذكر الله تعالى ووعد فقال جل ثناؤه (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) الآية وقال رسول الله ﷺ (المرء يحشر يوم القيامة مع من يحب) وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . وقد بينا طريق الانبياء صلوات الله عليهم وخصال المؤمنين المحققين في احدى وخمسين رسالة عملناها في غرائب العلوم وطرائف الآداب وتهذيب النفس واصلاح الاخلاق ، وفقك الله أيها الأخ لقراءتها وفهم معانيها والعمل بما فيها ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة في كيفية نضد العالم بأسره ويليها رسالة في ماهية السحر والعزائم والعين

الرسالة الحادية عشرة

من العلوم الناموسية والشرعية

في ماهية السحر والعزائم والعين

(وهي الرسالة الثانية والخمسون من رسائل اخوان الصفا وهي آخر الرسائل)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه أنا قد ذكرنا في خمسين رسالة تقدمت لنا قبل هذه الرسالة فنون العلم وغرائب الحكمة ورتبناها وجمعنا فيها علوماً كثيرة وأغراضاً جمة وحكم بليغة ورتبناها بحسب ماتقتضيها درجات المتعاملين ومراتب الطالبين المستفيدين . فكما لا ينبغي أن نبذل العلم لمن ليس هو من أهله ولايعرف فضله ، فهكذا لا يجوز ولا يحل أن تمنع منه من هو مسترشد وطالب له ، ولا نبخل به على مستحق

فينبغي لمن حصلت له هذه الرسائل من اخواننا الكرام أن يدفع منها الى كل من يستحق ما يقرب من فهمه وما يعلم أنه يصلح له أو يليق بمرتبته أولا فأولا على الترتيب الذي رتبناه في رسالة الفهرست.

فكلما ارتقت نفسه في العلم الى درجة درجة ، وانتهت الى مرتبة مرتبة في المعرفة رقى الى مابعدها ودفع الى مايتلوها ، الى أن تبلغ نفسه الى حد كمالها.

وقد جعلنا الرسائل كلها على أربعة أقسام : القسم الاول رياضية يبتدىء بها

والقسم الثاني جسمانية طبيعية يتلو بها ، والقسم الثالث نفسانية عقلية من بعدها والقسم الرابع ناموسية الهية هي آخرها .

وهذه الرسالة هي آخر الرسائل من القسم الرابع وهي الحادية والخمسون نريد أن نذكر فيها ماهية السحر وكيفية عمل الطلسمات وأنها كأحد العلوم والمعارف المتعارفة وكبعض الحكم المستعملة ، ونستشهد عليها بما سمعناه من العلماء وعرفناه من كتب القدماء الذين كانوا فيما مضى قبلنا .

وأعلم أيها الأخ أيدك الله أننا رأينا اليوم أكثر الناس المتغافلين اذا سمعوا بذكر السحر يستحيل واحد منهم أن يصدق به ويتكافرون بمن يجمله من جملة العلوم التي يجب أن ينظر فيها أو يتأدب بمعرفتها، وهؤلاء هم المتعالمون والاحداث من حكماء دهرنا المتخلفين والمدعين بأنهم من خواص الناس المتميزين ، وذلك لأنهم لما رأوا بعض المتعاملين بهذا العلم والخائضين في طلبه من غير معرفة له إما أبله قليل العقل أو امرأة رعناء أو عجوزاً خرفة بلهاء فرفعوا أنفسهم عن مشاركة من هذه حاله اذا سمعوا بذكر السحر والطلسمات أنفة منهم لئلا ينسبوا الى الجهل والى التصديق بالكذب والخرافات اذ كان أولئك السخفاء الطالبين لهذا العلم يطلبونه لاغراض لهم سخيفة دنيئة من غير معرفة توجب الطلبة ولا ما المقصود منه والغرض ، ولم يعلموا أن هذا هو جزء من الحكمة بل هو جزء وآخر علوم الحكمة لانه يحتاج قبله الى تعلم علوم تقدمه : فمنها علم النجوم الذي هو معرفة ثلاثة أشياء وهي الكواكب والافلاك والبروج

فالبروج أثنا عشر برجا والافلاك تسعة والكواكب المعروفة الف وتسعة وعشرون كوكبا ، فمنها سبعة سيارة — وقد ذكرناها في الرسالة الثالثة من القسم الاول من كتابنا هذا — وهو كالمدخل على علوم النجوم جميع ما يحتاج الى تقديمه من ذلك .

فأما سوى البروج والكواكب والافلاك فمنها العقدتان اللتان تسمى إحداها الرأس والآخر الذنب . فالرأس يدل على السعود والذنب يدل على النحوس

وليسا هما كوكبين ولا جسمين ظاهرين ولكنهما أمران خفيان لخفاء ذاتيهما وظهور أفعالهما يدل على أن فى العالم نفوساً خفية عن الحس، أفعالها ظاهرة وذاتها خفية يسمون الروحانيين الذين ذكرناهم فى الرسالة التى هى قبل هذه الرسالة — وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين ، ويعرف ذلك أصحاب العلوم والسحر والطلسمات فاقرأ تلك الرسالة التى لنا قبل هذه الرسالة لتعرف هذا المعنى على التمام والكمال منها اذا قرأتها ويتحقق لك أيها الأخ ما هو موجود في العالم من أفعال الروحانيين كما ذكرناه ورتبناه وشرحناه فيها . فأما معرفة أفعال النجوم وتأثيراتها فيما تحت فلك القمر من بعد المعرفة بدلالاتها فهى من الحكمة الروحانية والتأييد الآلهى والعناية الربانية وأجل العلماء المشهورين بهذا العلم هو بطليموس صاحب المجسطي وغيره من الكتب التى له فى هذا العلم وغيره من العلماء

واعلم يا أخى أن الكواكب ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله فيأرضه يسوسون عباده ويحفظون شرائع أنبيائه بانفاذ أحكامه على عباده لصلاحهم وحفظ نظامهم على أحسن الحالات .

واعلم يا أخى أيدك الله أنه لايكاد يعرف كيفيات تأثيرات هذه الكواكب وأفعالها في جميع ما في هذا العالم من الاجسام والارواح والنفوس إلا الراسخون في العلم البالغون فى المعارف والناظرون في العلوم الالهية المؤيدون بتأييد الله وإلهامه لهم

واعلم يا أخى أن اول قوة تسرى من النفس الكلية نحو العالم ففى الاشخاص الفاضلة النيرة التى هى الكواكب الثابتة ، ثم من بعدها في الكواكب السيارة ثم من بعدها فيما دونها من الاركان الاربعة فى الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان

واعلم يا أخى أن مثال سريان قوى النفس الكلية فى الاجسام الكلية

الجزئية جميعاً كمثال سريان نور الشمس والكواكب في الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض

واعلم انه اذا اتفق في وقت من الزمان أن تكون الكواكب السيارة فى أوجاتها واشراقها ويكون بعضها من بعض على النسبة الافضل التى تسمى النسبة الموسيقية ، سرت عندها تلك القوى من النفس الكلية ووصلت بتوصل تلك الكواكب الى هذا العالم فجرى أمر الكائنات على أعدل مزاج وأطبع طبائع وأجود نظام .

وتسمى تلك الاحوال سعادة ، وان اتفق أن يكون الحال على ضد ماذكرت كان الأمر بالضد ولا يكون ذلك بالقصد الاول ولكن باسباب عارضة كما بيناها في رسالة الآراء والمذاهب فى باب علل الشرور وأسبابها فتعرفها ياأخى من هناك .

واعلم ايها الأخ انه ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاح لكل احد من الناس لان ذلك منغص للعيش، وانما يراد هذا العلم ليترقى فيه الى ماهو اشرف منه ويعرف الشر الذى فيه بمعرفة الاسباب والعلل فتتنبه النفس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنبعث من موت الخطيئة وتنفتح لها عين البصيرة وتعرف حقائق الموجودات وتتحقق أمر المعاد فتزهد في الدنيا وتهون عليها مصائبها ولا تحزن ولاتجزع اذا علمت موجبات احكام النجوم والفلك كما ذكر عن رسول الله ﷺ انه قال : (من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات) وتصديق ذلك قول الله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم) .

واعلم ايها الأخ ان هذه العلوم تنقسم على خمسة اقسام : احدها علم الكيماء الذى ينفى الفقر ويكشف الضر ، والثانى علم احكام النجوم الذى يدرك به ما كان ويكون ، والثالث علم السحر والطلسمات التى تلحق الرعية بالملوك والملوك بالملائكة ، والرابع علم الطب الذى يحفظ صحة الاجسام ويشفى نوازل الاسقام ، والخامس علم التجريد تعرف النفس به ذاتها وتشرف بعد تجردها

على مستقرها — وقد تكلمنا في رسالة لنا في النجوم بما هو كالمقدمة وما يحتاج اليه في معرفته قبل هذه الرسالة — وقد كان علم السحر والطلسمات تابعاً لعلوم احكام النجوم وتالياً له ومتعلقاً به وعليه . والمنافع به كثيرة مشهورة فقد سمع بخبر الطلسمات وكثرتها فمنها خبر الذى كان الرأس وثقلها الزيتون والطلسم الذى للتمساح ، وطلسم البق وطلسم الحيات وطلسم العقارب وطلسم الزنابير ، وغيرها مما يسمع بالاخبار عنه دائماً من قوم ولا يجوز عليهم التواطيء في اوقات مختلفة وعلى وجوه متفرقة

ومع هذا فلابد مما يورد على هؤلاء المنكرين لهذا العلم والمكذبين لمن يدعى صحته من الشهادات بعض ماذكر المتقدمون فى كتبهم وسطروه من أخبارهم . ويحكي من ذلك ما كان واضح الشهرة لايخفى موضعه على طالبيه ولا يكذب قائله حتى لا يجد السفهاء الى تكذيبنا سبيلا .

فنقول أن افلاطون الفيلسوف قد ذكر فى المقالة الثانية من كتاب السياسة على علو فى قدره أنه قال : أن جرجيس الذي فى أهل مدينة أوروبا كان رجلا يرعى الغنم وكان أجيراً لمتسلط كان فى ذلك الوقت على مدينة أوروبا وجاءت في ذلك الزمان أمطار وكان معها زلازل فانشق موضع من الارض وصارت فيه خسفة في الموضع الذي كان فيه ذلك الرجل الذي يرعى الغنم فيه

فلما رأى الرجل تلك الخسفة عجب منها ونزل اليها فرأى هناك أشياء عجيبة وكان مع سائر ماهناك فرس معمول من النحاس في يده كوى مشقوقة فاطلع فى جوف الفرس من تلك الكوى فاذا في جوف الفرس انسان ميت مقداره فيما يراه منه أكثر من مقدار انسان ولم يكن عليه شيء أصلا سوى خاتم ذهب كان في يده فأخذ ذلك الخاتم وخرج من الخسفة .

واتفق ان الرعاة اجتمعوا على ماجرت عادتهم من الاجتماع شهراً فشهراً لينهوا الى الملك أمر أغنامه وحضر معهم الراعى وهو لابس لذلك الخاتم ، فبينما هو جالس مع سائر الرعاة إذ عرض له ان ضرب بيده الى خاتمه فاداره في أصبعه حتى

صار فصه الى داخل مما يلى راحته فلما فعل ذلك خفى عن الجلوس الذي كانوا معه حتى لم يتبينوا انه جالس ولم يبصروه وجعلوا يتكلمون في أمره مما يدل على أنه قد انصرف عنهم .

وكان هو يتعجب من ذلك الكلام ثم انه ضرب بيده الى خاتمه فادار فصه الى خارج ، فلما أداره صار القوم يرونه .

فلما فهم ذلك ضرب خاتمه ليرى هل فيه هذه القوة فوجده يعرض منه ذلك الامر بعينه أنه متى أدار فصه الى داخل استتر واحتجب عن البصر ومتى أداره الى خارج ظهر وأبصره الناس.

فعند ذلك لما اختبر بهذا من أمره في خاتمه تلطف واحتال أن يصير في عدد الرسل الى الملك فلما وصل اليه قتله وصار معه الآن .

تأمل هل ترى أن افلاطون الفيلسوف مع فضله وعقله كتب هذه الآية في كتاب من كتبه وهو الذي صنفه في السياسة ، وهو مع هذا يجوز أن يعتقد ويظن أنه يرى أن هذا الطلسم على الخاتم الذي تقدم ذكره قد عمل للحكمة التى بعدها غاية حتى صار فى قوة الفعل الى الحد الذي ظهر منه في العمل الذى يعمل به ، وانما السبب الذى يدعو هؤلاء الاحداث الى التكذيب والانكار لمثل هذا هو مافيهم من الكسل وقلة الرغبة فى التعلم والأنفة وقلة الحياء ! يحمل هؤلاء على مايفعلونه من الجحود لهذه العلوم وتكذيب من قال بصحتها لانهم يجدون هذا أسهل عليهم وأخف مؤنة .

واياك أيها الأخ أن تسلك سبيلهم وتحتذى مثالهم أو تشاركهم أو تتشبه بهم بل يكون الطلب أبداً فكرك وإصابة الحق غرضك ، وفى اقتناء الحكمة ودركها شهوتك لتسعد بذلك وتفوز مع السعداء والشهداء.

ثم قد حكي ابن معشر جعفر بن محمد المنجم قال فى كتاب مذاكرته لشاذان ابن بحر : حدثني محمد بن موسى أنس الخوارزمي ، قال حدثني يحيى بن منصور المنجم قال وصلت أنا وجماعة من المنجمين الى المأمون وعنده جماعة وانسان قد

تنبى ونحن لا نعلمه وقد دعا بالقضاة ولم يحضروا بعـد ، فقال لى ولمن حضر من المنجمين : اذهبوا نخذوا طالعاً لدعوى انسان بشيء يدعيه وعن قوى مايدل عليه الفلك من صدقه وكذبه، ولم يعلمنا المأمون انه متنبى فجئنا الى بعض الصحون فاحكمنا الطالع وصورناه فوقعت الشمس والقمر فى دقيقة واحـدة فى الطالع ، والطالع الجـدى والمشـترى فى السنبلة ينظر اليه !! فقال كل من حضر غيرى مايدعيه صحيح .

فقلت أنا هو فى صحـة وله حجة زهرية عطاردية ، وتصحيح الذي يطلبه لايصح ولايتم لهولاينتظم .

فقال من أين قلت : لان صحة الدعاوى من المشترى أو تثليث الشمس أو من تسـديدها اذا كانت الشمس غير منحوسة ، وهـذا الحال هبوط المشترى والمشترى ينظر اليه نظر موافقة الا انه كاره لهذا البرج والبرج كاره له ، ولايتم التصحيح والتصديق والذى قالوا من حجـة زهرية عطاردية ضرب من المخرقة والتزويق والخداع .

فتعجب من ذلك فقال : أنت لله درك !

ثم قال أتدرون من الرجل ؟ قلت لا ، قال هذا الرجل يزعم انه نبى !

فقلت يا أمير المؤمنين فمعه شيء يحتج به فسأله فقال معى خاتم ذو فصين البسه فلايتغير منى شيء ويلبسه غيري فيضحك ولايتمالك نفسه من الضحك حتى ينزعه ، ومعي قلم شانى آخذه فا كتب به ويأخذه غيرى فلاينطلق إصبعه.

فقلت ياسيدى هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملها فامره المأمون أن يفعل ماقال ففعله ، فعلمنا انه من علاج الطلسمات.

فمازال به المأمون أياما كثيرة حتى تبرأ من دعوى النبوة ووصف الحيل التى احتالها وعمل بها في الخاتم والقلم ، ثم وهبه المأمون الف دينار

ثم لقيناه بعد ذلك فاذا هو من اعلم الناس بعلم النجوم .

فأما ماقد ذكر في القرآن في مواضع كثيرة من ذكر السحر وتكرير ذكره

فمن ذلك ماقيل في سورة البقرة قال : (وما كفر سليمان ولـكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببـابل هاروت وماروت ومايعلمـان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفـرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله) .

فاذا كان قد بلغ من قوة السحر وعلمه أن يفرق بين المرء وزوجه فأي شيء بقي بعد هذا ؟ أوهل في ذلك الخبر شك بعد مانطق به القرآن وعرفنا منه صحته؟
وقد قال عز وجل في سورة المائدة : (واذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هـذا إلا سحر مبين) وقال عز من قائل في سورة الانعام : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) وقال عز وجل في سورة الاعراف : (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم إذاً لمن المقربين . قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ؟ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) .

ألا ترى أن القرآن يستعظم سحرهم وقال تعالى فى هـذه السورة : (وألقى السحرة ساجدين) وفيها أيضاً : (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) وفي سورة يونس : (أ كان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر المؤمنين الذين آمنوا أن لهم قـدم صدق عنـد ربهم قال الـكافرون إن هذا لسحر مبين) وقال تعالى في تلك السورة : (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين) وقال تعالى في سورة بنى اسرائيل : (نحن أعلم به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى اذيقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وفيها : (ولقدآتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا) وقال تعالى في سورة طه : (قالوا

أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) وفيها إن هذا لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) وفيها : (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وفيها : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) .

وهذا أيضاً أيها الاخ أيدك الله كما تسمع وترى ما ذكر القرآن من تكرير ذكر السحر في هذه المواضيع أتراه باطلا لا أصل له أعوذ بالله أن نسحر أحداً من الخلق وأن نقول هذا ! الآن نرجع أيضاً الى ما عليه أصحاب الشرائع الاخر وما في كتبهم التى يتدينون بها ويشهدون بصحتها فمنها ما في التوراة مكتوبة مما يعتبره ويقر بصحته أمتان من الامم وهم اليهود والنصارى جميعاً والتوراة موجودة بايدي اليهود والنصارى باللغة العبرانية وباللغة السريانية وباللغة العربية لا خلاف بينهم فيها بل هم متفقون على صحتها وحقيقة ما فيها ، وفيها مكتوبة في قصة عيصو قال : (كان عيصو بن إسحاق صاحب صيد وكان كلما خرج الى الصيد خرج اليه ابن النمرود بن كنعان فيقول : صارعنى على أنى إن غلبتك أخذت صيدك ، وكان على ابن النمرود قميص آدم خرج معه من الجنة وكان فيه صور لكل شيء خلقه الله من الوحش والطير ودواب البحر وكان آدم إذا أراد صيداً من شيء من الوحش أو غيرها وضع يده على صورته في القميص فيبقى ذلك الشيء حائراً واقفا أعمى حتى يجيء فيأخذه . فكان كلما صارعه أخذ ابن النمرود عيصو ابن اسحق فضرب به الارض وأخذ صيده .

فلما طال ذلك على عيصو شكا الى أبيه اسحاق ما يلقي من ابن النمرود ، فقال له اسحاق صف لى القميص فوصف عيصو فقال له اسحاق هذا قميص آدم ولن تغلبه ما دام عليه فاذا جاءك يطلب المصارعة فقل له حتى تنزع القميص فصارعه إذا فعل ذلك فانك تغلبه فاذا غلبته فخذ القميص وعد .

فخرج عيصو يريد الصيد فجاءه ابن النمرود كعادته وطلب المصارعة فقال له

عيصو تنزع ثيابك ثم نتصارع فنزع ابن النمرود القميص ونزع عيصو ثيابه ثم اصطرعا فضرب عيصو به الارض وجلس على صدره ثم وثب عيصو وأخذ القميص والصيد ومضى في الهرب يعدو وأعجز ابن النمرود المشى فى البرية فقال يابنى : ما دام القميص عليك فلن يغلبك ، فاذا مضيت الى الصيد فأردت أن تصيد شيئاً فضع يدك على صورته في القميص فيقف لك حتى تأخذه .

وكان عيصو إذا أراد صيداً من الوحش وضع يده على صورته في القميص فيقف أعمى لا يبصر حتى يجيء عيصو ويأخذه .

فمن ههنا كان يدخل يده ويصيد بالقميص وهذا أيها الاخ خبر مشهور يعرفه جميع من يقر بصحة التوراة من اليهود والنصارى ولا يجحدونه البتة وأيضاً في التوراة في السفر الثانى منها في قصة يعقوب مع لابان خاله قال : (فلما ولدت راحيل يوسف قال يعقوب للابان وجهنى وسر حتى انطلق واذهب الى بلدي ومكانى وأرض من أولادي وأعطي نسائى الذين وعلت معهم لك فقال لابان اخبرنى كم أجرك أعطيك فقال يعقوب اربع وارعى غنمك واحفظها بالليل والنهار واسعي في جميع غنمك واعزل كل احمر سمين وكل أبقع وكل حمل ملمع ببياض في سواد وكل أملح بياض من الغنم وكل اصلح أبيض من المعز فليكن ذلك أجري واشهد على هذا الظعن اليوم لكن بعد هذا اليوم على أغبر وأملح بياض وأحمر من المعز أو ملمع بسواد وبياض من الضأن فهو اجري ، فقال لا باس نعم ليكن كما ذكرت وعزل في ذلك اليوم التيوس الملح ببياض وكل شيء فى غنمه أصلح أو أبقع أو أحمر وكل ما كان فيها بيضاء وكل ملمع بسواد وبياض فجعلها على أيدي ولده وفرق يعقوب بين مرعى غنمه ومرعى غنم لابان وجعل بينهما مقدار مسيرة ثلاثة أيام وغنم كل واحد منهما على حدة في موضع وكان يعقوب يرعى سائر غنم لابان التى بقيت وأخذ يعقوب قضباً رطباً من لوز وداب وقشر منها قشوراً وجعل من البياض في القشور وركز القضبان التى قشرها في مجرى الماء من المستقى في موضع ترد منه الغنم للشرب فيستقبل الغنم فتفرح وتتحرك أولادها في بطنها إذا رأت القضبان

تنتج الغنم حملاً وملحافي كل سنة أول مايحمل الغنم متقدمة جعل يعقوب يركز تلك القضبان في المأمن المستقى ولا يركزها في مؤخر الغنم فاستغنى الرجل وكثرت ماشيته).

فهـذا أيضاً في التوراة مالا يرفعه أحد فاعرفه أيها الأخ ثم أيضاً في كتب أخبار ملوك بني اسرائيل التي تجري عندالبهود مجرى التوراة يذكر أنه كان فيهم نبي يقال له شمويل وهذا مشهور في الانبياء عليهم السلام وله كتاب والنصارى واليهود معترفون مصدقون بنبوته وجلالة قدره وكتابه معهم ويذكر في الكتاب انه نصب لليهود ملكا يقال له طالوت وأمره الله تعالى بقتل العماليق ففعل إلاأنه خالف من قبل مواشيهم وسقط عن مرتبة الملك ومسح له داودسيراً ومات شمويل وأقبل طالوت على قتل السحرة والعرافين فقتل من قتل وهرب من هرب ، وأقبل أهل فلسطين لمحاربته فجمع العرافين لهم ودخل الرعب من كثرة الجيوش المنصبة عليه ولم يجد من يسكن الى قوله كعادته من نبي ولاساحر ولا عراف ولا حاكم فقلق لذلك وقال لخاصته : اطلبوا لي ساحراً اسأله عن عاقبة أمري ، فدل على ساحرة فسكن اليها وسألها أن تحيي له نبيا يسأله فسألته أي الانبياء يختار أن تحييه فاختار شمويل فأحيته ، وفزعت عند رؤيته فصرخت فقال لها طالوت : لاتفزعي ماذا رأيت ؟ فقالت رجلا شيخاً بهيا مثل ملائكة الرب مشتملا ببرنس قدصعد من الارض فعلم طالوت أنه شمويل أرسله الله فدخل اليه وسجد بين يديه ، فقال شمويل : ياطالوت لم أرجعتني وأحييتني ؟ قال لما ضاقت بي الارض من أهل فلسطين ومحاربتهم اياي وزوال عناية الله عني ومنعه الاحلام مني فدعوتك لأشاورك في أمري . فقال شمويل ان الله تعالى قد نقل الملك الى صاحبك داود وغضب عليك وعلى بني اسرائيل بما فعلتموه في مواشي العماليق وهو ناصر فلسطين عليكم ومديلهم منكم فتصير معي غداً في الاموات فخر مغشياً عليه وعرفته الساحرة فأقبلت اليه ومن كان معـه ولم يزالوا به حتى أفاق وأضافهم ليلتهم وانصرفوا مصبحين ، فالتحمت الحرب فوقعت الهزيمة على العبرانيين فأكثر القتل فيهم وقتل طالوت

ثلاث بنين واتكأ هو على حربته فأخرجها من ظهره فاجتمع بنو اسرائيل على تمليك داود فدافع بهم من ناوأهم .

فهذا كله أيضاً أيها الاخ قدوردت به الاخبار فمنها ماهو من جهة الفلاسفة ومنها ماهو من جهة الانبياء وكتب الشرائع ، ومنها ماهو مذكور في القرآن من ذكر السحرة بما قد حكيناه فيما تقدم .

أفترى هذا كله كذب لا أصل له وسخف وحماقة ممن يذكره عنـد هؤلاء المتعجبين المنكرين بأنفسهم المكذبين بما يسمونه بجهلهم تكبرا منهم وتيها وصلفاً لقلة عقولهم وقصر علومهم وقصورهم عن نيل العلوم الحقيقية فيجدون الانكار والتكذيب أخف عليهم والله المستعان ونسأله حسن التوفيق والاختيار . ونقول إن آخر ما سمعنا ممن ادعى علوم الطلسمات وأفعالها ممن نقلت الينا أخبارهم وبلغنا آثارهم اليونانيون وهؤلاء لهم عند الناس أسماء مختلفة فمنها الصابئون والحراسون والحتوفون ، وقد كانوا اذا أخذوا أصول علومهم عن السريانيين وعن المصريين على حسب تنقل الصنايع والعلوم في البلدان بما يحدث لها من السياسات والاديان ، وقد كان من رؤساءأوائلهم أربعة أولهم أغاذيمون وهرمس ولومهرس وأراطس ، ثم تفرقت جيوشهم الى الفوثاغرية والارسطانونية ومن الافلاطونية والاقعوروسية.

وهم يزعمون أن العالم متناه في مساحة الا انه كرى الشكل ويزعمون أن ليس لوجوده مبدأ ثاني وانما هو متعلق بالباري سبحانه وتعالى تعلق المعلول بعلته

وهم يزعمون أن العالم الارضي أيضاً تتم أموره باشياء : أحدها المادة القابلة للمزاج والتأليف وهي العناصر الاربعة ، والثاني النفوس المحركة والساكنة في أشخاصه والثالث تحريك العالم السماوي للعناصر الأربعـة والمتولدات منها حتى تهيأ لقبول تأثيرات الانفس من التحريك والتسكين والجمع والتفريق والحر والبرد والرطوبة واليبس التي تمكن الصانع من تأثيرات الصنعة في المادة لكل مصنوع

والرابع حفظ الاله الاعظم سبحانه وتعالى لقوى جميع الموجودات عليها وإمداده بالمعونة لها وتتميمه لاغراضها ومقاصدها وقسمة الامور الموجودة على الكواكب السبعة .

وزعموا أن الكواكب الثابتة مقسومة على الكواكب السيارة ممتزجة من قواها ومعينة لها على أفعالها.

وزعموا أن الفلك التاسع المماس لفلك الكواكب الثابتة وهو المنتهى لفلك البروج مصور بصور تخصه .

وأن كل درجة من درجاته تنقسم قسمين أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب ، فيها صور قد وقفت عليها المراعات لتأثيراتها العارضة عليها على طول الزمان على مايذكره أصحاب الطلسمات .

ولما قسموا الامور الارضية على الكواكب السبعة ورتبوها تحت تدبيرها والتأثير فيها جروا أيضاً على ذلك السبيل في أمر الجهات والأقاليم والنواحي والمدن والرساتيق .

وأما النفوس فعندهم أن منها مالا يتعلق بالاجسام ولا يسكن الجثة بوجه من الوجوه لعلوها عليها وارتفاعها عن أوساخها وأقذارها .

ويسمون هذه النفوس الالهية وهي عندهم تنقسم قسمين: أحدهما خير بالذات ويسمونهم الملائكة ويتقربون اليها اجتلابا لخيرها .

والقسم الثاني شرير بالذات ويسمون أشخاصه الشياطين ، ويتقربون اليها استكفاء لشرها وجعلوا لكل واحد منهم دعاء مقرراً وبخوراً معلوما وسياقة عمل يتوصلون به الى مايرومونه منهم .

ونفوس أخرى متعلقة بجثة الكواكب لاتفارقها وهي مع ذلك تتعلق وتتصرف في العالم الارضي صنفين من التصرف : أحدهما بطبائع أجسادها كما ذكر في كتب أحكام النجوم .

والثاني بنفوسها ونفوس أخرى متعلقة بالاجساد لاتفارقها ولا تصبر عنها الا بمقدار ماتفارق الجثة لفسادها .

ومن هذه الطبقة من النفوس نوع يسكن الجثة الانسانية ويتصرف بها وفيها ولا يفارقها الا مفارقة النفس سائر أشخاص الحيوانات والنباتات ومضيها

الى بحر طوس يعني كرة الأثير لتعذب هناك الى أن تطلب الانقلاب منه والهبوط الى مادة تصلح لسكناها أو تتمكن من ادراك نجاتها .

ويزعمون أنهم يقدرون على معرفة من هذه سبيله : وذلك بأن يشاهدوا أخلاقه وعاداته فاذا وجدوه شبيهاً بالبهيمة في تصرفه مع الطبيعة من غير فكر ولا روية ولا قبول علم ولا فكرة ولا نصرة دين أو تصفح لمذهب حكموا عليه بأن نفسه نفس بهيمة لاتصلح الا لعمارة الدار واقامة نوع الانسانية فقط .

والنوع الآخر نفوس يمكن فيها أن ترتقي الى الافلاك وتسكن بها وتلتذ بها وفيها عند صحتها ويمكن أن تهبط عنها وتسكن الجثة وتتعلق بها عند مرضها وتلتذ وتعذب بها وفيها .

وهذه النفوس الانسانية البشرية وهم يزعمون أيضاً أنهم يمكنهم أن يعلموا الى ماذا تؤول اليه عاقبة الانسان بعد وفاته اذا فارق الدنيا وهو على مايشاء قدير من حاله .

وذلك أن لكل واحد من الآراء والديانات تصنيع بالمعتقد له الى صنف ما من صنوف الاخلاق وتحرك الى فن من الفنون في الاعمال كالمذهب الذي يشتد توحش أهله وتقشفهم ، والمذهب الذي يكثر الجدل فيه والمنافرة والمذهب الذي يكثر فيه قتل النفوس وأخذ الاموال والمذهب الذي يفرط فيه ذبح الحيوانات وأكل اللحوم الى غير ذلك من المذاهب الآخذة من الانهماك في شيء من الاعمال — فان هذه الاعمال اذا كثرت من الانسان البسته من الاخلاق بما توجبه عادته التي قد دام عليها وعرفها .

وزعموا أيضاً أن كل صنف من أصناف الاخلاق وان كان موجوداً في الناس فانه في نوع ما من أنواع الحيوانات أقوى وأظهر ، وذلك ان الشجاعة في الاسد والختل في الذئب والروغان للثعلب والحرص للخنزير والسلامة للحمار والذلة للبعير والسهو للوزغة ، واللجاجة للذبابة والخنا للدب ، والولع للقرد والظلم للحية والسرقة للعقعق والاختطاف للبازي والفزع للارنب والاحتضار للظبي والغلمة للتيس والزهو للطاووس والغدر للغراب والنسيان للفأرة والاحتكار للنملة والمارسة للكلاب والمواثبة للديك .

وأشباه ذلك من لوازم الاخلاق لاصناف الحيوانات وكل خلق من هذه الاخلاق مشترك فيه عدة من انواع الحيونات ويختلف فيه بالقلة والكثرة فيكون كل مقدار من هذه مقصوراً على نوع من الانواع .

فاذا كان الانسان وهو على حد ما من تلك الحدود انتقل الى ذلك النوع الذى حظه من ذلك الخلق المقدار الذى عليه قد مات ويشبه أن يكون هذا المسلك عكس مسلك صاحب الفراسة لان هذا المسلك يتطرق فيه من الخلق الى استخراج الاخلاق وفي كل جثة تحلها وطينة تخصها ، يخلط لها النعيم بالعذاب والألم باللذة ليكون ذلك خدعة لها ورباطاً بطول مدة تعلقها بها حصلت فيه من محبسها إلى أن يستوفي منها ماحصل عليها وتفي مالها(ومالله بظلام للعبيد) .

فهذا الذى قد ذكرته كله وحكيته عنه من أصولهم ومقدمات علومهم في تصحيح مذهبهم فى السحر والطلسمات

وان كنت تركت أكثر مما ذكرت وأسقطت أكثر مما حكيت تجنباً للاكثار وطلباً للاختصار ، فانى تركت ذكر ما عندهم في ذلك مما يجرى مجرى ما قد ذكر في كتاب الخواص كفعل المغناطيس وغيره من الخواص ، فانى تركته لظهوره . غير أنى أذكر جملة أخرى لتقف منها أيها الأخ أيدك الله على جميع أغراضهم وتصور أحوالهم في مطلوبهم وأنهم أيضاً زعموا أنهم لما استقرت عندهم هذه المقدمات وأنسوا بها وطال خوضهم فيها فرعوها وبنوا عليها وقالوا : فاذا كان هذا الذى تقدم ذكره مستقراً مستمراً وكانت الكواكب والنفوس المستعلية على الاجسام بهذه الحال من العلم والقدرة وكانت هذه هى المواتية لنا والمستعلية علينا فان الحاجة تضطرنا الى التقرب اليها والتضرع لها فى اصلاح ما فسد فينا وتسهيل ما عسر علينا وتسديد ما عدل عن الصواب من أفكارنا وآرائنا ، ليحصل لنا بذلك أمران : أحدهما طيب العيش في الدنيا ، والثاني التمكن من الاخلاص الى الآخرة .

وكانوا اذا أرادوا التقرب الى كوكب أو الى نفس منها عملوا الاعمال التى قد وقع لهم أنها موافقة لطبيعته ، وسألوا عند ذلك حاجتهم التى هي داخلة تحت

قدرته ويقولون : انهم اذا عملوا صنفاً من أصناف الاعمال الطبيعية وتقربوا بها الى الكواكب المراعى لها من غير تعرض لشىء مما يتعلق على أحكام النجوم فانه يكون التأثير عنه في قضاء الحاجة ضعيفا لانفراد ذلك الكوكب منها بالارادة فقط

وهكذا اذا عملوا وسلكوا مسلك الاختيارات النجومية في التماس الحاجة من غير مراعاة الاعمال الطبيعية كان التأثير فى قضائها ضعيفاً أيضاً بل لايكاديتم فى أكثر الامر لانفراد الكوكب فيها بالطبيعة فقط كما تسمع وترى كثيراً ممن يتعاطى ذلك ويطلبه بجمله من غير وجهه ويرومه من غير جهته من البله والعوام القليلى المعرفة بهذا الأمر الجهال بأصول هذه الصناعة أعنى صناعة الطلسمات والسحر ويزعمون أنهم اذا جمعوا بين الأمرين وسلكوا في طلب حوائجهم السبيلين اجتمعت لهم فيها طبيعة الكوكب وارادته وكان ذلك أوكد السبب وأحمد في الطلب وبلوغ الغرض .

ويزعمون أن ذلك العمل ان صدر عن سريرة مدخولة ونية مضعوفة جرى مجرى العبث والولع وسقط الانتفاع به ، وربما كان داعيا الى العكس له والمضرة فيه وبه ، وكانوا ينظرون الى المدن التى في قسمة كوكب ما من الكواكب على ما أدتهم التجربة اليه كما هو موجود مذكور في كتب أحكام النجوم فيميزونها وينظرون أيتها في ولايته اذا كانت في شرفه ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى بيته ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى جده ، وأيتها في ولايته اذا كانت فى وجهه . فاذا تميز لهم الاستقرار لأحوالها والتصفح لحوادثها انتظروا حصول ذلك الكوكب فى بعض تلك الحظوظ فابتدؤا ببناء هيكل لذلك الكوكب لتلك المدينة التى ذلك الحظ مقصور عليها وصوروا معه مراعيه من الكواكب والصور التى تكون في درجته ووضعوها في ذلك الهيكل وسنوا له سنة أعمال وثبتوها في دستور يتركونه عند سدنته ويضيفون اليها ذكر الامور التى تصلح أن يسألها اذا كان في ذلك الحظ من حظوظه مما هو داخل تحت قسمته وجعلوا ذلك اليوم

من كل سنة عيداً لذلك الكوكب فى ذلك الهيكل فكان الانسان من عامتهم اذا عرضت له حاجة ما استغنى فيها فسأل عنها في حيز أى الهيكل فاذا عرفوه نذر لذلك الهيكل نذراً يليق به وخرج به اليه في يوم عيده وفعل الافعال المسطورة له وسأله حاجته.

والمثال فى ذلك تمييز الحوائج أن الشمس مثلا اذا كانت فى الحمل — هو شرفها — جعلت في درجة الطالع وكانت الحوائج التى يمكن أن يسحربها انما هي ما كانت من الامور في قسمة البرج الخامس من الولد واللذة والفرح بسبب برج الاسد الذى هو الخامس من طالعها ، فاذا كانت فى الاسد فجعلت فى درجة الطالع كانت الحوائج التىتمكن أن يسحر لها انما هي ما كانتمن الامور متعلقة نفسها بالديانات والربانيين والقضاة ونحوها من الاسفار بسبب برج الحمل الذى هو شرفها وهو التاسع من الطالع ، والقمر اذا كان في الثور الذي هو شرفه وجعل في الطالع فانما يتم من الحوائج ما كانت في القسمة الثالثة من الاخوة والاخوات والقرابات والاسفار القريبة بسبب السرطان الذي هو الثالث من الطالع ، واذا كان فى السرطان وجعل فى الطالع ، فانما يتم به الأمور وتقضىبه الحوائج ما كانت فى قسمة الحادية عشرة من الرجاء والسعادة على ذلك سائر حظوظ الكواكب وجعلوا الكواكب السيارة من الهياكل بحسب ماأوجبهعدة حظوظها وكانت للشمس منها عدة اشرافها

قالوا : وللقمر عدة أشرافها أنبياء النواميس والسنن وكذلك لبقية الكواكب السيارة . وزعموا أن التجربة أدتهم الى ذلك والى معرفة قوى تأثيراتها فمنها (كلب الجبار) وهو الشعرى العبور ومنها (الاورون) وهو الجدي ومنها (هروس) وهو الرامي ومنها (السهى) وهو الكوكب الصغير الذى فى بنات الشعرى الكبرى . وعملوا أيضا هيا كل أخرى كأنها النفوس المجردة وأجروها مجرى الكواكبوالحوائج منها (الفلوطى) وهوالملكالموكل بالجحيم والهاوية ومنها (لفوسدور)وهوالملكالموكل بالبحرومنها(للموجاس)وهوالملكالموكل بالرياح

ومنها (ليمس) وهو الموكل بالروائع العارضة من الجن ومنها (الفرطوس) وهو الملك الموكل بالامواج الى غيرذلك مما تخيلوه فتمتلهم بذلك سبعةوثمانون هيكلا ثم عملوا على هذا الوجه من العمل هيكلا فى وقت كانت الكواكب السيارة كلها فى حظوطها وقسموها قسمين فجعلوا احدهما للرجال والآخر للنساء وفى كل واحد من قسميه بيت عظيم ليس فى حيطانه نقب ولا فى بابه شقحتى اذا اطبق بابه لم يدق منه شيء من الضوء البتة وجعلوا بابه مما يلى الجنوب وصدره مما يلى الشمالوصوروا باسمائها البروج الاثنى عشر وعملوا صور الكواكبالسيارة كل واحد منها معمول من المادة الموافقة كالشمس من الذهب ، والقمر من الفضة ، وزحل من الحديد، والمشتري من الزئبق، والمريخ من النحاس ، والزهرة من القلعى ، وعطارد من الاسراب

وجعلوا كل واحد على صورته التى يكون عليها في برج شرفه مما هو مبين في كتب أحكام النجوم وبين يديها مطرح لطيف عليه سبعة أقراص جوارى قد وضعت على مثال المرامي ووجهها الى التماثيل ، وعلى كل واحد منها مجهود حربه معمولة من طين أحمر كل واحد منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة والقريبة من الاصنام للقمر ولها دور واحد : البعيد منها لزحل ولها سبعة أدوار وكل واحد منهن ، فأدوارها عل مرتبة كونها ، وفى كل واحدة منهن مجمرة ولها بخور مفرد : فالتى للشمس العود ، والتىللقمر الكلية ، والتىلزحل الميعة ، والتى للمشتري العنبر ، والتى للمريخ السندروس ، والتى للزهرة الزعفران ، والتى لعطارد المصطكى ، وعن شمال الكواكب ابريق شراب وثلاثة قضبان طوال من خشب الطرفا ، قد قطعت من شجرتها قبل صياح الديك وسكين حديد نصابها منه ، وخاتم حديد فصه منه لطيف فى قدر الظفر منقوش عليه صورة جرجاس رئيس الابالسة فاذا حضرعند ذلك وهو هيكل جرجاس وفيه يدخلون أحداثهم وجواريهم الى دينهم ، وفيه تذبح الديكة وفيه تلاوة السرين اللذين سنذكر حاليهما فيما بعد ، فيأتي رئيس الكهنة فيدخل الى بيت من الرجال ويقعد على ذلك المطرح يحاذي المادة قبل غيبوبة الشمس ويطبق الباب والسرج تشتعل والدجى تقتر

وهو جاث قد افترش رجله اليسرى ونصب اليمنى ووضع ابهامه وسبابته ووسطاه من يده اليسرى بالارض ورفع مثلهن من يده اليمنى وأقبل يقول فى ذلك الوقت قبل صياح الديك قولا هذا معناه : ياجرجاس الجراجسة وابليس الابالسة وكبير الشياطين وعظيم الجن أجمعين أسألك وأتضرع اليك وأطرح نفسى بين يديك عالما أنه لايخلصنى الا رضاك ولا ينجيني الا مداراتك اذ كنت منى جاريا مجرى الحس وساكنا مسكن النفس ومتصرفا فيما تحت شعاع الشمس .

اخلاطنا بك منورة وأعضاؤنا مختلفة وخلقتنا مشوهة وأفكارنا مبلبلة وأقدامنا مزلزلة .

وقد عزمنا فى صباح ليلتنا هذه على ادخال بعض احداثنا فى دعوتنا واسماعه سر ملائكتنا فأحضر معنا وأشهد لنا وعلينا واصرف شرك وبليتك غداً واطرد ذوى المكر والخداع من أصحابك عن موقفنا.

وأنا أقرب اليك وأذبح بين يديك عدواً من أعدائك أزرق مربيقاً أفلق قد طال ماعاداك بطبعه وكان ذلك بحمده وتسنم الى بنا الحرار وتسلق الى غصون الاشجار وصوح في وجوه الاشجار وصفق بصفيق السماوية والانذار ، فارتاع له جنابك وتلجلج من خوفه لسانك ، ودبرت باقباله هاربا عنه ونفرت بنفوره مذعوراً منه واجعل لك ذلك رسماً مرسوماً وقانوناً معلوماً فى كل حدث اسمعه سرى وأحركه لك فى شىء تصلح به أمرى ، حتى اذا صاحت الديكة أمسك عن كلامه وأقبل على ماينتفع به من نوم أو غيره فاذا اسفر الصبح اقبل. وقد اجتمع من حضر من رجال اهل دعوته وحدهم وجيء بالاحداث الذين يريدون ادخالهم الدعوة واسماعهم السر فوقفوا على باب بيت السر ويعرى أحدهم ويقبض على عضده كاهنان فيدخلانه وهو مشدود بعصابة وهو يمشى القهقرى حتى يصل الى ذلك البيت الى رئيس الكهنة ومعه رجل يكفله ويطبق الباب والسرج تتقد والمجامر تدخر فيقول له رئيس الكهنة : أتحب ان تدخل في ديننا فتسمع ملائكتنا ؟ فيقول نعم . فيقول له على انك ان خرجت عن دينى او اظهرت احداً على سرى أذل الله رأسك هذا الذى تحت قبضتى بين أصحابى وأسقط اكليلك من ورائك ، فيقول نعم .

فيقول : لكن إن أقمت على دينى وحفظت سرى فان رأسك يكون بين أصحابك عالياً وأكليلك ثابتاً .

ثم يقول لكفيله : أتكفل أنت على اقامته على دينى وحفظ سري فيقول نعم فيضجعه الكاهن على ذلك البساط قدام المائدة على جانبه الايسر ويتلو على رأسه أسماء الملائكة المذكورة والمرتبة ، وهي سبعة وثمانون اسما وجرجاس رئيس الأبالسة.

ثم بعد ذلك يقول : طوباك إذ صرت من أهل الاستماع لهذه الاسرار وان لم تكن لله طاهراً فان الله يطهرك .

ثم يتناول تلك السكين التى وصفتها ليذبحه بها فيتقدم كفيله فيقول له : فادفع الي خاتمك رهناً عنه انه يحفظ المناسك ويقيم على الدعوة ويكتم السر فيدفع اليه خاتمه والديك .

فيقول الكاهن : فانا إذاً أقبل نفساً بدل نفس وندبا بين يدى الشمس المحيية للنفوس وجرجاس رئيس الأبالسة .

ثم يترك الديك على عنق الغلام ويذبحه وهو يقول : ياجرجاس ملك الابالسة اقبل هذه الذبيحة واترك هذا الغلام لأبويه وللملائكة

ثم يحمى ذلك الخاتم الحديد بالسراج ويكويه على ظهر ابهام يده اليمنى وقد أمسك بها تسعة وتسعين ويكويه ببعض تلك العيدان من الطرفا الى صدره وجبهته كيا خفياً لئلا يظهر .

ثم يلبسه ثياباً جدداً بيضاً وخفاً من جلود ذبائح الملائكة ويشد وسطه بعمامة ويعطيه فطور ملح يرسمه رسما مثلثاً ، وكذلك يفعل بسائر أصحابه

وأما جمهور الناس فانهم يكونون خارج بيت السر في الهيكل ومايليه يقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويذبحون قرابينهم من أصناف الحيوانات ومن الديكة لجرجاس رئيس الأبالسة كما ذكر افلاطون فى كتابه المسمى (فاذون) من أن سقراط الحكيم معلمه أوصى عند موته فقال : اذبحوا عنى ديكا في الهيكل فانه نذر علي ، فكانت هذه وصيته آخر عهده من دار الدنيا ويأكلون لحوم سائر ذبائحهم

لئن شاؤا كيف شاؤا الا لحوم ديوك نذر السر فانها لاتا كلها إلا بروح الكهنة في بيت السر حتى إذا فرغ رئيس الكهنة من الاخذ على الاحداث شرع في اسماعهم السر ، وذلك أن لهم صنفين من الكلام كل واحد أطول من سور القرآن الطوال : أحدهما يسمونه سر الرجال والآخر يسمونه سر النساء ، فسر الرجال لا يسمعه إلا الرجال ، وسر النساء لا يسمعه الا النساء والسران جميعاً متساويان في عدد الالفاظ والحروف .

وان الفاظهم جميعاً اذا نثرت ثم نظمت نظاماً تكون فيه كل كلمة أحدهما بين لفظتين من الآخر حدث منها تأليفات كثيرة وأنه يكون في جملة تلك التأليفات أربعة تأليفات كل واحد منها يتضمن قوانين وبراهين علم من العلوم الاربعة التي أحدها الطب الذي تصح به الاجسام وتنفي به الاسقام والآلام ويتمكن من الانتفاع بسكنى الدار .

والثاني علم الكيمياء الذي به يدفع الفقر ويكشف الضر

والثالث علم النجوم وأحكامها الذي به يطلع على مايكون قبل أن يكون.

والرابع علم الطلسمات الذي به يلحق الرعية بطبيعة الملوك ، والملوك بطبيعة الملائكة والذي يمنع من كشف هذه العلوم وبذلها للجمهور من العامة مايتخوف به على الخاصة إذ كانت العامة بما هي عليه من الضعف في الهمة وقلة العلم وقوة الشر بسوء الاخلاق وقبح العادات ينهمكون في الشهوات كيف كانت ويتناولونها من أين وجدت ولا يراعون في ذلك رجوعا إلى دين ومروءة ومعرفة بالواجبات والمحظورات ، فيفسد بذلك الترتيب المحمود ويخرج عن الحد المعروف إذا دخل العامي إلى معرفة علم الكيمياء مثلا اذا أنفق ماينفقه فيما لايحصل إلا فيما أباحته له الشريعة.

وهكذا إذا علم مالا يجوز أن يعلم من علم الطب من الشمومات والخواص التي هي قوى الأدوية من المعادن وغيرها.

فينبغي أن يصان أيضاً هذا العلم عمن لا يستحقه ويمنع عمن ليس هو أهلا لاستعماله .

فانه اذا علم العامي الذي تقدم ذكره ووصفه من علم الطلسمات مالا يجوز

لمثله أن يعلمه ولا يستعمله كانت الحال فيه كالحال التي حكاها افلاطون الفيلسوف في كتابه في السياسات .

وقد تقدمت حكايتنا لذلك في صدر رسالتنا هذه من حال الراعي الذي قتل الملك وجلس في الملك مكانه من غير أن يكون له أهلا ولا مستحقاً لذلك

وقد كان من المعظمين عندهم قولوس وأسروا الروم ورثة السر (قلبه بوار) وهي التي حرمت منع المعرى وجعلتهن للقربان فقط خالصة وان لا يقربهن حامل ولا يأكل لحومهن.

ويعظمون آروس وصب الماء الذي سقط من الآلهة في أيام اسطرونيقوس وخرج قاصداً الى بلد الهند فخرجوا في طلبه فلحقوه وسألوه أن يرجع اليهم فقال لهم : اني لا أدخل بعد هذا بلد حران ولكن أجيء الى كاذي ومعنا كاذي ههنا هو مكان في شرق حران وافتقد مدينتكم.

وهم الي اليوم يخرجون في يوم عشرين من نيسان من كل سنة لتوقع ورود ذلك الصنم يسمون ذلك العيد عيد (كاذي) فانتظارهم لورود هذا الصنم مثل انتظار اليهودي للموسيح وهم يحفظون الجناح الأيسر من الديك الذي يذبح في بيت سر الرجال ويعلقونه على الحوامل واعناق الصبيان على سبيل الحرز.

ومن رسومهم العامية أيضا استكثارهم من الأكل والشرب وتوسعهم في النفقة في أول يوم من نيسان وهو رأس السنة عندهم . فهذا ماعرفناه وسمعناه من الاخبار والدلائل على تصحيح الرأي في علوم النجوم وما يتبع ذلك من علوم السحر وعلوم الطلسمات .

وأما الاحتجاج على كل حال فصلا فصلا ومعنى معنى واقامة البرهان على دون ذلك ونصرته ، فكتب القدماء والفلاسفة مملوءة به وهو أكثر من أن نحصيه في كتاب واحد وفي رسالة واحدة .

فأما قوة الرقي والعزائم والوهم والزجر وما أشبه ذلك وتأثيراتها ، فان من شاهد الافعال التي تورثها الأدوية والعقاقير في الاجساد وفي الانفس المقارنة للاجساد من أصناف التأثيرات وما قد تشاهده أيضا وتسمع به من تأثيرات

بعض الادوية والعقاقير والاحجار في بعض كحجر المغناطيس في الحديد ، وجذبه وجذب السقمونيا في الصفراء وجذب الحجر الأرمني فى السوداء وحجر الشب ومنفعته لوجع المعدة اذا حمل عليها من خارج ، ومنفعة ذيل الذئب للقولنج ، ومنفعة الخيوط المنخق بها الأفعى إذا ألقيت على خارج من به ذبحة ، ومنفعة عود الصليب من الداء الذي يسمى أم الصبيان ، ومضرة الارنب البحرى في الرئة لأنه يقرحها والزرانيخ تقرح المثانة ، والمرادسنج اذا التى في الخل بدل حموضته بالحلاوة ، واذا ألقى في النورة سود البدن ، وحجر المغناطيس الذي يجذب الحديد اذا هو دلك بالثوم بطل الفعل عنه ، فاذا غسل بالخل عادت تلك القوة اليه ورجع الى فعله . ومثل هذا كثير جداً يطول شرحه وتعديده — وقد ذكر منه كثير في كتب الخواص وجربه كله أوا كثره من ينشط من النار بتجربته — فقد شاهد هذه الامور خاصة من الجمادات وكيف تؤثر التأثيرات الظاهرة بعضها في بعض : فقد رأينا تأثيرات النفس الناطقة فى النفس الحيوانية من أصناف التأثيرات فى قمعها لها وكسرها لقوتها ، وما هو مذكور مسطور فى الكتب المصنفة في اصلاح الاخلاق للفلاسفة وفى كتب الدين وفيما ذكر من الوعد والوعيد ومما تكسر به الاخلاق الرديئة والافعال القبيحة من المقاومة لها بأضدادها من الافعال الجميلة كمن يقهر الحدة التى هى من قوى النفس الغضبية التى تسمى النفس الحيوانية بالحلم الذي هو من قوى النفس الناطقة ويقهر العجلة بالاناة والشهوة بالعفة وسائر الاخلاق الرديئة والافعال الجميلة المحمودة ورأينا ما تؤثر أيضا النفس الناطقة فى النفس الشهوانية ، ولا سيما اذا استعانت الناطقة على الشهوانية بالنفس الحيوانية التى تسمى الغضبية بقهرها لها بها وبقمعها حتى تنقاد لها وتذللها وتقيمها على الاعتدال فى سائر أحوالها حتى لاتخرج عن العدل وعما توجبه السياسة الفلسفية والأوامر والنواهي الشرعية والسنن الدينية حتى لاتدعها تخرج عن ذلك ولا تجاوزه الى مالا يحل فى الشريعة ولا الى مالا يجوز فى العدل عند الفلاسفة .

ثم قد رأينا أيضا ماتؤثر النفس الناطقة فى النفسين البهيمتين : أعنى الغضبية والشهوانية اللتين فى الحيوان بما قد استخرجته من الاسباب المؤثرة فيها كالزجر وما تفعله من الزجر فى نادى الحيوانات كما يفعله الرائض بالخيل وتذليله لها للركوب وغير ذلك ، كما يفعله الفيال بالفيل من رياضته وتذليله وغير ذلك مما يجذب به النفس الناطقة النفس البهيمية الى تدبيرها وسياستها ، وكما يفعل الصفير للخيل والبقر عند شربها والحداء للجمال وغيرها وما يفعلونه اذا أرادوا حثها على السير أشاروا اليها باشارات قد عودوها هى حتى تنقاد لهم الى ما يريدونه منها وما يفعلونه اذا أرادوا منها أن تقف وتمسك عن السير امسكت ووقفت لهم ونفوسها تقبل هذه الاشارات المختلفة على اختلاف طبائعها ، والزجر للخيل والبغال والحمير غير الزجر للابل والبقر والغنم وكل جنس من هذه وكل نوع منها يراض باشارة ما غير الاخرى تؤثر فيه تلك الاشارة ويكون خاصة فيها فتؤثر تلك الاشارات المختلفة في أنفس الحيوانات وتقبلها منهم أنواع الحيوانات قبولا ظاهراً واضحاً على اختلاف طبائعها وتقهرها النفوس الناطقة وتجذبها الى ما تريد منها على اختلافها كاختلاف تأثيرات العقاقير على اختلاف طبائعها فى الاعضاء المختلفة بالخواص التى فيها . فهذا أيضاً دليل على أن الرقى والعوذ (١) تعمل فى الانفس وتؤثر فيها على قدر جواهرها وطبائعها .

ثم أن الحكماء دلت على الخواص التى فى العقاقير والادوية على طبائعها وأثبتت كل طبع وكل خاصية لماذا يصلح وينفع ، ولماذا يضر ويؤذى ، ولأي داء ينفع ولأي عضو من الاعضاء يضر .

كذلك أيضا قد دلت على هذا الرقى والعوذ والنشر وأثبتت ما يفتح لكل شيء من الحيوان وما يخصه مثل رقية قلم السرور ورقى الحياة ومثل ما تؤثر

(١) العوذ : بضم العين بعدها واو مفتوحه وذال مضمومة جمع عوذة من عوذ بعين مفتوحة وواو مشددة وأعاذه إعاذة رقاه ودعا له بالحفظ . وعوذه بواو مشددة طلب له الحفظ وعلق عليه العوذة .

رقية العقرب ورقية الزنابير وغير ذلك من الحيوان ، ومثل ما يؤثر السحر في أنفس الآدميين وأجسادهم وهو شيء يطول الشرح فيه — وقد حكينا فيما تقدم من رسالتنا هذه ماقد دل على صحة القول به وصحة العلم بالطاسمات وفي بعض ماذكرناه كفاية في الدلالة على صحة القول به وصحة العلم لمن وقع بماقلناه فيه — وأما هذه الرقى والنشر والعزائم وما يشاكلها فانما هي آثار لطيفة روحانية من النفس الناطقة تؤثر في النفس البهيمية وفي الحيوان . فمنها مايحركها ويزعجها ومنها ما يقمعها ، ومنها ما يعمل فيها تأثيرات قوية اعمالا مختلفة فيه اصابة بالعين وربما شجه وربما صرعه

فقد رأينا كثيراً من يصرع الانسان في أقل من ساعة اذا جلس بين يديه لا وانما ذلك أثر لطيف يبدر من نفس فيعمل في نفس أخرى كما يبدر الشرر من النار فيقع في الأجرام فيحرقها ، إلا أن الذى يبدر من النفس روحاني لطيف لانه يخرج من النفس اللطيفة ويعمل في لطيفة مثلها ، والذي يخرج من النار هو أكثف منه على قدر كثافة النار ويعمل في الأجرام الكثيفة ويكون سبب هذا الأثر — اذا نظرت وتصورت صورة المنظور اليه — في الفكر والفكر هو أحد حواس النفس الناطقة ، ومؤدي ما يحيط به الى النفس بدر من النفس بادر فأثر في نفس المنظور اليه فصرعه .

وهذا موجود ظاهر في الملقوعين (١) وكثير من الناس من يدفع هذا ولا يؤمن به ولا يصدقه وهو شيء واضح مشاهد ومايسمعه دائماً .

فيحكى عن قوم من أهل الهند أنهم يؤثرون في غيرهم بأوهامهم أشياء عجيبة ينكرها أكثر الناس ، وبذلك يدفع السحر — كما حكينا في هذه الرسالة عنهم — ويدفع الرقى والوهم لان مثل هذا هو من اللطائف التى تشبه الغيب ولكنه موجود وفي الملقوعين خاصة ظاهر وانما يدفعه من يدفعه من جهة أنه قد تشبث بدعاوي

(١) الملقوعون : جمع ملقوع والملقوع من أصابته العين . والملقوع أيضاً من ناشته الحية . واللقاع بفتح اللام المشددة وضمها : الذباب الاخضر الذى يلسع الناس الواحدة لقاعة بفتح اللام وضمها . والمعنى الاول هو المراد كما يفهم من سياق الحديث والله أعلم.

كاذبة قد أصلتها أصحاب المخاريق الكذابين ودسوها فيما يشبه ذلك الجن — كما قد حكينا في صدر هذه الرسالة في معنى تكذيبهم بما يستمعونه من ذكر السحر وذكر عمل الطاسمات اذا سمعوا من بعض الطالبين له من الجهال الخائضين في طلبه والمتعاطين له من غير معرفة به أصلا ولا عرفوا أصوله مثل انسان أبله قليل العلم والعقل جميعاً أو امرأة رعناء جاهلة أو عجوزة كذبوا هؤلاء ورفعوا أنفسهم عن أهل هذه الطبقة اذ ظهر لهم نقصهم وجهلهم اذ وجدوا أكثر هذه الامور التى قد أفسدها أولئك الجهال الكذابون باطلة — حكموا على جميعها بالبطلان ، ولان الذي هو من جهة الكذابين هو أكثر وأعم .

فأما الاصل الذي هو من الحكماء فهو صحيح وعن الاصول الصحيحة وهو قليل جداً .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (السحر حق والعين حق) . وروي أنه ﷺ سحر به وأن السحر استخرج من الجب والحديث فى ذلك مشهور (١) وروى عنه ﷺ أنه أمر رجلا لقع صعداً أن يسقى له ، وهذا أيضاً حديث مشهور . وانما أمر الرجل أن يغسل له ليزول عن الملقوع ما أثرت فيه العين بما بدر منها وأن يزول ذلك بما يبدر منه ، ولانه ﷺ علم ذلك بخصوصيته وكيفيته وعرف السبيل فدل عليه .

ومثل هذا مانشاهده من التثاؤب ونرى إن تثاءب رجل تثاءب جليسه حتى ربما يتثاءب جماعة من مجلس واحد .

وهذا من جهة العدوى وهي أيضا أثر يؤثر فيبدأ من النفس التى ينظر اليها ويؤثر فيها — وهذه الصفات التى ذكرناها دليل على تأثير الرقى والنشر والعزائم في الأنفس البهيمية التى فى أصناف الحيوانات وانما ترى الراقى يستعين على الرقية بالنفث والنفخ وغير ذلك لان النفث والنفخ هما من جوهر هذه البهيمة بحركة من النفس المنطقية ويؤثران فيها كما يؤثر الصفير والنفير وسائر الاشارات التى

(١) الحديث الوارد في هذا حديث مدسوس واعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم يؤثر فيه السحر كفر صراح لايقول به مسلم لانه لايتفق مع مقام الرسالة وما يجب لصاحبها من عصمة عن الزلل والخطأ وغيبوبة العقل وما ورد من أمره بالتعوذ لايفيد أن سحر وانما هو تشريع لامته

ذكرناها . وانما يقف على حقائقها واللطائف التى فيها الحكماء المطهرون الذين أيدوا بالوحي من الله عز وجل فهم يعرفون سبب كل شيء وفيماذا يؤثر والى أي جوهر من الحيوان يؤدي : فمنها ما دلوا عليه ووقع فى أيدي الناس وعملوا بها كما يرى ، مثل مادلوا على حجر المغناطيس ومافيه من الطبع الذي يجذب الحديد . ومثل هذا لو كان خبراً ماصدق به كثير من الناس وكذبوه كما كذبوا غيره مما لم يشاهدوه ولا يعرفوه ، ولكن العيان والمشاهدة في الاجساد والحجرية والعقاقير المواتية . أفليس يمكن أن يكون مثل هذا في الحيوان مع ما فيه من الفضل على الموات بالنفس البهيمية الممتزجة المتهيئة لقبول أثر النفس الناطقة فيها ومايشاهد من أفعالها ولاسبيل لنا الى ادراكها أكثر مما أدركناه ومعرفة كيفيتها وعللها والاسباب إلا بتوفيق من الحكماء الذين خصوا بعلمها عليهم السلام : فمنهم من أعطى كثيرا منها كما روي عن المسيح عليه السلام أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر ولا بشيء من الاشياء إلا ويكلمه ويعرفه لما يصلح له . ولم يكن ذلك الكلام من المهات جوابا بل كان اشارة وتوهيما واعتباراً وكان عليه السلام يعرف ما فيها بوحي من الله تعالى خالقها وهو يورث الحكمة من يشاء من عباده المصطفين صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته .

والآن قد مضى من الكلام فى هذه الرسالة أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه ، مانظن أن لك فيه مقنعا وكفاية من جهة السمع والخبر ولاسيما اذا كنت تأملت ماقد تقدم لنا من الكلام في خمسين رسالة عملناها قبل هذه ، فهى مقدمات لها ومعينة فى احاطة علمك .

فلهذا نريد الآن أن نقطع الكلام ههنا لبلوغنا غرضنا لتمام هذه الرسالة الاخيرة التى هي آخر الرسائل التى ضمنا لك علمها ووفينا بتمامها أعانك الله وايانا أيها الاخ البار الرحيم على مايرضيه ووفقنا واياك فيما أدنانا الى مقصوده بنا وبلغنا الى غاية مشيئته فينا من الكمال الذى قصدنا . فله الحمد منا ومن جميع اخواننا الكرام دائما أبداً بلا زوال ولا انقطاع كما هو أهله ومستحقه وهو حسبنا ونعم الوكيل

بيان حقيقة السحر وغيره

اعلم أيها الاخ أيدك وايانا بروح منه أن السحر ينصرف في لغة العربية على معان كثيرة قد ذكرها أصحاب اللغة العارفون بها وأصحاب التفسير لها .

ونريد أن نذكر منها مايليق بكتابنا هـذا ليكون دليلا على ما نورده من القول فى هذا الفن : فمن ذلك أن السحر في اللغة العربية هو البيان والكشف عن حقيقة الشيء واظهاره بسرعة العمل واحكامه ، ومنه الاخبار بما يكون قبل كونه والاستدلال بعلم النجوم وموجبات أحكام الفلك ، وكذلك الكهانة والزجر والفال ، فان كل ذلك انما يوصل اليه ويقدر عليه بعلم النجوم وموجبات الاحكام الفلكية والقضايا السماوية .

ومن السحر قلب العيان وخرق العادات . ومنه مايعمل من الخيال والحكايات والتمثيلات ، ومنه الدك والشعبذة ، ومنـه البخورات المنتنة التى تجلب الصرع والبله والحيرة وماشا كل ذلك .

وهو ينقسم أقساما كثيرة ويتنوع أنواعا شتى ويقال عليه فى جميع اللغات بأقوال مختلفة قد ذكرتها العلماء وبينتها الحكماء ومنه سحر عملي ومنه سحر علمي . ومنه حق ومنه باطل ، ومنه مارميت به الانبياء ووسمت به الحكماء ، ومنه ما يختص بعلمه النساء والعرب تقول اذا أردت السرعة في البيـان واقامة الدليل والبرهان : سحرني فلان بكلامه ! واذا كشف الغطاء وأزال الشبهة يقول العلماء أتى بسحر عظيم سحر به العقول . ومن ذلك قول النبي ﷺ فى رجل مدح صاحباً له فصدق ثم ذمه فصدق في مقام واحد : (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا) كذلك لما رأت الامم الماضية والقرون الخالية من الانبياء ما رأت من المعجزات الباهرات والآيات الظاهرات والبيان اللائح والدليل الواضح سموهم سحرة ، ووسموا به الحكماء لما رأوهم يخبرون بالكائنات فيتكلمون بالانذارات والبشارات بما يكون في العالم من السرور والخيرات ونزول البركات والنعمات ، فنسبوهم الى الكهانة لما عميت عليهم الانباء ولم يعرفوا النبوة والانبياء عليهم السلام وزعموا أن لهم أصحابا من الجن يأتونهم بأخبار السماء فيعلمون بذلك ما كان ومايكون.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن هذه الطائفة ما رميت به الأنبياء من السحر مثل ماقال فرعون لما جاء موسى عليه السلام بالمعجزات لقومه لما رأوا من موسى وهرون : (ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) . عنى بذلك أن موسى عليه السلام انما يعمل ما يعمله بتخيل وتحيل وشعبذة لاحقيقة لقوله ولاصحة لعمله ، مثل ما أشار عليه هامانه وسول له شيطانه بقوله : (وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) . يعني كل مشعبذ ومخرق (١) ومنوق لقوله ومافق لعمله ، وما كان من قصته وتسليم السحرة الى موسى وهرون عليهما السلام وما كان منهم ورجوعهم عما كانوا عليه نادمين وتبريهم مما كانوا يعملون وقولهم : (آمنا برب موسى وهرون) . ومثل ماقالت الجاهلية المشركون في نبينا محمد ﷺ انه ساحر كذاب قال الله تعالى : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

وكل نبي نطق وكل حكيم صدق وأتى بالمعجزات وأظهر الآيات ألقي عليه هذا الاسم وعرف بهذا الوسم عند الامم الطاغية والأحزاب الباغية تكذيبا للانبياء ورداً على الحكماء .

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن ماهية السحر وحقيقة هذا هو كل ماسحرت به العقول وانقادت اليه النفوس من جميع الاقوال والاعمال بمعنى التعجب والانقياد والاصغاء والاستماع والاستحسان والطاعة والقبول .

فأما ما يختص منه بالانبياء صلوات الله عليهم فكالعلم بالامور التي ليست في وسع البشر العلم بها الا من جهة الوحي والتأييد وأخذها من الملائكة وهي الكتب المنزلة والآيات المفصلة والامثال المضروبة الدالة على حكمة الله سبحانه وتوحيده وبيان الحلال والحرام وايضاح القضايا والاحكام والأخبار بالغيب بما كان وما يكون ، ولذلك كانت الجاهلية تقول لمن اتبع الرسول ﷺ ودخل الاسلام قد صار فلان الى دين محمد وقد عمل فيه سحره .

(١) المشعوذ والمشعبذ : من يريك الشيء على غير حقيقته لخفة اليد وسرعة الحركة . والمخرق : الكاذب المموه المختلق . وقد أخذ هذا اللفظ للدلالة على التموية والكذب من مخاليق الصبيان المفتولة التي يلعبون بها

فهذا هو السحر الحلال وهو الدعاء الى الله سبحانه بالحق وقول الصدق ، والباطل منه ما كان بالضد من مثل مايعمل به اضداد الانبياء وأعداء الحكماء من تنميق الباطل واظهاره ودفعهم الحق وانكاره بالباطل من القول وادخال الشكوك والشبه على المستضعفين من الرجال والنساء ليصدوهم عن سبيل الله وطريق الآخرة وليسحروا عقولهم بالباطل وليحولوا بينهم وبين الفوز والنجاة وهم شياطين المشركين ورؤساء المنافقين في الجاهلية والاسلام، وهم في كل عصر وزمان يصدون عن دين الله سبحانه ماقدروا عليه ، ويزيلون من سنة الناموس بسحرهم ماوصلوا اليه . فهذا هو السحر الحرام الباطل الذي لا ثبات له ولا دوام والذي لا برهان عليه ولا دليل صادق مرشد اليه والعامل به ملعون والمصدق مفتون والطالب له مشئوم .

﴿ فصل ﴾

وأما السحر المذكور في القرآن المنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فان العامة قد قالت فيه أقوالا مسترذلة لاصحة لها .

ولهذا القول معنى دقيق قد ذكرته العلماء الذين عندهم علم من الكتاب لمن وثقوا به من خواصهم وأودعوه عند أولادهم النجباء واخوانهم الفضلاء .

ونريد أن نضرب في ذلك مثلا قد حكي وخبراً قد روي يقرب به عليك فهم ماتريد الوقوف عليه والوصول من ذلك اليه وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

حكي أن ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وسلطان عظيم وملك عقيم ، وكان له وزير له رأي وعزيمة قد رأى السعادة في تدبيره والكفاءة في توزيره قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول بلذته وتناول بهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الايام والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجميل نيته وحسن طويته ، فاقام الملك

على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره

فلما كان في بعض الاوقات عرضت للملك علة كدرت عليه عيشه ونغصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له : قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تمنيت الموت ومللت الحياة.

فرق له الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتمس الدواء ولم يدع مستطباً ولا معزماً ولا صاحب نجامة وكهانة إلا أحضره وأعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وأنه يشكو ضربان جسده والتهاب حرارة في قلبه وكبده فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح .

واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيتها واضطربت الاعمال وعصت العمال وكثرت الخوارج في أطراف المملكة وأقاصي الدولة فعظم ذلك على الوزير وتحير وخاف على الملك الهلاك فعاد الى جمع الحكماء وإحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال :

أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاهرها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا يكون إلا عن حالين : أحدهما في النفس والاخرى في الجسد.

فالذي في النفس ينقسم قسمين : فأحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية

والذي يختص بالجسم أيضاً ينقسم قسمين : بالحر واليبس والآخر بضده وهو البرد والرطوبة.

وأما ما يختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وأنشأ واعمال الروية وإجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتهاء وما شاكل ذلك من الامور الالهية.

فان النفس اذا غرقت في هذا الامر وانغلقت عليها أبوابه وتعذرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيعة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتغير والهزال والضنى .

ولا يزال ذلك كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخاطر مشغولا بها والأبواب عليه مغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انغلق من أبوابه ويسهل ما صعب من اسبابه.

وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالعشق للصورة البهيمية من النساء والصبيان والاحداث والمردان مثل ما يعرض للعاشق إذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه فيظهر به من الضعف والتغيير ما يكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية ، وربما دخل عليه زيادة أدته الى الماليخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك وباد .

وأما ما يكون في الجسد من العلل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالادوية اليها ولا يجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العليل إلا بعد السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو؟ وكيف كان؟ وعما كان ؟ وما أصله ؟ أهو شيء من المأكولات أسرف في أكله ؟ أم مشروب أترف في شربه ؟ أو غم عرض له ؟ أو هم دخل عليه ؟ او حال اشتغل به قلبه وفكره ؟ أو صورة حسنة رآها فوقعت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها ؟ وأي موضع يجد الوجع من جسمه ؟ وبماذا يختص من أعضائه وأي شيء يشتهيه ؟ وأي حديث يلهيه ويرضيه ؟ وأي سماع يطربه ؟ فاذا أخبر العليل طبيبه بشيء مما ذكرناه اذا سأله وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علماً به واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس ، وما تبين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض

ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء . فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة وما يختص

بها من الاعضاء فان تغلبت احدى الطبائع وضعفت الاخرى أرسل الى ذلك العضو مايوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذى يضايقه فى مكانه بالملاطفة والتدريج ولايحمل عليه بالدواء الحاد في أول دفعة ، فانه ربما أحدث له ذلك فساداً لايرجي صلاحه . والمثال فى ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ماوصلت إليه فانها اذا قويت والقى عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فأتلفت ماوصلت اليه واحتوت عليه . فاسأل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها ؟ فلعلنا اذا عرفنا ذلك نتداركه بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير : أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لايبدأهم بالسؤال لهم عما لايجب له السؤال عنه ولايهجم عليهم بذلك الا أن يبدأوابه ، ولايطلب الدليل على مايقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم فى جميع أمورهم ولايعترض عليهم فى أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شيء لم يبده وحال يخفيها ولم يطلعني عليها ، لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم : أيها الوزير انه لاسبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عماذكرته لك وأنا أرى أن سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله ، فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئاً

ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الاطباء ونهض الوزير فدخل على الملك فلما رآه أنس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء ؟ فأكثر الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان ؟ وما الذى كان السبب في حدوثها به ؟ فلما سمع الملك من وزيره هذه المسألة التى لم يكن سأله عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه ويسندوه ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم بالبعد عنه ، فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفزع واستوى الملك جالساً على فراشه وقال له : اذن مني وأعد هذه المسألة علي وأصدقني فانى أرجو الشفاء بصدقك اياى وانك قدرت على الدواء فى ازالة الداء ان شاء الله

فانى لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا ، والواجب على الملوك فى أدب المملكة أن لايبدؤا من يلم بهم من عبيدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبمايحدث منهم فى خلواتهم ومايجيلونه فى أفكارهم ، لا سيما اذا لم يجدوا له أهلا يكشفونه لهم ويودعونه عندهم ويرجون بهم فتح ما انغلق عليهم بابه وتعذرت أسبابه .

وقد كنت في طول هذه المدة التى حدثت بى فيها هذه العلة أريد من يسألنى عن ذلك فأبديه له فلم أجد سائلا يسألنى عن ذلك ، وكلما عدمت من أبث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلوى صعبت العلة علي وتزايدت المحنة لدى

فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحقق قول الشيخ الحكيم المجرب وعلم أنه صدق وأصاب .

وقال له الوزير : أرجو أن أكون موضعاً لهذا الامر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال : انى كنت فى بعض الأيام قد ظهرت نعمة الله تعالى علي وأحضرت أجلها لدى وأمرت باخراج مافي خزائنى من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مماجمعته أنا في أيامي وما ورثته عن آبائى فاحضر بين يدى فى خلوة من حشمي وعبيدى وخزاني الذين كانوا نقلوه الى بين يدى فرأيت منظراً أطربني غاية الطرب وفرحت بها وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجزل من الغبطة والسرور والجذل والحبور فكبرت نفسى وعظم قدري وظننت أني قد وصلت الى مالم يصل اليه أحد غيري وأني من أسعد السعداء ، ثم انى نمت فرأيت في منامي كأني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله ، وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين يدي خاضعون لى ساجدون سامعون لقولي مطيعون لامري وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي .

فبينما أنا كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الاثواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر الى نظر المستهزىء بي غير هائب ولاخاضع بين يدي ولامسلم على ، مستقل بجميع ماأنا فيه وكأنه يملك مالا أملكه ويقدر على مالا أقدر عليه ويصل الى مالا أصل اليه فغاظني ذلك منه وكأني قد هممت بالايقاع به وأمرت به من كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل

مملكتي ورجال دولتي أن يقعوا به ،وهو قائم في مكانه يضحك بي ! وكأنهم لم يصلوا اليه ولاقدروا عليه وكأنه قد زاد استهزاؤه بي واستزراؤه ولم يهله شيء مما رآه .

فلما رأيت منه ذلك هالني وأفزعني فقمت من مكاني وتنحيت عن سريري ودنوت منه وقلت له : من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت الي ومن أين دخلت علي ؟ فقال لي يامسكين يامغرور بسلطان الارض والملك الجزئي . أي ملك أنت انما أنت مملوك ولست بمالك ! فلم تدعي المحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ماأنت فيه زائل مضمحل ؟! فانه عماقليل يفارقك وتفارقه وانما الملك الملك السماوي والسلطان الالهي ، فان بادرت وعملت مايقرب الى ربك وصلت اليه وكنت ملكا بالحقيقة ونلت ملكا لا يبلى ولذة لاتفنى فتكون ملكا بالحقيقة تفعل نفسك — اذا زكت وروحك اذا صفت — ما أنا فاعل وتصل الى مثل ماأنا اليه واصل .

ثم انه ارتفع من الارض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الى أن رأيته وصل الى السماء وغاب عني فلم ير وسمعت هاتفاً يقول : (لمثل هذا فليعمل العاملون).

فلما رأيت ذلك منه أيقنت اني لست بمالك واني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بانسان واني حيوان ، ثم انتبهت وأجلت الفكر وأعملت الروية وكثر تخيلي لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكتي وسعة قدرته ولمكان الذي رقي اليه واشتهيت المعرفة بالعمل الذي هو وصل اليه ،فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله من تلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجيل فكري وأقلب نظري في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أر فيهم من يصلح أن أكشف له هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغلا بالحال التي أزري بها على ذلك الشخص واني واياهم مماليك وأن الاسماء التي استعرناها لا تصلح لنا ولا تليق بنا وأنها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمري الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل ، فصمت عن الكلام وزادني الفكر الغم والهم والاسف فحدث بي من ذلك ماترى من التحول والتغير والصفات .

فهذا هو سبب وجعي ومبدأ علتي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه

الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما وصل اليه ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك بأمري وكشفت لك ما أخفيت من سري ، فان كان لي عندك فرج فمن به علي ، وان عدمت ذلك فاكتم سري ولا تخرج الى أحد بشيء منه كما خرجت به اليك من أمري لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الاعداء لان علة زوال العقل أصعب العلل ، متعذر دواؤها معدوم شفاؤها .

ولكن قد طمعت أن لي عندك فرجا لما رأيتك قد سألتني عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معي ، ولمعرفتي أن فيك من الادب الذي يصلح للملوك ما لا يحملك على مثل ما أقدمت به علي من ابتدائك لي بالسؤال عن سري الذي لم أبده ، فأصدقني كما صدقتك .

قال الوزير : فأعدت عليه ما كان وماجرى من الشيخ الذي أشار علي بذلك وأمرني به .

فقال : علي بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو ان يكون عنده الدواء، فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكا وقال : انكشفت العلة وعرفنا دواءها وقدرنا على شفائها ان شاء الله . ثم نهض معي حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفعه وأقبل عليه وأنس به وأقبل يعيد الحديث عليه من أوله الى آخره ، فأقبل الشيخ على الملك وقال له : ان العمل الذي يوصل الى مثل مارأيت لايكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفته حق معرفته ، فاذا صح لك ذلك وعلمته ابتدأت تشرع في تعلم العلم المؤدي بك الى عبادته الموصل لك الى جنته ودار كرامته ، فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ، ولايكون ذلك الا بعد ترك جميع ما ملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا .

قال الملك : قد رضيت بذلك وطابت نفسي به وقد تعجلت بترك جميع ما كنت فيه وتمنيت الموت والراحة من هذا العالم .

فقال الشيخ : ان هذا العلم غير موجود عند أحد في بلدنا هذا وانما هو

موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه فى أقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فانّ عنده مفاتيح ماانغلق من هذا الامر وصعب من هذا السر

قال الملك : فأنى لى بالوصول اليه والقدوم عليه وأنا على ماترى من نحول الجسم وضعف القوة وكثرة الاعداء وماتراه من اضطراب الحال وفساد الاعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والاعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذية الى وانتزاع مافي يدى من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وإن كنت غير متأسف على فقدها ولاحزين على زوالها بعد ماسمعت ورأيت ، وانما أخشى أن أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها فاقتل وأموت في الطريق ولا أصل إلى ماتكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تعجلت الذل والهوان في الدنيا وسرعة القدوم عليه في الاخرة .

قال الشيخ : صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدبير آخر

قال : وما هو ؟

قال : أنا أكتب الى الحكيم اعلمه بالحال وننظر مايكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله.

قال الملك : إفعل ذلك ، وخف على الملك ما كان يجده وسكنت نفسه إلى قول الشيخ .

وقال للوزير اعلم انى قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التى كنت أجدها في قلبى واستدعى من الطعام والشراب ماأمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفشا في أهل المملكة من اعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علته وزال عنه ما كان يجده .

ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فتسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الامر إلى أحسن ما كان في مدة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليفتح عليه من العلم مايصلح له ويعلمه ماينبغي له في جسده .

فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعى تلامذته وكان له اثنى عشر تلميذاً حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لنمتثله ونأتى فيه بما تؤمله ، فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتما عليه فليبدأ به أحدكما فيلازمه حتى يبلغ في العلم الرياضى الى حد يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهى ، ثم ينفصل عنه ويلازمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذي ينبغى له ، فاذا رأيتماه قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولاشكوراً .

ثم ابتدأ بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع فى حبائل الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما : إنكما في مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها ونضارتها وبهجتها ومايجده أهلها من فتنتها ، وستردان على الملك على مملكة واسعة ونعمة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شىء منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شيء مما تريانه انفسدتما وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان فى دار الهوان ، وخرجتما من سعة الكل الى سجن الجزء.

قالا سمعنا وأطعنا وتوجها من حيث هما الى أقليم الملك ، وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عيناً عليهما ينقل اليه أخبارهما ومايعملانه ويعاملان به الملك .

ثم قدما على الشيخ بالذى هما عليه من الشعث وقلة الجمال ما يليق بالنساك من الفقر وسوء الحال .

فأخبر الملك بقدوم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ، ثم أمر بايصالهما اليه فدخلا عليه فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس فجلسا مجالس العلماء المفيدين وجلس الملك والوزير مجالس المتعلمين المستفيدين .

ثم تقدم المبتديء بالعلم الرياضى فعلم الملك والوزير حتى أحكماه وتعلماه : الملك ووزيره ، وقاما بموجباته وأحكامه .

ثم انفصل الاول وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الآلهية إلى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان في وسعه .

فلما فرغا مما أمرا به وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال :

اني لا أجد لكما مكافأة على ما فعلتماه بي وتوليتماه من أمري الا أن اسلم اليكما ملكي فتتدبرانه وتحكمان فيه بما اردتما وقد أبحتكما جميعه وهو عندي قليل لكما .

فلما سمعا ذلك منه ردا عليه رداً جميلا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعده لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى ما رأياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا : لا بأس أن تجتمع لنا المنزلتان وننال السعادتين : الملك في الدنيا والآخرة، وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام به ، ثم خلا الملك بوزيره فقال له :

اعلم يا أخي أن هذه الدنيا فانية ولسنا مخلدين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها ما قد نلناه ووصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقدرنا عليه فهلم بنا نتخلى منها ونلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذي نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لا نشك في وصول الموت الينا ونزوله علينا فلعلي واياك نجتمع في الملك السماوي كاجتماعي واياك في الملك الارضي ، فقال افعل . وقويت نيتهما وطابت أنفسهما بذلك

فلما دخل الرجلان في وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريده من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتهما ورجا لاهل بلده ومن يكرم عليه من أهله أن يصلوا الى مثل ما وصل اليه من ذلك العلم والعمل فتعم البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الآلهي في مقام المملكة وصاحبه في مقام الوزارة .

واشتغل هو ووزيره في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك لذاتها

فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم أنهما قد افتتنا بما رأياه ومالت أنفسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصار الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوي ووصلا اليه ، وافتتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهمكا في اللذات الدنيوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما اليه من حكمته فنسيا ما كانا له ذاكرين وغاب عنهما ما كانا له حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الارض فأهبطا من الجنة وبعدا من الرحمة وانقلبا على عقبيهما خاسرين فأهارا (١) وأمارا من حضرهما بما فعلا ، وافتتن الناس بهما (وتعلموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم) وبدت سوءاتهما ، وقالوا : هذان العالمان اللذان كان يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ، ولو لم يعلما أن العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراها ولا رجعا اليها بعد ما علما ، وزاد بهما جموح الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكماء وأضداداً للعلماء

وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنحي عنهما والبعد منهما خوفاً عليه من شرهما ففعل ذلك .

وأقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأمرا بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا .

وهذا حديث يدل على حالة الملكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما

---

(١) هار بتشديد الراء مهارة بمعنى هر في وجهه ومنه المثل (شرأهم) يضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله ، والهرارات : كوكبان هما الشر الواقع وقلب العقرب . وأمارا : أتيا امرأ بكسر الهمزة ، والامر المنكر من الفعل والقول

وهبوطهما من السماء الى الارض ومفارقتهما جوار ربهما والملائكة الذين كانوا معهما كمفارقة إبليس للملائكة باستكباره وعصيانه ، ومفارقة آدم للجنة التى كان فيها بما كان من خطأه ونسيانه . فهذا بيان ماهية السحر والسحرة والعمل به وكمية أقسامه وما الحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان .

فصل

واعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن مداواة العلل الحالة بالاجسام والعلم بذلك من أجل المعلومات الطبيعية والمعارف الجسمانية كما قال النبى ﷺ العلم علمان : « علم الاديان وعلم الابدان » وهو أيضا ضرب من السحر الحلال لأنه قلب العادة من حال الفساد الى الصلاح ومن النقصان الى التمام ، والسحر الحرام منه ما كان الضد من ذلك كادخال الفساد على الاجسام وما يكون تافهاً وفساد أمزجتها وانحلال طبائعها مثل ما يعمل بالسموم القاتلة وما يتخذ لذلك من الادوية والعقاقير الفاعلة بخصائصها وما تفعله في الاجسام من العلل والاسقام ، فكل من فعل ذلك وأقدم عليه بالعمد والقصد الى فساد الصورة الانسانية بسبب دنيا ينالها أو شىء من قنيتها فهو ساحر مفسد في الارض ممن حل قتله ونفيه من الارض ، وهو ممن حارب الله عز وجل ورسوله وسعى بالفساد وممن استحق قطع الاعضاء وفساد الصورة مثل مافعل فرعون بالسحرة لما رآهم وقد أفسدوا عليه ما كان يعمله وأسقطوا هيبته عند أصحابه والملأ من قومه

واعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه أن كثيراً من الاطباء المبتدئين وغير المجربين يقتلون العليل ويزيدون المرض بالمرضى فيخطئون من حيث ظنوا أنهم قد أصابوا فكم من عليل قتلوه ومن صحيح أسقموه و من ذى سلامة أعطبوه ، والتفقد لهذا الباب والتحرز منه والتنبيه عليه والارشاد اليه فيه فائدة جليلة .

ونريد أن نبين لك ما يكون تعامه من ذلك فانه لا بد لك من استعماله اذ

كانت الاجسام مرتهنة بحدوث الآلام والاوجاع والاسقام والداء والدواء لأن من شأن اخواننا أيدهم الله وإيانا بروح منه — المعرفه بجميع العلوم والاطلاع عليها ومعرفة أهلها

فاعلم أيها الأخ أنه يجب على من أراد العلم بصناعة الطب أن يبدأ أولا بدرس الكتب على الحكماء وقراءتها على العلماء ومعرفة مقدمات العلل والاسباب التى تكون منها وتحدث عنها ومعرفة جميع الادوية لاخلاطها على النسبة الفاضلة والقسمة المعتدلة ومعرفة الطبائع الاربع واختلافها ، وكيف تكون صحة المزاج في وقت الصحة وكيف يكون فساده فى وقت الفساد ، وكيف يعرف وزن بنية الجسد في جانبيه معرفة هندسية . فاذا صح ذلك له وأحكمه وعرف العلامات الدالة على العلة في النبض والماء وماينفصل عن الجسد ويخرج من الفضول الحادثة عن العلل العارضة ، وبعد ذلك ابتدأ بتعلم الصناعة النجومية والاحكام الفلكية لأنها هى الأصل والعمدة في جميع الاعمال الارضية وما يعرض في الاجسام الطبيعية .

فاذا عرف من ذلك بحسب ما وفق له وأحكمه وعرفه فحينئذ وجب له التقدم الى العليل ، فاذا رآه وعرف علته وسأله عن بدايتها وسمع كلامه إن كان ذا سلامة في عقله ، وان عدم ذلك نظر فى شواهد أدلته وما يبدأ منه من علته . فاذا صح له ذلك نظر في مولد العليل فان أعدم ذلك نظر في الطالع الذى دخل عليه فاذا رآه يوجب السلامة نظر فى بيت الحياة وصح له ذلك أقدم على دوائه بنفس واثقة بسلامته وأخذ في تلطفه في دوائه الذى يصلح لتلك العلة غير شاك لزوالها وغير يائس من برئها فيقوى على العمل بالعلم ويكون فى فعله ذلك تابعاً لاعمال الحكماء وأفعال الانبياء لأنهم لم يدعوا الى الله عز وجل ولم يظهروا ما علموه حتى عرفوا الاصول وموجباتها والقرانات وأحكامها .

فلما تحققوا ذلك علموا مراد الله سبحانه من خلقه معرفته، وتوحيده وعبادته وانه عز اسمه لذلك خلقهم وبسببه أوجدهم .

وأي نفس عدمت ذلك كانت ناقصة غير كاملة ومريضة لاسالمة فوجب عليهم التقدم الى أصحاب العلل النفسانية في الاوقات التي أوجبت لهم التقدم اليهم والتحنن عليهم وعلموا أن دواءهم ينفع وعلاجهم ينجع مثل ما فعل الطبيب الحاذق بأهل المدينة التي دخلها المذكورة قصته في رسالة اعتقاد اخوان الصفا.

فعنـد ذلك دعوا الى الله سبحانه بالتذكر والموعظة الحسنة من اقامة الدين وسنة الناموس وما أوجبه ذلك الزمان وحكم بذلك تأثير القران وكانت أدويتهم وعقاقيرهم التي تفعل في أمراض النفوس مثل ما تفعل الادوية والعقاقير في الاجسام بمـا أظهروه من الآيات وعملوه من المعجزات اعذاراً وانذاراً وتخويفاً ومنعوا من أشياء كان الناس يعملونها وحذروا منها وحرموها على فاعلها ، كما يفعل الطبيب بالعليل من منعه من المآكل الرديئة والاشربة وما يكون به قوة الداء وضعف الدواء ، كما قال عز اسمه : (وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) والانبياء صلوات الله عليهم ضمنت لاهل الطاعة الجنة ولاهل المعصية النار ، كذلك الطبيب يعد العليل ان قبل وصيته وصبر على استعمال ما يأمره وترك المخالفة له بطيب العيش والعافية والحياة ، فانه متى عدل عن ذلك الى ضده مات وهلك .

ومعجزات الانبياء وآيات الحكماء تنقسم على أقسام كثيرة مختلفة متباينة قد خص كل شيء في كل زمان بموجب كل قران بشيء منها ، كذلك أدوية الاطباء تختلف بحسب اختلاف العلل .

ومن المعجزات ما يكون رحمة ونعمة ومنها ما يكون سخطا ونقمة عند الخروج من الطاعة وارتكاب المعصية ، فالنعمة والرحمة من ذلك ما ظهر من فضل النبي في ذلك الزمان الموجب لظهوره وما جاء به من الخيرات والبركات والمواد المتصلة به ونزول النصر عليه من عند الله وقوة من استجاب اليه واتساع دوره وعلو ذكره ورفيع قدره ومنفعة أهل ذلك الزمان به واجتماعهم على دينه وازالة الشك منهم في نفسه .

وأما ما يكون من المعجزات به والسخط والبلية على من أنكره وكذبه واستكبر عليه وأنف من الانقيـاد اليه مثل ما حل بقوم نوح من الطوفان العظيم ، ومثل

ما نزل بقوم هود من الريح العقيم ، وبفرعون وزملائه من الغرق ، وبقوم صالح لما عقروا الناقة . وهذا مذكور في القرآن من القصص عن أخبار الانبياء المتقدمين والامم المخالفين .

واعلم يا أخي أن العلم والعمل المختص بالانبياء صلوات الله عليهم وما أظهروه من المعجزات والآيات فهو علم الهي وتعليم رباني يتصل بهم من الملائكة وحياً وإلهاماً وليس هو تعليما أرضياً ولا علما جزئياً وانما هو تأييد كلي وفيض عقلي وانما يخرجون منه الى العالم بحسب ما يحتملونه ، ومن المعجزات ما يكون به الاعذار والانذار . ولو أرادوا هلاك الامم الذين كذبوهم والفرق الذين أنكروا عليهم في أول مرة لفعلوا ، وان فعلوا لـكانوا بخلاف ما أرسلوا له لانهم انمـا أرسلوا لاصلاح الفاسد وأيدوا بوسع الطاقة في الاحتمال والصبر على الاذى وترك الـكبر والغضب والحمية واستعمال الرفق والتأني في الامور لما يرجى بذلك من الصلاح العام للعالم ونجاة الذين أرسلوا اليهم وخلاصهم من الجهل والعمى ، فاذا لجت الامم الطاغية والاحزاب الباغية في العصيان واستحوذ عليهم الشيطان بعد أن وجبت عليهم الحجة واتضحت لهم المحجة، أتت الأنبياء بالآيات وأظهـرت المعجزات وخرقت العادات وأحاطت بالدين كذبوهم البلايا وحلت بهم الرزايا وهلك منهم من هلك عن بينة وحيي من حيي عن بينة ! فضعفت قوة ابليس وانطفت نيرانه وتفرقت عنه شياطينه وهلكت أعوانه وخرست ألسنتهم واندحضت حجتهم .

كذلك الطبيب اذا خالفه العليل أول مرة صبر عليه ورفق به وداواه بالملاطفة وسهل عليه الامر ، فاذا تمادى في الخلاف والخروج عن طاعته ومخالفته فيما يأمر به واستعمال ما ينهاه عنه خلاه ومراده لنفسه فيهلك .

وبهذا الشان يكمل لك يا أخي معرفة مداواة الانفس والاجسام فتكون قد أحكمت السياستين وعرفت المنزلتين .

وانما أردنا بما ذكرناه تنبيه اخواننا — أيدهم الله بروح منه — والحث لهم على الاجتهاد في معرفة العلوم كلها بحسب ما يتفق لهم ووقفوا عليه ووجدوا السبيل اليه ، وجعلنا ما أوردناه في هذه الرسالة مقدمات ومداخل وطرقا ومنازل الى نهايات

العلوم وغايات الحكم لعلهم اذا نظروا فيهـا ووقفوا عليها تشوقت نفوسهم الى علم ما غاب عنهم منها فيجدون في الطلب ويسألون أهل العلم عما لا يعلمون ، كما قال عز اسمـه : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وكما قال الرسول ﷺ (استعينوا على كل صناعة بأهلها) فعند ذلك يصيرون هداة مهذبين قـد وقفوا على الصراط المستقيم

فصل

اعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن العلماء العالمين بعلم النجوم والهيئة وحوادث الجو وأصحاب الفال والـكهانة والزجر وحدوث الروحانيات وأصحاب عمل الطلسمات والعلامات والآيات والخبايا وما شاكلها فانهم لا يتهيأ لهم ذلك الا بعد معرفتهم بالاصول ومايبدو منها من الفروع

فاذا صح لهم ذلك عملوا بحسب ما ينبغي لهم أن يعملوه من هذه الاشـياء ويخبروا به بالدلالة على مايكون منه ويحـدث عنه ، وهم في ذلك متباينون في الدرجات متفاوتون في الطبقات بحسب اجتهادهم في التعليم ومداومة العلم ومجالسة العلماء ومرافقة الحـكماء والاشتغال بالدروس في الكتب الموضوعة فيها والتبحر فيها بصفاء الذهن وأعمال الروية واستقراء ما كان ليحكم به على مايكون ومعرفة مواليد السـنين وموافقتها فى الحساب والنسب ومعرفة التواريخ والبدايات وما يكون في ابتداء الاعمال من الطوالع ومايوجب دوام ذلك وما يوجب الـكواكب الثابتة وزواله وتغييره بانتقالها من مثلثة الى مثلثة واجتماعات الـكواكب ونظر بعضها الى بعض وارتفاعها في أوجاتها وترقيها فى درجاتها وهبوطها فى حضيضها . فاذا نظروا نظر التأمل والاسـتقراء لواحد واحد منها ، كان من له ذلك قريباً من الاصابة في أحكامه

فاذا وقعت له الاصابة وذاق حلاوتها فما أقل ما يخطئ فانه بالاصابة تقوى بصيرته ويزيد فى سعيه واجتهاده ويستحلى الظفر بالصدق ويحرص فى أن تكون أقواله صادقة وأحكامه صحيحة ، فعند ذلك يبرع في العلم على أقرانه ويصـير

رئيس أهل زمانه فتنكشف له الاسرار وتصير ما بين يديه جلية لايغيب عنه شيء منها ويصير بنفسه الزكية ورويته الفكرية وتخيله الصادق كالفلك المحيط المطلع على مادونه فهو يخبر بما يكون قبل أن يكون في أقرب نظر وأيسر ملاحظة ، ثم كذلك من دونه كما وفق له ورزق الظفر به .

وهذا الفن من هذا العلم يسمى نجامة وكانت الجاهلية تسميه زجراً وكهانة وهو ضرب من السحر أيضا وبه ينصب الطلسمات ويعمل الاعمال . ونريد أن نذكر فناً من العلم بذلك وكيفية الحكم والاطلاع عليه شبه المقدمة والمدخل ليكون دليلا على ماذكرناه وبياناً لما وصفناه وبرهاناً لما قدمناه ان شاء الله

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن العلم الذى به المعرفة بالاشياء الحادثة والامور الـكائنة التى تقوم وتدوم وتكون عواقبها بحسـب موجبات ما يكون من الحركات السريعة والبطيئة هو مايجب على الناظر فى ذلك الراغب فى علمه أن يعرف الاوقات والاحايين التى يكون فيها الابتداء بالاعمال والافعال بأدق النظر وأصح التأمل حتى يعرف ماهو كائن من ذلك الابتداء وما تصير عاقبته اليه وهو أن يعرف مواضع البروج الاثنى عشر والـكواكب المضيئة والنجوم السيارة والثوابت والطوالع في الفلك والعلم بمواضع السهام وما الى آخر الاثنى عشر برجا والاوتاد وولاة الزمان وأرباب الساعات والاديان والمدبرى أرباع السنة ، الناظرين على الايام والساعات وتقويم الحساب السبعة فى طولها وعرضها وأن ينظر فى ذلك نظراً صحيحاً وحساباً مصححاً ويقوم الطوالع اقامة مستوية مصيبة ، ويقوم حساب البروج والاوتاد بدرجاتها ودقائقها وموضع الرأس والذنب وموضع السهم الذى كان به ذلك العمل والاجتماع والامتلاء والاجزاء والاثنى عشر برجاً والطالع وصاحبه وصاحب اليوم والساعات ، وأين موضع القمر الذى هو أنفع الاشياء في النظر وأصدقها فى الخبر وأحسنها دلالة على

ما يحدث في عالم الكون والفساد اذ كان هو أكثرها اختصاصاً بتدبيره وكيف سلامته من النحوس وبعده من الطريقة المحترقة .

فان جميع ما كانت بداية العمل به في وقت سلامته وحسن استقامته كانت عاقبته محمودة ونتيجته سالمة ومنفعته كاملة ويكون دوامه وقوامه بحسب ابطاء الحركة وسرعتها وما دلت عليه أدلتها وان كان متصلا بالنحوس هابطاً في ناحية الجنوب أو يكون في آخر البروج أو في أول درجة منها ثم لم يتمها فان ذلك رديء أو يكون في هبوطه أو خالياً عن صاحب بيته لا ينظر اليه أو ساقطا عن الوتد أو يكون مع الجوزهر ، فان ذلك الابتداء لا قوام له وأعرف الكوكب الذى انصرف عنه القمر والكوكب الذي يتصل به القمر في وتد هو أو ما يلي الوتد أو ساقط لان القمر اذا كان ساقطاً لم يكن فيه خير الا أنه يكون فى الموضع الثالث من الطالع ، وان كان صاحب بيته ساقطاً ،لانك ان وجدت صاحب بيت القمر في الوتد الطالع أو وسط السماء أو الحادى عشر أو الخامس فكان شرقياً مستقيم السير ، كان بذلك موافقاً للأمر الذى تبتدىء به كالزهرة لأمور النساء والسرور ، وكموافقة المشتري للملل والاديان والذكور ، وموافقة عطارد للكتابة ، والشمس للسلطان ، والرياسة ، والقمر للتعليم والرسل .

وينبغي أن تنظر في كل علم تبتديء به الى الشمس والقمر وأصحاب شرفيهما أو حدودهما ثم تنظر الى وسط السماء لأنك متى وجدت هذين الموضعين نقيين من النحوس ويكون أصحابهما أعنى شرفيهما أو صاحب الطالع في موضع حسن ، فان الابتداء يكون محموداً تاما ذا فضل ولا سيما ان سامتت السعود المضيئة وكان صاحب الطالع شرقيا لان تشريق الكواكب يدل على المغالبة والظفر والتمام والسرعة فى درك الحاجة وغربى الكواكب وان كانت في وتد يدل على الابطاء والثقل والتطويل ، وان وجدت القمر في موضع حسن وصاحبه ساقط ، فان الابتداء بالعمل وحسن عاقبته رديئة وان وجدت القمر وصاحبه ساقطين فاقض برداءة أول العمل وآخره وإن كان القمر وصاحبه بموضع حسن فان العمل تام

على ماطلب صاحبه بتمامه وقوامه — ولا سيما ان كان صاحب الطالع في وتد ، وهو سعد ، وان كان نحسا وموضعه صالح فأنفع الاشياء أن يكون المشترى أو الزهرة فى الطالع فان ذلك يدل على تمام العمل وحسن العاقبة واستعجال منفعة وعموم بركة ، لاسيما اذا كان القمر متصلا بالسعود : وذلك السعد ليس بناقص ولا راجع فهو موافق لكل عمل الا لعبد أراد الاباق من سيده وأخذ ما ليس له

فصل

أعلم يا أخى أيدك الله وايانا بروح منه أن القمر أول الكواكب بتدبير ما تحته من عالم الكون والفساد وهو الواسطة ، ولذلك يحتاج أن تنظر أولا فى ذلك الى مايكون من سعادته ونحسه ، ثم تعرف زيادته فى بدايته ،وانه من وقت انصرافه عن الشمس يبتدىء بالقوة ثم يتغير عند تسديسه اياها وتربيعه وتثليثه ومقابلته لها ، وتكون قوته على قدر الكوكب الذى يتصل به عند ذلك وجوزهره والحد الذى فيه ذلك التربيع والتثليث والتسديس والمقابلة . فان وجدت القمر زائداً في نوره فان ذلك أفضل فى الاعمال التى يستحب فيها الزيادة واذا نقص من ضوئه فان ذلك أفضل فى الأمور التى يستحب فيها الانتقاص

وكذلك اذا انفصل القمر من الشمس إلى أن ينتهى الى تربيعها الايسر فانه صالح لطلب الحق .

واذا انفصل من تربيعها الايسر الى أن ينتهى الى مقابلة الشمس فذلك جيد للمبتديء بالخصومات والجدل والمناظرات في الاشياء.

وأما ما بين المقابلة والتربيع الايمن فموافق للمظلومين بالخصومة والدين ، ثم الى أن يصل الى مجاسدة ، موافق لاصحاب العمل بالعلم وطلب الحق .

فصل

فى سعادة الطالع وقوة الساعة

أفضل سعود الطالع والكواكب اذا كان سعداً فى البرج الذي هو فيه ويكون سعداً في البرج الثاني منه .

والبروج المنقلبة تصلح لكل أمر فيه مغالبة ونخر لاسيما الجدي والحمل وذوات الجسدين لاصحاب العمل بالسحر والحيل ، والثابتة لاصحاب العقد والربط ونصب الطلسمات ومايريد به صاحب الثبات

فان أردت عملا يدوم ويقوم من علاج ذهب أو فضة أوعمل شيء يربطه روحانية ، فليكن القمر والطالع ببرج ثابت وذي جسدين

وان اردت الابتداء بعمل تريد معاودته فى كل يوم فليكن الطالع برجا ذا جسدين والقمر فى برج منقلب ينظر الى الطالع .

فان أردت العمل بدوام ثباته وقوته فليكن ذلك والطالع برج ثابت ذو جسدين والقمر فى برج ثابت متصل بصاحب بيته من تثليث أو تسديس وصاحب بيته بريء من النحوس والاحتراقات والرجوع.

فان لم يمكنك ذلك فليكن القمر متصلا بالسعود وليكن ذلك السعد ينظر إلى صاحب الطالع من تثليث أو تسديس واحذر المقابلة والتربيع فان أقوى مايكون نظر السعود من التثليث والتسديس

ثم أضعف مايكون نظر السعود من التربيع والمقابلة وأضعف مايكون نظر النحوس من التثليث والتسديس ، وأقواها من التربيع والمقابلة فافهم ذلك وأعرفه .

فاذا اتصل القمر بصاحب بيته من صداقة وكان نحساً كان أيضاً صالحاً في الحوائج وجميع مايعمل وإذا كان سعداً وهو ينظر الى الطالع كان أجود وأحسن وأحذر من جميع الاعمال كلها من موضع القمر مع الذنب ونظره الى النحوس من التربيع والمقابلة والمقارنة واحذر في جميع الامور والاعمال من فساد القمر فانه يدل على العسر والعناء والتطويل فى العمل والمشقة فيه بنقصانه ولاسيما ان كان نقصانه من الانواع الثلاثة التي هي الضوء والحساب والسير ، وأفضل ذلك أن يكون زائداً فيها جميعاً ولا ينظر اليه المريخ بشيء من النظر لان نظر المريخ إلى القمر في زيادة منحسة عظيمة.

وكذلك نظر زحل الى القمر اذا كان القمر ناقصاً ، وأقوى مايكون القمر بالليل اذا كان فوق الارض ، وأقوى مايكون الطالع بالنهار وأن يكون القمر تحت الارض .

ومن أفضل الاشياء أن يكون القمر والطالع فى بروج مستقيمة المطالع ، فاذا كان كذلك دل على السرعة في الحاجة والنجاح ولاسيما اذا كان فى بروج ثابتة وذوات جسدين

واعلم أن الحمل أسرع البروج المنقلبة تقلبياً ، والسرطان أكثرها تقلبياً ، والجدي أكثرها سعياً ، والميزان اقواها وأعدلها

واعلم أن الاوتاد أسرع في تمام العمل والفراغ من غيرها ويلي الاوتاد ابطاء والساقطة بطيئة وهيئة فشلة .

وأسرع مايكون العمل أن يكون سعد في الطالع أو مع القمر ويكون مستقيم السير .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن العلم بعواقب الاعمال انما يعرف من صاحب تثليث بيت القمر وصاحب الطالع وبقدر مواضعها وحالها ونظر الكواكب اليهما فقل فى مثل ذلك واحكم على عاقبة الأمر بما لاح لك فيه ان شاء الله .

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي أن ذوات الجسدين من البروج أكثرها وجوها وصوراً وهي تصلح للشركة والمؤاخاة ، وما عمل فيها من شيء فانه يعود مراراً :

واذا كان القمر والطالع في برج ذي جسدين ونظر الى السعود فان ذلك جيد لانها زائدة صالحة موافقة لكل عمل ، والجوزاء أكثرها وجوها وأوفقها للصناعة والحساب والمنطق والتجارة والترويج أيضا ، والسنبلة تصلح للأخذ والاعطاء والكتابة والادب ، والقوس يصلح لامر السلطان والرياسة ولاصحاب الجراءة والبأس والنجدة ، والحوت يصلح للغاصة في البحر ومن يعمل فيه ونحو ذلك .

والبروج الثابتة موافقة لكل عمل يحب صاحبه ثباته وطوله لأن القمر والطالع أقوى دلالة اذا كانا فيها واذا ابتداء بالعمل فى برج ثابت دل على ثبات ذلك العمل بطوله وتمامه فى آخره ، فان كان ذلك نحسا أتاه الشر منه .

والعقرب أخف الثابتة ، والاسد أثبت ، والدلو والثور ، أرطب . ولا تدع النظر في سهم السعادة وصاحبه لانهما اذا كانا فى ابتداء العمل بمواضع حسنة دلا على صلاح ذلك العمل وحسن عاقبته . وأفضل ذلك أن يكون صاحب السهم مشرقاً في مكان معروف .

فاعرف الصور والاشياء على مناظرة القمر لرب ذلك البرج والطالع واجعل القمر يناظر ربه أبدا فانه أسرع لما تريد من الاعمال وانجح لها بتوفيق الله تعالى

﴿ فصل ﴾

قال بطليموس ان مثل الكوكب اذا لم ينظر الى بيتـه كالرجل الغائب عن منزله وداره فلا يستطيع أن يدفع عنها ولا يمنع منها ، واذا كان رب الطالع ينظر الى بيته فهو بمنزلة رب الدار الذى يحفظها ويمنع منها وهو بعيد عنها فاجعل القمر فى جميع الابتداء فى موضع حسن جيد ولا تتوان فيه أواجعله مع السعد أو يتصل بسعد واجعل البرج الذى تريد منه الحاجة يكون مسعودا .

واعلم أن سهم السعادة في الابتداء والمسائل يحتاج اليه فلا تسقطه عن مناظرة القمر أبدا ومقارنته فان للقمر شركة في سهم السعادة ولا تلتفت الى الدرجة التى يطلع فيها لان كل صورة ودرجة تطلع من تلك الصورة موافقة لامر واحد وأمرين وأكثر من ذلك . واعلم أن البروج المنقلبة تصلح لما يكون فيـه المغالبة والاجتهاد

﴿ فصل ﴾

اعلم ياأخى أيدك الله وايانا بروح منه أن جميع مايجرى فى عالم الكون والفساد المرتب تحت فلك القمر من جميع مافيه من كبيرة وصغيرة وحيـة وميتة وناطقة وصامتة ، ومن ذى نمو وزيادة وكل ذى نور ومحاق فبتدبر فلكى وأمر سماوى

لا يخرج عن النظام الذي ركبه بارئه — عز اسمه — عليه وجعله فيه لا يعدوه وكل مستقر في مكانه اللائق به .

وأفعال الكواكب روحانياتها تسرى في عالم الكون والفساد كسريان القوى النفسانية في الاجساد : فلكل كوكب في الفلك وجوه وحدود ، ولحـدودها درج ، ولها صورة تنحط من كل صورة الى عالم الكون والفساد ، روحانية متصلة بمثلها مرتبطة بشكلها ! وهي موكلة بها المدة المقدرة لها وهم ملائكة الله سبحانه الذين لا يحصى عددهم الا هو ولا تنزل الا بأمره وحكمته .

ولما كان العلم بذلك يوجب لمن علمه الفضيلة الانسانية وهي التصور بعـد الموت بالصور الملكية أوردنا منه فى رسائلنا ماصلح أن نورده الى اخواننا الكرام أيدهم الله وايانا بروح منه ليقفوا عليه فيكونوا قد اطلعوا على مقدمات العلوم ومباديها فيكون معينا لهم على التمهر فيها ومشوقاً لهم على الاطلاع عليها ، ولئلا يجهلوا علما من العلوم ويتعدوا رسما من الرسوم حتى لا يبغضوا العـلم فيعادوا حامله ويصدوا عنه طالبه ، وانما وضعنا هذه الرسالة في معنى ما ذكرناه وماهية ماوصفناه من السحر والعزائم والكهانة والرقى والفال والزجر — بما بينا ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى تنبيها للنفس اللاهية والارواح الساهية الذين لا معرفة لهم بكيفية الموجودات ولا دراية بسريان الروحانية ولا بما تظهره فى عالم الكون والفساد فأردنا إعلامهم وإيقافهم على معنى ماخفي عنهم وصعب عليهم

واعلم ياأخي أن جميع الاعمال والصنايع والحرف والمهن ومايجرى بين الناس من الاخذ والاعطاء والبيع والشرى والجدل والكلام والاحتجاج في الاديان واقامة الدليل والبرهان ومايكون من خرق العادات وقلب الاعيان وتحويل الاشياء بعضها الى بعض ومزج بعضها ببعض فكل ذلك سحر وعزيمة والعالم كلهم قائمون بعلمـه وعمله ، ولـكن كل عمل يعمل بحسب استطاعته وبلوغ سعيه ومايجد السبيل اليه بقدرته وطاقته وكل ذلك بتدبير فلكى موجب لكل عاقل ماهو عامل وقائم بسبيله لا يفوته ولا يتعداه مادام ذلك الحكم مستمراً في مجراه حتى ينتقل منه الى سواه .

وقد ظن كثير من الناس ممن لا علم لهم ولا معرفة عندهم أن مايجري فى العالم

الأرضي والمركز السفلى لا يكون إلا منه ولا يظهر الا عنه ، وقد عدموا معرفة الاصل في ذلك ولو علموا وتحققوا أن الحركة هي سبب النشوء لبان لهم أن أصل الحركة الدورية هو الفلك المحيط والمحرك له هو النفس الكلية بأمر البارى جل جلاله ، ولذلك أهملوا النظر في علم النجوم ودعاهم جهلهم بمعرفتها الى الرد على أصحاب العلم وعادوهم وانحازوا عنهم فانفردوا منهم ونسبوا جميع ما يجري في العالم من الخير والشر ، والعرف والنكر ، والمحمود والمذموم ، الى فعل البارى سبحانه وأنه هو مريده والامر في حكمة البارى عز اسمه بخلاف ماظنوه وغير ماتخيلوه إذ كان أصل الخلقة خيرا كله جوداً كله لاتفاوت في خلقه النورانى وفيضه الروحانى . وقد بينا هذا المعنى في الرسالة الجامعة

واعلم ياأخي أن معرفة خلق الكواكب على ما وصفتها الحكماء وأخبرت بها العلماء مما ينبغى لك أن تعلمه ولا يسعك أن تجهله

واعلم انه العلم الذى كانت الكهنة يقدرون به على ما يعلمونه من الأعمال المستحسنة ، وكذلك أصحاب الزجر والفال .

ونريد أن نذكر في هذا الفصل شيئاً من ذلك لتعرفه فتعمل به اذا احتجت الى العمل به ان شاء الله

فصل

في معرفة خلقة الكواكب والبروج على ماذكرته الحكماء

(الحمل) ذو جثة مجوفة عظيم الوسط براق يتلألأ صلب فيه اعوجاج

(الثور) مجوف عظيم الجثة كبير متصل به شيء صغير الى البياض مائل يابس المغمز خشن اللمس (الجوزاء) دقيق الوسط عريض الطرفين طويل فيه اعوجاج مصمت (السرطان) كثير العدد خشن اللمس يتفتت (الأسد) براق يتلألأ صلب شديد الصلابة عريضه أكثر من طويله له انحراف (السنبلة) كثيرة العدد مجتمعة لها أصل واحد لها جثة حسنة اللمس ضعيفة الجسد أعلاها غليظ وأسفلها دقيق (الميزان) طويل مشيخ يدخل بعضه في بعض ملتو بعضه على بعض مختلف الجوهر

ينتشر وينطوى (العقرب) طويل محوز مجوف (القوس) مصمت النصف الأول والنصف الاخير مجوف أصهب يابس الى الحمرة مائل (الجدى) كحلى مجوف مستقيم مثل القصب والبردى (الدلو) أخضر مصمت كله إلا خمس درجات من آخره فانه مجوف (الحوت) أبيض الى الخضرة النصف الاول منه والثانى أبيض الى آخره .

فصل

في خلقة الكواكب

الشمس : مدورة براقة ينتشر لها ضياء وحسن وصف تنقي الانسان وتجلى الغم .

القمر : مدور فيه كسر وثلمة إذا كان ناقصا ، مدور مستدير العرض إذا كان تاما كاملا أكمل الالوان أسود صقيل فيه بعض الصفاء

عطارد : صغير خفيف حقير ينتشر وينطوي

الزهرة : مختلفة مشرقة اللون طيبة الرائحة ذات نماء لها ثمان زوايا براقة تثنى .

المريخ : أحمر يابس في حمرته كودة صحيح طوله أكثر من عرضه

المشترى : أصفر كريم الجنس طويل عريض فيه انحناء والتواء

زحل : أسود حقير خسيس كريه المنظر كريه الرائحة مربع في تربيعه اعوجاج .

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن الاخبار عن الأشياء الكائنة الغائبة عن نظر العين بالخير والشر وبما في الضمير من الامور المكتمة في نفس الانسان السائل فهو أيضا سحر وكهانة ، وهو مما ينبغى لك أن تعرفه ليتبين لك صحة ماذكرنا الحكماء من ذلك .

ونريد أن نبين لك شيئاً منه ليكون معينا لك على ماتريد أن تقف عليه مما رغبت فيه وسألت عنه

فصل

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أن علماء الهند هم العارفون بصناعة النجوم المخصوصون باسم الكهانة ويلحق بهم في العلم بذلك حكماء الفرس ومن بعدهما اليونانيون

وأما الزجر فختص به العرب في الجاهلية ، وبعد ذلك الفال في الاسلام وقد وضعت في هذا العلم كتب مستحسنة بينوا فيها من هذا البيان مايكون في الوصول الى بلوغ الغرض منه ، فاذا أردت ذلك وسألك سائل عن خبر أو ضمير أو خبي يريد منك الاخبار به والقول عليه ، فاحكم على ذلك من ارباب الساعات .

مثال ذلك اذا سألك رجل عما في يده في أول ساعة الزهرة فاعلم انه شيء أبيض حسن اللون طيب الرائحة مما يدخل النار ويخرج كالفضة .

وان جاءك في وسط الساعة فانه شيء حسن طيب الرائحة من العطر

وان جاءك في آخر الساعة فانه شيء ضعيف لين مما ينسب الى الماء

وان جاءك في أول ساعة الشمس فهو صغير من نبات الارض ، وان جاءك في وسط الساعة فانه ذهب أو نقرة أو حلى من ذهب مدور أو دينار، وان جاءك في آخر الساعة فانه شيء رقيق ناري شبه القوارير

القمر : ان جاءك في أول ساعاته فانه فضة قليلة فيها رداءة أو خاتم فيه فص أسود أو نقرة أو فضة ناقصة العيار ، فان جاءك في وسط الساعة فانه شيء مدور فيه صدع أو كسر كالدرهم المكسور أو ورد أو شيء من الكافور ، وان جاءك في آخر الساعة فهو زرنيخ أحمر أو أصفر

المريخ : ان جاءك في أول ساعته فانه شيء طويل احمر النحاس أشبه ، بذلك وان جاءك في وسط الساعة فهو شيء أحمر عريض اما حلقة أو امرأة وان جاءك في آخر الساعة فهو شيء حاد طويل مثل السنان أو الخنجر.

عطارد : ان جاءك في أول ساعته فاعلم انه كتاب أو ديوان حساب ، وان جاءك في وسط الساعة فاعلم انه نبات الارض الى السواد وما هو عريض يابس

وان جاءك في آخر الساعة فهو حجر منقوب أوحب لؤلؤ أو دراهم أو شيء منقوش أو فيه صورة

المشترى : ان جاءك في أول ساعته فهو جوهر ياقوت أو لؤلؤ، وان جاءك في وسط الساعة فانه خرز أو بلور وان جاءك في آخر الساعة فانه شيء مثل خاتم ساذج فصه ، أوفصه فيروزج

زحل : ان جاءك في أول ساعة فاعلم انه حديد أو رصاص ، وان جاءك في وسط الساعة فانه من نبات الارض ثقيل ، وان جاءك في آخر الساعة فهو لامحالة شيء مثل عناب أو نبق أوشبه ذلك.

فصل
في معرفة ارباب الساعات

اعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه انه اذا صح لك معرفة هذا العلم من هذا الباب قدرت على الاخبار بما شرحناه في الفصل الذى قبل هذا : وهو أن تعلم ان الكواكب السبعة التي هي ارباب الأيام السبعة .

فرب يوم الأحد الشمس ، ورب يوم الاثنين القمر، ورب يوم الثلاثاء المريخ ورب يوم الاربعاء عطارد ، ورب يوم الخميس المشترى، ورب يوم الجمعة الزهرة والسبت زحل

فاذا كان رب اليوم كوكباً من الكواكب فهو مدبر الساعة الاولى من ذلك اليوم ثم رب الساعة الثانية الذي دونه ، والذي بعد رب الساعة الثالثة ، وكلما انتهى الى رب اليوم ابتدأ بالعدد الى تمام اربع وعشرين ساعة كيوم الاحد مثلا فانه للشمس وهو رب الساعة الأولى والزهرة رب الساعة الثانية وعطارد رب الساعة الثالثة ، وكذلك ساعات ارباب كل يوم

﴿ فصل ﴾

فى معرفة ماتدل عليه الكواكب من اعضاء الحيوان

(لزحل) الأذن اليمنى في ظاهر الجسم وفي داخله الطحال .
(وللمشترى) الاذن اليسرى ومن داخله الفؤاد .
(وللمريخ) المنخر الايمن ومن داخله الكليتان
(وللشمس) العين اليمنى بالنهار ومن داخله المعدة
(وللقمر) بالليل العين اليسرى ومن داخله الرئة.
(الزهرة) لها من خارج الجسم والوجه والصدر ومن داخله القلب
(ولعطارد) اللسان ومن داخله المرارة

﴿ فصل ﴾

فى معرفة الخبيء

اذا كان حيواناً فاستدل على خلقة رأسه بخلقة رأس الطالع، وعلى خلقة صدره بخلقة صدر وسط السماء وعلى خلقة بطنه بخلقة وسط السابع ، وعلى عدد ارجله وخلقته بخلقة ارجل الرابع وعـددها ، وعلى حسنه وقبحه بمشاهدة السعود والنحوس ان كان القمر منحوساً فان الذي سألت عنه من اعضاء الجسد قبيح وإذا كان مسعوداً فانه أحسن

﴿ فصل ﴾

فى معرفة الخبيء من الثانى عشر وصاحبه

ان كان الثانى عشر برجاً هوائياً فهو من الهواء وان كان أرضياً فمن الارض وان كان مائياً فمن الماء وان كان نارياً فمن النار .

ثم انظر الى صاحب الموضع كذلك وامزجهما فان كان أحدهما أرضياً وصاحبه مائياً فهو نبات ، وان كان أحدهما مائياً وصاحبه أيضاً فهو جوهر جسدى مثل الاجساد والكباريت ، وان كان أحدهما أرضيا والآخر هوائياً فهو من

الحيوان الذى ينحل من الارض ، وان كانا أرضيين فهو أرضى ، وكذلك في جميع الاشياء .

﴿ فصل ﴾

فى معرفة ماتدل عليه الحدود من كلام حكماء الفرس

الحمل حد المشتري وهو الاول ست درجات يدل على جوهر أبيض وأصفر يعمل بالنار ، الثانى الزهرة ثمان درجات يدل على شيء شديد يابس يضرب الى السواد والى الصفرة تذيبه النار وكل ذلك مدحرج أو مدور الى العرض ما هو الثالث عطارد سبع درجات يدل على نقش سواد أو على شيء كتابة أو نبات أسود . الرابع المريخ خمس درج يدل على شيء طويل أحمر يشبه النحاس ، الخامس زحل أربع درجات يدل على حديد أو رصاص أو شيء أسود أصله رديء أو ميت أو شيء لا قيمة له .

(الثور) الاول حد الزهرة ثمان درجات : نبات الارض ، لكنه جوهر أبيض من نبات أبيض ، الثانى حد عطارد سبع درجات نبات الارض لكنه جوهر قد تغير عما كان عليه ، الثالث حد المشترى سبع درج حيوان ذو أربع قوائم مما يكون له قرون ، الرابع حد زحل درجتان جوهر من جنس الارض لكنه شديد خشن يابس أسود ، الخامس حد المريخ ست درج حيوان يأكل اللحم

(الجوزاء) الاول منها حد عطارد سبع درجات حيوان من جنس الناس ومن الطير العقبان مما يأكل اللحم ويستأنس بالناس ويألف البيوت وينطق ، الثانى حد المشترى ست درجات حيوان الأنس ومن الطير القصار الأعناق وكل ذلك الى البياض ، الثالث حد الزهرة سبع درجات حيوان ذو ألوان مختلفة من الطير لا واحد ولا اثنين مختلفة ألوانها ، الرابع حد المريخ ست درجات الحيوان الانسى ومن الطير مما يأكل اللحم ، الخامس حد زحل أربع درجات حيوان يضرب الى السواد

(السرطان) أول حد منه لبهرام ست درجات سباع الماء وجوهر قد عمل بالماء والنار والثاني للمشترى سبع درجات جوهر الماء مما يؤكل وينتفع به الثالث حد عطارد سبع درجات حيوان . ومن الطير ما يأكل اللحم حسن المنطق صغير فيه لونان . الرابع حد الزهرة سبع درجات جوهر يخرج من الماء أو حيوان لين أو شيء ريحه طيب . الخامس حد زحل ثلاث درجات حيوان لكنه لا ينتفع به وهو أسود فيه حمرة ضخم لا يكون الا في الماء

(الاسد) أول حد منه لزحل ست درجات شيء شديد لا ينتفع به يابس مثل الحجر ولكنه الى الطول ماهو . الثاني حد عطارد سبع درج جوهر أسود يابس لا ينتفع به دنس ، الثالث حد المريخ خمس درج جوهر أسود لا ينتفع به دنس ، الرابع حد الزهرة ست درجات ، شيء النصف الاول منه يابس والنصف الآخر رديء لا ينتفع به ، الخامس حد المشـترى ست درجات ذو أربع قوائم يأكل اللحم ويستوحش من الناس ضخم

(السنبلة) أول حد منها لعطارد سبع درجات نبات صغير ثقيل الى الطول ماهو ، الثاني للزهرة ست درجات نبات لا يكون له ثمر عظيم جوفه أطيب من خارجه ، الثالث حد المشترى خمس درجات شيء دسم عزيز ، الرابع حد زحل ست درجات شجرة كثيرة الشوك ثمرها أحمر له لونان وله نور حسن حار يابس الخامس حد المريخ ست درج حيوان جسيم طويل يضرب الى السواد كثير الارجل صبور

(الميزان) الاول لزحل سبع درجات شيء أسود ، الثاني حد الزهرة خمس درجات حيوان يطير وما لا يطير لا يكون له قوائم عدو للناس ، الثالث حد عطارد خمس درجات حيوان ثقيل لا ينتفع به ، الرابع حد المشتري ثمان درجات شيء أبيض مؤنث ، الخامس حد بهرام خمس درجات حيوان يأكل اللحم وفيه ألوان

(العقرب) أول حد منه للمريخ ست درجات حيوان يكون في الماء

ويؤذى دواب الماء ويكون كثير القوائم ، الثاني حد الزهرة خمس درجات جوهر فى الماء حسن ينتفع به ، الثالث حد المشترى ثمان درجات حيوان يكون في الماء دقيق طويل ينتفع به يأكله الناس ، الرابع حد عطارد ست درجات جوهر يكون في الماء يابس منتن ، الخامس حد زحل خمس درجات حيوان لا ينتفع به شبه شيء قذر

(القوس) أول حد منه للمشتري ثمان درج جوهر عزيز شبه حجر ، النصف الأول والنصف الثانى حيوان ذو أربع قوائم ينتفع به ويحمل عليه الثانى حد الزهرة ست درجات النصف الاول حيوان ، والنصف الثاني جوهر احمر عزيز ، الثالث حد عطارد خمس درجات النصف الاول حيوان والنصف الثاني جوهر لا ينتفع به ، والرابع زحل ست درجات جوهر أسود يذاب بالنار أحمر أصم ، الخامس المريخ خمس درجات حيوان مفسد عدو للانسان

الجدى أول حد منه للزهرة سبع درجات جوهر نباتي الثانى عطارد سبع درجات من جوهر الارضين طير قد تشبه الماء والنار ، الثالث حد المشترى ثماني درجات حيوان ذو أربع قوائم ذو قرون الرابع حد زحل اربع درجات جوهر شديد يعمل بالنار لا يذوب حديد ، الخامس حد بهرام اربع درجات جوهر شديد تذيبه النار ويضرب الي الحمرة ، نحاس

(الدلو) أول حد منه لزحل سبع درجات حيوان من دواب الارض مما يتأذى به الناس الحد الثاني لزهرة ست درجات حيوان ، الحد الثالث للمشترى سبع درجات حيوان يشبه الانسان وطير يشبه دجاجة تربي في الماء الرابع حد المشتري خمس درج يأكل اللحم أكثر ما يكون من الطيور يشبه النسر والعقاب ، والخامس حد المريخ خمس درجات الحوت أول حد منه للزهرة اثنا عشرة درجة ، ثياب تصنع من وبر الحيوان قوى متشابه الالوان . الثانى حد المشترى أربع درجات حيوان يكون في الماء الثالث حد عطارد ثلاث درجات نبات يكون في الماء لا ينتفع به الا في النار ، والرابع حد المريخ تسع درجات حيوان

تكون في الماء يؤذي ما يكون فيه من الدواب الخامس حد لزحل درجتان حجر ودع يتكون في الماء على ساحل البحر يحمل حديداً وحجراً عليه حديد

فصل

في معرفة النوبهرات من كلام حكماء الهند

الحمل أول نوبهر فيه ذهب ،الثاني نبات ، الثالث نبات أخضر ، الرابع ذو أربع قوائم ، الخامس ذهب ، أو ياقوت أحمر ، السادس حيوان ذو رجلين ، السابع نبات ، الثامن صقر أبيض ، التاسع ذو رجلين . (الثور) أول نوبهر منه نبات ، الثاني حجر ، الثالث ذو روح وقوائم ، الرابع ذهب ، الخامس نبات ، السادس انسان ، الثامن صقر أبيض ، التاسع روح ذو رجلين . (الجوزاء) أول نوبهر منه نبات ، الثاني شبهه ، الثالث انسان ، الرابع نبات ، الخامس رصاص أو قلعي أو أسرب ، السادس من دواب الماء ، السابع ذو أربع قوائم ، الثامن نبات من الأرض ، التاسع ذو رجلين . (السرطان) أول نوبهر منته نبات ، الثاني جوهر أو صدف ، الثالث حب ، الرابع نبات ، الخامس حديد ، السادس برذون أو بغل ، السابع نبات ، الثامن جوهر أو حجارة ، التاسع دواب الماء . (الأسد) أول نوبهر منه ذهب ، الثاني ذو أربع قوائم ، الثالث انسان ، الرابع حية ، الخامس أسد أو نمر ، السادس ذو أربع قوائم ، السابع امرأة ، الثامن عقرب أو حية ، التاسع برذون أو بغل . (السنبلة) أول نوبهر منه صوف ، الثاني حرف ، الثالث انسان ، الرابع شاة ، الخامس جاموس ، السادس طير ، السابع العلق الذي يكون في الماء ، الثامن كلب ، التاسع امرأة . (الميزان) أول نوبهر منه نبات ، الثاني سهم ، الثالث ذو أربع قوائم ، الرابع مثله أو غراب أو ضبع ، الخامس طير يأكل اللحم ، السادس امرأة ، السابع مالح ، الثامن دواب ، التاسع نبات . (العقرب) أول نوبهر منه زنبور أو عقرب ، الثاني دب أو قرد ، الثالث فراخ حدأة أو رخمة ، الرابع سيف ، الخامس عقرب او حية ، السادس فيل ، السابع

سلحفاة ، الثامن انسان ، التاسع نعامة . (القوس) أول نوبهر منه ذهب ، الثاني نبات ، الثالث انسان ، الرابع نبات ، الخامس أسد ، السادس جارية ، السابع نبات أخضر ، التاسع برذون أو إنسان . (الجدي) أول نوبهر منه ضب ، الثاني صدف ، الثالث انسان ، الرابع دجاجة أو ديك ، الخامس فيل ، السادس ربح السابع سيف ، الثامن نبل ، التاسع انسان . (الدلو) أول نوبهر منه حرف ، الثاني انسان ، الثالث طير أو عنز ، الرابع جمل أو حمار ، الخامس حيوان غريب السادس جوهر الماء ، السابع خنزير ، الثامن نبات ، التاسع انسان . (الحوت) أول نوبهر منه طير الماء ودواب الماء ، الثاني طير الماء ، الثالث فضة أو لؤلؤ أو صدف أو زبد البحر ، الرابع قوائم أبلق ، الخامس حيوان يأكل اللحم ، السادس برذون أو رجل ، السابع إنسان ، الثامن تمر أو بر ، التاسع سمكة

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن لأصحاب هذه الصناعة والحكم على هذه المسائل دلائل كثيرة تركنا ذكرها والاستقصاء فيها إذ كنا انما نذكر من كل علم شبه المقدمة والمدخل الى باقيه ليكون تحريضاً لاخواننا على التمهر فيه والشوق اليه ، لأن بالشوق الى الشيء يكون الحرص على الاطلاع عليه والمعرفة به . ومثل هذا العلم يجب لاخواننا أيدهم الله وايانا بروح منه أن يعرفوه ويتعلموه ولا يزهدوا في شيء منه ، لأنه علم جليل نفيس شريف وجوهر سماوي وبدؤه الهي وجميع ماقي العالم السفلي والمركز الأرضي ، فتدبيره يكون في حال نشوئه وبلائه ونقصانه وتمامه .

ونريد أن نذكر أول ما ابتدأ به أصحاب هذه الصناعة وجعلوه مقدمة للمبتدئين ليعرفوا به مايتفرع من المسائل ومعرفة الضمير الذي يسأل عنه السائل ماهو ؟ وماذا يكون منه ؟ وما الذي يصدر عنه ؟ وهو الأصل المعتمد عليه في صناعة الكهانة والنجامة .

والذي يختص منه بالكهانة هو ما لا يستعين عليه صاحبه بآلة ولا باظهار حساب ولا نظر في كتاب بل بجودة الحفظ وذكاء النفس وصحة العقل وجودة التمييز وحدة الخاطر مع مساعدة ما اتفق له في مولده الموجب له ذلك .

فاذا عرف موضع القمر وتقويم الطالع وأرباب الساعات والايام وجاءه السائل أخبره عما سئل عنه وما يكون من أمره وعن ابتداء عمله وكيف تكون عاقبته : وأما ما يختص بالزجر فهو ان يجعل اول ما يقع عينه عليه في وقت المسألة جوهر ما يسئل عنه ، فاذا رأى ذلك نظر الى جوهر الطالع في ذلك وموضع وقت القمر ، فاذا وافقه حكم به واخبره بما يكون منه ، فان عدم النظر رجع الى حسن السمع فجعل اول صوت يسمع مثل ما قدمنا ذكره في النظر ، وله علم يختص به يطول ذكره .

فصل

في استخراج الضمير للسائل

واعلم يا اخي ان المسائل على ثلاثة اوجه : فأول ذلك ان تعلم في اي شيء جاءك السائل وعما سأل عنه ، والوجه الثاني من اين هذه المسألة واي شيء كان سببها أولا ، والوجه الثالث أن تعلم هل تقضى أولا والى ماذا تصير عاقبتها قل . أوقس اذا أردت أن تعرف ذلك ابتدىء بمعرفة الدليل على ما أصف لك .

ومعرفة ذلك أن تنظر الى الطالع وصاحبه والى القمر والى رب بيته ، والى الشمس والى رب بيتها ، والى صاحب الساعة والى سهم السعادة . واعمل باجودهم موضعاً وأكثرهم شهادة فان لم تجد شيئاً مما ذكرنا فانظر الى صاحب الطالع والى صاحب الشرف وصاحب الحد وصاحب المثلثة وصاحب الوجه ، ثم اعرف أيها المستولى على الطالع وهو أن تنظر أيها أكثر حظاً في الطالع فاتخذه دليلا

واعلم أنه اذا كان جيد الموضع وجودة موضعه أن يكون في بيته أو في شرفه أو في حده أو في مثلثه أو وجهه ويكون نقيا من النحوس فانه الدليل .

واعلم أن لصاحب البيت خمسة حظوظ ولصاحب الشرف أربعة حظوظ ولصاحب الحد ثلاثة حظوظ ، ولصاحب المثلثة حظين ولصاحب الوجه حظاً واحداً ، فاعمل بأكثرهم شهادة وأجودهم موضعاً

واعلم انه اذا كان صاحب الطالع في الطالع فهو أولى به من غيره ، فان لم يكن في الطالع وكان صاحب الشرف في الطالع فهو المستولى له كله ، فان كانا جميعاً في الطالع فهما شريكان ، وان كان لاحدهما شهادة أخرى فهو أقوى موضعا وهو الدليل بفضل شاهد أن يكون له كوكب له في الطالع شهادة ويتصل بأحدهما أو يكون القمر في بيت أحدهما أو يتصل باحدهما . فاذا كان كذلك فهو الدليل بفضل شهادة ، فان لم يكونا في الطالع فعليك بالدليل

واعلم أن أقوى ما يكون من الادلة وأولاها بالمسألة أقواها موضعاً وأكثرها نصيباً .

واعلم أن لكل طالع ربا ، وقد يبقى الطالع ساعتين حتى يخرج ، وقد يجوز أن يسأل في تلك الساعتين عن مسائل كثيرة ، فان كان صاحب الطالع هو دليل تلك المسائل كلها كانت تكون على أحد أمرين : إما مصاحة كلها وأما رديئة كلها وليس الامر كذلك .

وقد يكون القمر متصلا يومه كله أو ساعات من النهار بكوكب ما والمسائل تختلف منها ما يكون ومنها ما لا يكون بجودة النظر في الاصول

فصل

في ذكر أوتاد الفلك وأرباعه والبيوت الاثنى عشر

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن الفلك الاعلى يدير فلك البروج وسائر الافلاك من المشرق الى المغرب في اليوم والليلة دورة واحدة ، وفي كل وقت من الأوقات يكون بعض درج فلك البروج في أفق المشرق ، وبعضها في حقيقة درجة وسط السماء وبعضها في أفق درجة الغارب وبعضها في درجة الرابع ومن كل موضع من هذه المواضع الى الآخر يكون ربع الفلك ، وكل ربع منه ينقسم الى ثلاثة أقسام : منها ما يسمى بيتاً فيكون الفلك في كل وقت أربعة أرباع على قدر فصول السنة ، ويكون اثنا عشر بيتاً على عدد البروج والربعان اللذان من الطالع الى وسط السماء ومن الغارب الى الرابع يسميان منقلبين ذكرين شرقيين

متيامنين ، والربعان اللذان من العاشر الى الغارب ومن الرابع الى الطالع يسميان ثابتين مؤنثين غربيين متياسرين .

وقد يقال أيضا ان فوق الارض يمنة وأسفل الارض يسرة ، وفي قسمة أخرى بالربع الذى هو من الطالع الى وسط السماء شرقى مقبل ، والربع الذى من وسط السماء الى درجة الغارب جنوبي زائل ، والربع الذى هو من الغارب الى درجة الربع غربى مقبل ذكر ، والربع الذى من درجة الرابع الى الطالع شمالى مؤنث زائل .

ويسمى الربعان المؤنثان والنصف الذي من وسط السماء الى آخر الدرجة الثالثة الاخيرة منه يقال له الصاعد ، والنصف المقابل يقال له الهابط.

وهذه الاربعة تنقسم على اثنى عشر قسما على عدد البروج ويقال لكل قسم منها بيت .

فصل

فى معرفة البيوت

فاول بيوت الفلك هو البيت الذى يطلع أوله من أفق المشرق والذى بعده هو الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، ثم كذلك سائر البيوت يسمى كل بيت منها باسم العدد الذى يليه الى الثانى عشر . وكل بيت من هذه البيوت الاثنى عشر يسمى باسم مخصوص وينسب الى أشياء موجودة فيه.

فصل

البيت الاول يقال له الطالع وهو يدل على الابدان والحياة وعلى حالات كل ابتداء وحركة المثلثة الاولى تدل على الحياة والعمر وطوله وقصره والثانية تدل على القوة فى الجسم ، والثالثة تدل على الصورة .

والبيت الثاني يقال له بيت المال وهو يدل على جمع المال وا كتنازه وأسباب المعاش وحالاتها والاخذ والاعطاء ، والمثلثة الاولى تدل على المال ، والثانية على الاعوان والمعاش ، والثالثة تدل على المروءة واللطف

والبيت الثالث من الطالع يقال له بيت الاخوة والاخوات والاقرباء والاصهار والعلم والرأي والدين والفقه والخصومات والاديان والكتب والاخبار والرسل والاسفار القريبة والنساء .

والاحلام القليلة المثلثة الاولى تدل على الاخوة والأخوات ، الثانية تدل على القرابات ، الثالثة تدل على الرعية.

البيت الرابع من الطالع يقال له بيت الاباء وهو يدل على حالات الاباء الاصل والجنس والارضين والقرى والمدائن والبناء وعلى كل شئ مستور مما كان تحت الارض وعلى الكنوز وعلى العاقبة والموت ومابعده مما تصير اليه حالات الانسان الميت من الدفن والنبش أو الصلب والحرق أو الرمي به في بعض المواضع أو أكل لحم الحيوان أو غير ذلك من حالاته ، ومايختص بالنفس من الثواب والعقاب في المعاد ولايتهيأ لاحد النظر فى هذا القسم المختص بالنفس الا للعلماء من اخواننا الفضلاء — وقد ذكرنا كيفية ذلك في رسالتنا الجامعة عند ذكر شرح رسالة كيفية اللذات والآلام والموت وما بعد الموت

المثلثة الاولى تدل على الاباء والامهات ، الثانية تدل على العاقبة فى الأمور الثالثة تدل على الارضين وبناء المدائن

البيت الخامس من الطالع يقال له بيت الولد وهو يدل على الولد والرسل والهدايا والرجاء وطلب النساء والمصادقة والاصدقاء والمدن وحالات أهلها وعلى غلات الضياع وكثرتها وقلتها .

والمثلثة الاولى تدل على الولد واللذة والأكل والشرب ، والثانية تدل على الاخبار والرسل ، والثالثة تدل على المخاطبة والمصادقة

البيت السادس يقال له بيت المرض وهو يدل على الأمراض وأسبابها والزمانة والعبيد والاماء والوضيعة والظلم والنقلة من مكان الى مكان.

المثلثة الاولى تدل على المرض ، والثانية تدل على العبيد ، والثالثة تدل على الهمة والفكر .

البيت السابع منه يقال له بيت النساء وهو يدل على النساء والتزويج وأسبابه

والخصومات والاضداد والسفر والسلف وأسبابه والشركة المثلثة الاولى تدل على النكاح . الثانية تدل على الاضداد . الثالثة على الشركة ·

البيت الثامن يقال له بيت الموت وهو يدل على الموت والقتل والمواريث وعلى السموم القاتلة والخوف وعلى كل شيء هلك وضل وعلى الودائع والبطالة والكسل . المثلثة الأولى تدل على الموت ، الثانية تدل على الخوف . الثالثة تدل على المواريث .

البيت التاسع يقال له بيت السفر وهو يدل على الاسفار والطرق والغربة وأمر الربوبية والنبوة والدين وبيوت العبادة كلها والفلسفة وتقدمة المعرفة وعلم النجوم والكهانة والكتب والرسل والاخبار والرؤيا .

المثلثة الاولى تدل على السفر وموافقته • الثانية تدل على الدين والعبادة والكتب والعلم والفلسفة . الثالثة تدل على الرؤيا والاحلام

البيت العاشر يقال له بيت السلطان وهو يدل على الرفعة والملك والسلطان والوالى والقاضى والشرف والذكر والصناعات والأمهات

والاعمال المثلثة الأولى تدل على السلطان والعزوالولايات ، الثانية تدل على المسئلة الغامضة وعلى الملائكة والوحي ويقال انها السلطان والعز . والولايات الثلاثة تدل على الامهات

البيت الحادي عشر يقال له بيت السعادة وهو يدل على السعادة والرجاء والاصدقاء والمحبة والثناء والمواعيد والآمال والولد والأعوان ·

المثلثة الاولى تدل على الرجاء في الامور والثانية تدل على السعادة الثالثة تدل على الاصدقاء والسخاء والكرم

البيت الثانى عشر يقال له بيت الاعداء وهو يدل على الاعداء والشقاء والحزن والغموم والحسد والنميمة والمكر والحيل والعناء والدؤوب ، ويدل على الجيوش المثلثة الأولى تدل على الأعداء . الثانية على الشقاء والنميمة والغموم . الثالثة على الدؤب

﴿ فصل ﴾

فى الاستدلال على المسائل والاخبار بها

اذا سئلت عن مسئلة فانظر اذا أقمت الطالع بدرجاته ودقائقه وعرفت الدليل فانظر الى القمر في أي البروج هو وفى أى الحدود هو وعمن ينصرف من الحدود وبمن يتصل وبأى الموضعين كان أقوى فاقض عليه .

بيان ذلك أنا نظرنا فوجدنا الطالع الحمل حد بهرام وكان بهرام ساقطاً وكان زحل ساقطا وكان القمر فى الثالث من الطالع فى بيت عطارد وكان عطارد فى السابع من الطالع وكانت الزهرة فى الدلو ، فاذا الدليل هو القمر لان بهرام كان ساقطا وكان زحل ساقطا أيضاً وكان القمر في الثالث من الطالع فى بيت عطارد ، فلهذا قلنا إن الدليل القمر : وذلك أنا لم نجد أقوى من القمر وكان في الثالث من الطالع في بيت فرحه وكان يتصل بعطارد من التثليث وكان عطارد في السابع بيت الزهرة وكان نظرها اليه من تثليث وعطارد أيضاً صاحب بيت المريض يدل على أن السائل يسأل عن كتاب ورد عليه من أخ له يذكر فيه حال مرض امرأة من بعض أزواجه يئول حالها الى البرء .

﴿ فصل ﴾

اذا سألك سائل عن نفسه وحاله ومايصيبه فانظر الى الطالع وصاحبه ومن ينظر الى الطالع والى القمر أمسعودة أم منحوسة فان كانت مسعودة فحاله حسنة ، وان كانت منحوسة فحاله سيئة ، وان كانت ممتزجة فحاله متوسطة

وان سألك عن دوام ماهو فيه فانظر الى صاحب الطالع والقمر فان كانا في برج ثابتة أو في الأوتاد فانه يدل على دوام ماهو فيه ، وان كانا فيما يلى وتداً فانه يدل على زوال ماهو فيه ، وان كان النحس قبل الوتد فقل له قد كنت في شر وان كان فى وتد فقل له أنت فيه اليوم واذا كان النحس بعد الوتد فقل الخوف عليك فيما بعد ولاسيما اذا كان في الثاني عشر ، فان كان صاحب الطالع منصرفاً من سعد الى سعد فقل من خير الى خير ، وان كان من نحس الى نحس فقل من

شر الى شر ، فان نظر صاحب الطالع الى صاحب بيت القمر فقل تصيب سروراً وان نظر الى صاحب بيته وشرفه فانه يرتفع من منزلة الى منزلة ، والكوكب الذى ينصرف عنه صاحب بيت القمر هو الأمر الذى يصير اليه فيما يستأنف . وان سألك عن مال فانظر فان كان صاحب الطالع يتصل بصاحب الثاني فانه يصيب الذى طلب ، وان كان يدفع بينهما كوكب فانه يحول بينهما في ذلك انسان من جنس ذلك الكوكب ، ومعرفة ذلك أن تعرف صاحب أى بيت هو من بيوت الفلك فتنسبه اليه اذا نظر الى بيته ، فان كان صاحب الثاني في الثانى فانه يصيب من عمل يديه ، وان كان صاحب الثانى في الثالث فانه يصيب من اخوانه وأخواته وان كان في الرابع فمن الآباء والارضين ، وان كان فى الخامس فمن الولد والتجارة ، وان كان في السادس فمن العبيد أو المرضى ، وان كان في السابع فمن النساء والخصومات والشركة ، وان كان فى الثامن فمن المواريث ، وان كان فى التاسع فمن الدين والاسفار ، وان كان في العاشر فمن السلاطين والآباء ، وان كان في الحادى عشر فمن الاصدقاء والاخوان والتجارات ، وان كان في الثانى عشر فمن الدواء وأمر فاسد وان كان فى بيته فهو وسط وان كان فى هبوطه فهو رديء قليل .

وكذلك ان كان منحوساً أو راجعاً فهو فاسد رديء وان كان مسعوداً فهو صالح وان اتصل صاحب الثانى بالمريخ فمن السرقة واللصوصية والآثام والخصومات فان اتصل بزحل فهو شيء من عسر وكد لا يوصل اليه الا بعد تعب وشدة فان اتصل بالمشترى فمن الورع والدين والنسك والفقه ، فان اتصل بعطارد فمن الكتابة والحساب والتجارات والكلام وان اتصل بالزهرة فمن قبل النساء وان اتصل بالشمس فمن قبل الملوك والسلاطين ، وان اتصل بالقمر فمن قبل الكلام والرسالة

فصل

في كلام حكماء الهند وغيرهم في الضمير

وان كان الدليل الاول رب الطالع أو الكوكب القابل تدبيره فان الضمير

عن موضع رب الطالع من الفلك أو عن موضع قابل تدبيره من الفلك ، وقد يخرج الضمير من درجة الطالع نفسها وذلك أن تنظر أي كوكب يتصل به درجة الطالع فان الضمير من قبل موضع ذلك الكوكب من الطالع ولا تغفل عن الكوكب الذى يكون في الطالع اذا لم يسقط عن درجة الطالع فان الضمير جوهر ذلك الكوكب .

وان نظر الى صاحب أى بيت هو فيه من الطالع فان المسألة عن جوهر ذلك البيت الذى ينظر اليه

والدليل الثانى قول ويرونس وانطليقوس وبطليوس وواليس ورانبوس : وذلك أن تنظر صاحب أي بيت هو وأن تنظر الى البرج الذى فيه سهم السعادة فان المسألة عن جوهر ذلك البيت من الطالع ، فان كان فى الطالع فان المسألة عن نفسه ، وان كان فى الثاني فعن المال ، وكذلك بقية البروج الاثنى عشر .

والدليل الثالث قول علماء الهند فانهم قالوا اذا سئلت عن شيء قد أخفى عنك فانظر الى رب حظ الدرجة والطالع ورب الحد ، ورب الدرجة أيها أقوى وبماذا يتصل فرب ذلك الموضع هو الدليل على الشيء الذى أخفى عنك وأقواها أن تنظر الى درجة الطالع فى أي برج هو وفي أى برج يقع فان كان صاحب ذلك البرج هناك فان وجدت هنالك كوكبا فان الضمير عن مثل ذلك البيت عن الفلك فان لم يكن هناك كوكب فانظر أين تجد حظ صاحب ذلك البيت فان الضمير على مثل موضع صاحب الحظ من الطالع وموضع صاحبه

والمثال في ذلك أن الطالع كان اثنى عشر درجة من الحمل فألقيت لكل برج درجتين ونصف وبدأت بالطرح من الحمل الذى هو الطالع فبهذا الحساب يكون فى الاسد الذى هو بيت الولد فلم يكن الشمس هناك ولا كوكب غريب ونظرت الى الشمس فوجدتها في السابع فقلت إن المسألة عن ولد يريد أن

يخطب امرأة ولو كانت الشمس فى السادس فقلت من مرض ولد وكذلك بقية البروج الاثنى عشر ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

في استخراج الدليل من النوبهرات

وذلك أن تأخذ من الحمل الى درجة نوبهرات الطالع لكل برج تسع ، ولكل ثلث درج وثلث نوبهراً واحداً فما اجتمع معك من النوبهرات فألقها من اثنى عشر .

فان لم يتم اثنا عشر فألقها من الحمل وابدأ بحيث انتهى ففي ذلك البرج نوبهر الطالع . فاذا عرفت ذلك أين وقع فانظر ما يسمى ذلك البرج من الطالع بيت مال أو بيت أخوة أو غير ذلك ، فان الضمير عن مثل جوهر ذلك البرج من الطالع .

مثال ذلك ان سألت عن مسألة ، وكان الطالع منها عشر درجات من الحمل فكان ذلك ثلث نوبهرات وألقيت ذلك من الطالع فانتهى العدد الى الثالث من الطالع وفيه زحل وهو راجع فقل المسألة عن غائب متى يرجع وكان عطارد هو صاحب نوبهر الطالع في وسط السماء والطالع مع الشمس فقل هذا الغائب له سلطان عظيم وشرف كبير ومعه جماعة جند وأجلاء من الناس كبراء لان الشمس هي صاحبة الشرف الطالع في الدلو ونور العالم فى الدلو مع عطارد فى وسط السماء وزحل صاحب بيتها في الجوزاء — بيت عطارد — يدل على أن هذا الغائب أمير المؤمنين فان استشهدت على ذلك أن زحل يكون صاحب سنة العالم وهو صاحب بيت الشمس وعطارد جميعا وكانت المسألة هل يرجع من سفره أم لا فنظرت فعلمت انه راجع ان شاء الله ، وكذلك الحال فى السائل بمثل ذلك الدليل يستدل على الحكم عليها والاخبار بها

﴿ فصل ﴾

فيما اجتمعت عليه الحكماء القدماء من العلماء الاوائل من الادلة

وذلك أن فى الطالع تسعة أدلة وفى غيره ثلاثة أدلة فالذي فى الطالع صاحب

الطالع وبيت شرفه ومثلثه وحده ووجهه ونوبهره واثنا عشريته ، والكوكب الذي يسير الى درجة الطالع ومن في الطالع وفي غير الطالع وسهم السعادة وصاحبه وصاحب بيت الشمس بالنهار والقمر بالليل .

فانظر الى أكثرها شهادة وولاية فهو الدليل ، فاذا أنت عرفت الدليل فانظر بمن يتصل أو من يتصل به من بعد تسوية البيوت الاثنى عشر ، فان البيوت قد تنقسم من برجين فيكون بعضه من وتد الارض وبعضه من وسط السماء فاذا كان ذلك كذلك فخذ بأكثر درجات الطالع ودع الاقل وانسب الضمير الى ذلك الذى فى وسط الطالع فان كان لا يتصل بشىء ولا يتصل به شىء ، فالمسألة عن نفسه .

فان كان الدليل قد زال عن الطالع الى الثانى منه وخرج منه جزء فالمسألة عن شىء قد خرج من يد من سأله ، وكذلك الى تمام البروج الاثنى عشر الى جوهر البيت الذى فيه الدليل ، وكذلك اذا لم يكن اتصال .

واذا كان اتصال فالاتصال أولى بالدليل فاعرف عند ذلك الدليل ومن يتصل به الدليل واعمل بالبيت الذي ينظر اليه الدليل ودع الآخر وانسب الضمير الى ذلك البيت فان كان الدليل في هبوط فالمسألة عن سرقة أو شىء قد هبط أو اتضع أو المحبوس ، وان كان ينتقل من برج الى برج فعن نقلة أو سفر ، وان كان الدليل لصاحب الثامن أو الثاني عشر وهما بيت النحس فالمسألة عن موت أو خوف ، وان كان الدليل قد وقف للرجوع فانه يسأل عن مسافر متى يرجع ، وان كان واقفاً يريد الاستقامة فانه يسأل عن مسافر متى يستقيم . وان كان الدليل متحيراً فانه يسأل عن تحيره ، وان كان الدليل مع الرأس في شرفه أو في وسط السماء فانه يسأل عن ملك أو رئيس أو أمر الدين ، وان كان مع الزهرة والمريخ ينظر اليها او مع المريخ والزهرة تنظر اليه فانه يسأل عن تهمة النساء ، وان كان مع الذنب فانه يسأل عن كلام وخصومة ، وكذلك اذا كان القمر فى الطالع فانه يسأل عن خصومة أو عن خبر ، وان كان الدليل في الرابع أو مع الرأس فى السابع والرابع أن المسألة عن مال مدفون مثل كنز أو مخبأة وكذلك

اذا كان صاحب الثاني في الرابع وصاحب الرابع في الطالع والبرج ناري فالمسألة عن كيمياء هل يصح له أم لا ، وان كان البرج من برج النار فالمسألة عن حرب وان كان الدليل مع الذنب فانه يسأل عن سحر هل يصح أم لا .

فان شهد عطارد حقق ذلك وكذلك اذا كان الدليل زحل وهو مع عطارد وعطارد ينظر اليه فان المسألة عن سجن ، واذا كان الدليل تحت الشعاع فالمسألة عن محبوس ، واذا كان الطالع بيت عطارد أو شرفه وكانت الادلة في مواضع عطارد وله بها اتصال فان المسألة عن كتاب

﴿ فصل ﴾

في معرفة المسائل وأجوبتها
البيوت وما يتفرع منها

(بيت الحياة) اذا سئلت عن عمر انسان فانظر الى رب الطالع والقمر فان كان بيت الحياة قد انصرف عنه كوكب فان الكوكب الذي يتصل به القمر يدل على مابقي من عمره وان كان صاحب الطالع تحت الشعاع يدخل في الاحتراق والقمر منحوس أو ساقط من الطالع أو بعض النحوس في الطالع أو السابع فانه يدل على موت السائل ، ووقت ذلك يعرف من رب الطالع .

فان كان ساقطاً أو ينظر مابينه وبين درجة الاحتراق مما وجد بينهما من الدرج فذلك مابقي من عمره ، وان كان في برج منقلب فأيام .

وان كان في برج ذي جسدين فشهور ، وان كان في برج ثابت فسنون .

وأشد ذلك أن يكون النحس في الطالع أو ينظر الى الطالع أو الى الرابع أو الثامن .

فأما ان كانت السعود تسعد الطالع والقمر برى من النحوس وصاحب الطالع كذلك ، فان ذلك يدل على طول العمر والبقاء ، ثم عد مابين القمر والنحس وما بين رب الطالع الى أن يحترق فما خرج من حساب القمر فهو وماخرج من الطالع عدد العمر

(بيت المال) اذا سألت عما يرجى أو سال سائل هل أصيب مالا أو لا ؟ فانظر الى رب الطالع والقمر ، فان اتصل برب بيت المال ووجد القمر ينقل من رب بيت ذلك المال الى رب بيت الطالع فقل نعم تصيب المال ، وكذلك ان كانت السعود في بيت المال أو يتصل القمر بها أو رب الطالع أصاب مالا كثيراً ومنزلة رفيعة ، فان كان ذلك السعد متحيراً ساقطاً فانه لا يصيب من المال إلا قوت يوم بيوم ولا يكون له منزلة ولا جاه ، فان اتصل القمر أو رب الطالع بنحس وكان النحس في الثاني من الطالع فانه يدل على ادبار حال صاحبه ، وان كان القمر خالي السير فاذا السائل لا يزال على تلك الحال التي هو عليها حتى يموت . وخير السعود في بيت المال المشتري لانه يدل على الدنانير والدراهم

﴿ فصل ﴾

اذا أردت أن تعرف كم مقدار ما تصيب من المال في الامر الذي ترجوه أنت أو من سألك عن مثل ذلك فانظر الى صاحب بيت المال ، فان كان الدليل عطارد وكان في هبوطه أو في موضع ردىء فانه يدل على أن يكون المال عشرين درهما ، وان كان في مثلثه كان مائتي درهم ، وان كان في بيته كان ألفي درهم وان كان في شرفه كان عشرين ألفا ، وكذلك جميع الكواكب على قدر سنيها الصغرى عشر مرات .

وان كان الكوكب في هبوطه أو في موضع ردىء أعطاه بعدد سنيه الصغرى ، وان كان في مثلثه أعطاه بقدر سنيه الصغرى عشر مرات ، وان كان في بيته أعطاه بعددها مائة مرة ، وان كان في شرفه أعطاه عددها ألف مرة ، وان كان الكوكب محترقا فانقص على قدر احتراقه وبعده من الشمس ، وان كان مع الشمس درجة واحدة لم ينل شيئاً ، وان نظر اليه نحس نقص مما دل على قدر وعليه على قدر قوته في موضعه على ماثبت لك من الشرف والبيت والمثلثة والهبوط فان نظر الى الدليل المشترى من شرفه زاده اثنى عشر الف درهم ، وان نظر من بيته زاده الفا ومائتي درهم ، وان نظر من مثلثه زاده مائة وعشرين درهماً

ومن موضع رديء غريب زاد اثنى عشر درهما ، وفي الاحـتراق ينقص المشترى مما يعطى على قدر بعده من الشمس .

فان كان في درجة الشمس لم يزد شيئاً وكذلك ينقص النحس ويزيد السعد مثل ماتثبت لك من هذه المنازل ومتى وجدت الدليل الذي منه اسـتدللت على عدد الشيء الذي ينقص أو يزيد في برج ذي جسدين ، فاضعف ذلك العـدد .

وربما كانت النحوس هي التي تعطي المال وهي الدليل على عدد الشيء.

فصل

في معرفة سني الـكواكب

وهي ثلاث مراتب الـكبرى والوسطى والصغرى

فأما سنوها الـكبرى فللشمس مائة وعشرون سـنة وهو العمر الطبيعي ، ولا يكاد الانسان يجاوزه الا أن يشاء الله تعالى .

وللزهرة اثنتان وثمانون سنة ، ولعطارد ستة وتسعون سنة وللقمر مائة وثمان سنين ، ولزحل سبع وخمسون سنة ، وللمشتري تسع وسبعون سنة وللمريخ ست وستون سنة .

وأما سنوها الوسطى فللشمس تسعة وثلاثون سنة ونصف ، وللزهرة خمس وأربعون سنة ، ولعطارد اثنتان واربعون سنة ونصف ، وللقمر تسع وثلاثون سنة ، ولزحل ثلاث واربعون سنة ونصف ، وللمريخ اربعون سنة .

وأما سنوها الصغرى فللشمس تسع عشرة سنة ، وللزهرة ثمان سنين ، ولعطارد عشرون سنة ، وللقمر خمس وعشرون سـنة ، ولزحل ثلاثون سنة ، وللمشتري اثنى عشرة سنة ، وللمريخ خمس عشرة سنة ، فهذه معرفة أنواع سنيها

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أننا نورد من العـلوم في كـتبنا ورسائلنا مايكون تزكية للعقول وتنبيها للنفوس فأخذنا من كل علم بقدر ما اتسع

له الامكان وأوجبه الزمان وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ماقدرنا عليه ووصلنا اليه .

ولذلك وصفناه وأثبتناه وأوردناه لاخواننا أيدهم الله ورضينا لهم كما رضينا لانفسنا إذ كنا كلنا روحا واحدة وترابا واحداً وبنى أب واحد ولنا رب واحد وهو الذى خلقنا من نفس واحدة .

وقد قال رسول صلى الله عليه وعلى آله : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرضى لاخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه »

وقال الله تعالى : « فبشر عبادى الذين يسـتمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

ولما كان علم الحساب علماً واسعاً عظيم الدائرة محيطا بالاشياء غير محاط به القينا اليك منه مدخلا ومقدمة ليكون محرضاً لك على الدخول اليه والمعرفة بما يوفق له منه .

وكذلك علم النجوم أيضاً علم واسع . وهو علم العالم الاعلى السماوي الحاكم العالم الارضى : وذلك عالم علوي كبير وهذا عالم صغير سفلي.

ولذلك قلنا فى رسالة أفعال الروحانيين إن افعال العالم الكبير تظهر في العالم الصغير ، والعالم الصغير ليس له فعل يظهر في العالم الـكبير وانما له البيان عما يودعه فيه ويرسله اليه.

وقد القينا اليك في هذه الرسالة من سر علم النجوم ومسـتحسنات مسائله وصادق براهينه ودلائله ما ان وقفت عليه تشوقت الى تعلمه والتمهر فيه.

واعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه أنه بمعرفـة علم النجوم يكون لك التهدى للطلوع الى السماء والجواز الى المحل الاعلى ، فان لم تعرف ذلك تعـذر عليك السلوك في هذه الطريق .

ويوشك أن من سلك في طريق لا يعرفها ضل فيها كما قيل في المثل السـائر والقول الغابر : « قتل أرضاً عالمها » يعنى خبراً ومعرفة و « قتلت أرض جاهلها» يعنى حيرة وهلـكة .

والدليل على ماذ كرناه وبيان ماوصفناه معرفة هذه المسألة

فصل

إذا أردت أن تشير الى رجل في حاجة من أمور الدنيا والدين فالذي يجب عليك أن تعلم هل تجده فى الموضع الذي هو معروف به أم لا ، فانظر الى صاحب الطالع فان كان في الاوتاد فان الرجل في موضعه ، وان كان فيما يلي الوتد فهو قريب من موضعه ، وان كان ساقطا فليس هو فى موضعه .

وان كان الانسان يعلم بهذا الدليل يسهل عليه مايقصد اليه في حياة الدنيا فانه متى عدم هذه المعرفة كان جاهلا بما يقصد اليه ويقدم عليه هل يجد أم لا ، فان وجد ما يريده فبالاتفاق لا بالعلم ، وقلما يتفق للجاهل الاصابة .

والعالم فى راحة من نفسه لانه لايقدم على العمل ولايتوجه فى الطلب إلا في الوقت الذى ينبغي والزمان الذى يستوي .

فلذلك أردنا لاخواننا — أيدهم الله وإيانا بروح منه — معرفة جميع العلوم وحثثناهم عليها وأرشدناهم اليها .

واذا كان ذلك كذلك في المقاصد الدنيوية والمآرب الجسمانية لايجب للمرء أن يتخلف عن معرفته فكيف يجب له التخلف عن الادلة الربانية وما يكون له به المعرفة بالطريق الى الآخرة والقدوم على ربه ليجازيه بما كسبت يداه

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن من أحسن ما وصل الناس اليه من هذه الصناعة وأجل معارفها ، أن يعلموا كيفية أحوال الملوك والسلاطين وولاة الامور والعهود والامراء والقواد وولاة الحروب والوزراء والكتاب والعمال والقهارمة ، وابتداءات الدول وعواقبها ومدة أعمار المواليد ومواليدها ومايظهر منهم فى الازمنة ويعلمونه في الامكنة ، فان ذلك من العلوم المخزونة

والاسرار المكنونة والاخبار المدفونة مما استخرجتها الحكماء وعلمتها العلماء بما قد وقفوا عليه ووصلوا اليه من أخبار السماء بالوحي والالهام وصدق التخيل والرؤيا .

وقد رأينا — وبالله التوفيق — أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من ذلك نرويه عن العلماء ونخبر به عن الحكماء من غير زيادة ولا نقصان والله المستعان

فصل

فأول مايجب أن يعرف من ذلك وأن يعمل به عقد التاج وبيعة الملك وابتداء الولاية العظيمة والملك الكبير المتقرر في ذلك الملك النبوي وهي بمنزلة الخلافة. فأفضل ما يكون العمل بذلك والعلم به أن يكون القمر من الذي يطلب صحيحاً نقيا من النحوس ، وقبل ذلك معرفة الجوهر والجنس والبلدة والاقليم والمدينة والمكان الذى فيه ذلك الابتداء والولاية ومعرفة الزمان والارباب والشهادات الدرجيات وهي للخاص والكداخده (١) وصاحب القمر ومدبرى التدبير فتحمل ذلك وتجمع بعضه الى بعض وتقيس الاول بالآخر ثم تنظر الى القمر خاصة أين هو في الابتداء وكيف هو في صحته وما يقارنه بجسده ومتصل به ومسيره ومنزله والناظرين اليه أمن حظه هم أم من غير حظه ، ويكون عمل الابتداء للخلفاء في أحد البيعة أكثر حظا من الشمس ، ولولاة العهود من المشترى ، ولاصحاب الثغور من المريخ ، وللقهارمة (٢) من زحل ، وللوزراء والكتاب من عطارد ، وللعمال من القمر ، وللقواد من الزهرة ، والمريخ .
وأفضل ما يكون عقد التاج وبيعة الملك وابتداء الولاية والظهور والرياسة والجلوس على سرير المملكة والنطق بالأمر والنهى أن يكون الطالع برجا ثابتاً والقمر في موضع جيد .

فان الملك يكون طويلا ولا تكون الرياسة ذات مدة ، ولاسيما الأسد لأن

(١) الكداخداه : المقرب من الملك وكاتم سره وكاتبه الخاص واللفظ غير عربي
(٢) القهرمان : مدبر الملك ومستشار الملك

البروج الموافقة لامر الملوك الحمل والأسد والقوس . فمتى كان كذلك ووجدت في الطالع سعداً فانه يدل على حسن الخلق وصلاح جميع ذلك الابتداء والملك وان وجدت في الطالع نحسا كان غير ذلك من الفساد والرداءة ، وان كان المريخ فى الطالع فان المولى يكون فظا غليظا خفيفا شتاما لا حياء له ولا دين بذيئا ضعيفا فاحشا في المنطق ، يستقبل خدمه وأهل مملكته بالبذاءة والشتيمة مبغضا لأقرانه محبا لسفك الدماء وخراب البلاد ، قليل الثبات على ما يأمر به سريع السقوط بمنزلته مفتضحا معيبا كثير الاعداء يكثر شكيته .

وان كان زحل في الطالع فانه يكون حقوداً لواما عسيراً قليل النفاذ لما هو فيه ، حسوداً بخيلا جماعاً خداعا حريصا مذموما ، وان كانت الشمس فى الطالع يكون كثير الجماعات كثير الجنود والعدد منيع الغير ، ويكون له سعادة عظيمة وعز .

وان كان المشترى في الطالع فانه يكون صدوقا وفيا محبا للخير عالما محبا لأهل الدين كثير الاصدقاء والنصيحة ذا عفة وزهادة فى الدنيا .

وان كان عطارد في الطالع فانه يكون مفكراً داهية أديبا محكما لأعماله بالحيل والعقل والخداع والمكر . فان كانت الزهرة فى الطالع فانه يكون كثير الاموال والمواريث من جهة النساء والخدم وضعيف البدن قليل الثبات على الامور سهل الوطأة محبا للهو واللعب والفرح والنزه وجودة اللباس والعطر وطيب المأكول والمشروب والخلوة مع النساء والحرم والتزيي بزيهم

وان كان القمر فى الطالع فانه يكون جريئا مشهورا بالقوة والمشى بالليل

وان كان الرأس مع السعود في الطالع فانه يكون قاهراً لملوك الزمان ظاهراً على أعدائه .

وأفضل مايكون عن الملك وقهره وقوته وضبطه اذا أشرف المشترى على الشمس أو على القمر أو على الطالع ، وهو من بعض بروج الملوك وهو أيضا فى برج من بروج الملوك ، وأعظم لذكره وأعلى أن يكون البرج الذى فيه المشترى

متقلبا لأن المنقلبة أبداً هى أشهر أمرا وأعلى وأنصح ، وذوات الجسدين فيها أكثر أجناسا وتخليطا ، والثابتة أطول أمراً وأثبت .

ومتى وجدت المشترى في ابتداء المملكة خالى النظر عن الشمس والقمر والطالع فاعلم أنه لا محمدة لذلك الملك ولا مذمة ولاصلاح ، فان وجدت المريخ فى موضع حسن أو يكون المشتري في بيت المريخ والمريخ في بيت المشترى فان الملك يكون جائراً نافذاً لأمر مظفراً فى القتال قاهراً لاعدائه فتاحاً للبلاد وضابطا للملك بعيد الغور فى أمر عدوه ضعيف الاعداء لاسيما ان كانت الشمس مع ذلك في الاسد الذى هو برج نهارى وصاحب بيت المال ينظر اليها من وتد أو من بعض الاماكن القوية ميمنة أو ميسرة .

وينبغى لك أيضا أن تنظر الى البيت العاشر من الطالع الذى هو بيت الملك وتنظر أيضا الى العاشر من بيت الشمس الذى هو فيه الذى هو بيت ملكها في ساعة المسألة أو حين النظر والابتداء ، لأن هذين المكانين متى ماوجدت فيهما السعود وكان أصحاب ذلك البرجين في بروج ثابتة جيدة الموضع ، فان الملك ذو سعادة وخير وفضل .

وان كانت الكواكب التى في ذلك المكان في شرفهما أو شرقيه أو فى حظ الابتداء أولها نصيب في ذلك الابتداء من الاجتماع والامتلاء وسهم السعادة أو نحو ذلك فهو أفضل وأجود وذلك أن تكون الكواكب فى مواضعها مستقيمة فى سيرها وصعودها فى العرض والشمال زائدة فى جريها ملائمة الابتداء الى النهار بالنهار ، والليل بالليل . فتكون أيضا تنظر الى أصحاب حظوظها وليست بالناقصة ولا بالبطيئة ولا فى هبوطها ولا في ضدها ولا فى الدرجات التى هى آثار ولا فى الاماكن المظلمة ولا تحت شعاع الشمس ، فان ذلك كله يدل على الكذب والغش والتخليط على قدر الموضع والمكان والمنحسة .

ولتكن أيضا تنظر الى برج وسط السماء فانه موضع لا بد منه لأنه برج الملك والسلطان . واعرف درجة الطالع والبيت والحد والوجه والشرف من

الكواكب ومن فيها ومن ينظر اليها وهل فيها من الكواكب المضيئة شيء وأين صاحب شرفه ، الا أن أجود ذلك يكون صاحب شرفه سعداً أو يكون صاحب وسط السماء شرقيا مستقيم السير .

وأجود ذلك أن يكون فى شرفه وموضع له فيه حظ ، ويكون صاحب ذلك الشرف فى شرف الشمس أو القمر أو المشترى ويكون صاحب ذلك الشرف فى أى مكان موضع جيد ، فانه يأتى بدلالته حيث ما وقع بقدر قوته والكواكب المعينة له .

واعرف المكان الحادى عشر الذي يسمى المكان المعين وما فيه من الكواكب فان وجدت فيه الشمس أو القمر أو المشتري أو الزهرة أو عطارد أو الرأس وينظر اليه السعود ، فان ذلك الابتداء يكون من حسن المستقبل والثبات والقوة والبهاء والزيادة ، لان مثل ذلك يكون ملكه واصلا الى ولده أو يبلغ فيه بهمته — ولاسيما اذا كان ذلك المكان من بروج السعود ويكون فيه المشترى أو عطارد أيهما كان في ذلك الموضع ينظر الى السعود ، دل على وصول الملك الى ولده . وان وجدت زحل بالنهار في شرفه أو ينظر الى المشتري وكان المريخ في شرفه بالليل أو في بيته أو في بيت المشترى أو ينظر اليه المريخ من عداوته ، فان الملك الذى كان الابتداء له يكون مخربا للبلدان غاصبا قاهراً ، وكذلك يكون عزيزاً جريئاً لا يهاب أحدا يحب سفك الدماء راغبا في الذكر شجاعا ولا سيما ان كان مع المريخ سهم السعادة وسهم الجرأة فانه يكون منهمكا في ارافة الدماء وقتال الاقران محبا للفرسان والسلاح والاسفار ويكون له أفعال تختص به لا يبديها لاحد حتى يفعلها فجأة .

واحفظ سهم السعادة وسهم الشرف وسهم الملك وتحسب له من درجة الشمس التى هو فيها بالنهار الى تسع عشرة درجة من الحمل ثم تلقى ذلك من الدرجة الطالعة فحيث ينفد الحساب ففي تلك الدرجة سهم السعادة بالنهار ، وبالليل تعد من الدرجة الثالثة من الثور ، وتلقى ذلك من الطالع أيضا كما صنعت بالشمس ،

واحفظ سهم الملك الذي يعد من الشمس الى القمر بالنهار وبالليل تعد منه اليها ويلقى من درجة وسط السماء فانك اذا وجدت هذه السهام في مواضع جيدة مع السعود فانه أشهر للسعادة وأشهر للمملكة .

واعرف الثاني عشر من الطالع الذي يسمى بيت الشقاء ومن في كل بيت منها من السعود ومن النحوس وايها كان فيه نحس فاعلم أن بليته وعداوته من تلك الناحية التى يكون ذلك النحس ، وكذلك ما يهيج عليه من النواحى التى يكون فيها النحوس وقت الابتداء فان وجدت النحوس ساقطة ولا سيما تحت الارض فاعلم أن أعداءه الى الضعف والوهن وقلة القدرة على ما أرادوا ، وأفضل ذلك أن يكون الطالع وسط السماء فى وتد .

واعرف الهيلاج ومن ترى منه وانظر المضيئين والشعاع ورب الطالع ورب وسط السماء وسهم السعادة لانك متى وجدت النحوس فى أحد هذه الأماكن بالشعاع كانت المضرة والشر فيها كائنة ، فاذا كان القاؤها لذلك الشعاع على الهيلاج تخوفت على نفسه ، وان كان القاؤها الشعاع على وسط السماء تخوفت على ملكه وان كان القاؤها الشعاع على الطالع تخوفت عليه فى جميع أموره . فان كانت السعود هي التى تلقى الشعاع على هذه المواضع التى ذكرت فاقض عليه بالفرح والسرور والاستقامة والخير ، وليكن نظرك لبقاء الملك والسلطان من الشمس والطالع ولا سيما بالنهار فانه متى وقع عليه الشعاع من النحوس دل ذلك على الخوف والله أعلم .

واذا عرفت أمر الهيلاج فاطلب الكدخدا من بعد ما وصفت لك فى المواليد ، فانه ان كان الكدخدا في الوتد أو مكان الشعاع أو في الخامس فانه يدل على السنين ، وان كان فيما يلى وتداً فانه يدل على الشهور ، وان كان ساقطا فانه يدل على الأيام بعدد درجه ، وكذلك فانظر الى ما ينظر اليه النيران من السعود والنحوس فانها ان نظرت من التثليث أو التسديس من موضع حسن دل علي الزيادة فى السنين والشهور ، وان يكن نظر عداوة دل علي النقصان والاجتماع

والامتلاء اذا وقع في وتد أو فيما يلي وتداً أوصاحبه فى موضع حسن دل باذن الله على الزيادة والقوة والنجح

فصل

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه أنه لما كان بهذا العمل ومعرفة هذا العلم واحكام هذه الصناعة وتقويم الحساب ، يكون تمام العمل للملك الارضى وسياسة العلم الفلسفى ، وان كان المتولى لذلك الامر يحتاج الى من يدبر له هذا العمل ويقوم هذا الحساب — واذا كان ذلك كذلك فليس بملك ولا امام وانما الخليفة من استخلفه الله تعالى بأمره وأيده بملائكته وكان هو المدبر له بالتدبير الذي يجمع له به السعادات الفلكية كلها واليه تصرف روحانياتها ، كما أيد الله سبحانه سليمان بن داود بالملكية وسخر له الجن والانس والطير والوحش وكما أيد موسى عليه السلام بكلامه وأمره حتى قهر فرعون وأهل مملكته ورجال دولته واستجاب له سحرته وهم أصحاب النجامة والكهانة فى زمانه وهم الذين كانوا يدبرون له ملكه بما وقفوا عليه ووصلوا بعلمهم اليه فلما رأوا من موسى عليه السلام مابهرهم نوره ولم يروا في علمهم أن عمله يبطل ، ولا أن ما يأتي به يتعطل وأن جميع ماهم فيه من أمر فرعون زائل مضمحل ، ورأوا أن السعادات قد انصرفت مسخرة بأجمعها لموسى وهرون عليهما السلام : (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) .

وان التأييد الكلى والامر الالهى هو مصرف تلك السعادات الى موسى وأخيه استجابوا له وخضعوا عنده

وكذلك حال نبينا محمد ﷺ لما صرف الله تعالى التأييد اليه وأنزل الوحى عليه خضعت له الملوك واستجابت له الكهنة والمنجمون وهم الذين عندهم علم من الكتاب وآمنوا به وصدقوا بمبعثه ، وكان هو المدبر لهم والحاكم عليهم ولم يحتج الى تدبيرهم وكان يأتيهم بما ليس عندهم وبما يخرج عن وسع طاقتهم وآتاهم من علم الفلك وأخبار السماء بما لم يصلوا اليه ولاقدروا عليه .

فلما رأوا ذلك علموا وتحققوا أن تأييده إلهى وحكمته ربانية وان الأمر الذى القى اليه من فوق الأفلاك ومن أعلى السموات فانه يلقى العرش المحيط والكرسى الواسع

فهذه صفة الولاية العظيمة والخلافة الكبيرة التى هي خلافة الله تعالى والمستخلف بها هو النبى ﷺ في زمانه ، وبهذا العقد يكون من استخلفه النبى عليه السلام من بعده إذا مضى الى ربه عز اسمه .

وهذه الولاية المخصوصة لاهل بيت الرسالة عليهم السلام لايحتاجون فيها الى مدبرين غيرهم والى علماء سواهم ولايطلع الناس على اسرارهم ولايعرفون أخبارهم ولايطلعون على مواليدهم ولايعرفون سنيهم فى موتاهم ولهم علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها وأعمال يعملونها لايشركون فيها غيرهم .

ولذلك استحقوا الرياسة وسموا بالخلافة وأنهم لايبدون عملا من الأعمال ولايظهرون فعلا من الافعال الا بمشيئة الهية وارادة ربانية في الوقت الذي ينبغى به اظهار ذلك العلم فيه ، وهم أطباء النفوس ومداوو الأرواح

وانما أردنا بما بيناه لك من العلم والعمل والتدبير الذي يذكره أهل هذه الصناعة ويصنعون في وقت ابتداء الخلافة ونصب سرير المملكة واجتماعهم لذلك وادعائهم بما يعملونه وترؤسهم بما يصنعونه وطلب الجوائز والاموال والخلع ليعلم أن الملك والخليفة الذي يستخلف بهذا التدبير هو مملوك وليس بمالك ، وانما أيد بتأييد أرضى وهو محبوس محجور عليه وقد سحر بسحر لاينفك منه ولا يستخرج عنه إلا بالموت.

وقبل مايتفق في أول تلك المملكة من يكون عنده من هذه المعرفة وصحة الصناعة مايتدبر به على الصلاح ، وان اتفق ذلك فان الزمان لايتهيأ له على مايريده من العمل وان تهيأ له ذلك خالفه حكم المولد ، وان اتفق ذلك وقع الخلاف والمنازعة من أهل الصناعة ، واذا وقع الاختلاف فسد المختلف فيه.

فقد بان لك بما ذكرنا كيف تكون خلافة الله عز وجل وخلافة خلقه

فان قال قائل ذلك لايكون الا بامر الله سبحانه فقد صدق اذا اتبع فيه المستخلف الامر الذي يرضي الله عز اسمه وهوالذي من اطاعه فقد أطاع الله تعالى كما قال الله تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وان عدل عنه إلى ضده فقد خرج من أمر الله تعالى وارتكب نهيه ،ونريد أن نبين هذا القول ونوضح هذا المعنى

واعلم ياأخي أيدك الله أن أول خليفة استخلفه الله تعالى في أرضه هو آدم عليه السلام ، فلما أمره الله تعالى بمخالفة ابليس الذي هوعدوه وضده أن لا يقرب الشجرة التي نهاه عنها كان في الجنة بأمر الله

فلما أطاع ابليس فقبل منه وأكل من الشجرة خرج من أمر الله تعالى وصار في أمر ابليس لعنه الله ووقع في الخطيئة لأن الله تعالى أمره فخالفه وأمره إبليس فاطاعه•

فلما علم ذلك بمناداة الله له في تذكاره بما استوجبه من نسيان وصيته استرجع وتاب وأناب ولم يستكبر كما استكبر ابليس .

وكذلك ابليس أمره الله تعالى أن يسجد لآدم فلما سولت له نفسه أنه خير منه وامتنع من السجود خرج من أمر الله سبحانه وصار في أمر نفسه•

وهكذا يجرى أمر المستخلفين من ذرية آدم في الارض من كان منهم مستخلفاً فيها بامر الله تعالى الذي استخلف به آدم بعد التوبة وهو الامر الثاني والوصية الثانية التي لم يتعدها ولم ينسها وجعلها كلمة باقية في عقبه ، وهي خلافة النبوة ومملكة الرسالة والامامة

فمن تعدى هذا الامر وخالف هذه الوصية وطلب أن يكون خليفة الله تعالى ليدبر خلقه بسعيه وحرصه فانه لايتم له ، وان تم وقدر عليه فانما هو خليفة ابليس لانها حيلة ومكيدة وخديعة وتعد وغصب وظلم وعدوان وخذلان وطغيان وعصيان •

فاذا فعل ذلك ربطت به روحانية كوكب فلايزال محبوساً فيها محصوراً في أحكامها حتى يموت •

وعلى هذا تجرى أحوال الملوك والسلاطين والمتغلبين في الدنيا،ولذلك صاروا محتاجين الى المنجمين وأصحاب المعارف حتى أن بعضهم اذا وصل الى حكيم عالم من أهل هذه الصناعة وبلغه مايريده وعلم انه عارف بما يبدو منه ويظهر عنه ومن عاقبة أمره قتله أو حبسه أومنعه من الكلام • والأحب اليه قتله•

فلذلك صارت العلماء لا يظهرون علومهم للملوك بأسرهم ويكتمونها عنهم ولا يرغبون فيما يرغبونهم فيه من أمور الدنيا وأحوالها

واعلم يا أخي أن هذه الصناعة حق ويقين والعارف بها على حقيقة المعرفة قد وقف على الصراط المستقيم «وانه لقسم لو تعلمون عظيم» وانما ألقى الى العالم من علمها كالنقطة من البحر أو كالقطرة من القطر اذ كانت الدنيا بأسرها والارض بما عليها وفيها ببطنها وظهرها تشبه حبة خردل في أرض فلاة لم يدرك العقل سعة اقطارها بالقياس الى فلك القمر الذى هو أصغر الافلاك كلها

واذا كان ذلك كذلك فقد صح أن خلافة الله تعالى هي أمر خارج عن تدبير السياسة البشرية أن يعرفوه وعلم خفي عنهم أن يعلموه

واعلم يا أخي أن البيت الذى فيه سر الخلافة وعلم النبوة هو البيت الذى وسموا أهله بالسحر العظيم في الجاهلية والاسلام لما يظهر منهم من الآيات ويعلمونه من المعجزات ! فلم يجد أعداؤهم حالا يضعون بها من منازلهم — لما عجزوا عن العمل بمثل ما يعملونه وجهلوا العلم الذى يعلمونه — إلا أن قالوا انهم سحرة وان لهم أعواناً من الجن يمدونهم بذلك .

وهيهات حيل بينهم وبين ما يشتهون ! ! وان هو الا علم إلهي وتأييد رباني تنزل به ملائكة كرام كاتبون وحفظة حاسبون يلقونه بأمر الله عز اسمه على من اصطفاه من خلقه وارتضاه بخلافته في ارضه

واعلم يا أخي أن حجة الله تعالى في خلقه وأمينه في أرضه من عالم الحيوان

هو صورة الانسان وخليفته في أرضه على النبات والحيوان وكذلك في المعادن — كما قلنا فى رسالة أفعال الروحانيين أن الدائرة الواسعة تظهر أبداً أفعالها وتبين أفعالها فيما تحتها —

واعلم أن في الدائرة المعدنيـة جواهر فاضـلة شريفة وكذلك في النبات والاشجار ومايبدو عنها ويتكون منها وكذلك في الحيوان ملوكا ورؤساء — كما ذكرنا في رسالتنا الجامعة

واعلم أن في الحيوان ملوكا ورؤساء بعضهم جائر معتد يأخذ أموره بالقهر والغصب والظلم كأنواع السـباع والوحش فهى فى غاية الذم وقلة الانتفاع فى القرب منها بل الأولى الهرب منها والبعد عنها ، ومنها ملوك ورؤساء يأخذون أمورهم بحسن الخلق وطيب النفس مثل الفرس الكريم والبقر والغنم وكذلك فى الطير وهذا موجود فى الخليقة بأمرها والدائرة الارضية بأجمعها

واذا كان كذلك فى المعادن والحيوان والنبات فكيف لا يكون منـه فى عالم الانسان الذي هذا كله له ومن أجله ، وبهذا البرهان أن كل جبار وسلطان ظهر فيه الجهل ولم يوجد فيه العلم فهو مثل السباع والوحوش يأخذ من زمانه ما قدر عليه ومن وقته ماوصل اليه ، والمجاورون له فى تعب ونصب وخوف منه ومشقة مما يحملهم من مؤنته وفى مذلته من مملـكته

والذين هم الخلفاء بغير هذه الصفة مثل الانبياء والأئمة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنـكر هم خلفاء الله تعالي التابعون لأمره وبهم صـلاح العالم ، وربما كانوا ظاهرين بالعيان موجودين فِي المكان فى دور الـكشف ، وبالضد من ذلك فى دور السـتر غير أنهم فى دور الستر لايكونوا مفقودى الوجه جملة من أعدائهم

فأما أولياؤهم فيعرفون مواضعهم ومن أراد منهم قصدهم تمكن منه ولوكان غير ذلك كان منه خلو الزمان من الامام الذى هو حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجة ولا يقطع الحبل الممدود بينه و بين عباده ، فهم أوتاد الارض وهم

الخلفاء بالحقيقة فى الدورين جميعا ففى دور الـكشف يظهر ملكهم فى الاجسام والارواح وفى دور الستر يجرى أمرهم فى الانفس والعقول وأصحاب المملـكة الارضية والخلافة الجسمانية

وانما تظهر فى الاجسام أفعالهم دون الأنفس لم يملـكوا الملك الروحانى ولا أيدوا بالتأييد السماوى ولذلك صاروا مشاغيل بمثل ما يشتغل به البهائم ليس لهم همة الا البطن والفرج ، وكذلك ليس لهم همـة الا جمع ذخائر الدنيا وجواهرها واغتنام لذاتها والحرص على نيل شـهواتها كما قال تعالى(زين للناس حب الشهوات من النسـاء والبنين و القناطير المقنطرة) الى قوله جل جلاله : (والله عنده حسن المـآب) وهؤلاء الناس هم المغرورون بالملك الارضى كما قال الله مخاطبا للانسان: (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم)

واعلم يا أخى أن المغرور المفتون بالدنيا هو الذي يقول لنفسـه اذا رأت العذاب (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) ويقول : ياليت لى رجعة ياليت لى كرة هيهات حق القول (لأملأن جهنم من الجن والانس أجمعين) . (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً) فقد بان لك يا أخي بهـذا البرهان الفرق بين خليفة الله وخليفة الشيطان والملك الارضى والملك السماوى

واعلم يا أخى أنه بهذه الصناعة يكون لك معرفة الملوك والرؤساء والسلاطين والمديرين وأتباعهم وما يكون من أمورهم وأحوالهم وحال من يعاديهم ويخرج عليهم فى زمانهم ويضايقهم فى مكانهم ، واذا عرفت ذلك واطلعت عليه طابت نفسك بذلك وسكنت الى ماعلمته وملت نحو الخليفة الذي عنده الحق واليقين واستخلفته على نفسك الزكية وروحك المضيئة ، وان قدرت عليه ووصلت اليه فقد نجوت ووقفت على الطريق الواضحة والمحجة اللائحة ، وان عدمت ذلك فاجعل الخليفة على نفسك عقلك واقبل منه أوامره و نواهيه واجتنب الهوى فانه خليفة ابليس فيك واياك أن يجتمع عليك الخليفة والمستخلف أعنى ابليس بالقوة وخليفته فيك بالفعل ! وذلك اذا استولت نفسـك الحيوانية وقوتك الشهوانية على النفس الناطقة والقوة العاقلة فتهلك

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أن أقوى مايكون فعل ابليس في دور الستر ، وذلك لان حجة الله عز اسمه في أرضه وخليفته في عباده يكون مختفيا مستورا وان كانت أنواره تضيء في نفوس العارفين به والراجعين اليه الذين لا يغرهم مايرونه من قوة ملوك الدنيا وخلفاء الشياطين ، فانها أمور زائلة مضمحلة فانية لا بقاء لها ولا دوام ولا ينظروا من أمامهم الى ملكه وسلطانه في دور ستره ولا يشككهم فيه دور الخفاء والاستتار بل يكون الامام عندهم في حال ستره وخفائه لان جميع مايجوزونه على النبي المرسل فقد يجوزون مثله على الوصي وعلى الامام ، اذ كان النبي أشرفهم وأعلاهم رتبة : فهم يجوزون على النبي الموت والقتل والهرب من الاعداء ، اذا لم يجد أنصاراً ، والاكل والشرب والنكاح والفرح والغم ، وأن الامور الفلكية تطرأ على أجسامهم كما تطرأ على أجسامنا غير أن نفوسهم الروحانية الشريفة النورانية هي من خارج الافلاك فلا يحكم الفلك على أنفسهم بل على أجسادهم ، وانهم بالاجساد مثلنا غير ان بالانفس فرقاً بيننا وبينهم مثل ما بين الحيوان الغير الناطق وبيننا .

وهذا ميدان يطول ، ان أردنا شرحه خرجنا عن غرض هذه الرسالة فنعود الى ما كنا فيه فنقول : واذ قد ذكرنا كيفية ابتداء المملكة وعقد التاج ونصب سرير الملك فلنذكر من علم هذه الصناعة والعمل بها كيفية نصب لواء العز والولاية وعقد التاج وعلامة الحروب فهو أحسن أعمال هذه الصناعة بعد ماذكرناه

﴿ فصل ﴾

قال بطليموس : انظر الى القمر في عقد الولاية عند ذلك العمل وما يلي الحبايات له فلا تسقطه من المشتري ، واجعل زحلا متصلا به القمر في بيت زحل من التثليث أو التسديس في أول الشهر واجعل القمر في بيت زحل والقمر في التثليث أو التسديس — كما وصفت لك في أول الشهر — واجعل السعود تنظر الى القمر بعض النظر ، فاذا كان ذلك كذلك فان تلك الولاية وذلك العقد تدوم ويطول على قدر مايرى من قوة المريخ سنين ثم أشهراً ثم أياما ، فان كان المريخ في الموضع الذى وصفت

والقمر والسعود معه في أول الشهر فان ذلك الوالي يفسد عليه أهل عمله ويشنعون عليه ويخاف عليه الجيش ونهب ملكه في عمله ذلك ، ويكون آخر أمره الى السلامة لمكان السعود والقمر ، وان كان المريخ في آخر الشهر فانه موافق جيد ، وان كان المريخ وزحل جميعاً ينظران الى وسط السماء نظر عداوة فان ذلك اللواء يخاف عليه الهلاك ويقتل صاحبه أو يحبس في حبس يموت فيه أو يؤتى من بعض أهل عمله ، وان كان زحل في آخر الشهر فانه مذموم ان كانت له حصة قوته ، إلا أن يكون ضعيفا لاحصة له ويكون السعود عليه قويا ، واذا كان القمر في زحل والعقد في نظير الطالع كان صاحبه هيوبا ويخاف الناس منه .

وانظر عند ذلك الى القمر فان كان مقبولا فهو يدل على أن رعيته يحمدونه وان لم يكن مقبولا كان مذموما عندهم الى أن يخرج عنهم ، وان كان منحوسا زاد شراً ولقوا منه شدة .

وعلى هذا القياس يكون العمل بما يتفرع لك من ذلك به

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه أن اللواء الذي يعقد للنبي والامام صلوات الله عليهم هو يكون بعلم هو أعلى من هذا وأوضح . وذلك أنه عقد بقصد التأييد وموافقة التسديد ولا يعقده النبي والامام الا لمن يكون منه بالمنزلة التي يستحق بها ميراث ذلك العلم ، مثل عقد رسول الله ﷺ الراية ، قال لاصحابه : (لاعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار لا يرجع حتى يكون الفتح على يديه) ، وكان ذلك كذلك .

ومثل الوقت الذي أخرجه فيه الى شيطان الاحزاب وما اتبعه به من الدعاء المستجاب في الوقت الذي ينبغي ذلك فيه ، وبمثل هذا العلم يكون لك المعرفة بأفعال الأنبياء والأئمة وما يعلمون من أعمالهم لأصحابهم ومن يتبعهم فانهم يعطون لكل واحد منهم من ذلك ما يستحقه من منزلته ويصدر عنه من فضيلته عندهم وكرامته لديهم ، ويزيد ذلك وينقص بحسب مايرون له من الصلاح في ذلك —

ولما ذكرنا أنا نورد من مستحسن هذه الصناعة وغرائب عجائبها ولطائف أسحارها ،ذاكرناك بهذا الفصل وهو علم غريب وسحر عجيب ،اذا أردت المضى أنت أو من يتفق له ذلك من اخوانك أو من سألك عن حال دعوة أو وليمة قد دعى اليها ويريد المضى اليها كيف يكون حاله وصفة المجلس ومن يحضر ومايحضر فيه من الطعام والشراب والندماء وكيف صاحب الدعوة وماصفة جميع ماهم فيه؟ فأبدا بالقول عليه والحكم بما نبين لك فى هذا الفصل

﴿ فصل ﴾

اذا أردت ذلك فانظر الى الطالع فانه يدل على مايؤكل في المنزل :

ومن البرج الثاني من الطالع يعرف ماهية مايؤكل.

ومن البرج الثالث يعرف صفة الجلساء ونعت الندماء.

ومن البرج الرابع يعرف الموضع الذى يجلس فيه أهو غربى أم شرقى قبلى أو شمالى أجيد أم ردى.

وأعلم أن من البرج الخامس يعرف الشراب ماهو ،ومن البرج السادس يعرف خدمهم ،ومن البرج السابع يعرف الموضع الذى يذهب اليه بكرم فيه أم لا

ومن البرج الثامن يعرف هذا الخبز والطبخ، ومن البرج التاسع يعرف قرينك في الموضع الذي تجلس الى جانبه .

ومن البرج العاشر تعرف صاحب البيت الذى دعاك ، ومن الحادى عشر يعرف حال المغنين ، ومن الثاني عشر يعرف نساء البيت ورجالهم.

فان كان القمر في الطالع فطعامهم يكون الغالب عليه الرطوبة وقلة الطعم الطيب وكثرة المرقة والمائية عليه غالبة.

وان كان القمر مع المريخ في الطالع فانه يقع في الدعوة شيء كثير.

وان كان القمر والمريخ في وسط السماء يكون فى الدعوة سفك الدماء بجرح أو قتل.

وان كان القمر مع عطارد فانه يحدث فى المجلس شراء أو بيع

وان كان القمر مع الزهرة كان في الدعوة طرب ولهو

وان كان واحداً مما سميناه فى الطالع فهو بمنزلة القمر في ذلك

وان كان القمر ينظر الى زحل من التثليث والقمر في برج من بروج الماء فان الذي يؤكل في الدعوة سمك أومما يكون في الماء من الحيوان .

وان كان القمر في الميزان فالمأكول حبوب

وان كان القمر فى الجوزاء والدلو فالمأكول في الدعوة لحم طير

وان كان القمر ينظر الى زحل من تربيع أومقابلة فالمأكول فى الدعوة لحم بارد

وان كان القمر مع المريخ أو ينظر اليه فالمأكول لحم حار

وان كان زحل فى الخامس من الطالع فان شرابهم مر

وان كان المريخ فى الخامس فشرابهم حامض

وان كان المشترى وعطارد في الخامس فشرابهم شديد الحلاوة

وان كانت الزهرة في الخامس فشرابهم بين الحلاوة والمرارة : عطر الرائحة طيب الطعم مليح اللون

وان كان القمر في العقرب مع ذنب فاحذر أن تسقى السم في مجلسك

وان كان القمر فى الاسد فاحذر اللحم ، وان كان فى القوس فاحذر أن تأكل لحم الصيد .

وان كان القمر في الميزان فاحذر أن تأكل الفجل والحبوب . وان أكلت ضرك والله اعلم بالصواب .

فانظر ياأخى الى هذا العلم العجيب والصناعة المتقنة الحاوية لجميع مايجرى في الموجودات ويحدث من الكائنات ماأحسنه وأحسن العمل به والحكم عليه ، وبهذا العلم يكون الاخبار لمن صح له العمل بما يكون قبل أن يكون وهو ضرب من علم الغيب الارضى وكذلك مايكون بالزجر والفال.

﴿ فصل ﴾

ومن مستحسنات هذه الصناعة وعجائب أسرارها معرفة حال من يريد زيارة قوم والمبين عندهم ومايكون من أمره فى ذلك الموضع وماينتهي اليه حاله .

اذا أردت ذلك فانظر الى الزهرة فانها الدليل على حال النساء وان كانت فى بيت المريخ أو زحل فانه يأتي تلك الليلة امرأة غير امرأته وان كانت الزهرة فى بيت عطارد أو الدلو أو الجدي أو السرطان والقمر معها فانه يبيت في بيت مضيء مشرق عند امرأة عزباء وان نظر الزهرة والقمر جميعاً في بيت المريخ فانه يأتى امرأة عانقاً وكذلك ان نظرت من السابع الى بيت المريخ على أي حال كان ونظر اليه ربه كان مثال ذلك .

وان كان المريخ في السابع ونظر الى درجات الطالع فانه يأتى الرجال والنساء في أدبارهن ، وان نظر عطارد من السابع كان مثل ذلك ، وان نظر المشترى الى الزهرة فانه يأتي امرأته .

واذا كان الطالع برجا ذا جسدين وتنظر الزهرة من السابع فانه يقضي حاجته ويبيت وحده ، واذا نظر القمر من السابع الى برج ذي أربع قوائم وكان بين زحل أو درجاته فانه يأتى الدواب ، واذا نظر زحل من بيته من السابع الى الطالع فانه يأتي نساء أصحاب حرث ويبيت من الارض في موضع مظلم قذر .

واذا كان المشترى كذلك فانه يبيت مع امرأة جميلة حسناء وان كان المريخ والزهرة جميعا فانه يأتي نساء فى هول وخوف وهو من ذلك على خطر .

وباقى هذا الباب مذكور فى كتب أحكام النجوم ، وانما أوردنا من ذلك المقدمات فاذا وقفت عليها صح لك ماقلنا ، اذ جميع مايحدث فى العالم البشري والخلق الارضى بتدبير فلكي وأمر سماوي ، اذا كان العالم السفلى مربوطاً بالعالم العلوى في جميع أموره وأحواله ، وانما أردنا بما ذكرنا من هذا العلم ليعلم اخواننا أيدهم الله أن فضيلة العلم هي الموجبة للانسان اسم الانسانية التى يتهيأ له بها الوصول الى الصورة الملكية والرتبة السماوية والعلم بالامور الغائبة عن العيان والمتقدمة بالزمان والمستقبلة الكيان ، هي من أشرف العلوم وأجلها ومعرفة ذلك تكون بعد الحذق بالصنايع كلها والتمهر فيها وطيبة النفوس وسلامة القلب والتسليم لما يكون ، وقلة الجزع والخوف مما لابد منه ومن كونه استدفاع بالدعاء والتضرع الى الله تعالى والخوف منه وحده لا شريك له .

ولعل كثيراً ممن يقف على رسائلنا هذه يظن أن مرادنا فى وضعها هو تعليم علم النجوم ولعمري أن ذلك من أحد أغراضنا فيها لأننا نحب لاخواننا أيدهم الله أن يقفوا على جميع العلوم ويتعلموها ولا يجهلوها اذ كان مذهبهم هو النظر فى جميع العلوم واستقراؤها كلها والاحاطة بمعرفة ظواهرها وبواطنها ، وأكثر أغراضنا فيما وضعنا من رسائلنا كلها توحيد الله عز اسمه وتنزيهه عما نسبه اليه الجاهلون عن معرفته ، الحائدون عن محجته والمعرفة بما خلق من خليقته وأبدع من صنعته ، فان الاشياء كلها مربوطة بعضها ببعض محتاجة بعضها الى بعض .

وقد ظن كثير من الناس ممن سمع ذكر السحر والسحرة وأن من السحرة قوما يحيلون الصور عما هى عليه مصورة الى صورة أخرى وذلك لما رأوا صور درجات الكواكب ونوبهراتها في البيوت القديمة الباقية من عهد الحكماء الاولين المتقدمين من القرون الخالية والأمم الماضية .

فلما رأوا ذلك ظنوا بفساد ظنونهم أن تلك الصور المصورة والخطوط المسطورة هى مما كانوا يعملون به من السحر ، وأنهم كانوا ينزلون به الطير من الهواء ويستخرجون به السمك من قعر المياه بالكلام والرقى والعزائم ، وأنهم كانوا يسحرون الانسان حتى يصير حيواناً ولهم أوهام كثيرة فى مثل ذلك فاسدة . وليس الأمر كما ظنوا ولا الحال كما توهموا لكنها بالحيل التى عملوها والفخاخ التى نصبوها والصنايع التى أحكموها وهي السحر الموجود في العالم مادام العالم موجودا إنما هو موجود به . وقد ذكرنا في صدر هذه الرسالة ماهية السحر وأقسامه ومايختص بكل قوم من الناس وأصحاب كل صناعة ولولا خوف الاطالة لأتينا بذكر ما أسره أصحاب علم النجوم والذى به قدروا على ماقدروا من الاخبار بما كان ويكون وقد أتينا على شيء منه ونريد أن نزيد فى الاستدلال على مايعلم به حال المولود من وقت مسقط النطفة ونذكر في هذا الموضع العلم الذى يعرف به الجنين في بطن أمه أذكر أم أنثى ؟ وهل الحمل واحد أو اثنان ؟ وعن الحمل متى كان وغير ذلك

فصل

اذا أردت أن تعرف هل الحمل واحد أو اثنان فانظر الى الطالع فان كان برجا ذا جسدين وكان فيه كوكب ووجدت في بيت الولد مثل ذلك فانها حامل بتوأم ، وان لم يكن الطالع ولا بيت الولد برجاً ذا جسدين ولا فيه من النحوس شيء مما ذكرت ولا النيران في بروج ذوات الاجساد فانها حبلى بواحد. واذا أردت أن تعرف الحمل أذكر أم أنثى فانظر الى رب الطالع ورب بيت الولد ، فان كان فى بروج أناث فهو أنثى ، وان كان في بروج ذكران فهو ذكر ، وان اختلفتا فاستشهد بالقمر فأيهما يشهد فاقض عليه به

وأيضا اذا أردت ذلك فخذ من بيت القمر وهو السرطان الى القمر بدرج السواء وزد عليه درجات الطالع ثم الق من الطالع ، فان وقع في برج ذكر فهو ذكر وان وقع في برج أنثى فهو أنثى

فصل

في معرفة متى كان الحمل

اذا أردت ذلك فخذ من درجة صاحب السابع الى درجة وتد السابع وألقه ثلثين ثلثين ، فكل ثلثين بلغ فهو شهر ، فان كان أكثر من تسعة أشهر فالق منه تسعة وما بقي بعد ذلك فهو وقت الحمل . ووجه آخر انظر ماطلع مع الطالع فهو نوبهره ، وليكن لكل نوبهر شهر ولكل درجة وسبع دقائق وثلثين ثانية ، فبذلك يعرف وقت الحمل

فصل

واذا أردت أن تعرف متى تلد الحامل ليلاأم نهاراً فانظر الى الطالع وصاحبه فان كان في بروج النهار ولدت بالنهار وان كان في بروج الليل ولدت بالليل . فان اختلفا فاعمل بأكثرها شهادة

فصل

فى اختيار وقت الحمل

اعلم أن خير ذلك أن يكون القمر من الطالع فى برج ذكر فى مثلثة الشمس ، واحذر أن يكون في الطريقة المحترقة وليكن سليما من النحوس والاحتراقات ، وكذلك الزهرة لانها ان فسدت الزهرة فسدت الارض وان فسد طريق القمر فسد البدن ولم ينتفع به

فصل

في موت الجنين فى بطن أمه

اذا مات الجنين فى بطن أمه وخشى عليها في اخراجه الموت وأرادوا اخراجه فليخرجوه والقمر ناقص في الضوء هابط فى الجنوب ، وينظر المريخ والزهرة من التربيع والتثليث الى الطالع أو الى القمر . وأفضل ذلك أنه اذا كان القمر في برج مؤنث ويكون الطالع وصاحبه ينظر الى الزهرة والمشتري ناظراً اليهما وخير البروج التى يكون فيها القمر أو الطالع البروج الاناث المستوية الطلوع .

فصل

فى حال المولود فى بطن أمه

اذا وقعت النطفة فى الرحم دبرها زحل فى الشهر الاول بالبرد ، ودبرها المشتري فى الشهر الثانى ببعض الاعتدال ، ودبرها المريخ فى الشهر الثالث فصيرها دماً وفى الشهر الرابع تنفخ الشمس فيها الحياة باذن الله عز اسمه وفى الشهر الخامس تركب فيه الزهرة التذكير والتأنيث ، وفى الشهر السادس عطارد يصير فيها اللسان والاسنان ، وفى الشهر السابع القمر يتم فيها الصورة . وان ولد في تدبير القمر عاش وان تأخر رجع فى الشهر الثامن الى تدبير زحل ، فان ولد في الشهر الثامن — وهو لزحل — مات ، وان ولد فى التاسع حين

يعود التدبير الى المشترى نجا باذن الله وكان منه ما قدر له أن يكون فى مدة حياته وبحسب ماتولى مولده .

والوقوف على هذه الاسرار والاخبار بها والحكم عليها هو السحر للعقول لما يكون فيه من البيان الذى به يتميز الانسان من الحيوان ويستخرج بالزجر والكهانة مثل ذلك

﴿ فصل ﴾

اذا أردت أن تعرف مايكون من رسول يرسل في حاجة يأتي بها أم لا فانظر الى القمر والى صاحب بيت الخامس ، فان انصرف القمر أو صاحب بيت الخامس عن كوكب يشبه طبع الحاجة التى بعث بها ، فانظر ان كان مثل ذلك ثم اتصل بدرجة الطالع دل على أنه يأتي بقضاء الحاجة والا فلا .

﴿ فصل ﴾

في قدوم الرسول

اذا أردت أن تعلم هذا الرسول يسرع الرجوع أم لا وما يكون منه في غيبته فانظر الى الشمس ورب الطالع : فان كان في بيت السابع وواحد منهما قد اتصل الرسول ، وان كانا في الرابع فهو مريض أو محبوس ، وان كانا في الثامن فهو ميت ، وان كانا في التاسع فقد فصل ! وان كانا فى العاشر ونظر اليه المريخ فهو في يد السلطان الظالم ، وان كانا فى الحادي عشر فهو عند صديق ، وان كان القمر فى رأس الجوزاء وكان فى موضع حسن السعود ، فيبشر عن خبر الغائب بكل خير

﴿ فصل ﴾

فى معرفة ما فى الكتاب قبل أن تفض ختامه

اذا أردت ذلك فاقم الطالع وأنظر أين عطارد ؟ فان كان هو فى الطالع فاذفى الكتاب مايبين عن خبر صاحبه وحاله فى أمره فى نفسه وان كان فى الثانى فالكتاب فيه ذكر المال وأشباه ذلك ، وان كان في الثالث فالكتاب عن الاخوة الاقرباء

وان كان فى الرابع ففيه ذكر الاملاك والارضين والعقارات ، وان كان في الخامس فالكتاب فيه ذكر الاولاد والملبوس والافراح ، وان كان في السادس فالكتاب فيه ذكر المماليك والدواب والمريض ، وان كان في السابع ففيه ذكر النساء والتزويج وأشباه ذلك ، وان كان في الثامن فالكتاب فيه ذكر المهات والمواريث وان كان فى التاسع فالكتاب فيه ذكر الحج أو سفر فى وجوه البر والدين ، وان كان في العاشر فالكتاب فيه ذكر السلطان أو عن سلطان ، وان كان في الحادى عشر فالكتاب فيه ذكر الاصدقاء والاخوان ، وان كان في الثانى عشر فالكتاب فيه ذكر الاعداء

﴿ فصل ﴾

في ختم الكتاب

اذا أردت أن تعرف كتاباً هل ختم أو عليه خاتمه أم لا فانظر في ذلك الى عطارد والقمر فان اتصل القمر بعطارد فاعلم انه لم يختم بعد وان وجدت القمر منصرفاً عن عطارد بقدر حد الكوكب فاعلم انه قد ختم الكتاب واجعل الكتاب لعطارد والطين للقمر

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخى أيدك الله وايانا انما أخبرناك بهذا لكي تستدل به على غيره ولتعلم ان جميع الامور في عالم الكون والفساد صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها بتقدير فلكي وأمر سماوي وكلها مسطور فى كتاب مبين فمن أحسن قراءته أحاط بمعرفتها كلها وتشوقت نفسه الصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات ودار الحيوان وفسحة الرضوان وروضة الجنان دار الروح والريحان

﴿ فصل ﴾

في صدق الاخبار وكذبها

فان أردت معرفة ذلك فانظر الى الدليل وهو القمر فان اتصل بكوكب فى وتد فالخبر حق ، وان اتصل بكوكب ساقط فهو باطل ، وبالضد من ذلك

فصل

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه انك وجميع اخواننا محتاجون الى المعرفة بهذه الأمور لتكونوا أغنياء بما فى أنفسكم من المعارف والعلوم عن الحاجة الى من لايعرف قدركم فيكون له الفضل عليكم اذ قد جهلتم ماقد علمه واحتجتم فيه اليه وليس هذا صفة اخواننا الفضلاء لأنهم لايرضون لأنفسهم الجهل ولم يستقروا أو يطمئنوا الا بعد الاجتهاد والسعى فى الاحاطة بكلية العلوم بحسب الطاقة.

فلما بلغوا الى مااحتاجو اليه والى معرفته منها حازوا الفضيلة الانسانية ولذلك سميناهم اخواننا الفضلاء ، وارجو أن تكون منهم لسعيك واجتهادك في المعارف

فصل

اعلم أيدك الله تعالى انا نحب لاخواننا أيدهم الله مايكون به صلاح شأنهم واستقامة أمورهم فى دينهم ودنياهم.

ولما كان ذلك أكثر أغراضنا منهم بسطنا لهم هذا الكتاب وأوردنا فيه معرفة مباديء الاعمال والصنائع العلمية والعملية بحسب ما قدرنا عليه بتوفيق الله تعالى ، والذي حملنا على ذلك هو اننا لم نقتصر على علم واحد وصناعة واحدة لانا علمنا اختلاف طبائع الناس وجواهرهم وما يشتاق كل واحد منهم اليه بما يوافق طبيعته ويناسب جوهره من الصنائع وما أوجبه مولده له .

وذلك مثل اختلاف شهواتهم ومآكلهم ومشاربهم وجميع أحوالهم فجعلنا فى رسائلنا هذه من مبادىء الصنائع والمعارف والعلوم مايكون معيناً للمبتديء ورياضة للمتعلم ولم ندع فيما قلناه ، ولاتعدينا فيما وضعناه لأن الواجب علينا والعلماء أن نمحض النصيحة لاخواننا فى المقدار الذي وصل الينا من العلوم واستنبطناها ولا انا قد أحطنا بكليات العلوم والصنايع بأسرها ، ولأن هذه المقدمات التى أوردناها والعلوم التى ذكرناها نحن والمستخرجين لها من ذواتنا

انما أخذناها من كتب الحكماء والمتقدمين ما كان منهم من الصنايع العلمية وما كان من العلوم الحقيقية والأسرار الناموسية ، فمن خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم وأصحابهم والتابعين لهم باحسان . وكثير من الصنايع لم نذكرها وكثير من العلوم لم ننبه اليها ولم نصل اليها ولاخطر بأوهامنا معرفة كنهها وان فوق كل ذى علم عليم . لكنا أرشدنا اليها وأمرنا لاخواننا بالاجتهاد في الطلب والسعي في الاكتساب لمابه يكون فيه الصلاح فى معيشة الدنيا والآخرة

واعلم أن المراد من جميع الصنايع العملية والمعارف العلمية ينقسم قسمين لا ثالث لهما احدهما مايكون به صلاح الجسم وقوامه على الحالة الصالحة ، والآخر مايكون به صلاح النفس بعد مفارقتها الجسم والموت وكونها في معادها على الحالة الصالحة لها ، واذا كان ذلك كذلك فالواجب عليك أيها الاخ أن تحرص وتجتهد فيما تكمل به السعادتين وتنال به المنزلتين ، والسبب في اختلاف الصنائع وكثرة أنواعها هو لاجل عمارة الدنيا وما هي مبنية عليه من التضاد والاختلاف فى الأفعال والاعمال وبهذا الاختلاف والتضاد يصير أمرها الى الهلاك والاضمحلال

واعلم ياأخي انه من وفق له أن ينال مابه قوام نفسه وجسمه من علم واحد ومعرفة واحدة فقد نال السعادة الكاملة والنعمة الشاملة وهو أن يكون منزها عن الافعال الدنية والصنائع المتعبة والأعمال الشاقة وتكون صناعته منطقية لا يحتاج الى آلة صناعية ولا يستعين عليها بشيء من أعضاء جسده الا باللسان والقوة المحركة لليد بالكتابة ، لمايحتاج أن يكتبه واستعمال الفكر والروية وجودة الخاطر وذكاء النفس وجودة الحس . فلما طلبنا هذه المعرفة الجامعة لما ذكرنا ، لم نجد الا المعرفة بحوادث الفلك وأحكامه بعد معرفة علم الحساب وعلم العدد الذى به يقدر على ذلك من أراد . وبحسب معرفته بالحساب وعلم العدد يكون علمه ومعرفته بأمر النجوم وان كان علم الحساب والعدد هو المدخل الى جميع العلوم .

واعلم ياأخي ان الصنايع كلها ظواهرها موضوعة لصلاح الاجسام وبواطنها لصلاح الارواح ، مما كان منها معمولا به على ما وصفته الحكماء وأخبرت به الانبياء .

فاما ماوقع فيه التبديل والتغيير فقد خرج عن هذه الصفة وصار فتنة في الدين والدنيا فنظرنا الى الصنايع الحكمية فرأينا أقسامها معتدلة ونسبتها مستوية لانها متقنة ونتائجها حسنة وظواهرها مطابقة لبواطنها لا تخالفها وظواهرها دالة على اتقان صنع الصانع الحكيم سبحانه ، واحداثه الاشياء ، وبواطنها تدل على تنزيهه وتدعو الى عبادته وتدل على طاعته

واعلم يا أخي بان صناعة الحساب ومعرفته وعلم الفلك وحكمته كالملك ووزيره في الصنايع والاعمال ومابعد ذلك حتى تنتهي الى صنائع العامة والرعاع وأصحاب المهن الخسيسة والصنايع القبيحة المسترذلة ، فعلم الحساب هو كالملك اذ كان هو المحتوي على سائر العلوم والصنائع وبه يعرف مقاديرها وكمياتها وبداياتها ونهاياتها وبعلم الفلك الذي هو كالوزير للملك تعرف اينياتها وكيفياتها ومايدوم فيها وما لا يدوم والمسعود فيها والمنحوس فيها والاسباب في كونها والاحكام الجارية عليها والامور الواصلة اليها .

وبالمثال الروحاني والنسبة النفسانية ، قالوا ان علم العدد كالعقل الاول الحاوي لجميع صور الموجودات العاقل لها .

والعلم بحوادث الفلك كالنفس الحادثة عن العقل ولان النفس الكلية مربوطة بالفلك المحيط وهي المحركة له واذا كان ذلك كذلك فليس في العالم صناعة كاملة معينة لصاحبها على بلوغ المنزلة والدرجة السامية في الدين والدنيا الا المعرفة بعلم العدد وصناعة النجوم والمعرفة بأحكام الفلك وحوادثه ، وهذه طريقة الحكماء لأنهم لم يبدؤا بعلم من العلوم ولا بصنعة من الصنايع حتى احكموا المعرفة بهذين الاصلين فلما عرفوهما أبدوا ما أبدوه من الصنايع والاعمال ، وكذلك الانبياء صلوات الله عليهم لما أيدوا بمواد النفس والعقل دعوا الى الله جلت عظمته على بصيرة وكان من استجاب اليهم موفقاً للنجاة في دينه ودنياه والله أعلم

﴿ فصل ﴾

كان لنا صديق من فضلاء الناس وخيارهم من اخواننا وكان يستعين في معيشته بصناعة النجوم فحضرته يوما وقد جاءه رجل فجلس عنده وقال له قد جئتك

لتخبرني عما في نفسي فأخذ الطالع وقومه وجود الحساب وأحسن العمل وصدق العلم وأصاب الحكم ، فقال له تسأل عن شيء سرق ، قال نعم ماهو ؟ فاخبره عن جنسه ، فقال كم هو ؟ فاخبره عن كميته ، قال فمن أخذه وهل الآخذ له ذكر أم أنثى حر أم عبد فذكره ، فقال كم سنه فذكره ، فقال أين ذهب فاخبره ، فقال كيف هو ، فاعلمه ، فمضى في طلبه ثم عاد وقد أصاب ، فدفع اليه شيئاً صالحاً فاستحسنت هذا منه ورأيته سحراً مليحاً ورأيت منفعة عاجلة والظفر به مليحاً والحكم به مستحسناً فسألته أن يفيدني بذلك ففعل فكان بهذا محرضاً على طلب هذا العلم والحرص في بلوغ غايته والوصول الى نهايته فبلغت من ذلك بحسب التوفيق .

وأريد أن اذكر لك هذا الباب فانه لاغنى لك ولا لأحد من اخواننا أيدهم الله عنه وهو مذكور في كتب أحكام النجوم وجميع ماذكرناه آنفا . وكل ذلك فمن الحكماء أخذناه ، وعنهم رويناه . وكل منهم كذلك حتى يكون الاصل فيه المريدون بالوحي السماوي والتنزيل الرباني والامر العلوي

﴿ فصل ﴾

في الحكم على السرقة والسارق

ذكر أصحاب هذه الصناعة أن في ذلك أربعة أوجه أولها معرفة الشيء والثاني معرفة وجود السرقة والثالث أن لايوجد والرابع اللص وموضعه

أما معرفة الشيء الذي سرق فمن الحد الذي فيه القمر ومن جوهر ذلك البرج وامتزاج بعضها ببعض ، ثم اجعل الطالع وصاحبه والكوكب المنصرف عنه القمر للص . والثاني وصاحبه والكوكب المتصل به لما يلي السائل . والثامن وصاحبه لما يلي اللص ، والعاشر وصاحبه للمتاع . فان كان العاشر برجا من بروج الحيوان فاعلم أنه حيوان ، وان كان على صورة انسان فاعلم انه انسان وان كان من بروج العبيد فهو عبد والله أعلم

فصل

في معرفة السارق

انظر الى البرج السابع فان كان أنثى فهو أنثى ، وان كان ذكراً فهو ذكر وان كان ذا جسدين فالسارق نفسان مشتركان وان كان سعداً فهو حر ، وان كان نحسا فهو عبد

فصل

في معرفة سن السارق

انظر الى الدليل فهوعلى سنه والكواكب الشرقية تدل على الحداثة والشاب والغربية تدل على المشايخ والكهول . وان كان في وسط السماء فهو شاب وفي وتد الارض فهو شيخ . وان كان تحت الشعاع فكهل لاشيخ ولاشاب . وان كان في الطالع نجم غريب فهو دليل السارق . وان كان زحل فهو آدم أسود صغير العينين غليظ الانف طويل الاسنان غليظ الاظفار طويلها عراض مشقوق الرجلين . وان كان المشتري فهو أسمر تعلوه حمرة سمين سبط الشعر حسن العقل . وان كان المريخ فهو ذوجراءة واقدام في سعيه شاب أزرق أحمر اللون خفيف الشعر أشقر أشهب ربع غليظ . وان كان الشمس فهو أشهل حسن الجسم . وان كانت الزهرة فهو أشم جعدأسود حسن الحال والشباب كثير الجماع قبيح الصوت كثير الاهل والولد في جسده حرق نار . وان كان عطارد فهوحسن الجسم نظيف بطال . وان كان القمر فكبير آدم سخي الاصدقاء .

فان قيل لك أمعروف أم غير معروف فانظر الى الشمس والقمر فان نظرا الى الطالع فان اللص من أهل البيت ، وان كان أحدها فهو مختلط بهم في الدخول والخروج . وان كان الشمس والقمر ساقطين عن الطالع كان اللص غريباً الا أن يكون صاحب الطالع في الطالع أو يكون معه صاحب بيت القمر والشمس تنظر الى صاحبه .

واعلم انه اذا كان صاحب السابع في الطالع مع صاحب الطالع كان السائل هو اللص . وكذلك اذا كان الأوتاد ، فان كان صاحب السابع عن صاحب الطالع ساقطاً كان اللص غريباً

فصل

في اصابة ماسرق

اعلم يا أخي ان في ذلك وجوهاً ودلالات أولها أن يكون صاحب السابع يتصل بصاحب الطالع . فان ذلك يدل على ان الذي سرق المسروق يرده سريعاً . والثانى أن يكون صاحب السابع تحت شعاع الشمس ويتصل بصاحب الطالع فانه يدل على ان الذى سرق يظفر به من قبل السلطان وقس على ذلك الثالث والرابع والخامس أن ينظر مايكون في السلطان الذي ظفر به معه ا نظر الى وسط السماء فان ذلك يدل على السلطان والسارق . والسادس والسابع والثامن وباقي الباب على هذا المثال . وكذلك يخرج الحادي عشر اذا اتصل القمر بصاحب الطالع واذا اتصل القمر بالشمس فان ذلك يدل على انه يظفر بما سرق

فصل

في معرفة اللص

فاذا علمت ان اللص من أهل البيت فانظر الى ذلك الكوكب الذي دل عليه ان كان المريخ فهو أخوه . وان كانت الشمس فهو أبوه فان كانت الزهرة فهو امرأته . وإن كان القمر فهو أمه . وان كان زحل فهوعبده . وان كان المشتري فهو ولده وكذلك جواهر الكواكب . وان كان الثاني في الطالع كانت السرقة في البيت مع السائل

فصل

في معرفة هل السارق مقيم في البلد أم سافر

اذا كان صاحب الثاني متصلا بصاحب الثالث أو التاسع دل على هرب السارق .

وان اتصل بصاحب العاشر دل أن المتاع عند السلطان .

وصاحب السابع اذا كان فى التاسع أو متصلا بكوكب في التاسع أو الثالث أو باصحابهما دل على أن السارق خرج وسافر .

وصاحب السابع اذا كان فى التاسع من السابع دل على أن السارق ليس من أهل البلد .

وصاحب السابع اذ كان فى شرفه دل على أن اللص غريب شريف

وان كان المريخ في السابع أو صاحبه كان السارق أعجمياً والسرقة عمله . وكذلك فقل في جواهر الكواكب السبعة .

وان كان صاحب السابع في موضع جيد دل على قوة السارق .

وان كان صاحب السابع زحل كان اللص أخذ الشيء بحيلة

فصل

فى معرفة الموضع الذى فيه السرقة

اذا أردت أن تعلم أين المتاع فانظر الى البرج الرابع فان كان ذا أربع قوائم فانه بحيث يكون شيء من الحيوان .

وان كان برجا على صورة الناس وفيه المريخ كان في موضع فيه حديد أو يستعمل فيه حديد ومخلوط به .

وان كان المريخ ينظر اليه فهو في آلة النار التى تشتعل فيها أو في مكانها

وان كان فيه عطارد كان عند انسان صناعته الكتابة أو عند كتب موضوعة .

وان كان فيه الزهرة فهو عند امرأة أو شيء من آلة النساء .

وان كان ذلك البرج مائياً كان عند ماء أو في ماء .

وان كان فيه زحل كان في موضع قذر كالكنيف وماشا كله . ثم انظر الى القمر فى أي الاوتاد هو شرقى أم غربى قبلى أو شمالى فهو يدلك أن الموضع في تلك الناحية ان شاء الله . وانظر أيضاً فان كان الطالع الحمل والاسد ففى الجبال .

وان كان في آخر القوس أو الثور فانه في موضع الدواب والبقر .

وان كان في آخر الجوزاء فانه في بستان أو كرم أو موضع شجرة .

وان كان في السرطان أو العقرب أو الحوت ففي الماء أو قريب من الماء .

وان كان في السنبلة والميزان والدلو ففى بيوت الناس .

وان كان في الجدى ففى الارض أو تحت حجر أو تحت حائط .

وان كان الطالع الجوزاء والشمس فى الطالع أو تنظر اليه فان السارق في بيوت الملك والسلاطين أو حكيم أو تاجر .

وان كان القمر في الحوت فان السرقة فى نهر أو ساقية أو عين .

وان كان المريخ فى الطالع كان فى مواضع السلاح ودكاكين الحدادين أو مواضع النيران

واعلم انه اذا اتصل القمر بنجم نحس من التثليث أو التسديس فانه يدل على انه يؤخذ سريعا أعنى السارق .

وان كان من التربيع كان فيه مشقة

فصل

في معرفة جنس المسروق

انظر الى القمر فان كان فى الحمل ومثلثه فانه جوهر نارى مما يخرج من المعادن والجبال .

وان كان عند ذلك فى حد المريخ فانه ذهب أو فضة .

وان كان القمر في الثور ومثلثه فهو من جواهر الارض ونباتها .

وان كان القمر في الجوزاء ومثلثاتها فهو جوهر حيوانى . فان نظر اليه صاحبها فهو حيوان .

وان كان القمر في السرطان ومثلثاته فهو حيوان الماء ، فانظر الي صاحب بيت القمر ، فان كان في الحمل ومثلثاته فانه نبات يريد الكسر فى نباته .

وان كان فى الجوزاء ومثلثاتها فانه حيوان الماء وعلى هذا القياس يكون معرفة كيفيته وكميته .

واعلم يا أخي ان هذا الحكم والعلم بما ذكرناه ووصفناه وبينا شيئا منه هو من الابواب الغامضة من علم النجوم التي لا سبيل الى معرفتها إلا بجودة الحساب ودقة النظر واستخراجها وقد يكل كثير من أهل زماننا ممن يتعاطى معرفة علم النجوم عن استخراج ذلك والعمل به والحكم عليه والذي نريد لاخواننا أيدهم الله أن لا يدعوا انهم يعرفون شيئا من العلوم الا بعد الاحكام له والمعرفة به والتمهر فيه والتجربة له لما نتخوف عليهم من الخطأ والكذب الذي هو مجانب لصفاتهم ، لان كثيراً من الجهال يدعون ماليس لهم أن يدعوه فاذا وقع به الامتحان افتضحوا وتزيفوا ونسبوا الى الكذب وسقطوا في أعين الممتحنين لهم حتى انه ربما يكون معهم حق ولا يقبل منهم ولا يؤخذ عنهم ويكون ذلك كسرا لهم وحسرة في قلوبهم وقاطعاً لهم عن العلم والعمل والذي وجب علينا من النصيحة لاخواننا مافعلناه وأبلغنا لديهم النصيحة وأدينا اليهم الامانة وأردنا لهم ماأردنا لانفسنا وأردنا بذلك أن تكمل لنا درجة الايمان كما قال النبي ﷺ لا يكمل (١) للمؤمن ايمانه حتى يرضى لاخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه .

وقد وشحنا رسائلنا هذه بلمع من العلوم والمعارف ومايجري مجرى السحر المعقول من الاخبار بما يكون وكان لانه من أشرف المعارف وأحكم العلوم التي يختص الانسان بها وأوائلها مأخوذة عن الملائكة بالوحي والالهام

واعلم يا أخي انه لاسبيل لاحد من البشر الى الاحاطة بها جميعها بأسرها . وانما من الله على خلقه بشيء منها على لسان أقربهم اليه وأحبهم لديه وأكرمهم عليه بوساطة الملائكة بينهم وبينه كما قال عز اسمه (ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم) ومما يجب لاخواننا أيدهم الله أن يعلموه ويقفوا عليه من هذا العلم ما يكون من الحروب في المواضع وبين الملوك وفي أي وقت تكون ليحترزوا فيها ويبعدوا عن مواضعها اذ ليسوا هم أصحاب الشرور والفتنة وانما هم أصحاب خير وسلامة وعبادة وزهادة وعلم وحكمة

(١) حديث مأخوذ بالمعنى لا باللفظ اهـ

فصل

١ في معرفة الحروب وأوقاتها

اذا أردت أن تعلم هل في السنة التي أنت فيها أو المستقبلة ان كنت في آخر الماضية حرب فانظر الى المريخ في تلك السنة فان كان في الاوتاد فانه يكون وان كان ساقطا فلا يكون

فصل

في معرفة انه متى الحرب تكون

اذا أردت ذلك فخذ من درجة المريخ الى درجة المشتري ثم القه من الطالع فحيث نفد الحساب ففي ذلك الحد تكون الحرب ووجه آخر اذا أردت أن تعلم هل يكون ذلك أم لا أو متى يكون

فانظر الى الاوتاد الأربعة فان كان بهرام في أحد الأوتاد فانه لابد أن يكون قتال .

فان نظر رب البيت الى بهرام في أحد الاوتاد فانه يكون عاجلا قريباً من وقت نظرك .

وان كان بهرام في الطالع فانه يكون بناحية المشرق وبخراسان.

وان كان في وسط السماء فانه يكون بناحية اليمن ونحو القبلة.

وان كان في الغارب فانه يكون نحو المغرب

وان كان في وتد الارض فانه يكون بناحية الشمال

وان كان بهرام في الوتد فانه يكون قتال .

وان أردت أن تعلم متى يكون هذا القتال فانظر الى بهرام كم من درجة في برجه فان كان في العشرة الاول فانه يكون في أول السنة .

وان كان في وسط البرج فانه يكون في وسط السنة

وان كان في آخر البرج فانه يكون في آخر السنة والله اعلم.

ومما يحتاج اليه اخواننا أيدهم الله اذا غاب بعضهم عن بعض وأراد أحدهم أن يعرف حال صاحبه اذا غاب عنه هل هو حي أم ميت لانهم قد يبتلون بفرقة الاحباب ومصائب الايام ونكبات الزمان واستتار الرؤساء وغيبة الفضلاء في وقت من الأوقات التي يخافون فيها على نفوسهم من الأعداء المتغلبين والرؤساء والظالمين .

﴿ فصل ﴾

في معرفة حياة الغائب ومرضه وموته

اذا أردت أن تعرف ذلك فاجعل نفسك السائل واجعل الطالع لك أو لمن سألك عنه والسابع للغائب ثم استدل علي موت الغائب اذا كان صاحب الطالع ساقطاً عن الاوتاد أو محترقاً أو متصلا بصاحب الثامن من الطالع في موضع رديء ويكون القمر مع النحوس في الهبوط في وقت المسألة أو يكون في الثاني أو الثامن عشر أو السادس فان ذلك يدل على ان الغائب ميت.

﴿ فصل ﴾

في معرفة حياة قوة رب الطالع

وسقوطه عن رب الثامن واتصاله بكوكب سعد من تثليث أو تسديس وسلامة القمر في وقت المسألة فوق الارض.

وكذلك رب الطالع ويكون القمر سالماً خارجا من السادس والثاني عشر والثاني والثامن في السابع فهو حي بسلامة في نفسه

﴿ فصل ﴾

في معرفة مرضه

فاذا أردت أن تعرف أمريض هو أم صحيح فانظر الى رب الطالع والقمر فان كانا مع صاحب السادس أو في بيته فهو مريض .

وكذلك ان كانا في هبوطهما أو محترقين فهو مريض ، وان لم يكن القمر ولا صاحب الطالع معهما فليس بمريض.

﴿ فصل ﴾

في معرفة كيفية الموت

المشترى اذا كان في الطالع وهو متصل بكوكب في الطالع مات ميتة سوء ، وان كان في العقرب مات غريقاً ، وان اتصل ببهرام قتل أو غرق.

وان كانا مع ذلك في برج الاسد أكلته السباع أو نكبته نكبة من قبل السباع فيموت .

وان كان زحل : يسقى من السموم القاتلة التي لا يطلع عليها أحد.

﴿ فصل ﴾

اذا كان أحد من اخواننا في مدينة وحل بها حصار من عدوه وأراد أن يعرف كيف فتحها فلينظر حال الطالع والقمر وحال رئيس المدينة وبرجها وجواهرها معها ويستعين بشهادات النجوم المعينة لها فيقومها بمواضعها ومزاجها وجواهرها .

وان كانت النجوم فيها وهي في أوائلها فهي تفتح من قبلها

وان كان في أحد الاوتاد المريخ فهي تفتح بالسيف

وان كان زحل فهي تفتح بالخديعة والمكر، ويعرف الاوتاد الاربعة فانها تدل على الحصون ، فان كانت فيها النحوس فتحت

وان كانت فيها السعود والنحوس معاً لم تفتح الا على صلح

وان كانت تلك النحوس أربابها كان الفتح من أهلها عن صلح

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن العلوم كثيرة لا يحيط بجميعها احاطة الا من له الخلق والامر ولهذا قال بعض العلماء بصناعة أحكام الفلك: اني وجدت

فيما يستدل به على هذه الامور ستة وثلاثون بابا على عدد وجوه البروج وهي ستة وثلاثون وجها اذا وضعت مع قوى الكواكب وذكرفيها كواكبها يخرج عن حد رسائلنا هذه ولو قدرنا على وصف كل دقيقة والاحاطة بمواضعها لكنا مقصرين عن كثرة مايوجد في هذا العلم من الصفات المتشابهة والدلالات المختلفة فاذا كان التقصير والعجز يلزمنا فيما يحدث في هذا العالم الارضي والمركز السفلي فكيف لايلزمنا التقصير والعجز في معرفة ما يحدث في العالم السماوي والمكان العالي بل اضعاف مايلزمنا فيمادونه

والبرهان على ذلك انا لا نجد الاتفاق في أكثر الأشياء بل الاختلاف والتضاد أكثر من الاتفاق في الفروع فاما الاصول فمتفقة غير مختلفة ، ولكن القوى التي تصدر عنها والاجناس التي تظهر فيها وما يتركب من الأجناس من الانواع وما يتفرع من الانواع الى الاشخاص ومايختص بالاشخاص من الصفات المتباينة والالوان المختلفة والهيآت المتفاوتة في الصغير والكبير والطويل والقصير والكون والفساد وغير ذلك مما هو موجود في الاجساد والاجسام .

واذ قد ذكرنا من السحر مايعمل به بواسطة العقل وهو البيان والكشف عن حقائق الاشياء وهو مانطقت به الانبياء بعلمه وأتت به الحكماء من الكتب المنزلة والآيات المفصلة ومايظهر من السحر بواسطة النفس وهو الاطلاع على ماكان وعلى ما يكون في ابتداء الاعمال والمعرفة بما يحدث في العالم من الاحوال والافعال والقول بها والحكم عليها وبما يكون فيها — ويختص بهذا العلم اصحاب الحكمة الفلكية والعلوم النجومية

وقد ذكرنا في ذلك نبذاً ولمعاً لتكون تنبيها للغافلين وموقظاً للساهين عن النظر في آيات الآفاق والأنفس ، لان اكثر أغراضنا في جميع ما ذكرناه وكل ما وصفناه ،الحض على تعليم العلوم والاطلاع على ماخفي من أسرار الخليقة ليكون ذلك قائداً لاخواننا أيدهم الله الى أجل السعادات وأرفع الدرجات ويصير لهم بذلك رتبة في محل السموات وفضاء الافلاك الواسعات ، لأنه لايتهيأ له الصعود

الى هناك الا أن يكون من العلماء العارفين والموقنين المستبصرين ، ومحل الجنان ودار الحيوان أولى بالارواح الزكية والنفوس المضيئة من محل الهوان ، ودار الاحزان والمصائب والاسقام أولى بالارواح النجسة والنفوس الرجسة .

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله تعالى أن كل علم صدر وكل فعل ظهر عن الانبياء والمرسلين ومن خلفهم من بعدهم ومن خلفائهم الراشدين وأهل بيوتهم الطاهرين ومن صحبهم من المؤمنين فهو سحر عقلي ، وأمر الهي ، يسحرون به عقول المؤمنين الذين صبوا لهم وسلموا لأمرهم فيما أتوا به وتحققوا صدقهم ، واثقين به مطمئنين لحقهم ، فهو السحر الحلال المبين ، والقول الصادق اليقين وهي القوة الناموسية المؤيدة بقوى النفس الكلية بما أوحى اليها من القوة العقلية بالمشيئة الالهية والعناية الربانية ، وكلما ظهر من الحكماء أو الفلاسفة والعلماء من الاعمال والصنائع والحرف والمهن والعلوم الرياضية والاخبار بأمر النجوم والحكم بها على ما كان ويكون ، فهو سحر نفساني بواسطة الطبيعة لان مايظهر من فعل النفس العقلية بواسطة الطبيعة ، يكون لتركيبه في الهيولى بما يظهر للنظر ويدرك بحاسة البصر منا لاصباغ والالوان والمقادير والابعاد والاجناس والأنواع والاشخاص ، لان الباري سبحانه جعل العقل سابقا والنفس لاحقة والطبيعة سائقة ، والهيولى لاحقة

فالعقل هو الخلق الاول والنور الاطول الذي قصرت الانوار كلها عن أن تطاوله اذ هو مستمد لانواره الفاضلة وخيراته الكاملة من باريه جلاجلاله وتقدست أسماؤه فهو يستكمل الفضائل والخيرات مبرءاً من الشوائب والتغييرات من جهات النقص الواقع بمن دونه من المخلوقات الروحانيات والجسمانيات . اذ كان هو التام المعطي لمن دونه صورة التمام وهو المرتب لكل موجود منه وصادر عنه مرتبة الدوام وموفيه حظه اللائق به في لزوم النظام واعتدال الاقسام

وكذلك جعلت له القوة الحافظة على جميع الموجودات ذواتها والقوة بموجود ذاتها وبخاصته المختص بها ، يعطى الموجودات خواصها الخاصة بواحد واحد منها بحسب ما يستحقها ويليق بها ، وهو الساحر الاعظم الذى سحر الاشياء كلها اذ كان هو المبين لها وبه تكون المعرفة بها والاطلاع عليها ، وبه انسحرت النفس الكلية ، اذ هو المظهر لها والمبين لها وما يخفى عليها ، والجاعل فيها ماظهر منها وصدر عنها

فلذلك صار العقل الخاص به يظهر بوساطتها ، وبه يكون سكونها ووصولها الى حد طمأنينتها التى بلغت الى خيراته الدائمة ، ووصلت الى فيوضاته الشريفة وأنواره اللطيفة ، وأفعاله المختصة به ، التى اذا ظهرت بوساطة النفس الكلية للنفوس الجزوية وانطبعت فيها أوصلتها اليه وقدمت بها عليه ، فبه يكون خلاصها ونجاتها من أسر الطبيعة وموت الخطية وفساد الهيولى وذل العبودية

وأما أفعال النفس الظاهرة بوساطة الطبيعة فهو ما يظهر من أفعال البشر من الصنائع والمهن ، ونريد أن نذكر طرفاً منها اذا كان ما يعمل منها هو السحر الطبيعى وبه يكون التلون والتشكل والصبغ والتصور وقلب الاعيان وتتميم الكيان الطبيعى والامتزاج المعدني وبه سحر العالم الناطق بعضه بعضا ، كل بحسب ماقدر عليه ووصل بقوته المجهولة فيه اليه

واعلم يا أخى أيدك الله تعالى انه لما كان أعلى الصنائع العامية ، وما يعمل بالقوة العقلية والفكرة النفسانية ، خالصة لا تشركه القوى الطبيعية ولا تحتاج فيه الى مثل ما تحتاج لغيره من الموضوعات الهيولانية وهو علم صناعة العدد لأنه صورة عقلية تنزل فى قوة نفسانية ، وعلم صناعة النجوم ، انما هو مدرك بقوة فكرية موجودة بمادة نفسانية موجودة من حركة دورية ، وبقوة النفس يعلم مايكون منها ويصدر عنها حتى تكون موجودة بالحس ، والاصل فى ذلك ، هو معرفة الزمان الذى هو عدد حركات الفلك المحيط المحرك لما دونه المرتب فى أفق النفس الكلية

وقد قلنا فيما تقدم أن علم العدد كالملك لسائر العلوم وعلم صناعة النجوم كالوزير التابع للملك وكالعقل الذى هو سابق الموجودات بالبداية والموجود بعدها فى النهاية ، والنفس تالية له ومقبلة عليه وراجعة اليه

وكذلك علم العدد هو السابق لجميع العلوم وهو الموجود اذا عدمت ، ولا ترتفع بارتفاعها اذا ارتفعت ذاته ومراتبه في نظامها ، موافقة له فى تمثيلاته ، ويتبعه علم النجوم وما يعرف بموجبات دلالاته وخفاء اشاراته وما ينحط الى العالم السفلى والمركز الارضى من قوى روحانياته وهي الملائكة الموكلة بحفظ البرية والقسمة فيهم بالسوية فى الاصول الاولية بالنشوء فى البداية والفساد عند النهاية .

واعلم يا أخي أيدك الله أن القسمة جارية في جميع الموجودات مستوية لا تفاوت فيها . ذلك أن وجودها كلها بالنشوء والنماء وانتهاؤها بالفساد والفناء . فسبحان خالق الوجود والبقاء وجاعل الظلمة والضياء على كل شيء كان بالنشوء في الابتداء وكل فاسد فبالعدم عند الانتهاء . سبحان من لا بداية له بنشوء يعرف ولا نهاية له بفناء يوصف ، جل عن الاشارة اليه بشيء جلالا يفوت وصف الواصفين من الروحانيين ومن الجسمانيين إلا بما وصف به نفسه « كل شيء هالك إلا وجهه » ولما كان هذان العلمان هما الأصل للعلوم اللطيفة والمعارف الشريفة ، وهي أجل العلوم قدراً وأكثرها فخراً وقد أشرنا اليها ونبهنا عليها إذ كانت هي القائدة الى العلوم الالهية ، فنريد أن نذكر أشرف الصنايع الطبيعية والتركيبات الجسمانية وأجل ماينتهي اليه من ذلك الانسان وبه يفضل على من دونه من جنسه ويصير اليه — مثل الحيوان — بالحاجة اليه والخضوع بين يديه : وهذا القسم أيضاً ضرب من السحر إذ كان العالم بأسره مربوطاً بمحبته وحريصاً على طاعته وهو معرفة قلب الاعيان من كيان الى كيان ، وتحويل خاصة الشيء من مكان الى مكان في الاوقات التى تنبغي له من الزمان ، ثم مادون ذلك من الصنايع فعليه نصبت ومن أجله عملت ، لينال منه كل بحسب القدرة والاستطاعة .

وانما سمينا رسالتنا هذه « رسالة السحر والعزائم » وبينا القول فيها : ماهيته

وكمية أقسامه وكيفية أفعاله ليستدل اخواننا الابرار على الاسرار الخفيـة اذا نظروا فيها بالنفس المضيئة والقرائح الزكية ، وأدمنوا النظر فى استقرائها بالفكر والروية وليكونوا إذا بلغوا إلى معالى العلوم وشرائف الصنايع ذوى غنى عن الحاجة الى من سواهم في جميع مايحتاجون اليه من أمر معيشة الدنيا . فاذاوصلوا الى هذه المرتبة وحصلوا هذه المنزلة صح لنا أن نسميهم باخوان الصفاء

واعلم يا أخي أن حقيقة هذا الاسم هي الخاصة الموجودة فى المستحقين له بالحقيقة لاعلى طريق المجاز

واعلم يا أخي أيدك الله تعالى أنه لاسبيل الى صفاء النفس الا بعد بلوغها الى حد الطمأنينة فى الدين والدنيا جميعاً : وهي أن يعرف الانسان — بحسب قدرته وبلوغ استطاعته — توحيد الله جل جلاله والمعرفة بحقائق الموجودات وغرائب المكونات باذن الله تعـالى باريه الذي خلقه وأبدعه وبرأه ، وعبادته وتنزيهـه وتمجيده عما يجده فى مخلوقاته ويشاهده فى مصنوعاته ، وبعد ذلك مايكون به صلاح معيشة الدنيا والغناء عن الحاجة فيها الى من عدم هذه الصـناعة . ومن لايكون كذلك فليس هو من أهل الصفاء لانه لو كان من أهل الصفاء لكان له بصفاته عمن دونه الغنى

واعلم يا أخى أن حقيقة الصفاء أيضاً هو أن لايغيب عن النفس الصافية الزكية شيء من الاشياء التى بها الحاجة إليها لما قد بليت به من مداواة هذا الجسم من مقاساته ، وبالصفاء تتهيأ لها الراحة منه والبعد عنه بحيث لاتكون نازلة عليـه ولامشتاقة اليه

وقدذكرنا أن بمعرفة العلوم اللطيفة والمعارف الشريفة يتهيأ للانسان مايكون به صلاح أمر جسمه فى دنياه وصلاح أمر نفسه فى عقباه في دار الآخرة ، ولكن ليس كل واحد يتهيأ له ذلك في أمر جسمه اذ كانت الاجسام مربوطة بالامور الفلكية : وذلك أن كثيراً من الناس ينالون من معرفة علم الحساب والعمل به مالا يقـدر عليه غيرهم ، فلا ينالون ما يكون به صلاح أجسامهم فى أمور دنياهم ولا صلاح أنفسهم فى أمر أديانهم ولا يحتاج اليهم فيه فينال من هو دونهم فى

المعرفة بذلك الحظ فى الدنيا ويغيب عنه ما يكون به صلاح نفسه . وآخرون نالوا به السعادة فى أديانهم وكان مؤديابهم الي النجاة ولم ينالوا به الحظ فى الدنيا ، وآخرون رزقوا به النجاة فى الدارين والحظ فى المنزلتين ، وآخرون رزقوا الحظ فى الدنيا بغير ذلك من العلوم الأدبية والمعـارف الطبية بصرفهم قواهم المختصة بهم من ذلك الى النظر فى الأفعـال الطبيعية والصنايع التركيبية ثم استدلوا بما قدروا عليه ووصلوا اليه ، ومنهم من اسـتعان به على ما يعود بصلاح جسمه بحسب الحاجة وصرف باقى ذلك فيما يكون به نجاة نفسه في الآخرة ، وآخرون حرموا ذلك ولم يوفقوا له

واعلم ياأخى أن الناس فى العلوم العقلية والمعارف الربانية والحكم النفسانية أعلاهم طبقة هم الانبياء عليهم السلام ، وأعلى الناس في الصنايع والمعارف الجسمية هم الحـكماء وغاية مانال العالم بعلوم الانبياء صلاح النفس في دار المعـاد ، وغاية مانال العالم بعلوم الحكمة صلاح الاجسام في دار الاجساد وعالم الـكون والفساد.

ونريدأن نبين فى هذه الرسالة من قسم الصنايع الطبيعية ماإن وصلت اليه وقدرت عليه ، نلت أعلى الحظوظ منها ورقيت أعلى درجاتها وأجل طبقاتها ، وقد أكثرت الحكماء من القول فيه والاشارة اليه والدلالة عليه فى جميع اللغات ، والناس جميعهم طالبون له وفيه راغبون وليس بأحد من العـالم غنى عنه ولا إياس منـه ، وهو الطلسم المنصوب لعمارة الدنيا والجوهر المحبوب والمعدن المطلوب ، وهو المغناطيس الاكبر والكبريت الاحمر ، وبه يتفاخر أهل الدنيا وعليه ينجاربون وعلى جمعه وادخاره يتكالبون وعلمه ممادونه من المعادن يستخرجون ، ويطلبون الوقوف على كيفية استخراجه من الاجسام المنطرقة وانفصام عنها وتخايصه منها ، وتحويل كيانه الى كيان غيره وانتزاع لونه من لونه واقلاب الاعيان فى كونه ، حتى يكون ماهو دونه في منزلته ولاحقا بالتدبير الواقع به الى درجته وواصلا الى مرتبته ومشاركا له في فضيلته ، اذا حصلت له صورته المضيئة ورؤيته البهية ، اذا نقي وصفا صفا من شوائب التغيير بما ينبغى له من التدبير .

ونريد أن نأتى بفصل نذكر فيه شيئا من ذلك مما رمزت به الحكماء وأشارت

اليه العلماء تتدبره بنفسك الطاهرة وأنوارك الظاهرة وروحك المضيئة الصافية من نجاسة المعصية لعلك تفوز بمعرفة سر الطبيعة فتزهد فيها بعد القدرة عليها والوصول اليها ، فان الزهادة فيها عند القدرة والاستطاعة والتمكن منها ، هو أحسن وأزين من الزهادة فيها والمرء محال بينه وبينها . وعند ذلك تكمل تلك الصورة الصافية فتصير كالمرآة الصقيلة التي تتراءى في جوهرها الصور المسامتة لها بما هي به : لا مضادة ولا متباينة ولا مختلفة ، فيتحير الناظر فيها بما يراها منها غير شاك في صدقه ولا مرتاب بحقه . بلغك الله تعالى وايانا الى غاية الصفاء وأنار نفوسنا بوضوح الهدى وجعلنا واياك من أهل الوفاء في الدين والدنيا بمنه وكرمه وهو الفاعل لما يشاء

﴿ فصل ﴾

قال فاردموس الحكيم : إن السماء مدورة ذات أرجاء متفرقة ، وإن الارض مثل حبة خردل في وسطها ، وعلى كل ناحية منها قوم يعيشون من رزق الله عز اسمه ، وان الشمس تعطى العالم حركة الحياة وفوق الارض تصعد وتحتها تنزل وان السماء تربى ما في وسطها وان الارض كالجنين في بطن أمه وانها تربو فيها كما يربو الولد في الرحم ويعيش في البطن ، وان زحلا والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد والقمر ، فاعلة ومدبرة ذات قوى وطبايع ومزاج ، وانها تنحط في الارض وتظهر بقواها المنبثة منها الصادرة عنها بامتزاجها وأخلاطها مايبدو من هذه الاجساد ويتكون في عالم الكون والفساد بما ينزل من المطر وما يتكون به من النبت والشجر وما يستقر في معدنه ويتكون في مسكنه .

وقال جالينوس : كل شيء في الدنيا يتحرك في تدويره بالزيادة والنقصان كالحر والبرد والصيف والشتاء بحوادث الجو ، وكالمد والجزر ، وبنقصان القمر ينقص وبزيادته يزيد ، والكواكب السبعة بها تدور المواليد ، وفي العالم الصغير المرتان (١) والبلغم والدم يزيد وينقص في تدبير الطبايع ، والقوى السبعة ، وكل

(١) المرت : خلو مجرى الطعام والشراب من المرض والمرتان الخالى من المرض ، والمرت أيضا رأس المعدة ولعله المراد هنا كما يقتضى السياق

شيء تطلع عليه الشمس فهو يدور بدورانها وكل مافي العالم فينشأ بتدبير السبعة والاثنى عشر وهي الاصل في جمع ذلك وتفريقه .

قال فيثاغورس : إن السبعة في الاثنى عشر عملها ، كذلك القوى في الجسد والشمس هي النفس ، والقمر هو الروح .

فالنفس حارة يابسة والروح باردة رطبة فامتزجت اليبوسة بالرطوبة واعتدلت الحرارة بالبرودة وقوة العقل في المخ المجعول في الدماغ مثل الملك في رأس العلية .

وقال جالينوس : إن الشمس لها أربعة أنصاب في الجسد لمواضعها ومجاريها فيه تجري وتقوم وتدور وهي الحافظة للجسد بأمر الله ، فان أصاب هذه الانصاب شيء يؤذيها ويوجعها وخلص ذلك الوجع الى شيء منهن ، فسد بعض أبوابها وعطل مجاريها وفسد الجسد وكان به تعجيل الموت .

وأما الاولى فمكانها الذي في الوجه فينفتح عن خمسة أبواب تجري فيها قواها وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ومن هذه الابواب يتصل بالنفس علم ما غاب عنها وبعد منها ، والقوى فيها داخلة وخارجة وصاعدة ونازلة ، وعلى كل باب قوة موكلة تفتحه وتغلقه بأمر النفس ، والثانية مكانها في الفؤاد وينفتح منها خمسة أبواب يخرج منها خمسة رسل : وهي التمييز والنطق والتوسم في السر والتوهم والتفكر ، والثالثة موضعها الكبد وينفتح فيها خمسة أبواب يخرج منها الدم الى سائر أطراف الجسد فيسقيه ويربيه وبه تكون له القوة والجلد والنشاط والرابعة مكانها الكليتان ومنها ينفتح الباب الذي تكون منه النطفة جارية وخارجة وبها يكون نبات السن . فهذه أمكنة الشمس في الجسد .

وأما القمر في الجسد فله فيه مكانان وهما الجلد والرأس ، وللمشترى العظم الذي في الفقار ، ولعطارد العروق والعصب ، وللمريخ الدم والصفراء ، ولزحل الشعر والظفر والسوداء ، وللمشترى اعتدال المزاج وسلامة الجسد ، وللزهرة النقش والصورة .

والبروج الاثنى عشر أيضاً فيها مواضع وطبائع فللحمل شعر الرأس وللثور

الجبهة ، وللجوزاء العينان ،وللسرطان المنخران ، وللاسد الفم واللسان وللسنبلة اللحية ، وللميزان المنكبان واليدان والذراعان ، وللعقرب الصدر، وللقوس فقار الظهر كله ،وللجدي البطن ،وللدلو الخصيتان والذكر والكليتان وللحوت الساقان والرجلان ، وبهذه القسمة قيام الجسد وعليها بنى

فاذا عرفت هذه الاصول عرفت مايتفرع منها ، فعند ذلك تعرف صناعة طب الاجسام الحيوانية وبها تكون لك المعرفة بطبايع الاجساد المعدنية

فان كنت جاهلا بمعرفة الطبائع الحية الناطقة فانت بمعرفة الطبايع المائية الصافية أجهل ، ومن تدبيرها أبعد لان منها ماينبغى أن يفرق حتى يزول عن عينه الاولى ويخرج عن الطبيعة غير المعتدلة وينشأ نشوءاً آخر ويحيا بحياة أخرى

ومنها مايحول طبيعته من الملوحة الى الحلاوة ومن الصلابة الى الرخاوة.

ومنها مايعمل به ضد ذلك وينزل فيه عن الرطوبة الى اليبوسة ومن الحموضة والعفوصة (١) الى الاعتدال .

ومنها مالايمازج بعضه بعضا الا بعد المصالحة بينهما وذهاب مايفسد حالها ، فان فصل أحدهما عن صاحبه أفسده وعن حد الاعتدال اخرجه

فاذا عرفت مداواة السوداء التى طبيعتها البرد واليبس حتى تردها الى طبيعة البلغم وهي البرودة والرطوبة ، فقد أصبت بعض مايحتاج اليه.

واذا عرفت أن تحيل طبيعة الصفراء التى هى الحرارة واليبس الى طبيعة الدم وهى الحرارة والاعتدال ، فقد أصبت أجل منازل طب الاجساد

وهاتان المنزلتان فى التدبير المعدنى أجل منازل الواصلين اليها وهما الأصلان الاولان والفرعان التابعان أعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة

فصل

قال ارسطوطاليس ان الدائرة الاولى التى دون السماء دائرة النار ، والثانية دائرة الهواء ،والثالثة دائرة الماء ،والرابعة دائرة الارض .

(١) العفوصة : المرارة والقبض

ويخرج من دائرة الارض لونان من الدخان أحدهما لطيف خفيف يتصاعد الى العلو واذا قرب من دائرة الهواء غلظ وارتفع فيها الى أن يقرب من دائرة النار فيحمى ولا يجد السبيل الى النفوذ فينحط راجعاً الى معدنه فيكون منه المطر ، واللون الآخر من الدخان يثور من قرارها ويدور الى سطحها وهو كثيف ثقيل فتكون منه الجبال ، فاذا رجع الدخان الصاعد الى البخار الثابت شربته الجبال فصار فيها كالروح منه في الماء فاذا نضب الماء ظهرت الجبال ورجع الدخان وانعقد منه في باطنها وخللها ، ومنافذها أجناس المعادن فاذا كملت له القوة واجتمعت طبايعه وقوى جسده وما حلت فيها ظهر منها بحسب بعدها من الاعتدال فيه ، والاربعة تدور الى الاثنى عشر لان الأربع الدوائر بازاء مافي الارض من الجزائر فتكون أفعالها فيها موجودة كوجود أفعال الكواكب السبعة في الاثنى عشر برجا كدوران الشمس فيها.

وللحكماء فى هذا القول اشارات خفية وأسرار دقيقة لايطلع عليها ولا يعرف العمل بها الا اخوان الصفاء الذين صفت أذهانهم حتى بلغوا الى تصفية ما احتاجوا اليه من هذه الطبايع ومزجوا بعضها ببعض لحصل التشبه بالاله — بحسب الطاقة الانسانية — فنالوا سعادة البقاء فى الدنيا بالطمأنينة وجعلت لهم فى الآخرة خيرات الدار الحيوانية التى هي الحياة الحقيقية

واعلم ياأخي أنه بمعرفة البخارين الخارجين من التراب أحدهما لطيف والآخر كثيف وثبات السفلى ورجوع العلوى اليه وقراره فيه وثباته معه ، يكون تمام العمل واحكامه

وقال الحكيم : جسد الشمس رأس كل جسد ، وسمى رأسا لانه رئيس الاجساد ، ولاتستطيع الكواكب التى تحته أن تدنو منه ولا تبعد عنه وهو يضيء بنوره الكواكب اذا نزل فيها وقرب منها : فمنه نبات ومنه جوهر ومنه سهل ومنه جبل ومنه مايخرج من خلطين : أحمر وأصفر ، وأرضه تبرق وإن حفرت الارض التى يكون فيها الذهب حتى تبالغ فى حفرها رأيت أرضها مذهبة

كأنها تشبه الزرنيخ الاصفر والكبريت الاحمر وتكون ريح سخنة وهي أرض واسعة وطبيعتها حارة رطبة والمياه التي تجرى فيها حلوة فهذه طبيعة أرض الذهب وقوته وكونه في معدنه وكونه في مكانه وكونه في نباته في أوانه وشكله في كيانه

فلذلك قال فيثاغورث ان الشمس ملك كل جوهر وطبيعته أعدل الطبائع وأنه لاتفسده الارض ولاتحرقه الاشياء المحرقة للاجساد لان مزاجه في الحرارة واليبوسة والبرودة والنداوة أجزاء متساوية وليس في طبيعته شيء زائد على شيء ولاناقص ولافاسد ولهذا عظموه وكرموه وسموه شمسا وصاغت منه الملوك تيجاناً وأكاليل ورصعوه بالجواهر وحملوه على رؤوسهم اعظاما لقدره وتشريفاً لذكره ولفضله على الاجساد ولانه أجل معدن موجود في عالم الكون والفساد وكرامة للشمس التي بها صلاح البلاد وحياة العباد

وقال افلاطون : إنا دخلنا في جبال حيث يكون الشمال وكانت جبالا طوالا لانرى الشمس فيها فلم نستطع المكث بها من شدة البرد ولم نر هناك نباتاً الا شيئاً قليلا في زمان الصيف ، وكان الصيف هناك كالشتاء في غير ذلك الموضع وأعظم مايكون منه . فلذلك قلنا انه ليس للعالم أفضل من تدبير الشمس ولاعمل أفضل من العمل الذي أخرجت والجوهر الذى صنعت والصبغ الذى صبغت والسحر الذى سحرت به العقول وجعلته طلسم الطلسمات ومغناطيس النفوس الجزئيات والشهوات الجسمانيات وجعلته أرفع المنازل في الطبائع المعدنية وصيرت صناعته أكبر الصنائع المهنية الارضية

وقال أفلاطون : اني أرسلت نفراً من أصحابي نحو الهند فذكروا أنهم سقطوا في بلاد خفيفة طيبة فأعجبهم ذلك وذكروا أن أهل هذه الأرض طوال الاعمار قليلو الامراض صحيحو الاجسام وليس فيها حر شديد ولابرد شديد معتدلة أقسامها مستو نظامها، وأن المزاج لايفسد فيها سريعاً فعلمنا أن ذلك المكان خط الاستواء ومعدن الذهب .

ومن هذا القول قال الحكماء لما ذكروا جنة الفردوس وذكروا أنها مرتفعة من الارض طول ثلث السماء وأنه ليس بها حر ولابرد ولارطب ولايبوسة ولا

مايختلف ولامايختلط ، أنها مستقيمة في كل شيء مقدرة لمسكن من أكرمه الله تعالى ولذلك قال جالينوس وأصحابه : إن الجسم مادام معتدل المزاج مستقيم الطالع يكون ذا مكث في الدنيا واستقرار فيها ، والنفس الساكنة اذا كانت عارفة بباريها مقرة بتوحيده عادلة في حكوماتها ، فهي ساكنة في جنة الفردوس بالقوة فاذا فارقت الجسد وصلت اليها .

ولذلك استعمل هو وأصحابه صناعة الطب واستعجلوا صلاح أجسامهم وقالوا : مادام الانسان مستقيم المزاج لايزيد بعضه على بعض فهو صحيح لايدخل السقم عليه ولايصل الالم اليه وصلح أن يكون من ساكني الفردوس، وذو المرض والالم لايكون ساكنها .

ونعود الى ما كنا فيه ونقول : لاتشبه جنة الفردوس بالشمس لانها ليس لها من فعلها موت ولامرض ولافساد ، وأنها حياة العالم فهي الماسكة لكل جسد ولونها الى الحمرة وطعمها الى الحلاوة .

وقال : انا تعلمنا منها عمل حمرة ثم حللنا منها لونين يعنى من الحجر المختص بها وكتبنا به كتاباً وصنعنا منه خاتماً للملوك وتاجاً لهم

فصل

قال ان القمر هو يشاكلها ويريد التشبه بها والمحاكاة لها وهو في ذاته أسود ومنها يأخذ لون البياض ومايتبع البياض من الصفرة اذا طلع ليلة بدره في وقت مغيبها فيعلو وجهه من شفقتها صفرة ثم تسلبها اياه وتنحط منه قوة فيعمل في الارض عملا يحاكى لونه وهي الفضة وهي تفسد في الارض وفي النداوة ، طعمها الحموضة لانه يزنجر كما يزنجر النحاس ، والقمر اذا حصل تحت شعاع الشمس غاب فيها حتى لايرى ، وكذلك الفضة اذا مازجت الذهب خفيت في لونه وممازجته ، ومع النحاس كذلك . وتقبل الصبغة وسلطان القمر في الجسد على المخ والدم والمرتين وعلى عيون الماء وعلى المد والجزر وعلى كل شيء تكون فيه زيادة ونقصان .

وقال : انا صنعنا من الذهب اكسيراً وطرحنا منه على الفضة فصارت ذهباً وما أسرعه اليها لانه جزوع رقيق ليس له صبر على مايؤذيه والارواح الصاعدة كلها عدو له وكل جسد فيه روحانية صاعدة يؤذيه ولا يوافقه .

والماس جوهر حار يابس أنثى حامض وهو قريب من الفضة يختلط بالفضة والذهب اذا نقى وصفي

والرصاص والحديد يكون منهما مايصبغ ويختلط بالارواح ويحبسها ولا يتركها ، ولكن اذا صبغ هو نفسه يفر صبغه منه ولا يثبت فيه ، وينبغي أن ينقى ويلين وهو يمسك لون الصبغة في غيره فيكونان يقبلان الصبغة ، ويعلو منه العلو ويعقر منه الكلب . واذا قبل الصبغة لم تفارقه ويثبت على التصفية ويخرج منه فضة

ولزحل في الارض أسرب أسود وهو كيوان رصاص أسود يقبل الصبغة ويعلق به مثل العلق ويعض مثل الكلب العقور واذا قبل الصبغة لم يفارقه من الحرارة اذا كانت فيه روحانية حارة صاعدة من بطن الشمس ، وهو ذكر قليل الحلاوة ويقبل الصبغة ويكون منه شمس وشمسه كريم مرتفع ويصبغ منه ضروب المياه ويحبس عطارد وجميع الروحانيات ويحول بينها وبين الحروب ، وهو عدو الفضة من أجل كبريته ويصبغ الحجارة .

والزئبق بارد وهو فضة غلبت عليها النداوة فأفسدتها وحللتها ، ومن عرف دواءه قدر أن يرده الى كيانه ويصير فضة ويجمع به بين الارواح ويزاوج بينها وما أقل صبره على النار . ومن قدر على اصلاح مابينه وبينها وصل الى مايريد ، وبه تكون حياة الموتى !!

﴿ فصل ﴾

وقال ان الحجارة ثلاثة ألوان : منها مايذوب ، ومنها مالايذوب ومنها مايكون كلساً (١) ومنها مالايكون كلساً . فالذي لايذوب ولايكون كلساً فهو حجر كريم وهو أشرف الجواهر وهو الياقوت له ضد يعاديه ومقدر عليه وهو

(١) الكلس : الجير

حجر الالماس ، والالماس حجر عظيم وله ضد يعاديه وهو الاسرب (١) . ومن الحجارة مايزداد في الارض ، ومنها ماينقص ويتفتت ، ومنها مايقبل الصبغة من المطر والشمس مثل الجزع والعقيق وغيره ، ومنها مايتحول من لون الى لون مثل الياقوت يبتدىء في البياض ثم الى الزرقة ثم الصفرة ثم الحمرة ويثبت عليها

واعلم يا أخي أن الحمرة هي أجل الاصباغ وهي الاصل لها كلها اذا كانت الشمس حمراء وروحانياتها كلها حمر وصفر ، والبياض أول الالوان وهو يحول الى السواد كالارض التى اليها مالت الطبائع وهو لون زحل وهو الموت ولاخير فيما غلب عليه .

والارقشيثا : جسد وهو كبريت مختلط بالفضة وهي باردة قريبة من الحر من أجل الكبريت الذى فيها ، فاذا غسلت ونقيت وأحرقت صارت باردة يابسة ولها أعمال تدخل فيما يحتاج اليه أهل الصنعة

والمغنيسا : وهو حجر كريم كرمته الحكماء ومدحته الفلاسفة القدماء لأنهم كانوا يعملون منه أعمالا كبيرة ويحلون به كل طبيعة من الاجساد المعدنية وهو يلين الحديد والزجاج ، ومنه ذكر وأنثى .

وسموه ذا اليبس فالذكر منه يابس والأنثى هشة سوداء شديدة السواد ، وزاوجوها مع الكبريت المسمى أفيرون ثم طرحوه على القلعى (٢) تحوله فضة والشاذنة باردة يابسة لينة يخرج منها المس وصنعت منها الحكماء ما احتاجت اليه فى التدبير وهي تزاوج جميع الاجساد والحجارة الخضرة ويكرمها الحكماء ويعظمها العظماء وهى طلسمات جليلة ويعمل بها أسحار عجيبة ومنها الفيروزوج ويخرج منه جسد ، ومنها الدهنج واللازورد

(١) الاسرب : دخان الفضة يقال : سرب الرجل بضم أول الفعل المبنى للمجهول ــ دخل في خياشيمه دخان الفضة فهو مسروب

(٢) القلع : معدن ينسب اليه الرصاص الجيد فيقال : رصاص قلعى وهو المراد في عبارة المؤلف كما يفهم من عبارة : تحوله فضة

وان من الحجارة حجارة فيها طبيعة الكبريت والزئبق والطلق واللؤلؤ والصدف .

وقشر البيض كله بارد يابس والخل يحله كله حتى يجعله فى المنظر كالماء قال حالينوس إنهن يابسات والرطوبة تحلل : فانهم يحبسون الزئبق ويصنعون المياه ويصيرونها أجساد الطلسمات و يقبلون بها الاعيان ويعملون صورة السحر . وقشر البيض قد أكرمته الحكماء وله اسماء كثيرة مكتوبة والعظم بارد يابس واللبن ندى من أجل دسمه ، فاذا فارقه دهنه فهو بارد يابس

واعلم يا أخي أن الحكماء ذكروا أن فى النبات من قوى هذه الروحانيات مثل مافي أجساد هذه المعادن الجامدات وأنها تعمل في أجساد المعادن الذائبة مثل ما تعمل أرواحها المفارقة لها اذا رجعت اليه وأقيمت نشأة ثانية وهى كثيرة لا يحصر عددها ولا يعلم الاحاطة بكلية معرفتها الا الله عز اسمه ، ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقى ان شاء الله

﴿ فصل ﴾

شجرة ورقها مثل ورق الفول مدملج مستطيل ينبت صاعداً مثل القضبان لا يموت صيفاً ولا شتاء ، تنبت في جبال الشام .

قيل أنه اذا استخرج ماؤها وألقى على الزئبق وطبخ به مراراً عقده فضة بيضاء وقيل إن أول شجرة طلعت على وجه الارض شجرة أصلها كهيئة الانسان وهى مقدمة الكون الانساني في الطلسم المشاكل لصورة الانسان في النبات ويكون من ذكر وأنثى ، واذ كسر عودها وجد داخلها كالصليب !! ولها أسماء كثيرة وهى شجرة معروفة وهى تنفع من داء الصرع اذا علقت على من به الصرع ومن المرة السوداء ومادامت عليه معلقة لا يصرع . وهى حارة وهى تطرد الارواح الفاسدة ويتخذ منها طاسم وينصب على البيوت المسكونة فلا يبقى بها روح فاسدة ولا دابة مؤذية الا هربت !! وقد صنف رجل من الحكماء في هذه الشجرة كتابا ذكر منافعها .

والكسبينج(١) والسقمونيا(٢) واللبان (٣) والزئبق والسندروس والافيون تلين الاجساد وتحسن الارواح وتنفي الخبث وتمسك بعض قوى الروحانيات الصاعدة ويحرق بعضها الكباريت الفاسدة

وذوات الصموغ والألبان من الاشجار تفعل أفعالا كثيرة وتعمل أعمالا جليلة وفيها قوى فاضلة .

وقيل ان شجرة يقال لها بالفارسية (خوس) واسمها بالرومية (حورسمون) اذا أخذ من ورقها مما يلي الارض من أصلها مقشرة ومن زبد البحر وزرنيخ أحمر أجزاء ودقت جميعا ثم اطل به ماشئت من الاجزاء الربية واحم بالنار فانه يخرج ذهبا أحمر ، ثم لا تصير اذا سبك بالنار ، وأوراق هذه الشجرة مدورة اذا طلعت عليها الشمس رأيت لورقها لمعاً وبصيصاً ويكون عليها دود أصفر مثل الذهب يتكون منها ويدب عليها !! روحانيات ماينحط اليها مما وكل بها . وقيل ان الدفلى (٤) اذا أخذ نوره الشديد الحمرة ومن ورقه وعوده ولحائه وعروقه ودق دقا جيداً وطلى به النحاس وهو ذائب يخرج منه شبه الذهب لكنه لا يصبر على النار مرة ثانية

والخل المتخذ من العنب وهو خل الخمر له فضل كثير ويلين الطبايع كلها فى الاجسام والاجساد ويحلل ويلين وهو يبيض الأسود ويسود الابيض . واكثر هذه الصفات وأسمائها لم نذكرها من النبات فذلك فى كتاب الحشائش وكتاب الخواص وكذلك فى كتاب الاحجار ومايشاكل ذلك من بدن الانسان وأعضاء الحيوان ، وانما أردنا بما ذكرنا ليعلم الناظر فى كتابنا أن جميع ما في العالم قليله

---

(١) السكبينج : النحاس والكلمة دخيلة

(٢) والسقمونيا : معدن رخو من فصيلة الرصاص لايعلوه الصدأ

(٣) واللبان بضم الضاد وفتح الباء : الصنوبر ـ والكندر أيضا يقال له لبان والسندروس بكسر السين ، المشددة : صمغ ، أو معدن شبيه بالكهرباء

(٤) الدفل والدفلى : نبت ذو زهر اعتيادي كالورد وطرحه كالخرنوب

وكثيره ، وكبيره وصغيره ومعادنه ونباته وحيوانه ومواته ، لم يخلق الا بالحكمة وأنه مربوط بعضه لبعض لا يخلو من منفعة ، وفي كونه حكمة تدل على الصانع الحكيم جل اسمه وتعالى ذكره

وان الاشياء كلها محفوظة في أماكنها وانه جل اسمه حافظها وموكل بها ملائكة تنشئها وتنميها وتمسكها وتربيها ولكل منها مستقر ومستودع ، وكلها مبينة في كتاب كريم ولوح عظيم منه بدت واليه تعود وانها مثالات وعلامات لما كانت منه وبدت عنه

واعلم يا أخي أن الجن والشياطين والمردة موجودون في الامكنة اللائقة بهم التي ينبغي لهم أن يكونوا فيها وكذلك الملائكة ولكل منهم مقام معلوم . وان من بعض أمكنة الجن والشياطين صدور المنافقين من الانس وأنها حالة فيهم للوسوسة والغواية ، ولهم قرناء من الجن يوحى بعضهم الى بعض . وان أمكنة الملائكة صدور المؤمنين ومن فوقهم من الانبياء والمرسلين كما قال جل جلاله : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » . وقد ذكرنا في رسالتنا الجامعة أن من النبات والحيوان والمعادن أجساداً وأجساماً وقوى تختص بكل نوع من أنواعها وشكل من أشكالها من الارواح

فنريد أن نذكر في هذا الفصل كيفية استعمال الحكماء هذه القوى والارواح في السحر الذي كانوا يعملونه ويعلمونه لتلامذتهم وهو معرفة الخلط والمزاوجة في الوقت الذي ينبغي فيه ذلك ومعرفة النسبة واستواء الانصبة واجراء الروحانيات في الجسمانيات وتركيب الاجسام على الاجساد وامكان الارواح فيها بعد الممات

واعلم يا أخي أنه من قدر على أن يحيي الجسم بعد موته مثل ما عمله المسيح فقد أتى بسحر عظيم لا تكاد النفوس أن تصدقه ولا العقول أن تحققه وهو حق يقين وسحر مبين ولكنها أجساد غير ناطقة وأرواح منها خرجت ثم عادت اليها وهي أصباغ مشرقة وألوان مونقة !!

واعلم يا أخي أن هذا الصنف من السحر يفسد العقول ويتلف النفوس اذا عطفت اليه وأقبلت عليه ، وينبغي لاخواننا أيدهم الله أن لا يلتفتوا الى هذا الفن من جهة القياس وقراءة الكتب والتجربة والاعتماد على من قال ووصف وقال رأيت ! وانما المراد من ذلك اتباع المعلم الواصل والحكيم الفاضل المان على من يحب أن يمن عليه بذلك اذا كان ممن ينبغي أن يعلم له السحر الحلال ويعرف كيف يحيي الله الموتى كما قال ابراهيم : «رب أرني كيف تحيي الموتى» قال أو لم تؤمن؟ يعني بالصفة — «قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» — بالنظر قال « فخذ أربعة من الطير — يعني أربعة أزواج طائرة — فاجعل على كل جبل منهن جزء » يعني أجساداً ثابتة جزءاً كما ينبغي أن يجعل عليه ثم ادعهن — بالماء المحلل — يأتينك سعياً واعلم أن الله على كل شيء قدير» . وهذا مقتضى هذه الآيات على ما تأوله أصحاب هذه الصناعة .

وبهذا السحر عمل قارون وصرفه في غير حله وخالف موسى في فعله وتعدى ما رسمه له فخيل بينه وبينه وخسف به وبداره وابتلعته الارض وما كان معه وقل من يستحق تعليم هذا السحر في العالم ، وانما أردنا بما ذكرناه ونذكره تلقيح عقول اخواننا أيدهم الله بالمعارف وتحريضهم على النظر في كل العلوم والمعرفة بمبادىء الصنايع وكيفياتها ليكونوا علماء حكماء ويفارقوا عالم الجهل وصفاته ويتخلصوا من أهله وآفاته ويرتقوا الى عالم العقل وخيراته وينالوا درجة العلم وبركاته « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . والموفق لذلك قليل وقليل ما هم

واعلم يا أخي أيدك الله تعالى أنه لا ينبغي لاحد من اخواننا أيدهم الله ولا لاحد من أي الناس كان أن يبتدىء بتدبير شيء من الاشياء ولا صنعة من الصنائع ولا عمل من الاعمال يريد به الصلاح في أمر نفسه ومعيشته الا بعد معرفة احوال القمر لانه اختص بتدبير عالم البشر

واعلم يا أخي أن الانسان هو الفرد وجميع ما تحته فهو منسوب اليه وهو ملك سماء الدنيا وخليفة الشمس على عالم الارض والشمس خليفة الله تعالى في

السموات والارض وكل كوكب في فلكه فانما هو ملك ذلك الفلك ومدبره وخليفة الشمس فيه ، والشمس ملك الكواكب ، وفلكها سيد الافلاك وبها تتصل الحياة من معدن الحياة ومنها تتصل بكل حي ناطق وحساس متحرك ولها صفات بها تختص وتفضل على سائر الكواكب بما فضلها الله تعالى وجعل لها القوة الحافظة على جميع الموجودات.

واعلم ان القمر في جميع أموره كالانسان : وذلك أنه يبتدىء بالنشوء كما ينشأ الانسان وله زمان يكون فيه كالصبي وحاله من بعد الولادة وله زمان الحداثة والشبيبة وله زمان قوة واستكمال وله زمان كهولة ونقص ، ثم لايزال كذلك حتى يعدم وجوده ويغيب حتى لايرى ويستأنف نشأة أخرى . وكذلك حال مسيره في دقائقه ومنازله في البروج يشاكل مسير الانسان في أمر معيشته وجميع متصرفاته .

فاذا كان ذلك كذلك فيجب على من يريد الابتداء بمثل ما ذكرناه أولا من عمل السحر الحلال الزجر والفال والرقى والعزائم وعمل الخواتيم وربط الروحانيات ونصب الطلسمات ووضع العلامات ودفن الذخائر واستخراجها ، وجميع ما أحب عمله من حل وعقد وأعمال نيرنجات (١) وقلب الاعيان وتحويل الكيان من كيان الى كيان ، فليبدء بمعرفة مسير القمر ومعرفة طبائع منازله ويعرفها منزلة منزلة ويصحح مسير الشمس والكواكب من التقويم فان ذلك معين على مايريد الابتداء به ، وليكن نظره لذلك من التقويم السماوي والحظ الالهي وينظر الى القمر كل ليلة ويستدل به وبنزوله في البروج الاثنى عشر . ونريد أن نبين ذلك وهو مذكور في كتب الحكماء العلماء بصناعة النجوم ، فان عدم الناظر في ذلك معرفة المسير في الفلك بالنظر في الآفاق فلينظر ذلك في التقويم الارضي والخط الانساني الوضعي والكتاب الجزئي فانه سيبلغ بذلك بعض مايريد ان شاء الله

(١) النيرنجا : تغيير حقائق الاشياء في نظر الرائي فقط ومرجعها السرعة وخفة اليد

﴿ فصل ﴾

قال الحكيم : ان القمر ينزل كل يوم في منزلة ، ومقدار مقامه في كل منزلة ساعة غير سدس ، لان المنزلة لا تطلع حتى تمضي خمسة أسداس ساعة ثم يطلع منزلة أخرى ، والقمر اذا طلع أول ليلة من الشهر يقيم ستة أسباع ساعة ثم يطلع منزلة ويزداد كل ليلة ستة أسباع ساعة ، ثم يطلع في الليلة السابعة من الشهر فيقيم الى نصف الليل ثم يغيب ، ثم يزداد كل يوم ستة أسباع ساعة على هذا القياس .

فاذا كانت ليلة أربع عشرة يطلع فيقيم الى وقت طلوع الشمس ثم يغيب ويطلع حين تغرب ويغرب حين تطلع ، فيكون له بهذه الخلافة خلافة كاملة لأنه يتسلم تدبير العالم عند غروبها ويغيب عند طلوعها محاكيا لها في الاستدارة والتمام .

واذا كانت ليلة خمس عشرة يتأخر طلوعه ستة أسباع ساعة مثل ما طلع في أول ليلة من استهلاله ثم كذلك حتى يطلع ليلة سبع وعشرين مع غداة الفجر ثم يستتر تحت شعاع الشمس يومين وهي قيامته ورجوعه الى مالكه فيوفيه حسابه ثم ينشؤه نشأة أخرى « ذلك تقدير العزيز العليم » ثم يظهر فيطلع مثل ما قدمنا ذكره .

فاذا نزل القمر بأول الحمل وهو ﴿ السرطان ﴾ الى أثني عشرة درجة منه وستة أسباع درجة وهو ناري نحس يصلح فيه من الاعمال ما يختص بأمور النساء ويجتنب فيه لبس الثياب الجدد وترك الاعمال كلها بالجملة . وفي هذا الحد تتحرك روحانية تتصل بأنفس الملوك والسلاطين ويظهر فيهم الغضب والبطش بالقتل وسفك الدم والجور والظلم ، ثم يعم ذلك العالم كله فيظهر من ذلك في كل واحد بحسب قوته وما جعل له من قدرته ، ولا يصلح الا لما كان من أحوال النساء ومن تزوج في هذا اليوم حظيت المرأة عنده وحظي هو عندها . واشتر فيه الرقيق والدواب والشاء والبقر واغرس فيه وازرع وابن البناء ، فان عاقبة كل

ذلك محمودة ولا تآخ في هذا اليوم أخا فان مودة المتحابين لاتلبث ولا تشترفيه شيئاً للتجارة فان عاقبته غير محمودة ولا تعالج فيه طلسما ولا دعوة بحال

ومن ولد في هذا اليوم ان كان ذكراً كان فاجراً شريراً لاتلبث الاموال معه ولايحمل في شيء من أموره ، وان كانت أنثى كانت فاجرة مشهورة الفجور محببة حظية عند الرجال حريصة عليهم.

البطين : سعد ، حار ، يابس ، وهو ألين جوهراً .

فاذا نزل القمر بالحد الثاني من الحمل وهو اثنى عشرة درجة وستة أسباع فعند ذلك ينحط الى العالم روحانيات معتدلة تصلح ماتقدم من الفساد في الارض وتصلح ما كان بافساد المقدم بها وتزيل غضب الملوك من نفوسهم ، وهو يصلح لجميع الاعمال والافعال وما يختص به الرجال دون النساء فاعمل فيه نيرنجات العطف والمحبة بالملوك والسوقة والاخوان ومن أحببت من الرجال دون النساء خاصة واعمل فيه الطلسمات والنيرنجات الاربعة الموضوعة في كتاب ارسطماخس ودبر فيه الصنعة وعالج فيه الروحانيات وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل فيه بهم واستفتح المودة بينك وبينهم ، ولا تتزوج فيه ولا تشترفيه رقيقاً ولا شيئاً من الحيوان الذى تريده للقنية ولا تشتر فيه شيئاً للتجارة ولا تلبس فيه ثوبا جديداً فانه من لبس فيه ثوباً جديداً يخشى عليه من السل !! وازرع فيه ولا تكتل غلتك فانه من اكتال في هذا اليوم غلة لم يبارك له فيها

ومن ولد هذا اليوم ان كان ذكراً كان صالحاً ناسكا كتوما للاسرار محمود السيرة حسن المعيشة كثير الاعداء ، وان كانت أنثى كانت فاجرة متهتكة سيئة السيرة مبغضة في الناس .

الثريا : ممتزجة الحرارة والبرودة ، سعدة ، متوسطة ، وهي من خمس وعشرين درجة وخمسة اسباع درجة من الحمل الي ثمان درجات وأربعة اسباع من الثور .

واذا نزل القمر الثريا فاعمل فيه نيرنجات المحبة وأفعالا تختص بالنساء واطلاق المأخوذ عن النساء واحلل عقد السموم ودخن فيه بدخن المحبة واعمل الطلسمات

ودبر فيه الصنعة وسافر فيه للدعوات وادخل فيه على الملوك واتصل بالاشراف وتزوج واشتر فيه ماأحببت وابن الابنية واختلط فيه بالاخوان وازرع فيه واحصد زرعك واكتل غلاتك والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانيات حسن الخاتمة .

ومن ولد في هذا اليوم ذكراً كان أو أنثى كان صالحاً سعيدا محمود السيرة مستور الدخلة

(الدبران) نحس ، أرضى ، يابس ، وهو من ثماني درجات وأربعة أسباع درجة من الثور الى تمام إحدى وثلاثة أسباع منه . فاذا نزل القمر الدبران فاعمل فيه نيرنجات العداوة والبغضاء خاصة ولا تدخل فيه على الملوك ولا تسع في حوائجهم ولا تتصل بهم ولا تستفتح عملا في تدبير الصنعة ولا في تدبير طلسم ولا دعوة ولا ازرع ولا غرس ولا تكتل غلة ولا تعالج فيه أحداً ولا تتزوج ولا تسافر فان ذلك كله غير محمود العاقبة .

ومن ولد في هذا اليوم ان كان ذكراً كان محذوراً خبيث الدخيلة والسيرة شريراً قتالا وان كانت أنثى كانت فاجرة متهتكة لايحبها أحد ولا تحظى عنده

(الهقعة) نحسة يابسة ممتزجة بسعادة تنحط فيه الى العالم روحانية ممزوجة وهي من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة الى أربع درجات وسبعي درجة من الجوزاء ، فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات السموم وأخلاطها ، واعمل فيه الطلاسم كله ، وعالج فيه من الارواح .

ولا تستفتح دعوة ولا تدبر فيه صنعة ولا زرعا ولا غرساً ولا تزويجا فان ذلك كله غير محمود العاقبة . وادخل على الملوك واسع في حوائجهم واتصل بالاشراف والاخوان واشتر فيه الرقيق والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك وسافر فيه فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة .

ومن ولد فيه ان كان ذكرا كان مذموما في الناس كثير الاذى لهم غير محمود وخبيث الدخيلة والسيرة شريراً قتالا ، وان كانت أنثى كانت صالحة قليلة الكلام حظية عند الرجال مستورة الحال

(الهنعة) لينه ، رياحية ، سعدة ، وهى من أربع درجات وسبعين من الجوزاء الى تمام سبع عشرة درجة وسبع من الجوزاء . فاذا نزل القمر بهـا فاعمل فيه نيرنجات العطف والمحبة والمودة ودخن فيه الدخن واحلل السموم واعمل الطلسمات ودبر فيه الصنعة وادع فيه الدعوة وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل بالاخوان واستفتح فيه بالاعمال وتزوج واشتر فيه الرقيق وازرع واحصد واغرس واكتل غلتك وسافر فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية باقى الزكاء والبركة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكراً كان حسن السيرة محموداً فى الناس ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الناس حريصة عليهم فاجرة مستوراً عليها ذلك

(الذراع) رياحى ، لين ، سـعد ، وهو من سبع عشرة درجة وسبع درجة من الجوزاء الى آخره . فاذا نزل القمر به فاعمل فيه نيرنجات الشهوات والمحبة ودخن فيها بدخنها واستفتح فيه أعمالك وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانية كلها ودبر فيه الصنعة واعمل فيه الطلسم وادخل فيه على الملوك واسع فى حوائجهم واتصل فيه بالاشراف والاخوان وازرع فيه واحصد واغرس فيه وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس ما أحببت من جدد الثياب وسافر فيـه فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة فى الزكاة والبركة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً صالحا محمود السيرة والتدبير ، ومن تختم بخاتم على فصه صورة هذا الكوكب رأى مايحبه

(النثرة) سعدة ، لينة ، ممتزجة بالنحس ، وهى من أول السرطان الى اثنتى عشرة درجة وستة أسباع درجة منه . فاذا نزل القمر بها فاعمل فيـه نيرنجات السموم والقطيعة والعداوة خاصة ، واعمل فيه الطلسم وادع فيه بالدعوات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تعالج فيه الروحانية ولا تلبس ثوبا جديدا فان من لبس يخشى عليه من الحرق بالنار ! وسافر فيه وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل باشراف والاخوان وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فيـه ولا تتزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة ولا تجارة . قال : ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكرا

كان محارفا [١] مجدودا فى معيشته ، وان كانت أنثى كانت سيئة السيرة حظية عند الرجال محببة في الناس

(الطرفة) وهى من اثنتى عشرة درجة وستة أسباع درجة من السرطان الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه ، مائية ، نحس ، لين .

فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة وعقد الشهوة خاصة ولا تعمل فيه الطلسم ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع بدعوات روحانية ولا تعالج فيه أحداً ألبتة بشىء من العلاج ! ومن يلبس فيه ثوباً جديداً خشى عليه من جراحة تصيبه فيه ! ولا تدخل فيه على الملوك ولا تتصل بالأشراف والاخوان ولا تتزوج ولا تشتر رقيقاً ولا دابة فانه من فعل ذلك لم تحمد عاقبة أمره وأعقبته حسرة وندامة ولا تزرع فيه ولا تحصد غلتك ولا تكتلها فانه من زرع واكتال غلة في هذا اليوم انتهبته الأعداء ، ولا تسافر فيه وحارب في هذا اليوم فان من إبتدأ بمحاربة عدوه فيه وخالطه ظفر به . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان منحوساً شريراً متهتكا غير محمود السيرة مذموماً في الناس

(الجبهة) مائية ، ممتزجة بالحرارة ، سعيدة مضروبة بنحس ، وهي من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من السرطان الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من الأسد .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات الاطلاق وحل عقد الشهوة والسموم خاصة ، واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه بالروحانية ولا تعالج من الارواح وغيرها ، وادخل فيه على الملوك واسع في حوائجهم واتصل فيـه بالأشراف والاخوان واحصد فيه وازرع ولا تكتل غلتك فان من اكتال فيه غلة سرقها منه اللصوص أو سرقوا ثمنهـا وتزوج في هذا اليوم فانه يوم محمود العاقبة . واشتر فيه الرقيق والدواب وسافر فيه وافتتح فيه الحرب فان فيـه الظفر والسلامة . قال : ومن ولد في هذا اليوم إن كان ذكراً كان داهيـة مكاراً ذا حيل وخدائع ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الرجال غالبة الشهوة شديدة الحرص عليهم مستورة الحال

(١) المحارف والمحترف : ذو الحرفة والحرفة والمهنة والصناعة كلها بمعنى واحد

(الزبرة) نارية ، يابسة ، سعدة ، هي ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من الأسد الى احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة منه . فاذا نزل بها القمر فاعمل فيه نيرنجات عطف قلوب الملوك والاشراف والاخوان خاصة ، واعمل فيه الطلسمات ودبر الصنعة وادع فيه بالدعوات وعالج فيه من الارواح وادخل فيه على الملوك واسع في أعمالهم واتصل بالاخوان والاشراف وازرع واحصد واكتل غلتك وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس ما أحببت من جديد الثياب وسافر ودبر تدبير الحرب واستفتح الاعمال كلها فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام الزكاء والبركة . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيد الجد مستوراً صالحاً ميموناً على والديه وأهل بيته محموداً في الناس

(الصرفة) ممتزج الجوهر من الناري والأرضي ، نحس مضروب ، سعادة وهي من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة من الأسد الى أربع درجات من السنبلة . فاذا نزل به القمر فاعمل نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق ودخن فيه بدخنها واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه بالدعوات ولا تعالج فيه من الارواح الروحانية ولا تزرع فيه ولا تكتل غلتك وتستفتح فيه الاعمال ولا تدخل فيه على الملوك ولا تسع في حوائجهم ولا تتصل بهم ولا بالأشراف والاخوان ، ولا تتزوج ولا تشتر الدواب والرقيق فان ذلك كله غير محمود العاقبة ولا نافذ الروحانية مخشى الخاتمة ، ولا تلبس فيه ثوباً فان من لبس فيه ثوباً جديداً ضربه السلطان وخالط فيه الاعداء ودبر فيه الحرب ، وسافر فيه فان فيه الظفر والسلامة . ومن ولد في هذا اليوم ان كان ذكراً كان خبيث الدخيلة داهي الفكر مقبولاً عند العامة ، وان كانت أنثى كانت بذيئة سليطة مذمومة عند الناس

العواء : أرضية يابسة ، سعدة ، مضروبة بنحس . وهي من أربع درجات من السنبلة الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منها .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات المحبة والمودة بالنساء والق الاشراف والاخوان وغيرهم واعمل فيه الطلسمات وادع فيه الدعوة وعالج من الروحانية

وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فانه من اكتال فيه غلته بغته السلطان بغرم ، ولا تدبر فيه الصنعة ولا تحارب ولا تخالط الاعداء وادخل فيه على الملوك واسع فى أعمالهم ، والبس فيه الثياب واشتر الرقيق وسافر

ومن ولد فى هذا اليوم ان كان ذكراً كان مشئوماً على أهله ووالديه محدوداً مجارفاً مبغضا فى الناس وان كانت أنثى كانت محظية محببة عند الرجال ذات عفة وحسن حال .

السماك : أرضى يابس ، نحس ، وهو من سبع عشر درجة وسبع درجة من السنبلة الى آخرها وينحط فيه الى العالم ، روحانى ، نحس ، فاذا نزل القمر به فاعمل نيرنجات العداوة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة وكل شيء يؤدي الي مضرة وأذى

ولا تعمل فيه الطلسمات ولا تدبر الصنعة ولا تستفتح فيه الأعمال ولا تزرع ولا تحصد ولا تبن فيه الأبنية ولا تكتل غلتك ولا تدخل فيه على الملوك ولا تخالط فيه الاخوان والاشراف ولا تدبر فيه الحروب ولا تتزوج ولا تشتر فيه الرقيق والدواب واجتنب جميع الاعمال الا الحلق والحمام وأخذ الشعر فقط ، ولا تسافر فيه .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مشئوماً محدوداً متهتكا سيء السيرة مذموم العمل

الغفر : وهو من أول الميزان الى اثنى عشرة درجة وستة أسباع درجة . وهو رياحى ، سعد ، واذا نزل القمر به فاعمل فيه نيرنجات المحبة والمودة والعطف واطلق فيه الاخيذ واحلل فيه عقود السموم القاتلة واعمل فيه وادع فيه بالدعوة وعالج فيه الروحانية وسافر وادخل على الملوك واتصل بهم وبالاخوان والاشراف وتزوج واشتر الرقيق والدواب وازرع فيه واحصد واكتل غلتك والبس ما أحببت من جديد ثيابك واستفتح فيه جميع أعمالك

ومن ولد في هذا اليوم ذكرا كان أو أنثى كان سعيداً ميموناً على والديه محببا مستوراً صالحا

الزبانى : رياحي ، سعد ، مضروب بنحس ، وهو من اثنتى عشرة درجة وستة أسباع درجة من الميزان الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات عقد الشهوة وحلها وحل السموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات وادع فيه بالدعوات ولا تعالج فيه من الروحانية ولا تدبر الصنعة وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فان من اكتال غلته فيه تمحقت وذهبت فى مدة ولا تسافر فيه وادخل على الملوك واتصل ولا تلبس فيه ثوبا جديداً فمن لبسه أصابه فيه صرعة من دابة أو سقطة من سطح أو ضجرة ، وتزوج واشتر الرقيق والدواب ودبر فيه تدبير الحروب وخالط فيه الاعداء ، وان ولد فيها ذكراً كان سعيداً محبباً ناسكا ميموناً ، وان كانت أنثى كانت مشئومة على والديها متهتكة فاجرة سيئة السيرة

الاكليل : ممتزج بالنار ، رياحى ، وهو من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من الميزان الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من العقرب ، فاذا نزل فيه القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة ، وكل ضرب منها يؤدي الى قطيعة ومضرة ! ولا تدبر فيه الصنعة ولا تعمل فيه الطلسم ولا تعالج فيه الروحانية ولا تختلط بالملوك والاخوان والاشراف ولا تزرع ولا تحصد غلتك ولا تكتلها ولا تسافر ولا تلبس ثوباً جديداً فمن لبسه خشى عليه من نهش السباع ولا تزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة ولا تستفتح فيه شيئا من أعمال المعيشة ولا التجارة ولا تحارب فيه

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مستوراً محارفا مبغضاً لا يولد له ولد ، ويكون محروما .

القلب : مائى ، سعد ، وهو من ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من العقرب الى احدى وعشرين درجة وثلاثة اسباع درجة .

فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وتأليف القلوب بالمودة وأطلق فيه الاخيذ (١) وأحلل فيه عقد السموم القاتلة ودبر الصنعة واعمل الطلسمات

(١) الاخيذ : الذى أخذ أسيرا في الحرب

وادع بالدعوة وازرع واحصد وا كتل غلتك واستفتح فيه أعمالك كلها وتزوج واشتر الرقيق والدواب والبس فيه الثياب الجدد ، فان ذلك كله محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام البركة والزكاة .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً مباركا ميموناً محبباً حسن التدبير والسيرة مستور الحال.

الشولة : مائي ، ممتزج بالنار ، سعد مضروب بنحس ، وهو من احدى وعشرين درجة من اربعة اسباع درجة من العقرب الى اربع درجات وسبع درجة من القوس .

فاذا نزل القمر بها فاعمل فيه نيرنجات عقدة الشهوة والسموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة وادع فيه الدعوة ولا تعالج من الروحانية ولا تسافر وازرع ولا تكتل غلتك فمن اكتالها انتهبها الاعداء واللصوص ولا تدخل فيه على الملوك ولا تسع فى حوائجهم وادخل على الاخوان والاشراف ولا تتزوج ولا تشتر الرقيق ولا تلبس ثوبا جديداً فمن لبسه أصابته الحمى المنهكة ولا تستفتح شيئاً من الاعمال .

ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان مشؤوماً على والديه وأهله مبغوضاً اليهم مذموماً فى الناس متهتكا سيىء السيرة.

النعائم : سعدة نارية ، وهي من اربع درجات وسبعى درجة من القوس الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منه .

واذا نزلها القمر فاعمل فيها نيرنجات المحبة وتأليفات المودة واطلق فيه الاخيذة واحلل عقد السموم القاتلة واعمل الطلسمات ودبر الصنعة وادع فيه بالدعوة وعالج فيه الروحانية واستفتح فيه جميع اعمالك كلها وخالط الملوك والاشراف وسافر وازرع وا كتل وتزوج واشتر الرقيق والدواب وحارب فيه فان فيه الظفر والسلامة ، والبس ثيابك الجدد فان ذلك محمود العاقبة نافذ الروحانية حسن الخاتمة تام الزكاء والبركة .

ومن ولد في هذا اليوم ذكراً كان أم أنثى كان سعيداً ميموناً محبباً حسن السيرة مستور الحال .

البلدة : نحسة نارية ، وهي من سبع عشرة درجة وسبعي درجة من القوس. فاذا نزل بها القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة وكل شيء يؤدى الى مضرة وفساد ولا تعمل فيه سوى ذلك من عمل طلسم ولا تدبر فيه صنعة ولا دعوة ولا تعالج فيه روحانية ولا زرعا ولا غرساً ولا كيلا ولا سفراً ولا اختلاطاً بالملوك والاشراف والاخوان ، ولا تتزوج ولا تشتر رقيقاً ولا دابة ولا تلبس ثوباجديداً فمن لبسه بط(١) عن قرحة دامية تخرج عليه ، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان منحوساً مشئوماً يموت أحد والديه وتكون تربيته باسوأ حال ويكون متهتكا سيء السيرة.

سعد الذابح : أرضى ، نحس ، مضروب بسعادة ، وهو من أول الجدي الى اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة منه . واذا نزل به القمر فاعمل فيه الطلسمات و نيرنجات عقد الشهوة والسموم القاتلة وكل علاج يؤدي الى مضرة ، ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه الدعوة ولا تعالج فيه الروحانية ولا تختلط فيه بالملوك والاشراف وخالط فيه الاخوان وازرع فيه ولا تكتل غلتك فمن اكتال غلته فيه تمحقت من يده ولا تسافر فيه ولا تلبس ثوباً جديداً فان لبسه لابس أصابته جراحة من عدوه . ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان الذكر ميموناً محدثاً حسن السيرة محمود العمل ، وان كانت أنثى كانت حظية عند الرجال حريصة عليهم مؤثرة لشهواتهم متهتكة غير مستورة

سعد بلع : أرضى ، مضروب بنحس ، وهو اثنتي عشرة درجة وستة أسباع درجة من الجدى الى خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة منه . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات القطيعة والعداوة والسموم القاتلة واعقد فيه الشهوات وأطلقها أيضاً واعمل فيه الطلسمات ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع بالروحانية ولا تعالج من الأرواح وسافر وادخل على الملوك والاشراف والاخوان وازرع واكتل

(١) بط بتشديد الطاء المهملة قبلها باء مفتوحة أيضا شق الجرح أو القرحة

غلتك ولا تتزوج فيه ولا تشتر الرقيق والدواب والبس فيه ما أحببت من جدد ثيابك . ومن ولد في هذا اليوم إن كان ذكراً كان محدوداً مشؤوماً مجارفاً (١) متهتكا فاجراً سيء العشرة والسيرة ، وإن كانت أنثى كانت ميمونة ستيرة نجيبة عفيفة محمودة السيرة حظية عند الرجال .

(سعد السعود) ممتزج من الرياح والأرض . سعد ، وهو من خمس وعشرين درجة وخمسة أسباع درجة من الجدي الى ثمان درجات وأربعة أسباع درجة من الدلو ، فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وعطف القلوب بالمودة وإطلاق الأخيذ وحلها وحل السموم القاتلة ، واعمل فيه الطلسمات واستفتح فيه جميع أعمالك وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانيـة وخالط الملوك والاشراف والاخوان وازرع واكتل غلتك والبس جدد ثيابك وسافر وتزوج واشتر الرقيق والدواب ، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً ميموناً مستوراً محبباً محمود العمل والسيرة

(سعد الأخبية) نحس ، رياحى ، وهو من ثمان درج وأربعة أسباع درجة من الدلو الى احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة . فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة والتفريق بين الاثنين والسموم القاتلة وكل علاج يؤدى الى مضرة وفساد ، ولا تزرع فيه ولا تكتل غلتك ولا تعمل فيه الطلسمات ولا تدع فيه الدعوة ولا تعالج ولا تسافر ولا تختلط فيه بالملوك والاشراف والاخوان ولا تدبر فيه الصنعة ولا تلبس ثوبا جديداً فمن لبسه سرق منه ولا تتزوج ولا تشتر رقيقا ولا دابة .

ومن ولد فيه ذكرا كان أو أنثى كان مشؤوما منحوسا يموت عنه والده ويكون متهتكا ويربيه الابعدون ويكون فاجراً خبيثاً سيء السيرة

(مقدم الدلو) وهو من احدى وعشرين درجة وثلاثة أسباع درجة من برج الدلو الى أربع درجات وسبعي درجة من برج الحوت . وهو سعد ، رياحى ،

(١) المجارف بالجيم المعجمة: الفقير الذى ذهب الدهر بماله أو حرمه هو بنفسه أضاعه من غير تدبير

قال: فاذا نزل به القمر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة وعقد الشهوة والسموم القاتلة والطلسم ولا تدبر الصنعة ولا تدع واحلل فيه عقدة الشهوة وعالج بالروحانية وادخل على الملوك والاشراف وعالج الروحانية والبس ما أحببت من الثياب الجدد وازرع ولا تكتل غلتك فن اكتالها عاقبه السلطان بغرم فتذهب غلته أو ثمنها.

ومن ولد فيها ان كان ذكرا كان مشؤوما محدوداً مجارفا متهتكا خبيث الدخيلة سيء السيرة مذموما عند الناس ، وان كانت أنثى كانت ميمونة سعيدة محببة مستورة حظية عند الرجال

(مؤخر الدلو) مائي ، سعد ، مضروب بنحس ، وهو من أربع درجات وسبعي درجة من الحوت الى سبع عشرة درجة وسبع درجة منه . قال : فاذا نزل بمؤخر الدلو وهو الفرع الآخر فاعمل فيه نيرنجات العداوة والقطيعة وعقد الشهوة والسموم القاتلة واعمل فيه الطلسم ولا تدبر فيه الصنعة ولا تدع فيه الدعوة وعالج فيه من الروحانيات وادخل فيه على الملوك والاشراف وحارب فيه وسافر وازرع فيه ولا تكتل غلتك فيه فان من اكتال غلته في هذا اليوم يعقبه من السلطان غرم ويذهب ثمنها .

قال : ومن ولد في هذا ان كان ذكراً كان مشؤوما محدوداً مجارفا متهتكا خبيث الدخيلة سيء السيرة مذموما عند الناس ، وان كانت أنثى كانت ميمونة سعيدة محببة حظية عند الرجال

(بطن الحوت) وهو من سبع عشرة درجة وسبع درجة من الحوت الى آخره ، وهو مائي ، سعد .

فاذا نزل القمر فاعمل فيه نيرنجات المحبة وعطف القلوب بالمودة واطلاق الأخيذ وحل عقد السموم القاتلة واعمل فيه الطلسمات ودبر فيه الصنعة وادع فيه بالدعوة وعالج فيه من الروحانية وازرع واحصد واكتل غلتك وسافر واختلط بالملوك والاخوان وتزوج واشتر الرقيق والدواب واستفتح فيه الاعمال. فان ذلك محمود العاقبة نامي البركة نافذ الروحانية . ومن ولد فيه ذكرا كان أو أنثى كان سعيدا ميمونا زكيا محمودا حسن السيرة .

فاعقد أيها الاخ هذه الاسرار الفلكية والتدابير الهرمسية والانباء الادريسية واعمل بها لنفسك ولاخوانك في مصالح دينك ودنياك وامنح به الصفوة من أصحابك وتدبرها بلطيف فهمك ونافذ بصيرتك تصل منها الى منازل الاخيار .

قال هرمس : هذه الاوقات التي تدور عليها روحانيات القمر بهذه الاعمال التي وصفها الحكيم في الكتاب المخزون .

وسئل أيضاً أي ساعات الليل والنهار أحب أن تعمل فيها النيرنج والطلسم ؟ فقال : أحب الساعات إلي في عمل النيرنج من ساعات الليل بعد مغيب الشفق الى طلوع الشمس : وذلك أن هذه الساعات هي ساعات ساكنة تنبسط الروحانية في هذه لان الروحانية مستجنة كامنة خفية بالنهار لشروق الشمس وضوؤها وانبثاث الروحانيات الارضية وحركاتها ، فاذا غربت الشمس وغاب ضوؤها وشروقها انبسطت الروحانيات بحركتها ونفذت في تدبيرها .

قال هرمس : وجدت في الكتاب المخزون في أسرار النيرنجات أن خير مايعمل به العامل مايخفيه عن عيون الناس ورؤيتهم وشروق الشمس وضوئها وذلك أن عيون الناس جاذبة روحانياتها تمنع أرواح النيرنجات في نفاذها ، وشروق الشمس يبطل النيرنج ويدفع روحانية نفاذه وتمامه

وقال : اعلم أن نيرنجات المحبة والمودة والقطيعة وعقد الشهوة وحلها كلها اعمل ليلا من تلك الليالي والايام المقسومة من منازل القمر واعمل الطلسم والصنعة والدعوة وعلاج الروحانية وخلط السموم وعقدها وحلها وعلاج الازواج الروحانية ليلا ان شئت أو نهارا واحترس في ذلك كله من العيون اللامعة والهموم المؤذية فانهما يفسدان روحانية العالم الاصغر والاكبر ويزيلانها عن حدودها ويغيران أعراضها.

قال : وجدت في الكتاب المخزون انه ليس شيء من الاعمال الموصوفة في الاصغر والاكبر الا والعيون اليه باسرع بالفساد من هذه الثلاثة الاشياء النيرنج، والصنعة ، ودعوة الروحانية .

ولذلك أمر الحكماء باخفاء هذه الثلاثة وأسرارها واوا كتمانها عن جميع الناس الا عن تلميذ مؤتلف الروحانية صحيح العزم تام الطبيعة مأمون الصحبة معين على الازدياد من العلوم .

وقد أتينا على دائرة منازل القمر والبروج الاثنى عشر فى هذا الموضع من الصفحة لتقف عليها وتقع تحت الحس السحري ، وهذا موضع صورة الاشكال الثمانية وعشرين منزلة وشهور الروم والقبط فى كل منزلة ودخول الشمس وطول الليل والنهار وقصر الليل فى دخول الشمس .

وأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله تعالى وايانا بروح منه من العمل بما لا يوجبه ولا يقتضيه الشرع الا ما كان من دفن مال أو حفر بئر أو نهر أو بناء سفينة أو دار أو تزويج أو دخول على سلطان أو سفر أو زرع أو غرس أو شراء عقار وما ينتهي بهذه الامور .

فاما ماعداها فان اخواننا أيدهم الله قد عصمهم الله عن افعالها: أعني العطوف والشدو الربط وما شاكل هذه الاشياء وانما شرحنا ذلك لاخواننا لتعرف كيفية عمل من يعمل ذلك ليكون علمهم محيطاً به وأيضاً لنعلمهم أن الحكماء لم يفتهم شيء مما يحتاج الناس اليه من أمر الدين والدنيا الا وقد تكلموا وعملوا عملا وأظهروا خواص الاشياء التى يتعجب منها عوام الناس وليعلموا أن الله تعالى لم يوجد شيئاً باطلا كما قال سبحانه : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ».

فاذا تأملت هذه الحكمة وتدبرت هذه الصنعة وعرفت هذا السر واطلعت على حقيقة هذا السحر الذي يسحر العقول وبانت لك الاشياء بحقائقها وتعلمت كيف تسحر من هو من الناس وتبين لك ماخفي عن غيرك من الغافلين من الامور الالهية .

فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأيقظ من قدرت عليه من الغافلين ليحصل لك النفع العاجل والخير الواصل في الدين والدنيا بلغك الله تعالى

أيها الأخ البار الرحيم منازل الاخيار المصطفين ورقاك الى منازل الملائكة المقربين وأيدك الله وايانا بروح منه وجميع المؤمنين برحمته آمين.

هذه الدائرة وعدتها ثمانية وعشرون منزلة التى ذكرها صاحب الاسطيطاس ذكرناها فى هذه الرسالة التى هي من جنسها .

ونريد أيضاً أن نذكر طرفاً من النيرنجات المعينة على مايراد منها فاوجدناها فى كتاب هرمس المثلث بالحكمة فانه قال — بعد تقسيم القمر وسيره — ان النجوم السبع قد تقسمت للتدابير بروحانيتها ومسيرها فى الطوالع الاثنى عشر، وذكر أن القسمة الاولى لم تبطل ولم تنقص وأنه الاصل فى القسمة الاولى ، غير أن هذه الروحانيات اللاتى هى السبع قد ضربت الاثنى عشر بقسمتها وغلبت عليها روحانيتها وقسمتها بالدقائق والثوانى والتسديس والتربيع والتثليث والمقابلة والمقارنة وألحقتها بتدبيرها فى المواليد خاصة وثمار الاعمار مما ينقص من هذه القسمة في منازل القمر ومسيره : وذلك أن القمر هو السعد الثانى ومسيره أسرع النجوم مسيراً فى منازله وأقدر أن يبلغ بروحانية جميع النجوم بسرعة حركته.

وذكر أيضاً في كتابه أنه ليس من حكيم الا وهو محتاج الى معرفة هذه القسمة لانها الاساس بتدابير الاعمال والصنعة .

قال ووجدت أيضاً من أسرار العلوم الخفية فى أخذ هذه الاعضاء الروحانية من العالم الاصغر والحيوان المتحرك أنه قال : يؤخذ الدم من العالم الاصغر في حجامته وفصده وجراحته وهو بحري - وسعد أسا وحاسة - وأما دم الحيوان المتحرك فلا يجوز الا دم الاوداج في الذبح وذلك أن العالم الاصغر كامل الطباع في تركيب الجوهر تام الروحانية في الاعضاء السبعة في الاجزاء الاثنى عشر . وأما سائر الحيوان المتحرك فناقصة التركيب في الجوهر فلا يجوز الا دم الاوداج في مجاري النفس وعلاقة الحياة وروحانياتها • قال : واذا أخذت الدم من العالم الاصغر فان أردت استعمالها رطباً فاجعلها فى قارورة وعلقها في شمس حارة أو بيت توقد فيه النار في حائط بوتد واشدد رأس القارورة بقطنة ثم دعها يوماً حتى يسكن جوهره ويرتفع ماؤه وليذبت طبيعته فوقه بوهج الشمس أو مادة

الحرارة في البيت الذي توقد فيه . فاذا تم ذلك يوماً أو ليلة لتمام اثنى عشرة ساعة فارفعه وصب الماء المرتفع على رأسه وخذ ماسكن منه ، فاذا أردت استعماله رطباً استعملته ، وان أردت تجفيفه صبه على جام (١) وضعه في الشمس ومكنه بغطاء من غبار الهواء واجعله بالليل في مكان لين سخن ودبره أبدا كذلك حتى يبرد وينعقد وجففه وارفعه عند ذلك في قارورة لطيفة حتى يحتاج اليه

فأما دم الحيوانات المتحركة فانك لا تحتاج الى تدبيره كذلك . وذلك أن طبيعة الحيوان المتحركة ليست بتامة ولا كاملة ولا يحتاج الى تدبيره في الشمس وتصفية مائه المرتفع من فساد جوهر الطبيعة ، فان أردت استعماله رطبا فخذه في قدح وضعه ساعة حتى يسكن وجففه واستعمله ، وان أحببت استعماله يابساً فجففه في الشمس على الصفة الاولى ثم ارفعه في قوارير واستعمله وليكن ما تأخذ من الدم — دم الاوداج — من أول قطرة تسيل منه الى أن تأخذ حاجتك منه وخذ ذلك في قارورة وطشت ولا يصيبن الارض شيء منه

(الدماغ) قال وخذ الدماغ من العالم الاصغر والحيوان المتحرك وارم بسنطته وهى الجلدة الرقيقة التى هى محيطة بالدماغ وارم مضربه والعروق المتعلقة به وارم بعضيضته وهى الدودة المتخيلة فيه ، فاذى نقسه من ذلك كله ، وان أردت استعماله رطبا فاستعمله وان أردت تجفيفه فابسطه في جام وضعه فى الظل في مكان بارد مغطى حتى يجف وارفعه فى قارورة نظيفة حتى يحتاج اليه

(المخ) وأما المخ فتبرزه من العظام في جام فان أردت استعماله رطبا فاستعمله وان أردت تجفيفه فابسطه على جام وضعه في الظل في مكان بارد مغطى حتى يجف واستعمله فيما تريد

(المرارة) ان أردت استعمالها رطبة فأرسلها في قوارير واستعملها ، وان أردت تجفيفها فعلقها فى الشمس حتى تجف وارفعها ، وان أردت استعمالها فضعها واخرج المرارة من جوفها واخرج الجلد وارم به واستعملها فيما تريد

(١) الكأس من فضة ، والجمع أجوام وأجؤم وجامات وجوم بسكون الواو وقبلها جيم مفتوحة ـ فارسية معربة

(الشحم) خذ شحم الكلية المسعة من العروق فأذبه في ضجير ثم صف الذائب منه في شربة مملوءة ماء حتى يبرد وتذهب زهومته ونتنه ثم ارفعه في قارورة واستعمله فيما تريد

(الانفحة) خذ الانفحة فعلقها في الظل حتى تجف ولا تستعملها رطبة وغير ذلك من اللحم والكبد والرئة وغير ذلك من حيوان الماء تخذ ذلك وكل العدد الذي وصف لك كله ولا تطعم منه أحداً شيئاً فان أردت أخذ الخذفة فارم جلدتها عنها قبل أن تجف واستعمل الباقي .

قال في كتابه : اذا أردت أن تطعم شيئاً من هذه الاخلاط أحداً في طعام فاعمل من الطعام ما يأكله الانسان الواحد واخلط ذلك به وامزجه فيه ، وليكن ذلك الطعام حلواء تعمل أو لحما تشويه بيدك أو أقراصاً محشوة ثم اطل ذلك الخلط عليه حتى تذيبه بالنار سخنا ذائبا قبل أن يبرد ان كان لحما أو أقراصا فان كانت حلوا فاخلط بها قبل فراغك من صنعتها اذا قاربت الادراك قبل أن ترفعها عن النار ولا يأكلن أحد منه سوى من عملت له هذا في نيرنج المحبة والعداوة والسموم وعقد الشهوة والاطلاق وحل السموم وسائر العلاجات الموصوفة ، دبر كذلك كله .

وقال : في كتابه ان عامل النيرنج وصانعه ينبغي له أن يجمع وهمه ويصحح عزمه ونيته فيما يعمله تصحيحاً لا يشوبه شيء ، وذلك أن هذه الروحانية تنفذ وتقوى بصحة نيته وهمته ، واذا دخل في بابها شك أو ريب ضعفت الروحانيات فلم تعمل ولم تنفذ ، واذا أردت أن تخلط نيرنج المحبة والعطف والمودة فقل — وأنت تعالج ذلك بصحة من عزمك ووهمك — هذا تأليف المحبة في طبيعة فلان ابن فلان بالمودة والعطف والمحبة وقد حركت روحانيته الساكنة في قلب المحبة في طبيعة روحانية هذه الاخلاط وقوتها على فلان بن فلانة وهيجته بالمحبة والمودة تهيجا قويا مثبتا شديدا كحركة النار وقوتها وتهييج الريح وهبوبها . ولا تزال تقول ذلك حتى تفرغ منه فاذا فرغت منه فاخفه عن العيون الناظرة وشروق الشمس وشعاعها ومس أيدي البشر وشمهم ، فان أمكنك أن تطعمه من يدك

فافعل فانه أنفذ وأقوى ، وان لم يمكنك فادفعه الى كتوم أمين وتقدم اليه أن لا يشمه ولا ينظر اليه ولا يضعه في الشمس حتى يطعمه اياه ، وان أردت أن تعمل لنفسك فسم نفسك فيما تريد أن تطعم أو تدخـر ، وان أردت أن تتمسح بخلط من الاخلاط لتحظى عند الناس جميعا أو تدخره بدخنه فتقول ـ حين ترفعه على كفك أو حين تطرح الدخنة في النـار — جذبت الروحانية المعتودة في أعين البشر المتصلة بقلوبهم الى نفسي بالهيبة لي بقوة هـذه الروحانية التي يمسك بها كجذب شعاع الشمس نور العـالم الا كبر وقواه ، وجعلت نفسي وروحانيتي مرتفعة على أنفسهم وروحانيتهم بالهيبة والاعظام كارتفاع نور الشمس على نور العالم وقواه ، واذا أردت أن تعمله للعداوة والتفريق فقل : قطعت بين فلان ابن فلانة وفلانة بنت فلانة بقوة الارواح الروحانية وفرقت بينهما كافتراق النور والظلمة وألقيت بينهما العداوة والبغضاء كعداوة المـاء والنار ، واذا أردت أن تحل العقدة فقل : حللت وأطلقت القطيعة البائنة القـائمة الروحانية بين فلان ابن فلانة وفلانة بنت فلانة بقوة هـذه الارواح الروحانية وقمعتها قمع النور للظلمة والحياة للموت .

واذا أردت أن تعقد الشهوة وحركاتها فقل : عقدت روحانية شهوة فلان ابن فلانة عن فلان بن فلانة بقوة هـذه الأرواح الروحانية كعقد الجبال المعقودة وصخورها .

واذا أردت أن تحل هـذا العقد فقل : أطلقت عن فلان بن فلانة عقد روحانية شهوة فلان بن فلانة المعقودة بقوة هذه الارواح الروحانية كانطلاق الشمس النيرة ظلمـة العالم وارواحها وأذيبها كذوبان الموم (١) بالنار والثلج من الشمس .

واذا أردت أن تعمل شيئاً من هذه النيرنجات في صـلاح الارواح فقل :

(١) الموم : اداة الحائك يضع فيها الغزل وينسج به والموم : الشمع ، وهو المرادهنا لان من شأنه الذوبان كما يفهم من تعبير المؤلف ... اه

نفيت وقمعت الروحانية الـكامنة في جسم فلان بن فلانة بقوة هذه الأرواح الروحانية كقمع الشمس الظلمة والماء والنار .

وإذا أردت أن تعمل شيئاً للهوام والسباع دخنة أو غيرها فقل : دفعت فطردت روحانية الهوام والذباب والسباع القاتلة بقوة هذه الارواح الروحانية كدفع النور للظلمة وطرد السنانير للفار

وكلما أردت أن تعالج شيئاً من هذه النيرنجات فصحح وهمك فيه واستعمل في ذلك التحفظ والتحرز وحسن العمل والتثبت والرفق ولا تعملن شيئاً بخرق ولا عجلة فان الخرق والعجلة ضد الرفق والتثبت فتكلم في ذلك كله بكلام في معنى مايعمل به فان الـكلام في النيرنج يقوي الروحانية الـكامنة وينفذها .

وذكر في كتابه أن النيرنج أربعة أجزاء جزء منه الاخلاط الصحيحة التي تؤخذ على الموازين المقدرة وجزء منه صحة الهمة والعزم والنية وجزء منه الـكلام المقوي لروحانيته وجزء منه حرزه وحفظه من العيون والايدي اللامسة واشراق الشمس وضوئها .

قال : وإذا أردت شيئاً تقطع السنة الناس عنك أو غيرك فقل : سترت على فلان بن فلانة أو على نفسي بستر النور المضيء وقطعت السنة الناس جميعاً عنه أو عني وأسبلت على أعينهم ستراً روحانياً دافعاً لمناظرهم الخبيثة قاطعاً لالسنتهم المؤذية قامعاً لهمتهم المؤذية .

وإذا أردت أن تهتك ستر انسان أو تفضحه فقل : هتكت ستر فلان بن فلانة بقوة هذا الروحاني كهتك شعاع الشمس غلظ الضباب وفضحته وجعلته غرضاً لروحانية الالسنة بالروح المذموم كغرض السهام الذي يتعاوره الرماة.

وذكر في كتابه : أنه سأله فقال له هل ان هذه الوحوش والسباع والطير والهوام كيف تشاء يصاد ذلك ؟ والطير هل اليه وصول بحيلة ليست كحيلة الهوام وصيدهم؟

قال نعم وجدت في الكتاب المخزون من أسرار العلوم الخفية .

فقال له : أنت أيضاً مجاذب بروحانيتك العامة المستعملة جميع أسرار العلوم الخفية ولطائفها كجذب شعاع الشمس نور العالم وقواه ولست تعقل عن شيء من العلوم الخفية والاسرار اللطيفة الاجذبتها بروحانيتك قال وأنا مبينك عما سألت ومبين لك الحق ومفسر ذلك في الاسرار فى أخذ هذه الوحوش والسباع والطيور بحيلة الحكمة فاستر أمرك وسل عما بدا لك أجبك وأطل الفكر والنظر فى الامور الغامضة المغلقة عليك فان بيدى مفاتيح الاعمال وأسرار الاسرار وعلل الاسرار ولست أكتمك منها شيئا فاذا أردت أن تأخذ هذه السباع والوحوش والطيور وتذل لك روحانياتها وتشتاق الى طبائعها من غير أن يصيبك أذى أو يتناولك مكروه أو يستصعب عليك أخذها فاعمل اربع أخلاط تأخذ بها جميع الحيوان المستوحشة فى قسمة النجوم السبعية الخلط الاول يسمى (بادميا) تعمله لجميع السباع كلها ، والثانى يقال له (سمومديا) تعمله لجميع الوحوش كلها ، والثالث يقال له (عموديا) لجميع الطيور الوحشية ، والرابع يقال له (وعوديا) لجميع الهوام الدبابة كلها صفة بادميا للسباع كلها تأخذ من دم الفرس أربع أواق ومن شحم الضبعة أوقية ومن دماغ الضبعة أربع مثاقيل ومن مرارة الطير مثقالين ومن مرارة السنور الاسود مثقالا ومن شحم الخنازير ثلاثة مثاقيل ومن دماغ الحمار أربعة مثاقيل ومن مرارة الغراب ومرارة النسر ومرارة العقاب ومرارة الديك من كل واحد مثقالا ومن دم الثعلب أوقية ومن شحم الارنب ودماغه من كل واحد اربعة مثاقيل ، ثم تجمع الدهنين فى طنجير وترفعه على النار حتى يسخن فاذا سخن طرحت عليه الدماغ حتى يذوب ثم طرحت عليه الشحم حتى يذوب ، ثم اطرح عليه المرارات كلها رطبة حتى تختلط به فاذا اختلطوا جميعاً أخذت من البروج المسحوق اربعة مثاقيل ، ومن سد قوس المرضوض عشرة مثاقيل وهو البلار ومن سلخ الحية المدقوق مثقالين ومن الكبريت الاصفر والزرنيخ الاحمر من كل واحد خمسة مثاقيل فاذا اختلط ذلك في النار جميعاً فارفعه عندك ودعه حتى يبرد .

فاذا برد فاجعله في زجاجة محرزة وارفعها فاذا أردت أخذ سبع من السباع كالكراسي والفيلة والريبال والاسد والعربيان والرمان والعرمان ومادون ذلك من السباع القاتلة المقسومة في قسمة النجوم السبعية تخذ رطلا من شحم كلب أي الالوان كان فاطله من هذا الخلط الذي عملت وهو البادميالون أربعة مثاقيل فتجعله في مسقط وترفعه على النار حتى يذوب ثم اطله عليه ثم تأخذ من البادميا مثقالا ومجمرة فيها جمر وتمضى الى مكان هذه السباع فتدخن بالمثقال والشحم في يدك فتقول : أخذت روحانية كذا أيتها السباع أردت باسمه بقوة هذه الارواح الروحانية وسقت بها إلى نفسى سوق الريح السحاب ، أدعوك أيتها الروحانية الكامنة في جسم كذا و كذا تسميه بعينه بقوة هذه الارواح الروحانية فاجيبيني طائعة ووافي ذليلة

فانك اذا دخنت بذلك وتكلمت بهذا الكلام لم يلبث ذلك السبع الذي تريد فانه لايملك نفسه حتى يتكالب عليه فيأكله ، فاذا أكله ذل وخضع وصار مثل الرجل السكران وانقمعت روحانيته .

فان احببت شده بحبل فافعل وسقه صحيحاً حيث شئت .

فان أحببت فاذبحه في المكان وخذ من أعضائه الذي تريده صفة السمومديا(١) للوحوش تأخذ من دم الكلب الاسود خمس أواق ومن دماغ الخنزير أربعة مثاقيل ومن شحم الارنب أوقية ومن مرارة الايل وشحمه من كل واحد مثقالين ومن دماغ الغداف أربعة مثاقيل — يجعل الدم في طبجير ثم يطرح عليه الشحم حتى يذوب ثم الدماغ ثم المرارة فاذا ذاب واختلط تخذ من قرن الايل المسحوق وزن عشرة مثاقيل ومن حافر حمار الوحش المسحوق مثقالا ومن حب السروج خمس مثاقيل ومن الكرفس الجبلي وهو الفطر اساليون والسيساليون من كل واحد أربعة مثاقيل يسحق ويطرح فيه ويخلط ثم يرفع فى اناء زجاج .

(١) لم اعثر في كتب اللغة على تفسير لتلك الكلمة

فاذا أردت أخذ وحش من الوحوش فخذ قدر أوقية من دم الانسان اجعله في طنجير وسخنه على نار لينة ثم اطرح عليه من هذه الخلط أربعة مثاقيل حتى يذوب ، فاذا ذاب فخذ حزمة كرفس جبلي رطب فانقعه في ذلك الدم العذاف فيه السويداء ثم ارفعه على شيء نظيف حتى يشرب ذلك ثم خذه وخذ مثقالا من السمموديا ومجمرة فيها نار واذهب الى مكان تلك الوحوش فاطرح الدخنة على النار ثم تكلم بالكلام الاول الذي وصفت لك في باب السباع والوحش الذي تريده بعينه فانه لايلبث أن يأتي اليك فالق اليه الكرفس الذي معك حتى يعتلفه فاذا اعتلفه تعبدت روحانيته وذلت لك طائعة خاضعة فاذبحها ان شئت أو سقها بالحبل كيف شئت .صفة العموديا لطيور الطيارة تأخذ من دم عقاب أوقية ومن دماغ نسر ومن دماغ صقر ومن دماغ شاهين من كل واحد مثقالا ، ومن شحم الكركي وشحم البط من كل واحد خمسة مثاقيل ، ومن مرارة البومة والهامة ومرارة الغداف من كل واحد مثقالا يسخن الدم في طنجير ويطرح عليه الشحم ثم الدماغ ثم المرارة حتى يختلط ذلك كله فيه فاذا اختلط فخذ من حب النيروج المسحوق وحب الصنوبر المسحوق من كل واحد خمسة مثاقيل

ومن السمسم والحنطة وحب الفرصاد من كل واحد مثقالا تسحق ذلك جميعاً وتطرحه على ذلك الدواء واخلطه فاذا خلطته به معاً فادفعه في زجاجة نظيفة .

فاذا أردت أخذ طير فخذ كليجة سمسم ومن العموديا أربع مثاقيل فأذبه في ماء الهندباه قدر رطل واطرح السمسم فيه حتى يختلط ثم ارفعه حتى يجف ، فاذا جف فخذه وخذ من العموديا مثقالا ومجمرة نار واذهب الى مكان الطير الذي تريد فبخر به وتكلم بالكلام الاول وتسمى الطير فانه يأتيك فاذا أتى فاطرح له السمسم حتى اذا اعتلفه ذلت لك روحانيته وان كان من الطيور أولي النهش فخذ عصفورا واذبحه وانتف الريشة وخذ مثقالا من العموديا فأذبه في مسقة واطل به ذلك العصفور واحمله معك واطرحه اليه فاذا أكله ذلت لك روحانيته وخضع فاصنع به مابدا لك .

صفة العموديا للهوام

تأخذ دم الايل أواقي ومن دماغه وشحمه من كل واحد مثقالا ومن دماغ الارنب مثقالين ومن أنفحة الظباء وأنفحة الاعير الاهلية من كل واحد نصف مثقال ومن قرن الايل المسحوق وقرن العيريان مثقالا ومن شحم الافعى مثقالا يجعل ذلك الدم في طنجير ويسخن ويطرح عليه الشحم والادمغة والانفحة والقرون حتى يختلط ذلك عليه جميعا فاذا اختلط فارفعه في زجاجة نظيفة ، فاذا أردت أخذ شيء من الهوام الدبابة فخذ شيئاً من لبن امرأة في مشربة نحاس وأذب فيه مثقالين من هذا الخلط ثم خذ مثقالا منه ومجمرة فاذهب الى مكان ذلك الهوام من الافاعي والقنفذ والورم وغير ذلك فدخن بذلك المثقال وتكلم بذلك الكلام الاول وسم ذلك الضرب باسمه فانه لا يلبث أن يخرج اليك فتضع المشربة بين يديه حتى يشربه فاذا شربه ذلت لك روحانيته فان لم يكن من الهوام التي تشرب اللبن مثل العقارب والعظايات فخذها حتى تخرج اليك فان روحانيتها مقموعة لا تمتنع عليك .

فان عارض معارض وقال لا خلاف بين العلماء بخواص الأشياء ان الحيات تنفر من قرن الايل أبعد نفار وأحدنا اذا أحس في داره بحية دخن بقرن الايل حتى تهرب الحية الى دور كثيرة فكيف جعلته أنت في الأدوية التي تصاد بها الهوام ؟ فقال : ألست تعلم أنا ننفر من رائحة البصل والثوم أبعد نفار واذا وقع مع التوابل في القدور استطبناه وكذلك الخردل والفلفل نكرهه على الانفراد ونلتذ به اذا وقع في الطبخ .

قال فسألت الحكيم ، فقلت له أنت ذكرت أن في بعض هذه السباع وأدواتها وأعضائها سموما مؤذية تقتل بالرائحة قال بلى قلت كيف يحترس الرجل من ذلك وقت أخذ هذه السباع قال حرزه في الاخلاط التي وصفت لك قلت كيف يصنع؟ قال يأخذ من الخلط الذي يستعمل في أي الانواع أراد فيبدأ قبل كل شيء

فيذيب شيئا منه قدر نصف مثقال بقدر نصف أوقية دهن السمسم ويمسح به يديه ومنخريه وفمه ووجهه ساعة وقدميه مسحا رقيقا ثم يعمل ماوصفت لك فان ذلك يكون حزرا له من كل شيء يتخوفه من عادية السموم .

قال التلميذ قلت للحكيم وجدت في ذلك الكتاب مع قوة روحانية هذا الكلام الذي يتكلم به على الدخنة للبهيمة التى لا تعقل وما معنى الكلام بحيوان لا عقل له ولا فهم ، وأن الحكيم الاول قطع الكلام على نيرنجات العالم الاصغر لتركب عقله وفهمه فماباله وضع ذلك الحيوان الذي لا عقل له ؟ فأجابه الحكيم هذا الكلام لم يوضع لشيء مما ذكرت ولم يقسم على العقل والفهم وقد وجدت فى الكتاب المخزون أن جواهر الكواكب الذي وصفت لك مأخوذة من الروحانية الاولى المؤلفة فى تركيبك الذي هو الانسان لانه لا يتم الا بتحريك منك فجعل ذلك الكلام لك لا للغير هذا من أسرار العلماء فاحفظه ولا تخرجه الي الغير فانه يكون فساداً عظيما وتحت ماأخبرت لك كنز عظيم ، وان وفقت لفهمه وانما هو لك لا للحيوان ولا للعالم الاصغر لانه لا يتم الا بتحريك منك فجعل ذلك الكلام لك لا للغير ، وهذا من أسرار العلماء .

واعلم أيضا أن جواهر الكلام وروحانيته أمران جمعا جميعا فانقادت لها الروحانية المستجنة فى الاجسام من العالم الأصغر وتلك الروحانية فى ذاته سامعة عاقلة . ومما يدلك على أن هذا الكلام لم يوضع على معنى ما قلت ان النيرنجات التى تعملها للعالم الاصغر انما يتكلم عليها من حيث لا يسمع الانسان ولا يبصره ومن لم يسمع شيئاً ولم يبصره ولم يفهمه فانما تصل الى روحانيته الكامنة فى جسمه أرواح تلك الاخلاط . والكلام من حيث لا يعقله ولا يفهمه ولا يراه ثم يتحرك ذلك فى باطنه بالمعنى الذي عمل له من الحب والبغض والعقد والحل ونحو ذلك ، وكذلك الحيوان المتحرك أيضاً انما تصل تلك الارواح الى روحانيتها المستجنة فيها من حيث لا تفهم ولا تعقل ولا ترى ، هذا ان صدقت روحانيتك ولم ترتب فيما تفعله فتسوقها الى ذلك المكان دعت اليه طائعة لروحانيتها الخبيثة وليس هذه

النيرنجات المعمولة على الحيوان المتحركة بأعجب من النيرنجات المعمولة على العالم الاصغر ، بل سائر العالم الاصغر فى ذلك أعجب بما فيه من تركيب العقل والفهم وقوتهما ، ولو أن العالم الاصغر أبطل هذه النيرنجات المعمولة وقطعها فى فهمه لكان حريا بذلك لتمام تركيبه وكمال خلقه ، كما أنه لو عملت نيرنج العالم الاصغر وأحس منك بذلك ولم يستشعر أنه عامل بطل فعلك فاعرف هذا .

فقلت له هل بقي في هذا الباب ما لم يأت عليه الشرح في هذا المعنى ؟ فقال: وليس قدر ماذكرنا الا كقدر قطرة من بحر ، وان فى علم روحانيات الكواكب ومعانيها ومعرفة أوقات العمل لها ولباسها ودخنها والكلام الذى يحتاج لكل واحد منها وما يظهر من أفعالها لمن وقف بمعرفة علمها عجباً عجيباً : فأقل ما في ذلك العلم أنه من التمكن أن يؤدى العالم الأصغر فى منامه ما تدوم من جهته فينقاد اليك خاضعا طالبا أن يري اقبالك عليه وقبولك ما يبذله لك سعادة عظيمة وغير ذلك مما شاهدت من عجب هذا العالم أني كنت بجزيرة أوال (١)

وكان بها رجل من المتصلين بحبل الله عالماً بهذا العلم فقصدته زائراً فرأيت قوما من أهل البلد قد دخلوا عليه وشكوا اليه غمهم بمحبوس لهم قد حبسه أمير البلد في جناية جناها قالوا : قد أطرحنا أنفسنا على الوزير والحاجب وخواص الأمير فلم ينفعنا ذلك وقد بذلنا له من الرشوة بحسب طاقتنا فلم يقبل وقد ذكر لنا عنه أنه قال لا بد لى من قتله فأطرق ذلك الفاضل اطراقه ثم رفع رأسه وقال : الليلة فى آخرها صاحبكم عندكم فامضوا ولا تشعروا أحداً بما ألقيته اليكم فخرج القوم من عنده .

فقلت له — على طريق الملاعبة : قد أوحي اليك أن الامير الليلة يطلق هذا المحبوس ؟! قال لى : سوف ترى ! فقلت : ولا يجوز أن يطلقه غداً فقال : ان

(١) أوال بالضم ويروى بالفتح – جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين ، فيها نخل وليمون وبساتين اه – معجم ياقوت جزء أول صفحة ٣٦٥ طبع مصر

تأخر إطلاقه الليل لم يصح اطلاقه الى ستة أشهر وكسر ، وانما قد اتفق سعادة لهذا المحبوس أن جاءني هؤلاء القوم في هذا اليوم .

واشتغل بحديث آخر وخرجت من عنده ، فلما كان من الغد أتيته مسلماً فوجدت القوم الذين جاؤه بالأمس قد سبقوني الى عنده وهم شاكرون له بما بشرهم به من تخلية المحبوس ويسألونه عن عمله بذلك ؛ فقال لهم : الطالع الذي دخلتم به شهد أن محبوسكم في هذه الليلة يطلق ولم يكشف لهم عن حقيقة الأمر .

ورأيت غلاماً شاباً مصفر اللون قد أنهكه الحبس والقيد فأقبل الشيخ على الشاب فقال له : حدث هذا الرجل كيف خلاك الامير البارحة ، فالتفت الى الشاب الذي كان محبوساً فقال : اني كنت محبوساً في المطمورة مطروحاً وأنا مكبل بالحديد وقد هددني السجان في آخر يوم أمس وقال بأن الأمير قد أنفذ بأن يحمل اليه قوم قطعوا في البحر الطريق وانه ينظر أولئك وأنه يصلبك في جملتهم ، ذكر لي هذا عند اصفرار الشمس فبكيت طول ليلي ولم يحملني النوم أصلا !

فبينا أنا كذلك وقد عبر من الليل النصف الاول اذ سمعت حركة شديدة وباب المطمورة يفتح ففزعت وشلت رأسي الى السماء مستعيناً بالله تعالى واذا الجماعة من الخدم قد نزلوا وحملني أحدهم بحديدي فأدخلت على الامير فاذا به قائم فلما رآني قال حطوه برفق واستدعى من فك الحديد عني وسألني أن أجعله في حل بما فعل بي وأمر بأن أجعل في جملة خدمه وأثبت لي رزقاً جارياً مع خاصته وأفرج عني وهذا حالي .

وقاموا وخرجوا من عنده فجددت السؤال للشيخ ورغبت اليه أن يعلمني السبب في تخليته اذا لم يقل لهم إنه سيخلى الليلة عن فائدة ؟ فقال لا يمكنني أن أخبرك في هذا اليوم فان صبرت ثمانية وعشرين يوماً أعلمتك ، فقلت له اني من الصابرين .

فلما انقضت الايام جددت السؤال فقال : هؤلاء القوم الذين جاؤا حدثوني بحديث المحبوس قوم أخيار يلتزمني أمرهم ورأيتهم مغمومين بهذا المحبوس فقلت لهم ما قلت ، ولما كان في تلك الليلة على ساعتين من الليل تجردت وعملت نيرنج المريخ وقصدت بالنيرنج الامير والمحبوس فأطلقه كما رأيت .

فقلت للشيخ أحب أن تعلمني سبب اطلاقه له ؟ فقال : سبب ذلك أن الامير رأى فيما يرى النائم كأن قد دخل عليه رجل أشقر أزرق على رأسه شعر وهو مكشوف الرأس وبيده سيف مجرد يقول ان لم تخل في هذه الساعة فلان ابن فلان المحبوس عندك وجاءت الليلة قطعت رأسك بهذا السيف ! فكان هذا سبب التخلية له ، فاستطرفت ذلك واستعظمته .

فقال لي إياك أن يسمع منك هذا في هذه المدينة أحد ما دمت أنت بها فضمنت له ذلك وقلت : وللمريخ نيرنج يعمل ؟ فقال : لزحل لباس سواد وللمشتري بياض وللمريخ حمرة وللشمس أصفر وللزهرة أخضر ولعطارد ملون وللقمر سمكون ، ولهم مع ذلك دخن وبخورات وأشياء أخر يعرفها العلماء الواقفون على أسرار الخليقة مثل أكاليل يحتاج في عمل بعضها فان لبسه يضعها العامل على رأسه ومخانق سلعة يتقلد بها فان كان العمل لزحل احتاج أن يكون الاكليل من شكوك والمخانق من عظام وآلات أخر لكل واحد منها لو شرحتها لك لكثر تعجبك منهم ، ولكل واحد آلة لا تصلح للآخر يعرفها العلماء الواقفون على أسرار الخليقة وروحانيات الكواكب ، فقلت له : قد عارضني في هذا الموضع سؤال ولست سائلا عنه لشك عرض بل لاستفهام حسب .

فقال لي ذلك العالم الفاضل هلم سؤالك ! فقلت له الانبياء عليهم السلام ماوقفوا على هذا العلم ؟ فتبسم وقال لي يامسكين ثقالة عكس علم الانبياء عليهم السلام فقلت له ما سمعنا أنهم تعسفوا في دعاء الخلق أو تعبوا التعب العظيم وطلبوا وهربوا من أيدي أعدائهم سراً ومنهم من تأدى أمره مع أعدائه إلى أن قتل فياليت شعري مع قدرتهم على هذا العلم الشريف لم لا يعملون لاعدائهم من هذه النيرنجات ما كان يضطرونهم معها الى اجابتهم

فقال لى : ما أحسن ماسألت إلا أن الأنبياء عليهم السلام أرسلهم الله تعالى لنجاة الخلق ولأن يطبوا أنفسهم المريضة بالعلوم الالهية التى تكون شفاءها وتستدعيهم الى العلم الاختياري كما قال الله تعالى : (لا إكراه في الدين) . ولعل كثيراً من الناس لايفرق بين الدين والشريعة .

فأما الدين فلا اكراه فيه فان أكره عليه لم ينتفع الذي أكرهوا على قبوله لأنه أمر إلهي وأما شريعة الدين فهو الذي يقع الاكراه فيها لأنها أمر وضعي سنى دنيوي به يكون ثبات الدين ودوامه ، فلهذا أكره الناس عليه وهو ظاهر الاسلام وأما الدين الذى هو الايمان فلم يكرههم عليه . ولذلك قال الله تعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فلهذا قال النبى ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله وأن محمداً رسول الله فاذا قالوها حقنوا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقيل يارسول الله من قال لااله الاالله دخل الجنة ؟ فقال نعم من قال مخلصاً دخل الجنة . قيل له وما اخلاصها ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها ، فقيل يارسول الله مامعرفة حدودها وأداء حقوقها ؟ فقال نعم أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد مافي المدينة فليأت الباب فأرشدهم الى من يشرح لهم ذلك الذي يؤدي الى الدين الاختياري الى محبى الثواب لان الاكراه عن الاسلام صورة معروفة في الشريعة قال الله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فلم يستعمل الانبياء عليهم السلام هذا العلم لأحوال : أحدها أنه ضرب من الحيلة والمكر فلم يبعثوا بذلك ، وثانيها أنهم لو فعلوا ذلك لكان اجابة الناس الى الخديعة لاالى العلم الذي به نجاة أنفسهم وكان يفوتهم الغرض الذى جاؤا فيه الذي هو نجاة الأنفس لأن الأنفس ما كانت تصفو بما يكون فيه خديعة ومكر اذا كانت تتخلص من عالم الكون والفساد ولأن هذا العلم فوائده مختصة بالعلم الأرضى والانبياء عليهم السلام فهم دعاة الى العالم العلوي الذي هو أعلى من عالم الأفلاك فلذلك لم يستعملوه أيضاً وأيضاً فلم يجز لهم الى أن يضيفوا الى تأييد الله ووحيه بوساطة الملائكة

للمقربين حيلة بشرية ولانيرنجية فلكية . ويجوز لأمثالنا نحن استعمالها في مصالح دنيانا ولايجوز لهم لأنهم في شرفهم وعلو منازلهم مستغنون عما نحن مفتقرون اليه ولشدة تحرزهم وتنزيههم أنفسهم عن أفعال البشر قدشهدوا أحوالهم الدنيوية مضيقة عليهم مع معرفتهم وعلمهم بصناعة الكيمياء وهذه الخصلة ، يقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، كذلك جماعة اصحاب الشرائع جرى أمرهم فلزموا التزهد والتقشف والجشب من العيش وألزموا أنفسهم ذلك وحرموا عليها الطيبات ، كذلك ليفعل الناس كفعلهم ويقتدوا بهم

قال الله تعالى : (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه) فلهذا لم يفعلوا لان هذه المحرمات كلها انما تجري مجرى الحمية التى أمرنا الطبيب الحاذق المشفق باستعمالها لصحة أجسامنا لتبقى في الدنيا المدة المقدرة لها ، والانبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس المريضة بجهلها التى لا تصلح للعالم العلوي الا بعد تصفيتها من أدناس الطبيعة فحموها من هذه الاشياء التى حرموها ليكون شفاؤها من جهلها وصحة لها لصورتها الباقية شفقة علينا ورحمة بنا فاقتدى بهم في سنتهم في ذلك خلفاؤهم وذريتهم التى هي الحبل الممدود مع الكتاب الذي لا افتراق لهم عنه الى الحوض ، كما أخبر النبى فلم يفعلوا أيضاً مع علمهم ومعرفتهم اقتداء بالرسل واتباعاً لهم ، فهذا جواب مختصر .

فقال له السائل : لم لا أفصحت بهذا العلم الشريف لينتفع به الخلق ؟

فقال لو فعلنا ذلك لعظم ضرره وبطل أيضاً ، فانا انما نفصح بعمل روحانيات العالم الاصغر في رسالتنا هذه بل أشرنا اليه اشارة فحسب لاغير حذراً أن تقع الرسالة في يد غير مستحق فيهلك الحرث والنسل ويفسد النساء ويهتك الحرم ، فلذلك ألغزناه وأعجمناه .

وأنت أيها الاخ اذا صفا جوهرك وأمنت خبيئتك افتتح عليك من هذا العلم مايسرك فلا تبعه الا كما اشتريت وابخل به على الولد والوالد الا أن يأخذا له كما أخذت أنت ويصفو جوهرهما كما صفا جوهرك أنت فيبلغا مابلغت من غير أن تعطيهما أنت شيئاً

واعلم يا أخي أن الحكماء انما وضعوا الحكم لاحكام أعمالهم واتقانهم لها وانهم لم يضعوا شيئاً من اعمالهم في غير موضعه ولافعلوا فعلا لامعنى له ولااحدثوا من ذواتهم شيئاً يكون الضرر فيه اعم من النفع ولو فعلوا ذلك لم يكونوا حكماء فكيف احكم الحاكمين واحسن الخالقين خالقهم وموجدهم ومؤيدهم ان يفعل مايؤدي الى الضرر والفساد ولغير معنى وماقصد فساداً وماخلقه لاضرارنا (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وهو يقول عز من قائل (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق)

واذا تأملت هذه الحكمة وتدبرت هذه الصنعة وعرفت هذا السر ورأيت حقيقة هذا السحر الذي يسحر العقول بانت لك الاشياء بحقائقها وتعلمت كيف تسحر الناس وكيف تصير القلوب اليك وتبين لك ما خفي عنها لما عميت الأنباء عن الضالين الغافلين .

فانتبه ياأخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأيقظ من قدرت عليه من الغافلين ليحصل لك النفع العاجل والخير المتواصل في الدنيا والدين بلغك الله منازل الاخيار المصطفين ورقاك الى منازل الملائكة المقربين وفقك الله وايانا وجميع اخواننا المؤمنين برحمته انه أرحم الراحمين

كلمة الختام

نجز والحمد لله طبع كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » وكانت النية منصرفة عند البدء به الى أن أتولى خدمته تصحيحاً ومقابلة على بعض الاصول التي منها نسخة مخطوطة في دار الكتب الملكية بالقاهرة ولكن شؤوناً اعترضت في السبيل ، فحالت بين النية والعمل ، فتداول ما كنت مزمعاً الانفراد به جماعة من أهل الفضل هم أمين افندي سعيد والشيخ احمد مصطفى والشيخ احمد يوسف ، وهاهي آثار عنايتهم بالكتاب بارزة بينة في كل صفحة من صفحاته .

هكذا قدر لرسائل اخوان الصفاء التي هي صورة صحيحة لأرقى ما بلغ اليه العلم الفلسفي في عصر وضعها ، أن تظهر بهذه الحلة النقية طبعاً وورقاً وتصحيحاً ، ومن الله التوفيق في البدء والختام .

خير الدين الزركلي

فهرست الجزء الرابع

من رسائل اخوان الصفاء

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صحيفة

صفحة

صفحة

صحيفة

صفحة

صحيفة